

٢١٤
أ ٠ غ

احياء علوم الدين (ربع المهلكات والمنجيات)
للغزالى ، محمد بن محمد -٥٠٥هـ . كتب
فى القرن العاشر الهجرى تقديرا .
ج٣-٤فى مجلدين (ق١٠، ٢١٠، ١٣٢) ٢٧، ٢١س

٥٧٢٣٧

٥ر٢٥x٥ر١٨ سم
نسخة جيدة ، خطها نسخ معتاد ، طبع
الاعلام ٧ : ٢٤٧ كشف الظنون ١ : ٢٣، ٢٤
١ - أصول الدين أ - المؤلف
ب - تاريخ النسخ ج - ربع المهلكات
د - ربع المنجيات .

بـ ... ـيح ... السلح ... السلح

الجزو الثالث من اربع اجزا

هذا اول كتاب ربع المهلكات وهي عشرة كتب
كتاب ١ شرح عجايب القلب وكتاب ٢ رياضة النفس
وكتاب ٣ كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج وكتاب ٤
افات اللسان وكتاب ٥ افة الغضب والحقد والحسد
وكتاب ٦ ذم الدنيا كتاب ٧ ذم المال والبخل كتاب ٨
ذم الجاه والريا كتاب ٩ ذم الكبر والعجب كتاب ١٠
ذم الغرور من احيا علوم الدين الجملة عشرة كتب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

كتاب شرح عجايب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات
من كتب احيا علوم الدين

الحمد لله الذي تتحير دون ادراك جلاله القلوب والخواطر وتدهش في مبادي اشراق انواره الاحداق
والنواظر المطلع على خفيات السراير العالم بمكنونات الضماير المستغني في تدبير مملكته عن المشاور
والموازر مقلب القلوب وغفار الذنوب وستار العيوب وكاشف الكروب والصلوة على محمد سيد
المرسلين وجامع شمل الدين وقاطع دابر الملحدين وعلى آله الطيبين الطاهرين اما بعد فشرف الانسان
وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعداده لمعرفة الله سبحانه التي هي في الدنيا جماله
وكماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالقلب هو
العالم بالله سبحانه وهو العامل لله وهو الساعي الى الله تعالى وهو المتقرب اليه وهو المكاشف بما عند
الله ولديه وانما الجوارح اتباع وخدم يستخدمها القلب ويستعملها استعمال الملك للعبد واستخدام والآلات
الراعي للرعية والصانع للآلة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله اذا صار
مستغرقا بغير الله تعالى وهو المطالب وهو المخاطب وهو المعاتب وهو المعاقب وهو الذي يسعد بالقرب
من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله
تعالى وانما الذي ينتشر على الجوارح انواره وهو العاصي المتمرد على الله تعالى وانما الساري على الاعضاء من العبادات
آثاره وباظلامه واستنارته تتظهر محاسن الظاهر ومساويه اذ كل اناء ينضح بما فيه وهو الذي اذا عرفه
الانسان فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه جل وعز وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل
نفسه واذا جهل نفسه جهل ربه ومن جهل قلبه فهو بغيره اجهل واكثر الخلق جاهلون بقلوبهم وانفسهم
وقد حيل بينهم وبين انفسهم وان الله يحول بين المرء وقلبه وحيلولته بان يمنعه عن مشاهدته ومراقبته
ومعرفة صفاته وكيفية تقلبه بين اصبعين من اصابع الرحمن جل ربنا وتعالى وانه كيف يهوي مرة الى
اسفل السافلين وينخفض الى افق الشياطين وكيف يرتفع اخرى الى اعلى عليين ويرتقي الى عالم الملايكة
المقربين ومن لم يعرف قلبه ليراقبه ويراعيه ويترصد لما يلوح من خزاين الملكوت عليه وفيه فهو ممن
قال الله تعالى فيه ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اوليك هم الفاسقون
فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول
من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح
في الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم الباطن
فلا بد ان نقدم عليه كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه وكتابا في كيفية رياضة القلب

وتهذيب

وتهذيب اخلاقه ثم نندفع بعد ذلك في تفصيل المهلكات والمنجيات فلنذكر الآن من شرح عجايب
القلب بطريق ضرب الامثال ما يقرب من الافهام فان التصريح بعجايبه واسراره الداخلة في جملة عالم الملكوت
مما يكل عن دركه اكثر الافهام **بيان معنى النفس والروح والقلب والعقل وما هو المراد
بهذه الاسامي** اعلم ان هذه اربعة اسامي تستعمل في هذه الابواب ويقل في فحول العلماء من يحيط بمعاني هذه
الاسامي واختلاف معانيها وحدودها ومسمياتها بل اكثر الاغاليط منشاها الجهل بمعنى هذه الاسامي وباشتراكها
بين مسميات مختلفة ونحن نشرح من معاني هذه الاسامي ما يتعلق بغرضنا **الاول** لفظ القلب
وهو يطلق لمعنيين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه
تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود وهو منبع الروح ومعدنه ولسنا نقصد الآن شرح شكله وكيفيته
فلا تتعلق به الاغراض الدينية وربما يتعلق بذلك غرض الاطبا وهذا القلب موجود للبهايم بل هو
موجود للميت ونحن اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب لم نعن به ذلك فانه قطعة لحم لا قدر له وهو من
عالم الملك والشهادة اذ تدركه البهايم بحاسة البصر فضلا عن الآدميين **والمعنى الثاني** هو لطيفة
ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك
العالم العارف من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني وقد
تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف
بالموصوفات او تعلق المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما
نتوقاه لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا علوم المعاملة
والثاني ان تحقيقه يستدعي افشا سر الروح ولم يتكلم فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان
يتكلم فيه والمقصود انا اذا اطلقنا القلب في هذا الكتاب اردنا به اللطيفة وغرضنا ذكر اوصافها واحوالها
لا ذكر حقيقتها في ذاتها وعلم المعاملة يفتقر الى معرفة صفاتها واحوالها ولا يفتقر الى ذكر حقيقتها **اللفظ
الثاني** الروح وهو ايضا يطلق فيما يتعلق بجنس غرضنا لمعنيين احدهما جسم لطيف منبعه
تجويف القلب الجسماني وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى ساير اجزاء البدن وجريانه في البدن
وفيضان انوار الحيوة والحس والبصر والسمع والشم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج الذي
يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها النور الحاصل في
الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركته في الباطن مثاله حركة السراج في جوانب البيت
بتحريك محركه والاطبا اذا اطلقوا الروح ارادوا به هذا المعنى وهو بخار لطيف انضجته حرارة القلب
وليس غرضنا شرحه اذ المتعلق به غرض الاطبا الذين يعالجون الابدان فاما غرض اطبا الدين
المعالجين للقلوب حتى تنساق الى جوار رب العالمين فليس يتعلق بشرح هذه الروح اصلا المعنى الثاني

هو اللطيفة العالمة المدركة من الانسان وهو الذي شرحناه في احد معني القلب وهو الذي اراده
الله بقوله ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب رباني تعجز اكثر العقول والافهام
عن درك كنه حقيقته **اللفظ** الثالث النفس وهو ايضا مشترك بين معاني ويتعلق بغرضنا
معنيان احدهما انه يراد به المعنى الجامع لقوة الغضب والشهوة في الانسان على ما سياتي شرحه وهذا
الاستعمال هو الغالب على الصوفيه فهم يريدون بالنفس الاصل الجامع للصفات المذمومه من الانسان
فيقولون لابد من مجاهدة النفس وكسرها واليه الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم اعدى عدوك
نفسك التي بين جنبيك **المعنى** الثاني هي اللطيفه التي ذكرناها التي هي الانسان بالحقيقه وهي نفس
الانسان وذاته ولكنها توصف باوصاف مختلفه بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر
وزايلها الاضطراب بسبب معارضة الشهوات سميت النفس المطمينه قال الله تعالى يا
ايتها النفس المطمينه ارجعي الى ربك والنفس بالمعنى الاول لا يتصور رجوعها الى الله تعالى فانها
مبعدة عن الله عز وجل وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعه للنفس
الشهوانيه ومعترضه عليها سميت النفس اللوامه لانها تلوم صاحبها عند تقصيرها في عبادة
مولاها قال الله تعالى ولا اقسم بالنفس اللوامه وان تركت الاعتراض واذعنت
واطاعت لمقتضى الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس الاماره بالسو قال الله تعالى وما ابرئ
نفسي ان النفس لاماره بالسو وقد يجوز ان يقال المراد بالاماره بالسو هي النفس بالمعنى الاول فاذا
النفس بالمعنى الاول مذموم غاية الذم وبالمعنى الثاني محمود لانه نفس الانسان اي ذاته وحقيقته
العالمه بالله تعالى وساير المعلومات **اللفظ** الرابع العقل وهو ايضا مشترك لمعاني مختلفه ذكرناها
في كتاب العلم والمتعلق بغرضنا من جملته معنيان انه قد يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون
هو القلب اعني تلك اللطيفه ونحن نعلم ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة
حالة فيه والصفه غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق ويراد به محل الادراك
اعني المدرك وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم اول ما خلق الله تعالى العقل فان العلم عرض لا
يتصور ان يكون اول مخلوق بل لابد وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب
معه وفي الخبر انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر الحديث فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه
الاسامي موجودة وهي القلب الجسماني والروح الجسماني والنفس الشهواني والعلوم وهذه اربعه
معان يطلق عليها الالفاظ الاربعه ومعنى خامس وهي اللطيفه العالمه المدركه من الانسان والالفاظ
الاربعه بجملتها تتوارد عليه والمعاني خمسه والالفاظ اربعه وكل لفظ اطلق لمعنيين واكثر العلما قد
التبس عليهم اختلاف هذه الالفاظ وتواردها فتراهم يتكلمون في الخواطر ويقولون هذا خاطر العقل

احدهما انه قد يطلق ويراد به العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني

وهذا خاطر الروح وهذا خاطر النفس وهذا خاطر القلب وليس يدري الناظر اختلاف معاني هذه
الاسامي ولاجل كشف الغطا عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القران والسنه لفظ القلب فالمراد
به المعنى الذي يفقه من الانسان ويعرف حقيقة الاشيا وقد يكنى عنه بالقلب الذي في الصدر لان
بين تلك اللطيفه وبين جسم القلب علاقه خاصه فانها وان كانت متعلقه بساير
البدن ومستعمله له ولكنه تتعلق به بواسطة القلب فتعلقها الاول بالقلب وكانه محله ومملكته
وعالمها ومطيته ولذلك شبه سهل التستري القلب بالعرش والصدر بالكرسي فقال القلب هو العرش والصدر
هو الكرسي ولا تظن به انه يرى انه عرش الله عز وجل وكرسيه فان ذلك محال بل اراد به انه المجرى (مملكته)
الاول لتدبيره وتصرفه فهما بالنسبه اليه كالعرش والكرسي بالنسبه الى الله تعالى ولا يستقيم
هذا التشبيه ايضا الا من بعض الوجوه وشرح ذلك ايضا لا يليق بغرضنا فلنتجاوزه **بيان**
جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله سبحانه في القلوب والارواح وغيرها
من العوالم جنود مجنده لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها الا هو ونحن الان نشير الى بعض جنود
القلب وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في
حكم الملك والجنود في حكم الخدم والاعوان وهذا معنى الجند فاما جنده المشاهد بالعين
فهو اليد والرجل والعين والاذن واللسان وساير الاعضا الظاهرة والباطنة فان جميعها
خادمة للقلب ومسخرة له وهو المتصرف فيها والمردد لها وقد خلقت مجبولة على طاعته القلب
لا تستطيع له خلافا ولا عليه تمردا فاذا امر العين بالانفتاح انفتحت واذا امر الرجل بالحركه تحركت
واذا امر اللسان بالكلام وجزم الحكم به تكلم وكذا ساير الاعضا وتسخير الاعضا والحواس للقلب يشبه
من وجه تسخير الملايكه لله تعالى فانهم جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا بل لا يعصون الله
ما امرهم ويفعلون ما يومرون وانما يفترقان في شي واحد وهو ان الملايكه عالمه بطاعتها وامتثالها
والاجفان تطيع القلب بالانفتاح والانطباق على سبيل التسخير ولا خبر لها من طاعتها للقلب وانما
افتقر القلب الى هذه الجنود من حيث افتقاره الى المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر
الى الله سبحانه وقطع المنازل الى لقايه فلاجله خلقت القلوب قال الله تعالى وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون وانما مركبه البدن وانما زاده العلم وانما الاسباب التي توصله الى
الزاد وتمكنه من التزود منه العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الى الله تعالى ما لم يسكن البدن
ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادنى لا بد من قطعه للوصول الى المنزل الاقصى والدنيا مزرعة الاخره
وهي منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين فاضطر الى ان يتزود من هذا العالم
والبدن مركبه الذي يصل به الى هذا العالم فافتقر الى تعهد البدن وحفظه فانما يتحفظ البدن بان

يجلب اليه ما يوافقه من الغذاء وغيره وان يدفع عنه ما ينافيه ويهلكه من اسباب
الهلاك فافتقر لاجل جلب الغذاء الى جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء
الجاذبة للغذاء فخلق في القلب من الشهوات ما احتاج اليه وخلقت الاعضاء التي هي آلات
الشهوة وافتقر لاجل دفع المهلكات الى جندين باطن وهو الغضب الذي به يدفع المهلكات
وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به يعمل بمقتضى الغضب وكذلك بامور
خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها ثم المحتاج الى الغذاء اذا لم يعرف الغذاء لم تنفعه شهوة الغذاء
وآلته فافتقر للمعرفة الى جندين باطن وهو ادراك البصر والذوق والشم والسمع واللمس
وظاهر وهو العين والاذن والانف وغيرها وتفصيل وجه الحاجة اليها ووجه الحكمة فيها
يطول ولا تحويه مجلدات كثيرة وقد اشرنا الى طرف يسير منه في كتاب الشكر فلنقتنع به فجملة
جنود القلب تحصرها ثلاثة اصناف صنف باعث ومستحث اما الى جلب الموافق والنافع كالشهوة
واما الى دفع المضار والمنافي كالغضب وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني هو
المحرك للاعضاء الى تحصيل هذه المقاصد ويعبر عن هذا الثاني بالقدرة وهي جنود مبثوثة
في ساير الاعضاء لا سيما العضلات منها والاوتار والثالث هو المدرك المتعرف للاشيا
كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق والسمع وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة
ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود ظاهرة وهي
الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت آلات لهذه الجنود فان
قوة البطش انما يبطش بالاصابع وقوة البصر انما يدرك الشيء بالعين وكذا بقية القوى ولسنا نتكلم
في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانه من عالم الملك والشهادة وانما نتكلم الآن فيما ايده من جنود
لم تروها وهذا الصنف الثالث وهو المدرك من هذه الجملة ينقسم الى ما اسكن المنازل
الظاهرة وهي الحواس الخمس اعني السمع والبصر والى ما اسكن منازل باطنة وهي تجاويف الدماغ
وهي ايضا خمسة فان الانسان بعد رؤية الشيء يغمض عينيه فيدرك صورته في نفسه وهو
الخيال ثم تبقى تلك الصورة معه بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه
فيركب بعض ذلك الى البعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات
من خياله في الحس المشترك بين المحسوسات ففي الباطن حس مشترك وتخيل
وتذكر وحفظ ولولا خلق الله تعالى قوة الحفظ والفكر والذكر والتخيل لكان يخلو الدماغ عنه
كما يخلو اليد والرجل فلذلك القوى ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود
القلب وشرح ذلك بحيث يدركه فهم الضعفاء يطول ومقصود مثل هذا الكتاب ان ينتفع

به الاقوياء والفحول من العلماء ولكنا نجتهد في تفهيم الضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من
افهامهم **بيان امثلة القلب** مع جنوده الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة قد
ينقادان للقلب انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقه الذي يسلكه وتحسن مرافقتهما في السفر
الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى يملكاه ويستعبدانه
وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله الى سعادة الابد وحقه ان يستعين
بهذا الجند فانه حزب الله تعالى على الجندين الآخرين فانهما قد يلتحقان بحزب الشيطان فان
ترك الاستعانة وسلط على نفسه جند الغضب والشهوة هلك يقينا وخسر خسرانا
مبينا وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم في استنباط الحيل لقضاء
الشهوة وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فيما يفتقر العقل اليه ونحن نقرب هذا
الى فهمك بثلاثة امثلة المثال الاول ان نقول مثل نفس الانسان في بدنه واعني
بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل والٍ في مدينته ومملكته فان البدن مملكة للنفس وعالمه ومستقره
ومدينته وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية المفكرة له كالمشير الناصح
والوزير العاقل والشهوة له كالعبد السوء يجلب الطعام والميرة الى المدينة والغضب والحمية
كصاحب شرطته والعبد الجالب للميرة كذاب مكار مخادع خبيث يتصور بصورة الناصح وتحت
نصيحته الشر الهائل والسم القاتل وديدنه وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير
يدبره حتى لا يخلو عن منازعته ومعارضته في رأيه ساعة فكما ان الوالي في مملكته ان استغنى
في تدبيراته بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته في ان الصواب
نقيض رأيه وادب صاحب شرطته وساسه لوزيره وجعله مؤتمرا له ومسلطا من جهته
على هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سائسا
ومأمورا مدبرا لا اميرا مدبرا استقام امر بلده وانتظم العدل بسببه وكذلك النفس متى استعانت
بالعقل وادبت بالحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت باحداهما على الاخرى
تارة بان يقلل مرتبة الغضب وغلوائه بمخالفة الشهوة واستدراجها وتارة بقمع الشهوة
وقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضياتها اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه
ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال الله تعالى فيه افرأيت من اتخذ الهه هواه واضله الله على
علم وقال تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وقال تعالى فيمن
نهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى وسنأتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط
بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس **المثال الثاني** ان البدن كالمدينة والعقل

اعني المدركة من الانسان كملك مدبر لها وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة كجنوده
واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الشهوة والغضب كعدو ينازعه في
مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه كمرابط فان
جاهد عدوه وهزمه وقهره على ما يحب حمد اثره اذا عاد الى الحضرة كما قال تعالى فضل الله
المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقمت
منه عند لقاء الله عز وجل فيقال له يوم القيامة يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم
تاو الضالة ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة
بقوله رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر المثال الثالث مثل العقل مثل فارس
متصيد وشهوته كفرسه وغضبه ككلبه فمتى كان الفارس حاذقا وفرسه مروضا وكلبه مودبا
معلما كان جديرا بالنجح ومن كان هو في نفسه اخرق والفرس جموحا والكلب عقورا فلا فرسه
ينبعث تحته منقادا ولا كلبه يسترسل باشارته مطيعا فهو خليق بان يعطب فضلا عن
ان ينال ما طلب وانما خرق الفارس مثال جهل الانسان وقلة حكمته وكلال بصيرته وجماح
الفرس مثال الغلبة الشهوة خصوصا شهوة البطن والفرج وعقر الكلب مثال الغلبة
الغضب واستيلائه ؛ بيان خاصة قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم
الله تعالى بها على سائر الحيوانات سوى الادمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب
والحواس الظاهرة والباطنة ايضا حتى ان الشاة ترى الذيب بعينها وتعلم عداوته بقلبها
فتهرب منه فكذلك ادراك الباطن فلنذكر ما يختص به قلب الانسان ولاجله عظم شرفه
واستاهل القرب من الله تعالى سبحانه وهو راجع الى علم وارادة اما العلم فهو العلم بالامور
الدنيوية والاخروية والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا تشاركه فيها
الحيوانات فان العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل اذ يحكم الانسان
بان الفرس الواحد لا يتصور ان يكون في مكانين في حالة واحدة وهذا حكم منه على كل فرس
ومعلوم انه لم يدرك بالحس الا بعض الافراس فحكمه على جميع الافراس زايد على ما ادركه
الحس فاذا فهمت هذا في هذا العلم الضروري فهو في ساير النظريات اظهر واما الارادة فهو
انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامر وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته شوق الى وجه
المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة وارادة الحيوانات بل
تكون على ضد الشهوة فان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة والعاقل يريدها ويطلبها
ويبذل المال عليها والشهوة تميل الى لذايذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في نفسه زاجرا

عنها فليس في ذلك زاجر الشهوة ولو خلق الله تعالى العقل المعرف لعاقبة الامور ولم يخلق هذا
الباعث المحرك للاعضاء على مقتضى حكم العقل لكان حكم العقل ضايعا على التحقيق فاذا اختص
قلب الانسان بعلوم وارادات ينفك عنها ساير الحيوانات بل ينفك عنها الصبي
في اول الفطرة وانما يحدث ذلك فيه عند البلوغ واما الشهوة والغضب والحواس الظاهرة
والباطنة فانها موجودة في حال الصبي ثم للصبي في حصول هذه العلوم فيه درجتان احداهما
ان يشتمل قلبه على جملة العلوم الضرورية والاولية كالعلم باستحالة المستحيلات وجواز
الجايزات الظاهرة فتكون العلوم النظرية فيه غير حاصلة الا انها صارت ممكنة
قريبة الامكان والحصول وتكون حاله في الاضافة كحال الكاتب الذي لم يعرف من الكتابة الا الدواة
والقلم والحروف المفردة دون المركبة فانه قد قارب الكتابة ولم يبلغها بعد الثانية ان تحصل له
العلوم المكتسبة بالتجارب والفكرة وتكون كالمخزونة عنده فاذا شاء رجع اليه وحاله حال
الحاذق بالكتابة اذ يقال له كاتب وان لم يكن مباشرا للكتابة لقدرته عليه
وهذه هي غاية الدرجة الانسانية ولكن في هذه الدرجة مراتب لا تحصى تتفاوت الخلق فيها بكثرة
المعلومات وقلتها وبشرف المعلومات وخستها وبطريق تحصيلها اذ تحصل لبعض القلوب بالهام
الهي على سبيل المبادأة والمكاشفة ولبعضها بتعلم واكتساب ثم قد يكون سريع الحصول
وقد يكون بطيء الحصول وفي هذا المقام تتباين منازل العلماء والحكماء والاولياء والانبياء ودرجات
الرقي فيه غير محصورة اذ معلومات الله تعالى لا نهاية لها واقصى الرتب رتبة
النبي صلى الله عليه وسلم الذي ينكشف له كل الحقايق او اكثرها من غير اكتساب وتكلف بل بكشف
الهي في اسرع وقت وبهذه السعادة يقرب العبد من الله تعالى قربا بالمعنى والحقيقة والصفة
لا بالمكان والمسافة ومراقي هذه الدرجات هي منازل السايرين الى الله تعالى ولا حصر لتلك المنازل
فاما ما بين يديه فلا يحيط بحقيقته علما لكن قد يصدق به ايمانا بالغيب كما انا نومن بالنبوة
وبالنبي عليه السلام ونصدق بوجوده ولا يعرف حقيقة النبوة الا النبي عليه السلام وكما لا يعرف
الجنين حال الطفل ولا الطفل حال المميز وما انفتح له من العلوم الضرورية ولا المميز حال العاقل وما
اكتسبه من العلوم النظرية فلا تعرف ما انفتح على اولياء الله عز وجل وانبيائه من مزايا لطفه
ورحمته وما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة بحكم الجود
والكرم من الله سبحانه غير مضنون به على احد ولكن انما تظهر في القلوب المعرضة لنفحات الله
تعالى كما قال عليه السلام ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض
لها بتطهير القلب وتزكيته عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة كما سياتي
بيانه

والى هذا الجود الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تعالى كل ليلة الى السما الدنيا فيقول هل من داعي فاستجيب له الحديث وبقوله لقد طال شوق الابرار الى لقاي واني الى لقايهم لاشد شوقا وبقوله تعالى من تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا كل ذلك اشارة الى انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب فان الاواني ما دامت مملوة بالما لا يدخلها الهوا فالقلوب المشغولة بغير الله تعالى لا تدخلها المعرفة بجلال الله سبحانه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما ومن هذه الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة واشرف انواع العلم هو العلم بالله تعالى وصفاته وافعاله ففيه كمال الانسان وفي كماله سعادته وصلاحه لجوار حضرة الكمال والجلال فالبدن مركب النفس والنفس محل العلم والعلم هو مقصود الانسان وخاصيته التي لاجلها خلق وكما ان الفرس يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيبة فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض رتبة الحمار فكذلك الانسان يشارك الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور هي خاصيته وتلك الخاصية من صفات الملايكة المقربين من الله تعالى والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة فان الانسان من حيث يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشيا فمن استعمل جميع اعضايه وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان يلحق بهم وجدير بان يسمى ملكا وربانيا كما قال تعالى ان هذا الا ملك كريم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية ياكل كما تاكل الانعام فقد انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرا كثور واما شرها كخنزير واما ضرعا ككلب او حقودا كجمل او متكبرا كنمر او ذا روغان كثعلب او يجمع ذلك كله كشيطان مريد وما من عضو من الاعضا ولا حس من الحواس الا ويمكن الاستعانة به على طريق الوصول الى الله تعالى كما سياتي طرف منه في كتاب الشكر فمن استعمله فيه فقد فاز ومن عدل عنه فقد خسر وخاب وجملة السعادة في ذلك ان يجعل لقا الله عز وجل مقصده والدار الاخرة مستقره والدنيا منزله والبدن مركبه والاعضا خدمه فيستقر هو اعني المدرك من الانسان في القلب الذي هو وسط مملكته كالملك ويجري القوة الخيالية في مقدم الدماغ مجرى صاحب بريده اذ تجتمع اخبار المحسوسات عنده ويجري القوة الحافظة التي مسكنها موخر الدماغ مجرى خازنه ويجري اللسان مجرى ترجمانه ويجري الاعضا المتحركة مجرى كتابه ويجري الحواس مجرى جواسيسه فيوكل كل واحد باخبار صقع من الاصقاع وتوكل العين بعالم الالوان والسمع بعالم الاصوات

والشم بعالم الروايح وكذلك ساير الحواس فانها اصحاب اخبار يلتقطونها من هذه العوالم ويردونها الى القوة الخيالية التي هي كصاحب البريد ويسلمها صاحب البريد الى الخازن وهي الحافظة ويعرضها الخازن على الملك فيقتبس منه ما يحتاج اليه في تدبير مملكته واتمام سفره الذي هو بصدده وقمع عدوه الذي هو مبتلى به ودفع قواطع الطريق عليه فاذا فعل ذلك كان موفقا سعيدا شاكرا نعمة الله تعالى فاذا عطل هذه الجملة او استعملها لكن في مراعاة اعدايه وهي الشهوة والغضب وساير الحظوظ العاجلة او في عمارة طريقه دون منزله اذ الدنيا طريقه التي عليها عبوره ووطنه ومستقره الاخرة كان مخذولا شقيا كافرا لانعم الله مضيعا لجنود الله ناصرا لاعدا الله مخذلا لحزب الله فيستحق المقت والابعاد في المنقلب والمعاد نعوذ بالله تعالى منه والى المثال الذي ضربناه اشار كعب الاحبار قال دخلت على عايشة رضي الله عنها فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان لله في ارضه انية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره فقال رضي الله عنه اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان وهي اشارة الى قوله تعالى اشدا على الكفار رحما بينهم وقوله تعالى او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق وقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح قال ابي بن كعب معناه مثل نور المومن وقلبه وقال زيد بن اسلم في لوح محفوظ هو قلب المومن وقال سهل مثل القلب والصدر مثل العرش والكرسي فهذه امثلة القلب

بيان مجامع اوصاف القلب وامثاله

اعلم ان القلب والصدر الانسان قد اصطحب في تركيبه وخلقته اربع شوايب ولذلك اجتمعت عليه اربعة انواع من الاوصاف وهي الصفات السبعية والبهيمية والشيطانية والربانية فهو من حيث سلط عليه الغضب يتعاطى افعال السباع من العداوة والبغضا والتهجم على الناس بالضرب والشتم ومن حيث سلطت عليه الشهوة يتعاطى افعال البهايم من الشره والحرص والشبق وغيره ومن حيث انه في نفسه امر رباني كما قال تعالى قل الروح من امر ربي فانه يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلا والاستعلا والتخصص والاستبداد بالامور كلها والتفرد بالرياسة والانسلال عن ربقة العبودية والتواضع ويشتهي الاطلاع على العلوم كلها بل يدعي لنفسه العلم والمعرفة والاحاطة بحقايق الامور ويفرح اذا نسب الى العلم ويحزن اذا نسب الى الجهل والاحاطة بجميع الحقايق والاستيلا بالقهر على جميع الخلايق من اوصاف الربوبية وفي الانسان حرص على ذلك ومن حيث يختص من البهايم بالتمييز مع مشاركته لها في الغضب والشهوة حصلت فيه شيطانية فصار

شديدا يستعمل التمييز في استنباط وجوه الشر ويتوصل الى الاغراض بالمكر والحيلة والخداع
ويظهر الشر في معرض الخير وهذه اخلاق الشياطين وكل انسان ففيه شوب من هذه الاصول
الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية والبهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان
المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير
مذموما للونه وشكله وصورته بل لجشعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان السبع
الضاري والكلب العقور ليس كلبا وسبعا باعتبار الصورة واللون والشكل بل معنى السبعية
الضراوة والعدوان والعقر وفي باطن الانسان ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه
فالخنزير يدعو بالشره الى الفحشا والمنكر والسبع يدعو بالغضب الى الظلم والايذا والشيطان
لا يزال يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع ويغري احدهما بالاخر ويحسن لهما ما هما مجبولان عليه
والحكيم الذي هو مثال القلب مامور بان يدفع كيد الشيطان ومكره بان يكشف عن تلبيسه ببصيرته
النافذة ونوره المشرق الواضح وان يكسر شره هذا الخنزير بتسليط الكلب عليه اذ الغضب يكسر
سورة الشهوة ويدفع ضراوة الكلب بتسليط الخنزير عليه ويجعل الكل مقهورا تحت سياسته
فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر وظهر العدل في مملكة البدن وجرى الكل على الصراط المستقيم
وان عجز عن قهرها قهروه فاستخدموه فلا يزال في استنباط الحيل وتدقيق الفكر ليشبع الخنزير
ويرضي الكلب فيكون دايما في عبادة كلب وخنزير وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همتهم
الفرج والبطن ومنافسة الاعدا والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجارة
ولو كشف الغطا عنه وكوشف بحقيقة حاله ومثل له حقيقة من حاله كما يمثل للمكاشفين
اما في النوم او في اليقظة لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا له مرة وراكعا اخرى ومنتظرا
لاشارته وامره فمهما هاج الخنزير يطلب شيا من شهوته انبعث على الفور في خدمته واحضار
شهوته او راه ماثلا بين يدي كلب عقور عابدا له مطيعا لما يقتضيه ويلتمسه مدققا للفكر
في حيل الوصول الى طاعته وهو بذلك ساع في مسرة شيطانه فانه الذي يهيج الخنزير ويثير
الكلب ويبعثهما على استخدامه فهو من هذا الوجه يعبد الشيطان بعبادتهما فليراقب كل عبد
حركاته وسكناته وسكوته ونطقه وقيامه وقعوده ولينظر بعين البصيرة فلا يرى ان
انصف نفسه الا ساعيا في طول النهار في عبادة هولا وهذا غاية الظلم اذ جعل المالك
مملوكا والرب مربوبا والسيد عبدا والقاهر مقهورا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر
والاستيلا وقد سخره لخدمة هولا فلا جرم ينتشر الى قلبه من طاعة هولا الثلاثة صفات تتراكم
عليه حتى يصير طابعا ورينا مهلكا للقلب ومميتا له اما طاعة خنزير الشهوة فيصدر

منه صفة الوقاحة والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكة والمجانة والعبث
والحرص والجشع والملق والحسد والشماتة وغيرها واما طاعة الغضب فينتشر منه
الى القلب صفة التهور والبذالة والبذخ والصلف والاستشاطة والتكبر والعجب والاستهزا
والاستخفاف وتحقير الخلق وارادة الشر وشهوة الظلم وغيره واما طاعة الشيطان بطاعة
الشهوة والغضب فيحصل منه صفة المكر والحيلة والخداع والدها والجربزة والتلبيس
والتضريب والغش والخب وامثالها ولو عكس الامر وقهر الجميع تحت سياسة الصفة الربانية
لاستقر في القلب من الصفات الربانية العلم والحكمة والاحاطة بحقايق الاشيا ومعرفة الامور على
ما هي عليها والاستيلا على الكل بقوة العلم والبصيرة واستحقاق التقدم على الخلق لكمال العلم وجلاله
ولاستغنا عن عبادة الشهوة والغضب ولانتشر اليه من ضبط خنزير الشهوة ورده
الى حد الاعتدال صفات شريفة مثل العفة والقناعة والهدو والزهد
والورع والتقوى والانبساط وحسن الهيئة والحيا والظرف والمساعدة وامثالها ويحصل فيه
من ضبط قوة الغضب وقهرها وردها الى الحد الواجب صفة الشجاعة والكرم والنجدة وضبط النفس
والصبر والحلم والاحتمال والعفو والثبات والنبل والشهامة والوقار وغيرها فالقلب في
حكم مراة قد اكتنفته هذه الامور المؤثرة فيه وهذه الاثار على التوالي واصلة الى القلب
اما الاثار المحمودة التي ذكرناها فانها تزيد مراة القلب اشراقا ونورا وضيا حتى يتلالا فيه
جلية الحق وينكشف فيه حقيقة الامر المطلوب في الدين والى مثل هذا
القلب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه وبقوله
صلى الله عليه وسلم من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ وهذا القلب هو الذي
يستقر فيه الذكر قال الله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب واما الاثار المذمومة فانها
مثل دخان مظلم يتصاعد الى مراة القلب ولا يزال يتراكم عليه مرة بعد اخرى الى ان يسود ويظلم
ويصير بالكلية محجوبا عن الله تعالى وهو الطبع وهو الرين قال الله تعالى كلا بل ران على قلوبهم
بما كانوا يكسبون وقال تعالى ولو نشا ~~اصبنا~~ اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا
يسمعون فربط تعالى عدم السماع بالطبع بالذنوب كما ربط جواز السماع بالتقوى
فقال تعالى واتقوا الله واسمعوا واتقوا الله ويعلمكم الله ومهما تراكمت الذنوب طبع على
القلب وعند ذلك يعمى القلب عن ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بامر الاخرة ويستعظم
امر الدنيا ويصير مقصور الهم عليها واذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى ولم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك واوليك

الذين يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور وهذا هو معنى اسوداد القلب بالذنوب
كما نطق به القرآن والسنة قال ميمون بن مهران إذا أذنب العبد ذنبا نكتت في القلب نكتة سوداء
فإن هو نزع وتاب صقل وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران وقال النبي صلى الله عليه
وسلم قلب المؤمن أجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر أسود منكوس فطاعة الله تعالى
بمخالفة الشهوات مصقلات للقلوب ومعصيته مسودات له فمن أقبل على المعاصي اسود
قلبه ومن أتبع السيئة الحسنة ومحا أثرها لم يظلم قلبه ولم ينقص نوره وقد قال
صلى الله عليه وسلم القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس
فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه إيمان
ونفاق فمثل الإيمان فيه مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فأي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وقال تعالى إن الذين
اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون فأخبر تعالى أن جلاء القلب وإبصاره
يحصل بالذكر وأنه لا يتمكن منه إلا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف
باب الفوز الأكبر وهو الفوز بلقاء الله تعالى **بيان مثال القلب** بالإضافة إلى العلوم خاصة

اعلم أن محل العلم هو القلب أعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح المطاعة المخدومة من جميع
الأعضاء وهي بالإضافة إلى حقائق المعلومات كالمرآة بالإضافة إلى صور المتلونات فكما أن للمتلون
صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل بها فكذلك لكل معلوم حقيقة ولتلك الحقيقة صورة
تنطبع في مرآة القلب وتتضح فيه وكما أن المرآة غير وصور الأشخاص غير وحصول وحصول
مثالها في المرآة غير فهي ثلاثة أمور فكذلك هاهنا ثلاثة أمور القلب وحقائق الأشياء وحصول نفس
الحقائق في القلب وحضورها فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقائق الأشياء والمعلوم
عبارة عن حقائق الأشياء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما أن القبض مثلا يستدعي
قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف واليد بحصول السيف في اليد ويسمى قبضا
فكذلك وصول مثال المعلوم إلى القلب يسمى علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا ولم يكن
العلم حاصلا لأن العلم عبارة عن وصول الحقيقة إلى القلب كما أن السيف موجود واليد موجودة
ولم يكن اسم القبض والأخذ حاصلا لعدم وقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن حصول
السيف بعينه في يده والمعلوم بعينه لا يحصل في القلب فمن علم النار لم يحصل عين النار في
قلبه ولكن الحاصل حدها وحقيقتها المطابقة لصورتها فتمثيله بالمرآة أولى لأن عين الإنسان لا
يحصل في المرآة وإنما يحصل مثال مطابق له فكذلك يحصل مثال مطابق لحقيقة المعلوم في القلب

يسمى علما وكما أن المرآة لا تنكشف فيها الصورة لخمسة أمور أحدها نقصان صورتها كجوهر الحديد
قبل أن يدور ويشكل ويصقل والثاني لخبثه وصداه وكدورته وإن كان تام الشكل والثالث لكونه
معدولا به عن جهة الصورة إلى غيرها كما إذا كانت الصورة وراء المرآة والرابع لحجاب مرسل بين
المرآة والصورة والخامس الجهل بالجهة التي فيها الصورة المطلوبة حتى يتعذر بسببه أن يحاذى
به شطر الصورة وجهتها فكذلك القلب مرآة مستعدة لأن يتجلى فيها حقيقة الحق في الأمور
كلها وإنما خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها لهذه الأسباب الخمسة أولها نقصان في ذاته
كقلب الصبي فإنه لا يتجلى له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة المعاصي والخبث الذي يتراكم
على وجه القلب من كثرة الشهوات فإن ذلك يمنع صفاء القلب وجلاءه فيمتنع ظهور الحق فيه
لظلمته وتراكمه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من قارف ذنبا فارقه عقل لم
يعد إليه أبدا أي حصل في قلبه كدورة لا يزول أثره أبدا إذ غايته أن يتبعه
حسنة يمحوها فلو جاء بالحسنة ولم تتقدم السيئة لازداد لا محالة إشراق القلب فلما تقدمت
السيئة سقط فائدة الحسنة لكن عاد القلب بها إلى ما كان قبل السيئة ولم يزدد بها نورا
وهذا خسران ونقصان لا حيلة له فليس المرآة التي تدنس ثم تمسح بالمصقلة كالتي تمسح
بالمصقلة لزيادة جلائها من غير دنس سابق والإقبال على طاعة الله عز وجل والإعراض عن
مقتضى الشهوات هو الذي يجلو القلب ويصفيه ولذلك قال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وقال عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم **الثالث** أن يكون معدولا به
عن جهة الحقيقة المطلوبة فإن قلب المطيع الصالح وإن كان صافيا فإنه ليس يتضح فيه
جلية الحق لأنه ليس يطلب الحق وليس يحاذي بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب
الهم بتفصيل الطاعات البدنية أو بتهيئة أسباب المعيشة ولا يصرف فكره إلى التأمل في حضرة
الربوبية والحقائق الخفية الإلهية فلا ينكشف له إلا ما هو متفكر فيه من دقائق آفات الأعمال
وخفايا عيوب النفس إن كان متفكرا فيها أو مصالح المعيشة إن كان متفكرا فيها وإذا كان
تقييد الهم بالأعمال وتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف جلية الحق فما ظنك في صرف
الهم إلى شهوات الدنيا ولذاتها وعلائقها فكيف لا يمنع عن الكشف الحقيقي
والرابع الحجاب فإن المطيع القاهر لشهواته المتجرد للفكر في حقيقة من الحقائق قد
لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه باعتقاد سبق إليه منذ الصبى على سبيل التقليد
والقبول بحسن الظن يحول بينه وبين حقيقة الحق ويمنع من أن ينكشف في قلبه خلاف
ما تلقفه من ظاهر التقليد وهذا أيضا حجاب عظيم حجب به أكثر المتكلمين والمتعصبين

للمذاهب بل اكثر الصالحين المتفكرين في ملكوت السموات والارض لانهم محجوبون باعتقادات
تقليدية جمدت في نفوسهم ورسخت في قلوبهم وصار حجابا بينهم وبين درك الحقايق الخامس
الجهل بالجهة التي منها يقع العثور على المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه ان يحصل العلم بالمجهول
الا بالتذكر للعلوم التي يناسب مطلوبه حتى اذا تذكرها ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلما
بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون قد عثر على جهة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة التي ليست
فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة بل كل علم لا يحصل الا من علمين يتقدمانه يأتلفان
ويزدوجان على وجه مخصوص فيحصل من ازدواجهما علم ثالث على مثال ما يحصل النتاج من ازدواج
الفحل والانثى وذلك اذا وقع بينهما ثم كما ان من اراد ان يستنتج رمكة لم يمكنه ذلك من حمار وبقرة
وانسان بل من اصل مخصوص هو الذكر والانثى وذلك اذا وقع بينهما ازدواج مخصوص فكذلك
كل علم فله اصلان مخصوصان وبينهما طريق في الازدواج يحصل من ازدواجهما العلم المستفاد
المطلوب فالجهل بتلك الاصول وبكيفية الازدواج هو المانع من العلم ومثاله ما ذكرناه من الجهل
بالجهة التي الصورة فيها بل مثاله ان يريد الانسان ان يرى قفاه في المراة فانه ان رفع المراة
بازا وجهه لم يكن قد حاذى شطر القفا فلا يظهر فيه القفا وان رفعها وراء القفا وبازائه كان
قد عدل بالمراة عن عينه فلا يرى المراة في المراة الاخرى التي في مقابلة العين ثم يدرك العين
صورة القفا فكذلك في اقتناص العلوم طرق عجيبة فيها ازورارات وتحريفات اعجب
مما ذكرناه في المراة ويعز على بسيط الارض من يهتدي الى كيفية الحيلة في تلك الازورارات فهذه
هي الاسباب المانعة للقلوب من معرفة حقايق الامور والا فكل قلب هو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق
لانه امر رباني شريف فارق ساير جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله
تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الانسان
اشارة الى ان له خاصية تميز بها عن السموات والارض والجبال بها صار مطيقا لحمل امانة الله
تعالى وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل ادمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في
الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها والوصول الى تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه وقوله عليه
السلام لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى ملكوت السما اشارة الى بعض الاسباب
التي هي الحجاب بين القلب والملكوت واليه الاشارة بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قيل يا
رسول الله اين الله في الارض قال في قلوب عباده المومنين وفي الخبر قال الله تعالى لم يسعني
ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المومن اللين الوادع وفي الخبر انه قيل من خير الناس قال كل

مومن مخموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غل ولا حسد ولذلك قال عمر رضي
الله عنه راى قلبي ربي اذ كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى
صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنة عرض بعضها السموات والارض اما
جملتها فاكثر سعة من السموات والارض لان السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو
ان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهي الاسرار
الغايبة عن مشاهدة الابصار المخصوصة بادراك البصاير فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب منه
مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله تعالى لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت
اذا اخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية لان الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات
اذ ليس في الوجود شي سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب
هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق وتكون سعة ملكه في الجنة
بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله وانما مراد الطاعات
واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاها والمراد من تزكيته حصول
انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام وبقوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه نعم هذا التجلي وهذا
الايمان له ثلث مراتب المرتبة الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد المحض والثاني ايمان المتكلمين
وهو ممزوج بنوع استدلال والثالث ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور
اليقين وتتبين لك هذه المراتب بمثال وهو ان تصدق بكون زيد مثلا في الدار له ثلث درجات الاولى
ان يخبرك به من جربته بالصدق ولم تعرفه بالكذب ولا اتهمته في القول فان قلبك يسكن اليه
ويطمين اليه بمجرد السماع وهذا هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن
التمييز سمعوا من ابايهم وامهاتهم وجود الله تعالى وعلمه وارادته وقدرته وساير صفاته وبعثة
الرسول صلى الله عليه وسلم وصدقه وما جاء به وكما سمعوه قبلوه وثبتوا عليه واطمانوا اليه ولم
يخطر ببالهم خلاف ما قالوه لحسن ظنهم بابايهم وامهاتهم ومعلميهم وهذا الايمان سبب النجاة في
الاخرة واهله من اوايل مراتب اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس فيه كشف وبصيرة
وانشراح صدر بنور اليقين اذ الخطا ممكن فيما يسمع من الاحاد بل من الاعداد فيما يتعلق
بالاعتقاد وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمينة بما سمعوا من ابايهم الا انهم اعتقدوا
ما اعتقدوه خطا لانه القي اليهم الخطا والمسلمون اعتقدوا الحق لا لاطلاعهم عليه ولكن القي اليهم كلمة الحق
الرتبة الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به على كونه

في الدار فيكون ايمانك وتصديقك ويقينك بكونه في الدار اقوى من تصديقك بمجرد السماع فانك
اذا قيل لك انه في الدار ثم سمعت صوته ازددت به يقينا لان الصوت يدل على الشكل والصورة
عند من سمع الصوت حال مشاهدة الصورة فقلبه يحكم بان هذا صوت ذلك الشخص فهذا
ايمان ممزوج بدليل والخطا ايضا ممكن ان يتطرق اليه اذ الصوت قد يشبه الصوت وقد يمكن التكلف
بطريق المحاكاة الا ان ذلك قد لا يخطر ببال السامع لانه ليس يجعل للتهمة موضعا ولا يقدر في هذا
التلبيس والمحاكاة غرضا الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا
هو المعرفة الحقيقية والمشاهدة اليقينية وهو يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم
يؤمنون عن مشاهدة فينطوي في ايمانهم ايمان العوام والمتكلمين ويتميزون بمزية بينة يستحيل
معها امكان الخطا نعم وهم ايضا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات الكشف اما الدرجات
فمثاله ان يبصر زيدا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت اشراق الشمس فيكمل له ادراكه وانما
الاخر يدركه في بيت او من بعد او في وقت عشية فيتمثل له من صورته ما يستيقن معه انه هو
ولكن لا يتمثل في نفسه الدقائق والخفايا من صورته ومثل هذا متصور في تفاوت
المشاهدة للامور الالهية واما مقادير العلوم فهو بان يرى في الدار زيدا وعمرا وبكرا وغير
ذلك واخر لا يرى الا زيدا فمعرفة ذلك تزيد بكثرة المعلومات لا محالة فهذه حالة القلب بالاضافة
الى العلوم ∴ **بيان حال القلب بالاضافة** الى اقسام العلوم العقلية والدنيوية والاخروية اعلم
ان القلب بغريزته مستعد لقبول حقائق المعلومات كما سبق ولكن العلوم التي تحل فيه تنقسم الى
عقلية وشرعية والعقلية تنقسم الى ضرورية ومكتسبة والمكتسبة تنقسم الى دنيوية واخروية
اما العقلية فنعني بها ما تقتضي غريزة العقل ولا يؤخذ في التقليد والسماع وهي تنقسم الى ضرورية
لا يدرى من اين حصلت وكيف حصلت كعلم الانسان بان الشخص الواحد لا يكون حادثا قديما موجودا
معدوما معا فان هذه علوم يجد الانسان نفسه منذ الصبى مفطورا عليه ولا يدري متى حصل له
ولا من اين حصل له اعني انه لا يدري فيه سببا قريبا والا فليس يخفى ان الله تعالى هو الذي خلقه والى
مكتسبة وهي المستفادة بالتعلم والاستدلال وكلا القسمين قد يسمى عقلا قال علي رضي الله عنه
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين
ممنوع والاول هو المراد بقول علي رضي الله عنه اذا تقرب الناس الى الله تعالى بانواع البر فتقرب
انت بعقلك اذ لا يمكن التقرب بالغريزة الفطرية ولا بالعلوم الضرورية بل بالمكتسبة ولكن
مثل علي هو الذي يقدر على التقرب باستعمال العقل في اقتناص العلوم التي بها ينال
القرب من رب العالمين والقلب جار مجرى العقل وغريزة العقل جارية مجرى قوة البصر في العين

وقوة الابصار لطيفة تفقد بالعمى وتوجد في البصر وان كان قد غمض العين او جن عليه الليل
والعلم الحاصل فيه جار مجرى ادراك البصر ورؤيته الاعيان للاشيا وتاخر العلوم عن عين العقل
مدة الصبى الى اوان التمييز او البلوغ يضاهي تاخر الرؤية عن البصر الى اوان اشراق الشمس وفيضان
نورها على المبصرات والقلم الذي به يسطر الله تعالى العلوم على صفحات القلوب يجري مجرى قرص الشمس
وانما لم يحصل العلم في قلب الصبى قبل التمييز لان لوح قلبه لم يتهيا بعد لقبول نقش القلم والقلم
عبارة عن خلق من خلائق الله تعالى جعله سببا لحصول نقش العلوم في قلوب البشر
قال تعالى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم وقلم الله تعالى لا يشبه قلم خلقه خشب كما انه ليست ذاته
من جوهر ولا عرض فالموازنة بين البصيرة الباطنة والبصيرة الظاهرة صحيحة من هذه الوجوه
الا انه لا مناسبة بينهما في الشرف فان البصيرة الباطنة هي عين النفس التي هي اللطيفة المذكورة
وهي كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس اضر على الفارس من عمى الفرس بل لا نسبة لاحد الضررين
الى الاخر ولموازنة البصيرة الباطنة للبصيرة الظاهرة سماه الله تعالى باسمه فقال جل وعز ما كذب
الفؤاد ما راى سمى ادراك الفؤاد رؤية وكذلك قال تعالى وكذلك نري ابراهيم ملكوت
السموات والارض وما اراد الله تعالى به الرؤية الظاهرة فان ذلك غير مخصوص بابرهيم عليه السلام
حتى يذكر في معرض الامتنان ولذلك سمى تعالى ضد ادراكه عمى فقال فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى
القلوب التي في الصدور وقال سبحانه ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا فهذا بيان
العقل **اما** العلوم الدينية وهي الماخوذة بطريق التقليد من الانبيا صلوات الله عليهم وذلك
يحصل بالتعلم لكتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام وفهم معانيها بعد السماع وبه كمال صفة
القلب وبه سلامته عن الادوا والامراض فالعلوم العقلية غير كافية في سلامة القلب وان
كان محتاجا اليها كما ان العقل غير كاف في استدامة اسباب صحة البدن بل يحتاج الى معرفة خواص
الادوية والعقاقير بطريق التعلم من الاطبا اذ مجرد العقل لا يهتدي اليه ولكن لا يمكن فهمه بعد
سماعه الا بالعقل فالداعي الى محض التقليد مع عدم العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل
عن انوار القران والسنة مغرور فاياك ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين
فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذا
متى فاته الدوا فكذلك امراض القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة وهي
وظائف العبادات والاعمال التي ركبها الانبيا عليهم السلام لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه
المريض بمعالجات العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض
بالغذا وظن من يظن ان العلوم العقلية تناقض للعلوم الشرعية وان الجمع بينهما غير ممكن

هو ظن صادر عن عمى في عين البصيرة نعوذ بالله منه بل هذا القايل ربما تناقض عنده بعض العلوم
الشرعية لبعض فيعجز عن الجمع بينهما فيظن انه تناقض في الدين فيتحير به وينسل من الدين
انسلال الشعر من العجين وانما ذلك لان عجزه في نفسه خيل اليه نقصا في الدين وهيهات
وانما مثاله مثال الاعمى الذي دخل دارا فعثر في اواني الدار فقال ما بال هذه الاواني تركت
على الطريق الا ترد الى مواضعها فقيل له تلك الاواني في مواضعها وانما انت لست تهتدي الى الطريق لعماك
فالعجب منك انك لا تحيل عثرتك على عماك وانما تحيله على تقصير غيرك فهذه نسبة العلوم
الدينية الى العقلية والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب والحساب
والهندسة والنجوم وساير الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال القلب وافات الاعمال والعلم
بالله تعالى وصفاته وافعاله كما فصلناه في كتاب العلم وهما علمان متنافيان اعني ان
من صرف عنايته الى احدهما حتى تعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخر على الاكثر ولذلك ضرب علي رضي الله
عنه للدنيا والاخرة ثلثة امثلة فقال هما ككفتي الميزان وكالمشرق والمغرب وكالضرتين اذا ارضيت احداهما اسخطت
الاخرى ولذلك ترى الاكياس في امور الدنيا وفي علم الطب والهندسة والحساب والفلسفة جهالا في امور
الاخرة والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا في الاكثر بعلوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين
جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا من الكمال في الثاني ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان
اكثر اهل الجنة البله في امور الدنيا وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو
راوكم لقالوا شياطين فمهما سمعت امرا غريبا من امور الدين جحده اهل الكياسة في ساير العلوم
فلا يغرنك عن قبولها اذ من المحال ان يظفر سالك طريق المشرق بما يوجد في المغرب وكذلك يجري
امر الدنيا والاخرة ولذلك قال تعالى ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها الاية
وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقال
عز وجل فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم فالجمع بين كمال
الاستبصار في مصالح الدنيا والدين لا يكاد يتيسر الا لمن رشحه الله تعالى لتدبير عباده في معاشهم
ومعادهم وهم الانبياء المويدون بروح القدس المستمدون من القوة الالهية التي تتسع لجميع الامور
ولا تضيق عنها اما قلوب ساير الخلق فانها اذا استقلت بامر الدنيا انصرفت عن الاخرة وقصرت عن
الاستكمال فيها **بيان الفرق بين** الالهام والتعلم والفرق بين طريق الصوفية في استكشاف
الحق وطريق النظار **اعلم** ان العلوم التي ليست ضرورية وانما تحصل في القلب في بعض الاحوال
تختلف الحال في حصولها فتارة تهجم على القلب كانه القي فيه من حيث لا يدري وتارة تكتسب
طريق الاستدلال والتعلم فالذي يحصل لا بطريق الاكتساب وحيلة الدليل يسمى الهاما
والذي يحصل

جحودهم

للدنيا والا

11

والذي يحصل بالاستدلال يسمى اعتبارا واستبصارا ثم الواقع في القلب بغير حيلة وتعلم
واختيار من العبد ينقسم الى ما لا يدري العبد انه كيف حصل ومن اين حصل والى ما يطلع معه على
السبب الذي منه استفيد ذلك العلم وهو مشاهدة الملك الملقي في القلب فالاول يسمى الهاما
ونفثا في الروع والثاني يسمى وحيا وتختص به الانبيا عليهم السلام والاول تختص به الاوليا
والاصفيا والذي قبله هو المكتسب بطريق الاستدلال تختص به العلما وحقيقة القول فيه
ان القلب مستعد لان تنجلي فيه حقيقة الحق في الاشيا كلها وانما حيل بينه وبينها بالاسباب
الخمسة التي سبق ذكرها فهي كالحجاب المسدل الحايل بين مراة القلب وبين اللوح المحفوظ الذي
هو منقوش بجميع ما قضى الله تعالى الى القيامة وتجلي حقايق العلوم من مراة اللوح في مراة القلب
يضاهي انطباع صورة من مراة في مراة تقابلها والحجاب بين المراتين تارة يزال باليد واخرى
يزول بهبوب الريح تحركه وكذلك قد تهب رياح الالطاف فتنكشف الحجب عن
اعين القلوب فينجلي فيها بعض ما هو مسطور في اللوح المحفوظ ويكون ذلك تارة عند المنام فيظهر به
ما سيكون في المستقبل وتمام ارتفاع الحجاب بالموت وبه ينكشف الغطا وفي اليقظة ايضا حتى
ينقشع الحجاب بلطف خفي من الله تعالى فيلمع في القلوب من ورا ستر الغيب شي من غرايب
العلم تارة كالبرق الخاطف واخرى على التوالي الى حد ما ودوامه في غاية الندور فلم يفارق الالهام
الاكتساب في نفس العلم ولا في محله ولا في سببه ولكن يفارقه من جهة زوال الحجاب وان
ذلك ليس باختيار العبد ولم يفارق الوحي الالهام في شي من ذلك بل في مشاهدة الملك المفيد للعلم
فان العلوم انما تحصل في قلوبنا بواسطة الملايكة واليه الاشارة بقوله وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من ورا حجاب او يرسل رسولا فاذا عرفت هذا فاعلم ان ميل اهل التصوف الى العلوم الالهامية
دون التعليمية فلذلك لم يحرصوا على دراسة العلم وتحصيل ما صنفه المصنفون والبحث عن
الاقاويل والادلة المذكورة بل قالوا الطريق تقديم المجاهدة ومحو الصفات المذمومة وقطع العلايق
كلها والاقبال بكنه الهمة على الله تعالى ومهما حصل ذلك كان الله تعالى هو المتولي لقلب عبده والمتكفل
بتنويره بانوار العلوم واذا تولى الله تعالى امر القلب فاضت الرحمة واشرق النور في القلب وانشرح
الصدر وانكشف له سر الملكوت وانقشع عن وجه القلب حجاب الغرة بلطف
الرحمة وتلالات فيه حقايق الامور الالهية فليس على المريد الا الاستعداد بالتصفية المجردة
واظهار احضار الهمة مع الارادة الصادقة والتعطش التام والترصد بدوام الانتظار لما يفتحه
الله تعالى من الرحمة اذ الانبيا والاوليا انكشفت لهم الامور وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم
والدراسة للكتب بل بالزهد في الدنيا والتبري عن علايقها وتفريغ القلب من شواغلها والاقبال

يكنه الهمه على الله تعالى ممن كان لله كان الله له وزعموا ان الطريق في ذلك اولا ان يقطع علايق الدنيا
بالكليه ويفرغ قلبه عنها ويقطع همه عن الاهل والمال والولد والوطن وعن العلم والولايه والجاه
بل يصير قلبه الى حاله يستوى فيها وجود كل ذلك وعدمها ثم يخلو بنفسه في زاويه مع الاقتصار
على الفرايض والرواتب ويجلس فارغ الهم مجموع القلب ولا يفرق فكره بقراه قران ولا بالتامل في
تفسير ولا يكتب حديث ولا غيره بل يجتهد ان لا يخطر بباله شي سوى ذكر الله تعالى فلا يزال بعد
جلوسه في الخلوه قايلا بلسانه الله الله على الدوام مع حضور القلب الى ان ينتهي الى حاله يترك
تحريك اللسان ويرى كان الكلمه جاريه على اللسان ثم يصبر عليه الى ان يمحى اثره على اللسان
ويصادف قلبه مواظبا على الذكر ثم يواظب الى ان يمحى عن القلب صوره اللفظ وحروفه وهياه الكلمه
ويبقى معنى الكلمه مجردا في قلبه حاضرا فيه كانه لازم له لا يفارقه وله اختيار الى ان ينتهي الى
هذا الحد واختيار في استدامه هذه الحاله بدفع الوسواس وليس له اختيار في استجلاب
رحمه الله بل هو بما فعله قد تعرض لنفحات الرحمه فلا يبقى الا الانتظار لما يفتح الله تعالى من رحمه
فتحها على الانبيا والاوليا بهذا الطريق وعند ذلك اذا صدقت ارادته وصفت همته وحسنت
مواظبته ولم تجاذبه شهواته ولم يشغله حديث النفس بعلايق الدنيا تلمع لوامع الحق في
قلبه ويكون في ابتدايه كالبرق الخاطف لا يثبت ثم يعود وقد يتاخر وان عاد فقد
يثبت وقد يكون مختطفا وان ثبت فقد يطول ثباته وقد لا يطول وقد يتظاهر
امثاله على التلاحق وقد يقتصر على فن واحد ومنازل اوليا الله تعالى فيه لا تحصى كما لا يحصى تفاوت
خلقهم واخلاقهم وقد رجع هذا الطريق الى تطهير محض من جانبك وتصفيه وجلا ثم استعداد
وانتظار فقط واما النظار وذووا الاعتبار فلم ينكروا وجود هذا الطريق وامكانه وافضاه
الى المقصد على الندور فانه اكثر احوال الاوليا والانبيا عليهم السلام ولكن استوعروا هذا الطريق
واستبطوا ثمرته واستبعدوا اجتماع شروطه وزعموا ان محو العلايق الى ذلك الحد كالمتعذر
وان حصل في حاله فثباته ابعد منه اذ ادنى وسواس وخاطر يشوش القلب وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن اشد تقلبا من القدر في غليانه وقال عليه السلام قلب المومن
بين اصبعين من اصابع الرحمن وفي اثنا هذه المجاهده قد يفسد المزاج ويختلط العقل ويمرض
البدن واذا لم تتقدم رياضه النفس وتهذيبها بحقايق العلوم تشبثت بالقلب خيالات فاسده
تطمين النفس اليها مده طويله الى ان تزول والعمر ينقضي دون النجاح فيه فكم من صوفي سلك
هذا الطريق ثم بقي في خيال واحد عشرين سنه ولو قد اتقن العلم من قبل لانفتح له وجه التباس
ذلك الخيال في الحال فالاشتغال بطريق العلم اوثق واقرب الى الغرض وزعموا ان ذلك بمثابة ما لو ترك

الانسان تعلم الفقه وزعم ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتعلم ولكن صار فقيها بالوحي والالهام
من غير تكرار وتعليق فانا ايضا انتهي بالرياضه اليه ومن ظن ذلك فقد ظلم نفسه وضيع عمره بل هو
كمن ترك طريق الكسب والحراثه رجا العثور على كنز من الكنوز فان ذلك ممكن ولكنه
بعيد جدا فكذلك هذا فقالوا لا بد اولا من تحصيل ما حصله العلما وفهم ما قالوه ثم لا باس بعد ذلك
بالانتظار لما لم ينكشف لساير العلما فعساه ينكشف بالمجاهده بعد ذلك بيان الفرق بين المقامين
بمثال محسوس اعلم ان عجايب القلب خارجه عن مدركات الحواس لان القلب ايضا خارج عن ادراك
الحس وما ليس مدركا بالحس تضعف الافهام عن دركه الا بمثال محسوس ونحن نقرب ذلك الى
افهام الضعفا بمثالين احدهما انا لو فرضنا حوضا محفورا في الارض احتمل ان يساق الما اليه من
فوقه بانهار تفتح فيه ويحتمل ان يحفر اسفل الحوض ويرفع منه التراب الى ان يقرب من مستقر الما
الصافي فينفجر الما من اسفل الحوض ويكون ذلك الما اصفى وادوم وقد يكون اكثر واغزر فكذلك
القلب مثل الحوض والعلم مثل الما والحواس الخمس مثل الانهار ويمكن ان تساق العلوم الى القلب
بواسطه انهار الحواس والاعتبار بالمشاهدات حتى يمتلي علما ويمكن ان تسد عنه الانهار بالخلوه
والعزله وغض البصر ويعمد الى عمق القلب بتطهيره ورفع طبقات الحجب عنه حتى ينفجر ينبوع
العلم من داخله فان قلت وكيف ينفجر العلم من ذات القلب وهو خال عنه فاعلم ان هذا
من عجايب اسرار القلب ولا يسمح بذكره في علم المعامله والقدر الذي يمكن ذكره ان حقايق الاشيا
مسطوره في اللوح المحفوظ بل في قلوب الملايكه المقربين وكما ان المهندس يخط صورة ابنيه الدار
في بياض ثم يخرجها الى الوجود على وفق تلك النسخه فكذلك فاطر السموات والارض كتب نسخه العالم
من اوله الى اخره في اللوح المحفوظ ثم اخرجه الى الوجود على وفق تلك النسخه والعالم الذي خرج الى
الوجود بصورته تتادى منه صوره اخرى الى الحواس والخيال فان من نظر الى السما والارض ثم غض
بصره يرى صوره السما والارض في خياله حتى كانه ينظر اليه ولو انعدمت السما والارض وبقي هو
لوجد صوره السما والارض كانه يشاهدها وينظر اليها ثم يتادى من خياله اثر الى القلب فيحصل فيه
حقايق الاشيا التي دخلت في الحس والخيال فالحاصل في القلب موافق للعالم الموجود في نفسه خارجا
من خيال الانسان وقلبه والعالم الموجود موافق للنسخة الموجوده في اللوح المحفوظ فكان للعالم اربع
درجات في الوجود وجود في اللوح وهو سابق على وجوده الجسماني ويتبعه وجوده الحقيقي ويتبع
وجوده الحقيقي وجوده الخيالي اعني وجود صورته في الخيال ويتبع وجوده الخيالي وجوده
العقلي اعني وجود صورته في القلب وبعض هذه الموجودات روحانيه وبعضها جسمانيه والروحانيه
بعضها اشد روحانيه من بعض وهذا اللطف من الحكمه الالهيه اذ جعل حدقتك على صغر حجمها

لطف

بحيث تنطبع فيها صورة العالم والسموات والارض على اتساع اكنافها ثم يسري من وجوده في الحس
وجود في الخيال ثم منه وجود في القلب فانك ابدا لا تدرك الا ما هو واصل اليك فلو لم تجعل للعالم
كله مثالا في ذاتك لما كان لك خبر بما يباين ذاتك فسبحان من دبر هذه العجايب في القلوب والابصار مثال
ثم اعمى عن دركها القلوب والابصار حتى صار قلب اكثر الخلق جاهلا بالقلب وبعجايبه فلنرجع الى المقصود
فنقول القلب يتصور ان تحصل فيه حقيقة العلم وصورته تارة من الحواس وتارة
من اللوح المحفوظ كما ان العين يتصور ان تحصل فيها صورة الشمس ويحكي صورتها مهما ارتفع الحجاب
بينه وبين اللوح المحفوظ راى الاشيا فيه وتفجر الله تعالى العلم منه فاستغنى عن الاقتباس من داخل
الحواس فيكون ذلك كتفجر الما من عمق الارض ومهما اقبل على الخيالات الحاصلة من المحسوسات كان ذلك
حجابا له عن مطالعة اللوح المحفوظ كما ان الما اذا اجتمع من الانهار في الحوض منع ذلك من التفجر من الارض
وكما ان من نظر الى الما الذي يحكي صورة الشمس لا يكون ناظرا الى نفس الشمس فاذا للقلب بابان مفتوح باب
الى عالم الملكوت وهو اللوح المحفوظ وعالم الملايكة وباب مفتوح الى الحواس الخمس المتمسك بعالم الشهاده
والملك وعالم الشهاده والملك ايضا يحاكي عالم الملكوت نوعا من المحاكاة فاما انفتاح
باب القلب الى الاقتباس من الحواس فلا يخفى عليك واما انفتاح بابه الداخل الى عالم الملكوت ومطالعة
اللوح المحفوظ فتعلمه علما يقينا بالتامل في عجايب الرويا واطلاع القلب في النوم على ما سيكون في المستقبل
او كان في الماضي من غير اقتباس من جهة الحواس وانما ينفتح ذلك الباب لمن انفرد بذكر الله تعالى
قال عليه السلام سبق المفردون قيل ومن هم يا رسول الله قال المتنزهون بذكر الله تعالى وضع الذكر
اوزارهم فوردوا القيامة خفافا ثم قال في وصفهم اقبل عليهم بوجهي اترى من واجهته بوجهي يعلم احد
اي شي اريد ان اعطيه ثم قال تعالى اول ما اعطيهم ان اقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون
عني ومدخل هذه الاخبار هو الباب الباطن فاذن الفرق بين علوم الاوليا والانبيا عليهم السلام وبين
علوم الحكما والعلما هذا وهو ان علومهم تاتي من داخل القلب من الباب المنفتح الى عالم الملكوت وعلم
الحكما ياتي من باب الحواس المفتوح الى عالم الملك وعجايب عالم القلب وتردده بين عالم الشهاده والغيب
لا يمكن ان يستقصى في علم المعامله فهذا مثال يعرفك الفرق بين مدخل العالمين والمثال الثاني يعرفك
الفرق بين العملين اعني عمل العلما وعمل الاوليا فان العلما يعملون في اكتساب نفس العلوم واجتلابها
الى القلب واوليا الصوفيه يعملون في جلاء القلب وتطهيره وتصفيته وتصقيله فقط وقد حكي ان
اهل الصين واهل الروم تباهوا بين يدي بعض الملوك بحسن صناعة النقش والصور فاستقر راي
الملك على ان يسلم اليهم صفه لينقش اهل الصين فيها جانبا واهل الروم فيها جانبا ويرخي بينهم حجاب
يمنع من اطلاع كل فريق على الاخر ففعل ذلك وجمع اهل الروم من الاصباغ الغريبه ما لا ينحصر

ودخل اهل الصين من غير صبغ وهم يجلون جانبهم ويصقلونه فلما فرغ اهل الروم ادعى اهل الصين
انهم ايضا قد فرغوا فعجب الملك من قولهم وانهم كيف فرغوا من النقش من غير صبغ فقيل وكيف فرغتم
من غير صبغ فقالوا ما عليكم ارفعوا الحجاب فرفعوا فاذا جانبهم يتلالا فيه عجايب الصنايع
الروميه مع زيادة اشراق وبريق اذ كان قد صار كالمراة المجلية لكثرة التصقيل فازداد حسن
جانبهم بمزيد الصفا فكذلك عناية الاوليا بتطهير القلب وجلايه وتزكيته وصفايه حتى يتلالا
فيه جلية الحق بنهاية الاشراق كفعل اهل الصين وعناية العلما والحكما باكتساب نقش العلوم
وتحصيل نقشها في القلب وكيفما كان الامر فقلب المومن لا يموت وعلمه عند الموت لا يمحى وصفاوه لا
يتكدر واليه اشار الحسن بقوله التراب لا ياكل محل الايمان ويكون وسيلته المقربة له الى
الله تعالى واما ما حصله من نفس العلم وما حصله من الصفا والاستعداد لقبول نقش العلم ولا
سعادة لاحد الا بالعلم والمعرفه وبعض السعاده اشرف من بعض كما انه لا غنى الا بالمال وصاحب
الدرهم غني وصاحب الخزاين المترعة غني وتتفاوت درجات السعدا بحسب تفاوت المعرفه والايمان
كما تتفاوت درجات الاغنيا بحسب قلة المال وكثرته والمعارف انوار ولا يسعى المومنون الى لقا الله
عز وجل الا بانوارهم قال تعالى نورهم يسعى بين ايديهم وبايمانهم وقد ورد في الخبر
ان بعضهم يعطى نورا مثل الجبل وبعضهم يعطى اصغر حتى يكون اخرهم رجلا يعطى نورا على ابهام
قدمه فيضي مرة ويطفى مره فاذا اضا قدم قدمه واذا طفي قام ومرورهم على الصراط على قدر
نورهم فمنهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم كالسحاب ومنهم كانقضاض الكوكب ومنهم من
يمر كشد الفرس والذي اعطي نوره على ابهام قدمه يحبو على وجهه ويديه ورجليه يجر يدا
ويعلق اخرى ويجر رجلا ويعلق اخرى وتصيب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى
يخلص الحديث فبهذا يظهر تفاوت الناس في الايمان ولو وزن ايمان ابي بكر رضي الله عنه بايمان
العالمين لرجح وهذا يضاهي قول القايل لو وزن نور الشمس بنور السرج كلها لرجح فايمان احاد
العوام نوره مثل نور السراج وبعضهم كنور الشمع وايمان الصديقين نورهم كنور القمر والنجوم
وايمان الانبيا عليهم السلام كنور الشمس وكما ينكشف في نور الشمس صورة الافاق مع اتساع
اقطاره ولا ينكشف في نور السراج الا زاويه ضيقه من البيت فكذلك تفاوت انشراح الصدر
بالمعارف وانكشاف سعة الملكوت لقلوب العارفين ولذلك جا في الخبر انه يقال يوم القيمه اخرجوا
من النار من في قلبه مثقال من الايمان ونصف مثقال وربع مثقال لا يستحق الخلود في النار فيه تنبيه على
تفاوت درجات الايمان وان هذه المقادير من الايمان لا تمنع دخول النار وفي مفهومه ان من ايمانه
يزيد على مثقال فانه لا يدخل النار اذ لو دخل لامر باخراجه اولا وان من في قلبه مثقال ذرة لا يستحق

الخلود في النار وان دخلها وكذلك قوله عليه السلام ليس شيء خير من الف مثله الا الانسان اشارة
الى تفضيل قلب العارف الموفق وانه خير من قلب الف من عوام الناس وقد قال تعالى وانتم
الاعلون ان كنتم مومنين بتفضيل المومن على المسلم والمراد به المومن العارف دون المقلد وقال تعالى يرفع
الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات فاراد بالذين امنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم
عن الذين اوتوا العلم ويدل على ذلك ان اسم المومن يقع على المقلد وان لم يكن تصديقه عن بصيرة
وكشف وفسر ابن عباس قوله تعالى الذين اوتوا العلم درجات قال يرفع العالم فوق المومنين بسبعمائة
درجة بين كل درجتين كما بين السماء والارض وقال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله وعليون
لذوي الالباب وروي ان فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي وفي رواية كفضل القمر على
ساير الكواكب فبهذه الشواهد تصح تفاوت درجات اهل الجنان بحسب تفاوت قلوبهم ومعارفهم
ولهذا كان يوم القيمة يوم التغابن اذ المحروم من رحمة الله تعالى عظيم الغبن والخسران والمحروم يرى
عشرة دراهم الى الغني الذي يملك الارض من المشرق الى المغرب وكل واحد منهما غني ولكن ما اعظم الفرق
بينهما وما اعظم الغبن على من يخسر حظه منه وللاخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا

بيان شواهد الشرع على صحة طريق اهل التصوف

في اكتساب المعرفة لا من التعلم ولا من الطريق المعتاد اعلم
ان من انكشف له ولو الشيء اليسير بطريق الالهام والوقوع في القلب من حيث لا يدري فقد صار عارفا بصحة
الطريق ومن لم يدرك ذلك من نفسه قط فينبغي ان يومن به فان درجة المعرفة عزيزة جدا وتشهد لذلك
شواهد الشرع والتجارب والحكايات اما الشواهد فقوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا
فكل حكمة تظهر من القلب بالمواظبة على العبادة من غير تعلم فهو بطريق الكشف والالهام وقال
النبي عليه السلام من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم ومن لم يعمل بما يعلم تاه فيما يعلم ولم يوفق فيما يعمل
حتى يستوجب النار وقال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا من الاشكالات والشبه ويرزقه من حيث
لا يحتسب يعلمه علما من غير تعلم ويفطنه بغير تجربة وقال تعالى يا ايها الذين امنوا ان تتقوا الله
يجعل لكم فرقانا قيل نورا يفرق به بين الحق والباطل ويخرج به من الشبهات ولذلك اكثر رسول الله
صلى الله عليه وسلم في دعائه سؤال النور فقال اللهم زدني نورا واجعل في قلبي نورا وفي سمعي نورا حتى
قال عليه السلام في شعري وبشري ولحمي ودمي وسئل عليه السلام عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره
للاسلام فهو على نور من ربه ما هذا الشرح قال هو التوسعة لان النور اذا قذف به في القلب اتسع له
الصدر وانشرح وقال عليه السلام لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال علي رضي الله
عنه ما عندنا شيء اسره النبي صلى الله عليه وسلم الينا الا ان يوتي الله عبدا فهما في كتابه وليس هذا
بالتعلم وقيل في تفسير قوله تعالى يوتي الحكمة من يشاء انه الفهم في كتاب الله عز وجل وقال تعالى ففهمناها

سليمان خص من انكشف له باسم الفهم وكان ابو الدرداء يقول المومن ينظر من وراء ستر رقيق والله انه
للحق يقذفه الله تعالى في قلوبهم ويجريه على السنتهم وقال بعض السلف ظن
المومن كهانة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله تعالى واليه
يشير قوله تعالى ان في ذلك لايات للمتوسمين وقوله عز وجل قد بينا الايات لقوم يوقنون وروى الحسن عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال العلم علمان فعلم باطن في القلب فذلك هو العلم النافع وسئل
بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو فقال سر من سر الله عز وجل يقذفه في قلوب احبابه لم يطلع عليه
ملكا ولا بشرا وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي محدثين ومكلمين وان عمر منهم وقرا ابن عباس وما
ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي ولا محدث يعني الصديقين والمحدث هو الملهم والملهم هو الذي انكشف له
في باطن قلبه من جهة الداخل لا من جهة المحسوسات الخارجة والقران مصرح بان التقوى مفتاح
الهداية والكشف وذلك علم من غير تعليم قال الله تعالى وما خلق الله في السموات والارض لايات لقوم
يتقون خصصها بهم وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين وكان ابو يزيد
وغيره يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظه صار جاهلا انما العالم الذي ياخذ علمه
من ربه جل وعز في اي وقت شاء بلا تحفظ ودرس وهذا هو العالم الرباني واليه مثله الاشارة بقوله
تعالى وعلمناه من لدنا علما مع ان كل علم من لدنه ولكن بعضها بوسايط تعليم الخلق فلا يسمى ذلك
علما لدنيا بل العلم اللدني الذي ينفتح في سر القلب من غير سبب مالوف من خارج فهذه شواهد النقل
ولو جمع كل ما ورد فيه من الايات والاخبار والاثار لخرج عن الحصر واما مشاهدة ذلك
بالتجارب فذلك ايضا خارج عن الحصر اذ ظهر ذلك على الصحابة والتابعين رضي الله عنهم اجمعين
ومن بعدهم قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لعايشة رضي الله عنها انما هما اختاك وكانت زوجته
حاملا فولدت بنتا فكان قد عرف قبل الولادة انها بنت وقال عمر رضي الله عنهم اجمعين في اثناء خطبته
يا سارية الجبل اذ انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره لمعرفته ذلك ثم بلوغ صوته
اليه من جملة الكرامات العظيمة وقال حمزة بن عبد الله العلوي دخلت على ابي
الخير التيناتي فاعتقدت في نفسي ان اسلم عليه ولا اكل في داره طعاما فلما خرجت من عنده فاذا به
يا تي خلفي وقد حمل طبقا عليه طعام فقال يا فتى كل هذا فقد خرجت الساعة من اعتقادك
وكان ابو الخير مشهورا بالكرامات وقال ابرهيم الرقي قصدته مسلما فصلى صلوة المغرب ولم
يقرا فاتحة الكتاب مستويا فقلت في نفسي ضيعت سفرتي فلما سلمت خرجت للطهارة فقصدني
السبع فعدت اليه وقلت ان الاسد قصدني فخرج وصاح على الاسد وقال الم اقل لك لا تتعرض
لضيفاني فتنحى وتطهرت فلما رجعت قال اشتغلتم بتقويم الظواهر فخفتم الاسد واشتغلنا

بتقويم القلب يخافنا الاسد وما حكى من تفرس المشايخ واخبارهم عن اعتقادات الناس وضمايرهم
تخرج عن الحصر بل ما حكى عنهم من مشاهده الخضر والسوال منه ومن سماع صوت الهاتف ومن
فنون الكرامات خارج عن الحصر والحكايه لا تنفع الجاحد ما لم يشاهد ذلك من نفسه ومن انكر الاصل
انكر التفصيل والدليل القاطع الذي لا يقدر احد على جحده امران احدهما عجايب الرويا الصادقه
فانه ينكشف به الغيب واذا جاز ذلك في النوم فلا يستحيل ايضا في اليقظه الا في ركود الحواس — فلم يفارق النوم اليقظة
وعدم اشتغالها بالمحسوسات وكم من مستيقظ غامض لا يسمع ولا يبصر
لاشتغاله بنفسه والثاني اخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيب وامور في المستقبل كما
اشتمل عليه القران واذا جاز ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم جاز لغيره اذ النبي عباره عن شخص
كوشف بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق فلا يستحيل ان يكون في الوجود شخص
يكاشف بالحقايق ولا يشتغل باصلاح الخلق وهذا لا يسمى نبيا بل يسمى وليا فمن امن بالانبيا
عليهم السلام وصدق بالرويا الصحيحه لزمه لا محاله ان يقر بان للقلب بابين بابا الى خارج
وهو باب الحواس وبابا الى الملكوت من داخل القلب وهو باب الالهام والنفث في الروع واذا
اقر بهما جميعا لم يمكنه ان يحصر العلوم في التعلم ومباشرة الاسباب المالوفه بل يجوز ان تكون
المجاهده سبيلا اليه فهذا ما ينبه على حقيقه ما ذكرناه من عجيب تردد القلب بين عالم
الشهاده وعالم الملكوت واما السبب في انكشاف الامور في المنام بالمثال المحوج الى التعبير
وكذلك تمثل الملايكه بصور مختلفه للانبيا والاوليا فكذلك ايضا من اسرار عجايب القلب
ولا يليق ذلك الا بعلم المكاشفه فلنقتصر على ما ذكرناه فانه كاف للاستحثاث على المجاهده
وطلب الكشف منها وقد قال بعض المكاشفين ظهر لي الملك فسالني ان املي عليه
شيا من ذكري الخفي من مشاهدتي من التوحيد وقال ما نكتب لك عملا ونحن نحب ان نصعد لك
بعمل تتقرب به الى الله عز وجل فقلت الستما تكتبان الفرايض قالا بلى قلت فيكفيكما ذلك
وهذا اشارة الى ان الكرام الكاتبين لا يطلعون على اسرار القلب انما يطلعون على الاعمال الظاهره
وقال بعض العارفين سالت بعض الابدال عن مسله من مشاهده اليقين فالتفت الى
شماله فقال ما تقول رحمك الله ثم التفت الى يمينه فقال ما تقول رحمك الله ثم اطرق فقال ما
تقول رحمك الله ثم اجاب باغرب جواب سمعته فسالته عن التفاته فقال لم يكن عندي في المسله
علم عتيد فسالت صاحب الشمال فقال لا ادري فسالت صاحب اليمين وهو اعلم منه فقال
لا ادري فنظرت الى قلبي فسالته فحدثني بما اجبتك واذا هو اعلم منهما وكان هذا المعنى قوله
صلى الله عليه وسلم ان في امتي محدثين وان عمر منهم وفي الاثر ان الله تعالى يقول ايما عبد

اطلعت على قلبه فرايت الغالب فيه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه
وانيسه وقال ابو سليمن الداراني القلب بمنزله القبه المضروبه حولها ابواب
مغلقه فاي باب فتح له عمل فيه فقد ظهر انفتاح باب من ابواب القلب الى جهه الملكوت والملا
الاعلى وينفتح ذلك الباب بالمجاهده والورع والاعراض عن شهوات الدنيا ولذلك كتب عمر بن الخطاب
رضي الله عنه الى امرا الاجناد احفظوا ما تسمعون من المطيعين فانهم تتجلى لهم امور صادقه
وقال بعض العلما يد الله تعالى على افواه الحكما لا ينطقون الا بما هيا الله لهم من الحق
وقال اخر لو شيت لقلت ان الله يطلع الخاشعين على بعض سره

بيان تسلط الشيطان على القلب بالوسواس ومعنى الوسوسه وسبب غلبتها

اعلم ان القلب كما ذكرناه في مثال
قبه لها ابواب تنصب اليه الاحوال من كل باب ومثاله ايضا مثال هدف تنصب اليه السهام من
الجوانب او هو مثل مراه منصوبه تجتاز عليها اصناف الصور المختلفه فتترايا فيها صوره بعد صوره
ولا تخلو عنها او مثال حوض تنصب اليه مياه مختلفه من انهار مفتوحه اليه وانما مداخل هذه الاثار
المتجدده في القلب في كل حال اما من الظواهر فالحواس الخمس واما من الباطن فالخيال والشهوه والغضب
والاخلاق المركبه من مزاج الانسان فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا
هاجت الشهوه مثلا بسبب كثره الاكل او بقوه في المزاج حصل منها في القلب اثر وان كف عن الاحساس
فالخيالات الحاصله في النفس تبقى وتنتقل الخيال من شي الى شي وبحسب انتقال الخيال ينتقل القلب من
حال الى حال والمقصود ان القلب في التغير والتاثر دايما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصله
في القلب هي الخواطر واعني بالخواطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به ادراكات وعلوما
اما على سبيل التجدد واما على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلا
عنه والخواطر هي المحركات للارادات فان النيه والعزم والاراده انما تكون بعد الخطور بالبال لا
محاله فمبدا الافعال الخواطر ثم الخاطر يحرك الرغبه والرغبه تحرك العزم والاراده انما تكون بعد — والعزم يحرك النيه
الخطور بالبال لا محاله والنيه تحرك الاعضا والخواطر المحركه للرغبه تنقسم الى ما يدعو الى الشر اعني
الى ما يضر في العاقبه والى ما يدعو الى الخير اعني الى ما ينفع في الدار الاخره فهما خاطران مختلفان فافتقرا
الى اسمين مختلفين فالخاطر المحمود يسمى الهاما والخاطر المذموم اعني الداعي الى الشر يسمى وسواسا ثم
انك تعلم ان هذه الخواطر حادثه وكل حادث لا بد له من سبب ومهما اختلفت الحوادث دل على اختلاف
الاسباب هذا ما عرف من سنه الله تعالى في ترتيب المسببات على الاسباب فمهما استنارت حيطان
البيت بنور النار واظلم سقفه واسود بالدخان علمت ان سبب السواد غير سبب الاستناره وكذلك
لانوار القلب وظلماته سببان مختلفان فسبب الخاطر الداعي الى الشر يسمى شيطانا واللطف الذي به

الخاطر الداعي الى الخير يسمى ملكا

يتهيا القلب لقبول الهام الملك يسمى توفيقا والذى به يتهيا لقبول وسواس الشيطان يسمى اغواء وخذلانا
فان المعانى المختلفة تفتقر الى اسباب مختلفة والملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه افاضة
الخير وافادة العلم وكشف الحق والوعد بالمعروف وقد خلقه الله تعالى وسخره لذلك والشيطان
عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشا والتخويف عند الهم بالخير بالفقر
فالوسوسة فى مقابلة الالهام والشيطان فى مقابلة الملك والتوفيق فى مقابلة الخذلان واليه الاشارة
بقوله تعالى ومن كل شى خلقنا زوجين فان الموجودات كلها متقابلة مزدوجة الا الله تعالى فانه
لا مقابل له بل هو الله الواحد الحق الخالق للازواج كلها والقلب متجاذب بين الشيطان والملك فقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى القلب لمتان لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق
بالحق ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهى عن الخير وقال الحسن انما هما همان يجولان
فى القلب هم من الله تعالى وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه
جاهده ولتجاذب القلب بين هذين المسلطين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قلب المومن بين اصبعين
من اصابع الرحمن والله سبحانه يتعالى عن ان يكون له اصبع مركب من لحم وعظم وعصب منقسم بالانامل
ولكن روح الاصبع سرعة التقليب والقدرة على التحريك والتغيير فانك لا تريد اصبعك لشخصه
بل لفعله فى التقليب والترديد وكما انك تتعاطى الافعال باصابعك فالله تعالى انما يفعل ما يفعله
باستسخار الملك والشيطان وهما مسخران بقدرته فى تقليب القلوب كما ان اصابعك مسخرة لك فى
تقليب الاجسام مثلا والقلب باصل الفطرة صالح لقبول آثار الملائكة ولقبول آثار الشياطين صلاحا
متساويا ليس يترجح احدهما على الاخر وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوى والاكباب على
الشهوات والاعراض عنها ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضى الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان
بواسطة الهوى وصار الشيطان عين القلب ومعدنه لان الهوى هو مرعى الشيطان ومرتعه وان
جاهد الشهوات ولم يسلطها على نفسه وتشبه باخلاق الملائكة صار قلبه مستقر الملائكة ومهبطهم
ولما كان لا يخلو القلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير ذلك من صفات البشرية
المنشعبة عن الهوى لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا
ان الله تعالى اعاننى عليه فاسلم فلا يامر الا بخير وانما كان هذا لان الشيطان لا يتصرف الا بواسطة
الشهوة فمن اعانه الله تعالى على شهوته حتى صار لا ينبسط الا حيث ينبغى والى الحد الذى ينبغى فشهوته
لا تدعو الى الشر فالشيطان المتدرع بها لا يامر الا بالخير ومهما غلب على القلب ذكر الدنيا بمقتضيات
الهوى وجد الشيطان مجالا فوسوس ومهما انصرف القلب الى ذكر الله عز وجل ارتحل الشيطان

عش الشيطان

وضاق مجاله واقبل الملك والهم والتطارد بين جندى الملائكة والشياطين فى معركة القلب دائم الى ان
ينفتح القلب الى احدهما فيستمكن ويستوطن ويكون اجتياز الثانى اختلاسا واكثر القلوب قد
فتحتها جنود الشياطين وملكوها فامتلات بالوساوس الداعية الى ايثار العاجلة واطراح الاخرة
ومبدا استيلائها اتباع الهوى ولا يمكن فتحها والشهوات وعمارته بذكر الله الذى هو مطرح اثر الملائكة
قال جرير بن عبيدة العدوى شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد فى صدرى من الوسوسة
فقال انما مثل ذلك مثل البيت الذى تمر به اللصوص فان كان فيه شى عالجوه والا مضوا وتركوه يعنى ان
القلب الخالى عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذلك قال تعالى ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكل من
اتبع الهوى فهو عبد الهوى لا عبد الله فلذلك سلط عليه الشيطان وقد قال تعالى افرايت من اتخذ الهه
هواه اشارة الى ان الهوى الهه ومعبوده فهو عبد الشيطان لا عبد الله تعالى وقال عثمن بن العاص
يا رسول الله حال الشيطان بينى وبين صلاتى وقراءتى فقال عليه السلام ذلك شيطان يقال له خنزب
اذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلثا قال ففعلت ذلك فاذهبه الله تعالى عنى
وفى الخبر ان للوضوء شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه ولا يمحو وسوسة الشيطان عن
القلب الا ذكر شى ما سوى ما يوسوس به لانه اذا خطر فى القلب ذكر شى انعدم عنه ما كان فيه من قبل
ولكن كل شى سوى الله تعالى وسوى ما يتعلق به فيجوز ان يكون ايضا مجالا للشيطان فذكر الله تعالى هو
الذى يومن جانبه ويعلم انه ليس للشيطان فيه مجال ولا يعالج الشى الا بضده وضد جميع وساوس
الشيطان ذكر الله تعالى بالاستعاذة والتبرى عن الحول والقوة وهو معنى قولك اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم ولا حول ولا قوة الا بالله وذلك لا يقدر عليه الا المتقون الذين الغالب عليهم ذكر الله تعالى وانما الشيطان
يطوف بهم فى اوقات الفلتات على سبيل الخلسة قال الله تعالى ان الذين
اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون وقال مجاهد فى معنى قوله تعالى من شر
الوسواس الخناس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله تعالى خنس وانقبض واذا غفل
انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله تعالى ووسوسة الشيطان كالتطارد بين النور والظلام
وبين الليل والنهار ولتضادهما قال الله تعالى استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله وقال انس
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فان ذكر الله خنس وان نسى
الله التقم قلبه وقال ابن وضاح فى حديث ذكره اذا بلغ الرجل اربعين سنة ولم يتب مسح الشيطان
بيده وجهه بابى وجه لا يفلح وكما ان الشهوات ممتزجة بلحم الادمى ودمه فسلطنة الشيطان ايضا
سارية فى لحمه ودمه ومحيطة بالقلب من جوانبه ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ليجرى من
ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات

بعد ذلك الا بتخلية القلب عن قوت الشيطان عن الهوى وهو

ولاجل اكتناف الشهوات للقلب من جوانبه قال تعالى حكاية عن ابليس لاقعدن لهم صراطك المستقيم
ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال اتسلم وتذر دينك ودين ابائك
فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك فعصاه فهاجر فقعد له بطريق
الجهاد فقال اتجاهد وهو جهد النفس والمال فتقاتل فتقتل فتنكح نساؤك ويقسم مالك
فعصاه فجاهد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن فعل ذلك فمات كان حقا على الله ان يدخله الجنة فقد
ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم معنى الوسوسة وهي هذه الخواطر التي تخطر للمجاهد انه يقتل وتنكح
نساؤه وغير ذلك مما يصرفه عن الجهاد وهذه الخواطر معلومة فاذن الوسواس معلوم بالمشاهدة
وكل خاطر فله سبب ويفتقر الى اسم يعرف به فاسم سببه الشيطان ولا يتصور ان ينفك عنه ادمي وانما
يختلفون بعصيانه ومتابعته ولذلك قال عليه السلام ما من احد الا وله شيطان فقد
اتضح بهذا النوع من الاستبصار معنى الوسوسة والالهام والملك والشيطان والتوفيق والخذلان فبعد
هذا نظر من ينظر في ذات الشيطان وانه جسم لطيف او ليس بجسم وان كان جسما فكيف يدخل بدن الانسان
ما هو جسم فهذا الان غير محتاج في علم المعاملة بل مثال الباحث عن هذه كمثال من دخل في ثوبه حية
وهو محتاج الى دفع ضررها فاشتغل بالبحث عن لونها وطولها وعرضها وذلك عين الجهل فمصادفة
الخواطر الباعثة على الشرور قد علمت وعلم ان ذلك عن سبب لا محالة وعلم ان الداعي الى الشر المحذور في المستقبل
عدو وقد عرف العدو فينبغي ان يشتغل بمجاهدته وقد عرف الله سبحانه عداوته في مواضع كثيرة من
كتابه ليؤمن به ويحترز عنه فقال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية وقال تعالى الم اعهد
اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا
بالسؤال عن اصله ونسبه ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى
والشهوات وذلك كاف للعاملين فاما معرفة صفات ذاته وحقيقة الملايكة فذلك ميدان العارفين
المتغلغلين في علوم المكاشفات ولا يحتاج في المعاملة الى معرفته نعم ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى ما
يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا يشك في كونه
الهاما والى ما يتردد فيه فلا يدرى انه من لمة الملك او لمة الشيطان فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في
معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم
الى الشر الصريح فيصور الشر بصورة الخير كما يقول للعالم بطريق الوعظ اما تنظر الى الخلق وهم موتى من
الجهل هلكى من الغفلة قد اشرفوا على النار اما لك رحمة على عباد الله تنقذهم من المعاطب بنصحك
ووعظك وقد انعم الله تعالى عليك بقلب بصير ولسان ذلق ونصيحة مقبولة فكيف تكفر نعمة الله وتتعرض

لسخطه وتسكت عن اشاعة العلم ودعوة خلق الله تعالى الى الصراط المستقيم فلا يزال يستجره بلطايف
الحيل الى ان يشتغل بوعظ الناس ثم يدعوه الى ان يتزين لهم ويتصنع بتحسين اللفظ واظهار الخير
ويقول ان لم تفعل ذلك سقط وقع كلامك من قلوبهم ولم يهتدوا الى الحق فلا يزال
يقرر ذلك وهو في اثنائه يؤكد فيه شوايب الريا وقبول الخلق ولذة الجاه والتعزز بكثرة العلم والنظر
الى الخلق بعين الاحتقار فيستدرج المسكين بالنصح الى الهلاك فيتكلم وهو يظن ان قصده الخير وانما قصده
الجاه والقبول فيهلك بسببه ويظن انه عند الله تعالى بمكان وهو ممن قال فيهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان الله ليؤيد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم وان الله تعالى يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر ولذلك
روي ان ابليس لعنه الله تمثل لعيسى عليه السلام فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك لان
له تحت الخير ايضا تلبيسات وتلبيسات الشيطان ايضا من هذا الجنس لا تتناهى وبه
يهلك العلماء والعباد والزهاد والفقراء والاغنياء واصناف الخلق ممن يكرهون ظاهر الشر ولا يرضون لانفسهم
الخوض في المعاصي المكشوفة وسنذكر جملة من مكايد الشيطان في كتاب الغرور في اخر هذا الربع ولعلنا ان
امهل الزمان صنفنا فيه كتابا على الخصوص ونسميه تلبيس ابليس فانه قد انتشر الان تلبيسه
في البلاد والعباد في المذاهب والاعمال حتى لم يبق من الخيرات الا رسمها كل ذلك اذعانا لتلبيسات
الشيطان ومكايده فحق العبد ان يقف عند كل هم يخطر له ليعلم انه لمة الملك او لمة الشيطان وان يمعن
النظر فيه بنور البصيرة لا بهوى من الطبع ولا يطلع عليه الا بنور التقوى وغزارة العلم كما قال تعالى
ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي انكشف
لهم الاشكال فاما من لم يروض نفسه بالتقوى فيميل طبعه الى الاذعان لتلبيسه بمتابعة الهوى
ويكثر فيه غلطه ويتعجل به هلاكه وهو لا يشعر وفي مثلهم قال الله تعالى وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل من اعمال حسبوها حسنات فاذا هي سيئات فاعظم واغمض انواع
علوم المعاملة الوقوف على خدع النفس ومكايد الشيطان وذلك فرض عين على كل عبد وقد اهمله
الخلق واشتغلوا بعلوم تستجر اليهم الوسواس وتسلط عليهم الشيطان وتنسيهم عداوته وطريق
الاحتراز منه ولا ينجي من كثرة الوسواس الا سد ابواب الخواطر وابوابها الحواس الخمس وابوابها
من داخل الشهوات وعلايق الدنيا والخلوة في بيت مظلم تسد باب الحواس والتجرد عن المال والاهل
يقلل مداخل الوسواس من الباطن ويبقى مع ذلك مداخل باطنة من التخيلات الجارية في القلب
وذلك لا يدفع الا بشغل القلب بذكر الله تعالى ثم لا بد من مجاهدته وهذه مجاهدة لا آخر لها الا الموت
اذ لا يتخلص احد من الشيطان ما دام حيا نعم قد يقوى بحيث لا ينقاد له ويدفع عن نفسه شره
بالجهاد ولكن لا يستغني قط عن الجهاد والمدافعة ما دام الدم يجري في بدنه فانه ما دام حيا

فابواب الشيطان مفتوحه الى قلبه لا تنغلق وهي الشهوه والغضب والحده والحسد والطمع والشره وغيرها كما سياتي شرحها ومهما كان الباب مفتوحا والعدو غير غافل لم يدفع الا بالحراسه والمجاهده قال رجل للحسن يا ابا سعيد اينام ابليس فتبسم وقال لو نام لوجدنا راحه فلا خلاص للمومن عنه نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المومن ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر وقال ابن مسعود شيطان المومن مهزول وقال قتيبه بن الحجاج قال لي شيطاني دخلت فيك وانا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور قلت ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله عز وجل واهل التقوى لا يتعذر عليهم سد ابواب الشياطين وحفظها بالحراسه اعني الابواب الظاهره والطرق الجليه التي تفضي الى المعاصي الظاهره وانما يتعثرون في طرقه الغامضه فانهم لا يهتدون اليها ليحرسوها كما اشرنا اليه في غرور العلما والوعاظ والمشكل ان الابواب المفتوحه للشيطان الى القلب كثيره وباب الملائكه باب واحد وقد التبس ذلك الباب بهذه الكثيره والعبد فيه مثاله المسافر الذي يبقى في باديه كثيرة الطرق غامضة المسالك في ليله مظلمه فلا يكاد يعلم الا بعين بصيره وطلوع الشمس مشرقه والعين البصيره ها هنا هو القلب المصفى بالتقوى والشمس المشرقه هو العلم الغزير المستفاد من كتاب الله تعالى وسنه نبيه عليه السلام فبهما يهتدي الى غوامض طرقه والا فطرقه كثيره وغامضه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط وشماله فقال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل لتلك الخطوط فبين صلى الله عليه وسلم كثرة طرقه وقد ذكرنا مثالا للطريق الغامض من طرقه وهو الذي يمكر به العلما والعباد المالكين لشهواتهم الكافين عن المعاصي الظاهره فلنذكر مثالا للطريق الواضح الذي لا يخفى ان لا يضطر الادمي الى سلوكه وذلك ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان راهب في بني اسرايل فاخذ الشيطان جاريه فخنقها والقى في قلوب اهلها ان دواها عند الراهب فاتي بها الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا به حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس وزين له مقاربتها فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه فوسوس اليه وقال الان تفتضح ياتيك اهلها فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتى الشيطان اهلها فوسوس اليهم والقى في قلوبهم انه احبلها ثم قتلها ودفنها فاتى الراهب اهلها فسالوه فقال ماتت فاخذوه فاتاه ابليس فقال انا الذي خنقتها وانا الذي القيت في قلوب اهلها فاطعني تنجو اسجد لي سجدتين فسجد له فهو الذي قال عز وجل فيه كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر الايه فانظر الان الى حيله واضطرار الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته قبول الجاريه للمعالجه وهو امر هين ورب ما يظن صاحبه انه خير

وحسنه فيحسن ذلك في قلبه بخفي الهوى فيقدم عليه كالراغب في الخير فيخرج بعد ذلك الامر عن اختياره ويجره البعض الى البعض بحيث لا يجد محيصا فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور واليه الاشاره بقوله صلى الله عليه وسلم من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه

بيان تفصيل مداخل الشيطان الى القلب

اعلم ان القلب مثاله مثال حصن والشيطان عدو يريد ان يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه ولا يقدر على حفظ الحصن عن العدو الا بحراسه ابواب الحصن ومداخله ومواضع ثلمه ولا يقدر على حراسه ابوابه من لا يعرف ابوابه وحمايه القلب عن فساد الشيطان واجب وهو فرض عين على كل مكلف وما لا يتوصل الى الواجب الا به فهو ايضا واجب ولا يتوصل الى دفع الشيطان الا بمعرفه مداخله فصار معرفه مداخل الشيطان واجبا ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيره ولكنا نشير الى الابواب العظيمه الجاريه مجرى الدروب التي لا تضيق عن كثره جنود الشيطان فمن ابوابه العظيمه الحسد والحرص فمهما كان العبد حريصا على شي اعماه حرصه واصمه اذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبك الشي يعمي ويصم ونور البصيره هو الذي يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فيجد الشيطان فرصه فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الى شهوته وان كان منكرا وفاحشا فقد روي ان نوحا عليه السلام لما ركب السفينه حمل في السفينه من كل زوجين اثنين كما امر فراى في السفينه شيخا لم يعرفه فقال له نوح عليه السلام ما ادخلك قال دخلت لاصيب قلوب اصحابك فتكون قلوبهم معي وابدانهم معك قال نوح عليه السلام اخرج منها يا عدو الله فانك رجيم فقال ابليس خمس اهلك بهن الناس وساحدثك منهن بثلث ولا احدثك باثنين فقال ما الثنتان قال هما لا يكذباني هما اللتان لا يخلفاني بهما اهلك الناس الحرص والحسد فبالحسد لعنت وجعلت شيطانا رجيما والحرص فانه ابيح لادم الجنه كلها فاصبت حاجتي منه بالحرص ومن ابوابه العظيمه الغضب والشهوه فان الغضب غول القلب واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكره فقد روي ان ابليس لقي موسى عليه السلام فقال يا موسى انت الذي اصطفاك الله برسالته وكلمك تكليما وانا من خلق الله تعالى اذنبت وانا اريد ان اتوب فاشفع لي الى ربي ان يتوب علي قال موسى عليه السلام نعم فدعا ربه عز وجل فقال يا موسى قد قضيت حاجتك فلقي موسى ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر ادم ليتاب عليك فاستكبر وغضب وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا ثم قال ابليس يا موسى ان لك علي حقا بما شفعت لي الى ربي فاذكرني عند ثلث لا اهلكك فيهن اذكرني حين تغضب فان وحيي في قلبك وعيني في عينك واجري منك مجرى الدم واذكرني حين تلقى الزحف فاني اتي ابن ادم حين يلقى الزحف فاذكره ولده وزوجته واهله حتى يولي واياك ان تجالس امراه ليست بذات محرم فاني رسولها اليك ورسولك اليها فقد اشار في هذا الى

الشهوه والغضب والحرص فان الفرار من الزحف حرص على الدنيا وامتناعه من السجود لادم مبناه هو
الحسد وهو من اعظم مداخله وقال بعض الانبيا لابليس باي شي تغلب بني ادم قال اخذه عند الغضب
وعند الهوى وظهر ابليس لراهب فقال اي اخلاق بني آدم اعون لك قال الحده ان العبد اذا كان حديدا
قلبناه كما يقلب الصبيان الكره وقيل ان الشيطان يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا
رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه ومن ابوابه حب التزين في
الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راى ذلك غالبا على قلب انسان باض فيه
الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الى عماره الدار وتزيين سقوفها وحيطانها وتوسيع ابنيتها ويدعو
الى التزين بالثياب والدواب ويستسخره فيها طول عمره واذا اوقعه فيها فقد استغنى عن معاودته
فان ذلك يجر الى البعض فلا يزال يو دبه من شي الى شي الى ان يسوق اليه اجله فيموت وهو في سبيل
الشيطان واتباع الهوى ومن ذلك يخشى سو الخاتمه بالكفر نعوذ بالله تعالى منه ومن ابوابه
العظيمه الشبع من الطعام وان كان حلالا صافيا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحه
الشيطان وروى ان ابليس ظهر ليحيى بن زكريا فراى عليه معاليق من كل شي فقال له يحيى يا ابليس
ما هذه المعاليق قال هذه الشهوات التي اصيب بها بني ادم قال فهل لي فيها شي فقال ربما شبعت فثقلناك
عن الصلوه وعن الذكر قال فهل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املا بطني من طعام ابدا
فقال ابليس ولله علي ان لا انصح مسلما ابدا ومن ابوابه العظيمه الطمع في الناس فاذا غلب
الطمع على القلب لم يزل الشيطان يحسن التصنع والتزين لمن طمع فيه بانواع الريا والتلبيس حتى
يصير المطموع فيه كانه معبوده فلا يزال في حيله التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الى
ذلك واقل احواله الثنا عليه بما ليس فيه والمداهنه معه بترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
فقد روى صفوان بن سليم ان ابليس تمثل لعبد الله بن حنظله وقال يا ابن حنظله احفظ عني شيا
اعلمك قال لا حاجه لي به قال انظر فان كان خيرا قبلت وان كان شرا رددت يا ابن حنظله لا تسال احدا
غير الله تعالى سوال رغبه وانظر كيف تكون اذا غضبت ومن ابوابه العجله وترك التثبت في
الامور قال رسول الله صلى الله عليه وسلم العجله من الشيطان والتاني من الله تعالى وقال الله تعالى وخلق الانسان
عجولا وقال سبحانه ولا تعجل بالقران من قبل ان يقضى اليك وحيه وهذا لان الاعمال ينبغي
ان يكون بعد البصيره والمعرفه والبصيره تحتاج الى تامل وتمهل والعجله تمنع من ذلك فعند الاستعجال
يروج الشيطان شره من حيث لا يدري وروى انه لما ولد عيسى عليه السلام اتت الشياطين ابليس
فقالت اصبحت الاصنام قد نكست رووسها قال احادث قد حدث مكانكم فطار حتى جا خافقي الارض
فلم يجد شيا ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد واذا الملايكه قد حفت حوله فرجع اليهم فقال ان نبيا

قد ولد البارحه ما حملت انثى قط ولا وضعت الا وانا بحضرتها الا هذا فايسوا ان تعبد الاصنام
بعد هذه الليله ولكن ايتوا بني ادم من قبل العجله والخفه ومن ابوابه العظيمه الدراهم
والدنانير وساير اصناف الاموال من العروض والدواب والعقار وكلما يزيد على قدر القوت والحاجه
فهي مستقر الشيطان فان من معه قوته فهو فارغ القلب فلو وجد مايه دينار مثلا على طريق انبعث
من قلبه مايه شهوه يحتاج كل واحده الى مايه دينار فلا يكفيه ما وجده بل يحتاج الى تسعمايه
اخرى وقد كان قبل وجود المايه مستغنيا فالان وجد مايه وظن انه قد صار غنيا بها وقد صار محتاجا
الى تسعمايه ليشتري به دارا او يعمرها ويشتري جاريه ويشتري اثاث البيت ويشتري الثياب الفاخره
وكل شي من ذلك يستدعي شيا اخر يليق به وذلك لا اخر له فيقع في هاويه اخرها عمق جهنم ولا
اخر لها سواه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس لشياطينه لقد
حدث امر فانظروا ما هو فانطلقوا ثم جاوه وقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب وجا وقال قد
بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فينصرفون
خايبين ويقولون ما صحبنا قوما قط مثل هولا نصيب منهم ثم يقومون الى صلاتهم فينمحي ذلك فقال
ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون حاجتكم منهم وروى ان عيسى عليه السلام
توسد حجرا فمر به ابليس فقال يا عيسى رغبت في الدنيا فاخذه من تحت راسه ورماه به وقال هذا
لك مع الدنيا وعلى الحقيقه من ملك حجرا يتوسده عند النوم فقد ملك من الدنيا ما يمكن ان يكون
عده الشيطان عليه فان القايم بالليل مثلا للصلوه مهما كان بالقرب منه حجر يمكن ان يتوسده
لا يزال يدعوه الى النوم والى ان يتوسده ولو لم يكن ذلك لكان لا يخطر له ذلك ولا يتحرك
رغبته في النوم هذا في حجر فكيف بمن يملك المخاد الوثيره والفرش الوطيه والمتنزهات الطيبه
متى ينشط لعباده الله عز وجل ومن ابوابه البخل وخوف الفقر فان ذلك هو الذي يمنع
من الانفاق والتصدق ويدعو الى الادخار والكنز والعذاب الاليم هو الموعد للكانزين كما نطق
به القران قال خيثمه بن عبد الرحمن ان الشيطان يقول مهما غلبني غلبه ابن ادم فلن يغلبني على
ثلث ان امره باخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه ومنعه من حقه وقال سفين ليس
للشيطان سلاح مثل خوف الفقر فاذا قبل ذلك منه اخذه في الباطل ومنع من الحق وتكلم بالهوى
وظن بربه عز وجل ظن السو ومن افات البخل الحرص على ملازمه الاسواق لجمع المال والاسواق
هي معشش الشياطين وروى عن ابي امامه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ابليس لما انزل الى
الارض قال يا رب انزلتني الى الارض وجعلتني رجيما فاجعل لي بيتا قال الحمام قال فاجعل لي مجلسا
قال الاسواق ومجامع الطرق قال فاجعل لي طعاما قال ما لا يذكر اسم الله عليه قال اجعل لي شرابا

قال كل مسكر قال اجعل لي موذنا قال المزامير قال اجعل لي قرانا قال الشعر قال اجعل لي كتابا قال الوشم
قال اجعل لي حديثا قال الكذب قال اجعل لي مصايد قال النسا ∴ ومن ابوابه التعصب
للمذاهب والاهوا والحقد على الخصوم والنظر اليهم بعين الازدرا والاستحقار وذلك مما يهلك
الفساق والعباد جميعا وان الطعن في الناس والاشتغال بذكر نقصانهم صفة مجبوله في طبع
الانسان من الصفات السبعيه فاذا خيل الشيطان اليه ان ذلك هو الحق وكان موافقا للطبعه
غلبت حلاوته على قلبه فاشتغل به بكل همته وهو بذلك فرحان مسرور يظن انه يسعى في الدين وهو
ساع في اتباع الشيطان ترى الواحد يتعصب لابي بكر رضي الله عنه وهو اكل الحرام ومطلق لسانه
بالفضول والكذب ومتعاط لانواع الفساد ولو راه ابو بكر رضي الله عنه لكان هو اول عدو له اذ موالي
ابي بكر رضي الله عنه من اقتدى سبيله وسار بسيرته وحفظ ما احبه وكان من سيرته ان يضع حجرة
في فيه ليكف لسانه عن الكلام فيما لا يعنيه فانى لهذا الفضولي ان يدعي ولاه وحبه وترى فضوليا اخر
يتعصب لعلي رضي الله عنه وكان من زهد علي رضي الله عنه وسيرته انه لبس في خلافته ثوبا اشتراه
بثلثة دراهم وقطع راس الكمين الى الرسغ فترى الفاسق لابسا لثياب الحرير ومتجملا باموال
كسبها من الحرام وهو يتعاطى حب علي رضي الله عنه ويدعيه وهو اول خصمايه يوم القيمه وليت شعري
من اخذ ولدا عزيزا لانسان هو قرة عينه وحبوة قلبه فاخذ يضربه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه
بالمقراض وهو مع ذلك يدعي حب ابيه وولاه كيف يكون حاله عنده ومعلوم ان الدين والشرع كان احب
الى ابي بكر وعلي وساير الصحابه رضي الله عنهم من الاهل والولد بل من نفوسهم والمتحمون لمعاصي الشرع هم
الذين يمزقون الشرع ويقطعونه بمقاريض الشهوات ويتوددون الى ابليس عدو الله وعدو اوليايه
فترى كيف تكون حالهم يوم القيمه عند الصحابه رضي الله عنهم وعند اوليا الله تعالى بل لو كشف الغطا وعرف
هولا ما يحبه الصحابه في امة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستحيوا من ان يجروا على اللسان ذكرهم
مع قبيح افعالهم ثم الشيطان يخيل اليهم ان من مات محبا لابي بكر وعمر فالنار لا تحوم حوله ويخيل الى الاخر انه
اذا مات محبا لعلي لم يكن عليه خوف وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لفاطمه وهي بضعة منه
اعملي فاني لا اغني عنك من الله شيا وهذا مثال اوردناه من جملة الاهوا وهذا حكم المتعصب للشافعي
وابي حنيفه ومالك واحمد وغيرهم فكل من ادعى مذهب امام وهو ليس يسير بسيرته فذلك الامام هو
خصمه اذ يقول له كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث باللسان لاجل العمل لا لاجل
الهذيان فما بالك خالفتني في العمل والسيرة الذي هو مسلكي ومذهبي الذي سلكته وذهبت فيه الى الله
تعالى ثم ادعيت مذهبي كاذبا فهذا من مداخل عظيم من مداخل الشيطان قد اهلك به اكثر العالم وقد
سلمت المنابر لاقوام قل من الله تعالى خوفهم وضعف في الدين بصيرتهم وقوي في الدنيا رغبتهم واشتد على

الاستمتاع حرصهم ولم يتمكنوا من الاستمتاع واقامة الجاه الا بالتعصب فحبسوا ذلك في صدورهم
ولم ينبهوهم على مكيدة الشيطان بل نابوا عن الشيطان في تنفيذ مكيدته فاستمر الناس عليه
ونسوا امهات دينهم فقد هلكوا واهلكوا والله تعالى يتوب علينا وعليهم قال الحسن بلغنا ان ابليس
قال سولت لامة محمد صلى الله عليه وسلم المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لا
يستغفرون الله منها وهي الاهوا فقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب
التي تجر الى المعاصي فكيف يستغفرون منها ومن عظيم حيل الشيطان ان يشغل الانسان عن نفسه
بالاختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب والخصومات قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون
الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم من مجلسهم ويفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون
بحديث الدنيا فافسد بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريد فقام الذين يذكرون الله تعالى
واشتغلوا بهم يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ∴ ومن ابوابه
حمل العوام والذين لم يمارسوا العلم ولم يتبحروا فيه على التفكر في ذات الله تعالى وصفاته وفي امور
لا يبلغها حد عقلهم حتى يشككهم في اصل الدين او يخيل اليهم في الله تعالى خيالا يتعالى الله عنه
ويحل عنه فيصير به كافرا او مبتدعا وهو به فرح مسرور مبتهج في صدره يظن ان ذلك هو المعرفه بما وقع
واليقين وانه انكشف له ذلك بذكايه وزيادة عقله واشد الناس حماقة اقواهم اعتقادا في عقل
نفسه واثبت الناس عقلا اشدهم اتهاما لانفسهم وظنونهم واحرصهم على السوال من العلما قالت
عايشه رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ياتي احدكم
فيقول من خلقك فيقول الله فيقول من خلق الله فاذا وجد احدكم ذلك فليقل امنت بالله وبرسوله
فان ذلك يذهب عنه ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يامره في علاج هذا الوسواس بالبحث فان هذا
وسواس يجده عوام الناس دون العلما وانما حق العوام ان يومنوا ويسلموا ويشتغلوا بعباداتهم ومعايشهم
ويتركوا العلم الى العلما فالعامي لو زنا او سرق كان خيرا له من ان يتكلم في العلم فانه من تكلم من غير اتقان
في العلم وفي دينه وقع في الكفر من حيث لا يدري كمن يركب لجة البحر وهو لا يعرف السباحة ومكايد
الشيطان فيما يتعلق بالعقايد والمذاهب لا حصر له وانما قصدنا بما اوردنا المثال ∴ ومن ابوابه
سو الظن بالمسلمين ولذلك قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم على غيره
بشر بالظن بعثه الشيطان على ان يطول فيه اللسان بالغيبه فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه
او يتوانا في اكرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويرى نفسه خيرا منه وكل ذلك من المهلكات
ولاجل ذلك منع الشرع من التعرض للتهم فقال صلى الله عليه وسلم اتقوا مواضع التهم حتى ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم احترز منه روي عن علي بن حسين ان صفيه بنت حيي اخبرته ان النبي صلى الله عليه

كان معتكفا فاتيته وتحدثت عنده فلما امسيت انصرفت فقام يمشي معي فمر به رجلان من الانصار
فسلما ثم مضيا فدعاهما فقال انها صفية بنت حيي فقالا يا رسول الله ما نظن بك الا خيرا فقال ان
الشيطان يجري من ابن ادم مجرى الدم واني خشيت ان يدخل عليكما فانظر كيف اشفق على دينهما فحرسهما
وكيف اشفق على امته فعلمهم طريق الاحتراز من التهمة حتى لا يتساهل العالم الورع المعروف
بالدين في احواله فيقول مثلي لا يظن به الا الخير اعجابا بنفسه فان اورع الناس واتقاهم واعلمهم لا
ينظر الناس كلهم اليه بعين واحدة بل بعين الرضا بعضهم وبعين السخط بعضهم وانشد بعضهم
وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا فيجب الاحتراز عن ظن السوء وعن تهمة
الاشرار فان الاشرار لا يظنون بالناس كلهم الا الشر فمهما رايت انسانا يسيء الظن بالناس طالبا
للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن وان ذلك خبثه يترشح منه وانما رأى غيره
من حيث هو فان المؤمن يطلب المعاذير والمنافق يطلب العيوب والمؤمن سليم الصدر في حق كافة
الخلق فهذه بعض مداخل الشيطان الى القلب ولو اردت استقصا جميعها لم اقدر عليه وفي هذا القدر
ما ينبه على غيره فليس في الادمي صفة مذمومة الا وهي سلاح للشيطان ومدخل من مداخله فان
قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهل يكفي ذكر الله تعالى وقول الانسان لا حول ولا قوة الا بالله
فاعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير القلب من هذه الصفات المذمومة وذلك يطول ذكره
وغرضنا في هذا الربع من الكتاب بيان علاج الصفات المهلكات ويحتاج كل صفة الى كتاب مفرد
على ما سياتي نعم اذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات
ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز ذكر الله تعالى لان حقيقة الذكر لا تتمكن من القلب الا
بعد عمارة القلب بالتقوى وتطهيره من الصفات المذمومة والا فيكون الذكر حديث نفس لا سلطان له
على القلب فلا يدفع سلطان الشيطان ولذلك قال تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا وخصص تعالى ذلك بالتقى ومثال الشيطان كلب جايع يقرب منك فان لم يكن بين يديك لحم وخبز
ينزجر بان تقول له اخسا فمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك لحم وهو جايع يهجم على اللحم ولا يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوت الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب
دفع حقيقة الذكر الى حواشي القلب فلم يتمكن من سويدايه فيستقر الشيطان في سويدا القلب واما
قلوب المتقين الخالية من الهوى والصفات المذمومة يطرقها الشيطان لا للشهوات بل لخلوها بالغفلة عن
الذكر فاذا عاد الى الذكر خنس الشيطان ودليل ذلك قوله تعالى فاستعذ بالله وساير الايات والاخبار
الواردة في الذكر وقال ابو هريرة رضي الله عنه التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر
سمين دهين كاسي واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك

انا مع رجل

قال انا مع رجل ان اكل سمى فاظل جايعا وان شرب سمى فاظل عطشانا واذا ادهن سمى فاظل شعثا واذا
لبس سمى فاظل عريانا قال شيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيا مما قلت فانا اشاركه في طعامه
وشرابه ولباسه وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم انك سلطت
علينا عدوا بصيرا بعيوبنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما ايسته من رحمتك
وقنطه منا كما قنطته من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعدت بينه وبين جنتك انك على كل شي
قدير فتمثل له ابليس يوما في طريق المسجد فقال يا ابن واسع هل تعرفني قال ومن انت قال اللعين قال له
وما تريد قال اريد الا تعلم احدا هذه الاستعاذة قال والله لا امنعها ممن ارادها فاصنع ما
شيت وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عليه وسلم بيده شعلة من نار فيقوم
بين يديه وهو يصلي فيقرا ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عليه السلام فقال قل اعوذ بكلمات الله
التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرا في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السما وما
يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار الا طارقا يطرق بخير يا رحمن فطفيت شعلته وخر على وجهه وقال
الحسن نبيت ان جبريل اتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان عفريتا من الجن يكيدك
فاذا اويت الى فراشك فاقرا اية الكرسي وقال عليه السلام لقد اتاني شيطان فنازعني ثم نازعني فاخذت
بحلقه فوالذي بعثني بالحق ما ارسلته حتى وجدت برد لسانه على يدي ولولا دعوة سليمان عليه
السلام لاصبح طريحا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سلك عمر فجا الا سلك الشيطان فجا غيره وهذا
لان هذه القلوب كانت مطهرة عن مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوة فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان
عنك بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر رضي الله عنه كان محالا وكنت كمن يطمع في ان يشرب دوا قبل
الاحتما والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة ويطمع في ان ينفعه كما نفع الذي شربه بعد الاحتما وتخلية
المعدة فالذكر دوا والتقوى احتما وهي تخلي القلب من الشهوات فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير الذكر اندفع
الشيطان كما تندفع العلة بنزول الدوا في معدة خالية عن الاطعمة قال الله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن
كان له قلب وقال تعالى كتب عليه انه من تولاه فانه يضله ويهديه الى عذاب السعير ومن ساعد الشيطان
بعمله فقد تولاه وان كنت تقول الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم
تفهم ان اكثر عمومات الشرع مخصوصة بشروط يعرفها علما الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة
وتامل ان منتهى ذكرك وعبادتك صلواتك فراقب قلبك اذا كنت في صلاتك كيف يجاذبك الشيطان
الى الاسواق وحساب العاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا ومهالكها حتى انك
لا تتذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك فلا يزدحم الشيطان على قلبك الا اذا صليت والصلوة
محك القلوب فيها تظهر مساويها ومحاسنها فالصلوة لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم

لا تطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك الوسواس كما ان الدوا قبل الاحتما ربما يزيد عليك الضرر
فان شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتما بالتقوى ثم اردفه بدوا الذكر وقد فر الشيطان منك كما كان
يفر من عمر رضي الله عنه ولذلك قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وانت صديقه
في السر اي انت مطيع له وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن بعد معرفته باحسانه
ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وكما ان الله تعالى قال ادعوني استجب لكم وانت تدعوا ولا يستجاب
لك فكذلك انت تذكر الله تعالى ولا يهرب الشيطان منك لفقد شروط الدعا والذكر قيل لابرهيم بن ادهم ما
بالنا ندعوا فلا يستجاب لنا وقد قال تعالى ادعوني استجب لكم قال لان قلوبكم ميتة قيل وما الذي اماتها
قال ثمان خصال عرفتم حق الله تعالى فلم تقوموا بحقه وقراتم القران فلم تعملوا بحدوده وقلتم نحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتركتم سنته وقلتم نخشى الموت فلم تستعدوا له وقال الله تعالى ان الشيطان لكم
عدو فاتخذوه عدوا فواطاتموه على المعاصي وقلتم نخاف النار فارهقتم ابدانكم فيها وقلتم نحب الجنة
ولم تعملوا لها واذا قمتم من فرشكم رميتم عيوبكم وراء ظهوركم وفرشتم عيوب الناس امامكم فاسخطتم
ربكم فكيف يستجيب لكم فان قلت فالداعي الى المعاصي المختلفة شيطان واحد او شياطين
مختلفة فاعلم انه لا حاجة بك الى معرفة ذلك في المعاملة فاشتغل بدفع العدو ولا تسال عن صفته
كل البقل ولا تسال عن المبقلة ولكن الذي يتضح بنور الاستبصار وشواهد الاخبار انهم جنود مجندة
وان لكل نوع من المعاصي شيطانا يخصه ويدعوا اليه فاما طريق الاستبصار فذكره يطول ويكفيك القدر
الذي ذكرناه وهو ان اختلاف المسببات تدل على اختلاف الاسباب كما ذكرناه من نور النار وسواد الدخان
واما الاخبار فقد قال مجاهد لابليس خمسة من الاولاد قد جعل كل واحد منهم على شي من امره فذكر
ثبر والاعور ومسوط وداسم وزلنبور اما ثبر فهو صاحب المصايب الذي يامر بالثبور وشق الجيوب
ولطم الخدود ودعوى الجاهلية واما الاعور فهو صاحب الزنا يامر به ويزينه واما مسوط فهو صاحب الكذب
واما داسم فيدخل مع الرجل الى اهله يريه العيب فيهم ويغضبه عليهم واما زلنبور فهو صاحب السوق
وبسببه لا يزالون متظالمين وشيطان الصلوة يسمى خنزب وشيطان الوضو الولهان وقد وردت في
ذلك اخبار كثيرة وكما ان الشياطين فيهم كثرة فكذلك في الملايكة وقد ذكرنا في كتاب
الشكر السر في كثرة الملايكة واختصاص كل واحد بعمل ينفرد به وقال ابو امامة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكل بالمومن مايه وستون ملكا يذبون عنه ما لم يقدر عليه من ذلك سبعة املاك يذبون
عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب في اليوم الصايف وما لو بدا لكم لرايتموهم على كل سهل وجبل كلهم
باسط يده فاغر فاه وما لو وكل العبد الى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين وقال ايوب بن
يزيد بلغنا انه يولد مع ابنا الانس من ابنا الجن ثم ينشوا معهم وروى جابر بن عبد الله ان ادم صلى الله عليه

وسلم لما هبط قال رب هذا العبد الذي جعلت بيني وبينه عداوة الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال تعالى
لا يولد لك ولد الا وكل به ملك قال رب زدني قال اجزي بالسيئة سيئة وبالحسنة عشرا الى ما اريد قال رب
زدني قال باب التوبة مفتوح ما دام في الجسد الروح قال ابليس رب هذا العبد الذي
كرمته علي الا تعينني عليه لا اقوى عليه قال تعالى لا يولد له ولد الا ولد لك ولد قال رب زدني قال تجري
منهم مجرى الدم وتتخذون صدورهم بيوتا قال رب زدني قال اجلب عليهم بخيلك ورجلك الى قوله تعالى
غرورا وعن ابي الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم خلق الله الجن ثلثة اصناف صنف حيات وعقارب
وخشاش الارض وصنف كالريح في الهوا وصنف عليهم الحساب والعقاب وخلق الله تعالى الانس ثلثة
اصناف صنف كالبهايم قال الله تعالى لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها الاية وصنف اجسادهم
اجساد بني ادم وارواحهم ارواح الشياطين وصنف في ظل الله يوم لا ظل الا ظله وقال
وهيب بن الورد بلغنا ان ابليس تمثل ليحيى بن زكريا وقال له اني انصحك فقال له لا اريد ولكن اخبرني عن بني
ادم قال هم عندنا ثلثة اصناف اما صنف منهم فهم اشد الاصناف علينا نقبل عليه حتى نفتنه ونستمكن
منه ثم يفزع الى الاستغفار والتوبة فيفسد علينا كل شي ادركنا منه ثم نعود اليه فيعود فلا نحن
نايسين منه ولا نحن ندرك منه حاجتنا فنحن منه في عنا واما الصنف الاخر فهم مثلك معصومون لا
نقدر منهم على شي فان قلت فكيف يتمثل الشيطان لبعض الناس دون البعض واذا راى صورته فهي صورته
الحقيقية او هو مثال له يتمثل به فان كان صورته الحقيقية فكيف يرى بصور مختلفة وكيف يرى في وقت
واحد في مكانين وعلى صورتين حتى يراه شخصان بصورتين مختلفتين فاعلم ان الملك والشيطان
لهما صورتان هي حقيقة صورتهما ولا تدرك حقيقة صورتهما بالمشاهدة الا بانوار النبوة فما راى
النبي صلى الله عليه وسلم جبريل في صورته الا مرتين وذلك انه عليه السلام ساله ان يريه نفسه على
صورته فواعده ذلك بحرا فطلع له جبريل عليه السلام فسد الافق الى المغرب وراه مرة اخرى على
صورته ليلة المعراج عند سدرة المنتهى وانما كان يراه في صورة الادمي غالبا وكان يراه في صورة دحية
الكلبي وكان رجلا حسن الوجه والاكثر انه يكاشف اهل المكاشفة من ارباب القلوب بمثال صورته
فيتمثل الشيطان له في اليقظة فيراه بعينه ويسمع كلامه ويقوم ذلك مقام حقيقة صورته كما ينكشف
في المنام لاكثر الصالحين وانما المكاشف في اليقظة هو الذي انتهى الى رتبة لا يمنعه اشتغال الحواس
بالدنيا عن المكاشفة التي تكون في النوم فيرى في اليقظة ما يراه غيره في النوم كما روي عن
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ان رجلا سال ربه عز وجل ان يريه موضع الشيطان من قلب ابن ادم
فراى في النوم جسد رجل يشبه البلور يرى داخله من خارجه وراى الشيطان في صورة ضفدع قاعد
على منكبه [illegible] قلبه يوسوس اليه فاذا ذكر الله تعالى خنس ومثل هذا قد يشاهده بعينه

[illegible]

في اليقظة وقد رآه بعض المكاشفين في صورة كلب جاثم على جيفة يدعو الناس اليها وكانت الجيفة
مثال الدنيا وهذا يجري مجرى مشاهدة صورته الحقيقية فان القلب لا بد وان يظهر فيه حقيقة من
الوجه الذي يقابل الملكوت وعند ذلك يشرق اثره على الوجه الذي يقابل عالم الملك والشهادة لان احدهما
متصل بالاخر وقد بينا ان القلب له وجهان وجه الى عالم الغيب وهو مدخل الالهام والوحي ووجه الى عالم
الشهادة فالذي يظهر منه في الوجه الذي يلي جانب عالم الشهادة لا يكون الا صورة متخيلة لان عالم الشهادة
كلها متخيلات الا ان الخيال تارة يحصل من النظر الى ظاهر عالم الشهادة بالحس فيجوز ان لا تكون الصورة
على وفق المعنى حتى يرى شخص جميل الصورة وهو خبيث الباطن قبيح السر لان عالم الشهادة عالم كثير
التلبيس اما الصورة التي تحصل في الخيال من اشراق عالم الملكوت على باطن سر القلب فلا يكون الا محاكيا
للصفة وموافقا لها لان الصورة في عالم الملكوت تابع للصفة فلا جرم لا يرى المعنى القبيح الا بصورة قبيحة
فيرى الشيطان في صورة كلب وضفدع وخنزير وغيره ويرى الملك في صورة جميلة تكون تلك
الصورة عنوان المعاني ومحاكيا لها بالصدق ولذلك يدل القرد والخنزير في النوم على انسان خبيث وتدل
الشاة على انسان سليم الجانب وهكذا جميع ابواب التعبير وهذه اسرار عجيبة وهي
من عجائب علوم القلب ولا يليق ذكرها بعلم المعاملة وانما المقصود ان تصدق بان الشيطان ينكشف
لارباب القلوب وكذا الملك تارة بطريق التمثل والمحاكاة كما في النوم وتارة بطريق الحقيقة والاكثر هو
التمثل بصورة محاكية للمعنى هو مثال المعنى لا عين المعنى الا انه يشاهد بالعين مشاهدة محققة
وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حواليه كالنائم

بيان ما يؤاخذ العبد به من وساوس
القلوب وهمها وخواطرها وقصودها وما يعفى عنه ولا يؤاخذ به **اعلم** ان هذا امر غامض وقد وردت
فيه اخبار وآيات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينها الا على سماسرة العلماء فقد روي عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها وقال ابو هريرة قال صلى الله
عليه وسلم عن ربه اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة
فلم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا وقد اخرجه مسلم والبخاري في الصحيحين وهو دليل
على العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة وفي لفظ اخر من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم
بحسنة فعملها كتبت له الى سبعمائة ضعف ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب وان عملها كتبت وفي لفظ
اخر واذا تحدث بان يعمل سيئة فانا اغفرها له ما لم يعملها وكل ذلك يدل على العفو فاما ما يدل على المؤاخذة
فقوله سبحانه ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله وقوله سبحانه ولا تقف ما ليس لك به
علم الاية فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر فلا يعفى عنه وقال عز وجل ولا تكتموا الشهادة
ومن يكتمها فانه اثم قلبه وقال تعالى لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

والحق في هذه المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من مبدا ظهورها
الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها
وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة
التي في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول ولا نسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس الثالث
حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم تنبعث الهمة والنية
ما لم تندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون
بتامل وهو على كل حال حكم من جهة العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل الرابع
تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه وهذا نسميه هما بالفعل ونية وقصدا
وهذه الهمة قد يكون لها مبدا ضعيف ولكن اذا اصغى القلب الى الخاطر الاول حتى طالت محادثته للنفس
تاكدت هذه الهمة وصارت ارادة مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما
يغفل بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه وربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل فهاهنا اربعة احوال
للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل ثم الاعتقاد ثم الهم فنقول اما الخاطر
فلا يؤاخذ به لانه لا يدخل تحت الاختيار وكذلك الميل وهيجان الشهوة لانهما لا يدخلان تحت الاختيار
وهما المرادان بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس عبارة عن الخواطر
التي تهجس في النفس ولا يتبعه عزم على العمل فاما العزم والهم فلا يسمى حديث نفس بل حديث النفس
كما روي عن عثمن بن مظعون حيث قال يا رسول الله نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من
سنتي النكاح قال نفسي تحدثني ان اجب نفسي قال مهلا امتي دؤوب الصيام قال نفسي
تحدثني ان اترهب قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان
اترك اللحم قال مهلا فاني احبه ولو اصبته لاكلته ولو سالت الله لاطعمنيه فهذه الخواطر التي ليس معها
عزم على الفعل من حديث النفس ولذلك شاور رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لم يكن معه عزم وهم
بالفعل واما الثالث وهو الاعتقاد وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهذا متردد بين ان يكون اضطرارا
او اختيارا والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به واما الرابع وهو الهم
بالفعل فانه مؤاخذ به الا انه ان لم يعمل نظر فان تركه خوفا
من الله تعالى وندما على همه كتبت له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدته نفسه حسنة والهم
على وفق الطبع لا يدل على تمام الغفلة عن الله عز وجل والامتناع بالمجاهدة على خلاف
الطبع يحتاج الى قوة عظيمة فجده في مخالفة الطبع وهو العمل لله تعالى اشد من جده في موافقة
الشيطان بموافقة الطبع فكتبت له حسنة لانه رجح جهده في الامتناع وهمه به على همه
بالفعل وان تعوق الفعل بعائق او تركه لعذر لا خوفا من الله تعالى كتبت له سيئة فان همه من
عمله

القلب اختيار. والدليل على هذا التفصيل ما ورد في الصحيح مفصلا في لفظ الحديث قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قالت الملايكه رب ذلك عبدك يريد ان يعمل سيئه وهو ابصر به فقال تعالى ارقبوه فان
عملها فاكتبوها له بمثلها وان تركها فاكتبوها له حسنه انما تركها من اجلي وحيث قال لم يعملها ان اراد به تركها لله عز وجل فاما اذا عزم على فاحشة وتعذر عليه بسبب او بغفلة فكيف تكتب له حسنة وقد
قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان
يصبح ويقتل مسلما او يزني بامراه ومات تلك الليله مات مصرا وحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها
والدليل القاطع فيه ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه وهذا نص
في انه صار من اهل النار بمجرد الاراده مع انه قتل مظلوما فكيف يظن ان الله تعالى لا يواخذ بالنيه والهم
وكلما دخل تحت اختيار العبد فهو ماخوذ به الا ان يكفره بحسنه تمحوها والهم بحسنه حسنه ولذلك
كتبت حسنه واما فوات المراد بعايق فليس بحسنه **واما** الخواطر وحديث
النفس وهيجان الرغبه فليس يدخل تحت الاختيار فالمواخذه به تكليف ما لا يطاق فلذلك لما نزل
قوله تعالى ان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله جا اناس من الصحابه رضي الله عنهم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم يحاسب
بذلك فقال صلى الله عليه وسلم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا
سمعنا واطعنا فانزل الله الفرج بقوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها فظهر به ان كلما لا يدخل تحت
الوسع من اعمال القلب هو الذي لا يواخذ به فهذا هو كشف الغطا عن هذا الالتباس وكل من يظن ان
كلما يجري على القلب يسمى حديث النفس ولم يفرق بين هذه الاقسام الثلثه فلا بد ان يغلط وكيف لا
يواخذ باعمال القلوب والكبر والعجب والريا والنفاق والحسد وجملة الخبايث من اعمال القلوب بل السمع
والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسولا اي ما يدخل تحت الاختيار فلو وقع بصره بغير اختيار على غير
محرم لم يواخذ به فان اتبعها نظره ثانيه كان مواخذا بها لانها مختاره فكذا خواطر القلب تجري هذا
المجرى بل القلب اولى بمواخذته لانه الاصل قال صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا واشار الى القلب
ثم قال لن ينال الله لحومها ولا دماوها ولكن يناله التقوى وقال الاثم حزاز القلوب وقال
البر ما اطمان اليه القلب وان افتوك وافتوك حتى انا نقول اذا حكم قلب المفتي بايجاب شي وكان
مخطيا صار مثابا عليه فعله بل من ظن انه متطهر فعليه ان يصلي فان صلى ثم تذكر كان له ثواب بفعله
وان تركه بعدما علم فهو اثم ومن وجد امراه فظن انها زوجته لم يعص بوطيها وان كانت اجنبيه
وان ظن انها اجنبية عصى بوطيها وان كانت امراته كل ذلك لا نظر الى القلب دون الجوارح **بيان**

ان الوسواس هل يتصور ان ينقطع بالكليه عند الذكر ام لا **اعلم** ان العلما المراقبين للقلوب
الناظرين في صفاتها وعجايبها اختلفوا في هذه المسله على خمس فرق فقالت فرقه ان الوسوسه تنقطع
بذكر الله تعالى لانه صلى الله عليه وسلم قال فاذا ذكر الله خنس والخنوس هو السكون فكانه يسكت
وقالت فرقه لا ينعدم اصله ولكن يجري في القلب ولا يكون له اثر لان القلب اذا صار مستوعبا بالذكر
محجوبا عن التاثر بالوسوسه كالمشغول بهمه فانه قد يكلم ولا يفهم وان كان الصوت يمر على سمعه
وقالت فرقه لا تسقط الوسوسه ولا اثره ايضا ولكن تسقط غلبته للقلب وكانه يوسوس من بعد
وعلى ضعف وقالت فرقه ينعدم عند الذكر في لحظة وينعدم الذكر به في لحظة
ويتعاقبان في ازمنة متقاربه يظن لتقاربها انها متساويه وهو كالكرة التي عليها نقط متفرقه
فانه اذا ادير بسرعة رايت النقط دواير لسرعه تواصلها بالحركه واستدلوا بان الخنس قد ورد
ونحن نشاهد الوسوسه مع الذكر ولا وجه له الا هذا وقالت فرقه ان الوسوسه
والذكر يتساوقان في القلب على الدوام لا ينقطع وكما ان الانسان قد يرى في حالة واحدة بعينه شيئين
فكذلك القلب قد يكون مجرى لشيئين وقد قال صلى الله عليه وسلم ما من عبد الا وله اربعه اعين عينان
في راسه يبصر بهما امر دنياه وعينان في قلبه يبصر بهما امر دينه والى هذا ذهب المحاسبي والصحيح عندنا
في هذا ان كل هذه المذاهب صحيحة ولكن كلها قاصرة عن الاحاطة باصناف الوساوس وانما نظر كل واحد
الى صنف واحد من الوساوس واخبر عنه والوساوس اصناف الاول ان يكون من جهة التلبيس للحق
فان الشيطان قد يلبس الحق فيقول للانسان لا تترك التنعم باللذات فان العمر طويل والصبر عن
الشهوات طول العمر المه عظيم فعند هذا اذا ذكر العبد عظيم حق الله تعالى وعظيم ثوابه وعقابه
وقال الصبر عن الشهوات شديد ولكن الصبر على النار اشد منه ولا بد من احدهما
فاذا ذكر العبد وعد الله تعالى ووعيده وجدد ايمانه ويقينه خنس الشيطان وهرب اذ لا يستطيع
ان يقول ليس النار اشد من الصبر عن المعاصي ولا يمكنه ان يقول المعصيه لا تفضي الى النار فان ايمانه
بكتاب الله تعالى يدفعه عن ذلك فينقطع وسواسه وكذلك يوسوس اليه بالعجب في عمله ويقول
اي عبد يعرف الله كما تعرفه ويعبده كما تعبده فما اعظم مكانك عند الله فيتذكر العبد ان معرفته وقدرته
وقلبه واعضاه التي بها عمله كل ذلك من خلق الله تعالى فمن اين يعجب به فيخنس الشيطان اذ لا
يمكنه ان يقول ليس هذا من الله لان المعرفه والايمان يدفعه فهذا نوع من الوساوس ينقطع بالكليه
عن العارفين بنور الايمان والمعرفه **الصنف** الثاني ان يكون وسواسه بتحريك الشهوه وتهييجها
وهذا ينقسم الى ما يعلم العبد يقينا انه معصيه والى ما يظنه بغالب الظن فان علمه يقينا خنس
الشيطان عن تهييج يوثر في التحريك ولم يخنس عن التهييج وان كان مظنونا فربما بقي موثرا

حيث يحتاج الى مجاهدة في دفعه فتكون الوسوسة موجودة ولكنها مدفوعة غير غالبة
الصنف الثالث ان تكون وسوسته موجودة بمجرد الخواطر وتذكر الاحوال الغائبة والتفكر في
غير الصلوة مثلا فاذا اقبل على الذكر تصور ان يندفع ساعة ويعود ويندفع ويعود فيتعاقب
الذكر والوسوسة ويتصور ان يتساوقا جميعا حتى يكون الفهم مشتملا على معنى فهم القراءة وعلى تلك
الخواطر كانهما في موضعين من القلب وبعيد جدا ان يندفع هذا الجنس بالكلية بحيث لا يخطر
ولكنه ليس محالا اذ قال صلى الله عليه وسلم من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه
بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه فلولا انه متصور لما ذكره الا انه لا يتصور ذلك الا في قلب
استولى عليه الحب حتى صار كالمستهتر فانا نرى المستوعب القلب بعدو تأذى به قد يتفكر مقدار
ركعتين وركعات في مجادلة عدوه بحيث لا يخطر له غيره وكذا المستغرق بالحب قد يتفكر في محادثة
محبوبه بقلبه ويغوص في فكره بحيث لا يخطر بباله غير محبوبه ولو كلمه غيره لم يسمع ولو اجتاز واحد
بين يديه كان كانه لا يراه واذا تصور هذا من خوف عدو وعند الحرص على جاه ومال فكيف لا يتصور
من خوف النار والحرص على الجنة ولكن ذلك عزيز لضعف الايمان بالله واليوم الاخر فاذا تاملت جملة
هذه الاقسام واصناف الوساوس علمت ان لكل مذهب من المذاهب وجها ولكن في محل مخصوص
وبالجملة فالخلاص عن الشيطان في لحظة او ساعة غير بعيد ولكن الخلاص عنه عمرا بعيد وهو محال
في الوجود ولو تخلص احد من وساوس الشيطان بالخواطر وتهييج الرغبة لتخلص رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقد روي انه نظر الى علم ثوبه في الصلوة فلما سلم رمى بذلك الثوب وقال صلى الله عليه وسلم
شغلني عن الصلوة وكان في يده خاتم من ذهب فنظر اليه على المنبر فرماه وقال نظرة اليه ونظرة اليكم
وكان ذلك لوسوسة الشيطان بتحريك لذة النظر الى خاتم الذهب وطراز الثوب وكان ذلك قبل تحريم
الذهب فلذلك لبسه ثم رماه ولا تنقطع وسوسة عروض الدنيا ونقدها الا بالرمي والمفارقة
فما دام يملك شيئا وراء حاجته ولو دينارا واحدا فلا يخليه الشيطان في صلوته عن الفكر في ديناره
كيف يحفظه وفيما ذا ينفقه وكيف يخفيه حتى لا يعلم به او كيف يظهره حتى يتباهى به الى غير ذلك
من الوساوس فمن انشب مخالبه في الدنيا وطمع ان يتخلص من الشيطان كان كمن انغمس في العسل
فظن ان الذباب لا يقع عليه وهو محال والدنيا باب عظيم لوساوس الشيطان يأتي ابن آدم من قبل المعاصي
فان امتنع اتاه من وجه النصيحة حتى يلقيه في بدعة فان ابى امره بالتحرج والتشدد حتى يحرم ما
ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرج عن العلم فان ابى خفف عليه اعمال البر حتى
يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم فيعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده تشتد الحاجة فانه آخر
درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة. بيان سرعة تقلب القلب وانقسام القلوب

الخوف

القلوب في التغير والثبات اعلم ان القلب كما ذكرنا تكتنفه الصفات التي ذكرناها وتنصب اليه الآثار
والاحوال من الابواب التي وصفناها فكانه هدف يصاب على الدوام من كل جانب فاذا اصابه شيء
فتأثر به اصابه من جانب آخر ما يضاده فيتغير وصفه فاذا نزل الشيطان به فدعاه الى الهوى نزل الملك به
التفت القلب اليه وصرفه عنه وان جذبه شيطان الى شر جذبه شيطان آخر الى غيره وان جذبه
ملك الى خير جذبه آخر الى غيره فتارة يكون متنازعا بين ملكين وتارة بين شيطانين
وتارة بين ملك وشيطان لا يكون قط مهملا واليه الاشارة بقوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم
ولاطلاع رسول الله صلى الله عليه وسلم على عظيم صنع الله جل وعز في عجائب القلب وتقلبه كان يحلف به
فيقول لا ومقلب القلوب وكان كثيرا ما يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك قالوا او تخاف يا رسول الله
فقال وما يؤمنني والقلوب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وفي لفظ آخر
ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه وضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة امثلة فقال
مثل القلب مثل العصفور يتقلب في كل ساعة وقال مثل القلب في تقلبه كالقدر اذا استجمعت غليانا.
وقال مثل القلب كمثل ريشة بارض فلاة تقلبها الرياح ظهرا لبطن وهذه التقليبات وعجيب صنع الله تعالى
في تقليبها من حيث لا يهتدى اليه ولا يعرفه الا المراقبون لقلوبهم والمراعون احوالهم مع الله تعالى فالقلوب
في الثبات على الخير والشر والتردد بينهما ثلثة قلب عمر بالتقوى وزكي بالرياضة وطهر عن خبائث
الاخلاق تتفتح فيه خواطر الخير من خزائن الغيب ومداخل الملكوت فينصرف العقل الى التفكر
فيما خطر ليعرف دقائق الخير فيه ويطلع على اسرار فوائده فينكشف له بنور البصيرة وجهه فيحكم
بانه لا بد من فعله فيستحثه عليه ويدعوه الى العمل به فينظر الملك الى القلب فيجده طيبا في
جوهره طاهرا بتقواه مستنيرا بضياء العقل معمورا بانوار المعرفة فيراه صالحا لان يكون مستقرا
له ومهبطا فعند ذلك يمده بجنود لا ترى ويهديه الى خيرات اخرى حتى ينجر الخير الى الخير وكذلك
على الدوام ولا يتناهى امداده بالترغيب في الخير وتيسير الامر عليه واليه الاشارة بقوله تعالى فاما
من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وفي مثل هذا القلب يشرق نور المصباح من
مشكوة الربوبية حتى لا يخفى فيه الشرك الخفي الذي هو اخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء
ولا يخفى على هذا النور خافية ولا يروج عليه شيء من مكائد الشيطان بل يقف الشيطان ويوحي زخرف
القول غرورا فلا يلتفت اليه وهذا القلب بعد طهارته من المهلكات يصير على
القرب معمورا بالمنجيات التي سنذكرها من الصبر والشكر والرجاء والخوف والفقر والزهد والمحبة والرضا
والتوكل والتفكر والمحاسبة وغير ذلك وهو القلب الذي اقبل الله عز وجل عليه بوجهه وهو القلب
المطمئن المراد بقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب والمراد بقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة القلب

الثاني قلب المخذول المشحون بالهوى المدنس بالخبائث الملوث بالاخلاق الذميمة المفتوح فيه
ابواب الشياطين المسدود عنه ابواب الملائكة ومبدا الشر فيه ان ينقدح فيه خاطر من الهوى ويهجس
فيه فينظر القلب الى حاكم العقل ليستفتي منه ويستكشف وجه الصواب فيه فيكون العقل قد الف
خدمة الهوى وانس به واستمر على استنباط الحيل له وعلى مساعدة الهوى فيستولي النفس ويساعد
عليه فينشرح الصدر بالهوى وتنبسط فيه ظلماته لانحباس جند العقل عن مدافعته فيقوى
سلطان الشيطان لاتساع مكانه بسبب انتشار الهوى فيقبل عليه بالتزيين والغرور والاماني
ويوحي بذلك زخرفا من القول غرورا فيضعف سلطان الايمان بالوعد والوعيد ويخبو نور النفس
لخوف الاخرة اذ يتصاعد من الهوى دخان مظلم الى القلب يملا جوانبه حتى تنطفي انواره فيصير العقل
كالعين التي ملا الدخان اجفانها فلا يقدر على ان ينظر وهكذا تفعل غلبة الشهوة بالقلب حتى لا يبقى
للقلب امكان التوقف والاستبصار ولو بصره واعظ واسمعه ما هو الحق فيه عمي عن الفهم
وصم عن السمع وهاجت الشهوة وسطا الشيطان وتحركت الجوارح على وفق الهوى وظهرت المعصية
الى عالم الشهادة من خزاين الغيب بقضا من الله عز وجل وقدر والى مثل هذا القلب الاشارة بقوله
تعالى ارايت من اتخذ الهه هواه افانت تكون عليه وكيلا الى قوله اضل سبيلا وبقوله تعالى لقد حق القول
على اكثرهم فهم لا يومنون وبقوله تعالى سوا عليهم أانذرتهم ام لم تنذرهم لا يومنون ورب قلب هذا
حاله بالاضافة الى بعض الشهوات كالذي يتورع عن بعض الاشيا ولكنه اذا راى وجها حسنا لم يملك
نفسه عند القدرة على اخذ درهم او دينار بل يتهالك عليه تهالك الواله المستهتر فينسى فيه
المروة والتقوى وكل ذلك لتصاعد دخان الهوى الى القلب حتى يظلم فتنطفي فيه انوار البصيرة وينطفي
نور الحيا والمروة والايمان ويسعى في تحصيل مراد الشيطان **القلب الثالث** قلب يبدا
فيه خاطر الهوى فيدعوه الى الشر فيلحقه خاطر الايمان فيدعوه الى الخير فتنبعث النفس بشهوتها
الى نصرة خاطر الشر فتقوى الشهوة وتحسن التمتع والتنعم فينبعث العقل الى خاطر الخير ويدفع
في وجه الشهوة ويقبح فعلها وينسبها الى الجهل ويشبهها بالبهيمة والسبع في تهجمها على الشر
وقلة اكتراثها بالعواقب فتميل النفس الى نصح العقل فيحمل الشيطان حملة على العقل ويقوي داعي الهوى
ويقول الى متى هذا التحرج البارد ولم تمتنع عن هواك فتوذي نفسك وهل ترى احدا من اهل عصرك
يخالف هواه او يترك غرضه فتترك ملاذ الدنيا لهم يتمتعون فيها وتحجر على نفسك حتى تبقى
محروما شقيا متعوبا يضحك عليك اهل الزمان اتريد ان يزيد منصبك على فلان وفلان وقد
فعلوا مثلما اشتهيت ولم يمتنعوا اما ترى العالم الفلاني ليس يحترز عن مثل ذلك ولو كان ذلك
شرا لامتنع عنه فتميل النفس الى الشيطان وتنقلب اليه فيحمل الملك حملة على الشيطان ويقول هل

يهلك الا من اتبع لذة الحال ونسي العاقبة افتقنع بلذة قليلة وتترك لذة الجنة ونعيمها ابد الاباد
ام تستثقل الم الصبر عن شهوتك ولا تستثقل الم النار اتغتر بغفلة الناس عن انفسهم واتباعهم
هواهم ومساعدتهم الشيطان مع ان عذاب النار لا يخفف عنك بمعصية غيرك ارايت لو كنت في صيف
ووقف الناس كلهم في الشمس وكان لك بيت بارد اكنت تساعد الناس او تطلب لنفسك الخلاص فكيف
تخالف الناس خوفا من حر الشمس ولا تخالفهم خوفا من حر النار وعند ذلك تميل النفس الى قول
الملك فلا يزال يتردد بين الجندين متجاذبا بين الحزبين الى ان يغلب على القلب ما هو اولى به فان كانت
الصفات التي في القلب الغالب عليها الصفات الشيطانية التي ذكرناها غلب الشيطان ومال القلب الى جنسه من حزب
من احزاب الشياطين معرضا عن حزب الله تعالى واوليايه ومساعدا لحزب الشيطان واعدايه
وجرى على جوارحه بسابق القدر ما هو سبب بعده عن الله تعالى وان كان الاغلب على القلب صفات
الملائكة لم يصغ القلب الى اغوا الشيطان وتحريضه اياه على العاجلة وتهوينه امر الاجلة بل مال
الى حزب الله تعالى وظهرت الطاعة بموجب ما سبق من القضا على جوارحه وقلب المومن بين
اصبعين من اصابع الرحمن اي بين تجاذب هذين الحزبين وهو الغالب اعني التقلب والانتقال
من حزب الى حزب **اما** الثبات على الدوام مع حزب الملائكة او حزب الشيطان فنادر من الجانبين
وهذه الطاعات والمعاصي تظهر من خزاين الغيب الى عالم الشهادة بواسطة خزانة القلب فانه من
خزاين الملكوت وهي اذا ظهرت كانت علامات تعرف ارباب القلوب سابق القضا
فمن خلق للجنة يسرت له اسباب الطاعة ومن خلق للنار يسرت له اسباب المعصية وسلط عليه
اقران السو والقي في قلبه حكم الشيطان فانه بانواع الحمق يغر الحمقى كقوله ان الله رحيم فلا تبالي
وان الناس كلهم ما يخافون الله فلا تخالفهم وان العمر طويل فاصبر حتى تتوب غدا يعدهم ويمنيهم
وما يعدهم الشيطان الا غرورا يعدهم بالتوبة ويمنيهم بالمغفرة فيهلكهم باذن الله تعالى بهذه الحيل
وما يجري مجراها فيوسع قلبه لقبول الغرور ويضيقه عن قبول الحقايق وكل ذلك بقضا من الله
وقدر فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما
يصعد في السما وقال تعالى ان ينصركم الله فلا غالب لكم الاية فهو الهادي والمضل يفعل ما يشا ويحكم
ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضايه خلق الجنة وخلق لها اهلا فاستعملهم بالطاعة وخلق
النار وخلق لها اهلا فاستعملهم بالمعاصي وعرف تعالى الخلق علامة اهل الجنة واهل النار فقال
تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ثم قال هولا في النار ولا ابالي وهولا في الجنة ولا ابالي فتعالى الله
الملك الحق لا يسال عما يفعل وهم يسالون ولنقتصر على هذا القدر اليسير من ذكر عجايب القلب فان
استقصاه لا يليق بعلم المعاملة وانما ذكرنا منه ما يحتاج اليه لمعرفة اغوار علوم المعاملة

واسرارها لينتفع بها من لا يقنع بالظواهر ولا يجتزئ بالقشور عن اللباب بل يتشوق الى معرفة
دقائق الاسباب وفيما ذكرناه كفاية له ومقنع ان شا الله تعالى كمل كتاب شرح
عجايب القلب وهو الكتاب الاول من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم يتلوه كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة امراض
القلب وهو الثاني من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين ان شا الله عز وجل

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم

كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق ومعالجة امراض القلب

الحمد لله الذي صرف الامور بتدبيره وعدل تركيب الخلق فاحسن في تصويره وزين صورة الانسان
بحسن تقويمه وتقديره وحرسه عن الزيادة والنقصان في شكله ومقاديره وفوض تحسين الاخلاق
الى اجتهاد العبد وتشميره واستحثه بتخويفه على تهذيبها وتحذيره وسهل على خواص عباده
تهذيب الاخلاق بتوفيقه وتيسيره وامتن عليهم بتسهيل عسيره والصلوة على محمد عبد الله ونبيه
وحبيبه وصفيه وبشيره ونذيره الذي كان يلوح نور النبوة من اساريره وتستكشف حقيقة الحق
من مخايله وتباشيره وعلى اله واصحابه الذين طهروا وجه الاسلام عن ظلمة الكفر ودياجيره
وحسموا مادة الباطل فلم يتدنسوا بقليله ولا كثيره اما بعد فالخلق الحسن صفة سيد المرسلين
وافضل اعمال الصديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين
والاخلاق السيئة هي السموم القاتلة والمهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذايل
الواضحة والخبائث المبعدة من جوار رب العالمين المنخرطة بصاحبها في سلك الشيطان اللعين
وهي الابواب المفتوحة من القلب الى نعيم الجنان وجوار الرحمن فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام
النفوس الا انه مرض يفوت حيوة الابد واين منه المرض الذي لا يفوت الا حيوة الجسد ومهما اشتدت
عناية الاطبا بضبط قوانين العلاج للابدان وليس في مرضها الا فوت حيوة فانية فالعناية
بضبط قوانين العلاج لامراض القلوب وفيها فوت حيوة باقية اولى وهذا النوع من الطب واجب
تعلمه على كل ذي لب اذ لا يخلو قلب من القلوب عن اسقام لو اهملت تراكمت وترادفت العلل وتظاهرت
فيحتاج العبد الى حاذق في معرفة عللها واسبابها ثم الى التشمر في معالجتها على الجملة من غير تقصير
واصلاحها ومعالجتها هو المراد بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهمالها هو المراد بقوله تعالى
وقد خاب من دساها ونحن في هذا الكتاب نشير الى جمل من امراض القلوب وكيفية القول في معالجتها
على الجملة من غير تفصيل لعلاج خصوص الامراض فان ذلك ياتي في بقية الكتب من هذا الربع وغرضنا

الى نار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة كما ان الاخلاق الجميلة هي الابواب المفتوحة

تانق

الان النظر الكلي في تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجه ونحن نذكر ذلك ونجعل علاج البدن مثالا له ليقرب
من الافهام دركه ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة
ثم بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق ثم بيان تفصيل الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس
ثم بيان العلامات التي بها يعرف مرض القلوب ثم بيان الطريق التي يعرف الانسان به عيوب نفسه
ثم بيان شواهد النقل على ان طريق المعالجة للقلوب بترك الشهوات لا غير ثم بيان علامات حسن
الخلق ثم بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ثم بيان شروط الارادة ومقدمات المجاهدة
فهي احد عشر فصلا تجمع مقاصد الكتاب ؞ **بيان فضيلة حسن الخلق** ومذمة سو الخلق
قال الله سبحانه لحبيبه ونبيه ممتنا عليه ومظهرا نعمته لديه وانك لعلى خلق عظيم قالت عايشة رضي
الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقه القران وقوله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين ثم قال صلى الله عليه وسلم هو ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال صلى الله عليه وسلم اثقل ما يوضع في الميزان حسن خلق وجا رجل الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم من بين يديه فقال يا رسول الله ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل يمينه
فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من قبل شماله فقال ما الدين فقال حسن الخلق ثم اتاه من
ورايه فقال يا رسول الله ما الدين فالتفت اليه وقال اما تفقه هو ان لا تغضب وقيل يا رسول الله
ما الشوم قال سو الخلق وقال رجل لرسول الله اوصني فقال اتق الله حيث كنت قال
زدني قال اتبع السيئة الحسنة قال زدني قال خالط الناس بخلق حسن وسيل رسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الاعمال افضل قال حسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ما حسن الله خلق امرئ وخلقه
فيطعمه النار وقال الفضيل قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم النهار وتقوم الليل وهي
سيئة الخلق توذي جيرانها بلسانها قال لا خير فيها هي من اهل النار وقال ابو الدردا سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخا ولما خلق الله تعالى
الايمان قال اللهم قوني فقواه بحسن الخلق والسخا ولما خلق الله عز وجل الكفر قال اللهم قوني فقواه
بالبخل وسو الخلق وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله استخلص هذا الدين لنفسه ولا يصلح
لدينكم الا السخا وحسن الخلق الا فزينوا دينكم بهما وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن الخلق
خلق الله الاعظم وقيل يا رسول الله اي المومنين افضلهم ايمانا قال احسنهم خلقا وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انكم لن تسعوا الناس باموالكم فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق وقال ايضا سو
الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وعن جرير بن عبد الله قال قال لي رسول الله صلى الله عليه
وسلم انك امرؤ قد حسن الله خلقك فاحسن خلقك وعن البرا بن عازب قال كان النبي صلى الله عليه

بيان حقيقة حسن الخلق

وقال انما بعثت لاتمم محاسن الاخلاق

تمحها

تسعوا

وسلم

احسن الناس وجها واحسنهم خلقا وعن ابي مسعود البدري قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول
اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يكثر الدعا
يقول اللهم اني اسلك الصحة والعافيه وحسن الخلق وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الي واقربكم مني
مجلسا يوم القيمه احاسنكم اخلاقا وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلث من لم تكن فيه او واحدة منهن فلا يعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله عز
وجل او حلم يكف به السفيه او خلق يعيش به في الناس وعن ابي هريره عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال كرم المرء دينه ومروته عقله وحسبه خلقه وعن اسامه بن شريك قال شهدت الاعاريب
يسلون النبي صلى الله عليه وسلم يقولون ما خير ما اعطي العبد قال حسن الخلق وكان من دعايه صلى الله
عليه وسلم في افتتاح الصلاه اللهم اهدني لاحسن الاخلاق ولا يهدي لاحسنها الا انت واصرف عني
سيئها ولا يصرف عني سيئها الا انت وقال انس بينما نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما اذ قال ان
حسن الخلق ليذيب الخطية كما تذيب الشمس الجليد وقال عليه السلام لابي ذر
يا ابا ذر لا عقل كالتدبير ولا حسب كحسن الخلق وعن انس قال قالت ام حبيبة يا رسول الله ارايت
المراة مما يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان الجنه لايهما تكون قال لاحسنهما خلقا
كان عندها في الدنيا يا ام حبيبه ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والاخره وقال صلى الله عليه وسلم ان المسلم
المسدد ليدرك درجة الصايم القايم وفي روايه درجه الصيام في الهواجر وقال عبد الرحمن بن
سمرة كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال اني رايت البارحة عجبا رايت رجلا جاثيا على ركبتيه
وبينه وبين الله عز وجل حجاب فجا حسن خلقه فادخله الله عز وجل وقال انس قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الاخره وشرف المنازل وانه لضعيف
العباده وروي ان عمر رضي الله عنه استاذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نسا من نسا النبي
عليه السلام يكلمنه ويستكثرنه عالية اصواتهن على صوته فلما استاذن عمر ودخل تبادرن
الحجاب ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقال عمر اضحك الله سنك بابي انت وامي يا رسول الله
فقال صلى الله عليه وسلم عجبت لهولا اللاتي كن عندي لما سمعن صوتك تبادرن الحجاب قال عمر فانت كنت
احق ان يهبن يا رسول الله ثم اقبل عليهن عمر فقال اي عدوات انفسهن اتهبنني ولا تهبن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قلن نعم انت اغلظ وافظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ايها يا ابن الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك
وقال صلى الله عليه وسلم سو الخلق ذنب لا يغفر وسو الظن خطيه تفوح وقال صلى الله عليه وسلم
ان العبد ليبلغ من سو خلقه اسفل درك جهنم **الاثار** قال ابن لقمن الحكيم لابيه يا ابت اي

الخصال من الانسان خير قال الدين قال فاذا كانا اثنين قال الدين والمال قال فاذا كانت ثلثا قال
الدين والمال والحيا قال فاذا كانت اربعا قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق قال فاذا كانت خمسا
قال الدين والمال والحيا وحسن الخلق والسخا قال فاذا كانت ستا قال يا بني اذا
اجتمعت الخمس خصال فهو نقي تقي لله عز وجل ولي بري من الشيطان وقال الحسن من سا خلقه
عذب نفسه وقال انس بن مالك ان العبد ليبلغ بحسن خلقه اعلى درجة في الجنه وهو غير عابد
ويبلغ بسو خلقه اسفل درجه في جهنم وهو عابد وقال يحيى بن معاذ في سعه الاخلاق
كنوز الارزاق وقال وهب بن منبه مثل السي الخلق كمثل الفخارة المكسورة لا ترقع ولا تعاد
طينا وقال الفضيل لان يصحبني فاجر حسن الخلق احب الي من ان يصحبني عابد سي الخلق وصحب ابن
المبارك رجل سي الخلق في سفره فكان يحتمل منه ويداريه فلما ان فارقه بكا فقيل له في ذلك
فقال ابكي رحمة عليه فارقته وخلقه معه لم يفارقه وقال الجنيد اربع ترفع العبد الى اعالي
الدرجات وان قل عمله وعلمه الحلم والتواضع والسخا وحسن الخلق وهو كمال الايمان وقال الكتاني
التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف وقال عمر رضي الله عنه خالطوا الناس
بالاخلاق وزايلوهم بالاعمال وقال يحيى بن معاذ سو الخلق سيئة لا تنفع
معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات وسيل ابن عباس رضي الله عنه
ما الكرم قال ما بين الله عز وجل في كتابه ان اكرمكم عند الله اتقاكم قيل له ما الحسب قال احسنكم
خلقا افضلكم حسبا وقيل لكل بنيان اساس وبنيان الاسلام حسن الخلق وقال ابن عطا ما ارتفع من
ارتفع الا بالخلق الحسن ولم ينل احد كماله الا المصطفى صلى الله عليه وسلم واقرب الخلق الى الله عز وجل
السالكون اثاره بحسن الخلق **بيان حقيقه حسن الخلق وسو الخلق** اعلم ان الناس
قد تكلموا في حقيقة الخلق الحسن وانه ماهو وما تعرضوا الحقيقه وانما تعرضوا لثمرته ثم لم
يستوعبوا جميع ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرا في ذهنه ولم يصرفوا
العنايه الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل وعلى الاستيعاب
وذلك كقول الحسن حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى وكف الاذى وقال الواسطي هو ان
لا يخاصم ولا يخاصم من شده معرفته بالله عز وجل وقال شاه الكرماني كف الاذى واحتمال
المؤن وقال بعضهم ان تكون قريبا من الناس وفيما بينهم غريبا وقال الواسطي
مرة هو ارضا الخلق في السرا والضرا وقال ابو عثمن هو الرضا عن الله عز وجل وسيل سهل عن الخلق الحسن
فقال ادناه الاحتمال وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقه وقال مرة ان لا تتهم
مولاك ولا تعصيه في جميع الامور فيما بينك وبين الله تعالى وفيما بينك وبين الخلق وقال

على رضي الله عنه حسن الخلق في ثلث اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسع على العيال وقال الحسين بن منصور هو ان لا يوثر فيك جفا الخلق بعد مطالعتك الحق وقال الخراز ان لا يكون لك همه غير الله فهذا وامثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه ثم ليس محيطا بجميع الثمرات فكشف الغطا عن الحقيقه اولى من نقل الاقاويل المختلفة فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معا يقال فلان حسن الخلق والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصوره الظاهره ويراد بالخلق الصوره الباطنه وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح ونفس مدرك بالبصيره ولكل واحد منهما هيئة وصوره اما قبيحة واما جميله والنفس المدرك بالبصيره اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر ولذلك عظم الله تعالى امره بالاضافه الى نفسه فقال تعالى اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه به على ان الجسد منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى والمراد بالروح والنفس في هذا المقام واحد فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال الجميلة المحموده عقلا وشرعا وسميت الهيئة خلقا حسنا وان كان الصادر منه افعالا سيئة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لان من يصدر منه بذل المال على الندور لحاجة عارضه لا يقال خلقه السخا ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ وانما شرطنا ان يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية لان من تكلف بذل المال او السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخا والحلم فها هنا اربعة امور احدها فعل الجميل والقبيح والثاني القدره عليهما والثالث المعرفه بهما والرابع هيئة النفس بها تميل الى احد الجانبين وتيسر عليه احد الامرين اما الحسن او القبيح وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخا ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لريا وليس عبارة عن القوه لان نسبة القوه الى الامساك والاعطا بل الى الضدين واحد وكل انسان خلق بالفطره قادرا على الاعطا والامساك وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخا وليس عبارة عن المعرفه لان المعرفه تتعلق بالجميل والقبيح جميعا على وجه واحد بل هو عبارة عن المعنى الرابع وهي الهيئة التي بها تستعد النفس لان يصدر منها الامساك او البذل فالخلق اذا عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنه وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقا لا يتم بحسن العينين دون الانف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق فاذا استوت الاركان الاربعه واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوه وقوة العدل بين هذه القوى

٢٩

الثلث اما قوة العلم فحسنها وصلاحها في ان تصير بحيث يسهل بها درك الفرق بين الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الافعال واذا انصلحت هذه القوه حصل منها ثمرة الحكمه والحكمه راس الاخلاق الحسنة وهي التي قال الله تعالى فيها ومن يوت الحكمه فقد اوتي خيرا كثيرا واما قوة الغضب فحسنها في ان يقتصر انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمه وكذلك الشهوه حسنها وصلاحها في ان تكون تحت اشارة الحكمه اعني اشارة الدين والعقل واما قوة العدل فهو في ضبط قوة الغضب والشهوه تحت اشارة العقل والشرع فالعقل منزلته منزلة الناصح المشير وقوة العدل هي القدره ومنزلته منزلة المنفذ الممضي لاشارة العقل والغضب هو الذي تنفذ فيه الاشارة ومثاله مثال كلب الصيد فانه يحتاج الى ان يوذب حتى يكون استرساله وتوقفه بحسب الاشارة لا بحسب هيجان النفس والشهوة مثالها مثال الفرس الذي يركب في طلب الصيد فانه تارة يكون مروضا موذبا وتارة يكون جموحا فمن استوت فيه هذه الصفات واعتدلت فهو حسن الخلق بالاضافه الى ذلك المعنى خاصة كالذي يحسن بعض اجزا وجهه دون بعض وحسن القوه الغضبيه واعتدالها يعبر عنها بالشجاعة وحسن قوة الشهوه واعتدالها يعبر عنها بالعفة فان مالت قوة الغضب عن الاعتدال الى طرف الزيادة سمي تهورا وان مالت الى الضعف والنقصان سمي جبنا وخورا وان مالت قوه الشهوه الى طرف الزياده سمي شرها وان مالت الى النقصان سمي جمودا والمحمود هو الوسط وهو الفضيله والطرفان رذيلتان مذمومتان والعدل اذا فات فليس له طرفان زياده ونقصان بل له ضد واحد وهو الجور واما الحكمه فيسمى افراطها عند الاستعمال في الاغراض الفاسده خبثا وجربزة ويسمى تفريطها بلها والوسط هو الذي يختص باسم الحكمه فاذن امهات الاخلاق واصولها اربعة الحكمه والشجاعه والعفه والعدل ونعني بالحكمه حالة للنفس بها يدرك الصواب من الخطا في جميع الافعال الاختياريه ونعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوه وتحملها على مقتضى الحكمه وتضبطها في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها ونعني بالشجاعة كون قوه الغضب منقادة للعقل في اقدامها واحجامها ونعني بالعفه تادب قوة الشهوه بتاديب العقل والشرع فمن اعتدال هذه الاصول الاربعه تصدر الاخلاق الجميله كلها اذ من اعتدال قوه العقل يصدر حسن التدبير وجودة الذهن وثقابة الراي واصابة الظن والتفطن لدقايق الاعمال وخفايا افات النفس ومن افراطها تصدر الجربزه والمكر والخداع والدها ومن تفريطها يصدر البله والغماره والحمق والجنون واعني بالغماره قلة التجربه في الامور مع سلامة التخيل وقد يكون الانسان غمرا في شي دون شي

والفرق بين الحمق والجنون ان الاحمق مقصوده صحيح ولكن سلوكه الطريق فاسد فلا تكون له
رويه صحيحه في طريق الوصول الى الغرض واما المجنون فانه يختار ما لا ينبغي ان يختار فيكون
اصل ايثاره واختياره فاسدا واما خلق الشجاعه فيصدر منه الكرم والنجده والشهامه وكسر
النفس والاحتمال والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتوده وامثالها
وهي اخلاق محموده واما افراطها وهو التهور فيصدر منه الصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب
واما تفريطها فيصدر منه المهانه والذلة والجزع والخساسه وصغر النفس والانقباض عن تناول
الحق الواجب واما خلق العفه فيصدر منه السخا والحيا والصبر والمسامحه والقناعه والورع والصيانه
والمساعده والظرف وقلة الطمع واما ميلها الى الافراط والتفريط فيصدر منه الحرص والشره والوقاحه
والخبث والتبذير والتقتير والريا والهتكه والمجانه والعبث والملق والحسد والشماته والتذلل
للاغنيا واستحقار الفقرا وغير ذلك وامهات محاسن الاخلاق هذه الفضايل الاربع
وهي الحكمة والشجاعة والعفه والعدل والباقي فروعها ولم يبلغ كمال الاعتدال في هذه الاربع الا رسول الله
صلى الله عليه وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه فكل من قرب منه عليه السلام في هذه
الاخلاق فهو قريب من الله عز وجل بقدر قربه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من جمع كمال هذه
الاخلاق استحق ان يكون بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في جميع الافعال
ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف باضدادها استحق ان يخرج من بين البلاد والعباد فانه قد
قرب من الشيطان اللعين المبعد فينبغي ان يبعد كما ان الاول قريب من الملك المقرب فينبغي ان يقتدى به
ويتقرب اليه ولم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال عليه السلام
وقد اشار القران الى هذه الاخلاق في اوصاف المومنين فقال تعالى انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله
ثم لم يرتابوا الايه فالايمان بالله تعالى وبرسوله من غير ارتياب ثمرة قوة النفس وهو ثمرة العقل
ومنتهى الحكمه والمجاهدة بالمال هو السخا الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوه والمجاهده بالنفس هي الشجاعه
التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابه رضي
الله عنهم فقال سبحانه اشداء على الكفار رحما بينهم اشارة الى ان للشده موضعا
وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمه بكل حال فهذا بيان معنى الخلق وحسنه وقبحه
وبيان اركانه وثمراته وفروعه **بيان قبول الاخلاق للتغير بطريق الرياضه** اعلم
ان بعض من غلبت البطالة عليه استثقل المجاهدة والرياضة والاشتغال بتزكية النفس وتهذيب
الاخلاق ولم تسمح نفسه بان يكون ذلك لقصوره ونقصه وخبث دخيلته فزعم ان الاخلاق لا يتصور
تغيرها فان الطباع لا تتغير واستدل فيه بامرين احدهما ان الخلق هو صورة الباطن كما ان الخلق

صورة الظاهر والخلقه الظاهره لا يقدر على تغيرها فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا ولا القصير
يقدر على ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر على تحسين صورته فكذلك القبح الباطن يجري
هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهده
وعرفنا ان ذلك من مقتضى المزاج والطبع وانه لا ينقطع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير
فايده فان المطلوب هو قطع التفات القلب الى الحظوظ العاجلة وذلك محال وجوده فنقول لو كانت
الاخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتاديبات ولما قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم وكيف ينكر هذا في حق الادمي وتغير خلق البهيمه ممكن اذ ينقل
الصيد من التوحش الى الانس والكلب من الاكل الى التادب والفرس من الجماح الى السلاسه وكل ذلك
تغير للاخلاق والقول الكاشف للغطا عن ذلك ان نقول الموجودات منقسمه الى ما لا مدخل لاختيار
الادمي في اصله وتفصيله كالسما والكواكب بل اعضا البدن داخلا وخارجا من سائر اعضا الحيوانات
وبالجمله كلما هو حاصل كامل وقع الفراغ في وجوده وكماله والى ما وجد وجودا ناقصا وجعل فيه قوة
قبول الكمال بعد ان وجد شرطه وشرطه قد يرتبط باختيار العبد فان النواة ليست بتفاح ولا نخل الا
انها خلقت خلقة يمكن ان تصير نخلة ان انضاف اليه التربية ولا تصير تفاحا اصلا ولا بالتربيه
فاذا صارت النواة متاثرة بالاختيار حتى يقبل بعض الاحوال دون بعض وكذلك الغضب والشهوه
لو اردنا قمعهما وقهرهما بالكليه حتى لا يبقى لهما اثر لم نقدر عليه اصلا ولو اردنا سلاستهما وقهرهما
بالرياضة والمجاهده قدرنا عليه وقد امرنا بها وصار ذلك سبب نجاتنا ووصولنا الى الله تعالى نعم
الجبلات مختلفه بعضها سريعة القبول وبعضها بطيئة القبول ولاختلافها سببان احدهما قوة
الغريزه في اصل الجبلة وامتداد مدة الوجود فان قوة الشهوه والغضب والفكر موجود من الانسان
ولكن اصعبها امرا واعصاها على التغيير قوة الشهوة فانها اقدم وجودا اذ الصبي في مبدا الفطرة يخلق
له الشهوه قوة التمييز والسبب الثاني ان الخلق قد يتاكد بكثرة العمل بمقتضاه والطاعه له باعتقاد
كونه حسنا ومرضيا والناس فيه على اربع مراتب **الاول** ان الانسان الغفل الذي لا يميز بين الحق
والباطل والجميل والقبيح بل بقي كما فطر عليه خاليا عن جميع الاعتقادات ولم تتم ايضا شهوته
باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج جدا فلا يحتاج الا الى معلم مرشد والى باعث من نفسه يحمله
على المجاهده فيحسن خلقه في اقرب زمان **والثاني** ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل
الصالح بل زين له سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء الشهوه
عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول اذ تضاعفت الوظيفه عليه اذ عليه قلع ما
رسخ في نفسه من كثرة التعود للفساد والاخر ان يغرس في نفسه صفة التعود للصلاح ولكنه بالجمله

للصلاح

محل قابل للرياضة ان انتهض لها بجد وتشمر وحزم **الثالث** ان يعتقد في الاخلاق القبيحة
انها الواجبة المستحسنة وانه حق وجميل وتربى عليه فهذا تكاد تمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه
الا على الندور وذلك لتضاعف اسباب الضلال **والرابع** ان يكون مع وفور نشوه على الراى
الفاسد وتربيته على العمل به يرى الفضيلة في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهى به ويظن
ان ذلك يرفع قدره وهذا هو اصعب المراتب وفي مثله قيل من التعذيب تهذيب الذيب والاول
جاهل فقط والثاني جاهل وضال فقط والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير
واما الخيال الاخر وهو ان الادمى ما دام حيا فلا ينقلع عنه الغضب والشهوة وحب الدنيا وساير هذه
الاخلاق فهذا غلط وقع لطايفة ظنوا ان المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها
فان الشهوة خلقت لفايدة وهي ضرورية في الجبلة ولو انقطع شهوة الطعام لهلك الانسان ولو
انقطع الوقاع لانقطع النسل ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الانسان عن نفسه ما يهلكه ولهلك
ومهما بقي اصل الشهوة فيبقى لا محالة حب المال الذي يوصله الى الشهوة حتى يحمل ذلك على امساك المال
وليس المطلوب اماطة ذلك بالكلية بل المطلوب ردها الى الاعتدال الذي هو وسط بين الافراط والتفريط
فالمطلوب في صفة الغضب حسن الحمية وذلك بان يخلو عن التهور وعن الجبن
جميعا وبالجملة ان يكون في نفسه قويا ومع قوته منقادا للعقل ولذلك قال الله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وصفهم بالشدة وانما تصدر الشدة عن الغضب ولو بطل الغضب لامتنع جهاد الكفار
وكيف يقصد قلع الغضب والشهوة بالكلية والانبياء عليهم السلام لم ينفكوا عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر وكان يتكلم بين يديه بما يكرهه فيغضب
حتى تحمر وجنتاه ولكن لا يقول الا حقا وكان الغضب لا يخرجه عن الحق وقال تعالى والكاظمين الغيظ
والعافين عن الناس ولم يقل الفاقدين الغيظ ورد الغضب والشهوة الى الاعتدال بحيث لا يقهر العقل
ولا تغلبه بل يكون العقل هو الضابط له والغالب عليه ممكن وهو المراد بتغيير الخلق
فانه ربما تستولى الشهوة على الانسان بحيث لا يقوى عقله على دفعها عن الانبساط الى الفواحش
وبالرياضة تعود الى حد الاعتدال فدل ان ذلك ممكن والتجربة والمشاهدة تدل على ذلك دلالة
لا شك فيها والذي يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين ان السخاء خلق مطلوب
شرعا وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله تعالى عليه فقال والذين اذا انفقوا
لم يسرفوا ولم يقتروا الاية وقال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الاية وكذلك المطلوب في
شهوة الطعام الاعتدال دون الشره والجمود وقال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب
اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خير الامور اوساطها وهذا له

والجمود

شر وتحقيق

شر وتحقيق وهو ان السعادة منوطة بسلامة القلب عن عوارض هذا العالم قال الله تعالى الا من اتى
الله بقلب سليم والبخل من عوارض الدنيا والجود ايضا من عوارض الدنيا وشرط القلب ان يكون
سليما منهما اى لا يكون ملتفتا الى المال فلا يكون حريصا على امساكه ولا حريصا على انفاقه فان
الحريص على الانفاق مصروف القلب الى الانفاق كما ان الحريص على الامساك مصروف القلب اليه وكان كمال
القلب بان يصفو عن الوصفين جميعا واذا لم يكن ذلك في الدنيا طلبنا ما هو الاشبه لعدم الوصفين
والابعد عن الطرفين وهو الوسط فان الفاتر لا حار ولا بارد وهو وسط بينهما فكانه خال عن الوصفين
فكذلك السخا بين التبذير والتقتير والشجاعة بين الجبن والتهور والعفة بين الشره
والجمود وكذلك ساير الاخلاق فكلا طرفي قصد الامور ذميم فهذا هو المطلوب وهو ممكن جدا نعم
يجب على الشيخ المرشد للمريد ان يقبح عنده الغضب راسا وامساك المال راسا ولا يرخص
له في شيء منه لانه لو رخص في ادنى شيء منه اتخذ ذلك عذرا في استبقاء بخله وغضبه وظن انه القدر
المرخص منه واذا قصد قلع الاصل وبالغ فيه لم يتيسر له الا كسر سورته بحيث يعود الى الاعتدال
فالصواب له ان يطلب قلع الاصل حتى يتيسر له القدر المقصود فلا يكشف
هذا السر للمريد فانه موضع غرور الحمقى اذ يظن بنفسه ان غضبه بحق وان امساكه بحق

بيان السبب الذي به ينال حسن الخلق على الجملة قد عرفت ان حسن الخلق يرجع الى
اعتدال قوة العقل بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع
وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهى وكمال فطرى بحيث يخلق الانسان ويولد
كامل العقل حسن الخلق قد كفى سلطان الشهوة والغضب بل خلقتا معتدلتين منقادتين للعقل
والشرع فيصير بغير تعلم عالما وبغير تاديب مؤدبا كعيسى بن مريم ويحيى بن زكريا وكذا ساير الانبيا
صلوات الله عليهم اجمعين ولا يبعد ان يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكتساب فرب صبى خلق
صادق اللهجة سخيا جريا وربما يخلق بخلافه فيحصل ذلك فيه بالتعود ومخالطة المتخلقين بهذه
الاخلاق وربما يحصل بالتعلم والوجه الثاني لاكتساب هذه الاخلاق المجاهدة والرياضة واعنى بها
حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب فمن اراد مثلا ان يحصل لنفسه خلق الجود
فطريقه ان يتكلف تعاطى فعل الجواد وهو بذل المال فلا يزال يواظب عليه تكلفا مجاهدا
نفسه فيه حتى يصير ذلك له طبعا ويتيسر عليه فيصير نفسه جوادا وكذا من اراد ان يحصل
لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه التكبر فطريقه ان يواظب على افعال المتواضعين مدة مديدة
وهو فيها مجاهد نفسه ومتكلف الى ان يصير ذلك له خلقا وطبعا فيتيسر عليه وجميع الاخلاق
المحمودة شرعا تحصل بهذا الطريق وغايتها ان يصير الفعل الصادر منه لذيذا فالسخى هو الذي

بخيله

مشادها

يستلذ ببذل المال دون الذي يبذله عن كراهة والمتواضع هو الذي يستلذ التواضع ولن ترسخ
الاخلاق الدينية في النفس ما لم يتعود جميع العادات الحسنة ولم يترك جميع العادات
السيئة ولم يواظب عليها مواظبة يشتاق الى الافعال الجميلة ويتنعم بها ويكره الافعال القبيحة ويتألم
بها كما قال صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة ومهما كانت العادات وترك
المحظورات مع كراهة واستثقال فهو لنقصان ولا ينال كمال السعادة به نعم المواظبة عليه بالمجاهدة
خير ولكن بالاضافة الى تركه لا بالاضافة الى فعله عن طوع ولذلك قال الله تعالى وانها لكبيرة الا على
الخاشعين وقال عليه السلام اعبد الله في الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير ثم لا يكفي
في نيل السعادة الموعودة على حسن الخلق استلذاذ الطاعة واستكراه المعصية في زمان دون زمان
بل ينبغي ان يكون كذلك على الدوام وفي جملة العمر وكلما كان العمر اطول كانت الفضيلة ارسخ واكمل
ولذلك لما سئل صلى الله عليه وسلم عن السعادة قال طول العمر في طاعة الله ولذلك كره الانبياء والاولياء
الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وكلما كانت العبادات اكثر بطول العمر كان الثواب اجزل والنفس ازكى
واطهر والاخلاق اقوى وارسخ وانما مقصود العبادات تأثيرها في القلب وانما يتأكد آثارها بكثرة المواظبة
على العبادات وغاية هذه الاخلاق ان ينقلع عن النفس حب الدنيا ويترسخ فيها حب الله تعالى فلا يكون
شيء احب اليه من لقاء الله تعالى فلا يستعمل جميع ما له الا على الوجه الذي يوصله اليه وغضبه وشهوته
من المسخرات له فلا يستعملها الا على الوجه الذي يوصله الى الله تعالى وذلك بان يكون موزونا بميزان
الشرع والعقل ثم يكون بعد ذلك فرحا به وملتذا ولا ينبغي ان يستبعد مصير الصلوة
قرة عين ومصير العبادات لذيذة فان العادة تقتضي في النفس عجائب اعجب من ذلك فانا نرى
الملوك والمتنعمين في احزان دائمة ونرى المقامر المفلس قد يغلب عليه من اللذة والفرح
بقماره وما هو فيه ما يستثقل معه فرح الناس بغير القمار مع ان القمار ربما سلب ماله وخرب داره
وتركه مفلسا ومع هذا فهو يحبه ويلتذ به وذلك لطول الفه وصرف نفسه اليه مدة وكذلك
اللاعب بالحمام قد يقف طول نهاره في حر الشمس قائما على رجليه وهو لا يحس بالمه لفرحه بالطيور
وحركاتها وطيرانها وتحلقها في جو السماء بل نرى الفاجر العيار يفتخر بما يلقاه من الضرب والقطع
والصبر على السياط وعلى ان يتقدم به الى الصلب وهو مع ذلك متبجح بنفسه وبقوته في الصبر
على ذلك بل يرى ذلك فخرا لنفسه حتى يقطع الواحد منهم اربا اربا على ان يقر بما تعاطاه او تعاطى
غيره فيصر على الانكار ولا يبالي بالعقوبات فرحا بما يعتقده كمالا وشجاعة ورجولية فقد
صارت احواله مع ما فيه من النكال قرة عينه وسبب افتخاره بل لا حالة اخس ولا اقبح من
حال المخنث في تشبهه بالاناث في نتف الشعر ووشم الوجه ومخالطة النساء وترى المخنث في
فرح بحاله وافتخاره بكماله في تخنثه يتباهى به مع المخنثين حتى يجري بين الحجامين والكناسين
التفاخر والمباهاة كما يجري بين الملوك والعلماء وكل ذلك نتيجة العادة والمواظبة على نمط واحد
على الدوام مدة مديدة والزم المواظبة عليه بل ميل النفس الى هذه الامور الشنيعة خارج عن
الطبع يضاهي الميل الى اكل الطين وقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة فاما ميلها الى الحكمة
وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل الى الطعام والشراب فهو مقتضى طبع القلب فانه امر
رباني وميله الى مقتضيات الشهوات غريب من ذاته وعارض على طبعه وانما
غذاء القلب الحكمة والمعرفة وحب الله تعالى ولكن انصرف عن مقتضى طبعه لمرض حل به كما يحل
المرض بالمعدة فلا تشتهي الطعام والشراب وهما سبب حيوتها فكل قلب مال الى حب شيء سوى حب
الله تعالى فلا ينفك عن مرض بقدر ميله الا اذا احب ذلك الشيء لكونه معينا له على حب الله تعالى
وعلى دينه فعند ذلك لا يدل ذلك على المرض فاذن عرفت بهذا قطعا ان هذه الاخلاق الجميلة
يمكن اكتسابها بالرياضة وهي تكلف الافعال الصادرة عنها ابتداء لتصير طبعا انتهاء وهذا من عجيب
العلاقة بين القلب والجوارح اعني النفس والبدن فان كل صفة تظهر في القلب يفيض اثرها على
الجوارح حتى تتحرك لا محالة على وفقها وكل فعل يجري على الجوارح فانه يرتفع منه اثر الى القلب
والامر فيه دور ويعرف ذلك بمثال وذلك ان من اراد ان يصير الحذق في الكتابة له صفة نفسية
حتى يصير كاتبا بالطبع فلا طريق له الا ان يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب
عليه مدة طويلة وهو حكاية الخط الحسن فان فعل الكاتب هو الخط الحسن فيتشبه بالكاتب
تكلفا ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير ذلك صفة راسخة في نفسه فيصدر منه بالاخرة
الخط الحسن طبعا كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفا فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسنا
ولكن الاول بتكلف الا انه ارتفع منه اثر الى النفس ثم انحط من النفس اثر الى الجارحة فصار
يكتب الخط الحسن طبعا وكذلك من اراد ان يصير فقيه النفس فلا طريق له الا ان يتعاطى
افعال الفقهاء وهو التكرار للفقه حتى تنعطف منه على قلبه صفة الفقه فيصير فقيه النفس
فكذلك من اراد ان يصير سخيا عفيفا حليما متواضعا فيلزمه ان يتعاطى افعال هؤلاء تكلفا حتى
تصير له بالعادة طبعا ولا علاج له الا ذلك وكما ان طالب فقه النفس لا ييأس من هذه الرتبة
بتعطيل ليلة ولا ينالها بتكرار ليلة وكذلك طالب تزكية النفس وتكميلها وتحليتها بالاخلاق
الحسنة لا ينالها بعبادة يوم ولا يحرم عنها بعصيان يوم وهو معنى قولنا ان الكبيرة الواحدة
لا توجب الشقاوة المؤبدة ولكن العطلة في يوم واحد تدعو الى مثلها ثم تتداعى قليلا قليلا
حتى تأنس النفس بالكسل وتهجر التحصيل راسا فتفوته فضيلة الفقه فكذلك صغائر

بعضها الى بعض حتى يفوز اهل السعاده بهدم اصل الايمان عند الخاتمه وكما ان تكرار ليله لا تحس
تاثره في تقويه النفس بل يظهر فقه النفس شيئا فشيئا على التدريج مثل نمو البدن وارتفاع
القامه فكذلك الطاعه الواحده لا يحس تاثرها في تزكيه النفس وتطهيرها في الحال ولكن
لا ينبغي ان يستهان بقليل الطاعات فان الجمله الكثيره منها موثره وانما اجتمعت الجمله من الاحاد
فلكل واحد تاثير فما من طاعه الا ولها اثر وان خفي فلها لا محاله ثواب لان الثواب بازاء الاثر وكذلك
المعصيه وكم من فقيه يستهين بتعطيل يوم وليله وهكذا على التوالي يسوف نفسه يوما بعد يوما الى
ان يخرج طبعه عن قبول الفقه وكذا من يستهين بصغاير المعاصي ويسوف نفسه بالتوبه
على التوالي اما ان يختطفه الموت بغته او تتراكم ظلمه الذنوب على قلبه ويتعذر عليه التوبه اذ القليل
يدعو الى الكثير ويصير القلب مقيدا بسلاسل الشهوات لا يمكن تخليصه من مخالبها وهو المعنى
بانسداد باب التوبه وهو المراد بقوله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن
خلفهم سدا الايه ولذلك قال علي عليه السلام ان الايمان يبدو في القلب نكتة بيضا كلما ازداد الايمان
ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق يبدو في القلب لمعه
سودا كلما ازداد النفاق ازداد ذلك السواد فاذا استكمل النفاق اسود القلب كله فاذن قد نكتة
عرفت ان الاخلاق الحسنة تاره تكون في الطبع والفطره وتاره باعتياد الافعال الجميله وتاره
بمشاهده ارباب الافعال الجميله ومصاحبتهم وهم قرنا الخير واخوان الصلاح اذ الطبع يسرق من
الطبع الشر والخير جميعا فمن تظاهرت في حقه الجهات الثلث حتى صار ذا فضيله طبعا واعتيادا
وتعلما فهو في غاية الفضيلة ومن كان رذلا بالطبع واتفق له اقران السو فتعلم وتيسر له اسباب
الشر حتى يعود فهو في غايه البعد من الله تعالى وبين الرتبتين من اختلفت فيه هذه الجهات
ولكل درجه في القرب والبعد بحسب ما تقتضيه صفته وحاله ومن يعمل مثقال ذره خيرا يره ومن
يعمل مثقال ذره شرا يره وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون بيان تفصيل الطريق الى

تهذيب الاخلاق

قد عرفت ان الاعتدال في الاخلاق هو صحه في النفس والميل
عن الاعتدال سقم ومرض فيه وكما ان الاعتدال في مزاج البدن هو صحه له والميل عن الاعتدال
مرض فيه فلنتخذ البدن مثلا فنقول مثل النفس في علاجها بمحو الرذايل والاخلاق الرديه
عنها وكسب الفضايل والاخلاق الجميله لها مثال البدن في علاجه بمحو العلل وكسب الصحه
اليها فكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال وانما تعتري العله المغيره بعوارض الاغذيه
والاهويه والاحوال فكذلك كل مولود يولد معتدلا صحيحا على الفطره فابواه يهودانه وينصرانه
ويمجسانه اي بالتعويد والتعليم يكتسب الرذايل وكما ان البدن في الابتدا لا يخلق كاملا وانما يكمل

ويقوى بالنشو والتربيه بالغذا وكذلك النفس تخلق ناقصه قابله للكمال وانما تكمل بالتزكيه وتهذيب
الاخلاق والتغذيه بالعلم وكما ان البدن ان كان صحيحا فشان الطبيب تمهيد القانون الحافظ
للصحه وان كان مريضا فشانه جلب الصحه اليه فكذا النفس منك ان كانت زكيه
طاهره مهذبه الاخلاق فينبغي ان تسعى لحفظها وحفظ صفتها وجلب مزيد قوه اليها واكتساب
زياده صفايها وان كانت عديمه الكمال والصفا فينبغي ان تسعى لجلب ذلك وكما ان العله المغيره لاعتدال
البدن الموجبه للمرض لا تعالج الا بضدها ان كانت من حراره فالبروده وان كانت من بروده
فالحراره فكذا الرذيله التي هي مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخا بالتسخي
ومرض التكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من احتمال مراره الدوا
وشده الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضه فلا بد من احتمال مراره المجاهده تكلفا
والصبر لمداواه مرض القلب بل اولى فان مرض البدن يخلص منه بالموت ومرض القلب والعياذ بالله عذاب
يدوم بعد الموت ابد الاباد وكما ان كل مبرد لا يكفي لعله سببها الحراره الا اذا كان على حد مخصوص ويختلف
ذلك بالشده والضعف والدوام وعدمه وبالكثره والقله ولا بد له من معيار يعرف مقدار النافع
منه فان لم يحفظ معياره زاد الفساد فكذلك النقيض التي تعالج به الاخلاق لا بد له من معيار وكما
ان معيار الدوا ماخوذ من معيار العله حتى ان الطبيب لا يعالج ما لم يعرف ان العله من حراره او بروده وان
كانت من حراره فيعرف درجتها اهي ضعيفه ام قويه فاذا عرف التفت الى احوال البدن واحوال ذكر
الزمان وصناعه المريض وسنه وساير احواله ثم يعالج بحسبها فكذلك الشيخ المتبوع الذي
يطبب نفوس المريدين ويعالج قلوب المسترشدين ينبغي ان لا يهجم عليهم بالرياضه
فكما ان الطبيب لو عالج جميع المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم وكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط
واحد من الرياضه اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله وسنه ومزاجه
وما تحتمله نفسه من الرياضه ويبني عليه رياضته فان كان المريد مبتديا جاهلا بحدود الشرع
فيعلمه اولا الطهاره والصلوه وظواهر العبادات وان كان مشغولا بمال حرام
او مقارفا لمعصيه فيامره اولا بتركها فاذا تزينت بالعبادات ظواهره وطهرت عن المعاصي الظاهره
جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان راى معه مالا
فاضلا عن قدر ضرورته اخذه منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه منه حتى لا يلتفت اليه فان
راى الرعونه والكبر وعزه النفس غالبه عليه فيامره بان يخرج الى السوق للكديه والسوال
فان عزه الرياسه لا تنكسر الا بالذل ولا ذل اعظم من ذل السوال فيكلفه بالمواظبه على ذلك مده
حتى ينكسر كبره وعزه فان الكبر من الامراض المهلكه وكذا الرعونه وان راى الغالب عليه النظافه

في البدن والثياب وراى قلبه مايلا اليه فرحا به ملتفتا اليه ان يستخدمه في تعهد بيت الما وتنظيفه
وكنس المواضع القذرة وملازمة المطبخ وموضع الدخان حتى تتشوش اليه رعونته في النظافه
فان الذين ينظفون ثيابهم ويزينونها ويطلبون المرقعات الرفيعة والسجادات
الملونه لا فرق بينهم وبين العروس التي تزين نفسها طول النهار ولا فرق بين ان يعبد الانسان
نفسه او يعبد صنما فمهما عبد غير الله فقد حجب عن الله ومن راعى في ثوبه شيا غير كونه حلالا
وطاهرا مراعاة يلتفت اليها قلبه فهو مشغول بنفسه ومن لطايف الرياضة ان النفس اذا كانت لا
تسخو بترك الرعونه راسا او بترك صفة اخرى ولم تسمح بضدها دفعه فينبغي ان ينتقل من
الخلق المذمومة الى مذموم اخر اخف منه كالذي يغسل الدم بالبول ثم يغسل البول بالما اذا كان
الما لا يزيل الدم كذلك يرغب الصبي في المكتب بالكرة والصولجان ثم ينقله من اللعب الى الزينه وفاخر الثياب
ثم ينقله من ذلك في الترغيب في الرياسه وطلب الجاه ثم ينقله عن الجاه بالترغيب في الاخره فكذلك
من لم تسمح نفسه بترك الجاه دفعة فلينتقل الى جاه اخف مما هو فيه وكذلك ساير الصفات
وكذلك ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم وتقليل الطعام اولا ثم كلفه ان يهيّا الاطعمه
ويتعود الصبر ويكسر شرهه وكذلك اذا راه شابا متشوقا الى النكاح وهو عاجز عن النكاح
فيامره بالصوم وربما لا يسكن ذلك شهوته فيامره بان يفطر ليلة على الما دون الخبز وليله على
الخبز دون الما ويمنعه اللحم والادم راسا حتى تذل له نفسه وتنكسر شهوته ولا علاج في مبادي
الارادة انفع من الجوع وان راى الغضب غالبا عليه الزمه الحلم والسكوت وسلط
عليه من يصحبه ممن فيه سوء خلق ويامره بخدمة من سا خلقه ويمرن نفسه
على الاحتمال فقد كان بعضهم يعود نفسه الحلم ويزيل عن نفسه شدة الغضب فكان يستاجر من
يشتمه على ملا من الناس ويكلف نفسه الصبر ويكظم غيظه حتى صار الحلم عادة له بحيث كان
يضرب به المثل وكان بعضهم يستشعر في نفسه الجبن وضعف القلب واراد ان يحصل لنفسه خلق
الشجاعه فكان يركب البحر في الشتا عند اضطراب الامواج وعباد الهند يعالجون الكسل
بالقيام طول الليل على هيئة واحدة وبعض الشيوخ في ابتدا ارادته كان يكسل نفسه فالزم
نفسه القيام على راسه طول الليل لتسمح بالقيام على الرجل عن طوع وعالج بعضهم حب المال
بان باع جميع ماله ورماه في البحر اذ خاف من تفرقته على الناس رعونة الجود وريا البذل فهذه
الامثله تعرفك طريق المعالجه للقلوب فليس غرضنا ذكر دوا كل مرض فان ذلك سياتي
في بقية الكتب وانما الغرض الان التنبيه على ان الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضاده
لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد جمع الله تعالى جميع ذلك في كلمة واحده فقال تعالى ونهى

النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والاصل المهم في المجاهدة الوفا بالعزم فاذا عزم على ترك
شهوه فقد تيسرت اسبابها ويكون ذلك من الله عز وجل ابتلا واختبارا فينبغي ان يصبر
ويستمر فانه ان عود نفسه ترك العزم الفت ذلك وفسدت واذا اتفق منه نقض عزم فينبغي
ان يلزم نفسه عقوبة عليه كما ذكرناه في معاقبة النفس من كتاب المراقبه واذا لم يخوف
النفس بعقوبه غلبته وحسنت عنده تناول الشهوة وتفسد به الرياضة بالكليه بيان
علامات مرض القلب وعلامات عوده الى الصحه كما ان كل عضو من اعضا البدن خلق لفعل
خاصية فانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى لا يصدر منه اصلا او يصدر منه نوع
من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر عليه البطش ومرض العين ان يتعذر عليه الابصار فكذلك
مرض القلب بان يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة والمعرفة وحب الله
تعالى وعبادته والتلذذ به وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات
والاعضا عليه قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ففي كل عضو
فايدة وفايدة القلب الحكمة والمعرفة وخاصية النفس التي للادمي ما يتميز به عن البهايم ولم
يتميز عنها بالقوة على الاكل والوقاع او الابصار او غيرها بل بمعرفة الاشيا على ما هي عليه واصل الاشيا
وموجدها ومخترعها الذي جعلها اشيا هو الله تعالى فلو عرف كل شي ولم يعرف الله تعالى فكانه لم
يعرف شيا وعلامة المعرفة المحبه فمن عرف الله تعالى احبه وعلامة المحبة ان لا يوثر عليه الدنيا ولا
غيرها من المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباوكم وابناوكم الايه فمن عنده شي احب اليه
من الله تعالى فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والما وسقطت شهوته عن
الخبز والما فهي مريضة فهذه علامة المرض وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شا الله الا
ان من الامراض ما لا يعرفها صاحبها ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه وان علمه
صعب عليه الصبر على مرارة دوايه فان دواه مخالفة الشهوات وهو نزع الروح وان وجد من نفسه
قوة الصبر عليه لم يجد طبيبا حاذقا يعالجه وان الاطبا هم العلما وقد استولى المرض عليهم والطبيب
المريض قلما يلتفت الى علاجه فلهذا صار الدا عضالا والمرض مزمنا واندرس هذا العلم وانكر
بالكليه طب القلوب وانكر مرضها واقبل الخلق على حب الدنيا وعلى اعمال ظاهرها عبادات وباطنها عادات
ومرايات فهذه علامات اصل المرض فاما علامة عوده الى الصحه بعد المعالجة فهو ان ينظر في العله
التي يعالجها فان كان يعالج دا البخل فانه المهلك المبعد من الله تعالى وانما علاجه ببذل المال وانفاقه
ولكنه قد يبذل المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا دا وكان كمن يعالج البروده
بالحراره حتى تغلب الحراره وهو ايضا دا بل المطلوب الاعتدال بين الحراره والبروده فكذلك

المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية البعد عن الطرفين فان
اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه الخلق المحذور فان كان اسهل عليك والذ
من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك الخلق الموجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه
الذ عندك وايسر عليك من بذله لمستحقه فاعلم ان الغالب عليك خلق البخل فزد في المواظبة
على البذل فان صار البذل على غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك بالحق فقد غلب
عليك التبذير فارجع الى المواظبة على الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل على خلقك
بتيسير الافعال وتعسيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى بذله ولا الى امساكه بل
يصير عندك كالماء فلا تطلب فيه الا امساكه لحاجة محتاج او لا يترجح عندك البذل على الامساك
فكل قلب صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون
سليما عن سائر الاخلاق حتى لا يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى ترتحل النفس عن الدنيا
منقطعة العلائق عنها غير ملتفتة اليها ولا متشوقة الى اسبابها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع
النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة عباد الله من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين وحسن اولئك رفيقا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من
الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز على مثل هذا
الصراط في الاخرة وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد
الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه فلذلك لا ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار
وان كان مثل البرق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا اي الذين
كان قربهم الى الصراط المستقيم اكثر من بعدهم عنه ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد ان يدعو الله
تعالى في كل يوم سبع عشرة مرة في قوله اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين اذ اوجبت الفاتحة في كل
ركعة وراى بعضهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال قد قلت يا رسول الله شيبتني
هود فلم قلت ذلك فقال لقوله تعالى فاستقم كما امرت فالاستقامة على سوا
السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي ان يجتهد الانسان في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة
الاستقامة فكل من اراد النجاة فلا نجاة له الا بالعمل الصالح ولن تصدر الاعمال الصالحة الا عن الاخلاق
الحسنة فليتفقد كل عبد صفاته واخلاقه وليعددها وليشتغل بعلاج واحد واحد على الترتيب

بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه

اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا
بصره بعيوب نفسه فمن كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب امكنه العلاج
ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم يرون القذى في عين غيرهم ولا يرون الجذع في اعينهم فمن

اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربع طرق الاول ان يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس
مطلع على خفايا الآفات ويحكمه على نفسه ويتبع اشارته في مجاهدته وهذا
شان المريد مع شيخه والتلميذ مع استاذه فيعرفه شيخه واستاذه عيوب نفسه ويعرفه طريق
علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده **الثاني** ان يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا
وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ احواله وافعاله فما يكره من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة
والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الاكابر من ائمة الدين كان عمر رضي الله عنه يقول رحم الله امرأ
اهدى الي عيوبي وكان يسال سلمان عن عيوبه فلما قدم عليه قال له ما الذي بلغك عني مما تكرهه
فاستعفى فالح عليه فقال سمعت انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار
وحلة بالليل فقال وهل بلغك غير هذا قال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسال حذيفة ويقول
انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق فهو على
جلالة قدره وعلو منصبه هكذا كانت تهمته لنفسه وكل من كان اوفر عقلا واعلى منصبا كان اقل اعجابا واعظم
اتهاما لنفسه الا ان هذا ايضا قد عز فقل في الاصدقاء من يترك المداهنة فيخبر بالعيب او يترك
الحسد فلا يزيد على قدر الواجب فلا تخلو في اصدقائك عن حسود او صاحب غرض يرى ما ليس
بعيب عيبا او عن مداهن يخفي عنك بعض عيوبك ولهذا كان داود الطائي اعتزل عن الناس
فقيل له لم لا تخالط قال ما اصنع باقوام يخفون عني عيوبي فقد كانت شهوة ذوي الدين ان يتنبهوا
لعيوبهم بتنبيه غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا وابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا
ويكاد يكون هذا مفصحا عن ضعف الايمان فان الاخلاق السيئة حيات وعقارب لداغة ولو نبهنا
منبه على ان تحت ثوبنا عقربا لتقلدنا منه منة وفرحنا به واشتغلنا بابعاد العقرب وقتلها وانما
نكايتها على البدن ويدوم المها يوما فما دونه ونكاية الاخلاق الردية على صميم القلب ويخشى ان تدوم
بعد الموت ابد الآباد او آلافا من السنين ثم انا لا نفرح بمن ينبهنا عليها ولا نشتغل
بازالتها بل نشتغل بمقابلة الناصح بمثله ونقول وانت ايضا تصنع كيت وكيت وتشغلنا العداوة
معه عن الانتفاع بنصحه فيشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها الذنوب
واصل ذلك كله ضعف الايمان فنسال الله تعالى ان يعرفنا رشدنا ويبصرنا بعيوب انفسنا ويشغلنا
بمداواتها ويوفقنا للقيام بشكر من يطلعنا على مساوينا بمنه وفضله **الطريق الثالث** ان
يستفيد عيوب نفسه من السنة اعدائه فان عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان
بعدو مشاحن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه
عيوبه الا ان الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو

عن الانتفاع بقول اعدائه فان مساويه لا بد ان تنتشر على السنتهم الطريق الرابع ان يخالط
الناس فكلما يراه مذموما فيما بين الخلق فيطالب نفسه وينسب نفسه اليه فان المومن مراة
المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم ان الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد
من الاقران لا ينفك القرن الاخر عن اصله او عن اعظم منه او عن شي منه فيتفقد نفسه ويطهرها
عن كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تاديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا
عن المودب قيل لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته
وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا بصيرا بعيوب النفس مشفقا ناصحا في الدين فارغا عن تهذيب
نفسه مشغولا بتهذيب عباد الله نصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد الطبيب فليلازمه فهذا الذي
يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدده **بيان شواهد النقل من ارباب البصاير**
وشواهد الشرع على ان الطريق في معالجة امراض القلوب ترك الشهوات وان مادة امراضها اتباع الشهوات
اعلم ان ما ذكرناه ان تاملته بعين الاعتبار انفتحت بصيرتك وانكشفت لك علل القلوب وامراضها وادويتها
بنور العلم واليقين فان عجزت عن ذلك فلا ينبغي ان يفوتك التصديق والايمان على سبيل التلقي
والتقليد ممن يستحق التقليد فان للايمان درجة كما ان للعلم درجة والعلم يحصل بعد الايمان وهو
وراه قال الله تعالى يرفع الله الذين امنوا منكم الاية فمن صدق بان مخالفة الشهوات
هو الطريق الى الله تعالى ولم يطلع على سببه وسره فهو من الذين امنوا واذا اطلع على ما ذكرناه من
اغوار الشهوات واسرارها فهو من الذين اوتوا العلم وكلا وعد الله الحسنى والذي يقتضي الايمان بهذا
الامر في القران والسنة واقاويل العلما اكثر من ان يحصى قال تعالى ونهى النفس عن الهوى
فان الجنة هي الماوى وقال تعالى اوليك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنها حب الشهوات
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بين خمس شدايد مومن يحسده ومنافق يبغضه وكافر يقاتله وشيطان
يضله ونفس تنازعه فتبين ان النفس عدو منازع يجب مجاهدتها ويروى ان الله عز وجل
اوحى الى داود عليه السلام يا داود حذر وانذر اصحابك اكل الشهوات فان القلوب المتعلقة بشهوات
الدنيا عقولها عني محجوبة وقال صلى الله عليه وسلم لقوم قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر
الى الجهاد الاكبر فقالوا وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس وقال عليه
السلام المجاهد من جاهد نفسه في الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم كف اذاك عن نفسك ولا تتابع
هواها في معصية الله اذن تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان يغفر الله تعالى ويستر
وقال سفيان الثوري ما عالجت شيئا اشد من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول يا
نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كاني بك بين الجنة

والنار تحبسين الا يا نفس الا تستحين وقال الحسن ما الدابة الجموح باحوج الى اللجام الشديد من
نفسك وقال يحيى بن معاذ الرازي جاهد النفس باسياف الرياضة والرياضة على اربعة اوجه القوت
من الطعام والغمض من المنام والحاجة من الكلام وحمل الاذى من جميع الانام فيتولد من قلة الطعام
موت الشهوات ومن قلة المنام صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الافات ومن احتمال الاذى
البلوغ الى الغايات وليس على العبد شي اشد من الحلم عند الجفا والصبر على الاذى
فاذا تحركت من النفس ارادة الشهوات والاثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها
سيف قلة الطعام من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بايدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم
والانتقام فتامن من بوايقها من بين ساير الانام وتصفيتها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوايل افاتها فتصير
عند ذلك روحانية لطيفة ونورية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير
في مسالك الطاعات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان وقال ايضا اعدا الانسان
ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس
بترك الشهوات وقال بعض الحكما من استولت عليه النفس صار اسيرا في حب شهواتها محصورا في سجن هواها
ومنعت قلبه الفوايد وقال جعفر بن حميد اجمعت العلما والحكما على ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم
وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح بالشهوات فقد غرس في قلبه شجر الندامات
وقال وهيب ما زاد على الخبز فهو شهوة وقال وهيب بن الورد من احب شهوات الدنيا فليتهيا للذل ويروى
ان امراة العزيز قالت ليوسف عليه السلام بعدما ملك خزاين الارض يا يوسف ان الحرص والشهوة صيرا
الملوك عبيدا وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال يوسف قال الله عز وجل انه من يتق ويصبر فان
الله لا يضيع اجر المحسنين وقال الجنيد ارقت ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها
فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف في عباة له مطروح على الطريق
فلما احس بي قال يا ابا القاسم الي الساعة فقلت يا سيدي من غير موعد فقال بلى سالت محرك القلوب
ان يحرك لي قلبك فقلت قد فعل فما حاجتك فقال متى يصير دا النفس دواها فقلت اذا خالفت النفس
هواها فاقبل على نفسه وقال اسمعي فقد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا من الجنيد
قال فانصرف وما عرفته وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد في الدنيا لعلي لا احرمه في الاخرة وقال
رجل لعمر بن عبد العزيز متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت قال فمتى اصمت قال اذا اشتهيت
الكلام وقال علي رضي الله عنه من اشتاق الى الجنة سلا عن الشهوات في الدنيا وكان مالك بن دينار يطوف
في السوق فاذا راى الشي يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي فاذن قد
اتفق العلما والحكما على ان لا طريق الى سعادة الاخرة الا بنهي النفس عن الهوى ومخالفة الشهوات فالايمان

بهذا واجب. وأما علم تفصيل ما يترك من الشهوات وما لا يترك فينكشف بما قدمناه وحاصل
الرياضة وسرها أن لا تتمتع النفس بشيء مما لا يوجد في القبر إلا بقدر الضرورة فيكون مقتصرا من
الأكل والنكاح واللباس والمسكن وكل ما هو مضطر إليه على قدر الحاجة والضرورة فإنه لو تمتع بشيء منه
أنس به وألفه وإذا مات تمنى الرجوع إلى الدنيا ولا يتمنى الرجوع إلى الدنيا إلا من لا حظ له في الآخرة بحال
ولا خلاص عن ذلك إلا بأن يكون القلب مشغولا بمعرفة الله جل وعز وحبه والتفكر فيه والتبتل من الدنيا
على ما يدفع عوائق الفكر والذكر فقط فمن لم يقدر على حقيقة ذلك فليقرب منه فالناس فيه أربعة
رجل استغرق ذكر الله عز وجل قلبه فلا يلتفت إلى الدنيا إلا في ضرورات المعيشة فهو من الصديقين
ولا ينتهي إلى هذه الدرجة إلا بالرياضة الطويلة والصبر عن الشهوات مدة مديدة والثاني من استغرق الدنيا
قلبه فلم يبق لله تعالى ذكر في قلبه إلا من جهة حديث النفس حيث يذكره باللسان وهذا من الهالكين
والثالث رجل اشتغل بالدنيا والدين لكن الغالب على قلبه هو الدين فهذا لا بد من وروده النار إلا أنه
ينجو منها سريعا بقدر غلبة ذكر الله تعالى على قلبه والرابع رجل اشتغل بهما جميعا لكن الدنيا أغلب
على قلبه فهذا يطول مقامه في النار لكن يخرج منها لا محالة لقوة ذكر الله تعالى في قلبه وتمكنه من صميم
فؤاده وإن كان ذكر الدنيا أغلب عليه وربما يقول القائل إن التنعم بالمباح مباح فكيف يكون سبب البعد من
الله عز وجل فهذا خيال ضعيف بل حب الدنيا رأس كل خطيئة والمباح الخارج عن الحاجة من الدنيا أيضا
وسيأتي ذلك في كتاب ذم الدنيا وقد قال إبراهيم الخواص كنت في جبل اللكام فرأيت رمانا
فاشتهيته فأخذت منه واحدا فشققته فوجدته حامضا فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلا مطروحا
قد اجتمع عليه الزنابير فقلت السلام عليك فقال السلام عليك يا إبراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله
لا يخفى عليه شيء منه فقلت أرى لك حالا مع الله فلو سألته أن يحميك من هذه الزنابير فقال أرى لك حالا
مع الله فلو سألته أن يحميك شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير
يجد ألمه في الدنيا فتركته ومضيت وقال السري منذ أربعين سنة تطالبني نفسي أن أغمس جوزة في دبس
فما أطعمتها فإذن لا يمكن إصلاح القلب لسلوك طريق الله تعالى ما لم تمنع النفس عن التنعم بالمباح فإن النفس
إذا لم تمنع بعض المباحات طمعت في المحظورات فمن أراد حفظ لسانه عن الغيبة والفضول فحقه أن
يلزمه السكوت إلا عن المهمات حتى تموت منه شهوة الكلام فلا يتكلم إلا بحق فيكون سكوته عبادة
وكلامه عبادة ومهما اعتادت العين رمي البصر إلى كل شيء جميل لم تتحفظ عن النظر إلى ما لا يحل وكذلك
سائر الشهوات لأن الذي يشتهى به الحلال هو بعينه يشتهى به الحرام فالشهوة واحدة وقد وجب على
العبد منعها عن الحرام فإن لم يتعود الاقتصار على قدر الضرورة في الشهوات غلبته الشهوة فهذه إحدى
آفات المباحات ووراءها آفة هي أعظم من هذه وهو أن النفس تفرح بالتنعم في الدنيا وتركن إليها

وتطمئن بها أشرا وبطرا حتى تصير ثملة فإنه كالسكران الذي لا يفيق من سكره وذلك الفرح بالدنيا سم قاتل
يسري في العروق فيخرج من القلب الخوف والحزن وذكر الموت وأهوال القيامة وهذا هو موت القلب قال
الله تعالى وفرحوا بالحيوة الدنيا وما الحيوة الدنيا إلا متاع الغرور فأولو الحزم من أرباب القلوب جربوا قلوبهم
في حالة الفرح بمواتاة الدنيا فوجدوها قاسية بطرة بعيدة من التأثر بذكر الله تعالى واليوم الآخر
وجربوها في حالة الحزن فوجدوها لينة رقيقة صافية قابلة لأثر الذكر فعلموا أن النجاة في الحزن الدائم
والتباعد من أسباب البطر والفرح ففطموها عن ملاذها وعودوها الصبر عن
شهواتها حلالها وحرامها وعلموا أن حلالها حساب وهو نوع عذاب فمن نوقش الحساب في عرصات
القيمة فقد عذب فخلصوا أنفسهم من عذابها وتوصلوا إلى الحرية والملك في الدنيا والآخرة بالخلاص من أسر
الشهوات ورقها والأنس بذكر الله تعالى والاشتغال بطاعته وفعلوا بها ما يفعل بالبازي إذا
قصد تأديبه ونقله عن توثبه وتوحشه إلى الانقياد والتأدب فإنه يحبس أولا في بيت مظلم وتخاط
عيناه حتى يحصل به الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما كان قد ألفه من طبع الاسترسال ثم يرفق
به باللحم حتى يأنس بصاحبه ويألفه إلفا إذا دعاه أجابه ومهما سمع صوته رجع إليه فكذلك النفس لا
تألف ربها ولا تأنس بذكره إلا إذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة أولا ليحفظ السمع والبصر عن المألوفات
ثم عودت الثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الأنس بذكر الله تعالى عوضا عن الأنس
بالدنيا وسائر الشهوات وذلك يثقل عليه في البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي
يفطم من الثدي وهو شديد عليه إذ كان لا يصبر عنه ساعة فلذلك يشتد بكاؤه وجزعه عند
الفطام ويشتد نفوره عن الطعام الذي يقدم إليه بدلا عن اللبن ولكنه إذا منع اللبن رأسا يوما
ويوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا حتى يصير طبعا له فلو رد إلى الثدي
لم يرجع إليه فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويألف الطعام وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام
والركوب فتحمل على ذلك قهرا وتمنع عن السراح الذي ألفته بالسلاسل والقيود أولا ثم تأنس به بحيث
تترك في موضعها فتقف فيه من غير قيد فكذلك تؤدب النفس كما تؤدب الطيور والدواب وتأديبها
بأن تمنع عن الأشر والبطر والفرح بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت فيقال له أحبب ما أحببت
فإنك مفارقه فإذا علم أنه من أحب شيئا يلزمه فراقه ويشقى لا محالة بفراقه يشغل قلبه بحب ما
لا يفارقه وهو ذكر الله تعالى فإن ذلك يصحبه في القبر ولا يفارقه وكل ذلك يتم بالصبر أياما قلائل
فالعمر قليل بالإضافة إلى مدة حيوة الآخرة وما من عاقل إلا وهو راض باحتمال المشقة في سفر وتعلم
صناعة وغيره شهرا ليتنعم به سنة وكل العمر بالإضافة إلى الأبد أقل من الشهر بالإضافة إلى
عمر الدنيا فلا بد من الصبر والمجاهدة فعند الصباح يحمد القوم السرى وطريق المجاهدة والرياضة لكل

الانسان يختلف بحسب اختلاف احواله والاصل فيه ان يترك كل واحد ما فيه فرحه من اسباب الدنيا
فالذي يفرح بالمال او بالجاه او بالقبول في الوعظ او بالعز في القضا والولاية او بكثرة اتباعه في التدريس
والافادة فينبغي ان يترك اولا ما به فرحه فانه ان منع عن شي من ذلك وقيل له ثوابك في الاخرة لم ينقص
بالمنع فكره ذلك وتالم به فهو ممن فرح بالحيوة الدنيا واطمان اليها وذلك مهلك في حقه ثم اذا ترك
اسباب الفرح فليعتزل الناس ولينفرد بنفسه وليراقب قلبه حتى لا يشتغل الا بذكر الله والفكر فيه
وليترصد لما يتصور في نفسه من شهوة ووسواس حتى يقمع مادته مهما ظهر فان لكل وسوسة سببا يبدو
ولا يزول الا بانقطاع السبب والعلاقة وليلازم ذلك بقية العمر فليس للجهاد آخر
الا الموت والسلام

بيان علامات حسن الخلق

اعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيوب نفسه فاذا
جاهد نفسه ادنى مجاهدة حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه انه قد هذب نفسه وحسن
خلقه واستغنى عن المجاهدة فلا بد من ايضاح علامة حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان
وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله سبحانه صفات المومنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن
الخلق وسوء الخلق فنورد جملة من ذلك لتعلم به حسن الخلق فقد قال تعالى قد افلح
المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله اوليك هم الوارثون وقال سبحانه التايبون العابدون
الى قوله تعالى وبشر المومنين وقال جل وعز انما المومنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اوليك
هم المومنون حقا وقال سبحنه وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى اخر السورة فمن اشكل
عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الايات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق وفقد
جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض فليشتغل بتحصيل ما فقده وحفظ البعض
ما وجده ووصف رسول الله صلى الله عليه وسلم المومن بصفات كثيرة واشار بجميعها الى محاسن الاخلاق
فقال المومن يحب لاخيه ما يحب لنفسه وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره فليكرم ضيفه من كان يومن بالله واليوم الاخر
وقال من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت وذكر ان صفات المومنين هي حسن الخلق
فقال عليه السلام اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا
وقورا فادنوا منه فانه يلقن الحكمة وقال من سرته حسنته وساته سيئته فهو مومن وقال لا يحل
لمومن ان يشير الى اخيه بنظرة توذيه وقال عليه السلام لا يحل لمسلم ان يروع مسلما وقال انما يتجالس
المتجالسون بامانة الله فلا يحل لاحد ان يفشي على اخيه ما يكره وجمع بعضهم علامات حسن الخلق فقال
ان تكون كثير الحيا قليل الاذى كثير الصلاح صدوق اللسان قليل الكلام كثير العمل قليل الزلل قليل الفضول
برا وصولا وقورا صبورا رضيا شكورا حليما رفيقا عفيفا شفيقا لا لعانا ولا سبابا ولا مغتابا ولا نماما
عجولا ولا حقودا ولا بخيلا ولا حسودا هشاشا بشاشا يحب في الله ويبغض في الله ويرضى في الله ويغضب

في الله فهذا هو حسن الخلق وسيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن علامة المومن والمنافق فقال ان المومن
همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم والعبر
المومن مشغول بالفكر والعبر والمنافق مشغول بالحرص والامال والمومن ايس من كل احد الا من الله جل
وعز والمنافق خايف من كل احد الا من الله تعالى والمومن يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم
دينه دون ماله والمومن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك والمومن يحب الوحدة والخلا والمنافق
يحب الخلطة والملا والمومن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمومن يامر وينهى
للسياسة فيصلح والمنافق يامر وينهى للرياسة فيفسد واولى ما يمتحن به حسن الخلق الصبر
على الاذى واحتمال الجفا ومن شكا من سوء خلق غيره دل على سوء خلقه لان حسن الخلق احتمال
الاذى فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمشي ومعه انس فادركه اعرابي فجذبه جذبا
شديدا وكان عليه برد نجراني غليظ الحاشية قال انس حتى نظرت الى عنق رسول الله
صلى الله عليه وسلم قد اثرت فيه حاشية البرد من شدة جذبه ثم قال يا محمد هب لي من مال الله الذي
عندك فالتفت اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك ثم امر باعطايه ولما اكثر اليهود ايذاه وضربه قريش
قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون فلذلك قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم وحكي عن
ابرهيم بن ادهم انه خرج الى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال له انت عبد فقال نعم قال اين
العمران فاشار الى المقبرة فقال الرجل انما اردت العمران فقال هو المقبرة فغاظه ذلك فضرب راسه
بالسوط فشجه شجة موضحة ورده الى البلد فاستقبله اصحابه فقالوا ما هذا فاخبرهم الجندي
فقالوا هذا ابرهيم بن ادهم فنزل الجندي عن دابته فقبل يديه ورجليه وجعل يعتذر اليه فقيل له لم
قلت انا عبد فقال انه لم يسلني انت عبد من بل قال انت عبد فقلت نعم لاني عبد الله فلما ضرب راسي
سالت الله تعالى له الجنة فقيل له انه ظلمك فكيف سالت الله تعالى له الجنة فقال علمت اني اوجر على هذا
فلم احب ان يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر ودعي ابو عثمن الحيري الى دعوة وكان الداعي
يريد تجربته فلما بلغ منزله قال له ليس لي وجه فرجع ابو عثمن فلما ذهب غير بعيد دعاه ثانيا
فقال ارجع على ما يوجب الوقت فلما بلغ الباب قال له مثل مقالته الاولى فرجع ابو عثمن ثم جاه
الثالثة حتى عامله بذلك مرات وابو عثمن لم يتغير فقال انما اردت ان اختبرك فما احسن خلقك
فقال ابو عثمن الذي رايت مني هو خلق الكلب اذا دعي اجاب واذا زجر انزجر وروي
ان ابا عثمن اجتاز في سكة فطرحت عليه اجانة رماد فنزل عن دابته وجعل ينفض الرماد عن ثيابه
ولم يقل شيا فقيل الا زبرتهم فقال ان من استحق النار فصولح على الرماد لم يجز ان يغضب وروي
ان علي بن موسى الرضا كان يميل لونه الى السواد اذ كانت امه سودا وكان في نيسابور على باب داره

حمام وكان اذا دخل الحمام فرغ له الحمام فدخل ذات يوم فاطبق باب الحمام ومر الحمامي الى بعض حوايجه
فتقدم انسان رستاقي الى باب الحمام ودخل ونزع ثيابه فدخل الحمام فراى علي بن موسى رضي الله عنه
فظن انه بعض خدم الحمام فقال قم فاحمل الى الما فقام علي بن موسى وامتثل جميع ما كان يامره ورجع الحمامي
فراى ثياب الرستاقي وسمع كلامه مع علي بن موسى فخاف وهرب وخلاها فلما خرج علي بن
موسى وسال عن الحمامي فقيل انه خاف مما جرى فهرب فقال لا ينبغي ان يهرب انما الذنب عند
من وضع ماءه عند امة سودا وروي ان عبد الله الخياط كان يقعد على دكانه وكان له حريف مجوسي يستعمله
في الخياطة وكان اذا خاط لذلك المجوسي حمل اليه دراهم زيوفا وكان عبد الله ياخذ منه ولا يخبره بذلك
ولا يرده عليه فقضى من القضا ان عبد الله قام من الحانوت لبعض حاجته فتقدم المجوسي الى تلميذه واسترجع
منه ما خاطه ودفع اليه درهما زايفا فلما نظر فيه التلميذ رده عليه فلما عاد عبد الله اخبره بذلك
فقال بيس ما عملت هذا المجوسي يعاملني بهذه المعاملة منذ سنة وانا اصبر عليه واخذ الدرهم والقيه
في البير حتى لا يغر به مسلما وقال يوسف بن اسباط علامة حسن الخلق في عشرة
اشيا قلة الخلاف وحسن الانصاف وترك طلب العثرات وتحسين ما يبدو من السيات والتماس
المعذرة واحتمال الاذى والرجوع بالملامة على نفسه والتفرد بمعرفة عيوب نفسه دون عيوب
غيره وطلاقة الوجه للصغير والكبير ولطف الكلام لمن دونه وفوقه وسيل سهل عن حسن الخلق
فقال ادناه احتمال الاذى وترك المكافاة والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه وقيل
للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم فقال من قيس بن عاصم قيل وما بلغ من حلمه قال
بينما هو جالس في داره اذ جاءته خادمة له بسفود عليه شوا فسقط من يدها فوقع على ابن له فمات
فدهشت الجارية فقال لا روع عليك انت حرة لوجه الله وقيل كان اويس القرني اذا راه الصبيان
يرمونه بالحجارة وهو يقول ان كان ولا بد فارموني بالصغار كي لا تدموا ساقي فتمنعوني من الصلوة
وشتم رجل الاحنف بن قيس وكان يتبعه فلما قرب الحي وقف وقال ان كان يبقى في نفسك شي فقله كي لا
يسمع بعض سفها الحي فيجيبونك وروي ان عليا رضي الله عنه دعا غلاما له فلم يجبه فدعاه ثانيا وثالثا
فلم يجبه فقام اليه فراه مضطجعا فقال اما تسمع يا غلام فقال نعم قال فما حملك على ترك جوابي قال امنت
عقوبتك فتكاسلت فقال امض فانت حر لوجه الله تعالى وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال
يا هذه وجدت اسمي الذي اضله اهل البصرة وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سو لم تمسك
هذا الغلام فقال لاتعلم عليه الحلم فهذه النفوس قد ذللت بالرياضة فاعتدلت
اخلاقها ونقيت عن الغل والغش بواطنها فاثمرت الرضى بكل ما قدره الله وهو منتهى حسن الخلق فان
من يكره فعل الله تعالى ولا يرضى به فهو غاية سو خلقه فهو لا ظهرت العلامات على ظواهرهم كما ذكرناه

فمن لم يصادف من نفسه هذه العلامات فلا ينبغي ان يغتر بنفسه فيظن بها حسن الخلق بل ينبغي ان يشتغل
بالرياضة والمجاهدة الى ان يبلغ درجة حسن الخلق فانها درجة رفيعة لا ينالها الا المقربون
والصديقون

بيان الطريق في رياضة الصبيان في اول النشو ووجه تاديبهم

وتحسين اخلاقهم اعلم ان الصبي امانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهر نفيسة ساذجة خالية (وقلبه)
عن كل نقش وصورة وهو قابل لكل نقش وما يل به الى كلما عايل به اليه فان عود الخير وعلمه نشا عليه
وسعد في الدنيا والاخرة وشاركه في ثوابه ابواه وكل معلم له ومودب وان علم الشر واهمل اهمال البهايم
شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم به والوالي عليه وقد قال تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارا ومهما كان الاب يصونه من نار الدنيا فان يصونه من نار الاخرة اولى وصيانته بان يودبه ويعلمه (ويغذيه)
محاسن الاخلاق ويحفظه من القرنا السو ولا يعوده التنعم ولا يحبب اليه الزينة واسباب الرفاهية
فيضيع عمره في طلبها اذا كبر ويهلك هلاك الابد بل ينبغي ان يراقبه من اول امره فلا يستعمل في حضانته
وارضاعه الا امراة صالحة متدينة تاكل الحلال فان اللبن الحاصل من الحرام لا بركة فيه فاذا وقع عليه
نشو الصبي انعجنت طينته من الخبيث فيميل طبعه الى ما يناسب الخبايث ومهما يرى فيه مخايل
التمييز فينبغي ان يحسن مراقبته واول ذلك ظهور اوايل الحيا فاذا كان يحتشم ويستحي ويترك بعض
الافعال فليس ذلك الا لاشراق نور العقل عليه حتى راى بعض الاشيا قبيحة ومخالفة للبعض فصار (للعقل)
يستحي من شي دون شي وهذه هداية من الله تعالى اليه وبشارة تدل على اعتدال الاخلاق وصفا القلب
وهو مبشر بكمال العقل عند البلوغ فالصبي المستحي ينبغي ان لا يهمل بل يستعان على تاديبه بحيايه وتمييزه
واول ما يغلب عليه من الصفات شره الطعام فينبغي ان يودب فيه مثل ان لا ياخذ الطعام الا بيمينه ويقول
بسم الله عند اخذه ويا كل مما يليه ولا يبادر الى الطعام قبل غيره ولا يحدق الى الطعام والى من ياكل
ولا يسرع في الاكل ويمضغ الطعام مضغا جيدا ولا يوالي بين اللقم ولا يلطخ يده ولا ثوبه وليعود الخبز
القفار في بعض الاوقات حتى لا يصير بحيث يرى الادم حتما ويقبح عنده كثرة الاكل بان يشبه المكثر الاكل (رثيه)
بالبهايم وان يذم بين يديه الصبي الذي يكثر الاكل ويمدح بين يديه الصبي المتادب القليل الاكل ويحبب اليه
الايثار بالطعام وقلة المبالاة به والقناعة بالطعام الخشن اي طعام كان ويحبب اليه من الثياب البيض
دون الملون والابريسم ويقرر عنده ان ذلك شان النسا والمخنثين وان الرجال يستنكفون منه ويكرر (يستنكفون)
عليه ذلك ومهما راى على صبي ثوبا من ابريسم او ملون فينبغي ان يستنكره ويذم ذلك ويحفظ الصبي
عن الصبيان الذين عودوا التنعم والترفه ولبس الثياب الفاخرة وعن مخالطة كل من يسمعه ما
يرغبه فيه فان الصبي اذا اهمل في ابتدا نشوه خرج في الاكثر رديء الاخلاق كذابا حسودا سروقا
نماما ذا فضول ومجانة وانما يحفظ عن جميع ذلك بحسن التاديب ثم ينبغي ان يشغل في المكتب

يتعلم القرآن وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس حب الصالحين في نفسه ويحفظ
عن الأشعار التي فيها ذكر العشق وأهله ويحفظ عن مخالطة الأدباء الذين يزعمون أن ذلك من الظرف
ورقة الطبع فإن ذلك يغرس في قلوب الصبيان بذر الفساد ثم مهما ظهر من الصبي خلق جميل وفعل محمود
فينبغي أن يكرم عليه ويجازى عليه بما يفرح به ويمدح بين أظهر الناس فإن خالف ذلك في بعض الأحوال
مرة واحدة فينبغي أن يتغافل عنه ولا يهتك ستره ولا يكاشفه ولا يظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على
مثله لا سيما إذا ستره الصبي واجتهد في إخفائه فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لا يبالي
بالمكاشفة فعند ذلك فإن عاد فينبغي أن يعاتب سرا ويعظم الأمر فيه ويقال إياك أن يطلع عليك في
مثل هذا فتفتضح بين يدي الناس ولا يكثر القول عليه بالعتاب في كل حين فإنه يهون
عليه سماع الملامة وركوب القبائح ويسقط وقع الكلام من قلبه وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه فلا
يوبخه إلا أحيانا والأم تخوفه بالأب وتزجره عن القبائح وينبغي أن يمنع النوم نهارا فإنه يورث الكسل
ولا يمنع النوم ليلا ولكن يمنع الفرش الوطيئة حتى تتصلب أعضاؤه ولا يسخف بدنه فلا يصبر عن
التنعم بل يعود الخشونة في الفرش والملبس والمطعم وينبغي أن يمنع من كل ما يفعله في خفية فإنه
لا يخفيه إلا وهو يعتقد أنه قبيح فإذا تعود فعل القبيح ويعود في بعض النهار المشي والحركة والرياضة
حتى لا يغلب عليه الكسل ويعود أن لا يكشف أطرافه ولا يسرع المشي ولا يرخي يديه بل يضمهما إلى صدره
ويمنع أن يفتخر على أقرانه بشيء مما يملكه والده أو بشيء من مطاعمه وملابسه ولوحه ودواته ويعود التواضع
والإكرام لكل من عاشره والتلطف في الكلام معهم ويمنع من أن يأخذ من الصبيان شيئا بدا له حشمة إن كان من
أولاد المحتشمين بل يعلم أن الرفعة في العطاء لا في الأخذ وأن الأخذ لؤم وخسة وإن كان من أولاد الفقراء
فيعلم أن الأخذ والطمع مهانة ومذلة وأن ذلك من دأب الكلب فإنه يتبصبص في انتظار لقمة وبالجملة
يقبح إلى الصبيان حب الذهب والفضة والطمع فيهما ويحذر منهما أكثر من التحذير من الحيات والعقارب
فإن آفة حب الذهب والفضة والطمع فيهما أكثر من آفة السموم على الصبيان بل على الأكابر أيضا وينبغي
أن يعود أن لا يبصق في مجلسه ولا يتمخط ولا يتثاءب بحضرة غيره ولا يستدبر غيره ولا يضع رجلا
على رجل ولا يضرب كفه تحت ذقنه ولا يعمد رأسه بساعده فإن ذلك دليل الكسل ويعلم كيفية الجلوس
وينبغي أن يمنع كثرة الكلام ويبين له أن ذلك من الوقاحة وأنه عادة أبناء اللئام ويمنع اليمين رأسا
صادقا وكاذبا حتى لا يتعوده في الصغر ويمنع من أن يبتدئ بالكلام ويعود أن لا يتكلم إلا جوابا وبقدر
السؤال وأن يحسن الاستماع مهما تكلم من هو أكبر سنا منه وأن يقوم لمن فوقه ويوسع له المكان ويجلس
بين يديه ويمنع من لغو الكلام وفحشه ومن اللعن والسب ومن مخالطة من يجري على لسانه شيء
من ذلك فإن ذلك يسري لا محالة من القرناء السوء وأصل تأديب الصبيان الحفظ من قرناء السوء

وينبغي إذا ضربه المعلم أن لا يكثر الصراخ والشغب ولا يستشفع بأحد بل يصبر ويذكر أن ذلك دأب
الشجعان والرجال وأن كثرة الصراخ دأب المماليك والنسوان وينبغي أن يؤذن له بعد الفراغ من المكتب
أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب الأدب بحيث لا يتعب في اللعب فإن منع الصبي من اللعب وإرهاقه
إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاءه وينغص العيش عليه حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا وينبغي
أن يعلم طاعة والديه ومعلمه ومؤدبه وكل من هو أكبر سنا منه من قريب وأجنبي وأن ينظر إليهم بعين
الجلالة والتعظيم وأن يترك اللعب بين أيديهم ومهما بلغ سن التمييز ينبغي أن لا يسامح في ترك الطهارة
والصلاة ويؤمر بالصوم في بعض الأيام من رمضان ويجنب لبس الحرير والذهب ويعلم كل ما يحتاج إليه
من حدود الشرع ويخوف من السرقة وأكل الحرام ومن الكذب والخيانة والفحش وكل ما يغلب على الصبيان
فإذا وقع نشوه كذلك في الصبا فمهما قارب البلوغ أمكن أن يعرف أسرار هذه الأمور فيذكر له أن
الأطعمة أدوية وإنما المقصود منها أن يقوى الإنسان بها على عبادة الله عز وجل وأن الدنيا كلها لا أصل لها
إذ لا بقاء لها وأن الموت يقطع نعيمها وأنها دار ممر لا دار مقر وأن الموت منتظر في كل ساعة وأن الكيس
العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتى يعظم عند الله درجته ويتسع في الجنان نعيمه فإذا كان النشو
صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وإن وقع النشو
بخلاف ذلك حتى ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشره الطعام واللباس والتزين والتفاخر
نبا قلبه عن قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي
أن تراعى فإن الصبي بجوهره خلق قابلا للخير والشر جميعا وإنما أبواه يميلان به إلى أحد الجانبين قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه قال سهل
التستري كنت ابن ثلاث سنين وكنت أقوم بالليل أنظر إلى صلاة خالي محمد بن سوار فقال لي خالي يوما ألا
تذكر الله الذي خلقك فقلت كيف أذكره فقال قل بقلبك عند تقلبك في ثيابك ثلاث مرات من غير أن تحرك
لسانك الله معي الله ناظر إلي الله شاهدي الله حافظي فقلت ذلك ليالي ثم أعلمته فقال قل في
كل ليلة سبع مرات فقلت ذلك ثم أعلمته فقال قل في كل ليلة إحدى عشرة مرة فقلت ذلك فوقع في قلبي حلاوته
فلما كان بعد سنة قال لي خالي احفظ ما علمتك ودم عليه إلى أن تدخل القبر فإنه ينفعك في الدنيا
والآخرة فلم أزل على ذلك سنين أو سبع سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي خبز الشعير اثنتي عشرة سنة
فوجدت له حلاوة في سري ثم قال لي خالي يوما يا سهل من كان الله معه وهو ناظر إليه وشاهده أيعصيه
إياك والمعصية فكنت أخلو فبعثوا بي إلى المكتب فقلت إني لأخشى أن يتفرق علي همي ولكن شارطوا
المعلم أني أذهب إليه ساعة فأتعلم ثم أرجع فمضيت إلى الكتاب وحفظت القرآن وأنا ابن ست سنين أو سبع
سنين وكنت أصوم الدهر وقوتي من خبز الشعير اثنتي عشرة سنة فوقعت لي مسألة وأنا ابن ثلاث عشرة سنة

فسألت أن يبعثوا بي الى البصرة أسأل عنها فجئت البصرة وسألت علماءها فلم يشف عني احد شيئا فخرجت
الى عبادان الى رجل يعرف بابي حبيب حمزة بن عبد الله العباداني فسألته عنها فأجابني فأقمت عنده
مدة انتفع بكلامه واتأدب بآدابه ثم رجعت الى تستر فجعلت قوتي اقتصارا على ان
يشترى لي بدرهم من الشعير الفرق فيطحن ويخبز لي فافطر فكان يكفيني ذلك الدرهم سنة ثم عزمت
على ان اطوي ثلاث ليال ثم افطر ليلة ثم خمسا ثم سبعا ثم خمسا وعشرين ليلة وكنت على ذلك عشرين سنة ثم
خرجت اسيح في الارض سنين ثم رجعت الى تستر وكنت اقوم الليل كله **بيان شروط الارادة**
ومقدمات المجاهدة وتدريج المريد في سلوك سبيل الرياضة **اعلم** ان من شاهد الآخرة بقلبه مشاهدة
يقين اصبح بالضرورة مريدا حرث الآخرة مشتاقا اليها سالكا سبيلها مستهينا بنعيم الدنيا ولذاتها فان
من كان معه خرزة فرأى جوهرة نفيسة لم يبق له رغبة في الخرزة وقويت ارادته في بيعها بالجوهرة ومن ليس
مريدا حرث الآخرة وطالبا لقاء الله عز وجل فهو لعدم ايمانه باليوم الآخر ولست اعني بالايمان حديث القلب
وحركة اللسان بكلمتي الشهادة من غير صدق واخلاص فان ذلك يضاهي قول من صدق بان الجوهر خير
من الخرزة الا انه لا يدري من الجوهر الا لفظه واما حقيقته فلا ومثل هذا المصدق اذا الف الخرزة قد لا
يتركها ولا يعظم اشتياقه الى الجوهر فاذن المانع من الوصول عدم السلوك والمانع من السلوك عدم الارادة
والمانع من الارادة عدم الايمان وسبب عدم الايمان عدم الهداة والمذكرين والعلماء بالله تعالى الهادين
الى طريقه والمنبهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم امر الآخرة ودوامها فالخلق غافلون قد انهمكوا في
شهواتهم وغاصوا في رقدتهم وليس في علماء الدين من ينبههم فان تنبه منهم متنبه عجز عن سلوك الطريق
لجهله فان طلب الطريق من العلماء وجدهم مائلين الى الهوى عادلين عن نهج الطريق فصار ضعف الارادة
والجهل بالطريق ونطق العلماء بالهوى سببا لخلو طريق الله عز وجل عن السالكين ومهما كان المطلوب
محجوبا والدليل مفقودا والهوى غالبا والطالب غافلا امتنع الوصول وتعطلت الطريق لا محالة فان
تنبه متنبه من نفسه او من تنبيه غيره وانبعثت له ارادة في حرث الآخرة وتجارتها فينبغي ان يعلم
ان له شروطا لا بد من تقديمها في بداية الارادة وله معتصم لا بد من التمسك به وله حصن لا بد
من التحصن به ليأمن من الاعداء القطاع لطريقه وله وظائف لا بد من ملازمتها في وقت سلوك
الطريق اما الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد والحجاب
الذي بينه وبين الحق فان حرمان الخلق عن الحق سببه تراكم الحجب ووقوع السد على الطريق قال الله تعالى
وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا الآية والسد بين المريد وبين الحق اربعة المال والجاه
والتقليد والمعصية وانما يرتفع حجاب المال بان يفرقه ويخرجه عن ملكه حتى لا يبقى له الا قدر
ضرورته فما دام يبقى له درهم يلتفت اليه قلبه فهو مقيد به محجوب عن الله تعالى وانما يرتفع حجاب
الجاه بالبعد

الجاه بالبعد عن موضع الجاه وبالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر
قلوب الخلق وانما يرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب للمذاهب وان يصدق
بمعنى قوله لا اله الا الله محمد رسول الله تصديق ايمان ويحرص في تحقيق صدقه بان يرفع كل معبود
له سوى الله تعالى واعظم معبود له الهوى حتى اذا فعل ذلك انكشف له حقيقة الامر في معنى اعتقاده
الذي تلقفه تقليدا فينبغي ان يطلب كشف ذلك من المجاهدة لا من المجادلة فان غلب عليه التعصب
لمذهبه ولم يبق في قلبه متسع لغيره صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء لمذهب
معين اصلا **واما** المعصية فهي حجاب ولا يرفعها الا التوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على
ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى ورد المظالم وارضاء الخصوم فان لم يصحح التوبة ولم يهجر المعاصي
الظاهرة واراد ان يقف على اسرار الدين بالمكاشفة كان كمن يريد ان يقف على اسرار القرآن وتفسيره
وهو لم يتعلم لغة العرب بعد فان ترجمة عربية القرآن لا بد من تقديمها اولا ثم الترقي منه الى اسرار
معانيه وكذا لا بد من تصحيح ظاهر الشريعة اولا وآخرا ثم الترقي الى اسراره واغواره فاذا قدم هذه
الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه كان كمن تطهر وتوضأ ورفع الحدث وصار صالحا للصلاة فيحتاج
الى امام يقتدي به فكذلك المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل
فان سبيل الدين غامض وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان
لا محالة الى طرقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه واهلكها ويكون
المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب وان بقيت مدة واورقت لم تثمر
فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه فليتمسك به تمسك الاعمى على شط البحر بالقائد
بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا يخالفه في ورده ولا صدره ولا يبقي في متابعته شيئا ولا يذر وليعلم
ان نفعه في خطأ شيخه لو اخطأ اكثر من نفعه في صواب نفسه لو اصاب فاذا وجد مثل هذا المعتصم
وجب على معتصمه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهو اربعة امور الخلوة
والصمت والجوع والسهر وهذا تحصن من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه
ويصلح لقربه اما الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب شحم الفؤاد وفي ذوبانه
رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب الحجاب ومهما نقص دم القلب ضاق مسلك
العدو فان مجاريه العروق الممتلئة بالشهوات قال عيسى عليه السلام يا معشر
الحواريين جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى ربكم قال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال
اخماص البطون والسهر والصمت والاعتزال عن الناس ففائدة الجوع في تنوير القلب ظاهر تشهد
له التجربة وسيأتي بيان التدريج فيه في كتاب كسر الشهوتين واما السهر فانه يجلو القلب ويصفيه

وبنوره وبنيا والى الصفا الذي حصل من الجوع وتصير القلب كالكوكب الدري او المرآة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الآخرة وحقارة الدنيا وآفاتها فيتم به رغبته عن الدنيا واقباله على الآخرة والسهر ايضا نتيجة الجوع فان السهر مع الشبع غير ممكن والنوم يقسي القلب ويميته الا اذا كان بقدر الضرورة فيكون سبب المكاشفة لاسرار الغيب فقد قيل في صفة الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة وقال ابرهيم الخواص اجتمع راي سبعين صديقا على ان كثرة النوم من كثرة شرب الماء واما الصمت فانه تسهله العزلة ولكن المعتزل لا يخلو عن مشاهدة من يقوم له بطعام وشراب او تدبير امر فينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل القلب وشره القلب الى الكلام عظيم فيستروح اليه ويستثقل التجرد للذكر والفكر ويستريح اليه فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويعلم التقوى واما الخلوة ففايدته دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز القلب والقلب في حكم حوض انصبت اليه مياه كريهة من انهار الحواس ومقصود الرياضة تفريغ الحوض من تلك المياه ومن الطين الحاصل منها ليتفجر اصل الحوض فيتفجر منه الماء اللطيف الطاهر فكيف يصح ان ينزح الماء من الحوض والانهار مفتوحة اليه فيتجدد في كل حال اكثر مما ينقص فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان مظلم فان لم يكن مكان مظلم فليلف راسه في جيبه او يتدثر بكسا او ازار ففي هذه الحالة يسمع نداء الحق ويشاهد جلال الحضرة الربوبية اما ترى ان نداء رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه وهو على هذه الصفة فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربع جنة وحصن تدفع عنه القواطع وتمنع عنه العوارض القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق فانما سلوكه بقطع العقبات ولا عقبة على طريق الله تعالى الا صفات القلب التي سببها الالتفات الى الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان يشتغل بالاسهل فالاسهل وهي اعني تلك الصفات اسرار العلايق التي قطعها في اول الارادة وآثارها اعني آثار المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الى الخلق والتشوف الى المعاصي فلا بد ان يخلي الباطن عن آثارها كما اخلى الظاهر عن اسبابها الظاهرة وفيه تطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الاحوال فرب شخص يكفى قد كفي اكثر الصفات فلا تطول عليه المجاهدة وقد ذكرنا ان طريق المجاهدة مضادة الشهوة ومخالفة الهوى في كل صفة غالبة على نفس المريد كما سبق ذكره فاذا كفي ذلك او ضعف بالمجاهدة ولم يبق في قلبه علاقة شغله بعد ذلك بذكر يلزم قلبه على الدوام ويمنعه من تكثير الاوراد الظاهرة بل يقتصر على الفرائض والرواتب ويكون ورده وردا واحدا وهو لباب الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالى بعد الخلو من ذكر غيره ولا يشغل به ما دام قلبه ملتفتا الى علايقه قال الشبلي للحصري ان كان يخطر على قلبك من الجمعة الى الجمعة التي تاتي شيء غير الله فحرام عليك ان تاتيني وهذا التجرد لا يتصور الا مع صدق الارادة واستيلاء

حب الله تعالى على القلب حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له الا هم واحد فاذا صار كذلك الزمه الشيخ زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم له بقدر يسير من القوت الحلال فان اصل طريق الدين القوت الحلال وعند ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار حتى يشغل به لسانه وقلبه فيجلس ويقول مثلا الله الله او سبحان الله او ما يراه الشيخ من الكلمات فلا يزال يواظب عليه حتى تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة كانها جارية على اللسان من غير تحريك ثم لا يزال يواظب حتى يسقط الاثر عن اللسان وتبقى صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتى يمحى عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقى حقيقة معناه لازما للقلب حاضرا معه غالبا عليه قد فرغ القلب عن كل ما سواه لان القلب اذا شغل بشيء خلا عن غيره وعند ذلك يلزمه ان يراقب وساوس الشيطان والخواطر التي تتعلق بالدنيا وما يتذكر فيه مما مضى من احواله واحوال غيره فانه مهما اشتغل بشيء منه ولو في لحظة خلا قلبه عن الذكر في تلك اللحظة وكان ذلك نقصانا فليجتهد في دفع ذلك ومهما دفع الوساوس كلها ورد النفس الى هذه الكلمة جاءته الوساوس من هذه الكلمة وانها ما هي وما معنى قولنا الله ولاي معنى كان الها ومعبودا ويعتريه عند ذلك خواطر تفتح عليه باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة ومهما كان كارها لذلك ومتشمرا لاماطته عن القلب لم يضره ذلك وهي منقسمة الى ما يعلم قطعا ان الله تعالى منزه عنه ولكن الشيطان يلقي ذلك في قلبه ويجريه على خاطره فشرطه ان لا يبالي عنه ويفزع الى ذكر الله تعالى ويبتهل اليه ليدفعه عنه كما قال تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون والى ما يشك فيه فينبغي ان يظهر ذلك على شيخه بل كل ما يجد في قلبه من الاحوال من فترة او نشاط او التفات الى علقة او صدق في ارادته فينبغي ان يظهر ذلك لشيخه ويستره عن غيره فلا يطلع عليه احدا ثم ان شيخه ينظر في حاله ويتامل في ذكائه وكياسته فان علم انه لو تركه وامره بالفكر تنبه من نفسه لحقيقة الحق فينبغي ان يحيله على الفكر ويامره بملازمته حتى يقذف في قلبه من النور ما يكشف له حقيقته وان علم ان ذلك مما لا يقوى عليه مثله رده الى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظ وذكر دليل قريب من فهمه وينبغي ان يتانق الشيخ ويتلطف به فان هذه مهالك الطريق ومواقع اخطارها وكم من مريد اشتغل بالرياضة فغلب عليه خيال فاسد لم يقو على كشفه فانقطع عليه طريقه فاشتغل بالبطالة وسلك طريق الاباحة وذلك هو الهلاك العظيم ومن تجرد للفكر ودفع العلايق الشاغلة عن قلبه لم يخل عن امثال هذه الافكار فانه قد ركب سفينة الخطر فان سلم كان من ملوك الدين وان اخطا كان من الهالكين ولذلك قال صلى الله عليه وسلم عليكم بدين العجايز وهو تلقي اصل الايمان وظاهر الاعتقاد بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فان الخطر في العدول عن ذلك كبير ولهذا يجب على الشيخ ان يتفرس

في المريد فان لم يكن ذكيا فطنا متمكنا من اعتقاد الظاهر لم يشغله بالذكر والفكر بل يرده الى الاعمال
الظاهرة والاوراد المتواترة او يشغله بخدمة المتجردين للفكر لتشمله بركتهم فان العاجز عن الجهاد
في صف القتال ينبغي ان يسقي القوم ويتعهد دوابهم ليحشر يوم القيمة في زمرتهم وتعمه بركتهم وان كان لا
يبلغ درجتهم ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد تقطعه قواطع كثيرة من العجب والريا والفرح بما ينكشف من
الاحوال وما يبدو من اوايل الكرامات ومهما التفت الى شي من ذلك وشغلت به نفسه كان
ذلك فتورا في طريقه ووقوفا بل ينبغي ان يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البحار
ولو افيضت عليه ويدوم عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة قال بعض السايحين
قلت لبعض الابدال المنقطعين عن الخلق كيف الطريق الى التحقيق وقال مرة قلت له دلني على عمل اجد فيه
قلبي مع الله تعالى في كل وقت على الدوام قال لي لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لابد لي قال فلا تسمع
كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لي من ذلك قال فلا تعاملهم فان معاملتهم وحشة قلت انا بين اظهرهم لابد لي
من معاملتهم قال فلا تسكن اليهم فان السكون اليهم هلكة قلت هذا لعله قال يا هذا اتنظر الى الغافلين
وتسمع كلام الجاهلين وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله عز وجل هذا ما لا يكون ابدا فاذن
منتهى الرياضة ان يجد قلبه مع الله ابدا ولا يمكن ذلك الا بان يخلو عن غيره ولا يخلو عن غيره الا بطول
المجاهدة فاذا حصل قلبه مع الله تعالى انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحق فظهر له من لطايف
رحمة الله عز وجل ما لا يجوز ان يوصف بل لا يحيط الوصف به اصلا واذا انكشف للمريد شي من ذلك فاعظم
القواطع عليه ان يتكلم به وعظا ونصحا ويتصدى للتذكير فتجد النفس فيه لذة ليس وراها لذة فتدعوه تلك
اللذة الى ان يتفكر في كيفية ايراد تلك المعاني وتحسين الالفاظ عنها وترتيب ذكرها وتزيينها بالحكايات
وشواهد القران والاخبار وتحسين صورة الكلام لتميل اليه القلوب والاسماع والشيطان ربما يخيل اليه
ان هذا منك احيا القلوب الموتى الغافلين عن الله تعالى وانما انت واسطة بين الله جل وعز وبين الخلق
تدعو عباده اليه وما لك فيه نصيب ولا لنفسك فيه لذة ويتضح كيد الشيطان بان يظهر في اقرانه من
يكون احسن كلاما واجزل لفظا واقدر على جلب قلوب العوام فانه يتحرك في باطنه عقرب الحسد لا محالة
ان كان محركه لذة القبول وان كان محركه هو الحق حرصا على دعوة عباد الله تعالى الى صراطه المستقيم
فيعظم به فرحه فيقول الحمد لله الذي عضدني وايدني بمن وازرني على اصلاح عباده كالذي
وجب عليه ان يحمل ميتا ليدفنه اذ وجده ضايعا وتعين عليه شرعا فجاءه من اعانه عليه فانه يفرح به
ولا يحسد معينه والغافلون موتى والوعاظ هم المنبهون والمحيون ففي كثرتهم استرواح وتناصر فينبغي
ان يعظم الفرح به وهذا عزيز الوجود جدا فينبغي ان يكون المريد على حذر منه فانه اعظم حبايل الشيطان
في قطع الطريق على من انفتح له اوايل الطريق فان ايثار الحيوة الدنيا طبع غالب على الانسان ولذلك

قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا ثم بين تعالى ان الشر قديم في الطباع وان ذلك مذكور في
الكتب السالفة فقال تعالى ان هذا لفي الصحف الاولى صحف ابرهيم وموسى فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته
في التدريج الى لقا الله تعالى اما تفصيل الرياضة في كل صفة فسياتي فان اغلب الصفات على الانسان بطنه
وفرجه ولسانه اعني الشهوات المتعلقة بها ثم الغضب الذي هو كالجند لحماية الشهوات ثم مهما احب
الانسان شهوة البطن والفرج وانس بهما احب الدنيا ولم يتمكن منها الا بالمال والجاه واذا طلب المال
والجاه حدث فيه الكبر والعجب والرياسة واذا ظهر ذلك لم تسمح نفسه بترك الدنيا راسا وتمسك من الدين
بما فيه الرياسة وغلب عليه الغرور فلهذا وجب علينا بعد تقديم هذين الكتابين ان نستكمل ربع المهلكات
بثمانية كتب كتاب في كسر شهوة البطن والفرج وكتاب في ذم الدنيا وتفصيل خدعها وكتاب في كسر حب
المال وذم البخل وكتاب في ذم الريا وحب الجاه وكتاب في الكبر والعجب وكتاب في مواقع الغرور وبذكر هذه
المهلكات وتعليم طريق المعالجة فيها يتم غرضنا من ربع المهلكات ان شا الله تعالى فان ما
ذكرناه في الكتاب الاول هو شرح لصفات القلب الذي هو معدن المهلكات والمنجيات وما ذكرناه في الكتاب
الثاني هو اشارة كلية الى طريق تهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلوب واما
تفصيلها فانه ياتي في هذه الكتب ان شا الله تعالى تم كتاب رياضة النفس وتهذيب الخلق
من كتاب احيا علوم الدين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما يتلوه
كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن والفرج من كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما

كتاب كسر الشهوتين

شهوة البطن والفرج وهو الكتاب الثالث من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين
الحمد لله المنفرد بالجلال في كبريايه وتعاليه المستحق للتحميد والتقديس والتنزيه القايم بالعدل فيما
يبرمه ويقضيه المتطول بالفضل فيما ينعم به ويسديه المتكفل بحفظ عبده في جميع موارده ومجاريه المنعم
عليه بما يزيد على مهمات مقاصده بل بما يفي بامانيه فهو الذي يرشده ويهديه وهو الذي يميته ويحييه
واذا مرض فهو يشفيه واذا ضعف فهو يقويه وهو الذي يوفقه للطاعة ثم يرتضيه وهو الذي يطعمه
ويسقيه ويحفظه عن الهلاك ويحميه ويحرسه بالطعام والشراب عما يهلكه ويرديه ويمكنه من
القناعة بقليل القوت ويقويه حتى تضيق به مجاري الشيطان الذي يناويه ويكسر به سطوة النفس
التي تعاديه فيكسر شرها ثم يعبد ربه ويتقيه هذا بعد ان يوسع عليه مما يلتذ به ويشتهيه ويكثر
عليه مما يهيج بواعثه ويؤاتيه كل ذلك ليمتحنه ويبتليه فينظر كيف يؤثره على ما يهواه وكيف

يحفظ اوامره ونواهيه ويواظب على طاعته وينزجر عن معاصيه والصلوة على محمد عبده ونبيه ورسوله
الوجيه صلوة تزلفه وتحظيه وترفع من منزلته وتعليه وعلى الابرار من عترته واقربيه والاخيار
من صحابته وتابعيه اما بعد فاعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فبها اخرج آدم وحوا من دار
القرار الى دار الذل والافتقار اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما شهوتهما عن الشجرة حتى اكلا منها فبدت
لهما سواتهما والبطن على التحقيق ينبوع ومنبت الافات اذ منبعها شهوة الفرج وشره
الشبق الى المنكوحات ثم تتبع شهوة المطعم والمنكح شدة الرغبة في المال والجاه اللذين هما الوسيلة الى
التوسع في المطعومات والمنكوحات ثم يتبع استكثار المال والجاه انواع الرعونات وضروب المنافسات
والمحاسدات ثم يتولد بينهما آفة الريا وغائلة التفاخر والتكاثر والكبريا ثم يتداعى ذلك الى الحسد
والحقد والعداوة والبغضا ثم يفضي بصاحبه الى اقتحام البغي والمنكر والفحشا وكل ذلك ثمرة اهمال المعدة
وما يتولد منها من بطر الشبع والامتلا ولو ذلل العبد نفسه بالجوع وضيق به مجاري الشيطان لاذعنت
لطاعة الله عز وجل ولم تسلك سبيل البطر والطغيان ولم ينجر به ذلك الى الانهماك في الدنيا وايثار العاجلة
على العقبى ولم يتكالب كل هذا على الدنيا واذا عظمت آفة شهوة البطن الى هذا الحد وجب شرح غوائلها
وآفاتها تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه على فضلها ترغيبا فيها وكذلك شرح شهوة
الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك بعون الله تعالى في فصول يجمعها بيان فضيلة الجوع ثم فوائد الجوع
ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن بالتقليل من الطعام والتاخير ثم بيان اختلاف حكم الجوع وفضيلته
باختلاف احوال الناس ثم بيان الريا في ترك الشهوة ثم القول في شهوة الفرج
ثم بيان ما على المريد في ترك التزويج وفعله ثم بيان فضيلة من يخالف شهوة

بيان فضيلة الجوع وذم الشبع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش فان الاجر في ذلك
كاجر المجاهد في سبيل الله وانه ليس من عمل احب الى الله من جوع وعطش وقال
ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يدخل ملكوت السما من ملا بطنه وقيل يا رسول الله
اي الناس افضل قال من قل طعمه وضحكه ورضي بما يستر عورته وقال صلى الله عليه وسلم سيد
الاعمال الجوع وذل النفس ولباس الصوف وقال ابو سعيد الخدري قال صلى الله عليه وسلم البسوا واشربوا
وكلوا في انصاف البطون فانه جزء من النبوة وقال الحسن قال صلى الله عليه وسلم افضلكم منزلة عند الله
اطولكم جوعا وتفكرا وفي الخبر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يجوع من غير عوز اي مختارا وقال
صلى الله عليه وسلم ان الله يباهي الملائكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الى عبدي ابتليته بالطعام
والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملايكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته بها درجات في الجنة وقال
صلى الله عليه وسلم لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام والشراب فان القلب كالزرع يموت اذا كثر عليه الماء وقال

صلى الله عليه وسلم ما ملا آدمي وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة
فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه وفي حديث اسامة بن زيد وحديث ابي هريرة الطويل
ذكر فضل الجوع اذ فيه ان اقرب الناس من الله تعالى يوم القيمة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا
الاحفيا الاتقيا الذين ان شهدوا لم يعرفوا وان غابوا لم يفتقدوا تعرفهم بقاع الارض وتحف بهم ملايكة
السما نعم الناس بالدنيا ونعموا بطاعة الله تعالى افترش الناس الفرش وافترشوا الجباه والركب ضيع
الناس فعل النبيين واخلاقهم وحفظوها تبكي الارض اذا فقدتهم ويسخط الله تعالى على كل بلدة ليس
فيها منهم لم يتكالبوا على الدنيا تكالب الكلاب على الجيف اكلوا العلق ولبسوا الخرق شعثا غبرا يراهم
الناس فيظنون ان بهم دا وما بهم دا ويقال قد خولطوا وذهبت عقولهم وما ذهبت عقولهم ولكن
نظر القوم بقلوبهم الى امر اذهب عنهم الدنيا فهم عند اهل الدنيا يمشون بلا عقول عقلوا حيث ذهبت
عقول الناس لهم الشرف في الاخرة يا اسامة اذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لتلك البلدة لا يعذب الله
تعالى قوما هم فيهم الارض بهم رحيمة والجبار عنهم راض اتخذهم لنفسك اخوانا عسى ان تنجو بهم
وان استطعت ان ياتيك الموت وبطنك جايع وكبدك ظمآن فانك تدرك بذلك شرف المنازل وتحل مع
النبيين وتفرح بقدوم روحك الملايكة ويصلي عليك الجبار وروى الحسن عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال البسوا الصوف وشمروا وكلوا في انصاف البطون تدخلوا ملكوت السما وقال عيسى صلى الله
عليه وسلم اجيعوا اكبادكم واعروا اجسادكم لعل قلوبكم ترى الله عز وجل وروي ذلك عن نبينا صلى
الله عليه وسلم ايضا رواه طاوس وفي التوراة مكتوب ان الله تعالى ليبغض الحبر السمين لان السمن يدل
على الغفلة وكثرة الاكل وذلك قبيح خصوصا بالحبر ولاجله قال ابن مسعود رضي الله عنه
ان الله يبغض القاري السمين وفي خبر مرسل ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه
بالجوع والعطش وفي الخبر ان الاكل على الشبع يورث البرص وقال صلى الله عليه وسلم المومن ياكل في معا
واحد والمنافق ياكل في سبعة امعا اي ياكل سبعة اضعاف المومن او تكون شهوته سبعة امثال
شهوته وتكون المعا كناية عن الشهوة لان الشهوة هي التي تقبل الطعام وتاخذه كما ياخذ المعا وليس
المعنى زيادة معا المنافق على معا المومن وروى الحسن عن عايشة رضي الله عنها قالت سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ادعوا قرع باب الجنة يفتح لكم قلت وكيف ندمن قرع باب الجنة
قال بالجوع والظما وروي ان ابا جحيفة تجشى في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقصر من جشايك
فان اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا وكانت عايشة تقول ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم يمتلي قط شبعا وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع فامسح بطنه بيدي واقول نفسي لك
الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا عايشة اخواني من اولي العزم

والرسل فلا صبروا على ما هو اشد من هذا مضوا على حالهم فقدموا على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم
فاجدني استحيي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر اياما يسيرة احب الي من ان
ينقص حظي غدا في الاخرة وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واحبائي قالت عايشة رضي الله عنها
والله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى وعن انس قال جاءت فاطمة بكسرة خبز لرسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الكسرة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى اتيتك بهذه الكسرة فقال
اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلثة ايام وقال ابو هريرة ما اشبع النبي صلى الله عليه وسلم اهله ثلثة ايام
تباعا من خبز الحنطة حتى فارق الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وان ابغض الناس الى الله المتخمون الملأى
وما ترك عبد اكلة يشتهيها الا كانت ________ له درجة في الجنة **واما** الاثار فقد قال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اياك والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات وقال شقيق العبادة حرفة
وحانوتها الخلوة وآلتها المجاعة وقال لقمن لابنه يا بني اذا امتلات المعدة نامت الفكرة وخرست
الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقال الفضيل بن عياض اي شي تخاف ان تجوع لا تخف ذلك انت
اهون على الله من ذلك انما تجوع محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه وكان كهمس يقول ________
الهي اجعتني واعريتني وفي ظلم الليالي اجلستني فباي وسيلة بلغتني ما بلغتني وكان فتح الموصلي اذا
اشتد مرضه وجوعه يقول الهي ابتليتني بالمرض والجوع وكذلك تفعل باوليائك فباي عمل اؤدي شكر ما
انعمت به علي وقال مالك بن دينار قلت لمحمد بن واسع يا ابا عبد الله طوبا لمن كانت له غلية تقوته
وتغنيه عن الناس فقال لي يا ابا يحيى طوبا لمن اصبح جايعا وامسى جايعا وهو راض عن الله تعالى وكان
الفضيل يقول اجعتني واجعت عيالي وتركتني في ظلم الليالي بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فباي
منزلة نلت هذا وقال يحيى بن معاذ جوع الراغبين منبهة وجوع التايبين تجربة وجوع المجتهدين
كرامة وجوع الصابرين سياسة وجوع الزاهدين حكمة وفي التوراة اتق الله واذا شبعت فاذكر
الجايعين وقال ابو سليمن لان اترك من عشائي احب الي من قيام ليلة الى الصبح وقال ايضا الجوع عند الله
تعالى في خزاينه لا يعطيه الا لمن احبه وكان سهل التستري يطوي نيفا وعشرين يوما لا ياكل وكان
يكفيه لطعامه في السنة درهم وكان يعظم الجوع ويبالغ فيه حتى قال لا يوافي القيامة عمل بر افضل
من ترك فضول الطعام والاقتدا بالنبي صلى الله عليه وسلم في اكله وقال لم ير الاكياس شيا انفع
من الجوع للدين والدنيا وقال لا اعلم شيا اضر على طلاب ________ الاخرة من الاكل وقال وضع
الحكمة والعلم في الجوع وجعل الجهل والمعصية في الشبع وقال ________ ما عبد الله تعالى بشي افضل
من مخالفة الهوى في ترك الحلال وقال ________ في الحديث ثلث الطعام فمن زاد عليه فانما
ياكل من حسناته وسيل عن الزيادة فقال لا يجد الزيادة حتى يكون الترك احب اليه من الاخذ

ويكون اذا جاع ليلته سأل الله تعالى ان يجعلها ليلتين فاذا كان كذلك وجد الزيادة وقال ما صار
الابدال ابدالا الا باخماص البطون والصمت والسهر والخلوة وقال راس كل بر بين السما والارض
الجوع وراس كل فجور بينهما الشبع وقال ________ من جوع نفسه انقطعت عنه الوساوس
وقال اقبال الله تعالى على العبد بالجوع والسقم والبلاء الا من شاء الله وقال اعلموا ان هذا زمان لا ينال
احد النجاة فيه الا بذبح نفسه وقتلها بالجوع والصبر والجهد وقال ما من على وجه الارض احد يشرب
من هذا الماء حتى يروى فيسلم من المعصية وان شكر الله تعالى فكيف الشبع من الطعام وسيل حكيم
باي قيد اقيد النفس قال ________ بالجوع والعطش وذللها باخمال الذكر وترك العز وصغرها
بوضعها تحت ارجل ابناء الاخرة واكسرها بترك زي القراء عن ظاهرها وانج من افاتها بدوام سوء
الظن عليها واصحبها بخلاف هواها وكان عبد الواحد بن زيد يقسم بالله ان الله تعالى ما صافى احدا
الا بالجوع ولا مشوا على الماء الا بالجوع ولا والاهم الله تعالى الا بالجوع وقال ________
ابو طالب المكي مثل البطن مثل المزهر وهو العود المجوف ذو الاوتار انما حسن صوته لخفته ورقته
ولانه اجوف غير ممتلي وكذلك الجوف اذا خلا كان اعذب للتلاوة وادوم للقيام واقل للمنام وقال
بكر بن عبد الله ثلث يحبهم الله جل وعز رجل قليل الاكل قليل النوم قليل الراحة **بيان فوايد الجوع**
وافات ________ الشبع ولعلك تقول هذا الفضل للجوع ومن اين وما سببه وليس فيه الا ايلام
المعدة ومقاساة الاذى فان كان كذلك فينبغي ان يعظم الفضل في كلما يتاذى به الانسان من ضربه نفسه
وقطعه لحمه وتناوله الاشيا الكريهة وما يجري مجراه فاعلم ان هذا يضاهي قول من شرب دوا فانتفع به
فظن ان منفعته لمرارة الدوا وكراهته فاخذ يتناول كلما هو مكروه من المذاق وهو غلط بل نفعه
في خاصية الدوا وليس لكونه مرا وانما يقف على تلك الخاصية الاطبا فكذلك لا يقف على علة نفع الجوع
الا سماسرة العلما ومن جوع نفسه مصدقا لما جاء في الشرع من مدح الجوع انتفع وان لم يعرف علة
المنفعة كما ان من شرب الدوا انتفع وان لم يعلم وجه كونه نافعا ولكنا نشرح لك ذلك ان اردت ان
ترقى من درجة الايمان الى درجة العلم يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات **ونقول**
في الجوع عشر فوايد الفايدة الاولى صفا القلب واتقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث
البلادة ويعمي القلب ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتى يحتوي على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه
عن الجريان في الافكار وعن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي
الفهم والادراك قال ابو سليمن عليك بالجوع وقال ________ صلى الله عليه وسلم احيوا قلوبكم
بقلة الضحك وطهروها بالجوع تصفو وترق وقال مثل الجوع مثل الرعد والقناعة كالسحاب والحكمة
كالمطر وقال صلى الله عليه وسلم من اجاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه وقال ابن عباس قال صلى الله عليه وسلم

من شبع ونام قسى قلبه ثم قال ان لكل شى زكوه وان زكوه البدن الجوع وقال الشبلى ما جعت لله تعالى يوما
الا رايت فى قلبى بابا من الحكمه والعبره ما رايته قط وليس يخفى ان غايه المقصود من العباده الفكر الموصل الى
المعرفه والاستبصار بحقايق الحق والشبع يمنع منه والجوع يفتح بابه والمعرفه باب
من ابواب الجنه فبالحرى ان تكون ملازمه الجوع قرعا لباب الجنه ولهذا قال لقمن لابنه يا بنى اذا
امتلات المعده نامت الفكره وخرست الحكمه وقعدت الاعضا عن العباده وقال ابو يزيد الجوع سحاب
فاذا جاع العبد مطر القلب الحكمه وقال صلى الله عليه وسلم نور الحكمة الجوع والتباعد من
الله الشبع والقربه الى الله حب المساكين والدنو منهم لا تشبعوا فيطفى نور المعرفه من قلوبكم ومن بات
يصلى فى خفه من الطعام بات الحور حوله حتى يصبح الفايده الثانيه رقه القلب وصفاوه الذى به يتهيا
لادراك لذة المناجاه والتاثر بالذكر فكم من ذكر يجرى على اللسان مع حضور القلب ولكن القلب لا يلتذ به
ولا يتاثر عنه حتى كان بينه وبينه حجابا من قساوه القلب وقد يرق فى بعض الاحوال فيعظم تاثره
بالذكر وتلذذه بالمناجاه وخلو المعده هو السبب الاظهر فيه وقال ابو سليمن احلى ما تكون العباده
اذا الصق ظهرى ببطنى وقال الجنيد رضى الله عنه يجعل احدكم بينه وبين الله تعالى مخلاة من الطعام
ويريد ان يجد حلاوة المناجاه وقال ابو سليمن القلب اذا جاع وعطش صفا
ورق واذا شبع عمى وبار فاذن تاثر القلب بلذة المناجاه امر وراء تيسر الفكر واقتناص المعرفه فهى فايده
ثانية الفايده الثالثه الانكسار والذل وزوال البطر والفرح والاشر الذى هو مبدا الطغيان
والغفلة عن الله تعالى ولا تنكسر النفس ولا تذل بشى كما تذل بالجوع فعنده تسكن لربه عز وجل
وتخشع لربه تعالى وتقف على عجزها وذلها اذ ضعفت منتها وضاقت حيلتها بلقمة طعام فاتتها
واظلمت عليها الدنيا بشربه ما تاخرت عنها ولم تشاهد ذل نفسه وعجزه لا يرى عز مولاه وقهره وانما
سعادته فى ان يكون دايما مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز ومولاه بعين العز والقدرة والقهر
فليكن دايما جايعا مضطرا الى مولاه مشاهدا للاضطرار بالذوق ولذلك لما عرض على رسول الله صلى الله
عليه وسلم الدنيا وخزاينها قال لا اجوع يوما واشبع يوما فاذا جعت صبرت وتضرعت
واذا شبعت شكرت او كما قال فالبطن والفرج باب من ابواب النار واصله الشبع والذل والانكسار باب من
ابواب الجنه واصله الجوع ومن اغلق بابا من ابواب النار فقد فتح بابا من ابواب الجنه بالضروره لانهما
متقابلان كالمشرق والمغرب فالقرب من احدهما بعد من الاخر الفايده الرابعه ان لا ينسى بلاء الله وعذابه
ولا ينسى اهل البلاء فان الشبعان ينسى الجايع وينسى الجوع والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الا ويذكر
بلاء الاخره فيذكر من عطشه عطش الخلق فى عرصات القيامه ومن جوعه جوع اهل النار حتى انهم يجوعون
فيطعمون الزقوم والضريع ويسقون الغسلين والمهل ولا ينبغى ان يغيب عن العبد عذاب الاخره فانه

الذى لا يهيج الخوف ومن لم يكن فى ذله ولا قلة ولا علة لم ينس عذاب الاخره ولم يتمثل فى نفسه
ولم يغلب على قلبه فينبغى ان يكون العبد فى بلاء او مشاهدة بلاء واولى ما يقاسيه من البلاء بلاء الجوع فان
فيه فوايد جمة سوى تذكر عذاب الاخره وهذا احد الاسباب الذى اقتضى اختصاص البلاء بالانبيا صلوات
الله عليهم والاوليا والامثل فالامثل ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفى يديك خزاين الارض
قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع فذكر الجايع والمحتاجين احد فوايد الجوع فان
ذلك يدعوه الى الرحمه والاطعام والشفقه على خلق الله تعالى والشبعان فى غفله عن الم الجايع الفايده
الخامسه وهى من كبار الفوايد كسر شهوة المعاصى كلها والاستيلا على النفس الاماره بالسوء فان منشا
المعاصى كلها الشهوات والقوى ومادة القوى والشهوات لا محاله الاطعمة فتقليلها يضعف
كل شهوة وقوة وانما السعاده كلها فى ان يملك الرجل نفسه والشقاوة فى ان تملكه نفسه وكما انك لا تملك
الدابه الجموح الا بضعف الجوع فاذا شبعت قويت وشردت وجمحت فكذلك النفس وقيل لبعضهم ما
بالك مع كبرك لا تتعهد بدنك وقد انهد فقال لانه سريع المرح فاحش الاشر فاخاف ان يجمح بى
فيورطنى ولان احمله على الشدايد احب من ان يحملنى على الفواحش وقال ذو النون ما
شبعت قط الا وعصيت او هممت بمعصيه وقالت عايشه رضى الله عنها اول بدعه حدثت بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم الشبع ان القوم لما شبعت بطونهم جمحت بهم نفوسهم الى الدنيا وهذه ليست
فايده واحده بل هى خزاين الفوايد ولذلك قيل الجوع خزانه من خزاين الله تعالى واقل ما يندفع
بالجوع شهوة الفرج وشهوة الكلام فان الجايع لا يتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به من افات
اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيره فيمنعه الجوع عن كل ذلك واذا شبع افتقر
الى فاكهه فيتفكه لا محاله باعراض الناس ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم واما
شهوة الفرج فلا تخفى غايلتها والجوع يكفى شرها واذا شبع الرجل لم يملك فرجه وان منعته التقوى
فلا يملك عينيه والعين تزنى كما ان الفرج يزنى فان ملك عينيه بغض الطرف فلا يملك فكره فيخطر له
من الافكار الرديه وحديث النفس باسباب الشهوه ما يتشوش به مناجاته وربما عرض له فى
اثنا الصلوه وانما ذكرنا افة اللسان والفرج مثالا والا فجميع معاصى الاعضا السبعه سببها
القوه الحاصله بالشبع وقال حكيم كل مريد صبر على السياسه فصبر على الخبز البحت سنة لا يخالط
معه شيا من الشهوات وياكل بنصف بطنه رفع الله عنه موونة النسا الفايده السادسه
دفع النوم ودوام السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه ولذلك كان يقول على
راس السفره معاشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا واجمع
راى سبعين صديقا على ان كثره النوم من كثره الشرب وفى كثره النوم ضياع العمر وفوت التهجد وبلاده

الطبع وقساوة القلب والعمر انفس الجواهر وهو راس مال العبد فيه يتجر والنوم موت فتكثيره ينقص من العمر ثم فضيلة التهجد لا تخفى وفي النوم فواته ومهما غلب النوم وان تهجد لم يجد حلاوة العبادة ثم المتغرب اذا نام على الشبع احتلم ويمنعه ذلك ايضا من التهجد ويحوجه الى الغسل اما بالماء البارد فيتاذى به او يحتاج الى الحمام وربما لا يقدر عليه بالليل فيفوته الوتر ان كان قد اخره الى التهجد ثم يحتاج الى مؤنة الحمام وربما تقع عينه على عورة في دخول الحمام فان فيه ايضا اخطارا ذكرناها في كتاب الطهارة وكل ذلك اثر الشبع وقد قال ابو سليمن الاحتلام عقوبة وانما قال ذلك لانه يمنع من عبادات كثيرة لتعذر الغسل في كل حال فالنوم منبع الافات والشبع مجلبة له والجوع مقطعة له الفايدة السابعة تيسير المواظبة على العبادة فان الاكل يمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الى زمان يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الى زمان في شرا الطعام او طبخه ثم يحتاج الى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده الى بيت الماء لكثرة شربه والاوقات المصروفة الى هذه لو صرفها الى الذكر والمناجاة وساير العبادات لكثر ربحه وقال السري رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الى هذا فقال اني حسبت ما بين المضغ الى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة فانظر كيف اشفق على وقته فلم يضيعه في المضغ وكل نفس من العمر جوهرة نفيسة لا قيمة لها فينبغي ان يستوفي منه خزانة باقية في الاخرة لا اخر لها وذلك بصرفه الى ذكر الله تعالى وطاعته ومن جملة ما يتعذر بكثرة الاكل الدوام على الطهارة وملازمة المسجد فانه يتيسر لمن تعود الجوع بالصوم ودوام الاعتكاف ودوام الطهارة وصرف اوقات شغل الاكل واسبابه الى العبادة ارباح عظيمة انما يستحقرها الغافلون الذين لم يعرفوا قدر الدين لكن رضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وقد اشار ابو سليمن الداراني الى ست افات وقال من شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادة وتعذر حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع ظن الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة وزيادة الشهوات وان ساير المومنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل

الفايدة الثامنة من قلة الاكل صحة البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل وحصول فضلة الاخلاط في المعدة والعروق ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب ويمنع من الذكر والفكر وينغص العيش ويحوج الى الفصد والحجامة والدوا والطبيب وكل ذلك يحتاج الى مؤن ونفقات لا يخلو الانسان فيها بعد التعب عن انواع من المعاصي واقتحام الشبهات وفي الجوع ما يدفع عنه كل ذلك حكي ان الرشيد جمع اربعة اطبا هندي ورومي وعراقي وسوادي فقال ليصف كل واحد منكم الدوا الذي لا دا فيه فقال الهندي هو الاهليلج الاسود وقال الرومي هو حب الرشاد الابيض

وقال العراقي هو الماء الحار وقال السوادي وكان اعلمهم الاهليلج يعفص المعدة وهذا دا وحب الرشاد يزلق المعدة وهذا دا والماء الحار يرخي المعدة وهو دا قالوا فما عندك قال الدوا الذي لا دا فيه ان لا تاكل الطعام حتى تشتهيه وان ترفع يدك عنه وانت تشتهيه فقالوا صدقت وذكر لبعض الفلاسفة من اطبا اهل الكتاب قول النبي صلى الله عليه وسلم ثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس فتعجب منه وقال ما سمعت كلاما في قلة الاكل احكم من هذا وانه لكلام حكيم وقال صلى الله عليه وسلم البطنة اصل الدا والحمية اصل الدوا وعودوا كل بدن ما اعتاد واظن ان تعجب الطبيب جرى من هذا الخبر لا من ذلك وقال ابن سالم من اكل خبز الحنطة بحتا بادب لم يعتل الا علة الموت قيل وما الادب قال تاكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع وقال بعض افاضل الاطبا في ذم الاستكثار ان انفع ما ادخل الانسان معدته الرمان واضر ما ادخل معدته الملح ولان يقلل من الملح خير له من ان يستكثر من الرمان وفي الخبر المشهور صوموا تصحوا ففي الصوم والجوع وتقليل الاكل صحة الاجسام من الاسقام وصحة القلوب من سقم الطغيان والبطر وغيرهما

الفايدة التاسعة خفة المؤنة فان من تعود قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما ملازما له ياخذ بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الى ان يدخل المداخل فيكتسب من الحرام فيعصي او من الحلال فيذل ويتعب وربما احتاج الى ان يمد عين الطمع الى الخلق وهو غاية الذل والقمي والمومن خفيف المؤنة وقال بعض الحكما اني لاقضي عامة حوايجي بالترك فيكون اروح لنفسي وقال اخر اذا اردت ان استقرض من غيري لشهوة او زيادة استقرضت من نفسي فتركت الشهوة فهي خير غريم لي وكان ابرهيم بن ادهم يسال اصحابه عن الشي من الماكول فيقال انه غالي فيقول ارخصوه بالترك وقال سهل الاكول مذموم في ثلث احوال ان كان من اهل العبادة فيكسل وان كان مكتسبا لا يسلم من الافات وان كان ممن يدخل عليه شي فلا ينصف الله تعالى من نفسه وبالجملة سبب هلاك الناس حرصهم على الدنيا وسبب حرصهم البطن والفرج وسبب شهوة الفرج شهوة البطن وفي تقليل الاكل ما يحسم هذه الابواب كلها وهي ابواب النار وفي حسمها فتح ابواب الجنة كما قال صلى الله عليه وسلم ادعوا قرع باب الجنة بالجوع فمن قنع برغيف كل يوم قنع في ساير الشهوات ايضا وصار حرا واستغنى عن الناس واستراح من التعب وتخلى لعبادة الله تعالى وتجارة الاخرة فيكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى فانه انما لا تلهيهم لاستغنايهم عنها بالقناعة فاما المحتاج فتلهيه لا محالة

الفايدة العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الاطعمة على اليتامى والمساكين فيكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر فخزانته الكنيف وما يتصدق به فخزانته فضل الله فليس للعبد

من ماله الا ما تصدق فامضى او اكل فافنى او لبس فابلى فالتصدق بفضلات الطعام من التخمة والشبع
اولى كان الحسن اذا قرا قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال الاية قال عرضها على
السبع الطباق الطرايق اللاتي زينت بالنجوم وحملة العرش العظيم فقال لها هل تحملين
الامانة بما فيها قالت وما فيها قيل ان احسنت جوزيت وان اسات عوقبت قالت لا ثم عرضها على الجبال
الشم الشوامخ البواذخ الصعاب الصلاب فقيل لها هل تحملين الامانة قالت وما فيها فذكر الجزا والعقوبه
قالت لا ثم عرضها على الانسان فحملها انه كان ظلوما لنفسه جهولا بامر ربه جل وعز فقد رايناهم والله
اشتروا الامانة باموالهم فاصابوا الافا فما صنعوا فيها وسعوا بها دورهم وضيقوا بها قبورهم واسمنوا
براذينهم واهزلوا دينهم واتعبوا انفسهم بالغدو والرواح الى باب السلطان يتعرضون للبلا وهم من الله
تعالى في عافيه يقول قايلهم يعني ارض كذا وكذا وازيدك كذا وكذا يتكي احدهم على
شماله وياكل من غير ماله حديثه سخرة وماله حرام حتى اذا اخذته الكظة ونزلت به البطنة قال يا غلام
ايتني بشي يهضم طعامي يا لكع اطعامك تهضم انما دينك تهضم اين الفقير اين الارمله اين اليتيم اين
المسكين الذي امرك الله عز وجل به وهذه اشاره الى هذه الفايده وهو صرف فاضل الطعام الى الفقرا
ليدخر به الاجر فذلك خير من ان ياكله حتى يتضاعف عليه الوزر ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى رجل
سمين البطن فاومى الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت
به غيرك وعن الحسن قال والله لقد ادركنا كان الرجل منهم يمسي وعنده من الطعام
ما يكفيه ولو شا لاكله كله فيقول والله لا اجعل هذا كله في بطني حتى اجعل بعضه لله فهذه عشر فوايد
للجوع ينشعب عن كل واحد فوايد لا تنحصر ولا تتناهى فوايدها فالجوع خزانة عظيمة لفوايد الاخرة
ولهذا قال بعض السلف الجوع مفتاح الاخرة وباب الزهد والشبع مفتاح الدنيا وباب الرغبة بل ذلك صريح
في الاخبار التي رويناها وبالوقوف على تفصيل هذه الفوايد تدرك معاني تلك الاخبار ادراك عالم وبصيرة
واذا لم تعرف هذا وصدقت بفضل الجوع كان لك رتبة المقلدين بالايمان **بيان طريق الرياضة في كسر**
شهوة البطن اعلم ان على المريد في بطنه وماكوله اربع وظايف الاولى ان لا ياكل الا حلالا فالعبادة مع
اكل الحرام كالبنا على امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب من مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام
وتبقى ثلاث وظايف خاصة بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطا والسرعة
وتعيين الجنس الماكول في تناول المشتهيات وتركها **اما** الوظيفه الاولى في تقليل الطعام وسبيل
الرياضة فيه التدريج فمن تعود الاكل الكثير فانتقل دفعة الى القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت
مشقته فينبغي ان يتدرج اليه قليلا قليلا وذلك بان ينقص قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل
رغيفين مثلا واراد ان يرده الى واحد فينقص في كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص منه جزا

من ثمانية وعشرين جزا او جزا من ثلثين جزا فيرجع الى رغيف في شهر ولا يتضرر به ولا يظهر اثره
فان شا فعل ذلك بالوزن وان شا فعل بالمشاهدة فيترك كل يوم مقدار لقمة وينقصه عما اكله
بالامس ثم هذا فيه اربع درجات اقصاها ان يرد نفسه الى قدر القوام الذي لا يبقى دونه وهو عادة
الصديقين وهو اختيار سهل التستري اذ قال ان الله تعالى استعبد الخلق بثلث بالحيوة
والعقل والقوة فان خاف العبد على اثنين منها وهي الحيوة والعقل اكل وافطر ان كان صايما وتكلف الطلب ان
كان فقيرا وان لم يخف عليهما بل على القوة قال لا ينبغي ان يبالي ولو ضعف حتى صلى قاعدا وراى الصلوة
قاعدا على ضعف الجوع افضل من صلوته قايما مع قوة الاكل وسيل سهل عن بدايته وما كان يقتات به
فقال كان قوتي في كل سنة ثلثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيق الارز فاسويه
مخلطا ثلثمائة وستين اكرة اخذ كل ليلة اكرة فافطر عليها وحكي عن الراهبين انهم قد يردون انفسهم
الى مقدار درهم من الطعام الدرجة الثانية ان يرد نفسه بالرياضة في اليوم والليلة الى نصف مد وهو رغيف
وشي مما يكون الاربعة منه منا ويشبه ان يكون هذا ثلث البطن في حق الاكثر كما ذكره رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو فوق اللقيمات لان هذه الصيغة في الجمع للقلة فهو لما دون العشرة وكان ذلك
عادة عمر رضي الله عنه اذ كان ياكل سبع لقم او تسع لقم **الدرجة** الثالثة ان يرد نفسه الى مقدار مد وهو
رغيفان ونصف وهذا يزيد على ثلث البطن في حق الاكثرين ويكاد ينتهي الى ثلثي البطن ويبقى ثلث
للشراب ولا يبقى شي للذكر وفي بعض الالفاظ ثلث للذكر بدل قوله للنفس **والرابع** ان يزيد على المد
الى المن ويشبه ان يكون ما وراء المن اسرافا مخالفا لقوله تعالى ولا تسرفوا اعني في حق الاكثرين
فان مقدار الحاجة الى الطعام يختلف بالسن والشخص والعمل الذي يشتغل به وهاهنا طريق خامس
لا تقدير فيه ولكنه موضع غلط وهو ان ياكل اذا صدق جوعه ويرفع يده وهو على شهوة صادقة بعد
ولكن الغالب ان من لم يقدر مع نفسه رغيفا او رغيفين فلا يتبين له حد الجوع الصادق ويشتبه ذلك
بالشهوة الكاذبة وقد ذكر للجوع الصادق علامات احدها ان لا تطلب النفس الادم بل ياكل الخبز وحده بشهوة
اي خبز كان فمهما طلبت خبزا بعينه او طلبت ادما فليس ذلك بجوع وقيل ان يبزق فلا يقع الذباب عليه
اي لا يبقى فيه دهنية ولا دسومة فيدل ذلك على خلو المعدة ومعرفة ذلك غامض فالصواب للمريد
ان يقدر مع نفسه القدر الذي لا يضعفه عن العبادة التي هو بصددها فاذا انتهى اليه وقف وان
بقيت شهوته وعلى الجملة فتقدير الطعام لا يمكن لانه يختلف بالاحوال والاشخاص نعم كان قوت
جماعة من الصحابة صاع حنطة في كل جمعة فاذا اكلوا التمر اقتاتوا صاعا ونصفا وصاع الحنطة اربعة
امداد فيكون كل يوم قريبا من نصف مد وهو ما ذكرنا انه قدر ثلث البطن وفي التمر احتيج الى زيادة
لسقوط النوى منه وقد كان ابو ذر يقول طعامي في كل جمعة صاع من شعير على عهد رسول الله صلى الله عليه

لا ازيد عليه حتى القاه فاني سمعته يقول اقربكم مني مجلسا يوم القيمة واحبكم الي من مات على ما هو اليوم عليه
وكان يقول في انكاره على بعض الصحابه رضي الله عنه قد غيرتم نخل الشعير ولم يكن ينخل لرسول الله صلعم
وخبزتم المرقق وجمعتم بين ادامين واختلف عليكم بالوان الطعام وغدا احدكم في ثوب وراح في اخر ولم
تكونوا هكذا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان قوت اهل الصفه مدا من تمر بين اثنين في كل يوم
والمد رطل وثلث ويسقط منه النوى وكان الحسن يقول المومن مثل الغنيمة يكفيه الكف
من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الما والمنافق مثل السبع الضاري بلعا بلعا وسرطا سرطا
لا يطوي بطنه لجاره ولا يوثر اخاه بفضله وجهوا هذه الفضول امامكم وقال سهل لو كانت الدنيا
دما عبيطا كان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن عند الضرورة بقدر القوام فقط الوظيفه
الثانيه في وقت الاكل ومقدار تاخيره وفيه ايضا درجات الدرجة العليا ان يطوي ثلثة ايام فما فوقها وفي
المريدين من رد الرياضه الى الطي لا الى المقدار حتى انتهى بعضهم الى ثلثين يوما وانتهى اليه جماعة من العلما الى اربعين يوما
يكثر عددهم منهم محمد بن عمرو القرني وعبد الرحمن بن ابرهيم ودحيم وابرهيم التيمي وحجاج بن فرافصه
وحفص العابد المصيصي والمسلم بن سعيد وزهير وسليمن الخواص وسهل بن عبد الله التستري وابرهيم
بن احمد الخواص وقد كان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يطوي ستة ايام وكان عبد الله بن الزبير يطوي سبعة
ايام وكان ابو الجوزا صاحب ابن عباس يطوي سبعة وروي ان الثوري وابرهيم بن ادهم كانا يطويان ثلثة ثلثة
كل ذلك كانوا يستعينون بالجوع على طريق الاخره قال بعض العلما من طوى اربعين يوما من
الطعام ظهرت له قدرة من الملكوت اي كوشف ببعض الاسرار الالهيه وقد حكي ان بعض هذه الطايفه مر على راهب
فذاكره بحاله وطمع في اسلامه وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الى ان قال له الراهب
ان المسيح صلوات الله عليه كان يطوي اربعين يوما وان ذلك معجزة لا تكون الا لنبي صادق فقال له الصوفي فان طويت
خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام وتعلم انه حق وانك على باطل قال
نعم فقعد لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين فقال وازيدك ايضا فطوى الى تمام الستين فتعجب الراهب
منه وقال ما كنت اظن ان احدا يجاوز المسيح وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل ما يبلغها
الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى نفسه في لذته وانساه جوعه
وحاجته الدرجه الثانيه ان يطوي يومين الى ثلثه وليس ذلك خارجا عن العاده بل هو قريب يمكن
الوصول اليه بالجد والمجاهده الدرجه الثالثه وهي ادناها ان يقتصر في اليوم والليله على اكلة واحدة
وهذا هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع حتى لا تكون له حالة جوع وذلك فعل المترفين وهو
بعيد من السنه روي ابو سعيد الخدري انه صلى الله عليه وسلم اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد
وكان السلف ياكلون في كل يوم اكلة وقال صلى الله عليه وسلم لعايشه رضي الله عنها اياك والاسراف فان

اكلتين في يوم من السرف فكان اكلتين في يوم سرف واكله واحده في يومين اقتار واكله في كل يوم قوام بين ذلك
وهو المحمود في كتاب الله عز وجل ومن اقتصر في اليوم على اكله واحده فيستحب ان ياكلها سحرا قبل طلوع الفجر
فيكون اكله بعد التهجد وقبل الصبح فيحصل له جوع النهار للصيام وجوع الليل للقيام وخلو القلب لفراغ
المعدة ورقة الفكر واجتماع الهم وسكون النفس الى المعلوم فلا ينازعه قبل وقته وفي حديث عاصم بن
كليب عن ابيه عن ابي هريره قال ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامكم هذا قط وان كان ليقوم
حتى تورم قدماه وما واصل وصالكم هذا قط غير انه قد اخر الفطر الى السحر وفي حديث عايشه رضي الله
عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواصل الى السحر فان كان يلتفت قلب الصايم بعد المغرب الى الطعام وكان
يشغله عن حضور القلب في التهجد فالاولى ان يقسم طعامه بنصفين ان كان رغيفين مثلا اكل
رغيفا عند الفطر ورغيفا عند السحر لتسكن نفسه ويخف عند التهجد بدنه ولا يشتد بالنهار جوعه
لاجل تسحره فيستعين بالرغيف الاول على التهجد وبالثاني على الصوم ومن كان يصوم يوما ويفطر يوما
فلا باس ان ياكل يوم فطره وقت الظهر ويوم صومه وقت السحر فهذه هي الطرق في مواقيت الاكل وتقاربه
وتباعده الوظيفه الثالثه في نوع الطعام وترك الادام واعلى الطعام البر فان نخل فهو غاية الترفه
واوسطه شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلى الادام اللحم والحلاوه وادناه الملح والخل واوسطه
المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخره الامتناع عن الادام على الدوام بل الامتناع عن
الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في
قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا حتى يالفها ويكره الموت ولقا الله عز وجل وتصير الدنيا جنة في حقه فتكون
للمومن سجنا واذا منع نفسه شهواتها وضيق وحرمها لذاتها صارت الدنيا سجنا عليه ومضيقا فاشتهت
الافلات منها فيكون الموت اطلاقها اليه ولذلك اشار يحيى بن معاذ حيث قال معاشر الصديقين
جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر تجويع النفس وكلما ذكرناه من افات الشبع
فانها تجري في اكل الشهوات وتناول اللذات فلا نطول باعادته فلذلك يعظم الثواب في ترك الشهوات
من المباحات ويعظم الخطر في تناولها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي
الذين ياكلون مخ الحنطه وهذا ليس بتحريم بل هو مباح على معنى ان من اكله مرة او مرتين لم يعص ومن
داوم عليه ايضا فلا يعصي بتناوله ولكن يتعود نفسه بالنعيم ويانس بالدنيا ويالف اللذات ويسعى في
طلبها فيجره ذلك الى المعاصي فهم شرار الامه لان مخ الحنطه يقودهم الى اقتحام امور تلك الامور معاصي
وقال صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وانما همتهم
الوان الطعام وانواع اللباس ويتشدقون في الكلام واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام اذكر انك ساكن القبر
فليمنعك ذلك عن كثير من الشهوات وقد اشتد خوف السلف من تناول لذيذ الاطعمه وتمرين النفس

عليها وراوا ان ذلك علامة الشقاوة وراوا منع الله تعالى منه غاية السعادة حتى روي ان وهب
بن منبه قال التقى ملكان في السما الرابعة فقال احدهما للاخر من اين قال امرت بسوق حوت من البحر اشتهاه
فلان اليهودي لعنه الله وقال الاخر امرت باهراق زيت اشتهاه فلان العابد وهذا تنبيه
على ان تيسير اسباب الشهوات ليس من علامات الخير ولهذا امتنع عمر رضي الله عنه من شربة ما بارد بعسل
وقال اعزلوا عني حسابها فلا عبادة لله تعالى اعظم من مخالفة الشهوات وترك اللذات
كما اوردناه في كتاب رياضة النفس وقد روى نافع ان ابن عمر رضي الله عنهما كان مريضا فاشتهى سمكة
طرية فالتمست له بالمدينة فلم توجد ثم وجدت بعد كذا وكذا فاشتريت بدرهم ونصف فشويت وحملت
اليه على رغيف فقام سايل على الباب فقال للغلام لفها برغيفها فادفعها اليه فقال له الغلام اصلحك
الله اشتهيتها منذ كذا وكذا فلم نجدها حتى وجدناها فاشتريناها بدرهم ونصف فنحن نعطيه ثمنها
قال لفها وادفعها اليه فقال الغلام للسايل هل لك ان تاخذ درهما فاخذها ووضعها بين يديه فقال قد
اعطيته درهما واخذتها منه قال لفها وادفعها اليه ولا تاخذ منه الدرهم اني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول ايما امرى اشتهى شهوة فرد شهوته واثر على نفسه غفر الله له وقال
صلى الله عليه وسلم اذا سددت كلب الجوع برغيف وكوز من الما القراح فعلى الدنيا واهلها الدمار اشار به
الى ان المقصود رد الم الجوع ودفع ضرره دون التنعم بلذات الدنيا وبلغ عمر رضي الله عنه ان يزيد بن ابي
سفيان ياكل انواع الطعام فقال عمر لمولى له اذا علمت انه حضر عشاوه فاعلمني فاعلمه فدخل عليه
فقرب عشاوه فجاوه بثريد لحم فاكل معه عمر ثم قرب الشوا وبسط يزيد يده وكف عمر يده حتى قال
الله الله يا يزيد بن ابي سفيان اطعام بعد طعام والذي نفس عمر بيده لين خالفتم عن سنتهم ليخالفن بكم
عن طريقهم وعن يسار بن عمير ما نخلت لعمر رضي الله عنه دقيقا قط الا وانا له عاص وروي ان عتبة
الغلام كان يعجن دقيقه ويجففه في الشمس ثم ياكله ويقول كسرة وملح حتى يهيا في الدار الاخرة
الشوا والطعام الطيب وكان ياخذ الكوز فيغرف به من حب كان في الشمس نهاره فتقول مولاة له يا عتبة
لو اعطيتني دقيقك فخبزته لك وبردت لك الما فيقول لها يا ام فلان قد شردت عني كلب الجوع
وروي عن مالك بن دينار انه بقي اربعين سنة يشتهي لبنا فلم ياكله واهدى رجل اليه يوما رطبا فراودوه
في اكله فقال لاصحابه كلوا فما ذقته منذ اربعين سنة وقال احمد بن ابي الحواري اشتهى
ابو سليمن الداراني رغيفا حارا بملح فجيت به اليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف واقبل يبكي وقال
عجلت الي شهوتي بعد اطالة جهدي وشقوتي قد عزمت على التوبة فاقلني قال احمد فما رايته اكل
الملح حتى لقي الله عز وجل وقال مالك بن ضيغم مررت على سوق البصرة فنظرت الى البقل
فقالت لي نفسي لو اطعمتني الليلة من هذا فاقسمت ان لا اطعمها اياه اربعين ليلة ومكث مالك بن دينار

بالبصرة خمسين سنة فما اكلت لكم رطبة ولا بسرة فما زاد فيكم ما نقص مني ولا نقص مني ما زاد فيكم وقال
مالك بن دينار طلقت الدنيا منذ خمسين سنة اشتهت نفسي لبنا منذ خمسين سنة فوالله لا اطعمها
حتى الحق بالله تعالى وقال حماد بن ابي حنيفة اتيت داود الطاي والباب عليه مغلق
فسمعته يقول اشتهيت جزرا فاطعمتك جزرا ثم اشتهيت تمرا فاليت ان لا تاكليه ابدا فسلمت
ودخلت فاذا هو وحده ومر ابو حازم بالسوق فراى فيها من الفاكهة فاشتهاها فقال لابنه اشتر لنا
من هذه الفاكهة المقطوعة الممنوعة لعلنا نذهب الى الفاكهة التي لا مقطوعة ولا ممنوعة فلما اشتراها
واتى بها قال لنفسه قد خدعتني حتى نظرت واشتهيت وغلبتني حتى اشتريت والله لا ذقتيه
فبعث به الى يتامى من الفقرا وعن موسى الاشج انه قال نفسي تشتهي ملحا جريشا منذ عشرين سنة وعن
احمد بن خليفة نفسي منذ عشرين سنة ما تطلب مني الا الما حتى تروى فما ارويتها وروي ان عتبة الغلام
اشتهى لحما سبع سنين فلما كان بعد ذلك قال قد استحييت من نفسي ان ادفعها منذ سبع سنين
سنة بعد سنة فاشترى قطعة لحم على خبز وشواها فلقي صبيا فقال الست انت
بن فلان وقد مات ابوك قال بلى فناوله اياها واقبل يبكي ويقول ويطعمون الطعام على حبه مسكينا
ويتيما واسيرا ولم يذقه بعد ومكث عتبة الغلام يشتهي تمرا سنين فلما ان كان ذات ليلة اشترى
بقيراط ورفعه حتى يفطر عليه قال فهبت ريح واظلمت الدنيا وفزع الناس فقال عتبة من جراتي عليك
وشرايي التمر بالقراريط وقال لنفسه ما اظن اخذ الناس الا بذنبك علي ذنبه وترك التمر واشترى
داود الطاي بنصف فلس بقلا وبفلس خلا فاقبل ليلته يقول ويلك يا داود ما اطول حسابك
يوم القيمة ولم يكن ياكل الا قفارا وقال عتبة الغلام لعبد الواحد بن زيد ان فلانا
يصف من قلبه منزلة لا اعرفها من قلبي فقال لانك تاكل مع خبزك تمرا وهو لا يزيد على الخبز شيا فقال ان انا تركت
اكل التمر عرفت تلك المنزلة قال نعم وغيرها فاخذ يبكي فقال له بعض اصحابه لا ابكى الله عينك اعلى التمر
تبكي فقال عبد الواحد دعه فان نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك هو اذا ترك شيا لم يعاوده
ابدا وقال جعفر بن نصير امرني الجنيد ان اشتري له التين الوزيري فاشتريته فلما افطر اخذ واحدا
ووضعه في فيه ثم القاه وبكى وقال احمله فقلت له في ذلك فقال هتف في قلبي اما تستحيي تركته من اجلي
ثم تعود اليه وقال صالح المري قلت لعطا السلمي اني متكلف لك شيا فلا ترد علي كرامتي
قال افعل ما تريد قال فبعثت اليه مع ولدي بشربة من سويق قد لتته بسمن وعسل وقلت له لا تبرح
حتى يشربها فشربها فلما كان من الغد جعلت له نحوها فردها ولم يشربها فعاتبته ولمته وقلت سبحان الله
رددت علي كرامتي فلما راى وجدي لذلك قال لا يسوك هذا اني قد شربتها اول مرة وقد راودت
نفسي في المرة الثانية على شربها فلم اقدر على ذلك كلما اردت ذلك ذكرت قول الله عز وجل يتجرعه ولا

يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال صالح فبكيت وقلت في
نفسي انا في واد وانت في اخر وقال السري ان نفسي تطالبني منذ ثلثين سنة ان اغمس جوزة في دبس
فما اطعمتها وقال ابو بكر الجلاء اعرف انسانا تقول له نفسه انا اصبر لك على طي عشرة ايام واطعمني بعد
ذلك شهوة اشتهيها فيقول لها لا اريد ان تطوي عشرة ايام ولكن اترکي هذه الشهوة وروي ان
عابدا دعا بعض اخوانه فقرب اليه رغفانا فجعل اخوه يقلب بعض الارغفة ليختار اجودها فقال
له العابد اي شي تصنع اما علمت ان في الرغيف الذي رغبت عنه كذا وكذا حكمة وعمل فيه كذا وكذا
صانعا حتى استدار من السحاب الذي يحمل الماء والماء الذي يسقي الارض والرياح والارض والبهايم وبنو ادم
حتى صار اليك ثم انت بعد هذا تقلبه ولا ترضى به وفي الخبر لا يستدير الرغيف ويوضع بين يديك حتى
يعمل فيه ثلثمايه وستون صانعا اولهم ميكاييل الذي يكيل الماء من خزاين الرحمة ثم الملايكة التي تزجي السحاب
والشمس والقمر والافلاك وملايكة الهوا ودواب الارض واخر ذلك الخباز وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقال بعضهم اتيت فتحا الموصلي فسالته عن الزهد اي شي هو فقال اي شي تعرف فيه فعددت
اقوالا فسكت فقلت وانت اي شي تقول فقال اعلم ان البطن دنيا فمقدار ما تملك من بطنك تملك من
الزهد ومقدار ما يملكك بطنك تملكك الدنيا وكان بشر بن الحارث قد اعتل فسال عبد الرحمن المتطبب عن شي
يوافقه من الماكول فقال تسالني فاذا وصفت لك لم تقبل مني قال بشر صف لي حتى اسمع فقال تشرب
سكنجبينا وتمص سفرجلا وتاكل بعد ذلك اسفيذباجا فقال له بشر تعلم شيا اقل
من السكنجبين ثمنا يقوم مقامه قال لا قال فانا اعرف قال الهندبا بالخل قال ثم تعرف شيا اقل من السفرجل
قال لا قال انا اعرف وهو الخرنوب الشامي قال فتعرف شيا اقل ثمنا من الاسفيذباج يقوم مقامه قال لا قال
انا اعرف ما الحمص بسمن البقر في معناه فقال عبد الرحمن انت اعلم مني بالطب فلم تسالني فقد عرفت
ان هولا كيف امتنعوا من اكل الشهوات ومن الشبع من الاقوات وكان امتناعهم للفوايد التي ذكرناها
وفي بعض الاوقات لانه كان لا يصفو لهم حلال فلم يرخصوا لانفسهم الا في قدر الضرورة والشهوات ليست
من الضرورات حتى قال ابو سليمان الملح شهوة لانه زيادة على الخبز وما وراء الخبز شهوة وهذه في النهاية
فمن لم يقدر على ذلك فينبغي ان لا يغفل عن نفسه ولا ينهمك في الشهوات فكفى بالمرء اسرافا ان ياكل
كلما يشتهيه ويفعل كلما يهواه فينبغي ان لا يواظب على اكل اللحم قال علي رضي الله عنه من ترك اللحم اربعين
يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسي قلبه وقيل ان للحم ضراوة كضراوة الخمر
ومهما كان جايعا وتاقت نفسه الى الجماع فلا ينبغي ان ياكل ويجامع فيعطي نفسه شهوتين فتقوى عليه
وربما طلبت النفس الاكل لتنشط في الجماع ويستحب ان لا ينام على الشبع فيجمع بين غفلتين فيعتاد
الفتور ويقسو قلبه لذلك ولكن ليصل او يجلس فيذكر الله تعالى فانه اقرب الى الشكر وفي الحديث

اذيبوا طعامكم

٥١

اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم واقل ذلك اربع ركعات او تسبيح مايه
تسبيحة او يقرا جزا من القران عقيب كل اكلة وكان سفيان الثوري اذا شبع ليلة احياها واذا شبع في يوم
واصله بالصلوة والذكر وكان يقول اشبع الزنجي وكده ومرة يقول اشبع الحمار وكده
ومهما اشتهى شيا من طيبات الفواكه فينبغي ان يترك الخبز وياكله بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها
لئلا يجمع للنفس بين عادة وشهوة ونظر سهل الى ابن سالم وفي يده خبز وتمر فقال له ابتدي بالتمر فان كانت
كفاتك والا اخذت من الخبز بعده حاجتك ومهما وجد طعاما لطيفا وغليظا فليقدم اللطيف فانه لا
يشتهي الغليظ بعد ولو قدم الغليظ لاكل اللطيف ايضا للطافته وكان بعضهم يقول
لاصحابه لا تاكلوا الشهوات فان اكلتموها فلا تطلبوها فان طلبتموها فلا تحبوها وطلب بعض انواع
الخبز شهوة قال ابن عمر رضي الله عنهما ما ياتينا من العراق فاكهة الينا من الخبز فراى ذلك الخبز فاكهة
وعلى الجملة لا سبيل الى اهمال الشهوات في المباحات واتباعها بكل حال وبقدر ما يستوفي العبد من
شهوته يخشى ان يقال له اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وبقدر ما يجاهد نفسه ويترك شهوته يتمتع
في الاخرة بشهواته قال بعض اهل البصرة نازعتني نفسي خبز ارز وسمكا فمنعتها فقويت
مطالبتها فاشتدت مجاهدتي لها عشرين سنة فلما مات قال بعضهم رايته في المنام فقلت ما ذا فعل
الله بك فقال لا احسن اصف لك ما تلقاني به ربي جل وعز من النعم والكرامه وكان اول شي استقبلني به
خبز ارز وسمك فقال تعالى كل شهوتك اليوم هنيا بغير حساب وقد قال تعالى كلوا واشربوا هنيا بما اسلفتم
في الايام الخالية وكانوا اسلفوا ترك الشهوات ولهذا قال ابو سليمان ترك شهوة من شهوات النفس
انفع للقلب من صيام سنة وقيامها **بيان اختلاف حكم** الجوع وفضيلته باختلاف احوال الناس
اعلم ان المطلوب الاقصى في جميع الاحوال والاخلاق الوسط اذ خير الامور اوساطها وكلا طرفي
قصد الامور ذميم وما اوردناه في فضايل الجوع ربما يومي الى ان الافراط فيه مطلوب وهيهات ولكن من
اسرار حكمة الشريعة ان كل ما يطلب الطبع فيه الطرف الاقصى وكان فيه فساد جا الشرع بالمبالغة
في المنع منه على وجه يومي عند الجاهل الى ان المطلوب مضادة ما يقتضيه الطبع بغاية الامكان
والعالم يدرك ان المقصود الوسط لان الطبع اذا طلب غاية الشبع فالشرع ينبغي ان يمدح غاية
الجوع حتى يكون الطبع باعثا والشرع مانعا فيتقاومان ويحصل الاعتدال فان من يقدر على قمع
الطبع بالكلية بعيد فيعلم انه لا ينتهي الى الغاية فانه ان اسرف مسرف في مضادة الطبع كان في الشرع
ايضا ما يدل على اسائته كما ان في الشرع بالغ في الثنا على قيام الليل وصيام النهار ثم لما علم النبي صلى الله
عليه وسلم من حال بعضهم انه يصوم الدهر كله ويقوم الليل كله نهى عنه فاذا عرفت هذا فاعلم ان
الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة ولا يحس بالم الجوع بل ينسى

يحسن بطنه فلا يوثر فيه اصلا فان مقصود الاكل بقا الحيوة وقوة العباده وثقل الطعام يمنع من العباده
والم الجوع ايضا يشغل القلب ويمنع منه فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه اثر ليكون متشبها — جزء ٣
بالملايكة فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن الم الجوع وغاية الانسان الاقتدا بهم واذا لم يكن
للانسان خلاص من الشبع والجوع فابعد الاحوال عن الطرفين الوسط وهو الاعتدال ومثال طلب
الادمي البعد عن هذه الاطراف المتقابله بالجوع الى الوسط مثال نمله القيت في وسط حلقه محمية
على النار مطروحه على الارض فان النمله تهرب من حرارة الحلقه وهي محيطه بها لا تقدر على الخروج
فلا تزال تهرب حتى تستقر على المركز الذي هو الوسط لان الوسط ولو ماتت ماتت على — المركز
الوسط لان الوسط هو ابعد المواضع عن الحراره التي في الحلقه المحيطة فكذلك الشهوات محيطه
بالانسان احاطة تلك الحلقة والملايكه خارجون عن الحلقه ولا مطمع للانسان في الخروج وهو يريد
ان يتشبه بالملايكه في الخلاص فاشبه احواله به البعد وابعد المواضع عن الاطراف الوسط
فصار الوسط مطلوبا في جميع هذه الاخلاق المتقابله وعنه عبر بقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور
اوساطها واليه اشار بقوله تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع
تيسر له العباده والفكره وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولكن هذا بعد اعتدال الطبع اما
في بدايه الامر اذا كانت النفس جموحا متشوقة الى الشهوات مايلة الى الافراط فالاعتدال
لا ينفعها بل لا بد من المبالغه في ايلامها بالجوع كما يبالغ في ايلام الدابه التي لم ترض بالجوع
والضرب وغيره الى ان تعتدل فاذا ارتاضت واستوت رجع الى الاعتدال وترك تعذيبها وايلامها
وعن هذا السر يامر الشيخ مريده بما لا يتعاطاه في نفسه فيامره بالجوع وهو لا يجوع ويمنعه
الفواكه والشهوات وهو لا يمتنع منها لانه قد فرغ عن تاديب نفسه فاستغنى عن التعذيب ولما كان اغلب
احوال النفس الشره والشهوة والجماح عن العباده كان الاصلح له الجوع الذي يحس بالمه في اكثر الاحوال ليكسر
والمقصود ان تنكسر حتى تعتدل فيرد بعد ذلك في الغذا ايضا الى الاعتدال فانما يمتنع من ملازمه
الجوع من سلك طريق الاخره اما صديق واما مغرور احمق اما الصديق فلاستقامه نفسه على
الصراط المستقيم واستغنائه عن ان يساق بسياط الجوع الى الحق واما المغرور فلظنه بنفسه انه
الصديق المستغني عن تاديب نفسه الظان بنفسه خيرا وهو غرور عظيم وهو الغالب فان النفس قلما
تتادب تاديبا كاملا وكثيرا ما يغتر فينظر الى الصديق ومسامحته نفسه في ذلك فيسامح نفسه كالمريض
ينظر الى من صح من مرضه فيتناول ما يتناوله ويظن بنفسه الصحه حتى يهلك والذي يدل على ان تقدير
الطعام بمقدار يسير وقت مخصوص ليس مقصودا في نفسه وانما هو مجاهده نفس متنائية عن — ونوع مخصوص
الحق غير بالغة رتبه الكمال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له تقدير وتوقيت لطعامه قالت عايشه

رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لا يفطر ويفطر حتى نقول لا يصوم وكان
يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شي فان قالوا نعم اكل وان قالوا لا قال اني اذن صايم
وقد كان يقدم اليه الشي فيقول اما اني كنت اردت الصوم ثم ياكل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما وقال
اني صايم فقالت عايشه رضي الله عنها قد اهدي الينا حيس فقال كنت اردت الصوم
ولكن قربيه ولذلك حكي ان سهلا قيل له كيف كنت في بدايه امرك فاخبر بضروب من الرياضات
منها انه كان يقتات ورق النبق ومنها انه اكل دقاق التبن ثلث سنين ثم ذكر انه اقتات بثلثه دراهم — تجرد
في ثلث سنين فقيل له وكيف انت في وقتك قال اكل بلا حد ولا توقيت وليس المراد بقوله بلا حد اي
اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله وقد كان معروف الكرخي يهدى اليه طيبات الطعام فياكل
ويقال له ان اخاك بشرا لا ياكل من هذا فيقول اخي بشر قبضه الورع وانا بسطتني المعرفة ثم قال
انما انا ضيف في دار مولاي اذا اطعمني اكلت واذا جوعني صبرت مالي والاعتراض والتمييز ودفع
ابرهيم بن ادهم الى بعض اخوانه دراهم فقال خذ لنا بهذه زبدا وعسلا وخبزا حواري فقال يا ابا
اسحق بهذا كله فقال ويحك اذا وجدنا اكلنا اكل الرجال واذا عدمنا صبرنا صبر الرجال واصلح
ذات يوم طعاما فاكثر ودعا نفرا يسيرا فيهم الاوزاعي والثوري فقال له الثوري اما تخاف ان يكون
هذا اسرافا فقال ليس في الطعام اسراف انما الاسراف في اللباس والاثاث فالذي ياخذ العلم
من السماع والنقل تقليدا يرى هذا من ابرهيم بن ادهم ويسمع من مالك بن دينار انه قال ما دخل الملح
بيتي منذ عشرين سنه وعن بشر السقطي انه منذ اربعين سنه تشتهي نفسه ان يغمس جوزه في دبس — جزئية
فلم افعل فيراه متناقضا او يتحير او يقطع بان احدهما مخطي والبصير باسرار العلم يعلم ان كل ذلك
حق ولكن بالاضافه الى اختلاف الاحوال ثم هذه الاحوال المختلفه يسمعها فطن محتاط وغبي مغرور
فيقول المحتاط ما انا من جمله العارفين حتى اسامح نفسي فليس نفسي اطوع من نفس سري السقطي
ومالك بن دينار وهولاي من المتمنعين من الشهوات فيقتدي بهم والمغرور يقول وما نفسي على باعصى
نفسا من معروف الكرخي وابرهيم بن ادهم فاقتدي بهم وارفع التقدير عن ماكولي فانا ايضا ضيف في
دار مولاي فمالي والاعتراض ثم انه لو قصر احد في حقه وفي توقيره او في ماله وجاهه — بنظر بقية والكلام
قامت القيامه عليه واشتغل بالاعتراض وهذا مجال رحب للشيطان مع الحمقى بل رفع التقدير في
الطعام والصيام واكل الشهوات لا يسلم الا لمن ينظر من مشكاة الولايه او النبوه فيكون بينه
وبين الله تعالى علامه في انبساطه وانقباضه ولا يكون ذلك الا بعد خروج النفس عن طاعه الهوى
والعاده بالكليه حتى يكون اكله اذا اكل على نيه كما يكون امساكه بنيه فيكون عاملا لله تعالى
في اكله وافطاره وينبغي ان يتعلم الحزم من عمر رضي الله عنه فانه كان يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

يحب العسل وياكله ثم لم يفتش نفسه بل لما عرض عليه ما مزج بالعسل جعل يدير الاناء في كفه ويقول اشربها
فتذهب حلاوتها وتبقى تبعتها اعزلوا عني حسابها وتركها وهذه اسرار لا ينبغي ان يكاشف
الشيخ بها مريده بل يقتصر على مدح الجوع فقط ولا يدعوه الى الاعتدال فانه يقصر لا محاله عما يدعوه
اليه فينبغي ان يدعوه الى غايه الجوع حتى يتيسر له الاعتدال ولا يذكر له ان العارف الكامل يستغني
عن الرياضه فان الشيطان يجد متعلقا من قلبه فيلقي اليه كل ساعه انك عارف كامل واما الذي
فاتك من المعرفه والكمال بل كان من عادة ابرهيم الخواص ان يخوض مع المريد في كل رياضه كان يامره بها
كي لا يخطر بباله ان الشيخ لم يامره بما لا يفعله ويتعسر ذلك في رياضته والقوي اذا اشتغل بالرياضه
واصلاح الغير لزمه النزول الى حد الضعفا تشبها بهم وتلطفا في سياقتهم الى السعاده وهذا ابتلاء
عظيم للانبيا عليهم السلام والاوليا واذا كان حد الاعتدال خفيا في حق كل شخص فالحزم والاحتياط
ينبغي ان لا يترك في كل حال ولذلك ادب عمر رضي الله عنه ولده عبد الله اذ دخل عليه فوجده ياكل لحما
ماذوما بسمن فعلاه بالدرة وقال لا ام لك كل يوما خبزا ولحما ويوما خبزا ولبنا ويوما خبزا وسمنا ويوما
خبزا وزيتا ويوما خبزا وملحا ويوما خبزا قفارا وهذا هو الاعتدال فاما المواظبة على اللحم والشهوات
فافراط واسراف ومهاجرة اللحم اقتار وهذا قوام بين ذلك **بيان آفة الريا المتطرق**
الى من ترك اكل الشهوات او تقليل الاكل اعلم انه يدخل على تارك الشهوات آفتان عظيمتان هما اعظم
من اكل الشهوات احداهما ان لا تقدر النفس على ترك بعض الشهوات فتشتهيها ولكن لا يريد ان
يعرف بانه يشتهيها فيخفي الشهوة وياكل في الخلوة ما لا ياكله في الجماعة وهذا هو الشرك الخفي سئل
بعض العلما عن بعض الزهاد فسكت عنه فقيل له هل تعلم به باسا فقال ياكل في الخلوة ما لا ياكل في الجماعة وهذه
آفة عظيمه بل حق العبد اذا ابتلي بالشهوة وحبها ان يظهره فان هذا صدق الحال وهو بدل عن
فوات المجاهده بالاعمال فان اخفا النقص واظهار ضده من الكمال هو نقصان متضاعفان فان الكذب
مع الاخفا كذبان فيكون مستحقا لمقتين ولا يرضى منه الا بتوبتين ولذلك شدد امر المنافقين
فقال ان المنافقين في الدرك الاسفل لان الكافر كفر واظهر وهذا كفر وستر فكان ستره لكفره كفرا
لانه استخف بنظر الله تعالى الى قلبه وعظم نظر المخلوقين فمحى الكفر عن ظاهره فالعارفون يبتلون
بالشهوات بل بالمعاصي ولا يبتلون بالريا والغش والاخفا بل كمال العارف ان يترك الشهوات لله
تعالى ويظهر من نفسه الشهوة اسقاطا لمنزلته عن قلب الخلق وقد كان بعضهم يشتري الشهوات ويعلقها
في بيته وهو فيها من الزاهدين ولكن يبتغي له تلبيس حاله ليصرف عن نفسه قلوب الغافلين حتى
لا يشوشوا عليه حاله فنهاية الزهد الزهد في الزهد باظهار ضده وهذا عمل الصديقين
فانه جمع بين صدقين كما ان الاول جمع بين كذبين فهذا قد حمل على النفس ثقلين وجرعها كاسين

الصبر من غيره بستره ومرة بفقده فلاجرم اولئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا وهذا يضاهي
طريق من ياخذ ما يعطى جهرا ويرده سرا ليكسر نفسه بالذل جهرا وبالفقر سرا فمن فاته هذا
فلا ينبغي ان يفوته اظهار شهوته ونقصانه والصدق فيه ولا ينبغي ان يغره قول الشيطان
انك اذا اظهرت اقتدى بك غيرك فاستره اصلاحا لغيرك لانه لو قصد اصلاح غيره لكان اصلاح
نفسه اهم له من غيره ولذلك يثقل عليه ظهور ذلك منه وان علم ان من اطلع عليه ليس يقتدي
به في الفعل او لا ينزجر باعتقاده انه تارك للشهوات **الآفة** الثانية ان يقدر على ترك الشهوة
ولكن يفرح ان يعرف به ويشتهر بالتعفف عن الشهوات فقد خالف شهوة ضعيفة وهي شهوة
الاكل واطاع شهوة هي شر منها وهي شهوة الجاه وذلك هو الشهوة الخفية فمهما احس بذلك من
نفسه فكسر هذه الشهوة اهم من كسر شهوة الطعام فلياكل فهو اولى له قال ابو سليمان اذا قدمت
اليك شهوة وقد كنت تاركا لها فاصب منها شيا يسيرا ولا تعط نفسك بغيتها فتكون قد اسقطت
عن نفسك الشهوة وتكون قد نغصت على نفسك اذ لم تعطها شهوتها وقال
جعفر بن محمد الصادق اذا قدمت الي شهوة نظرت الى نفسي فان اظهرت شهوتها لها اطعمتها منها
وكان ذلك افضل من منعها وان اخفت شهوتها واظهرت العزوب عنها عاقبتها بالترك ولم انلها
منها شيا وهذا طريق في عقوبة النفس على هذه الشهوة الخفية وبالجملة من ترك شهوة الطعام ووقع
في شهوة الريا كان كمن هرب من عقرب وفزع الى حية لان شهوة الريا اضر كثيرا من شهوة الطعام
القول في شهوة الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين
احداهما ان يدرك لذته فيقيس به لذات الآخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات الاجساد
كما ان النار والمها اعظم آلام الجسد فالترغيب والترهيب يسوق الخلق الى سعادتهم وليس ذلك الا
بالم محسوس ولذة محسوسة مدركة فان ما لم يدرك بالذوق لم يعظم اليه الشوق **الفايده** الثانيه بقا
النسل ودوام الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الآفة ما يهلك الدين والدنيا ان لم تضبط وتقهر ولم
ترد الى حال الاعتدال وقد قيل في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به معناه الغلمة وعن ابن عباس
في قوله تعالى ومن شر غاسق اذا وقب قيام الذكر وقد اسنده بعض الرواة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انه قال في تفسيره الذكر اذا دخل وقد قيل اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا
عقله وكان صلى الله عليه وسلم يقول اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي وقال النسا حبايل
لولا هذه الشهوة لما كان للنسا سلطنة على الرجال **روي** ان موسى عليه السلام كان جالسا
في بعض مجالسه اذ اقبل ابليس وعليه برنس يتلون فيه الوانا فلما دنا منه خلع البرنس
فوضعه ثم اتاه فقال السلام عليك قال له موسى من انت قال انا ابليس قال فلا حياك الله ما جاء بك

قال حين لا اسلم عليك لمنزلتك من الله ومكانك منه قال فما الذي رايت عليك قال به اختطف
قلوب بني ادم قال ـــــ فما الذي اذا صنعه الانسان استحوذت عليه قال اذا اعجبته
نفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه واحذرك ثلثا لا تخل بامراة لا تحل لك فانه ما خلا رجل بامراة لا تحل
له الا كنت صاحبه دون اصحابي حتى افتنه بها ولا تعاهد الله عهدا الا وفيت به ولا تخرجن صدقة
الا امضيتها فانه ما اخرج رجل صدقة فلم يمضها الا كنت صاحبها دون اصحابي حتى احول بينه وبين
الوفا بها ثم ولى وهو يقول يا ويلتاه علم موسى ما يحذر به بني ادم وعن سعيد بن المسيب قال ما بعث
الله نبيا فيما خلا الا لم ييأس ابليس ان يهلكه بالنسا ولا شي اخوف عندي منهن وما بالمدينة بيت
ادخله الا بيتي وبيت ابنتي اغتسل فيه يوم الجمعة ثم اروح وقال ـــــ بعضهم ان
الشيطان قال للمراة انت نصف جندي وانت سهمي الذي ارمي به فلا اخطي وانت موضع سري وانت
رسولي في حاجتي فنصف جنده الشهوة ونصفه الغضب واعظم الشهوة شهوة النسا وهذه
الشهوات ايضا لها افراط وتفريط واعتدال والافراط ما يقهر العقل حتى يصرف همه الرجل الى التمتع
بالنسا والجواري فيحرم عن سلوك طريق الاخرة او يقهر الدين حتى يجر الى اقتحام الفواحش وقد ينتهي
افراطها بطايفة الى امرين شنيعين احدهما ان يتناولوا ما يقوي شهوتهم لاستكثار الوقاع كما قد يتناول
بعض الناس ادوية تقوي المعدة لتعظم شهوتها للطعام وما مثال ذلك الا كمن ابتلي بسباع ضارية
وبهايم عادية فتنام عنه في بعض الاوقات فيحتال لاثارتها وتهييجها ثم يشتغل بعلاجها واصلاحها
فان شهوة الطعام والوقاع على التحقيق آلام يريد الانسان الخلاص منها فيدرك لذة بسبب الخلاص
و الامر الثاني انه قد تنتهي هذه الشهوة لبعض الضلال الى العشق وهو غاية الجهل بما وضع له
الوقاع وهو مجاوزة في البهيمة لحد البهايم لان المتعشق ليس يقنع باراقة شهوة الوقاع وهي انتن
الشهوات واجدرها بان يستحي منه حتى اعتقد ان الشهوة لا تنقضي الا من محل واحد والبهيمة تقضي
الشهوة اين اتفق فتكتفي به وهذا لا يكتفي الا بواحد معين حتى يزداد به ذلا الى ذل وعبودية الى
عبودية حتى يستسخر العقل لخدمة الشهوة وقد خلق ليكون مطاعا لا ليكون خادما للشهوة ومحتالا
لاجله وما العشق الا سعة افراط الشهوة وهو مرض قلب فارغ لا همة له وانما يجب الاحتراز
من اوايله بترك معاودة النظر والفكر والا فاذا استحكم عسر دفعه وكذلك عشق الجاه والمال
والعقار والاولاد وحتى اللعب بالطيور والنرد والشطرنج فان هذه الامور قد تستولي على طايفة
بحيث تنغص عليهم الدين والدنيا ولا يصبرون عنها البتة ومثال من يكسر سورة العشق اول انبعاثه
مثال ـــــ من يصرف عنان الدابة عند توجهها الى باب لتدخله وما اهون منعها بصرف
عنانها ومثال علاجها بعد استحكامها ان تترك الدابة حتى تدخل وتجاوز الباب ثم ياخذ بذنبها

وتجرها الى ورا وما اعظم التفاوت بين الامرين في اليسر والعسر فليكن الاحتياط في بدايات الامور
فاما اواخرها فلا تقبل العلاج الا بجهد شديد يكاد يوازي نزع الروح فاذن افراط الشهوة
يغلب العقل الى هذا الحد وهو مذموم جدا وتفريطها بالعنة وبالضعف عن امتاع المنكوحة وهو
ايضا مذموم وانما المحمود ان تكون معتدلة ومطيعة للعقل والشرع في انبساطها وانقباضها
ومهما افرطت فكسرها بالجوع وبالنكاح قال ـــــ صلى الله عليه وسلم معاشر الشباب عليكم
بالباة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجا **بيان ما على المريد** في ترك التزوج
وفعله **اعلم** ان المريد في ابتدا امره لا ينبغي ان يشغل نفسه بالتزوج فان ذلك شغل شاغل يمنعه
عن السلوك ويستجره الى الانس بالزوجة ومن انس بغير الله تعالى شغل عن الله ولا تغرنه كثرة
نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان لا يشغل قلبه جميع ما في الدنيا عن الله تعالى فلا يقاس
الملايكة بالحدادين ولذلك قال ـــــ ابو سليمن الداراني من تزوج فقد ركن الى الدنيا وقال ما
اتيت مريدا تزوج فثبت على ما كان عليه وقيل له ما احوجك الى امراة تستانس بها فقال لا انسني الله
بها اي ان الانس بها يمنع الانس بالله تعالى وقال ايضا ما شغلك عن الله تعالى من اهل ومال وولد
فهو عليك مشوم فشرط المريد العزوبة في الابتدا الى ان يقوى في المعرفة وهذا اذا لم تغلبه الشهوة
فان غلبته الشهوة فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك وكان بحيث
لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح له اولى لتسكن الشهوة والا فمهما لم
يحفظ عينه لم يحفظ فكره وتفرق همه وربما وقع في بلية لا يطيقها وزنى العين من كبار الصغاير
وهي تودي على القرب الى الكبيرة الفاحشة وهي زنا الفرج ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على
حفظ دينه **وقال** ـــــ عيسى عليه السلام اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بها
فتنة وقال سعيد بن جبير انما جات فتنة داود عليه السلام من اجل النظرة وقال داود لابنه عليهما
السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود ولا تمش خلف المراة وقيل ليحيى بن زكريا ما بدء الزنا
قال النظر والتمني وقال ـــــ الفضيل يقول ابليس هي قوسي القديمة وسهمي الذي لا
اخطي به يعني النظرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن تركها
خوفا من الله اعطاه الله ايمانا يجد حلاوته في قلبه وقال صلى الله عليه وسلم ما تركت بعدي فتنة اضر على
الرجال من النسا وقال اتقوا فتنة الدنيا وفتنة النسا فان اول فتنة بني اسرايل كانت من النسا وقال
تعالى قل للمومنين يغضوا من ابصارهم الاية وقال صلى الله عليه وسلم لكل ابن ادم حظه من الزنا
فالعينان تزنيان وزناهما النظر واليدان تزنيان وزناهما البطش والرجلان تزنيان وزناهما المشي
والفم يزني وزناه القبل والقلب يهم ويصدق ذلك الفرج او يكذبه وقالت ام سلمه استاذن ابن ام مكتوم

الاعمى وانا وميمونه جالستان فقال صلى الله عليه وسلم احتجبا فقلنا اليس باعمى لا يبصرنا وانتما
لا تبصرانه وهذا يدل على انه لا يجوز للنسا مجالسه العميان كما جرت العاده به في الماتم والولايم
فيحرم على الاعمى الخلوه بالنسا ويحرم على المراه مجالسه الاعمى وتحديق النظر اليه لغير حاجه وانما
جوز للنسا محادثه الرجال والنظر اليهم لاجل عموم الحاجه وان قدر على حفظ عينه
من النسا ولم يقدر على حفظها عن الصبيان فالنكاح اولى به فان الشر في الصبيان اكثر فانه لو مال قلبه الى
امراه امكنه الوصول الى استباحتها بالنكاح والنظر الى وجه الصبي بالشهوه حرام بل كل من يتاثر قلبه
بجمال صوره الامرد بحيث يدرك التفرقه بينه وبين الملتحي لم يحل له النظر فان زعمت ان كل ذي حس
يدرك التفرقه بين الجميل والقبيح لا محاله ولم تزل وجوه الصبيان مكشوفه قلت لست اعني تفرقه العين
فقط بل ينبغي ان يكون ادراكه التفرقه كادراكه التفرقه بين شجره خضرا وبين يابسه وما صافي وما كدر
وشجره عليها ازهارها وانوارها وشجره تساقطت اوراقها فانه يميل الى احدهما بعينه وطبعه
ولكن ميلا خاليا عن الشهوه ولذلك لا يشتهي ملامسه الازهار والانوار وتقبيلها ولا تقبيل الما الصافي
وكذلك الشيبه الحسنه قد تميل العين اليها وتدرك التفرقه بينها وبين الوجه القبيح ولكنها تفرقه
لا شهوه فيها ويعرف ذلك بميل النفس الى القرب والملامسه فمهما وجد ذلك الميل في قلبه وادرك
تفرقه بين الوجه الجميل وبين النبات الحسن والابواب المنقشه والسقوف المزخرفه فنظره نظر
شهوه وهو حرام وهذا مما يتهاون به الناس ويجرهم ذلك الى المعاطب وهم لا يشعرون وقال
بعض التابعين ما انا باخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من غلام امرد يجلس اليه
وقال سفين لو ان رجلا عبث بغلام بين اصبعين من اصابع رجله يريد الشهوه لكان
لوطا وعن بعض السلف قال سيكون في هذه الامه ثلثه اصناف لوطيون صنف ينظرون وصنف
يصافحون وصنف يعملون فآفه النظر الى الاحداث عظيمه فمهما عجز المريد عن غض بصره
وضبط فكره فالصواب له ان يكسر شهوته بالنكاح فرب نفس لا يسكن توقانها بالجوع قال بعضهم
غلبت علي شهوتي في بدو ارادتي بما لم اطق فاكثرت الضجيج الى الله تعالى فرايت شخصا في المنام
فقال ما لك فشكوت اليه فقال تقدم الي فتقدمت فوضع يده على صدري فوجدت بردها على فوادي
وجميع جسدي فاصبحت وقد زال ما بي وبقيت معافا سنه ثم عاودني ذلك واشتد منه فرايت
شخصا يخاطبني فيما بين صدري وجنبي ويقول ويحك كم تسال الله تعالى رفع ما تحب دفعه
عنك تزوج قال فتزوجت فانقطع ذلك عني وولد لي ومهما احتاج الى النكاح فلا ينبغي ان يترك
شرط الاراده في ابتدا النكاح ودوامه اما في ابتدايه فبالنيه الحسنه وفي دوامه بحسن الخلق
وسداد السيره والقيام بالحقوق الواجبه كما فصلنا جميع ذلك في ادب النكاح فلا نطول باعادته

وامارة صدق ارادته ان ينكح فقيرة متدينة ولا يطلب الغنية قال بعضهم من تزوج غنية
كان له منها خمس خصال مغالاة الصداق وتسويف الزفاف وفوت الخدمه وكثره النفقه واذا
اراد طلاقها لم يقدر خوفا من ذهاب مالها والفقيرة بخلاف ذلك وقد قال بعضهم ينبغي ان تكون المراه دون
الرجل باربع والا استحقرته بالسن والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع
بالجمال والادب والخلق والورع وعلامه صدق الاراده في دوام النكاح الخلق وتزوج بعض المريدين
امراة سيية الخلق فكان يصبر عليها فقيل له لم لا تطلقها قال اخشى ان يتزوجها من لا يصبر على خلقها
فيتاذى بها وتزوج بعضهم امراه ذات جمال فلما قرب الزفاف اصاب المراة الجدري فاشتد حزن اهلها لذلك
خوفا من ان يستقبحها فاراهم الرجل انه رمد ثم اراهم انه ذهب بصره حتى زفت المراه اليه وزال عن اهل
بيتها ذلك الحزن فبقيت معه عشرين سنه ثم توفيت ففتح عينيه فقيل له في ذلك فقال تعمدت ذلك لاجل
اهلها حتى لا يحزنوا فقيل له قد سبقت اخوانك بهذا الخلق فان نكح المريد فهكذا ينبغي ان
يكون وان قدر على الترك فهو اولى اذ لم يمكنه الجمع بين فضل النكاح وسلوك الطريق وعلم ان ذلك
يشغله عن حاله كما روي ان محمد بن سليمن الهاشمي كان يملك غلة ثمانين الف درهم كل يوم ثم كتب الى اهل البصرة
وعلمايها في امراة يتزوجها فاجمعوا كلهم على رابعة رحمها الله فكتب اليها بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الله عز وجل قد ملكني من غلة الدنيا في كل يوم ثمانين الف درهم وليس تمضي الليالي والايام
حتى اتممها مايه الف وانا اصير اليك مثلها ومثلها فاجيبيني فكتبت اليه بسم الله الرحمن الرحيم
اما بعد فان الزهد في الدنيا راحة البدن والرغبة فيها تورث الهم والحزن فاذا اتاك كتابي هذا فهيي
زادك وقدم لمعادك وكن وصي نفسك ولا تجعل الرجال اوصياك فيقتسموا ميراثك وصم الدهر
واجعل فطرك الموت واما انا فلو ان الله عز وجل خولني امثال الذي خولك واضعافه ما سرني ان اشتغل
عن الله طرفة عين وهذه اشارة الى ان كل ما شغل عن الله تعالى فهو نقصان فلينظر المريد الى حاله
وقلبه فان وجده في العزوبة فهو الاقرب وان عجز فالنكاح اولى به فدوا هذه الشهوه ثلث الجوع
وغض البصر والاشتغال بشغل يستولي على القلب فان لم تنفع هذه الثلث فالنكاح هو الذي
يستاصل مادتها فقط ولهذا كان السلف يبادرون الى النكاح والى تزويج البنات قال
سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من احد الا اتاه من قبل النسا وقال سعيد وهو ابن اربع
وثمانين سنه وقد ذهبت احدى عينيه وهو يعشو بالاخرى ما شي اخوف عندي من النسا وعن ابي
وداعه قال كنت اجالس سعيد بن المسيب ففقدني اياما فلما جيته قال اين كنت
قلت توفيت اهلي فاشتغلت بها فقال الا اخبرتنا فشهدناها قال ثم اردت ان اقوم فقال هل استحدثت
امراه فقلت يرحمك الله ومن يزوجني وما املك الا درهمين او ثلثه فقال انا فقلت وتفعل قال نعم ثم حمد الله

وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وزوجني على درهمين او قال ثلثة قال فقمت وما ادري ما اصنع من الفرح
فصرت الى منزلي فاسرجت وكنت وحدي صائما فقدمت عشائي لافطر وكان خبزا وزيتا واذا بابي
يقرع فقلت من هذا قال سعيد فافكرت في كل انسان اسمه سعيد الا سعيد بن
المسيب فانه لم ير اربعين سنة الا بين بيته والمسجد فقمت فخرجت فاذا سعيد بن المسيب
فظننت انه قد بدا له فقلت يا ابا محمد الا ارسلت الي فاتيتك قال لا انت احق ان تؤتى قلت فما تامر
قال انك كنت رجلا عزبا فتزوجت فكرهت ان ابيتك الليلة وحدك وهذه امراتك
فاذا هي قائمة خلفه في طوله ثم اخذ بيدها فدفعها في الباب ورد الباب فسقطت المراة من الحياء
فاستوثقت من الباب ثم قدمت الى القصعة التي فيها الزيت فوضعتها في ظل السراج لكيلا تراه ثم صعدت
الى السطح فرميت الجيران فجاءوني فقالوا ما شانك قلت ويحكم زوجني سعيد بن المسيب بنته اليوم
وقد جاء بها الليلة على غفلة فقالوا اسعيد زوجك قلت نعم قالوا وهي في الدار قلت نعم فنزلوا اليها وبلغ
امي فجاءت وقالت وجهي من وجهك حرام ان مسستها قبل ان اصلحها الى ثلثة ايام قال فاقمت ثلثا ثم دخلت
بها فاذا هي من اجمل الناس واذا هي احفظ الناس لكتاب الله تعالى واعلمهم بسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم واعرفهم بحق الزوج قال فمكثت شهرا لا ياتيني سعيد ولا اتيه فلما كان قرب
الشهر اتيت سعيدا وهو في حلقته فسلمت عليه فرد السلام علي ولم يكلمني حتى تفرق اهل المجلس قال
ما حال ذلك الانسان قلت خيرا يا ابا محمد على ما يحب الصديق ويكره العدو قال ان رابك
شيء فالعصا فانصرفت الى منزلي فوجه الي بعشرين الف درهم قال عبد الله بن سليمن وكانت بنت سعيد
بن المسيب خطبها عبد الملك بن مروان لابنه الوليد بن عبد الملك حين ولاه العهد فابى سعيد
ان يزوجه فلم يزل عبد الملك يحتال على سعيد حتى ضربه مائة سوط في يوم بارد وصب عليه جرة
ماء والبسه جبة صوف فاستعجال سعيد في الزفاف تلك الليلة يعرفك غائلة الشهوة ووجوب
المبادرة في الدين الى تطفية نارها بالنكاح ان شاء الله **بيان فضيلة** من يخالف شهوة
الفرج والعين **اعلم** ان هذه الشهوة اغلب الشهوات على الانسان واعصاها عند الهيجان
على العقل الا ان مقتضاها قبيح يستحيى منه ويخشى من اقتحامه وامتناع اكثر الناس عن
مقتضاها اما لعجز او لخوف او لحيا او لمحافظة على حشمة وليس في شيء من ذلك ثواب فانه
ايثار حظ من حظوظ النفس على حظ آخر نعم من العصمة ان لا يقدر ففي هذه العوائق
فائدة وهو دفع الاثم فان من ترك الزنا اندفع عنه اثمه باي سبب كان تركه وانما الفضل
والثواب الجزيل في تركه خوفا من الله تعالى مع القدرة وارتفاع الموانع وتيسر الاسباب لا سيما
عند صدق الشهوة وهذه درجة الصديقين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عشق

فعف فكتم فمات فهو شهيد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة يظلهم الله يوم لا
ظل الا ظله وعد منهم رجل دعته امراة ذات حسب وجمال الى نفسها فقال اني اخاف الله رب العالمين
وقصة يوسف عليه السلام وامتناعه من زليخا مع القدرة ورغبتها معروفة وقد اثنى الله
عليه بذلك في كتابه وهو امام كل من وفق لمجاهدة الشيطان في هذه الشهوة العظيمة **وروي**
ان سليمن بن يسار كان من احسن الناس وجها فدخلت عليه امراة فسالته نفسه فامتنع عليها
وخرج هاربا من منزله وتركها فيه قال سليمن فرايت في المنام يوسف عليه السلام
وكاني اقول له انت يوسف قال نعم انا يوسف الذي هممت وانت سليمن الذي لم تهم اشارة الى قوله
تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه وعن سليمن ايضا ما هو اعجب منه وهو انه خرج
حاجا من المدينة ومعه رفيق له حتى نزلوا بالابواء فقام رفيقه واخذ السفرة ليبتاع شيا وقعد
سليمن في الخيمة وكان من اجمل الناس وجها واورع الناس فبصرت به اعرابية من قلة الجبل
فلما رات جماله وحسنه انحدرت وعليها البرقع والقفازان فجاءت ووقفت بين يديه فاسفرت عن
وجهها كانه فلقة قمر فقالت اهيبني فظن انها تريد طعاما فقام الى فضل السفرة ليعطيها فقالت
لست اريد هذا انما اريد ما يكون من الرجل الى اهله فقال جهزك الي ابليس ثم وضع
راسه بين ركبتيه واخذ في النحيب فلم يزل يبكي فلما رات ذلك سدلت البرقع على وجهها ورجعت
جليها حتى رجعت الى خيمتها فلما جاء رفيقه وراه قد انتفخت عيناه من البكا وانقطع حلقه قال
ما يبكيك قال خير ذكرت صبيتي قال لا الا ان يكون لك قصة انما عهدك بصبيتك منذ ثلث او
نحوها فلم يزل به رفيقه حتى اخبره بشان الاعرابية فوضع السفرة وجعل يبكي بكا شديدا فقال له
سليمن وانت ما يبكيك قال انا احق بالبكا منك لاني اخشى ان لو كنت مكانك
لما صبرت عنها فلم [illegible] يبكيان فلما انتهى سليمن الى مكة وطاف وسعى اتى الحجر واحتبى بثوبه فنعس
فاذا رجل وسيم طوال له شارة حسنة ورائحة طيبة فقال له سليمن من انت يرحمك
الله قال انا يوسف قال يوسف الصديق قال نعم قال ان في شانك وشان امراة العزيز لشانا عجيبا
قال له يوسف عليه السلام شانك وشان صاحبة الابواء اعجب **وروي** عن عبد الله بن عمر قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول انطلق ثلثة نفر ممن كان قبلكم حتى اواهم المبيت الى غار فدخلوا
فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا انه لا ينجيكم من هذه الصخرة الا ان تدعوا الله
بصالح اعمالكم قال رجل منهم اللهم انه كان لي ابوان شيخان كبيران وكنت لا اغبق قبلهما اهلا ولا مالا
فناى بي طلب الشجر يوما فلم ارح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين فكرهت
ان اغبق قبلهما اهلا او مالا فلبثت والقدح في يدي انتظر استيقاظهما حتى طلع الفجر والصبية يتضاغون

فاستيقضا فشربا غبوقهما اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه
الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج وقال الاخر اللهم كانت لي ابنة عم كانت احب
الناس الي فاردتها على نفسها فامتنعت مني حتى المت بها سنة من السنين فجاءتني فاعطيتها مائة
وعشرين دينارا على ان تخلي بيني وبين نفسها ففعلت حتى اذا قدرت عليها قالت لا احل لك ان تفض
الخاتم الا بحقه فتحرجت من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي احب الناس الي وتركت الذهب الذي
اعطيتها اللهم ان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير انهم
لا يستطيعون الخروج منها وقال الثالث اللهم اني استاجرت اجراء واعطيتهم اجرهم
غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت اجره حتى كثرت منه الاموال فجاءني بعد حين فقال يا عبد الله
هات اجري فقلت كل ما ترى من اجرك من الابل والبقر والغنم والرقيق فقال يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت
اني لا استهزئ بك فاخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئا اللهم فان كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك
فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون فصل من تمكن من قضاء هذه الشهوة فعف وتقرب
منه من تمكن من قضاء شهوة العين فان النظر مبدأ الزنا فحفظه مهم وهو عسير من حيث انه يستهان
به ولا يعظم الخوف فيه والآفات كلها تنشأ منه والنظرة الاولى اذا لم يقصد لا يؤاخذ بها والمعاودة
يؤخذ بها قال صلى الله عليه وسلم لك الاولى وعليك الثانية اي النظرة وقال العلاء بن زياد لا تتبع بصرك
رداء المراة فان النظرة تجعل في القلب شهوة وقلما يخلو الانسان في ترددانه عن وقوع البصر
على النساء والصبيان ومهما تخايل اليه الحسن تقاضى الطبع المعاودة وعنده ينبغي ان يقرر على نفسه
ان هذه المعاودة عين الجهل لانه ان حقق النظر واستحسن ثارت الشهوة وعجز عن الوصول ولا عين
يحصل له الا التحسر وان استقبح لم يلتذ به ويأثم لانه قصد التلذذ فقد فعل ما اليه فلا يخلو في
كل حال له عن معصية وعن الم وتحسر ومهما حفظ العين بهذا الطريق اندفع عن قلبه كثير من
الآفات وان اخطات عينه وحفظ الفرج مع التمكن فذلك يستدعي غاية القوة
ونهاية التوفيق وروي عن بكر بن عبد الله المزني ان قصابا اولع بجارية لبعض جيرانه فارسلها الى
اهلها في حاجة لهم الى قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل لانا اشد حبا لك منك
لي ولكني اخاف الله قال فانت تخافينه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش حتى يقطع عنقه فاذا هو
برسول لبعض انبياء بني اسرائيل فسأله فقال ما لك قال العطش قال تعال حتى ندعوا
حتى تظلنا سحابة حتى ندخل القرية قال ما لي من عمل فادعو قال انا ادعو وامن انت فدعا الرسول
وامن هو فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة معه
فقال له زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك لتخبرني

صاحبهم

بامرك فاخبره فقال الرسول ان التائب من الله تعالى بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن احمد بن
سعيد العابد عن ابيه قال كان عندنا بالكوفة شاب يتعبد ملازم المسجد الجامع لا يكاد يخلو منه
وكان حسن الوجه حسن القامة حسن السمت فنظرت اليه امراة ذات جمال وعقل فشغفت به
وطال ذلك عليها فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد فقالت له
يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها ثم اعمل ما شئت فمضى ولم يكلمها ثم وقفت له بعد ذلك على طريقه وهو
يريد منزله فقالت له يا فتى اسمع مني كلمات اكلمك بها قال فاطرق مليا وقال لها هذا موضع تهمة وانا
اكره ان اكون للتهمة موضعا فقالت له والله ما وقفت موقفي هذا جهالة مني بامرك ولكن معاذ
الله ان يتشوف العباد الى مثل هذا مني والذي حملني على ان لقيتك في هذا الامر بنفسي لمعرفتي ان
القليل من هذا عند الناس كثير وانتم معاشر العباد في مثل القوارير ادنى شيء يعيبه وجملة ما
اكلمك ان جوارحي كلها مشغولة بك فالله الله في امري وامرك قال فمضى الشاب الى
منزله واراد ان يصلي فلم يعقل كيف يصلي فاخذ قرطاسا وكتب كتابا ثم خرج من منزله فاذا المراة واقفة
في موضعها فالقى اليها الكتاب ورجع الى منزله وكان في الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم اعلمي ايتها المراة
ان الله تبارك وتعالى اذا عصي حلم فاذا عاد العبد في المعصية ستره فاذا لبس لها ملابسها غضب
الله عز وجل لنفسه غضبة تضيق منها السموات والارضون والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق
غضبه فان كان ما ذكرت باطلا فاني اذكرك يوما تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن
وتجثو الامم لصولة الجبار العظيم فاني والله قد ضعفت عن اصلاح نفسي فكيف باصلاح غيري وان
كان ما ذكرت حقا فانا ادلك على طبيب هدى يداوي الكلوم الممرضة والاسقام المرمضة ذلك رب العالمين يداويه
فاقصديه على صدق المسالة فاني متشاغل عنك بقوله تعالى وانذرهم يوم الازفة اذ القلوب لدى
الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الاعين وما تخفي الصدور فاين المهرب
من هذه الاية ثم جاءت بعد ذلك بايام فوقفت له على طريقه فلما رآها من بعيد اراد الرجوع الى
منزله لئلا يراها فقالت يا فتى لا ترجع فلا كان الملتقى بعد هذا ابدا الا بين يدي الله عز وجل وبكت
بكاء كثيرا وقالت اسال الله تعالى الذي بيده مفاتيح قلبك ان يسهل ما قد عسر من امرك ثم تبعته فقالت
امنن علي بموعظة احملها واوصني بوصية اعمل عليها فقال لها الفتى اوصيك بحفظ نفسك من
نفسك واذكرك قوله عز وجل وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار فاطرقت وبكت
بكاء شديدا اشد من بكائها الاول ولزمت بيتها واخذت في العبادة فلم تزل على ذلك حتى ماتت ثم افاقت
كمدا فكان الفتى يذكرها بعد موتها ويبكي عليها فيقال له مما بكاؤك وانت قد ايستها فيقول اني
ذبحت طمعها منى في اول امرها وجعلت قطعها لي ذخيرة عند الله عز وجل وانا استحيي من الله تعالى

ان اشتد ذخيره اذخرتها عنده تم كتاب كسر الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج

كتاب آفات اللسان وهو الكتاب الرابع من ربع المهلكات من كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

الحمد لله الذي احسن خلق الانسان وعدله والهمه نور الايمان فزينه به وجمله وعلمه البيان فقدمه به وفضله وافاض على قلبه خزاين العلوم فاكمله ثم ارسل عليه سترا من رحمته واسبله ثم امده بلسان يترجم عما حواه القلب وتعقله ويكشف عنه ستره الذي ارسله فاطلق بالحمد مقوله وافصح بالشكر عما اولاه وخوله من علم حصله ونطق سهله ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده الذي اكرمه وبجله ونبيه الذي ارسله بكتاب انزله وآي فصله ودين سهله صلى الله عليه وعلى آله واصحابه ومن قبله ما كبر عبد وهلله اما بعد فان اللسان من نعم الله تعالى العظيمة ولطايف صنعه الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا بشهادة اللسان وهما غاية الطاعة والعصيان ثم انه ما من موجود ومعدوم خالق او مخلوق متخيل او معلوم مظنون او موهوم الا واللسان يتناوله ويتعرض له بنفي او اثبات فان كل ما يتناوله العلم يعبر عنه اللسان اما بحق او باطل ولا شي الا والعلم متناول له وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان العين لا تصل الى غير الالوان والصور والاذن لا تصل الى غير الاصوات واليد لا تصل الى غير الاجسام وكذا ساير الاعضا واللسان رحب الميدان ليس له مرد ولا لمجاله منتهى وحد فله في الخير مجال رحب وله في الشر مجر سحب فمن اطلق عذبة اللسان واهمله مرخى العنان سلك به الشيطان في كل ميدان وساقه الى شفا جرف هار الى ان يضطره الى البوار ولا يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم ولا ينجو من شر اللسان الا من قيده بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والآخرة ويكفه عن كل ما يخشى غايلته في عاجله وآجله وعلم ما يحمد اطلاق اللسان فيه او يذم غامض عزيز والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير واعصى الاعضا على الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق في الاحتراز عن آفاته وغوايله والحذر من مصايده وحبايله وانه اعظم آلة الشيطان في استغواء الانسان ونحن بتوفيق الله تعالى وحسن تيسيره نفصل مجامع آفات اللسان ونذكرها واحدة واحدة بحدودها واسبابها وغوايلها ونعرف طريق الاحتراز منها ونورد ما ورد من الاخبار والآثار في ذمها فنذكر اولا فضل الصمت ونردفه بذكر آفة الكلام فيما لا يعنيك ثم ... بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت اعلم ان خطر اللسان عظيم ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك مدح الشرع الصمت وحث عليه فقال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا وروى

سفيان بن

عبد الله بن سفيان عن ابيه قال قلت يا رسول الله اخبرني عن الاسلام بامر لا اسال عنه احدا بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم قلت فما اتقي فاوما بيده الى لسانه وقال عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وقال سهل بن سعد الساعدي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يتكفل لي بما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال صلى الله عليه وسلم من وقي شر قبقبه وذبذبه ولقلقه فقد وقي والقبقب البطن والذبذب الفرج واللقلق اللسان فهذه الشهوات الثلث بها يهلك اكثر الخلق ولذلك اشتغلنا بذكر آفات اللسان لما فرغنا من ذكر آفة الشهوتين البطن والفرج وقد سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اكثر ما يدخل الجنة فقال تقوى الله وحسن الخلق وسيل عن اكثر ما يدخل النار قال الاجوفان الفم والفرج فيحتمل ان يكون المراد بالفم آفة اللسان لانه محله ويحتمل ان يكون المراد البطن لانه منفذه وقال معاذ قلت يا رسول الله انواخذ بما نقول فقال ثكلتك امك يا ابن جبل وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصايد السنتهم وقال عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم قال قلت يا رسول الله ما اخوف ما تخاف علي فاخذ بلسانه ثم قال هذا وروي ان معاذا قال قلت يا رسول الله اي الاعمال افضل فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لسانه ثم وضع عليه اصبعه وقال انس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنة رجل لا يامن جاره بوايقه وقال صلى الله عليه وسلم من سره ان يسلم فليلزم الصمت وعن سعيد بن جبير مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا اصبح ابن ادم اصبحت الاعضا كلها تكفر اللسان اي تقول اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا وروي ان عمر اطلع على ابي بكر رضي الله عنهما وهو يمد لسانه فقال ما تصنع يا خليفة رسول الله فقال ان هذا اوردني الموارد وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ليس شي من الجسد الا يشكو الى الله تعالى اللسان على حدته وعن ابن مسعود انه كان على الصفا يلبي ويقول يا لسان قل خيرا تغنم واصمت تسلم من قبل ان تندم قيل له يا ابا عبد الرحمن هذا شي تقوله او شي سمعته قال لا بل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اكثر خطايا ابن ادم في لسانه وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف لسانه ستر الله عورته ومن ملك غضبه وقاه الله عذابه ومن اعتذر الى الله قبل الله عذره وروي ان معاذ بن جبل قال يا رسول الله اوصني قال اعبد الله كانك تراه واعدد نفسك في الموتى وان شيت انباتك بما هو املك لك من هذا كله واشار بيده الى لسانه وعن صفوان بن سليم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت وقال الحسن ذكر لنا ان النبي صلى الله عليه وسلم قال رحم الله عبدا تكلم فغنم

او سكت فسلم وقال سفيان قالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا
قال سليمان بن داود عليه السلام ان كان الكلام من فضة فالصمت من ذهب وعن البراء ان اعرابيا اتى الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يدخلني الجنة قال اطعم الجائع واسق الظمآن وامر
بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكف لسانك الا من خير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عند
كل لسان قائل فليتق الله امرؤ على ما يقول وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المؤمن صموتا وقورا فادنوا منه
فانه يلقى الحكمة وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ثلثة غانم وسالم وشاحب فالغانم
الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاحب الذي يخوض في الباطل وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان لسان
المؤمن من وراء قلبه فاذا اراد ان يتكلم بشيء تدبره بقلبه ثم امضاه بلسانه وان لسان المنافق امام قلبه
فاذا هم بالشيء امضاه بلسانه ولم يدبره بقلبه وقال عيسى عليه السلام العبادة عشرة اجزاء تسعة
منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس وقال نبينا عليه السلام من كثر كلامه
كثر سقطه ومن كثر سقطه كثرت ذنوبه ومن كثرت ذنوبه كان النار اولى به **الاثار** كان الصديق
عليه السلام يضع حجرا في فيه يمنع به نفسه من الكلام وكان يشير الى لسانه ويقول هذا اوردني
الموارد وقال ابن مسعود والله الذي لا اله الا هو ما من شيء احوج الى طول سجن من لسان وقال طاوس
لساني سبع ان اطلقته اكلني وقال وهب بن منبه في حكمة آل داود حق على العاقل ان يكون عارفا
بزمانه حافظا للسانه مقبلا على شانه وقال الحسن ما عقل دينه من لم يحفظ لسانه وقال الاوزاعي
كتب الينا عمر بن عبد العزيز **اما بعد** فانه من اكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه
من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وقال بعضهم الصمت يجمع للرجل خصلتين السلامة في دينه
والفهم عن صاحبه وقال محمد بن واسع لمالك بن دينار يا ابا يحيى حفظ اللسان اشد على الناس من حفظ
الدنانير والدراهم وقال يونس بن عبيد ما من الناس احد يكون لسانه منه على بال الا رايت صلاح
ذلك في سائر عمله وقال الحسن كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم
يا ابا بحر قال اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقال ابو بكر بن عياش اجتمع اربع ملوك ملك
الهند وملك الصين وكسرى وقيصر فقال احدهم انا اندم على ما قلت ولا اندم على ما لم اقل وقال الاخر
اني اذا تكلمت بكلمة ملكتني ولم املكها واذا لم اتكلم بها ملكتها ولم تملكني وقال الثالث عجبت للمتكلم ان
رجعت عليه كلمته ضرته وان لم ترجع لم تنفعه وقال الرابع انا على رد ما لم اقل اقدر مني على رد ما
قلت وقيل ان المنصور بن المعتمر لم يتكلم بعد العشاء الاخرة بعشرين سنة وقيل ما تكلم الربيع بن خثيم
بكلام الدنيا عشرين سنة وكان اذا اصبح وضع قرطاسا وقلما فكلما تكلم به كتبه ثم يحاسب نفسه عند
المسا فان قلت فهذا الفضل الكثير للصمت ما سببه فاعلم ان سببه كثرة آفات اللسان من الخطأ والكذب

والنميمة والغيبة والرياء والنفاق والفحش والمراء وتزكية النفس والخصومة والفضول والخوض في الباطل والتحريف
والزيادة والنقصان وايذاء الخلق وهتك العورات **فهذه** آفات كثيرة وهي سباقة الى اللسان
لا تثقل على اللسان ولها حلاوة في القلب وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان فالخائض فيه
قل ما يقدر على ان يمسك اللسان فيطلقه بما يحبه ويكفه عما لا يحب فان ذلك من غوامض العلم
كما سياتي تفصيله ففي الخوض خطر وفي الصمت سلامة فلذلك عظم فضله هذا مع ما فيه من جمع
الهم ودوام الوقار والفراغ للفكر والعبادة والذكر والسلامة من تبعات القول في الدنيا ومن
حسابه في الاخرة **وقد** قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ويدلك على لزوم الصمت امر
وهو ان الكلام اربعة اقسام قسم هو ضرر محض وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة وقسم ليس
فيه ضرر ولا منفعة **اما** الذي هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة
لا تفي بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين
الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع فقد سقط ثلثة ارباع الكلام وبقي الكلام ربع وهذا الربع فيه خطر
اذ يمتزج بما فيه اثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى
مدركه فيكون الانسان به مخاطرا ومن عرف دقائق آفات اللسان على ما سنذكره علم قطعا
ان ما ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم هو فصل الخطاب حيث قال من صمت نجا فانه اوتي والله جواهر
الحكم وجوامع الكلم ولا يعرف ما تحت آحاد كلماته من بحار المعاني الا خواص العلماء وفيما سنذكره من
الآفات وعسر الاحتراز عنها ما يعرفك حقيقة ذلك ان شاء الله تعالى ونحن الان نعد آفات اللسان
ونبتدي باخفها ونترقى الى الاغلظ قليلا قليلا ونؤخر الكلام في الغيبة والنميمة والكذب فان النظر
فيها اطول وهي عشرون آفة **الآفة** الاولى الكلام فيما لا يعنيك **اعلم** ان احسن احوالك ان تحفظ الفاظك
عن جميع الآفات التي ذكرناها من الغيبة والرياء والنفاق وغيره فتتكلم بما هو
مباح لا ضرر فيه عليك ولا على مسلم اصلا الا انك تتكلم بما انت مستغن عنه ولا حاجة بك اليه
فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك ومستبدل الذي هو ادنى بالذي هو خير لانك لو
صرفت الكلام الى الفكر ربما كان ينفتح لك من نفحات رحمة الله عند الفكر ما يعظم
جدواه ولو هللت الله وسبحته وذكرته لكان خيرا لك وكم من كلمة يبنى بها قصر في الجنة ومن قدر على
ان ياخذ كنزا من الكنوز فاخذ بدله مدرة لا ينتفع بها كان خاسرا خسرانا مبينا وهذا مثال من
ترك ذكر الله تعالى واشتغل بمباح لا يعنيه فانه وان لم ياثم فقد خسر حيث فاته الربح العظيم
بذكر الله تعالى فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرا ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا هكذا قال النبي صلى الله
عليه وسلم بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفها الى ما لا يعنيه ولم يدخر ثوابا في الاخرة فقد

ضيع رأس ماله ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه بل
ورد ما هو اشد من هذا قال انس استشهد غلام منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع
فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت هنيا لك الجنة يا بني فقال النبي صلى الله عليه وسلم
وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه ويمنع ما لا يضره وفي حديث اخر ان النبي صلى الله عليه وسلم
فقد كعبا فسال عنه فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال ابشر يا كعب فقالت
امه هنيا لك الجنة يا كعب فقال من هذه المتالية على الله قال هي امي يا رسول الله قال وما يدريك يا
ام كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه او منع ما لا يغنيه ومعناه انه انما يتهنى بالجنة من لا يحاسب ومن
تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وان كان كلامه مباحا فلا يتهنا له الجنة مع المناقشة في الحساب فانه
نوع من العذاب وعن محمد بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول من يدخل
من هذا الباب رجل من اهل الجنة فدخل عبد الله بن سلام فقام اليه ناس من اصحاب رسول الله صلى الله
عليه وسلم فاخبروه بذلك وقالوا اخبرنا باوثق عملك في نفسك ترجو به فقال اني لضعيف وان اوثق
ما ارجو به سلامة الصدر وتركي ما لا يعنيني وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اعلمك بعمل خفيف على البدن ثقيل في الميزان قلت بلى يا رسول الله قال هو الصمت وحسن الخلق
وتركك ما لا يعنيك وقال مجاهد سمعت ابن عباس يقول خمس لهن احسن من الدهم الموقفة
لا تكلم فيما لا يعنيك فانه فضل ولا آمن عليك الوزر ولا تكلم فيما يعنيك حتى تجد له موضعا فانه
رب متكلم في امر يعنيه قد وضعه في غير موضعه فعيب ولا تمار حليما ولا سفيها فان الحليم
يقليك وان السفيه يوذيك واذكر اخاك اذا تغيب عنك بما تحب ان يذكرك به واعفه مما
تحب ان يعفيك منه واعمل عمل رجل يرى انه مجازى بالاحسان ماخوذ بالاجرام وقيل للقمان الحكيم
ما حكمتك قال لا اسال عما كفيت ولا اتكلف ما لا يعنيني وقال مورق العجلي امر انا في طلبه منذ
عشر سنين لم اقدر عليه ولست بتارك طلبه قالوا وما هو قال الصمت عما لا يعنيني وقال عمر رضي
الله عنه لا تتعرض لما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك من القوم الا الامين ولا امين
الا من خشي الله ولا تصحب الفاجر لتتعلم من فجوره ولا تطلعه على سرك واستشر في امرك الذين
يخشون الله تعالى واحذر ان تتكلم بكل ما لو سكت عنه لم تاثم ولم تتضرر في حال او مال ومثاله
ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع لك من
الوقائع وما استحسنت من الاطعمة والثياب وما تعجبت منه من مشايخ البلاد ووقائعهم فهذه
امور لو سكت عنها لم تاثم ولم تتضرر واذا بالغت في الاجتهاد حتى لم تمتزج بحكايتك زيادة
ونقصان ولا تزكية لنفس من حيث التفاخر بمشاهدة الاحوال العظيمة ولا اغتياب لشخص

ولا مذمة لشيء مما خلقه الله تعالى فانت مع ذلك مضيع زمانك واني تسلم من الافات التي ذكرناها ومن
جملته ان تسال غيرك عما لا يعنيك فانت بالسوال مضيع وقتك وقد الجات صاحبك ايضا بالجواب
الى التضييع هذا اذا كان الشيء مما لا يتطرق الى السوال عنه افة واكثر الاسولة فيها آفات فانك تسال
غيرك عن عبادته فتقول هل انت صايم فان قال نعم كان مظهرا لعبادته فيدخل عليه
الريا وان لم يدخل سقطت عبادته من ديوان السر وعبادة السر تفضل على عبادة الجهر بدرجات
وان قال لا كان كاذبا وان سكت كان مستحقرا اياك وتاذيت به وان احتال لمدافعة الجواب افتقر
الى جهد وتعب فيه فقد عرضته بالسوال اما للريا واما للكذب او للاستحقار او التعب في حيلة
الدفع وكذلك سوالك عن ساير عباداته وكذلك عن المعاصي وعن كل ما يخفيه ويستحيي منه
وسوالك عما حدث به غيره فتقول له ماذا تقول وفيم انتم وكذلك ترى انسانا في الطريق فتقول من اين
فربما يمنعه مانع من ذكره فان ذكره تاذى واستحيا وان لم يصدق وقع في الكذب وكنت السبب
فيه وكذلك تسال عن مسالة لا حاجة لك اليها والمسول ربما لا تسمح نفسه بان يقول لا ادري
فيجيب عن غير بصيرة ولست اعني بالتكلم بما لا يعني هذه الاجناس فان هذه لا يتطرق اليه
اثم وضرر وانما مثال ما لا يعني ما روي ان لقمن دخل على داود عليه السلام وهو يسرد
الدرع فجعل يتعجب مما يرى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعه حكمته فامسك نفسه ولم يساله
فلما فرغ قام داود ولبسه ثم قال نعم الدرع للحرب فقال لقمن الصمت حكم وقليل فاعله اي حصل العلم
به من غير سوال فاستغنى عن السوال وقيل كان يتردد اليه سنة وهو يريد ان يعلم ذلك ولا
يسال فهذه وامثاله من الاسولة اذا لم يكن فيه ضرر وهتك ستر وتورط في ريا وكذب
مما لا يعني وتركه من حسن الاسلام فهذا حده واما سببه الباعث عليه فالحرص على ما لا
حاجة به اليه او المباسطة بالكلام على سبيل التودد او تزجية الوقت بحكايات احوال لا فايدة
فيها وعلاج ذلك كله ان يعلم ان الموت بين يديه وانه مسول عن كل كلمة وان انفاسه راس ماله
وان لسانه شبكة يقدر ان يقتنص بها حور العين فاهماله وتضييعه خسران هذا من
حيث العلم واما من حيث العمل فالعزلة او ان يضع حجرا في فيه وان يلزم نفسه السكوت
عن بعض ما يعنيه ليتعود اللسان ترك ما لا يعنيه وضبط اللسان في هذا على غير المعتزل
شديد جدا الافة الثانية فضول الكلام وهو ايضا مذموم وهذا يتناول الخوض فيما لا
يعني والزيادة فيما يعني على قدر الحاجة فان من يعنيه امر يمكنه ان يذكره بكلام مختصر ويمكنه
ان يجسمه ويقرره ويكرره ومهما تأتى مقصوده بكلمة واحدة فذكر كلمتين فالثاني فضول
اي فضل على الحاجة وهذا ايضا مذموم لما سبق وان لم يكن فيه اثم ولا ضرر قال عطا بن ابي رباح

ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدّون فضول الكلام ما عدا كتاب الله او امرا
بمعروف او نهيا عن منكر او نطق بحاجتك في معيشتك التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم
لحافظين كراما كاتبين وعن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحي
احدكم ان لو نشر صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا دنياه وعن
بعض الصحابه رضي الله عنهم ان الرجل ليكلمني بالكلام لجوابه اشهى اليّ من الما البارد الى الظمان فاترك
جوابه خيفه ان يكون فضلا وقال مطرف ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول احدكم
للكلب والحمار اللهم اخزه **واعلم** ان فضول الكلام لا ينحصر بل المهم محصور في كتاب الله قال الله تعالى
لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقه او معروف او اصلاح بين الناس وقد قال
صلى الله عليه وسلم طوبى لمن امسك الفضل من لسانه وانفق الفضل من ماله فانظر كيف قلب الناس
فامسكوا فضل المال واطلقوا فضل اللسان وعن مطرف بن عبد الله عن ابيه قال قدمت على رسول
الله صلى الله عليه وسلم في رهط من بني عامر فقالوا انت والدنا وانت سيدنا وانت افضلنا علينا وانت
اطولنا علينا طولا وانت الجفنه الغرا وانت وانت فقال قولوا قولكم ولا يستهوينكم
الشيطان اشاره الى ان اللسان اذا اطلق في الثنا ولو بالصدق فيخشى ان يستهويه الشيطان الى
الزياده المستغنى عنها **وقال** ابن مسعود انذركم فضول الكلام بحسب امرئ ما بلغ به حاجته
وقال مجاهد قال ان الكلام يكتب حتى ان الرجل ليسكت ابنه ابتاع لك كذا وكذا فيكتب له كذبه
وقال الحسن يا ابن ادم بسطت لك صحيفه ووكل بها ملكان كريمان يكتبان عملك
فاعمل ما شيت واكثر او اقلل وروي ان سليمن بن داود عليه السلام بعث بعض عفاريته وبعث
نفرا ينظرون ما يقول ويخبرونه قال فاخبروه انه مر على السوق فرفع راسه الى السما ثم نظر الى الناس
وهز راسه فسال سليمن فقال عجبت من الملايكه على روس الناس ما اسرع ما يكتبون ومن
الذين اسفل منهم ما اسرع ما يملون وقال ابرهيم التيمي المومن اذا اراد ان يتكلم نظر فان كان له تكلم والا
امسك والفاجر انما لسانه رسلا رسلا وقال الحسن من كثر كلامه كثر كذبه ومن كثر ماله كثرت ذنوبه
ومن سا خلقه عذب نفسه وقال عمرو بن دينار تكلم رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله
عليه وسلم كم دون لسانك من باب فقال شفتان واسنان قال اما كان في ذلك ما يرد كلامك وفي
روايه انه قال ذلك في رجل اثنى عليه فاستحضر في الكلام ثم قال ما اوتي رجل شرا من فضل لسانه وقال
عمر بن عبد العزيز انه ليمنعني من كثير من الكلام مخافه المباهات وقال بعض الحكما اذا كان المرء
في مجلس فاعجبه الحديث فليسكت وان كان ساكتا فاعجبه السكوت فليتحدث وقال يزيد بن
ابي حبيب من فتنه العالم ان يكون الكلام احب اليه من الاستماع وان وجد من يكفيه وان في الاستماع

ثلاثه في الكلام

ثلاثه في الكلام تزيين وزياده ونقصان وقال ابن عمر ان احق ما طهر الرجل لسانه وراى ابو الدردا امراه
سليطه فقال لو كانت هذه خرسا كان خيرا لها وقال ابرهيم يهلك الناس في خلتين فضول
المال وفضول الكلام فيما لا يعني **الافه** الثالثه الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كحكايه احوال
النسا ومجالس الخمر ومقامات الفساق وتنعم الاغنيا وتجبر الملوك ومراسمهم المذمومه واحوالهم
المكروهه فان كل ذلك مما لا يحل الخوض فيه فهو حرام **واما** الكلام فيما لا يعني او اكثر مما يعني فهو
ترك الاولى ولا تحريم فيه نعم من يكثر الكلام فيما لا يعني لا يومن عليه الخوض في الباطل واكثر الناس
يتجالسون للتفرج بالحديث ولا يعدو كلامهم التفكه باعراض الناس او الخوض في الباطل وانواع
الباطل لا يمكن ان يحصى لكثرته فلذلك لا يتخلص منه الا بالاقتصار على ما يعني من مهمات الدين
والدنيا وفي هذا الجنس يقع من الكلمات ما يهلك صاحبها وهو يستحقرها وقد قال
بلال بن الحرث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمه من رضوان الله ما يظن ان تبلغ بها ما بلغت
فيكتب الله عليه بها سخطه الى يوم القيمه قال فكان علقمه يقول كم من كلام قد
منعنيه حديث بلال بن الحرث وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمه يضحك بها
جلساه يهوي بها ابعد من الثريا وقال ابو هريره ان الرجل ليتكلم بالكلمه ما يلقي لها بالا يهوي بها في جهنم سبعين خريفا
وان الرجل ليتكلم بالكلمه ما يلقي لها بالا يرفعه الله تعالى بها في الجنه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر
الناس خطايا يوم القيمه اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشاره بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخايضين
وبقوله تعالى ولا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وقال سلمان اكثر الناس ذنوبا يوم
القيمه اكثرهم كلاما في معصيه الله تعالى وقال ابن سيرين كان رجل من الانصار يمر بمجلس لهم فيقول
توضوا فان بعض ما تقولون شر من الحدث فهذا هو الخوض في الباطل وهو ما وراء ما سياتي من الغيبه
والنميمه والفحش وغيره بل هو الخوض في ذكر محظورات سبقت وجودها او تدبر في التوصل
اليها من غير حاجه دينيه الى ذكرها ويدخل فيه الخوض في حكايه البدع والمذاهب الفاسده وحكايه
ما جرى من قتال الصحابه رضي الله عنهم على وجه يوهم الطعن على بعضهم وكل ذلك باطل والحديث فيه
خوض في الباطل **الافه** الرابعه المرا والجدال وذلك منهي عنه فقد قال صلى الله عليه وسلم لا تمار
اخاك ولا تمازحه ولا تعده موعدا فتخلفه وقال صلى الله عليه وسلم ذروا المرا فانه لا تفهم حكمته
ولا تومن فتنته وقال صلى الله عليه وسلم من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنه ومن ترك
المرا وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنه وعن ام سلمه قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اول ما عهد
الي ربي ونهاني عنه بعد عباده الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال وقال ايضا ما ضل قوم الا اوتوا
الجدل وقال ايضا لا يستكمل عبد حقيقه الايمان حتى يدع المرا وان كان محقا وقال ايضا ست من

كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام في الصيف وضرب اعدا الله بالسيف وتعجيل الصلوة في يوم الدجن
والصبر على المصيبات واسباغ الوضو على المكاره وترك المرا وهو صادق وقال الزبير لابنه لا تجادل
الناس بالقران فانك لا تستطيعهم وعليك بالسنة وقال عمر بن عبد العزيز من جعل دينه غرضا
للخصومات اكثر التنقل وقال مسلم بن يسار اياكم والمرا فانها ساعة جهل العالم وعندها يبتغي
الشيطان زلته وقيل ما ضل قوم بعد اذ هداهم الله الا بالجدال وقال مالك بن انس ليس هذا الجدال
من الدين في شي وقال ايضا المرا يقسي القلب ويورث الضغاين وقال لقمن لابنه يا بني لا تجادل العلما
فيمقتونك وقال بلال بن سعد اذا رايت الرجل لجوجا ممارئا معجبا برايه فقد تمت خسارته وقال
سفين لو خالفت اخي في رمانة فقال حلوة وقلت حامضة لسعى الى الشيطان وقال سفين صاف
من شيت ثم اغضبه بالمرا فليرمينك بداهية تمنعك من العيش وقال ابن ابي ليلى لا اماري صاحبي
فاما ان اكذبه واما ان اغضبه وقال ابو الدردا كفى اثما ان لا تزال ممارئا وقال صلى الله
عليه وسلم تكفير كل لحاء ركعتان وقال عمر رضي الله عنه لا تتعلم العلم لثلث ولا تتركه لثلث لا تتعلم لتماري
به ولا تباهي به ولا ترائي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا زهادة فيه ولا رضا بالجهل منه وقال عيسى عليه السلام من
كثر كذبه ذهب جماله ومن لاحى الرجال سقطت مروته ومن كثر همه سقم جسمه ومن ساء خلقه عذب
نفسه وقيل لميمون بن مهران ما لك لا يفارقك اخ لك فقال لاني لا اشاريه ولا اماريه وما ورد في ذم المرا
والجدال كثير وحد المرا هو كل اعتراض على كلام الغير باظهار خلل فيه اما في اللفظ واما في المعنى واما
في قصد المتكلم وترك المرا بترك الانكار والاعتراض فكل كلام سمعته فان كان حقا فصدق به وان كان
باطلا ولم يكن متعلقا بامور الدين فاسكت عنه والطعن في كلام الغير تارة يكون في لفظه
باظهار خلل من جهة النحو او من جهة اللغة او من جهة العربية او من جهة النظم والترتيب بسو
تقديم وتاخير وذلك تارة يكون من قصور المعرفة وتارة يكون بطغيان اللسان وكيف ما كان فلا وجه
لاظهار خلله واما في المعنى بان يقول ليس كما تقول وقد اخطات فيه لكذا وكذا واما في قصده مثل ان
يقول هذا الكلام حق ولكن ليس قصدك منه الحق وانما انت فيه صاحب غرض وما يجري مجراه وهذا الجنس
ان جرى في مسئلة علمية ربما خص باسم الجدل وهو ايضا مذموم بل الواجب السكوت او السوال في معرض
الاستفادة لا على صيغة العناد والنكارة او التلطف في التعريف لا في معرض الطعن وانما المجادلة
عبارة عن قصد افحام الغير وتعجيزه وتنقيصه بالقدح في كلامه ونسبته الى القصور والجهل فيه واية
ذلك ان يكون تنبيهه للحق من جهة اخرى مكروها عند المجادل بل يحب ان يكون هو
المظهر له خطاه ليتبين به فضل نفسه ونقصان صاحبه ولا نجاة من هذا الا بان يسكت عن كل ما لا
ياثم به لو سكت عنه ولما الباعث على هذا النزوع باظهار الفضل والتهجم على الغير باظهار نقصه وهما

شهوتان باطنتان للنفس قويتان اما اظهار الفضل فهو من قبيل تزكية النفس وهي من مقتضى ما في العبد
من طغيان دعوى العلو والكبريا وهي من صفات الربوبية واما تنقيص الغير فهو من مقتضى طبع السبعية
فانه يقتضي ان يمزق غيره ويقصمه ويصدمه ويوذيه وهاتان صفتان مذمومتان مهلكتان وانما
قوتهما المرا والجدل فالمواظب على المرا والجدل مقو لهذه المهلكة وهذا مجاوز حد الكراهية بل هو
معصية مهما حصل فيه ايذا الغير ولا تنفك المماراة عن الايذا وتهييج الغضب وحمل المعترض عليه
على ان يعود فينصر كلامه بما يمكنه من حق او باطل ويقدح في قائله بكل ما يتصور فيثور الشجار
بين المتماريين كما يثور التهارش بين الكلبين يقصد كل واحد منهما ان يعض صاحبه بما هو اعظم نكاية
واقوى في افحامه والجامه واما علاجه فهو بان يكسر الكبر الباعث له على اظهار فضله والسبعية
الباعثة له على تنقيص غيره كما سياتي ذكره في كتاب الكبر وكتاب الغضب فان علاج كل علة باماطة سببها
وسبب المرا ما ذكرناه ثم المواظبة عليه تجعله عادة وطبعا حتى يتمكن من النفس ويعسر الصبر عنه
روي ان ابا حنيفه قال لداود الطائي لم آثرت الانزوا قال لاجاهد نفسي بترك
الجدال فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منه
وهو كما قال لان من يسمع من غيره الخطا وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذلك قال
عليه السلام من ترك المرا وهو محق بني له بيت في اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس واكثر ما يغلب ذلك
في المذاهب والعقايد فان المرا طبع فاذا ظن ان له عليه ثوابا اشتد عليه حرصه وتعاون الطبع
والشرع وذلك خطا محض بل ينبغي للانسان ان يكف لسانه عن اهل القبلة واذا راى مبتدعا تلطف
في نصحه على خلوة لا بطريق المجادلة فان المجادلة تخيل اليه انه حيلة منه في التلبيس وصنعة
يقدر المجادلون من اهل مذهبه على امثالها لو ارادوا فتستمر البدعة في قلبه بالجدل وتتاكد فاذا
عرف ان النصح لا ينفع اشتغل بنفسه وتركه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله
من كف عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه قال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات
وكلما تعود المجادلة واثنى الناس عليه ووجد لنفسه بسببه عزا وقبولا قويت فيه هذه
المهلكات ولا يستطيع عنها نزوعا اذا اجتمع عليه شيطان الكبر والغضب والريا وحب الجاه والتعزز
بالفضل واحاد هذه الصفات تشق مجاهدتها فكيف مجموعها الافة الخامسة الخصومة وهي
ايضا مذمومة وهي ورا المرا والجدال فالمرا طعن في كلام الغير لاظهار خلل فيه من غير ان يرتبط
به غرض سوى تحقير الغير واظهار مزية الكياسة والجدال عبارة عن امر يتعلق باظهار المذاهب
وتقريرها والخصومة لجاج في الكلام ليستوفى به مال او حق مقصود وذلك تارة يكون ابتدا وتارة يكون اعتراضا والمرا
لا يكون الا باعتراض على كلام سبق فقد قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابغض

الرجال الى الله الالد الخصم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من جادل في خصومة
بغير علم لم يزل في سخط الله حتى ينزع وقال بعضهم اياكم والخصومة فانها تمحق الدين ويقال ما خاصم
قط ورع في الدين وقال ابن قتيبة مر بي بشر بن عبيد الله بن ابي بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة بيني وبين ابن عم
لي قال ان لابيك عندي يدا واني اريد ان اجزيك بها واني والله ما رايت شيئا اذهب للدين ولا انقص للمروة
ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من خصومة قال فقمت لارجع فقال خصمي ما لك لا تخاصمني قال
عرفت انه حقي قلت لا ولكني اكرم نفسي عن هذا قال فاني لا اطلب شيئا هو لك فان قلت اذا كان للانسان
حق فلا بد له من الخصومة في طلبه او في حفظه مهما ظلمه ظالم فكيف يكون حكمه وكيف يذم
خصومته فاعلم ان هذا الذم يتناول الذي يخاصم بالباطل والذي يخاصم بغير علم مثل وكيل القاضي فانه
قبل ان يعرف ان الحق في اي جانب يتوكل في الخصومة من اي جانب يكون فيخاصم بغير علم ويتناول الذي
يطلب حقه ولكنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد في الخصومة على قصد التسليط او على قصد
الايذا ويتناول الذي يمزج بالخصومة كلمات موذية ليس يحتاج اليها في نصرة الحجة واظهار
الحق ويتناول الذي يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره مع انه قد يستحقر ذلك القدر
من المال وفي الناس من يصرح به ويقول انما قصدي عناده وكسر عرضه واني ان اخذت منه هذا المال
رميت به في بير ولا ابالي فهذا مقصوده اللدد واللجاج وهو مذموم جدا اما المظلوم الذي ينصر
حجته بطريق الشرع من غير لدد واسراف وزيادة لجاج على الحاجة ومن غير قصد عناد وايذا ففعله ليس
بحرام ولكن الاولى تركه ما وجد اليه سبيلا فان ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر
والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب فاذا هاج الغضب نسي المتنازع فيه وبقي الحقد بين
المتخاصمين حتى يفرح كل واحد بمساءة صاحبه ويحزن بمسرته ويطلق اللسان في عرضه فمن ابتدا بالخصومة
فقد تعرض لهذه المحظورات واقل ما فيه تشويش خاطره حتى انه في صلاته يشتغل بمحاجة خصمه
فلا يبقى الامر على حد الواجب والخصومة مبدا كل شر وكذا الجدل والمرا فينبغي ان لا يفتح بابه الا
لضرورة وعند الضرورة ينبغي ان يحفظ اللسان والقلب عن تبعات الخصومة وذلك متعذر جدا فمن
اقتصر على الواجب في خصومته سلم من الاثم ولا تذم خصومته الا انه ان كان مستغنيا عن
الخصومة فيه لان معه ما يكفيه فيكون تاركا للاولى ولا يكون اثما نعم اقل ما يفوته في الخصومة والمرا
والجدل طيب الكلام وما ورد عليه من الثواب اذ اقل درجات طيب الكلام اظهار الموافقة ولا خشونة في
الكلام اعظم من الطعن والاعتراض الذي حاصله اما تجهيل واما تكذيب فان من جادل غيره او ماراه او
خاصمه فقد جهله او كذبه فيفوت به طيب الكلام وقد قال صلى الله عليه وسلم يمكنكم من الجنة طيب
الكلام واطعام الطعام وقد قال تعالى وقولوا للناس حسنا وقال ابن عباس من سلم عليك من خلق الله

فاردد عليه وان مجوسيا لان الله تعالى يقول واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها
وقال ابن عباس ايضا لو قال لي فرعون خيرا لرددت عليه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في
الجنة لغرفا يرى ظاهرها من باطنها اعدها الله تعالى لمن اطعم الطعام واطاب الكلام وروي ان عيسى عليه
السلام مر به خنزير فقال امر بسلام فقيل يا روح الله تقول هذا لخنزير فقال اكره ان اعود لساني الشر
وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم الكلمة الطيبة صدقة وقال عليه السلام اتقوا النار ولو بشق تمرة فان
لم يكن فبكلمة طيبة وقال عمر رضي الله عنه البر شيء هين وجه طليق وكلام لين وقال
بعض الحكما كل كلام لا يسخط ربك الا انك ترضي به جليسك فلا تكن عليه به بخيلا فلعله يعوضك
منه ثواب المحسنين وقال بعض الحكما الكلام اللين يغسل الضغاين المستكنة في الجوارح فهذا كله في فضل
الكلام الطيب وتضاده الخصومة والمرا واللجاج والجدال فانه الكلام المستنكر الموحش المؤذي
للقلب المنغص للعيش المهيج للغضب الموغر للصدر **الافة** السادسة التقعر فيه بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة والتصنع فيه بالتشبيبات
والمقدمات وما جرت به عادة المتفاصحين المدعين للخطابة فكل ذلك من التصنع المذموم وهو
التكلف الممقوت الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم انا والاتقياء من امتي برآء
من التكلف وقال عليه السلام ان ابغضكم الي وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون
وقالت فاطمة رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم شرار امتي الذين غذوا بالنعيم ياكلون
الوان الطعام ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام وقال صلى الله عليه وسلم الا هلك المتنطعون
ثلث مرات والتنطع هو التعمق والاستقصا وقال عمر رضي الله عنه ان شقاشق الكلام من شقاشق
الشيطان وجا عمر بن سعد الى ابيه يساله حاجة فتكلم بين يدي حاجته بكلام فقال له سعد ما كنت
من حاجتك ابعد منك اليوم اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ياتي على الناس زمان يتخللون
الكلام بالسنتهم كما تتخلل البقر الكلا بالسنتها وكانه انكر عليه ما قدمه في الكلام من التشبيب والمقدمة
المصنوعة المتكلفة وهو من آفات اللسان ويدخل فيه كل سجع متكلف وكذلك التفاصح الخارج عن
العادة وكذلك التكلف بالسجع في المحاورات اذ قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بغرة الجنين فقال
بعض قوم الجاني كيف ندي من لا شرب ولا اكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال صلى الله
عليه وسلم اسجعا كسجع الاعراب وانكر ذلك فكل شي على مقصوده ومقصود الكلام التفهيم للغرض
وما وراء ذلك تصنع مذموم ولا يدخل في هذا تحسين الفاظ الخطابة والتذكير من غير افراط واغراب
لان المقصود منها تحريك القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها ولرشاقة اللفظ تاثير فيه فهو
لايق به فاما المحاورات التي تجري لقضا الحاجات فلا يليق بها السجع والتشديق فالاشتغال به
من التكلف المذموم ولا باعث عليه الا الريا واظهار الفصاحة والتميز بالبراعة وكل ذلك مذموم

الكهان

يكرهه الشرع ويزجر عنه **الآفة** السابعة الفحش والسب وبذاءة اللسان وهو منهي عنه مذموم ومصدره الخبث واللوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ان تسب قتلى بدر من المشركين وقال لا تسبوا هولا فانه لا يخلص اليهم شي مما تقولون وتوذون الاحيا الا ان البذا لوم وقال صلى الله عليه وسلم الجنة حرام على كل فاحش ان يدخلها وقال صلى الله عليه وسلم اربعة يوذون اهل النار على ما بهم من الاذى يسعون بين الحميم والجحيم يدعون بالويل والثبور يسيل فوه قيحا ودما فيقال له ما بال الابعد قد اذانا على ما بنا من الاذى فيقول ان الابعد كان ينظر الى كل كلمة قذعة خبيثة فيستلذ بها كما يستلذ الرفث وقال صلى الله عليه وسلم يا عايشه لو كان الفحش رجلا لكان رجل سو وقال صلى الله عليه وسلم البذا والبيان شعبتان من شعب النفاق ويحتمل ان يكون المراد بالبيان كشف ما لا يجوز كشفه ويحتمل ايضا المبالغه في الايضاح حتى ينتهي الى حد التكلف ويحتمل ايضا البيان في امور الدين وفي صفات الله تعالى فان القا ذلك مجملا الى اسماع العوام اولى من المبالغه في بيانه اذ قد يثور من غاية البيان فيه شكوك ووساوس واذا اجملت بادرت القلوب لم تضطرب ولكن ذكره مقرونا بالبذا يشبه ان يكون المراد به المجاهرة بما يستحي الانسان من بيانه فان الاولى في مثله الاغماض والتغافل دون الكشف والبيان وقال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح في الاسواق وقال جابر بن سمره كنت جالسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي امامه فقال صلى الله عليه وسلم ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في شي وان احسن الناس اسلاما احسنهم اخلاقا وقال ابرهيم بن ميسرة الفاحش المتفحش يوم القيمه في صورة كلب او في جوف كلب وقال الاحنف بن قيس الا اخبركم بادوا الدا اللسان البذي والخلق الدني فهذه مذمه الفحش فاما حده وحقيقته فهو التعبير عن الامور المستقبحه بالعبارات الصريحه ويجري اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به فان لاهل الفساد عبارات صريحة فاحشة يستعملون فيها واهل الصلاح يتحاشون من الت[illegible] بل يكنون عنها ويدلون عليها بالرموز ويذكرون ما يقاربها ويتعلق بها قال ابن عباس رضي الله عنه ان الله تعالى حيي كريم يعفو ويكني كنى باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبه كنايات عن الوقاع ليست بفاحشة وعنها عبارات فاحشه يستقبح ذكرها ويستعمل اكثرها في الشتم والتعيير وهذه العبارات متفاوته في الفحش وبعضها افحش من بعض وربما اختلف بعادة البلاد واوايلها مكروهه واواخرها محظوره وبينهما درجات يتردد فيه وليس يختص هذا بالوقاع بل الكنايه بقضا الحاجه عن البول والتغوط اولى من لفظ التغوط والخرا وغيرها فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه فلا ينبغي ان يذكر الفاظه الصريحه فانه فحش وكذلك يستحسن في العاده الكنايه

عن النسا فلا يقال قالت زوجتك كذا بل يقال قيل في الحجرة او قيل من ورا الستر وقالت ام الاولاد كذا والتلطف في هذه الالفاظ محمود والتصريح يفضي الى الفحش وكذلك من به عيوب يستحيى منها فلا ينبغي ان يعبر عنها بصريح اللفظ كالبرص والقرع والبواسير بل يقال العارض الذي يشكوه وما يجري مجراه فالتصريح بذلك داخل في الفحش وجميع ذلك من آفات اللسان قال العلا بن هرون كان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يتحفظ في منطقه فخرج خراج في كفه فقلنا نساله ما ذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد والباعث على الفحش اما قصد الايذا واما الاعتياد الحاصل من مخالطه الفساق واهل الخبث واللوم ومن عادتهم السب قال اعرابي لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال عليك بتقوى الله وان امرو عيرك بشي يعلمه فيك فلا تعيره بشي تعلمه فيه يكون وباله عليه واجره لك ولا تسبن شيا قال فما سببت شيا بعده قال عياض بن حماد قلت يا رسول الله الرجل من قومي يسبني وهو دوني هل علي باس ان انتصر منه فقال المستبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان وقال صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم وقال عليه السلام سباب المومن فسوق وقتاله كفر وقال صلى الله عليه وسلم ملعون من سب والديه وفي روايه من اكبر الكباير ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب الرجل فيسب اباه فيسب الاخر اباه **الآفة** الثامنة اللعن اما لحيوان او جماد وذلك مذموم قال النبي صلى الله عليه وسلم المومن ليس بلعان وقال صلى الله عليه وسلم لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال حذيفة ما تلاعن قوم قط الا حق عليهم القول وقال عمران بن الحصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امراة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال صلى الله عليه وسلم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني ارى تلك الناقه تمشي الناس لا يتعرض لها وقال ابو الدردا ما لعن احد الارض الا قالت لعن الله اعصانا لله وعن عايشه رضي الله عنها قالت سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر رضي الله عنه وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه فقال يا ابا بكر اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبه اللعانين وصديقين كلا ورب الكعبه مرتين او ثلثا فاعتق ابو بكر يوميذ بعض رقيقه وجا الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال لا اعود وقال صلى الله عليه وسلم ان اللعانين لا يكونون شفعا ولا شهدا يوم القيمه وقال انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعير فلعن بعيره فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون وقال ذلك انكارا واللعن عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى وذلك غير جايز الا على من يتصف بصفة تبعده من الله تعالى وهو الكفر والظلم بان يقول لعنة الله على الظالمين وعلى الكافرين وينبغي ان يتبع فيه لفظ الشرع فان في اللعنة خطرا لانه حكم على الله تعالى بانه ابعد الملعون وذلك غيب لا يطلع عليه

عن الله تعالى ويطلع عليه رسوله اذا اطلعه الله تعالى عليه والصفات المقتضية للعن ثلث الكفر
والبدعة والفسق وللعن في كل واحد ثلث مراتب الاولى اللعن بالوصف الاعم كقولك لعنة الله على
الكافرين والمبتدعة والفسقة والثاني اللعن باوصاف اخص منه كقولك لعنة الله على اليهود والنصارى
وعلى المجوس والقدرية والخوارج والروافض وعلى الزناة والظلمة وآكل الربا وكل ذلك جايز ولكن
في اوصاف المبتدعة خطر لان معرفة البدعة غامض ولم يرد فيه لفظ ماثور فينبغي ان يمنع منه العوام
لان ذلك يستدعي المعارضة بمثله ويثير نزاعا بين الناس وفسادا والثالث اللعن على الشخص
وهذا فيه خطر كقولك زيد لعنه الله وهو كافر او فاسق او مبتدع والتفصيل فيه ان كل شخص ثبتت
لعنته شرعا فيجوز لعنه كقولك فرعون لعنه الله وابو جهل لعنه الله لانه ثبت ان هولاء ماتوا على
الكفر وعرف ذلك شرعا واما شخص بعينه في زماننا كقولك زيد لعنه الله وهو يهودي مثلا فهذا فيه
خطر لانه ربما يسلم فيموت مقربا عند الله تعالى فكيف يحكم بكونه ملعونا فان قلت
يلعن لكونه كافرا في الحال كما يقال للمسلم رحمه الله لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد فاعلم
ان معنى قولنا رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة وعلى الطاعة ولا يمكن ان يقال ثبت
الله الكافر على ما هو سبب اللعنة فان هذا سوال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان يقال لعنه الله ان
مات على الكفر ولا لعنه الله ان مات على الاسلام وذلك غيب لا يدرى والمطلق متردد بين الجهتين ففيه
خطر وليس في ترك اللعن خطر لان الاحوال تنقلب على الاعيان الا من رسول الله صلى الله عليه وسلم
فانه يجوز ان يعلم من يموت على الكفر ولذلك كان يقول اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة
وذكر جماعة قتلوا على الكفر ببدر حتى ان من لم تعلم عاقبته كان يلعنه فنهي عنه اذ روي انه كان
يلعن الذين قتلوا اصحاب بير معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شي او
يتوب عليهم او يعذبهم يعني انهم ربما يتوبون فمن اين تعلم انهم ملعونون وكذلك من بان لنا موته
على الكفر جازت لعنته وجاز ذمه ان لم يكن فيه اذى على مسلم فان كان لم يجز كما روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم سال ابا بكر رضي الله عنه عن قبر مر به وهو يريد الطايف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على
الله تعالى وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه عمرو بن سعيد وقال يا رسول الله هذا
قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا
الكلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكفف عن ابي بكر فانصرف ثم اقبل على ابي بكر
فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم اذا خصصتم غضب الابنا للابا فكف الناس عن ذلك
وشرب نعيمان الخمر فحد مرات في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعض الصحابة لعنه الله
ما اكثر ما يوتى به فقال صلى الله عليه وسلم لا تكن عونا للشيطان على اخيك ونهاه عن ذلك فهذا يدل

على ان لعنة فاسق بعينه غير جايزة وعلى الجملة فعن الاشخاص خطر فليجتنب ولا خطر في
السكوت عن لعنة ابليس فضلا عن غيره فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين رضي الله
عنه او امر به قلنا هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت
فضلا عن اللعنة لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق نعم يجوز ان يقال قتل ابن ملجم عليا
رضي الله عنه وقتل ابو لولوة عمر رضي الله عنه فان ذلك ثبت متواترا فلا يجوز ان يرمى مسلم بفسق
وكفر من غير تحقيق قال صلى الله عليه وسلم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق
الا ارتدت عليه ان لم يكن صاحبه كذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما شهد رجل على رجل بكفر
الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر بتكفيره اياه هذا معناه ان
يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة او غيره كان مخطيا لا كافرا وقال معاذ
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهاك ان تشتم مسلما او تعصي اماما عادلا والتعرض للاموات اشد قال مسروق
دخلت على عايشة رضي الله عنها فقالت ما فعل فلان لعنه الله قلت توفي قالت رحمه الله قلت وكيف هذا
قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الاموات فانهم افضوا الى ما قدموا وقال ايضا لا تسبوا
الاموات فتوذوا به الاحيا وقال يا ايها الناس احفظوني في اصحابي واخواني واصهاري ولا تسبوهم ايها
الناس اذا مات الميت فاذكروا منه خيرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله او الآمر بقتله
لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه يحتمل ان يموت بعد التوبة
فان وحشي قاتل حمزة عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله وهو كافر ثم تاب عن الكفر والقتل جميعا فلا يجوز
ان يلعن والقتل كبيرة ولا تنتهي الى رتبة الكفر فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان فيه خطر وليس في
السكوت خطر فهو اولى وانما اوردنا هذا لتهاون الناس باللعنة واطلاق اللسان بها والمومن ليس بلعان
فلا ينبغي ان يطلق اللسان باللعنة الا على من مات على الكفر او على الاجناس المعروفين باوصافهم دون
الاشخاص المعينين فالاشتغال بذكر الله تعالى اولى فان لم يكن ففي السكوت سلامة وقال مكي بن ابرهيم
كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت فقالوا يا ابن
عون انما نذكره لما ارتكب منك فقال انما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم
القيامة لا اله الا الله ولعن فلان فلان يخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان يخرج لعنة الله وقال
رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم اوصني فقال اوصيك ان لا تكون لعانا وقال ابن عمر ان ابغض
عباد الله الى الله تعالى كل طعان لعان وقال بعضهم لعن المومن يعدل قتله قال حماد بن زيد بعد ان روى
هذا لو قلت انه مرفوع لم ابال وعن ابي قتادة قال كان يقال من لعن مومنا فهو مثل ان يقتله وقد
نقل ذلك حديثا مرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقرب من اللعن الدعا على الانسان بالشر حتى الدعا

على الظالم كقول الانسان لا اصح الله جسمه ولا سلمه الله وما يجري مجراه فكل ذلك مذموم وفي الخبران المظلوم ليدعوا على الظالم حتى يكافيه ثم يبقى للظالم عنده فضله يوم القيمه **الافه** التاسعه الغنا والشعر وقد ذكرنا في كتاب السماع ما يحرم من الغنا وما يحل فلا نعيده واما الشعر فكلام وحسنه حسن وقبيحه قبيح الا ان التجرد له مذموم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا حتى يريه خير من ان يمتلي شعرا وعن مسروق انه سيل عن بيت من الشعر فكرهه فقيل له في ذلك فقال انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وسيل بعضهم عن شي من الشعر فقال اجعل مكان هذا ذكرا فان ذكر الله تعالى خير من الشعر وعلى الجمله فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام اذا لم يكن فيه كلام يكره وقال صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم مقصود الشعر المدح والذم والتشبيب وقد يدخله الكذب وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت ان يهجو الكفار والتوسع في المدح وان كان كذبا فانه لا يلتحق في التحريم **بقول** الشاعر

ولو لم يكن في كفه غير روحه ... لجاد بها فليتق الله سايله

فان هذه عبارة عن الوصف بنهاية السخا فان لم يكن صاحبه سخيا كان كذبا وان كان سخيا فالمبالغه من صنعه الشعر ولا يقصد منه ان يعتقد صورته **وقد** انشدت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ابيات لو تتبعت لوجد فيه مثل ذلك ولم يمنع منه قالت عايشه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخصف نعله وكنت اغزل قالت فنظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل جبينه يعرق وجعل عرقه يتولد نورا قالت فبهت قالت فنظر الي وقال ما لك بهت قلت يا رسول الله نظرت اليك فجعل جبينك يعرق وجعل عرقك يتولد نورا فلو راك ابو كبير الهذلي لعلم انك احق بشعره قال وما يقول يا عايشه ابو كبير الهذلي قلت **يقول**

ومبرا من كل غبر حيضة ... وفساد مرضعه وداء مغيل

واذا نظرت الى اسرة وجهه ... برقت كبرق العارض المتهلل

قالت فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده وقام الي وقبل ما بين عيني وقال جزاك الله يا عايشه خيرا ما سررت مني كسروري منك ولما قسم الغنايم يوم حنين امر للعباس بن مرداس باربع قلايص فاندفع يشكو في شعر له وفي اخره

وما كان بدر ولا حابس ... يفوقان مرداس في المجمع

وما كنت دون امري منهما ... ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال صلى الله عليه وسلم اقطعوا عني لسانه فذهب به ابو بكر حتى اختار ماية من الابل ثم رجع وهو من ارضى الناس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم تقول في الشعر فجعل يعتذر ويقول بابي انت وامي اني لاجد الشعر دبيبا على لساني مثل دبيب النمل ثم يقرصني كما يقرص النمل فلا اجد بدا من ان اقول فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تدع العرب الشعر حتى تدع الابل الحنين **الافه** العاشره المزاح واصله مذموم منهي عنه الا قدرا يسيرا يستثنى منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان قلت المماراه فيها ايذا لان فيها تكذيبا للاخ والصديق او تجهيلا اما المزاح فمطايبة وفيه انبساط وطيبة قلب فلم ينهى عنه فاعلم ان المنهي عنه الافراط فيه

او المداومه عليه اما المداومه فلانه اشتغال باللعب والهزل واللعب مباح ولكن المواظبة عليه مذموم واما الافراط منه فانه يورث كثرة الضحك وكثرته تميت القلب ويورث الضغينه في بعض الاحوال وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه الامور فلا يذم كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اني امزح ولا اقول الا حقا ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وقد قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساه يهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه من كثر ضحكه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياوه ومن قل حياوه قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه ولان الضحك يدل على الغفله عن الاخره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا وقال رجل لاخيه يا اخي هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها قال لا قال ففيم الضحك قال فما روي ذلك ضاحكا حتى مات وقال يوسف بن اسباط اقام الحسن ثلثين سنه لم يضحك وقيل ان عطا السلمي لم يضحك اربعين سنه ونظر وهيب بن الورد الى قوم يضحكون في يوم فطر فقال ان كان هولا قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر لهم فما هذا فعل الخايفين وكان عبد الله بن ابي يعلى يقول اتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وقال ابن عباس من اذنب ذنبا وهو يضحك دخل النار وهو يبكي وقال محمد بن واسع اذا رايت رجلا في الجنه يبكي الست تعجب من بكايه قال بلى قال فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير اعجب منه فهذه افه الضحك والمذموم منه ان يستغرق ضحكا والمحمود التبسم الذي ينكشف فيه السن ولا يسمع الصوت كذلك كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال القاسم مولى معويه اقبل اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم على قلوص له صعب فسلم فجعل كلما دنى الى النبي صلى الله عليه وسلم ليساله تفر به فجعل اصحاب النبي عليه السلام يضحكون به ففعل ذلك به ثلث مرات ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي قد صرعته قلوصه فهلك فقال نعم وافواهكم ملاى من دمه **واما** اداة المزاح الى سقوط الوقار فقد قال عمر رضي الله عنه من مزح استخف به وقال محمد بن المنكدر قالت لي امي لا تمزح مع الصبيان فتهون عليهم وقال سعيد بن العاص لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجترى عليك وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا الله واياكم والمزاح فانها تورث الضغينة وتجر الى القبيحة تحدثوا بالقران وتجالسوا به فان ثقل عليكم فحديث حسن من حديث الرجال وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح مزاحا قالوا لا قال لانه زاح صاحبه عن الحق وقيل لكل شي بذر وبذر العداوة المزاح وقال المزاح مطية للسخف ومقطعة للاصدقا فان قلت قد نقل المزاح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه فكيف ينهى عنه فنقول ان قدرت على ما قدر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تمزح ولا تقول الا حقا ولا تؤذي قلبا ولا تفرط وتقتصر عليه احيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه ولكن من الغلط العظيم ان يتخذ الانسان المزاح حرفته ويواظب عليه ويفرط

ثم نتمسك بفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو كمن يدور ابداع الزنوج فنظر الى رقصهم ونتمسك بان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن لعائشة رضي الله عنها في النظر الى رقص الزنوج في يوم عيد وهو خطا
اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما يصير صغيرة بالاصرار فلا ينبغي
ان يغفل عن هذا نعم روى ابو هريرة انهم قالوا يا رسول الله انك تداعبنا فقال اني وان داعبتكم فلا اقول
الا حقا وقال عطا ان رجلا سال ابن عباس فقال اكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمزح فقال ابن عباس نعم
فقال الرجل فما كان مزاحه فقال ابن عباس انه كسى ذات يوم امراة من نسائه ثوبا واسعا
فقال لها البسيه واحمدي وجري منه ذيلا كذيل العروس وروى انس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
من افكه الناس وكان كثير التبسم وعن الحسن قال اتت عجوز الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز قال الله تعالى انا انشاناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا وروى زيد بن اسلم ان امراة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان زوجي يدعوك
فقال ومن هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه بياض فقال بلى ان بعينه بياضا فقالت لا
والله فقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا وبعينه بياض واراد به البياض المحيط بالحدقة وجاءت امراة
اخرى فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال عليه السلام نحملك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا
يحملني فقال صلى الله عليه وسلم وهل يجيء بعير الا وهو ابن بعير وكان يمزح به وقال انس كان لابي طلحة ابن
يقال له ابو عمير فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياتي ابا عمير فيقول يا ابا عمير ما فعل النغير لنغير فقال
كان يلعب به وهو ولد العصفور وقالت عائشة خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة بدر فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم تعالي حتى اسابقك فشددت درعي على بطني ثم خططنا خطا فقمنا عليه
واستبقنا فسبقني وقال هذه مكان ذي المجاز وكان جاء يوما ونحن بذي المجاز وانا
جارية قد بعثني ابي بشيء فقال اعطينيه فابيت وسعيت فسعى على اثري فلم يدركني وقالت عائشة
سابقني رسول الله صلى الله عليه وسلم فسبقته فلما حملت اللحم سابقني فسبقني فقال هذه بتلك وقالت كان
عندي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسودة فصنعت حريرا وجئت به فقلت لسودة كلي فقالت لا احبه
فقلت والله لتاكلن او لالطخن وجهك فقالت ما انا بذائقة فاخذت من الصحفة شيئا فلطخت وجهها
به ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بيني وبينها فخفض لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ركبتيه لتستقيد
مني فتناولت من الصحفة شيئا فمسحت به وجهي وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك وروى ان الضحاك
بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فلما بايعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال له عندي امراتان احسن
من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما فتتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب
فقالت هي احسن ام انت فقال بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من جواب

عائشة اياه لانه كان دميما وروى علقمة عن ابي سلمة انه كان صلى الله عليه وسلم يدلع لسانه للحسين
بن علي فيرى الصبي لسانه فيهش له فقال عيينة بن بدر الفزاري والله ليكونن لي الابن رجلا قد
خرج وجهه وما قبلته قط فقال صلى الله عليه وسلم ان من لا يرحم لا يرحم واكثر هذه المطايبات منقوله
مع النساء والصبيان وكان ذلك منه صلى الله عليه وسلم معالجة لضعف قلوبهن من غير ميل الى
هزل وقال صلى الله عليه وسلم لصهيب وبه رمد وهو ياكل التمر اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل
بالشق الاخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض الرواة حتى نظرت الى نواجذه وروى ان
خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا
عبد الله ما لك مع النسوة قال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال فمضى رسول الله صلى الله عليه
وسلم لحاجته ثم طلع فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال فسكت واستحييت قال
فكنت بعد ذلك انفر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت المدينة وبعدما قدمت المدينة حتى طلع
علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما
ترك ذلك الجمل الشراد بعد قال قلت والذي بعثك بالحق ما شرد منذ اسلمت فقال
الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه وهداه الله وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا
وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه بنعليه ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما
كثر ذلك منه قال له رجل من الاصحاب لعنك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تفعل فانه يحب الله
ورسوله قال وكان لا يدخل المدينة رسل ولا طرفة الا اشترى منها ثم جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول
هذا اهديته لك فاذا جاء صاحبه يطلب نعيمان بثمنه جاء به الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله اعط
هذا ثمن متاعه فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اولم تهده فيقول يا رسول الله انه لم يكن والله عندي
ثمنه واحببت ان تاكله فيضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ويامر لصاحبه بثمنه فهذه مطايبات
يباح مثلها على الندور لا على الدوام والمواظبة عليها هزل مذموم وسبب للضحك المميت للقلب
الآفة الحادية عشر السخرية والاستهزاء وهذا مذموم مهما كان موذيا قال الله تعالى لا يسخر قوم من
قوم عسى ان يكونوا ومعناه السخرية والاستهانة والتنبيه على العيوب والنقائص على وجه يضحك
منه وقد يكون ذلك بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء واذا كان
بحضرة المستهزا به لم يسم ذلك غيبة وفيه معنى الغيبة قالت عائشة حكيت انسانا
فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما احب اني حكيت انسانا بكذا وكذا وقال ابن عباس في قوله تعالى يا ويلتنا
مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها الصغيرة التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة
القهقهة بذلك وهو اشارة الى الضحك على الناس من الجرائم والذنوب وعن عبد الله بن زمعة انه

سمع النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فوعظهم في ضحكهم من الضراط وقال علام يضحك احدكم مما يفعل
وقال صلى الله عليه وسلم ان المستهزئين بالناس يفتح لهم باب من الجنة فيقال هلم هلم فيجي بكربه وغمه
فاذا جا اغلق دونه ثم يفتح له باب اخر فيقال له هلم هلم فيجي بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما
يزال كذلك حتى ان الرجل ليفتح له الباب فيقال هلم هلم فما ياتيه وقال معاذ بن
جبل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب منه لم يمت حتى يعمله وكل هذا يرجع الى
استحقار الغير والضحك عليه استهانة به واستصغارًا له وعليه نبه **قوله** تعالى عسى ان يكونوا
خيرًا منهم اي لا تستحقره استصغارًا ولعله خير منك وهذا انما يحرم في حق من يتاذى به فاما من
جعل نفسه مسخرة وربما فرح من ان يسخر به كانت السخرية به من جملة المزح وقد سبق ما يذم منه
وما يمدح وانما المحرم استصغار يتاذى به المستهزأ به لما فيه من التحقير والتهاون وذلك تارة
يجري بان يضحك على كلامه اذا تخبط ولم ينتظم او على افعاله اذا كانت مشوشة كالضحك على خطه
وعلى صنعته او على صورته وخلقته اذا كان قصيرًا او ناقصًا لعيب من العيوب فالضحك من جملة ذلك
داخل في السخرية المنهي عنها **الآفة** الثانية عشر افشا السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذا والتهاون
بحق المعارف والاصدقا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت
فهو امانة وقال مطلقًا الحديث بينكم امانة وقال الحسن ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك ويروى ان معوية
اسر الى الوليد بن عتبة حديثًا فقال لابيه يا ابه ان امير المومنين اسر الي حديثًا وما اراه يطوي عنك
ما بسطه الى غيرك قال فلا تحدثني به فان من كتم سره كان الخيار له ومن افشاه كان الخيار عليه قال فقلت يا — بسر الي
ابه وان هذا ليدخل بين الرجل وبين ابيه قال لا والله يا بني ولكن احب ان لا تذلل لسانك باحاديث السر
قال فاتيت معوية فحدثته فقال يا وليد اعتقك اخي من رق الخطا فافشا السر خيانة
وهو حرام اذا كان فيه اضرار ولوم وان لم يكن فيه اضرار وقد ذكرنا ما يتعلق بكتمان السر في كتاب اداب
الصحبة فلا نعيده **الآفة** الثالثة عشر الوعد الكاذب فان اللسان سباق الى الوعد ثم النفس ربما لا
تسمح بالوفا فيصير خلفًا وذلك من امارات النفاق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا
اوفوا بالعقود وقال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال الواي مثل الدين — او افضل — وقد اثنى الله
تعالى على نبيه اسمعيل صلوات الله عليه فقال انه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا فقيل انه واعد
انسانًا في موضع فلم يرجع اليه فبقي اثنين وعشرين يومًا في انتظاره ولما حضرت عبد الله بن عمر الوفاة
قال انه كان خطب الي ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبه الوعد فوالله لا القى الله بثلث النفاق
اشهدوا اني قد زوجته ابنتي وعن عبد الله بن ابي الحمسا قال بايعت النبي صلى الله عليه وسلم
فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث وهو في مكانه فقال

٦٢

يا فتى قد شققت علي انا هاهنا منذ ثلث انتظرك وقيل لابراهيم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجي
قال ينتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجي وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وعد وعدًا
قال عسى وكان ابن مسعود لا يعد وعدًا الا ويقول ان شا الله تعالى وهو الاولى ثم اذا
فهم مع ذلك الجزم في الوعد فلا بد من الوفا الا ان يتعذر فان كان عند الوعد عازمًا على ان لا يفي فهذا هو
النفاق قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه
مسلم اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اوتمن خان وقال عبد الله بن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اربع من كن فيه كان منافقًا ومن كانت فيه خلة منهن كانت فيه خلة من النفاق حتى يدعها اذا حدث كذب
واذا وعد اخلف واذا عاهد غدر واذا خاصم فجر وهذا ينزل على من وعد وهو على عزم الخلف او ترك
الوفا من غير عذر واما من عزم على الوفا وعن له عذر منعه من الوفا لم يكن منافقًا وان جرى عليه ما هو
صورة النفاق ولكن ينبغي ان يحترز من صورة النفاق ايضًا كما يحترز من حقيقته ولا ينبغي ان يجعل
نفسه معذورًا من غير ضرورة حاجزة فقد روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وعد ابا الهيثم بن
التيهان خادمًا فاتي بثلثة من السبي فاعطى اثنين وبقي واحد فجات فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
تطلب منه وهي تقول الا ترى اثر الرحا بيدي فذكر موعده لابي الهيثم فجعل يقول كيف بوعدي
لابي الهيثم فاثره به على فاطمة لما سبق من وعده له مع انها كانت تدير الرحا بيدها الضعيفة ولقد
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسًا يقسم غنائم هوازن بحنين فوقف عليه رجل من الناس فقال ان لي
عندك موعدًا يا رسول الله قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضائنة
وراعيها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي لك ولقد احتكمت يسيرًا ولصاحبة موسى التي دلته على
عظام يوسف عليهما السلام كانت احزم واجزل حكمًا منك حين حكمها يوسف فقالت حكمي ان تردني
شابة وادخل معك الجنة قال فكان الناس يضعفون ما احتكم به حتى جعل مثلا فيقولون اشح من صاحب
الثمانين والراعي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان يعد الرجل الرجل ومن نيته
ان يفي وفي لفظ اخر اذا وعد الرجل اخاه ومن نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه **الآفة** الرابعة عشر
الكذب وهو من قبائح الذنوب وفواحش العيوب قال اسمعيل بن اوسط سمعت ابا بكر الصديق رضي — في القول واليمين
الله عنه يخطب بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا
عام اول ثم بكى فقال اياكم والكذب فانه مع الفجور وهما في النار وقال ابو امامة قال النبي صلى الله
عليه وسلم ان الكذب باب من ابواب النفاق وقال الحسن كان يقال ان من النفاق اختلاف السر والعلانية والقول
والعمل والمدخل والمخرج وان الاصل الذي بني عليه النفاق الكذب وقال صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة
ان تحدث اخاك حديثًا هو لك مصدق وانت به كاذب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال

العبد ليكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله تعالى كذابا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم برجلين
يتبايعان شاة ويتحالفان يقول احدهما والله لا انقصك من كذا وكذا ويقول الآخر والله لا ازيدك
على كذا وكذا فمر بالشاة وقد اشتراها احدهما فقال اوجب احدهما بالاثم والكفارة وقال النبي صلى الله
عليه وسلم الكذب ينقص الرزق وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان التجار هم الفجار فقيل يا رسول الله
اليس الله قد احل البيع قال نعم ولكنهم يحلفون فيأثمون ويحدثون فيكذبون
وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة نفر لا يكلمهم الله يوم القيمة ولا ينظر اليهم المنان بعطيته والمنفق سلعته
بالحلف الفاجر والمسبل ازاره وقال صلى الله عليه وسلم ما حلف حالف بالله فادخل فيها مثل جناح بعوضة
الا كانت نكتة في قلبه الى يوم القيمة وقال ابو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلثة يحبهم
الله رجل كان في فئة فنصب نحره حتى يقتل او يفتح الله عليه او على اصحابه ورجل كان له جار سوء
يؤذيه فيصبر على اذاه حتى يفرق بينهما موت او ظعن ورجل كان في قوم في سفر او سرية فاطالوا
السرى حتى اعجبهم ان يمسوا الارض فنزلوا فتنحى يصلي حتى يوقظ اصحابه للرحيل وثلثة يشنأهم الله
تعالى التاجر او البايع الحلاف والفقير المختال والبخيل المنان وقال صلى الله عليه وسلم ويل للذي يحدث
فيكذب ليضحك به القوم ويل له ويل له وقال صلى الله عليه وسلم رايت كان رجلا جاني فقال لي قم فقمت معه
فاذا انا برجلين احدهما قايم والآخر جالس بيد القايم كلوب من حديد يلقمه في شدق الجالس فيجذبه
حتى يبلغ كاهله ثم يجذبه فيلقمه في الجانب الآخر فيمده فاذا مده رجع الآخر كما كان فقلت للذي
اقامني ما هذا قال هذا رجل كذاب يعذب في قبره الى يوم القيمة وعن عبد الله بن جراد
انه سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله هل يزني المؤمن قال قد يكون من ذلك قال يا نبي الله هل يكذب
المؤمن فقال لا ثم اتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
وقال ابو سعيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ويقول اللهم طهر قلبي من النفاق وفرجي
من الزنا ولساني من الكذب وقال صلى الله عليه وسلم ثلثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب
اليم شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر وقال عبد الله بن عامر جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بيتنا
وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما اردت ان تعطيه قالت تمرا قال اما انك لو لم تفعلي لكتبت عليك كذبة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو افاء الله علي نعما عدد هذه الحصى لقسمتها بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا كذابا ولا جبانا وقال صلى الله
عليه وسلم وكان متكيا الا انبئكم باكبر الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين ثم قعد فقال الا وقول
الزور وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم ان العبد ليكذب الكذبة فيتباعد الملك عنه مسيرة ميل
من نتن ما جاء به وقال انس قال النبي صلى الله عليه وسلم تكفلوا لي بست اتكفل لكم بالجنة قالوا وما هو

٦٩

قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اؤتمن فلا يخن وغضوا ابصاركم وكفوا ايديكم
واحفظوا فروجكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان كحلا ولعوقا ونشوقا فاما لعوقه
فالكذب واما نشوقه فالغضب واما كحله فالنوم وخطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالجابية فقال
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم كقيامي فيكم فقال احسنوا الى اصحابي ثم الذين يلونهم ثم يفشو الكذب
حتى يحلف الرجل على اليمين ولم يستحلف ويشهد ولم يستشهد وقال صلى الله عليه وسلم من
حدث بحديث وهو يرى انه كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حدث عني بحديث يرى انه
كذب فهو احد الكاذبين وقال صلى الله عليه وسلم من حلف على يمين باثم ليقتطع بها مال امرئ مسلم
بغير حق لقي الله يوم القيمة وهو عليه غضبان وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم رد شهادة رجل في
كذبة كذبها وقال صلى الله عليه وسلم كل خصلة يطبع او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة
والكذب وقالت عايشة ما كان من خلق اشد عند اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب ولقد كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم يطلع على الرجل من اصحابه على الكذب فما ينحل من صدره حتى يعلم انه قد احدث لله
عز وجل منها توبة وقال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر
قلبه ولا يزني فرجه وقال لقمن يا بني اياك والكذب فانه شهي كلحم العصفور عما قليل يقلاه صاحبه
وقال صلى الله عليه وسلم في مدح الصدق اربع اذا كن فيك فلا يضرك ما فاتك من الدنيا صدق حديث وحفظ
امانة وحسن خليقة وعفة طعمة وقال ابو بكر رضي الله عنه في خطبة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه
وسلم قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقامي هذا عام اول ثم بكى فقال عليكم بالصدق فانه مع البر وهما
في الجنة وقال معاذ قال صلى الله عليه وسلم لي اوصيك بتقوى الله وصدق الحديث ووفا
بالعهد وبذل السلام وخفض الجناح واما الاثار فقال علي رضي الله عنه اعظم الخطايا عند الله عز
(ندامة) وجل اللسان الكذوب وشر الندامة يوم القيمة وقال عمر بن عبد العزيز ما كذبت كذبة منذ شددت
على ازاري وقال عمر رضي الله عنه احبكم الينا ما لم نركم احسنكم اسما فاذا رايناكم فاحبكم الينا احسنكم
خلقا فاذا اختبرناكم فاحبكم الينا اصدقكم حديثا واعظمكم امانة وعن ميمون بن ابي شبيب قال قعدت
اكتب كتابا فاتيت على حرف ان انا كتبته زينت الكتاب وكنت قد كذبت فعزمت على تركه فنوديت
من جانب البيت يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وقال الشعبي ما ادري
ايهما ابعد غورا في النار الكذب او البخل وقال ابن السماك ما اراني اوجر على ترك الكذب لاني انما ادعه
انفة وقيل لخالد بن صبيح ايسمى من كذب كذبة واحدة كذابا قال نعم وقال مالك بن دينار قرات في
بعض الكتب ما من خطيب الا وتعرض خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت شفتاه
بمقاريض من نار وقال مالك بن دينار الصدق والكذب يعتركان في القلب حتى يخرج احدهما صاحبه وكلم

عمر بن عبد العزيز الوليد في شي فقال له كذبت فقال له عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين صاحبه

بيان ما يرخص فيه من الكذب

اعلم ان الكذب ليس حراما لعينه بل لما فيه من الضرر على المخاطب او على غيره فان اقل درجاته ان يعتقد المخبر الشي على خلاف ما هو به فيكون جاهلا وقد يتعلق به ضرر غيره ورب جهل فيه منفعة ومصلحة فالكذب تحصيل لذلك الجهل فيكون ماذونا فيه وربما كان واجبا قال ميمون بن مهران الكذب في بعض المواطن خير ارايت لو ان رجلا سعى واخر وراه بالسيف فدخل دارا فانتهى اليك فقال ارايت فلانا ما كنت قائلا الست تقول لم اره وما تصدق بهذا كذب واجب فنقول الكلام وسيلة الى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن التوصل اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب فيه حرام وان امكن التوصل اليه بالكذب دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا وواجب ان كان ذلك المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجبة فمهما كان في الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان لا يتم مقصود الحرب او اصلاح ذات البين او استمالة قلب المجني عليه الا بالكذب فالكذب مباح الا انه ينبغي ان يحترز عنه ما امكن لانه اذا فتح باب الكذب يخشى ان يتداعى الى ما يستغنى عنه والى ما لا يقتصر على حد الضرورة فكان الكذب حراما في الاصل الا لضرورة والذي يدل على الاستثنا ما روي عن ام كلثوم قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرخص في شي من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته والمراة تحدث زوجها وقالت ايضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا وقالت اسما بنت يزيد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل الكذب يكتب على ابن ادم الا رجل كذب بين رجلين ليصلح بينهما وروي عن ابي كاهل قال وقع بين رجلين من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كلام حتى تصارما فلقيت احدهما فقلت ما لك ولفلان فقد سمعته يحسن عليك الثنا ولقيت الاخر فقلت مثل ذلك حتى اصطلحا فقلت اهلكت نفسي واصلحت بين هذين فاخبرت النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا كاهل اصلح بين الناس ولو يعني بالكذب وقال عطا بن يسار قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا جناح عليك وروي ان ابن ابي عذرة الدؤلي وكان في خلافة عمر كان يخلع النسا اللاتي يتزوج بهن فطار له في الناس من ذلك احدوثة يكرهها فلما علم بذلك قام بعبد الله بن ارقم حتى ادخله بيته فقال لامراته انشدك الله هل تبغضيني قالت لا تنشدني قال فاني انشدك بالله قالت نعم فقال لابن ارقم اتسمع ثم انطلقا الى عمر فقال انكم تحدثون اني اظلم النسا واخلعهن فسل ابن ارقم فساله فاخبره فارسل الى امراة ابن ابي عذرة فجات هي وعمتها فقال انت التي تحدثين لزوجك انك تبغضينه فقالت اني اول من تاب ورجع الى الله انه ناشدني فتحرجت ان اكذب افاكذب يا امير المومنين قال نعم فاكذبي وان كانت احداكن لا تحب احدنا فلا تحدثه بذلك فان

اقل البيوت الذي تبنى على الحب ولكن الناس يتعاشرون بالاسلام والاحساب وعن النواس بن سمعان الكلابي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي اراكم تتهافتون في الكذب تهافت الفراش في النار كل الكذب مكتوب كذبا لا محالة الا ان يكذب الرجل في الحرب فان الحرب خدعة او يكون بين رجلين شحنا فيصلح بينهما او يحدث امراته يرضيها وقال ثوبان الكذب كله اثم الا ما نفع به مسلم او دفع عنه ضررا وقال علي رضي الله عنه اذا حدثتكم عن رسول الله فلان اخر من السما احب الي من ان اكذب عليه واذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فالحرب خدعة فهذه الثلث ورد فيها صريح الاستثنا وفي معناها ما عداها اذا ارتبط به مقصود صحيح له او لغيره اما ما له فمثل ان ياخذه ظالم ويساله عن ماله فله ان ينكره او ياخذه السلطان فيساله عن فاحشة بينه وبين الله تعالى فله ان ينكر ويقول ما زنيت ولا شربت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ارتكب شيا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله وذلك لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى وللرجل ان يحفظ دمه وماله الذي يوخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا واما عرض غيره فبان يسال عن سر اخيه فله ان ينكره وان يصلح بين الضرات من نسائه بان يظهر لكل واحدة انها احب اليه او كانت امراته لا تطيعه الا بوعد ما لا يقدر عليه فيعدها في الحال تطييبا لقلبها او يعتذر الى انسان وكان لا يطيب قلبه الا بانكار ذنب وزيادة تودد فلا باس به ولكن الحد فيه ان الكذب محذور ولو صدق في هذه المواضع تولد منه محذور فينبغي ان يقابل احدهما بالاخر ويزن بالميزان فان علم ان المحذور الذي يحصل بالصدق اشد وقعا في الشرع من الكذب فله ان يكذب وان كان ذلك المقصود اهون من مقصود الصدق فيجب الصدق وقد يتقابل الامران بحيث يتردد فيه وعند ذلك الميل الى الصدق اولى لان الكذب يباح لضرورة او حاجة مهمة فان شك في كون الحاجة مهمة فالاصل التحريم فيرجع اليه ولاجل غموض ادراك مراتب المقاصد ينبغي ان يحترز الانسان من الكذب ما امكنه وكذلك مهما كانت الحاجة له فيستحب له ان يترك اغراضه ويهجر الكذب فاما اذا تعلق بغرض غيره فلا تجوز المسامحة بحق الغير والاضرار به واكثر كذب الناس انما هو لحظوظ انفسهم ثم هو لزيادة المال والجاه ولامور ليس فواتها محذورا حتى ان المراة لتحكي عن زوجها ما تفاخر به وتكذب لاجل مراغمة الضرات وذلك حرام قالت اسما سمعت امراة تسال رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان لي ضرة واني اتكثر من زوجي بما لا يفعل اضارها بذلك فهل لي فيه شي فقال المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور وقال صلى الله عليه وسلم من تطعم بما لم يطعم او قال لي وليس له او اعطيت ولم يعط كان كلابس ثوبي زور يوم القيمة ويدخل في هذا فتوى العالم بما لا يتحققه وروايته الحديث الذي ليس يثبت فيه اذ غرضه ان يظهر فضل نفسه فهو لذلك يستنكف من ان يقول لا ادري وهذا حرام ومما يلحق بالنسا الصبيان فان الصبي اذا كان لا يرغب في المكتب الا بوعد او وعيد وتخويف كان ذلك مباحا نعم روينا في الاخبار ان ذلك يكتب كذبه

ولكن الكذب المباح ايضا يكتب ويحاسب عليه ويطالب بتصحيح قصده فيه ثم يعفى عنه لانه انما ابيح
بقصد الاصلاح ويتطرق اليه غرور كثير فانه قد يكون الباعث له حظه وغرضه الذي هو مستغن
عنه وانما يتعلل ظاهرا بالاصلاح فلهذا يكتب وكل من اتى بكذبه فقد وقع في خطر الاجتهاد ليعلم ان المقصود
الذي كذب له هل هو اهم في الشرع من الصدق ام لا وذلك غامض جدا فالحزم في تركه الا ان يكون واجبا بحيث
لا يجوز تركه كما يودي الى سفك دم او ارتكاب معصية كيف كان وقد ظن ظانون انه يجوز وضع الاخبار في
فضايل الاعمال وفي التشديد في المعاصي وزعموا ان القصد منه صحيح وهو خطا محض اذ قال صلى الله عليه
وسلم من كذب علي فليتبوا مقعده من النار وهذا لا يرتكب الا لضرورة ولا ضرورة اذ في الصدق مندوحة متعمدا
عن الكذب ففيما ورد من الايات والاخبار كفاية عن غيرها وقول القايل ان ذلك قد تكرر على الاسماع وسقط
وقعه وما هو جديد فوقعه اعظم فهذا هوس اذ ما هذا من الاغراض التي تقاوم محذور الكذب على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى الله تعالى ويودي فتح بابه الى امور تشوش الشريعة فلا يقاوم خير هذا
بشره اصلا فالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكباير التي لا يقاومها شي

بيان الحذر من الكذب بالمعاريض

وقد نقل عن السلف ان في المعاريض مندوحة عن الكذب قال
عمر رضي الله عنه اما في المعاريض ما يكفي الرجل عن الكذب وروي ذلك عن ابن عباس وغيره وانما ارادوا بذلك
اذا اضطر الانسان الى الكذب فاما اذا لم يكن له حاجة وضرورة فلا يجوز التعريض والتصريح جميعا
ولكن التعريض اهون ومثال المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال
ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابرهيم اذا بلغ الرجل عنك شي
فكرهت ان تكذب فقل ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شي فيكون قوله ما حرف النفي عند المستمع وعندك
للابهام وكان معاذ عاملا لعمر رضي الله عنه فلما رجع قالت امراته ما جيت به مما ياتي به العمال وما كان
قد جابه فقال كان معي ضاغط قالت كنت امينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر فبعث معك
عمر ضاغطا فقامت بذلك في نسايها واشتكت عمر فلما سمع عمر دعى معاذا وقال ابعثت معك ضاغطا اشتكت
قال لم اجد ما اعتذر به اليها الا ذلك فضحك عمر واعطاه شيا فقال ارضها به وقوله ضاغطا يعني
ربه تعالى وكان النخعي لا يقول لبنته اشتري لك سكرا بل يقول ارايت لو اشتريت لك فانه ربما لا
يتفق وكان ابرهيم اذا طلبه في الدار من يكرهه قال للجارية قولي اطلبه في المسجد وكان لا يقول ليس هاهنا
كي لا يكون كذبا وكان الشعبي اذا طلب في البيت وهو يكرهه خط دايرة ويقول للجارية ضع الاصبع
فيها وقولي ليس هاهنا وهذا كله في موضع الحاجة فاما في غير موضع الحاجة فلا لان هذا تفهيم الكذب
وان لم يكن اللفظ كذبا فهو مكروه على الجملة كما روي عن عبد الله بن عتبة قال دخلت مع ابي على عمر بن عبد
العزيز رضي الله عنه فخرجت وعلي ثوب فجعل الناس يقولون هذا كساكه امير المومنين فكنت

اقول جزا الله

اقول جزى الله امير المومنين خيرا فقال لي يا بني اتق الكذب واياك والكذب وما اشبهه فنهاه عن ذلك
لان فيه تقريرا لهم على ظن كاذب لاجل غرض المفاخرة وهو غرض باطل لا فايدة فيه نعم المعاريض
تباح لغرض خفيف كتطييب قلب الغير بالمزاح كقوله عليه السلام لا تدخل العجوز الجنة وفي عين
زوجك بياض ونحملك على ولد البعير فاما الكذب الصريح كما فعله نعيمان الانصاري مع عثمان رضي الله
عنه في قصة الضرير اذ قال انه نعيمان وكما يعتاده الناس من ملاعبة الحمقى بتغريرهم
بان امراة قد رغبت في تزويجك فان كان فيه ضرر يودي الى ايذا قلب فهو حرام وان لم يكن الا
مطايبة فلا يوصف صاحبها بالفسق ولكنه ينقص ذلك من درجة ايمانه قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لا يستكمل المرء الايمان حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه وحتى يجتنب الكذب في مزاحه واما
قوله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها الناس يهوي بها ابعد من الثريا اراد به ما فيه
غيبة مسلم او ايذا قلب دون محض المزاح ومن الكذب الذي لا يوجب الفسق ما جرت العادة به في المبالغة
كقولك قلت لك كذا ماية مرة وطلبتك ماية مرة فانه لا يراد به تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة
فان لم يكن طلبه الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلبه مرات لا يعتاد مثلها في الكثرة فلا ياثم وان لم تبلغ
ماية وبينهما درجات يتعرض مطلق اللسان بالمبالغة فيها لخطر الكذب ومما يعتاد الكذب فيه
ويتساهل به ان يقال كل الطعام فيقول لا اشتهيه وذلك منهي عنه وهو حرام ان لم يكن فيه غرض
صحيح قال مجاهد قالت اسما بنت عميس كنت صاحبة عايشة رضي الله عنها التي هياتها وادخلتها
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعي نسوة قالت فوالله ما وجدنا عنده قرى الا قدحا من لبن فشرب
ثم ناوله عايشة رضي الله عنها قالت فاستحيت الجارية قالت فقلت لا تردي يد رسول الله صلى الله
عليه وسلم خذي منه قالت فاخذته على حيا فشربت منه ثم قال ناولي صواحبك فقلن لا نشتهيه فقال
لا تجمعن جوعا وكذبا فقلت يا رسول الله ان قالت احدانا لشي تشتهيه لا اشتهيه ايعد ذلك كذبا فقال
ان الكذب ليكتب حتى تكتب الكذيبة كذيبة وقد كان اهل الورع يحترزون عن التسامح بمثل هذا الكذب
قال الليث بن سعد كانت ترمص عينا سعيد بن المسيب حتى يبلغ الرمص خارج عينيه فيقال
له لو مسحت هذا الرمص فيقول فاين قول الطبيب وهو يقول لي لا تمس عينيك فاقول لا افعل وهذا
مراقبة اهل الورع ومن تركه انسل لسانه عن اختياره فيكذب ولا يشعر وعن خوات التيمي
قال جات اخت الربيع بن خثيم عايدة الى بني لي فانكبت عليه فقالت كيف انت
يا بني فجلس ربيع وقال ارضعتيه قالت لا قال ما عليك لو قلت يا ابن اخي فصدقت ومن العادة ان
يقول يعلم الله فيما لا يعلمه قال عيسى عليه السلام ان من اعظم الذنوب عند الله تعالى ان يقول العبد
ان الله يعلم لما لا يعلم وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال صلى الله عليه وسلم ان من اعظم

ويرى عينه في المنام ما لم تر

الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يقول علي ما لم اقل وقال عليه السلام من كذب في حلمه كلف يوم
القيامة ان يعقد شعيرة الافة الخامسة عشر هي الغيبة والنظر فيها طويل فنذكر اولا ذمه
الغيبة وما ورد فيها من شواهد الشرع وقد نص الله سبحانه على ذمها في كتابه وشبه صاحبها
باكل لحم الميتة فقال تعالى ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه وقال
صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه والغيبة تناول العرض وقد جمع الله
سبحانه بينه وبين المال قال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا
يغتب بعضكم بعضا وكونوا عباد الله اخوانا وعن جابر وابي سعيد قالا قال النبي صلى الله عليه وسلم
اياكم والغيبة فان الغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب فيتوب الله عليه وان صاحب
الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه وقال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة اسري
بي على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين
يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم وقال سليم بن جابر اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
علمني خيرا ينفعني الله به قال لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تصب من دلوك في اناء المستقي وان
تلقى اخاك ببشر حسن واذا ادبر فلا تغتبه وقال البراء خطبنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى اسمع العواتق في بيوتها وقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين
ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه في جوف
بيته واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام من مات تائبا من الغيبة فهو اخر من يدخل الجنة ومن مات
مصرا على الغيبة فهو اول من يدخل النار وقال انس امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بصوم يوم وقال
لا يفطرن احد حتى آذن له فصام الناس حتى اذا امسوا جعل الرجل يجي فيقول يا رسول الله ظللت صائما
فاذن لي لافطر فياذن له والرجل حتى جاء رجل فقال يا رسول الله فتاتان من اهلك ظلتا صائمتين
وانهما يستحييان ان ياتياك فاذن لهما فليفطرا فاعرض عنه ثم عاوده فاعرض عنه ثم عاوده
فقال انهما لم يصوما وكيف صام من ظل ياكل لحوم الناس اذهب فمرهما ان كانتا صائمتين
ان يستقيئا فرجع اليهما فاخبرهما فاستقاءتا كل واحدة منهما علقة من دم فرجع الى النبي عليه السلام فقاءت
فاخبره فقال والذي نفسي بيده لو بقيتا في بطونهما لاكلتهما النار وفي رواية انه لما اعرض عنه جاءه
بعد ذلك وقال يا رسول الله انهما والله لقد ماتتا او كادتا ان تموتا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ائتوني
بهما فجاءتا فدعا بعس او قدح فقال لاحداهما قيئي فقاءت من قيح ودم وصديد حتى ملأت القدح
وقال للاخرى قيئي فقاءت كذلك فقال ان هاتين صامتا عما احل الله لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما
جلست احداهما الى الاخرى فجعلتا تاكلان لحوم الناس وقال انس خطبنا رسول الله صلى الله عليه

وسلم فذكر الربا وعظم شانه وقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست
وثلثين زنية يزنيها الرجل واربى الربا عرض الرجل المسلم وقال جابر كنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في مسير فاتى على قبرين يعذب صاحبهما فقال اما انهما لا يعذبان في كبير فكان احدهما
يغتاب الناس واما الاخر فكان لا يستبري من بوله ودعا بجريدة رطبة او جريدتين فكسرهما
ثم امر بكل كسرة فغرزت على قبر فقال صلى الله عليه وسلم اما انه سيهون من عذابهما
ما كانتا رطبتين او ما لم تيبسا ولما رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل في الزنا قال رجل لصاحبه
هذا اقعص كما يقعص الكلب فمر النبي صلى الله عليه وسلم معهما بجيفة فقال انهشا منها فقالا
يا رسول الله ننهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما انتن من هذه وكان الصحابة رضي الله
عنهم يتلاقون بالبشر ولا يغتابون عند الغيبة ويرون ذلك افضل الاعمال ويرون
خلافه عادة المنافقين وقال ابو هريرة من اكل لحم اخيه في الدنيا قرب اليه لحمه في الاخرة فقيل له
كله ميتا كما اكلته حيا فياكله ويضج ويكلح وروي مرفوعا كذلك وروي ان رجلين كانا قاعدين
عند باب من ابواب المسجد فمر بهما رجل كان مخنثا فترك ذلك فقالا لقد بقي فيه منه شي فاقيمت
الصلوة فدخلا فصليا مع الناس فحاك في انفسهما ما قالا فاتيا عطا فسالاه فامرهما ان يعيدا
الوضوء والصلوة وان كانا صائمين امرهما ان يقضيا صيام ذلك اليوم وعن مجاهد قال ويل لكل
همزة لمزة الهمزة الطعان في الناس واللمزة الذي ياكل لحوم الناس وقال قتادة ذكر لنا ان
عذاب القبر ثلثة اثلاث ثلث من الغيبة وثلث من البول وثلث من النميمة وقال الحسن والله ان
الغيبة اسرع في دين المومن من الاكلة في جسده وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة
في الصوم ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر عيوب
صاحبك فاذكر عيوبك وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع في عين
نفسه وكان الحسن يقول ابن ادم انك لن تصيب حقيقة الايمان حتى لا تعيب
الناس بعيب هو فيك وحتى تبدا باصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك فاذا فعلت ذلك كان
شغلك في خاصة نفسك واحب العباد الى الله تعالى من كان هكذا وقال مالك بن دينار مر عيسى بن
مريم عليه السلام والحواريون على جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى عليه
السلام ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم على انه لا يذكر من شي من
خلق الله الا احسنه وسمع علي بن حسين رجلا يغتاب اخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب
الناس وقال عمر رضي الله عنه عليكم بذكر الله فانه شفاء واياكم وذكر الناس فانه داء بيان معنى
الغيبة وحدها اعلم ان حد الغيبة ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصانا

من بدنه او في نسبه او في خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه وفي داره ودابته
اما البدن فكذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد والصفرة وجميع ما يتصور ان
يوصف به مما يكرهه واما النسب بان يقول ابوه نبطي او هندي او فاسق او خسيس او اسكاف
او زبال او شي مما يكرهه كيف كان واما الخلق بان يقول انه سيء الخلق بخيل متكبر مراي شديد الغضب
جبان عاجز ضعيف القلب متهور وما يجري مجراه واما في افعاله المتعلقة بالدين كقولك هو سارق
وكذاب وشارب وخاين وظالم ومتهاون بالصلوة وبالزكوة ولا يحسن الركوع والسجود ولا يحترز
من النجاسات وليس بارا بوالديه ولا يضع الزكوة في موضعها ولا يحسن قسمتها ولا يحرس صومه من
الرفث والغيبة والتعرض لاعراض الناس **واما** فعله المتعلق بالدنيا كقولك انه قليل الادب
متهاون بالناس ولا يرى لاحد حقا على نفسه ويرى لنفسه حقا وانه كثير الكلام كثير الاكل وانه نؤوم
وينام في غير وقته ويجلس في غير موضعه واما في ثوبه فانه واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب
وقد قال قوم لا غيبة في الدين لانه ذم ما ذمه الله تعالى فذكره بالمعاصي وذمه يجوز
بدليل ما روي ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم امراة وكثرة صومها وصلوتها الا انها تؤذي جيرانها
فقال هي في النار وذكرت امراة اخرى بانها بخيلة قال فما خيرها اذا وهذا فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك
لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسوال ولم يكن غرضهم التنقص ولا يحتاج اليه في غير مجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم والدليل عليه اجماع الامة ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب لانه داخل فيما ذكره
رسول الله صلى الله عليه وسلم في حد الغيبة فكل هذا وان كنت صادقا فيه فانت فيه مغتاب واكل لحم
اخيك بدليل ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك
اخاك بما يكره قال ارايت ان كان في اخي ما اقول قال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن فيه
فقد بهته وقال معاذ بن جبل ذكر رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ما اعجزه فقال
صلى الله عليه وسلم اغتبتم صاحبكم قالوا يا رسول الله قلنا ما فيه فقال ان قلتم ما ليس فيه فقد بهتموه
وعن حذيفة عن عايشة رضي الله عنها انها ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال النبي صلى الله عليه
وسلم اغتبتيها وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل
في كتاب الله عز وجل الغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك وذكر ابن
سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود ثم قال استغفر الله اني اراني قد اغتبته وذكر ابن سيرين ابرهيم
النخعي ولم يقل الاعور وقالت عايشة لا يغتابن احدكم احدا فاني قلت لامراة مرة وانا عند النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي فلفظت مضغة من لحم **بيان ان الغيبة**
لا تقتصر على اللسان اعلم ان الذكر باللسان انما حرم لان فيه تفهيم الغير نقصان اخيك

وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول والاشارة والايماء والرمز
والغمز والكتابة والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وهو حرام ومن ذلك قول
عايشة دخلت علينا امراة فلما ولت اومات بيدي اي قصيرة فقال عليه السلام اغتبتيها
ومن ذلك المحاكاة بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة بل هو اشد من الغيبة لانه اعظم في
التصوير والتفهيم ولما راى رسول الله صلى الله عليه وسلم عايشة حكت قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما يسرني اني حاكيت ولي كذا وكذا وكذلك الغيبة بالكتاب فان القلم احد اللسانين وذكر
المصنف شخصا معينا وتهجين كلامه في الكتاب غيبة الا ان يقترن به شي من الاعذار المحوجة
الى ذكره كما سياتي **واما** قوله قال قوم كذا فليس ذلك غيبة انما الغيبة التعرض لشخص معين
اما حي او ميت ومن الغيبة ان يقول بعض من مر بنا اليوم او بعض من رايناه اذا كان المخاطب
يفهم منه شخصا معينا لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم فاما اذا لم يفهم عينه جاز فان رسول الله
صلى الله عليه وسلم كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا وكذا وكان لا يعين فيقولك
بعض من قدم من السفر وبعض من يدعي العلم اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة **و**اخبث
انواع الغيبة غيبة القراء المرائين فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الاصلاح ليظهروا
من انفسهم التعفف عن الغيبة وذلك مثل ان يذكر عنده انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبلنا
بالدخول على السلطان والتبذل في طلب الحطام او يقول نعوذ بالله من قلة الحيا نسال الله ان يعصمنا
منه وانما قصده ان يفهم عيب الغير فيذكره بصيغة الدعا وكذلك قد يقدم مدح من يريد غيبته فيقول
ما احسن احوال فلان ما كان يقصر في العبادات ولكن قد اعتراه فتور وابتلي بما يبتلى به كلنا وهو قلة
الصبر فيذكر نفسه ومقصوده ان يذم غيره وان يمدح نفسه بالتشبه بالصالحين في ذم انفسهم فيكون
مغتابا ومرائيا ومزكيا نفسه ويجمع بين ثلث فواحش وهو يظن بجهله انه من الصالحين المتعففين
عن الغيبة وكذلك يلعب الشيطان باهل الجهل اذا اشتغلوا بالعبادة من غير علم فانه يتبعهم
ويحبط بمكايده عملهم ويضحك عليهم ويسخر بهم **ومن** ذلك ان يذكر عيب انسان فلا يتنبه له بعض
الحاضرين فيقول سبحان الله ما اعجب هذا حتى يصغى الى المغتاب ويعلم ما يقوله فيذكر الله ويستعمل
اسمه آلة في تحقيق خبثه وهو يمتن على الله تعالى بذكره جهلا منه وغرورا وكذلك يقول ساءني ما جرى
على صديقنا من الاستخفاف فنسال الله ان يروح نفسه ويكون كاذبا في دعوى الاغتمام وفي اظهار الدعا بل لو
قصد الدعا لاخفاه في خلوة عقيب صلوته ولو كان يغتم به لاغتم ايضا باظهار ما يكرهه وكذلك يقول
المسكين قد بلي بافة عظيمة تاب الله علينا وعليه فهو في كل ذلك يظهر الدعا والله مطلع على خبث
ضميره وخفي قصده وهو لجهله لا يدري انه قد تعرض لمقت اعظم مما يتعرض له الجهال اذا جاهروا

ومن ذلك الاصغاء الى الغيبة على سبيل التعجب فانه انما يظهر التعجب ليزيد نشاط المغتاب في الغيبة
فيندفع فيه فكانه يستخرج الغيبة منه بهذا الطريق فيقول عجيب ما علمت انه كذلك ما عرفته
الى الآن الا بالخير وكنت احسب فيه غير هذا عافانا الله من بلائه فان كل ذلك تصديق للمغتاب والتصديق
بالغيبة غيبة ثم الساكت شريك المغتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المستمع
احد المغتابين وقد روي عن ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ان احدهما قال لصاحبه فلان نؤوم ثم طلبا
أدما من رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكلا مع الخبز فقال عليه السلام قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه
فقال بلى ما اكلتما من لحم صاحبكما فانظر كيف جمعهما وكان القايل احدهما والاخر مستمع
وقال للرجلين اللذين قال احدهما اقعص الرجل كما يقعص الكلب انهشا من هذه الجيفة فجمع
بينهما فالمستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان خاف فبقلبه وان قدر على القيام
او قطع الكلام بكلام اخر فلم يفعله لزمه وان قال بلسانه اسكت وهو مشته لذلك بقلبه فذلك نفاق
ولا يخرجه عن الاثم ما لم يكرهه ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك
استحقار للمذكور بل ينبغي ان يعظمه فيذب عنه صريحا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اذل
عنده مومن وهو يقدر ان ينصره فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلايق وقال ابو الدردا
قال النبي صلى الله عليه وسلم من رد عن عرض اخيه بالغيبة كان حقا على الله تعالى ان يرد عن عرضه
يوم القيمة وقال ايضا من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله تعالى ان يعتقه من النار وقد
ورد في نصرة المسلم في الغيبة وفي فضل ذلك اخبار كثيرة اوردناها في كتاب اداب الصحبة وحقوق المسلمين
فلا نطول بالاعاده **بيان الاسباب الباعثة على الغيبة** اعلم ان البواعث على
الغيبة كثيرة ولكن يجمعها احد عشر سببا ثمانية تطرد في حق العامة وثلثة تختص [illegible]
والخاصة اما الثمانية فالاول تشفي الغيظ وذلك اذا جرى سبب غضب به عليه و[illegible] هاج
غضبه تشفى بذكر مساويه وسبق اللسان اليه بالطبع ان لم يكن دين وازع وقد يمتنع تشفي
الغيظ عند الغضب فيحتقن الغضب في الباطن ويصير حقدا ثابتا فيكون سببا دايما لذكر
المساوي فالحقد والغضب من البواعث العظيمة على الغيبة **الثاني** موافقة الاقران
ومجاملة الرفقا ومساعدتهم على الكلام فانهم اذا كانوا يتفكهون بذكر الاعراض فيرى انه لو انكر
او قطع المجلس استثقلوه ونفروا عنه فيساعدهم ويرى ذلك من حسن المعاشرة ويظن انه
مجاملة في الصحبة وقد يغضب رفقاوه فيحتاج ان يغضب لغضبهم اظهارا للمساهمة في السراء
والضراء فيخوض معهم في ذكر العيوب والمساوي **والثالث** ان يستشعر من انسان انه سينتقصه ويطول
لسانه فيه ويقبح حاله عند محتشم او يشهد عليه بشهادة فيبادره قبل ان يقبح عليه حاله

ويطعن فيه ليسقط اثر شهادته او يبتدئ بذكر ما فيه صادقا ليكذب عليه بعده فيروج كذبه بالصدق
الاول ويستشهد به ويقول ما من عادتي الكذب واني اخبرتكم بكذا وكذا من احواله فكان كما قلت
الرابع ان ينسب الى شيء فيريد ان يتبرأ منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرئ نفسه ولا
يذكر الذي فعله فلا ينسب غيره اليه او يذكر غيره بانه كان مشاركا له في الفعل ليمهد بذلك عذر
نفسه في فعله **الخامس** ارادة التصنع والمباهاة وهو ان يرفع نفسه بتنقيص غيره فيقول فلان
جاهل وفهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويريهم انه افضل منه
او يحذر ان يعظم مثل تعظيمه فيقدح فيه لذلك **السادس** الحسد وهو انه ربما يحسد من يثني
الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه
فيريد ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء عليه لانه يثقل عليه ان يسمع
ثناء الناس عليه واكرامهم له وهذا هو الحسد وهو غير الغضب والحقد فان ذلك يستدعي جناية
من المغضوب عليه والحسد قد يكون مع الصديق المحسن والقريب الموافق **السابع** اللعب
والهزل والمطايبة وتزجية الوقت بالضحك فيذكر غيره بما يضحك الناس على سبيل المحاكاة
والتعجب والتعجيب **الثامن** السخرية والاستهزاء استحقارا له فان ذلك قد يجري في الحضور فيجري
ايضا في الغيبة ومنشاه التكبر واستصغار المستهزأ به **واما** الاسباب الثلثة التي في الخاصة فهي اعظمها
وادقها لانها شرور خباها الشيطان في معارض الخيرات وفيها خير ولكن شاب الشيطان الشر به الاول
ان تنبعث من الدين داعية التعجب من انكار المنكر والخطا في الدين فيقول ما اعجب ما رايت من فلان فانه
قد يكون به صادقا ويكون تعجبه من المنكر ولكن كان حقه ان يتعجب ولا يذكر اسمه فيسهل الشيطان عليه
ذكر اسمه في ذكر تعجبه فصار به مغتابا من حيث لا يدري واثم ومن ذلك قول الرجل تعجبت من فلان
كيف يحب جاريته وهي قبيحة وكيف يجلس بين يدي فلان وهو جاهل **الثاني** الرحمة وهو ان يغتم بسبب
ما يبتلى به فيقول مسكين فلان قد غمني امره وما ابتلي به فيكون صادقا في اغتمامه ويلهيه الغم عن
الحذر عن ذكر اسمه فيذكره فيصير به مغتابا فيكون غمه ورحمته خيرا وكذلك تعجبه ولكن ساقه
الشيطان الى الشر من حيث لا يدري والترحم والتغمم ممكن دون ذكر اسمه فيهيجه الشيطان على ذكر
اسمه ليبطل به ثواب اغتمامه وترحمه **الثالث** الغضب لله تعالى فانه قد
يغضب على منكر قارفه انسان اذا راه او سمعه فيظهر غضبه ويذكر اسمه وكان الواجب ان يظهر
غضبه عليه بالامر بالمعروف ولا يظهره على غيره او يستر اسمه فلا يذكره بالسوء فهذه الثلثة مما
يغمض دركها على العلما فضلا عن العوام فانهم يظنون ان التعجب والرحمة والغضب اذا كان لله كان
عذرا في ذكر الاسم وهو خطا بل المرخص في الغيبة حاجات مخصوصة لا مندوحة فيها عن ذكر

الاثم كما سياتي روى عامر بن واثلة ان رجلا مر على قوم في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم عليهم
فردوا السلام فلما جاوزهم قال رجل منهم اني لابغض هذا لله فقال اهل المجلس والله
لبئس ما قلت له ثم يا فلان لرجل منهم قم فادركه فاخبره بما قال فادركه واخبره فاتا الرجل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وحكى له ما قال فسأله ان يدعوه فدعاه وسأله فقال قد قلت ذلك فقال رسول الله
لم تبغضه قال انا جاره وانا به خبير والله ما رايته يصلي صلوة قط الا هذه المكتوبة قال فسأله يا
رسول الله هل رآني اخرتها عن وقتها او اسأت الوضوء لها والركوع والسجود فسأله فقال لا قال والله ما
رايته يصوم شهرا قط الا هذا الشهر الذي يصومه البر والفاجر قال فسله يا رسول الله هل رآني قط
افطرت فيه او نقصت من حقه شيا فسأله فقال لا فقال والله ما رايته يعطي سائلا
ولا مسكينا ولا رايته ينفق من ماله شيا في سبيل الله الا هذه الزكوة التي يؤديها البر والفاجر قال
فسله هل رآني نقصت منها او ماكست فيها طالبها الذي يسألها فسأله فقال لا فقال للرجل قم فلعله
خير منك **بيان العلاج الذي به** يمنع اللسان عن الغيبة **اعلم** ان مساوي الاخلاق كلها
انما تعالج بمعجون العلم والعمل وانما علاج كل علة بمضادة سببها فلنفحص عن سببها وعلاج كف
اللسان عن الغيبة على وجهين احدهما على الجملة والاخر على التفصيل اما على الجملة فهو ان يعلم تعرضه
لسخط الله بغيبته بهذه الاخبار التي رويناها وان يعلم انه تحبط حسناته فانها تنقل في القيمة حسناته
الى من اغتابه بدلا عما استباح من عرضه فان لم تكن له حسنات نقل اليه من سيئاته وهو مع ذلك
متعرض لمقت الله تعالى ومشبه عنده باكل الميتة بل العبد يدخل النار بان يترجح كفة سيئاته وربما
تنقل اليه سيئة واحدة ممن اغتابه فيحصل بها الرجحان ويدخل بها النار وانما اقل الدرجات ان
ينقص من ثواب اعماله وذلك بعد المخاصمة والمطالبة والسؤال والجواب والحساب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما النار في اليبس باسرع من الغيبة في حسنات العبد **وروي** ان رجلا
قال للحسن بلغني انك تغتابني فقال ما بلغ من قدرك عندي ان احكمك في حسناتي فمهما امن العبد بما وردت
به الاخبار لم ينطلق لسانه بالغيبة خوفا من ذلك وينفعه ايضا ان يتدبر في نفسه فان وجد فيها
عيبا اشتغل بعيب نفسه وذكر قوله صلى الله عليه وسلم طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومهما
وجد عيبا فينبغي ان يستحيي من ان يترك نفسه ويذم غيره بل ينبغي ان يعلم ان عجز غيره عن نفسه في التنزه
عن ذلك العيب كعجزه ان كان ذلك عيبا يتعلق بفعله واختياره وان كان امرا خلقيا فالذم له ذم للخالق
فان من ذم صنعة فقد ذم الصانع قال رجل لبعض الحكما يا قبيح الوجه فقال ما كان خلق وجهي
الي فاحسنه وان لم يجد العبد عيبا في نفسه فليشكر الله عز وجل ولا يلوثن نفسه باعظم العيوب
فان ثلب الناس واكل لحم الميتة من اعظم العيوب بل لو انصف لعلم ان ظنه لنفسه السلامة من كل عيب

جهل بنفسه وهو من اعظم العيوب وينفعه ان يعلم ان تالم غيره بغيبته كتالمه بغيبة غيره له
فاذا كان لا يرضى لنفسه ان يغتاب فينبغي ان لا يرضى لغيره ما لا يرضى لنفسه فهذه معالجات جملتها
اما التفصيل فهو ان ينظر في السبب الباعث له على الغيبة فان علاج العلة بقطع سببها وقد قدمنا
الاسباب اما الغضب فيعالجه بما سياتي في كتاب افات الغضب وهو ان يقول
ان امضيت غضبي عليه لعل الله يمضي غضبه علي بسبب الغضب اذ نهاني عنه فاستجرأت على نهيه
واستخففت بزجره وقد قال صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من يشفي
غيظه بمعصية الله وقال صلى الله عليه وسلم من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه وقال عليه السلام
من كظم غيظا وهو يقدر ان يمضيه دعاه الله يوم القيمة على رؤوس الخلائق حتى يخيره في اي الحور شا
وفي بعض كتب الله عز وجل يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق
واما الموافقة فبان تعلم ان الله تعالى يغضب عليك اذا طلبت سخطه في رضا المخلوقين فكيف ترضى
لنفسك ان توقر غيرك وتحقر مولاك فتترك رضاه لرضاهم الا ان يكون غضبك لله وذلك لا
يوجب ان يذكر المغضوب عليه بسوء بل ينبغي ان تغضب لله ايضا على رفقائك اذا ذكروه بالسوء فانهم
عصوا ربك بافحش الذنوب وهي الغيبة **واما** تنزيه النفس بنسبة الجناية الى الغير حيث يستغنى عن
ذكر الغير فتعالج بان تعرف ان التعرض لمقت الخالق اشد من التعرض لمقت الخلق وانت بالغيبة
متعرض لسخط الله يقينا ولا تدري انك تتخلص من سخط الناس ام لا فتخلص نفسك في الدنيا
بالتوهم وتهلك في الاخرة او تخسر حسناتك بالحقيقة وتحصل ذم الله تعالى لك نقدا وتنتظر دفع ذم
الخلق نسيئة وهذا غاية الجهل والخذلان واما عذرك كقولك اني ان اكلت الحرام ففلان ياكل الحرام
و[illegible] نال السلطان ففلان يقبل فهذا جهل لانك تعتذر بالاقتدا بمن لا يجوز الاقتدا به فان
من خالف امر الله تعالى لا يقتدى به كائنا من كان ولو دخل غيرك النار وانت تقدر على ان لا تدخلها
لم توافقه ولو وافقته سفه عقلك ففيما ذكرته غيبة وزيادة معصية اضفتها الى ما اعتذرت
عنه وسجلت مع الجمع بين معصيتين على جهلك وغباوتك وكنت كالشاة تنظر الى العنز تردى
نفسها من الجبل فهي ايضا تردي نفسها ولو كان لها لسان وصرحت بالعذر وقالت العنز اكيس مني
وقد اهلكت نفسها فكذلك انا افعل لكنت تضحك من جهلها وحالك مثل حالها ثم لا تتعجب ولا تضحك
من نفسك واما قصدك المباهاة وتزكية النفس بزيادة الفضل بان تقدح في غيرك فينبغي ان تعلم انك
بما ذكرته ابطلت فضلك عند الله تعالى وانت من اعتقاد الناس فضلك على خطر وربما نقص اعتقادهم
فيك اذا عرفوك بثلب الناس فتكون قد بعت ما عند الخالق يقينا بما عند الخلائق وهما ولو حصل
لك من المخلوق اعتقاد الفضل لكانوا لا يغنون عنك من الله شيا واما الغيبة للحسد فهو جمع بين

وضرتك عذابين لانك حسدته على نعمة الدنيا وكنت معذبا بالحسد فما قنعت بذلك حتى اضفت اليه عذابا
في الاخرة فكنت خاسرا في الدنيا فجعلت نفسك ايضا خاسرا في الاخرة لتجمع بين النكالين فقد قصدت
محسودك فاصبت نفسك واهديت اليه حسناتك فاذن انت صديقه وعدو نفسك اذ لم تضره غيبتك
وتنفعه اذ تنقل اليه حسناتك او تنقل اليك سيئاته ولا ينفعك فقد جمعت الى خبث الحسد جهل
الحماقة وربما يكون حسدك وقدحك سبب انتشار فضل محسودك فقد قيل شعر
واذا اراد الله نشر فضيلة طويت اتاح لها لسان حسود **واما** الاستهزاء فمقصودك منه اخزاء غيرك
عند الناس باخزاء نفسك عند الله تعالى وعند الملائكة والنبيين فلو تفكرت في حسرتك وحيائك
وخجلتك وخزيك يوم تحمل سيئات من استهزات به وتساق الى النار لادهشك ذلك عن اخزاء صاحبك
ولو عرفت حالك لكنت اولى ان تضحك منك فانك سخرت به عند نفر قليل وعرضت نفسك لان ياخذ
بيدك في القيامة على ملا من الناس ويسوقك تحت سيئاته كما يساق الحمار الى النار مستهزئا بك وفرحا
ومسرورا بنصر الله تعالى اياه وتسليطه على الانتقام منك واما الرحمة له على اثمه فهو حسن ولكن
حسدك ابليس فاستنطقك بما ينقل من حسناتك اليه ما هو اكثر من رحمتك فيكون جبرا لاثم المرحوم
فيخرج عن كونه مرحوما وتنقلب انت مستحقا لان تكون مرحوما اذ حبط اجرك ونقصت من حسناتك
وكذلك الغضب لله تعالى لا يوجب الغيبة وانما حبب اليك الشيطان الغيبة ليحبط اجر غضبك وتصير
معرضا لغضب الله تعالى بالغيبة واما التعجب اذا اخرجك الى الغيبة فتعجب من نفسك انك كيف
اهلكت دينك بدين غيرك او بدنياه وانت مع ذلك لا تامن عقوبة الدنيا وهو ان يهتك الله تعالى
سترك كما هتكت بالتعجب ستر اخيك فاذن علاج جميع ذلك بالمعرفة فقط والتحقق بهذه الامور
التي هي من ابواب الايمان فمن قوي ايمانه بجميع ذلك انكف عن الغيبة لا محالة **بيان تحريم الغيبة**
بالقلب **اعلم** ان سوء الظن حرام مثل سوء القول فكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير
فليس لك ان تحدث نفسك وتسيء الظن باخيك ولست اعني به الا عقد القلب وحكمه على غيره بالسوء
فاما الخواطر وحديث النفس فهو معفو عنه بل الشك ايضا معفو عنه ولكن المنهي عنه ان يظن والظن
عبارة عما تركن اليه النفس ويميل اليه القلب وقد قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن
ان بعض الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب فليس لك ان تعتقد في غيرك
سوءا الا اذا انكشف لك بعيان لا يحتمل التاويل فعند ذلك لا يمكنك ان لا تعتقد ما علمته وشاهدته
وما لم تشاهده بعينك ولم تسمعه باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه اليك فينبغي ان تكذبه
فانه افسق الفساق وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية
فلا يجوز تصديق ابليس وان كان ثم مخيلة تدل على فساد واحتمل خلافه لم يجز ان يصدق به حتى ان
يجوز

استنكه فوجد منه ريح الخمر لا يجوز ان يحد اذ يقال يمكن ان يكون قد تمضمض بالخمر ومجه وما
شربه او حمل عليه قهرا فكل ذلك دلالة محتملة فلا يجوز تصديقها بالقلب واساءة الظن بالمسلم به فقد قال
صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وماله وان يظن به ظن السوء فلا يستباح ظن السوء الا بما يستباح
به المال وهو بعين مشاهدة او بينة عادلة فاذا لم يكن ذلك وخطر لك سوء الظن فينبغي ان تدفعه
عن نفسك وتقرر عليها ان حاله عندك مستور كما كان فان ما رايته منه يحتمل الخير والشر فان
قلت فبماذا يعرف عقد الظن والشكوك تختلج والنفس تحدث فاقول امارة عقد الظن ان يتغير القلب
معه عما كان فينفر عنه نفورا ما ويستثقله ويفتر عن مراعاته وتفقده واكرامه والاغتمام بسببه فهذه
امارة عقد الظن وتحقيقه وقد قال صلى الله عليه وسلم ثلث في المؤمن وله منهن مخرج
فمخرجه من سوء الظن ان لا يحققه في نفسه بعقد ولا فعل لا في القلب ولا في الجوارح اما القلب فبتغيره
الى النفرة والكراهة وفي الجوارح بالعمل بموجبه والشيطان قد يقرر على القلب بادنى مخيلة مساوي
الناس ويلقي اليه ان هذا من فطنتك وسرعة تنبهك وذكائك فان المؤمن ينظر بنور الله تعالى وهو على
التحقيق ناطق بغرور الشيطان وظلمته فاما اذا اخبرك به عدل فمال ظنك الى تصديقه كنت معذورا
لانك لو كذبته لكنت جانيا على العدل اذ ظننت به الكذب وذلك ايضا من سوء الظن فلا ينبغي ان تحسن
الظن بواحد وتسيء بالاخر نعم ينبغي ان تبحث هل بينهما عداوة ومحاسدة وتعنت فتتطرق
التهمة بسببه وقد رد الشرع شهادة الاب العدل للتهمة ورد شهادة العدو فلك عند ذلك ان
تتوقف وان كان عدلا فلا تصدقه ولا تكذبه ولكن تقول المذكور حاله كان في ستر الله عني وكان
امره محجوبا عني وقد بقي كما كان لم ينكشف لي شيء من امره وقد يكون الرجل ظاهر العدالة ولا تحاسد بينه
وبين المذكور ولكن يكون من عادته التعرض للناس وذكر مساويهم فهذا قد يظن انه عدل وليس
بعدل فان المغتاب فاسق واذا كان ذلك من عادته ردت شهادته الا ان الناس لكثرة الاعتياد
تساهلوا في امر الغيبة ولم يكترثوا بتناول اعراض الخلق ومهما خطر لك خاطر بسوء على مسلم فينبغي
ان تزيد في مراعاته وتدعو له بالخير فان ذلك يغيظ الشيطان ويدفعه عنك فلا يلقي اليك
الخاطر السوء خيفة من اشتغالك بالدعاء والمراعاة ومهما عرفت عثرة مسلم بحجة فانصحه في هفوة
السر ولا يخدعنك الشيطان فيدعوك الى اغتيابه واذا وعظته فلا تعظه وانت مسرور باطلاعك
على نقصه لينظر اليك بعين التعظيم وتنظر اليه بعين الاستصغار وترتفع عنه بدالة الوعظ وليكن
قصدك تخليصه من الاثم وانت حزين كما تحزن على نفسك اذا دخل عليك نقصان وينبغي ان يكون
تركه لذلك من غير نصحك احب اليك من تركه بالنصيحة فاذا انت فعلت ذلك كنت قد جمعت بين
اجر الوعظ واجر الغم بمصيبته واجر الاعانة له على دينه ومن ثمرات سوء الظن التجسس فان القلب لا

يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو ايضا منهي عنه قال تعالى ولا تجسسوا فالغيبة وسوء الظن والتجسس منهي عنه في اية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله فتتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما لو كان مستورا عنك كان اسلم لقلبك ولدينك وقد ذكرنا ذلك في كتاب الامر بالمعروف وحكم التجسس وحقيقته

بيان الاعذار المرخصة في الغيبة

اعلم ان المرخص في ذكر مساءة الغير هو غرض صحيح في الشرع لا يمكن التوصل اليه الا به فيدفع ذلك اثم الغيبة وهي ستة الاول التظلم فان من ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة كان مغتابا عاصيا اما المظلوم من جهة القاضي فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا به وقد قال صلى الله عليه وسلم لصاحب الحق مقال وقال مطل الغني ظلم وقال لي الواجد يحل عرضه وعقوبته **والثاني** الاستعانة على تغيير المنكر ورد العاصي الى منهج الصلاح كما روي ان عمر رضي الله عنه مر على عثمان وقيل على طلحة رضي الله عنهم اجمعين فسلم عليه فلم يرد فذهب الى ابي بكر رضي الله عنه وذكر له ذلك فجاء ابو بكر ليصلح ذلك ولم يكن ذلك غيبة عندهم وكذلك قيل لعمر رضي الله عنه ان ابا جندل قد عاقر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب الاية ولم ير عمر رضي الله عنه ممن قاله غيبة اذا كان قصده ان ينكر عليه عمر وينفعه نصحه ما لا ينفعه نصح غيره وانما اباحه هذا بالقصد الصحيح فان لم يكن ذلك هو المقصود كان حراما **والثالث** الاستفتاء كما يقول للمفتي قد ظلمني ابي او زوجي او اخي فكيف طريقي في الخلاص والاسلم التعريض بان يقول ما تقول في رجل ظلمه ابوه او زوجه ولكن التعيين مباح لهذا العذر لما روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني انا وولدي افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك وولدك بالمعروف فذكرت الشح والظلم لها ولولدها ولم يزجرها رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتاء **الرابع** تحذير المسلمين من الشر فاذا رايت متفقها يتردد الى اهل الشر ومبتدع او فاسق وخفت ان تتعدى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه مهما كان الباعث لك الخوف على سراية البدعة والفسق لا غير وذلك موضع الغرور اذ قد يكون الحسد هو الباعث ويلبس الشيطان ذلك باظهار الشفقة على الخلق وكذلك من اشترى مملوكا وقد عرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك فان في سكوتك ضرره وفي ذكرك ضرر العبد والمشتري اولى بمراعاة جانبه وكذلك المزكي اذا سئل عن الشاهد فله الطعن وكذلك المستشار في التزويج وايداع الامانة له ان يذكر ما يعرفه على قصد النصح للمستشير لا على قصد الوقيعة وان علم انه يترك التزويج بمجرد قوله لا يصلح لك فهو الواجب وان علم انه لا ينزجر الا بالتصريح بعينه فله ان يصرح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اترعوون عن ذكر

الفاجر متى يعرفه الناس اذكروه بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام الجائر والمبتدع والمجاهر بفسقه **الخامس** ان يكون الانسان معروفا باسم يعرب عن عيبه كالاعرج والاعمش فلا اثم على من يقول ذلك **روى** ابو الزناد عن الاعرج وسلمان الاعمش وما يجري مجراه فقد فعل العلماء ذلك لضرورة التعريف ولانه صار ذلك بحيث لا يكرهه صاحبه لو علمه بعد ان صار مشهورا به نعم لو وجد عنه معدلا وامكنه التعريف بعبارة اخرى فهو اولى ولذلك يقال للاعمى البصير عدولا عن اسم النقص **السادس** ان يكون مجاهرا بالفسق كالمخنث وصاحب الماخور والمجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس وكان ممن يتظاهر بالفسق بحيث لا يستنكف من ان يذكر به ولا يكره ان يذكر به فاذا ذكر منه ما يتظاهر به فلا اثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من القى جلباب الحياء عن نفسه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليس لفاجر حرمة واراد به المجاهر دون المستتر اذ المستتر لا بد من مراعاة حرمته وقال الصلت بن طريف قلت للحسن الرجل الفاجر المعلن بفجوره ذكري له بما فيه غيبة له فقال لا ولا كرامة وقال الحسن ثلثة لا غيبة لهم صاحب الهوى والفاسق المعلن بالفسق والامام الجائر وهؤلاء الثلثة يجمعهم انهم يتظاهرون به وربما يتفاخرون به فكيف يكرهون ذلك وهم يقصدون اظهاره نعم لو ذكر بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه وانك اذا لقيت الله غدا اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج

بيان كفارة الغيبة

اعلم ان الواجب على المغتاب ان يندم ويتوب ويتاسف على ما فعله ليخرج من حق الله تعالى ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج عن مظلمته وينبغي ان يستحله وهو حزين متاسف نادم على فعله اذ المرائي قد يستحل ليظهر من نفسه الورع وفي الباطن لا يكون نادما فيكون قد قارف معصية اخرى وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون الاستحلال ويحتج في ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من اغتبته ان تستغفر له وقال مجاهد كفارتك عن اكلك لحم اخيك ان تثني عليه وتدعو له بخير وسئل عطاء بن ابي رباح عن التوبة من الغيبة فقال تمشي الى صاحبك وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسأت فان اخذت بحقك وان شئت عفوت وهذا هو الاصح وقول القائل العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال فيه بخلاف المال كلام ضعيف اذ وجب في العرض حد القذف وتثبت المطالبة به بل في الحديث الصحيح ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال من كانت لاخيه عنده مظلمة في عرض او مال فليستحللها منه من قبل ان ياتي يوم ليس هناك دينار ولا درهم يؤخذ من حسناته فان لم تكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فزيدت على سيئاته وقالت عائشة رضي الله عنها لامراة قالت لاخرى انها طويلة الذيل قد اغتبتيها فاستحليها فلا بد من الاستحلال ان قدر عليه فان كان غائبا او ميتا فينبغي ان يكثر الاستغفار له والدعاء ويكثر من الحسنات فان قلت فالتحليل هل

تجب فأقول لا لأنه تبرع والتبرع ليس بواجب ولكنه مستحسن وسبيل المعتذر أن يبالغ في الثناء عليه
والتودد إليه ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له
يقابل بها سيئة الغيبة في القيمة وكان بعض السلف لا يحلل قال سعيد بن المسيب لا أحلل من ظلمني
وقال ابن سيرين إني لم أحرمها عليه فأحللها إن الله تعالى حرم الغيبة عليه وما كنت لأحلل
ما حرمه الله أبدا فإن قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبغي أن يستحلها وتحليل ما حرمه الله
تعالى غير ممكن فنقول المراد به العفو عن المظلمة لا أن ينقلب الحرام حلالا وما ذكره ابن سيرين حسن في
التحليل قبل الغيبة فإنه لا يجوز أن يحلل لغيره الغيبة فإن قلت فما معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج من بيته قال اللهم إني قد تصدقت بعرضي على الناس فكيف
يتصدق بالعرض ومن تصدق به فهل يباح تناوله وإن كان لا ينفذ صدقته فما معنى الحث عليه فنقول معناه
إني لا أطلب مظلمة في القيمة ولا أخاصمه وإلا فلا تصير الغيبة حلالا ولا به تسقط المظلمة به لأنه عفو
قبل الوجوب إلا أنه وعد وله العزم على الوفاء بأن لا يخاصم وإن رجع وخاصم كان قياس سائر الحقوق
أن له ذلك بل صرح الفقهاء بأن من أباح القذف لم يسقط حقه من حد القذف ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا
وعلى الجملة فالعفو أفضل قال الحسن إذا جثت الأمم بين يدي الله تعالى يوم القيمة نودوا ليقم من كان أجره على الله
فلا يقوم إلا من عفى في الدنيا وقال تعالى خذ العفو الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا
جبريل ما هذا فقال إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطي من حرمك وقد روي
عن الحسن أن رجلا قال له إن فلانا قد اغتابك فبعث إليه طبقا من الرطب وقال قد بلغني أنك قد أهديت إلي
حسناتك فأردت أن أكافيك عليها فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافيك على التمام **الآفة** السادسة عشر
النميمة وقد قال تعالى هماز مشاء بنميم عتل بعد ذلك زنيم قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم الحديث
وأشار به إلى أن كل من لم يكتم الحديث ومشى بالنميمة دل على أنه ولد الزنا استنباطا من قوله تعالى عتل
بعد ذلك زنيم والزنيم الدعي وقال تعالى ويل لكل همزة قيل الهمزة النمام وقال تعالى
حمالة الحطب كانت نمامة حمالة الحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا قيل كانت امرأة
لوط عليه السلام تخبر بالضيفان وامرأة نوح كانت تخبر أنه مجنون وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
نمام وفي حديث آخر لا يدخل الجنة قتات والقتات هو النمام وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
أحبكم إلى الله أحسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وإن أبغضكم إلى الله المشاؤون بالنميمة
المفرقون بين الإخوان الملتمسون للبرآء العثرات وقال صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بشراركم قالوا بلى
قال المشاؤون بالنميمة المفسدون بين الأحبة الباغون للبرآء العنت وقال صلى الله عليه وسلم من أشاد
على مسلم كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله في النار يوم القيمة وقال أبو الدرداء قال صلى الله عليه وسلم

أيما رجل أشاع على رجل كلمة وهو منها بريء ليشينه بها في الدنيا كان حقا على الله أن يذيبه بها يوم القيمة في النار
وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شهد على مسلم بشهادة ليس لها بأهل
فليتبوأ مقعده من النار ويقال إن ثلث عذاب القبر من النميمة وعن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله
تعالى لما خلق الجنة قال الجبار جل جلاله وعزتي وجلالي لا يسكنك فيك ثمانية نفر من الناس لا يسكنك مدمن
خمر ولا مصر على الزنا ولا قتات وهو النمام ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا قاطع رحم ولا الذي يقول
علي عهد الله إن لم أفعل كذا وكذا ثم لم يف به **وروي** كعب أنه أصاب بني إسرائيل قحط فاستسقى مرات فما أجيب
فأوحى الله تعالى إليه لا أستجيب لك ولمن معك وفيكم نمام قد أصر على النميمة فقال موسى عليه السلام يا رب من هو
حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فتابوا بأجمعهم فسقوا
ويقال اتبع رجل حكيما سبعمائة فرسخ في سبع كلمات فلما قدم عليه قال إني جئتك للذي آتاك الله من العلم
أخبرني عن السماء وما أثقل منها وعن الأرض وما أوسع منها وعن الحجر وما أقسى منه وعن النار وما أحر منه
وعن الزمهرير وما أبرد منه وعن البحر وما أغنى منه وعن اليتيم وما أذل منه قال البهتان على البريء أثقل من
السموات والحق أوسع من الأرض والقلب القانع أغنى من البحر والحرص والحسد أحر من النار والحاجة إلى
القريب إذا لم تنجح أبرد من الزمهرير وقلب الكافر أقسى من الحجر والنمام إذا بان أمره أذل من اليتيم **بيان حد**
النميمة وما يجب في ردها **اعلم** أن اسم النميمة إنما يطلق في الأكثر على من ينم قول الغير إلى المقول فيه كما
تقول فلان يتكلم فيك بكذا وكذا وليس النميمة مخصوصة به بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول إليه أو
المنقول عنه أو كرهه ثالث وسواء كان الكشف بالقول أو بالكتابة أو بالرمز أو بالإيماء وسواء كان المنقول من
الأعمال أو من الأقوال وسواء كان ذلك عيبا ونقصا على المنقول عنه أو لم يكن بل حقيقة النميمة إفشاء
السر وهتك الستر عما يكره كشفه بل كل ما رآه الإنسان من أحوال الناس فينبغي أن يسكت عنه إلا ما في حكايته
فائدة لمسلم أو دفع لمعصية كما إذا رأى من يتناول مال غيره فعليه أن يشهد به مراعاة لحق المشهود
عليه فأما إذا رآه يخفي مالا لنفسه فذكره فهو نميمة وإفشاء للسر فإن كان ما ينم به نقصانا أو عيبا في المحكي
عنه كان قد جمع بين الغيبة والنميمة والباعث على النميمة إما إرادة السوء بالمحكي عنه أو إظهار الحب للمحكي له
أو التفرج بالحديث والخوض في الفضول وكل من حملت إليه النميمة وقيل له إن فلانا قال فيك كذا أو فعل فيك
كذا أو هو يدبر في إفساد أمرك أو في ممالاة عدوك أو في تقبيح حالك أو ما يجري مجراه فعليه ستة أمور
الأول أن لا يصدقه لأن النمام فاسق وهو مردود الشهادة قال الله تعالى إن جاءكم
فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة **و**الثاني أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال الله
تعالى وأمر بالمعروف وانه عن المنكر الثالث أن يبغضه في الله تعالى فإنه بغيض عند الله ويجب بغض من يبغضه
الله **و**الرابع أن لا تظن بأخيك الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن الخامس أن لا يحملك ما حكي لك

على التجسس والبحث لتحقق لقوله تعالى ولا تجسسوا والسادس ان لا ترضى لنفسك بما نهيت عنه النمام
فلا تحكي نميمته فتقول فلان قد حكى كذا وكذا فتكون به نماما ومغتابا وتكون قد اتيت ما عنه
نهيت وقد روي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في
امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت من اهل هذه
الاية هماز مشاء بنميم مناع وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا وذكر ان حكيما
من الحكماء زاره بعض اخوانه واخبره بخبر عن غيره فقال له الحكيم قد ابطات في الزيارة واتيتني بثلث جنايات
بغضت الي اخي وشغلت قلبي الفارغ واتهمت نفسك الامينة وروي ان الخليفة سليمن بن عبد الملك
كان جالسا وعنده الزهري فجاءه رجل فقال له سليمن بلغني انك وقعت في وقلت كذا وكذا فقال الرجل ما
فعلت ولا قلت فقال سليمن ان الذي اخبرني صادق فقال الزهري لا يكون النمام صادقا فقال سليمن صدقت
واذهب بسلام وقال الحسن من نم اليك نم عليك وهذا اشارة الى ان النمام ينبغي ان يبغض ولا
يوثق بصداقته وكيف لا يبغض وهو لا ينفك من الكذب والغيبة والغدر والخيانة والغل والحسد والنفاق
والافساد بين الناس والخديعة وهو ممن سعى في قطع ما امر الله تعالى ان يوصل قال تعالى ويقطعون ما
امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وقال تعالى انما السبيل على الذين يظلمون الناس ويبغون في الارض بغير
الحق والنمام منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من شرار الناس من اتقاه الناس لشره والنمام منهم وقال لا يدخل
الجنة قاطع قيل القاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وروي عن علي رضي الله عنه ان رجلا اتاه
يسعى اليه برجل فقال يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت
ان نقيلك اقلناك قال اقلني يا امير المومنين وقيل لمحمد بن كعب القرظي اي خصال المومن اوضع له قال كثرة الكلام
وافشاء السر وقبول كل احد وقال رجل لعبد الله بن عامر وكان اميرا بلغني ان فلانا اعلم الامير اني ذكرته بسوء قال قد كان
ذلك قال فاخبرني بما قال لك حتى اظهر كذبه عندك قال ما احب ان اشتم نفسي بلساني وحسبي
اني لم اصدقه فيما قال ولا قطعت عنك الوصال وذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنك بقوم يحمد
الصدق من كل طائفة من الناس الا منهم وقال مصعب بن الزبير نحن نرى قبول السعاية شرا من السعاية لان
السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شي فاخبر به كمن قبله فاجازه فاتقوا الساعي فلو كان
في قوله صادقا لكان في صدقه لئيما حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة والسعاية هي النميمة الا انها
اذا كانت الى من يخاف جانبه سميت سعاية وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم الساعي بالناس الى الناس
لغير رشدة يعني ليس بولد الحلال ودخل رجل على سليمن بن عبد الملك فاستاذن في الكلام وقال اني مكلمك
يا امير المومنين بكلام فاحتمله وان كرهته فان وراءه ما تحب ان قبلته قال قل فقال يا امير المومنين انه قد
اكتنفك رجال ابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربهم خافوك في الله ولم يخافوا الله فيك فلا

تامنهم على ما ائتمنك الله عليه ولا تصغ اليهم فيما استحفظك الله اياه فانهم لن يالوا في الامة خسفا والامانة
تضييعا والاعراض قطعا وانما كان اعلى قربهم البغي والنميمة واجل وسائلهم الغيبة والوقيعة وانت مسؤول
عما اجترحوا وليسوا المسؤولين عما اجترحت فلا تصلح دنياهم بفساد اخرتك فان اعظم الناس غبنا بايع
اخرته بدنيا غيره وسعى رجل بزياد الاعجم الى سليمن بن عبد الملك فجمع بينهما للموافقة فاقبل زياد على
الرجل يقول فانت امرؤ اما ائتمنتك خاليا فخنت واما قلت قولا بلا علم
فانت من الامر الذي كان بيننا بمنزلة بين الخيانة والاثم وقال رجل لعمرو بن عبيد ان الاسواري
ما يزال يذكرك في قصصه بشر فقال له عمرو يا هذا ما رعيت مجالسة الرجل حيث نقلت الينا حديثه ولا اديت حقي
حين ابلغتني عن اخي ولكن اعلمه ان الموت يعمنا والقبر يضمنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين ورفع بعض
السعاة الى الصاحب بن عباد رقعة نبه فيها على مال يتيم يحمله على اخذه لكثرته فكتب على ظهرها السعاية
قبيحة وان كانت صحيحة رحمه الله واليتيم جبره الله والمال ثمره الله والساعي لعنه الله وقال لقمن الحكيم
لابنه يا بني اوصيك بخلال ان تمسكت بهن لم تزل سيدا ابسط خلقك للقريب والبعيد وامسك
جهلك عن الكريم واللئيم واحفظ اخوانك وصل اقاربك وامنهم من قبول ساع او سماع باغ يريد فسادك ويروم
خداعك وليكن اخوانك من اذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك وقال بعضهم النميمة مبنية على الكذب
والحسد والنفاق وهي اثافي الذل وقال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترئ بالشتم عليك
والمنقول عنه اولى بحلمك لانه لم يقابلك بشتمك الآفة السابعة كلام ذي اللسانين الذي
يتردد بين المتعاديين ويكلم كل واحد بكلام يوافقه وقل ما يخلو عنه من يشاهد متعاديين وذلك عين
النفاق قال عمار بن ياسر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له وجهان في الدنيا كان له
لسانان من نار يوم القيمة وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجدون من شر عباد الله يوم القيمة ذا الوجهين
الذي ياتي هولاء بحديث وهولاء بحديث وفي لفظ اخر الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه وقال ابو هريرة لا
ينبغي لذي الوجهين ان يكون امينا عند الله تعالى وقال مالك بن دينار قرات في التوراة بطلت الامانة والرجل مع
صاحبه بشفتين مختلفين يهلك الله يوم القيمة كل شفتين مختلفتين وقال صلى الله عليه وسلم ابغض خلق الله اليه يوم
القيمة الكذابون والمستكبرون والذين يكثرون البغضاء لاخوانهم في صدورهم فاذا لقوهم تملقوا لهم والذين اذا
دعوا الى الله ورسوله كانوا بطاء واذا دعوا الى الشيطان وامره كانوا سراعا وقال ابن مسعود
لا يكونن احدكم امعة قالوا وما الامعة قال الذي يجري مع كل ريح واتفقوا على ان ملاقاة الاثنين بوجهين
نفاق وللنفاق علامات كثيرة وهذه من جملتها وقد روي ان رجلا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مات فلم
يصل عليه حذيفة فقال له عمر يموت رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصلي عليه فقال يا امير
المومنين انه منهم قال فنشدتك الله انا منهم ام لا قال اللهم لا ولا اومن فيها احدا بعدك فان قلت فيما ذا

يصير ذا لسانين وما حد ذلك فاقول اذا دخل على متعاديين وجامل كل واحد منهما وكان صادقا فيه
لم يكن منافقا ولا ذا لسانين فان الواحد قد يصادق متعاديين ولكن صداقة ضعيفة لا تنتهي الى
حد الاخوة اذ لو تحققت الصداقة لاقتضت معاداة الاعداء كما ذكرناه في كتاب
الصحبة والاخوة نعم لو نقل كلام كل واحد الى الاخر فهو ذو لسانين وذلك شر من النميمة اذ يصير نماما بان
ينقل من احد الجانبين فقط وان لم ينقل كلاما ولكن حسن لكل واحد منهما ما هو عليه من المعاداة مع صاحبه
فهو ذو لسانين وكذلك اذا وعد كل واحد منهما بانه ينصره وكذلك اذا اثنى على احدهما وكان اذا خرج
من عنده يذمه فهو ذو لسانين بل ينبغي ان يسكت او يثني على المحق من المتعاديين ويثني في حضوره
وفي غيبته وبين يدي عدوه وقيل لابن عمر رضي الله عنهما انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا
غيره فقال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا نفاق مهما كان
مستغنيا عن الدخول على الامير وعن الثنا فلو استغنى عن الدخول ولكن اذا دخل يخاف ان لم يثن فهو
نفاق لانه الذي احوج نفسه اليه وان كان يستغني عن الدخول لو قنع بالقليل وترك المال والجاه فدخل
لضرورة الجاه والغنا واثنى فهو منافق وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق
في القلب كما ينبت الما البقل لانه يحوج الى الامرا والى مراعاتهم ومراياتهم فاما اذا ابتلي به لضرورة وخاف ان لم يثن
فهو معذور فان اتقا الشر جائز قال ابو الدردا انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتبغضهم وقالت
عائشة استأذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له بئس رجل العشيرة هو فلما دخل عليه اقبل
عليه فراجعته لما خرج فقال يا عائشة ان شر الناس الذي يكرم اتقا لشره ولكن هذا ورد في الاقبال وفي
الكشر والتبسم فاما الثنا فهو كذب صريح فلا يجوز الا لضرورة او اكراه يباح الكذب بمثله كما ذكرنا في آفة
الكذب بل لا يجوز الثنا ولا التصديق وتحريك الراس في معرض التقرير على كل كلام باطل فان فعل ذلك
فهو منافق بل ينبغي ان ينكر فان لم يقدر فليسكت بلسانه وينكر بقلبه الآفة الثامنة عشر المدح وهو
منهي عنه في بعض المواضع اما الذم فهو الغيبة والوقيعة وقد ذكرنا حكمها واما المدح فيدخله ست
آفات اربعة في المادح واثنان في الممدوح فاما المادح فهو انه قد يفرط فينتهي به الى الكذب قال خالد
بن معدان من مدح اماما او واحدا بما ليس فيه على رؤوس الاشهاد بعثه الله يوم القيمة يتعثر بلسانه الثانية انه
قد يدخله الريا فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقوله
فيصير به مرائيا منافقا الثالثة انه قد يقول ما لا يتحققه ولا سبيل الى الاطلاع عليه روي ان
رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك ثم قال ان كان لا بد
احدكم مادحا اخاه فليقل احسب فلانا ولا ازكي احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك وهذه الآفة
تتطرق الى المدح بالاوصاف المطلقة التي تعرف بالادلة كقولك انه متقي وورع وزاهد وخير وما يجري مجراه اما

اذا قال رأيته يصلي بالليل ويتصدق ويحج فهذه امور مستيقنة ومن ذلك قوله عدل رضي فان ذلك
خفي فلا ينبغي ان يجزم القول فيه الا بعد خبرة باطنة سمع عمر رجلا يثني على رجل فقال اسافرت
معه فقال لا فقال اخالطته قال لا قال والله الذي لا اله غيره لا تعرفه الرابع
قد يفرح الممدوح وهو ظالم او فاسق وذلك غير جائز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يغضب اذا
مدح الفاسق وقال الحسن من دعا لظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه والظالم الفاسق ينبغي ان يذم ليغتم
ولا يمدح فيفرح واما الممدوح فيضره من وجهين احدهما انه يحدث فيه كبرا واعجابا وهما مهلكان قال
الحسن كان عمر رضي الله عنه قاعدا ومعه الدرة والناس حوله اذ اقبل الجارود فقال
رجل هذا سيد ربيعة فسمعها عمر ومن حوله وسمعها الجارود فلما دنا منه خفقه بالدرة فقال ما لي ولك
يا امير المؤمنين قال ما لي ولك اما لقد سمعتها قال سمعتها فمه قال خشيت ان يخالط قلبك منها شي
فاحببت ان اطاطي منك الثانية هو انه اذا اثني عليه بالخير فرح به وفتر ورضي عن نفسه ومن اعجب
بنفسه قل تشمره وانما يتشمر للعمل من يرى نفسه مقصرا فاذا اطلقت الالسنة بالثنا عليه ظن انه
قد ادرك ولهذا قال صلى الله عليه وسلم قطعت عنق صاحبك لو سمعه ما افلح وقال صلى الله عليه وسلم
اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى رميضا وقال ايضا لمن مدح رجلا عقرت
الرجل عقرك الله وقال مطرف ما سمعت ثنا او مدحة الا تصاغرت الى نفسي وقال زياد بن ابي مسلم ليس
احد يسمع ثنا عليه او مدحة الا ترايا له الشيطان ولكن المؤمن يراجع قال ابن المبارك لقد صدق
كلاهما اما ما ذكره زياد فذلك قلب العوام واما ما ذكره مطرف فذلك قلب الخواص وقال صلى الله عليه وسلم لو مشى
رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وقال عمر رضي الله عنه المدح الذبح وذلك
لان المذبوح هو الذي يفتر عن العمل والمدح يوجب الفتور او لان المدح يورث الكبر والعجب وهما مهلكان
كالذبح فلذلك شبهه به فان سلم المدح عن هذه الآفات في حق المادح والممدوح لم يكن به باس
بل ربما كان مندوبا اليه ولذلك اثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصحابة حتى قال لو وزن ايمان
ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال في عمر لو لم ابعث لبعثت يا عمر واي ثنا يزيد على هذا ولكنه قال
عن صدق وبصيرة وكانوا اجل رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا او عجبا وفتورا بل مدح الرجل نفسه قبيح
لما فيه من الكبر والتفاخر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي لست اقول
هذا تفاخرا كما يقصده الناس بالثنا على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه من الله لا بولد آدم
وتقدمه عليهم كما ان المقبول عند الملك قبولا عظيما انما يفتخر بقبوله اياه وبه يفرح لا بتقدمه على بعض
رعاياه وبتفصيل هذه الآفات تقدر على الجمع بين ذم المدح وبين الحث عليه اذ قال
صلى الله عليه وسلم وجبت لما اثنوا على بعض الموتى وقال مجاهد ان لبني آدم جلسا من الملائكة فاذا ذكر اخاه

المسلم بخير مالت الملائكة ولك بمثله واذا ذكره بسوء قالت الملائكة يا ابن آدم المستور عورته اربع على
نفسك واحمد الله تعالى اذ ستر عورتك فهذه آفات المدح **بيان ما على الممدوح** اعلم ان على
الممدوح ان يكون شديد الاحتراز عن آفة الكبر والعجب وآفة الفتور ولن ينجو عنه الا بان
يعرف نفسه ويتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات الاعمال وانه يعرف من نفسه ما لا يعرفه
المادح ولو انكشف له جميع اسراره وما يجري على خواطره لكف المادح عن مدحه وعليه ان يظهر كراهة المدح
باذلال المادح واليه الاشارة بقول النبي صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين قال
سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفونني وانت
تعرفني وقال آخر لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون
واثنى رجل على عمر رضي الله عنه فقال اتهلكني وتهلك نفسك واثنى رجل على علي في وجهه وكان قد بلغه انه
يقع فيه فقال علي رضي الله عنه انا دون ما تقول وفوق ما في نفسك **الآفة** التاسعة عشر من الغفلة
عن دقائق الخطأ في فحوى الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله تعالى وصفاته ويرتبط بامور الدين فلا يقدر على تقويم
اللفظ في امور الدين الا العلماء الفصحاء فمن قصر في علم او فصاحة لم يخل كلامه عن الزلل ولكن الله يعفو عنه
لجهله به ومثاله ما قال حذيفة قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل
ما شاء الله ثم شئت وذلك لان في العطف المطلق تشريكا وتسوية وهو على خلاف الاحترام وقال ابن عباس
جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمه في بعض الامر فقال ما شاء الله وشئت فقال صلى الله عليه وسلم اجعلتني
لله عدلا بل ما شاء الله وحده وخطب رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فقد غوى فقال قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وكره قوله ومن يعصهما لانه تسوية
وجمع وكان ابرهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول اعوذ بالله ثم بك
وان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وكره بعضهم ان يقول اللهم اعتقنا من النار وكانوا يقولون العتق
يكون بعد الورود وكانوا يستجيرون من النار ويتعوذون من النار وقال رجل اللهم اجعلني ممن تصيبه
شفاعة محمد فقال حذيفة ان الله يغني المؤمنين عن شفاعة محمد وتكون شفاعته للمذنبين من المسلمين
وقال ابرهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل له يوم القيمة حمارا رايتني خلقته خنزيرا او عن ابن عباس
رضي الله عنه ان احدكم ليشرك حتى يشرك بكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة وعن عمر قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم قال عمر رضي الله عنه والله ما حلفت بها منذ سمعته
وقال صلى الله عليه وسلم لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا يقولن احدكم عبدي وامتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي
وفتاتي ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن سيدي وسيدتي كلكم عبيد الله والرب الله وقال صلى الله عليه
وسلم لا تقولوا

وسلم لا تقولوا للفاسق (للمنافق) سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام سالما
فهذا وامثاله مما يدخل في الكلام لا يمكن حصره ومن تامل جميع ما اوردناه من آفات اللسان علم انه اذا اطلق لسانه
لم يسلم وعند ذلك يعرف سر قوله عليه السلام من صمت نجا لان هذه الآفات كلها مهالك ومعاطب وهي على
طريق المتكلم فان سكت سلم من الكل وان تكلم خاطر بنفسه الا ان يوافقه لسان فصيح وعلم غزير وورع
حافظ ومراقبة لازمة ويقلل من الكلام فعساه يسلم عند ذلك وهو مع جميع ذلك لا ينفك عن الخطر
فان كنت لا تقدر على ان تكون ممن تكلم فغنم فكن ممن سكت فسلم فالسلامة احدى الغنيمتين **الآفة**
العشرون سؤال العوام عن صفات الله تعالى وعن كلامه وعن الحروف وانها قديمة او حادثة ومن حقهم الاشتغال
بالعمل بما في القرآن الا ان ذلك ثقيل على النفوس والفضول خفيف على القلب والعامي يفرح بان يخوض
في العلم اذ الشيطان يخيل اليه انه من العلماء واهل الفضل فلا يزال يحبب اليه ذلك حتى يتكلم بما هو كفر وهو لا يدري
وكل كبيرة يرتكبها العامي فهو اسلم له من ان يتكلم في العلم لا سيما فيما يتعلق بالله وصفاته وانما شان العوام
الاشتغال بالعبادات والايمان بما ورد به القرآن والتسليم لما جاء به الرسل من غير بحث وسؤالهم عن غير
ما يتعلق بالعبادة سوء ادب منهم يستحقون به المقت من الله تعالى ويتعرضون لخطر الكفر وهو كسؤال
ساسة الدواب عن اسرار الملوك وهو موجب للعقوبة وكل من سأل عن علم غامض ولم يبلغ فهمه تلك
الدرجة فهو مذموم فانه بالاضافة اليه عامي وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذروني ما تركتكم فانما
هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على انبيائهم ما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم فأتوا منه ما
استطعتم وقال انس سأل الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما حتى اكثروا عليه واغضبوه فصعد
المنبر فقال سلوني فلا تسألوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل فقال يا
رسول الله من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان اخوان فقالا يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما
الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله افي الجنة انا او في النار فقال لا بل في النار فلما راى
الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا
وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولا فقال اجلس يرحمك الله انك ما علمت لموفق وفي الحديث نهى رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن القيل والقال وكثرة السؤال واضاعة المال وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوشك
الناس يتساءلون بينهم حتى يقولوا هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله فاذا قالوا ذلك فقولوا الله احد حتى
تختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم وقال جابر ما نزلت
آية التلاعن الا لكثرة السؤال وفي قصة موسى والخضر تنبيه على المنع من السؤال قبل اوان استحقاقه
اذ قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فلما سأل عن السفينة انكر عليه حتى اعتذر

وقال لا تواخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فلما لم يصبر حتى سال بلنا قال هذا فراق بيني وبينك
وفارقه فسوال العوام عن غامض الدين من اعظم الافات وهي من المثيرات للفتن فيجب زجرهم ومنعهم من ذلك
وخوضهم في حروف القران يضاهي اشتغال من كتب اليه الملك بكتاب رسم له فيه امورا فلم يشتغل بشي منه
وضيع زمانه في ان قرطاس الكتاب حديث او عتيق فاستحق به العقوبه لا محاله فكذا تضييع العامي
حدود القران واشتغاله بحروفه انها قديم او حادث وكذا سائر صفات الله عز وجل

تم كتاب افات اللسان بحمد الله تعالى وعونه والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما كثيرا

يتلوه كتاب افة الغضب والحقد والحسد وكتاب
ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل من كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم

كتاب افة الغضب والحقد والحسد

الحمد لله الذي لا يتكل الا على عفوه ورحمته الراجون ولا يحذر سوء غضبه وسطوته الا الخايفون الذي استدرج عباده
من حيث لا يعلمون وسلط عليهم الشهوات وامرهم بترك ما يشتهون وابتلاهم بالغضب وكلفهم كظم
الغيظ فيما يغضبون ثم حفهم بالمكاره واللذات واملى لهم لينظر كيف يعملون وامتحن به حبهم ليعلم
صدقهم فيما يدعون وعرفهم انه لا يخفى عليه شي مما يسرون وما يعلنون وحذرهم ان ياخذهم بغتة وهم لا يشعرون
ثم قال تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية
ولا الى اهلهم يرجعون والصلوة على محمد رسوله الذي يسير تحت لوائه النبيون وعلى اله واصحابه الايمة المهديون
والسادة المرضيون صلوة يوازي عددها عدد ما كان من خلق الله وما سيكون ويحظى ببركتها الاولون والاخرون
اما بعد فان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع الا على الافيدة وانها لمستكنة
طي الفواد استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر الدفين من قلب كل جبار عنيد كما يستخرج الحجر النار
من الحديد وقد انكشف للناظرين بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استفزته
نار الغضب فقد قويت فيه قرابة الشيطان حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان شان الطين السكون
والوقار وشان النار التلظي والاشتعال والحركة والاضطراب ومن نتايج الغضب الحقد والحسد وبهما
هلك من هلك وفسد من فسد ومغيضهما مضغة اذا صلحت صلح معها سائر الجسد واذا كان الحقد والحسد والغضب
مما يسوق العبد الى مواطن العطب فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه ليحذر ذلك ويتقيه ويميطه عن
القلب ان كان وينفيه ويعالجه ان رسخ في قلبه ويداويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن عرفه فلا يكفيه

ما لم يعرف الطريق الذي يدفع الشر ويقصيه ونحن نذكر ذم الغضب وافات الحقد والحسد في هذا الكتاب
ويجمعها فيه

بيان ذم الغضب

قال الله تعالى اذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فانزل الله سكينته الاية ذم الله تعالى الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة عن الغضب بالباطل ومدح
تعالى المومنين بما انعم به عليهم من السكينة روى ابو هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل واقلل قال لا
تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب وقال ابن عمر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم قل لي قولا
واقلل لعلي اعقله فقال لا تغضب فاعدت عليه مرتين كل ذلك يرجع الى لا تغضب وعن عبد الله بن عمرو انه
سال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم
ما تعدون الصرعة فيكم قلنا الذي لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه عند الغضب
وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند
الغضب وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من كف غضبه ستر الله عورته وقال
فوائد سليمن بن داود يا بني اياك وكثرة الغضب فان كثرة الغضب تستخف فواد الرجل الحليم وعن عكرمة في قوله
تعالى وسيدا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب وقال ابو الدردا قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني
الجنة قال لا تغضب وقال يحيى لعيسى عليه السلام لا تغضب قال لا استطيع ان لا اغضب انما انا بشر قال
لا تقتني مالا قال هذا عسى وقال صلى الله عليه وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل وقال
صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى على جهنم وقال رجل اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني
من غضب الله قال لا تغضب

الاثار

قال الحسن يا ابن ادم كلما غضبت وثبت يوشك ان تثب وثبة
فتقع في النار وعن ذي القرنين انه لقي ملكا من الملايكة فقال علمني علما ازداد به ايمانا ويقينا قال لا تغضب
فان الشيطان اقدر ما يكون على ابن ادم حين يغضب فرد الغضب بالكظم وسكنه بالتؤدة واياك والعجلة
فانك اذا عجلت اخطات حظك وكن سهلا لينا للقريب والبعيد ولا تكن جبارا عنيدا وعن وهب بن منبه
ان راهبا كان في صومعة فاراد الشيطان ان يضله فلم يستطع فجا حتى ناداه فقال افتح فلم يجبه فقال افتح
فاني ان ذهبت ندمت فلم يلتفت اليه وقال اني انا المسيح قال الراهب وان كنت المسيح فما
اصنع بك اليس قد امرتنا بالعبادة والاجتهاد ووعدتنا القيمة فلو جيتنا اليوم بغيره لم نقبله منك
قال فقال انه هو الشيطان وقد اردت ان اضلك فلم استطع فجيتك لتسالني عما شيت فاخبرك قال ما
اريد ان اسالك عن شي قال فولى مدبرا فقال الراهب الا تسمع قال بلى قال اخبرني اي اخلاق بني ادم اعون
لك عليهم قال الحدة ان الرجل اذا كان حديدا قلبناه كما يقلب الصبيان الكرة وقال خيثمة ان الشيطان
يقول كيف يغلبني ابن ادم واذا رضي جيت حتى اكون في قلبه واذا غضب طرت حتى اكون في راسه وقال جعفر
بن محمد الغضب مفتاح كل شر وقال بعض الانصار راس الحمق الحدة وقائده الغضب ومن رضي بالجهل

استغنى عن الحلم الحلم زين ومنفعة والجهل شين ومضرة والسكوت عن جواب الأحمق جوابه وقال مجاهد
قال إبليس ما أعجزني بنو آدم فلن يعجزوني في ثلث إذا سكر أحدهم أخذنا بخزامته فقدناه حيث شئنا
وعمل لنا ما أحببنا وإذا غضب قال بما لا يعلم وعمل بما يندم ونبخله بما في يديه ونمنيه بما لا يقدر عليه وقيل
لحكيم ما أملك فلانا لنفسه قال إذا لا تذله الشهوة ولا يصرعه الهوى ولا يغلبه الغضب وقال
بعضهم إياك والغضب فإنه يصيرك إلى ذلة الاعتذار وقال عبد الله بن مسعود انظروا إلى حلم الرجل عند
غضبه وأمانته عند طمعه وما علمك بحلمه إذا لم يغضب وما علمك بأمانته إذا لم يطمع وكتب عمر بن عبد
العزيز إلى عامله أن لا تعاقب عند غضبك وإذا غضبت على رجل فاحبسه فإذا سكن غضبك فأخرجه فعاقبه
على قدر ذنبه ولا تجاوز به خمسة عشر سوطا وقال علي بن زيد أغلظ رجل من قريش على عمر بن عبد العزيز
فأطرق عمر طويلا ثم قال أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غدا
وقال بعضهم لابنه يا بني لا يثبت العقل عند الغضب كما لا يثبت روح الحي في التنانير المسجورة فأقل الناس
غضبا أعقلهم فإن كان للدنيا كان دهاء ومكرا وإن كان للآخرة كان علما وحلما وقد قيل الغضب عدو العقل
والغضب غول العقل وكان عمر رضي الله عنه إذا خطب قال في خطبته أفلح منكم من حفظ من الهوى والطمع
والغضب وقال بعضهم من أطاع غضبه وشهوته أداه إلى النار وقال الحسن من علامات المسلم قوة في دين
وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان
في قدرة وصبر في شدة لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا
يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته ينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر
يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء وقيل لعبد الله بن المبارك اجمل لنا
حسن الخلق في كلمة قال ترك الغضب وقال نبي من الأنبياء لمن معه من يتكفل لي أن لا يغضب ويكون معي في
درجتي ويكون بعدي خليفتي فقال شاب من القوم أنا ثم أعاد عليه فقال أنا فوفى به فلما مات كان في منزلته بعده
وهو ذو الكفل سمي به لأنه تكفل بالغضب ووفى به وقال وهب الكفر أربعة أركان الغضب والشهوة والخرق
والطمع **بيان حقيقة الغضب** اعلم أن الله تعالى لما خلق الحيوان معرضا للفساد والموتان
بأسباب في داخل بدنه وأسباب خارجة منه أنعم عليه بما يحميه عن الفساد ويدفع عنه الهلاك إلى أجل
معلوم سماه في كتابه أما السبب الداخل فهو أنه ركبه من الرطوبة والحرارة وجعل بين الحرارة والرطوبة
عداوة ومضادة فلا تزال الحرارة تحلل الرطوبة وتجففها وتبخرها حتى تنفشي أجزاؤها بخارا متصاعدا
منها فلو لم يتصل بالرطوبة مدد من الغذاء يجبر ما انفش وتبخر من أجزائها لفسد الحيوان فخلق الله تعالى
الغذاء الموافق لبدن الحيوان وخلق في الحيوان شهوة تبعثه على تناول الغذاء كالموكل به في جبر ما
انكسر وسد ما انثلم ليكون حافظا له من الهلاك بهذا السبب وأما الأسباب الخارجة التي يتعرض لها

الإنسان فكالسيف والسنان وسائر المهلكات فافتقر إلى قوة وحمية تثور من باطنه فتدفع المهلكات
عنه فخلق الله تعالى الغضب من النار وغرزها في الإنسان وعجنها بطينته فمهما قصد في غرض من أغراضه
ومقصود من مقاصده اشتعلت نار الغضب وثارت ثورانا يغلي بها دم القلب وينتشر في العروق
ويرتفع إلى أعالي البدن كما ترتفع النار وكما يرتفع الماء الذي يغلي في القدر فلذلك ينصب إلى الوجه
فيحمر الوجه والعين والبشرة لصفائها تحكي لون ما وراءها من حمرة الدم كما تحكي الزجاجة لون ما
فيها وإنما ينبسط الدم إذا غضب على من دونه واستشعر القدرة عليه فإن صدر الغضب ممن فوقه
وكان معه يأس من الانتقام تولد منه انقباض الدم من ظاهر الجلدة إلى جوف القلب وصار حزنا
ولذلك يصفر اللون وإن كان على نظير يشك فيه تولد منه تردد الدم بين انقباض وانبساط فيحمر ويصفر
ويضطرب وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب وإنما يتوجه هذه عند ثورانه إلى دفع المؤذيات قبل
وقوعها وإلى التشفي والانتقام بعد وقوعها والانتقام قوت هذه القوة وشهوتها وفيه لذتها ولا تسكن
إلا بها ثم الناس في هذه القوة على درجات ثلث في أول الفطرة من التفريط والإفراط والاعتدال أما التفريط
فبفقد هذه القوة أو ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه إنه لا حمية له ولذلك قال الشافعي من
استغضب ولم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة الحمية والغضب أصلا فهو ناقص جدا وقد وصف الله تعالى
الصحابة بالشدة والحمية فقال تعالى أشداء على الكفار وقال للنبي صلى الله عليه وسلم
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وإنما الغلظة والشدة من آثار قوة الحمية وهو الغضب وأما
الإفراط فهو أن تغلب هذه الصفة حتى تخرج من سياسة العقل والدين وطاعته ولا يبقى للمرء معه بصيرة
ونظر وفكر ولا اختيار بل يصير في صورة المضطر وسبب غلبته أمور غريزية وأمور اعتيادية فرب إنسان
هو بالفطرة مستعد لسرعة الغضب حتى كأن صورته في الفطرة صورة غضبان ويعين على ذلك حرارة مزاج
القلب لأن الغضب من النار كما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرودة المزاج تطفيه وتكسر سورته وأما
الأسباب الاعتيادية فهو أن يخالط قوما يتبجحون بتشفي الغيظ وطاعة الغضب ويسمون ذلك شجاعة
ورجولية فيقول الواحد منهم أنا الذي لا أصبر على المحال ولا أحتمل من أحد أمرا ومعناه لا عقل لي ولا حلم ثم يذكره
في معرض الفخر بجهله فمن سمعه رسخ في نفسه حسن الغضب وحب التشبه بالقوم فيقوى به الغضب
ومهما اشتد نار الغضب وقوي اضطرامها أعمى صاحبها وأصمه عن كل موعظة فإذا وعظ لم يسمع بل
زاده غضبا وإن استضاء بنور عقله وراجع نفسه لم يقدر إذ ينطفئ نور العقل وينمحي في الحال بدخان
الغضب فإن معدن الفكر الدماغ ويتصاعد عند شدة الغضب من غليان دم القلب دخان إلى الدماغ
مظلم يستولي على معادن الفكر وربما يتعدى إلى معادن الحس فتظلم عينه حتى لا يرى بعينه وتسود
عليه الدنيا بأسرها ويكون دماغه على مثال كهف اضطرمت فيه نار فاسود جوه وحمي مستقره

واستيلاء الدخان جوانبه وكان فيه سراج ضعيف فانطفى وانمحى نوره فلا تثبت فيه قدم ولا يسمع فيه
كلام ولا يرى فيه صورة ولا يقدر على اطفائه لا من داخل ولا من خارج بل ينبغي ان يصبر الى ان يحترق جميع ما
يقبل الاحتراق فكذلك يفعل الغضب بالقلب والدماغ وربما يقوى نار الغضب فتفني الرطوبة التي بها حيوة
القلب فيموت صاحبه غيظا كما يقوى النار في الكهف فينشق وتنهد اعاليه على اسفله وذلك
لابطال النار ما في جوانبه من القوة الممسكة الجامعة لاجزائها فهكذا حال القلب مع الغضب وبالحقيقة
فالسفينة في ملتطم الامواج عند اضطراب الرياح في لجة البحر احسن حالا وارجى سلامة من النفس
المضطربة غيظا اذ في السفينة من يحتال لتسكينها وتدبيرها وينظر لها ويسوسها واما القلب فهو صاحب
السفينة وقد سقطت حيلته اذ اعماه الغضب واصمه ومن آثار هذا الغضب في الظاهر تغير اللون
وشدة الرعدة في الاطراف وخروج الافعال عن الترتيب والنظام واضطراب الحركة والكلام حتى يظهر
الزبد على الاشداق وتحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة ولو رأى الغضبان في حال غضبه
قبح صورته لسكن غضبه حياء من قبح صورته واستحالة خلقته وقبح باطنه اعظم من قبح ظاهره فان
الظاهر عنوان الباطن وانما قبحت صورة الباطن اولا ثم انتشر قبحها الى الظاهر ثانيا فتغير الظاهر ثمرة
تغير الباطن فقس المثمر بالثمرة فهذا اثره في الجسد واما اثره في اللسان فانطلاقه بالشتم والفحش
وقبائح الكلام الذي يستحيي منه ذوو العقول ويستحيي منه قائله عند فتور الغضب وذلك مع تخبط
النظم واضطراب اللفظ واما اثره على الاعضاء فالضرب والتهجم والتمزيق والقتل والجرح عند التمكن
من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فاته بسبب وعجز عن التشفي رجع
الغضب على صاحبه فيمزق ثوب نفسه ويلطم نفسه وقد يعدو عدو الواله السكران والمدهوش المتحير
وربما يسقط سريعا لا يطيق العدو والنهوض لشدة الغضب ويعتريه مثل الغشية وربما يضرب الجمادات
والحيوانات فيضرب القصعة على الارض وقد يكسر المائدة اذا غضب عليها ويتعاطى افعال المجانين
فيشتم البهيمة والحمار ويخاطبه ويقول الى متى هذا منك يا كيت وكيت كأنه يخاطب عاقلا حتى
ربما رفسته دابة فيرفس الدابة ويقابلها به واما اثره في القلب مع المغضوب عليه فالحقد والحسد
واضمار السوء والشماتة بالمساءة والحزن بالسرور والعزم على افشاء السر وهتك الستر والاستهزاء وغير
ذلك من القبائح فهذه ثمرة الغضب المفرط واما ثمرة الحمية الضعيفة فقلة الانفة مما يؤنف منه
من التعرض للحرم والزوجة والامة واحتمال الذل من الاخساء وصغر النفس والقماءة وهو ايضا
مذموم اذ من ثمراته عدم الغيرة على الحرم وهو خنوثة قال صلى الله عليه وسلم ان
سعدا لغيور وانا اغير من سعد والله اغير مني وانما خلقت الغيرة لحفظ الانساب ولو تسامح
القلبه لاختلطت الانساب ولذلك قيل كل امة وضعت الغيرة في رجالها وضعت الصيانة في

نسائها ومن ضعف الغضب الخور والسكوت عند مشاهدة المنكرات وقد قال صلى الله عليه وسلم خير امتي
احداؤها يعني في الدين وقال تعالى ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله بل من فقد الغضب عجز عن رياضة
نفسه اذ لا تتم الرياضة الا بتسليط الغضب على الشهوة حتى يغضب على نفسه عند الميل الى الشهوات
الخسيسة ففقد الغضب مذموم وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث تجب
الحمية وينطفي حيث يحسن الحلم وحفظه على حد الاعتدال هو الاستقامة التي كلف الله بها عباده
وهو الوسط الذي وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال خير الامور اوساطها
فمن مال غضبه الى الفتور حتى احس من نفسه بضعف الغيرة وخسة النفس في احتمال الذل والضيم في
غير محله فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب حتى يقوى غضبه ومن مال غضبه الى الافراط
حتى جره الى التهور واقتحام الفواحش فينبغي ان يعالج نفسه لينقص من سورة الغضب ويقف على
الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب
القرب منه قال الله تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم الآية فليس من عجز عن الاتيان
بالخير كله ان ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب
ودرجاته **بيان ان الغضب هل يمكن ازالة اصله** بالرياضة ام لا اعلم انه ظن ظانون انه يتصور
محو الغضب بالكلية وزعموا ان الرياضة اليه تتوجه واياه تقصد وظن آخرون انه اصل لا يقبل
العلاج وهذا راي من ظن ان الخلق كالخلق وكلاهما لا يقبل التغيير وكلا الرايين ضعيف بل الحق فيه
ما نذكره وهو انه ما بقي الانسان يحب شيئا ويكره شيئا فلا يخلو عن الغيظ والغضب وما دام يوافقه شيء
ويخالفه آخر فلا بد ان يحب ما يوافقه ويكره ما يخالفه والغضب يتبع ذلك فانه مهما اخذ منه محبوبه غضب لا
محالة واذا قصد بمكروه غضب لا محالة الا ان ما يحبه الانسان ينقسم الى ثلاثة اقسام الاول ما هو ضرورة
في حق الكافة وهو القوت والمسكن والملبس وصحة البدن فمن قصد بدنه بالضرب والجرح فلا بد ان يغضب
وكذلك اذا اخذ منه ثوبه الذي يستر عورته وكذلك اذا اخرج من داره التي هي مسكنه او اريق ماؤه الذي
هو لعطشه فهذه ضرورات لا يخلو الانسان من كراهة زوالها ومن غيظ على من يتعرض لها **القسم**
الثاني ما ليس ضروريا لاحد من الخلق كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب فان هذه الامور صارت محبوبة
بالعادة والجهل بمقاصد الامور حتى صار الذهب والفضة محبوبين في انفسهما فيكنزان ويغضب على من
يسرقهما وان كان مستغنيا عنهما في القوت فهذا الجنس مما يتصور ان ينفك الانسان عن اصل الغيظ عليه
فاذا كانت له دار زائدة على مسكنه فهدمها ظالم فيجوز ان لا يغضب اذ يجوز ان يكون
بصيرا بامور الدنيا فيزهد في الزيادة على الحاجة فلا يغضب باخذها فانه لا يحب وجودها ولو احب وجودها
لغضب على الضرورة باخذها واكثر غضب الناس على ما هو غير ضروري كالجاه والصيت والتقدم في

المجالس والمباهاه بالعلم من غلب هذا الجهل عليه فلا محاله يغضب اذا زاحمه مزاحم على الصدر من المحافل
ومن لا يحب ذلك ولا يبالي لو جلس في صف النعال فلا يغضب اذا جلس غيره فوقه وهذه العادات
الرديه هي التي اكثر محاب الانسان ومكارهه فاكثر غضبه وكلما كانت الشهوات والارادات
اكثر كان صاحبها احط رتبه وانقص لان الحاجه صفه نقص مهما كثرت كثر النقص والجاهل ابدا جهده
في ان يزيد في حاجاته وفي شهواته وهو لا يدري انه مستكثر من اسباب الغم والحزن حتى ينتهي بعض الجهال
بالعادات الرديه ومخالطه قرنا السوا الى ان يغضب لو قيل له لا تحسن اللعب بالطيور واللعب بالشطرنج
ولا تقدر على شرب الخمر الكثير وتناول الطعام الكثير وما يجري مجراه من الرذايل فالغضب على هذا
الجنس ليس بضروري لان حبه ليس بضروري القسم الثالث ما يكون ضروريا في حق بعض الناس دون
البعض كالكتاب مثلا للعالم فانه مضطر اليه فيحبه فيغضب على من يحرقه ويغرقه وكذلك ادوات الصناعات
في حق المكتسب الذي لا يمكنه التوصل الى القوت الا به فان ما هو وسيلة الى الضروري والمحبوب يصير ضروريا
ومحبوبا وهذا يختلف بالاشخاص وانما الحب الضروري ما اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من
اصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وله قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا بحذافيرها ومن كان بصيرا بحقايق
الامور وسلم له هذه الثلاث يتصور ان لا يغضب في غيره فهذه ثلثه اقسام فلنذكر غايه الرياضه في كل
واحد منها اما القسم الاول فليست الرياضة فيه لينعدم غيظ القلب ولكن لكي يقدر على ان لا يطيع
الغضب ولا يستعمله في الظاهر الا على حد يستحبه منه الشرع ويستحسنه العقل وذلك ممكن بالمجاهده
وتكلف الحلم والاحتمال مده حتى يصير الحلم والاحتمال خلقا راسخا فاما قمع اصل الغيظ فذلك مقتضى
الطبع وهو غير ممكن نعم يمكن كسر سورته وتضعيفه حتى لا يشتد هيجان الغيظ في الباطن وينتهي ضعفه
الى ان لا يظهر اثره في الوجه ولكن ذلك شديد جدا وهذا حكم القسم الثالث ايضا لان ما صار ضروريا
في حق شخص فلا يمنعه من الغيظ استغناء غيره عنه فالرياضه فيه تمنع العمل به وتضعف هيجانه
في الباطن حتى لا يشتد التالم بالصبر عليه واما القسم الثاني فيمكن التوصل بالرياضه الى الانفكاك
عن الغضب عليه اذ يمكن اخراج حبه من القلب وذلك بان يعلم الانسان ان وطنه القبر ومستقره الاخره
وان الدنيا معبر يعبر عليها ويتزود منها قدر الضروره وما وراء ذلك عليه وبال في وطنه ومستقره
فيزهد في الدنيا ويمحو حبها عن القلب ولو كان للانسان كلب لا يحبه لم يغضب اذا ضربه غيره فالغضب
تبع الحب والرياضه في هذا قد تنتهي الى قمع اصل الغضب وهو نادر جدا وقد ينتهي الى المنع من استعمال
الغضب والعمل بموجبه وهو اهون فان قلت الضروري من القسم الاول التالم بفوت المحتاج اليه دون
الغضب فمن له شاه مثلا وهي قوته فماتت لا يغضب على احد وان كان يحصل فيه كراهه وليس من
ضروره كل كراهه غضب فالانسان يتالم بالفصد والحجامه ولا يغضب على الفصاد والحجام فمن غلب عليه

التوحيد حتى يرى الاشيا كلها من الله تعالى فلا يغضب على احد من خلقه اذ يراهم مسخرين في قبضه قدرته
كالقلم في يد الكاتب ومن وقع الملك بحز رقبته لم يغضب على القلم فلا يغضب على من يذبح شاته التي
هي قوته كما لا يغضب على موتها اذ يرى الموت والذبح من الله فيندفع الغضب بغلبه التوحيد ويندفع
ايضا بحسن الظن بالله تعالى وهو ان يرى ان الكل من الله تعالى وان الله لا يقدر له الا ما فيه الخيره وربما تكون
الخيره في جوعه ومرضه وجرحه وقتله فلا يغضب كما لا يغضب على الفصاد لانه يرى الخيره فيه فنقول
هذا على هذا الوجه غير محال لكن غلبه التوحيد الى هذا الحد انما يكون كالبرق الخاطف يغلب في
احوال مختطفه ولا يدوم ويرجع القلب الى الالتفات الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو
تصور ذلك على الدوام لبشر لتصور لرسول الله صلى الله عليه وسلم فانه كان يغضب حتى تحمر وجنتاه حتى
قال اللهم انا بشر اغضب كما يغضب البشر فايما مسلم سببته او لعنته او ضربته فاجعلها مني صلوة عليه وزكوة
وقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا رسول الله اكتب عنك كل ما قلت في الغضب والرضا فقال
اكتبه فو الذي بعثني بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه فلم يقل اني لا اغضب ولكن قال ان الغضب
لا يخرجني عن الحق اي لا اعمل بموجب الغضب وغضبت عايشه مره فقال صلى الله عليه وسلم ما لك جاءك
شيطانك فقالت وما لك شيطان قال بلى ولكن دعوت الله فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بخير فلم يقل
لا شيطان لي واراد شيطان الغضب لكن قال لا يحملني على الشر وقال علي رضي الله عنه كان
صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شي حتى ينتصر له فكان
يغضب على الحق وان كان غضبه لله فهو التفات الى الوسايط على الجمله بل كل من غضب على من ياخذ ضروره
قوته وحاجته التي لا بد له في دينه فانما يغضب لله تعالى فلا يمكن الانفكاك عنه نعم قد يفقد اصل
الغيظ فيما هو ضروري اذا كان القلب مشغولا بضروري اهم منه فلا يكون في القلب متسع للغضب لاشتغاله
بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداه وهذا كما ان سلمان لما شتم فقال ان
خفت موازيني فانا شر مما تقول وان ثقلت موازيني لم يضرني ما تقول فقد كان همه مصروفا الى الاخره
فلم يتالم قلبه بالشتم وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا قد سمع الله كلامك وان دون الجنه عقبه
ان قطعتها لم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وسب رجل ابا بكر رضي الله عنه فقال ما ستر الله
عنك اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه عن ان يتقي الله حق تقاته ويعرفه حق معرفته فلم
يغضبه نسبه غيره اياه الى نقصان اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان وذلك لجلالة قدره رضي الله
عنه وقالت امراه لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه كان مشغولا
بان ينفي عن نفسه افه الريا ومنكرا على نفسه ما يلقيه الشيطان اليه فلم يغضب لما نسب اليه وسب رجل
الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك فهذه الاقوال داله في الظاهر على انهم لم

يغضبوا لاشتغال قلوبهم بمهمات دينهم ويحتمل ان يكون قد اثر في قلوبهم ولكنهم لم يشتغلوا به واشتغلوا بما كان هو الاغلب على قلوبهم فان اشتغال القلب ببعض المهمات لا يبعد ان يمنع هيجان الغضب عند فوات بعض المحاب فان يتصور فقد الغيظ اما باشتغال القلب بمهم او بغلبة نظر التوحيد او بسبب ثالث وهو ان يعلم ان الله يحب منه ان لا يغتاظ فيطفى شدة حبه لله تعالى غيظه وذلك غير محال في احوال نادرة وقد عرفت بهذا ان طريق الخلاص من نار الغضب محو حب الدنيا عن القلب وذلك بمعرفة افات الدنيا وغوائلها كما سياتي في كتاب ذم الدنيا ومن اخرج حب الدنيا عن القلب تخلص من اكثر اسباب الغضب وما لا يمكن محوه فيمكن كسره وتضعيفه فيضعف الغضب بسببه ويهون دفعه **بيان الاسباب المهيجة للغضب** قد عرفت ان علاج كل علة حسم مادتها وازالة اسبابها فلابد من معرفة اسبابها وقد قال يحيى لعيسى عليهما السلام اي شيء اشد قال غضب الله تعالى قال فما يقرب من غضب الله تعالى قال ان تغضب قال فما يبدي الغضب وما ينبته قال عيسى عليه السلام الكبر والفخر والتعزز والحمية والاسباب المهيجة للغضب هي الزهو والعجب والمزح والهزل والتعزز والتعيير والمماراة والمضادة والغدر وشدة الحرص على فضول المال والجاه وهي باجمعها اخلاق رديه مذمومة شرعا ولا خلاص عن الغضب مع بقاء هذه الاسباب فلابد من ازالة هذه الاسباب باضدادها فينبغي ان تميت الزهو بالتواضع وتميت العجب بالمعرفة بنفسك كما سياتي في كتاب العجب والكبر وتزيل الفخر بانك من جنس عبدك اذ الناس يجمعهم اب واحد في الانتساب وانما اختلفوا بالفضل اشتاتا فبنو ادم جنس واحد وانما الفخر بالفضائل والفخر والعجب اكبر الرذائل وهي راسها واصلها فاذا لم تخل عنها فلا فضل لك على غيرك فلم تفتخر وانت من جنس عبدك من حيث البنية والنسب والاعضاء الظاهرة والباطنة **واما** المزح فتزيله بالتشاغل بالمهمات الدينية التي تستوعب العمر وتفضل عنه اذا عرفته **واما** الهزل فتزيله بالجد في طلب الفضائل والاخلاق الحسنة والعلوم الدينية التي تبلغك سعادة الاخرة واما الهزء فتزيله بالتكرم عن ايذاء الناس وبصيانة النفس عن ان يستهزا بك **واما** التعيير فبالحذر عن القول القبيح وصيانة النفس عن مر الجواب **واما** شدة الحرص على مزايا العيش فتزول بالقناعة بقدر الضرورة طلبا لعز الاستغناء وترفعا عن ذل الحاجة وكل خلق من هذه الاخلاق وصفة من هذه الصفات يفتقر في علاجها الى رياضة وتحمل مشقة وحاصل رياضتها يرجع الى معرفة غوائلها لترغب النفس عنها وتنفر عن قبحها ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعادة مالوفة هينة على النفس فاذا انمحت عن النفس فقد زكت وتطهرت عن هذه الرذائل وتخلصت عن الغضب الذي يتولد منها ومن اشد البواعث للغضب عند اكثر الجهال تسميتهم الغضب شجاعة ورجولية وعزة نفس وكبر همة وتلقيبه بالالقاب المحمودة غباوة وجهلا حتى تميل النفس

اليه وتستحسنه وقد يتاكد ذلك بحكاية شدة الغضب من الاكابر في معرض المدح بالشجاعة والنفوس مائلة الى التشبه بالاكابر فيهيج الغضب الى القلب بسببه وتسميته هذا عزة نفس وشجاعة جهل بل هو مرض قلب ونقصان عقل وهو لضعف النفس ونقصانها واية ذلك انه لضعف النفس ان المريض اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الرجل والشيخ الضعيف اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل القبيحة اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذل يغضب لشهوته اذا فاتته اللقمة ولبخله اذا فاتته الحبة حتى يغضب على اهله وولده واصحابه بل القوي من يملك نفسه عند الغضب كما قال صلى الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب بل ينبغي ان يعالج هذا الجاهل بان يتلى عليه حكايات اهل الحلم والعفو وما استحسن منهم من كظم الغيظ فان ذلك منقول عن الانبياء والحكماء والعلماء واكابر الملوك الفضلاء وضد ذلك منقول عن الاتراك والاكراد والجهلة والاغبياء الذين لا عقل لهم ولا فضل **بيان علاج الغضب بعد هيجانه** هو ما ذكرناه حسم لمواد الغضب وقطع لاسبابه حتى لا يهيج فاذا جرى سبب هيجه فعنده يجب التثبت حتى لا يضطر صاحبه الى العمل به على الوجه المذموم وانما يعالج الغضب عند هيجانه بمعجون العلم والعمل اما العلم فهو جملة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي سنوردها في فضل كظم الغيظ والعفو والحلم والاحتمال ويرغب في ثوابه فتمنعه شدة الحرص على ثواب كظم الغيظ عن التشفي والانتقام وينطفي غضبه قال مالك بن اوس بن الحدثان غضب عمر رضي الله عنه على رجل وامر بضربه فقلت يا امير المؤمنين خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فكان عمر يقول خذ العفو وامر بالعرف فكان يتامل الاية وكان وقافا عند كتاب الله تعالى مهما تلي عليه كثير التدبر فيه فتدبر فيه وخلى الرجل وامر عمر بن عبد العزيز بضرب رجل ثم قرا قوله تعالى والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فقال للغلام خل عنه **الثاني** ان يخوف نفسه بعقاب الله وهو ان يقول قدرة الله تعالى علي اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم آمن ان يمضي الله غضبه علي يوم القيامة احوج ما اكون الى العفو وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن ادم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصيفا الى حاجة فابطا عليه فلما جاء قال لولا القصاص لاوجعتك اي القصاص في القيامة قيل وما كان في بني اسرائيل ملك الا وكان معه حكيم اذا غضب اعطاه صحيفة فيها ارحم المسكين واخش الموت واذكر الاخرة فكان يقرؤها حتى يسكن غضبه **الثالث** ان يحذر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمر العدو لمقابلته والسعي في هدم اغراضه والشماتة بمصائبه وهو لا يخلو عن المصائب فيخوف نفسه بعواقب الغضب في الدنيا ان كان لا يخاف من الاخرة وهذا يرجع الى تسليط شهوة على غضب وليس هذا من اعمال الاخرة ولا ثواب عليه لانه متردد على حظوظه العاجلة يقدم بعضها على بعض الا ان يكون يحذر ان يتشوش عليه

في الدنيا فراغه للعلم والعمل وما يعينه على الاخره فيكون همنا باعليه **الرابع** ان يتفكر في قبح صورته
عند غضبه بان يتذكر صوره غيره في حاله الغضب ويتفكر في قبح الغضب في نفسه ومشابهه صاحبه
للكلب الضاري والسبع العادي ومشابهه الحليم الهادي التارك للغضب للانبيا والحكما والعلما ويخير
نفسه بين ان يتشبه بالكلاب والسباع واراذل الناس وبين ان يتشبه بالانبيا والعلما في عادتهم لتميل الى
حب الاقتدا بهولآ ان كان قد بقي معه مسكه من عقل **الخامس** ان يتفكر في السبب الذي يدعو الى الانتقام
ويمنعه من كظم الغيظ ولابد ان يكون له سبب مثل قول الشيطان له ان هذا يحمل منك على العجز وصغر النفس
والذله والمهانة وتصير حقيرا في اعين الناس فليقل لنفسه ما اعجبك تانفين من الاحتمال الآن ولا تانفين
من خزي يوم القيمه والافتضاح اذا اخذ بيدك وانتقم منك وتحذرين من ان تصغري في اعين الناس ولا
تحذرين من ان تصغري عند الله وعند الملايكه والنبيين فمهما كظم الغيظ فينبغي ان يكظمه لله وذلك
يعظمه عند الله فماله وللناس وذل من ظلمه يوم القيمه اشد من ذله لو انتقم افلا يحب ان يكون هو القايم
اذا نودي يوم القيمه ليقم من اجره على الله فلا يقوم الا من عفى فهذا وامثاله من معارف الايمان ينبغي ان يقرره
على قلبه **السادس** ان يعلم ان غضبه من تعجبه من جريان الشي على وفق مراد الله عز وجل لا على
وفق مراده فكيف يقول مرادي اولى من مراد الله تعالى ويوشك ان يكون غضب الله عليه اعظم من غضبه
واما العمل فان تقول بلسانك اعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا امر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان يقال عند الغضب وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت عايشة اخذ بانفها وقال يا عويش
قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن فيستحب ان يقول ذلك فان
لم يزل بذلك فاجلس ان كنت قايما واضطجع ان كنت جالسا واقرب من الارض التي منها خلقت لتعرف بذلك
ذل نفسك واطلب بالجلوس والاضطجاع السكون فان سبب الغضب الحراره وسبب الحراره الحركه وقد
قال صلى الله عليه وسلم ان الغضب جمره توقد في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمره عينيه فاذا وجد
احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس وان كان جالسا فليضطجع فان لم يزل ذلك فليتوضا بالما البارد
واغتسل فان النار لا يطفيها الا الما وقال صلى الله عليه وسلم اذا غضب احدكم فليتوضا
بالما فانما الغضب من النار وفي روايه ان الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفي النار
بالما فاذا غضب احدكم فليتوضا بالما وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضبت فاسكت
اذا غضبت فاسكت وقال ابو هريره كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب وهو قايم جلس واذا
غضب وهو قاعد اضطجع فيذهب غضبه وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم الا ان الغضب
جمره في قلب ابن ادم الا ترون الى حمره عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيا فليلصق خده
بالارض وكان هذا اشاره الى السجود وتمكين اعز الاعضا من اذل المواضع وهو التراب لتستشعر به

النفس الذل وتزايل به العزه والزهو الذي هو سبب الغضب وروي ان عمر رضي الله عنه غضب يوما
فدعا بما فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب وقال عروة بن محمد لما استعملت
على اليمن قال لي ابي اوليت قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السما فوقك والى الارض
تحتك ثم عظم خالقهما وروي ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمرا في خصومه بينهما فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يا ابا ذر بلغني انك اليوم عيرت رجلا بامه فقال بلى فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبقه الرجل
فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل
من احمر فيها ولا اسود الا ان تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قايما فاقعد وان كنت
قاعدا فاتكي وان كنت متكيا فاضطجع قال المعتمر بن سليمن قال كان رجل ممن كان قبلكم يغضب فيشتد
غضبه فكتب ثلاث صحايف فاعطا كل صحيفة رجلا وقال للاول اذا غضبت فاعطني هذه وقال للثاني اذا سكن
بعض غضبي فاعطني هذه وقال للثالث اذا ذهب غضبي فاعطني هذه فاشتد غضبه يوما فاعطي الصحيفه
الاولى فاذا فيها ما انت وهذا الغضب انك لست باله انما انت بشر اوشك ان ياكل بعضك بعضا
فسكن بعض غضبه واعطي الثانيه فاذا فيها ارحم من في الارض يرحمك من في السما فاعطي الثالثه
فاذا فيها خذ الناس بحق الله فانه لا يصلحهم الا ذلك اي لا تعطل الحدود وغضب المهدي على رجل فقال شبيب
لا تغضبن لله باشد من غضبه لنفسه فقال خلوا سبيله **فضيله كظم** الغيظ قال الله تعالى والكاظمين
الغيظ ذكر ذلك في معرض المدح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كف غيظه كف الله عنه عذابه ومن اعتذر
الى ربه قبل الله عذره ومن خزن لسانه ستر الله عورته وقال صلى الله عليه وسلم من كظم
غيظا ولو شا ان يمضيه امضاه ملا الله قلبه يوم القيمه رضا وفي روايه ملا الله قلبه امنا وايمانا
وقال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جرع عبد جرعه اعظم اجرا من جرعه غيظ كظمها ابتغا
وجه الله تعالى وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لجهنم بابا لا يدخله الا من
شفى غيظا بمعصيه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من جرعه احب الى الله من جرعه غيظ يكظمها عبد
وما كظمها الا ملا الله جوفه ايمانا وقال صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على ان ينفذه دعاه الله على
روس الخلايق ليخيره في اي الحور شا **الاثار** قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اتقى الله لم يشف
غيظه ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ولولا يوم القيمه لكان غير ما ترون وقال لقمن لابنه يا بني لا يذهب
ما وجهك بالمسله ولا تشف غيظك بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ايوب حلم
ساعه يدفع شرا كثيرا واجتمع سفين الثوري وابو خزيمه اليربوعي والفضيل بن عياض فتذاكروا
الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند المطامع وقال رجل لعمر رضي الله عنه
والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال له رجل يا امير المومنين

الم تسمع قول الله عز وجل خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين فهذا من الجاهلين فقال عمر صدقت
فكانما كانت نارا فاطفئت وقال محمد بن كعب ثلث من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه
في الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له وجا رجل الى سلمان
فقال يا عبد الله اوصني قال لا تغضب قال لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك
ويدك **فضيلة الحلم** اعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا
يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج غيظه ويحتاج الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك مدة صار ذلك
اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلا
وانكسار قوة الغضب وخضوعها للعقل ولكن ابتداوه التحلم وكظم الغيظ تكلفا قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه اشار بهذا الى ان اكتساب
الحلم طريقه التحلم اولا وتكلفه كما ان اكتساب العلم طريقه التعلم وقال ابو هريرة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ولمن تتعلمون منه
ولا تكونوا من جبابرة العلما فيغلب جهلكم علمكم اشار بهذا الى ان التجبر والكبر هو الذي يهيج الغضب ويمنع
من الحلم واللين وكان من دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم وزيني بالحلم وكرمني بالتقوى
وجملني بالعافية وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسول الله
قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم عمن جهل عليك وقال صلى الله عليه وسلم خمس من سنن المرسلين
الحيا والحلم والحجامة والسواك والتعطر وقال علي قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الرجل
المسلم ليدرك بالحلم درجة الصايم القايم وانه ليكتب جبارا وما يملك الا اهل بيته وقال ابو هريرة ان رجلا
قال يا رسول الله ان لي قرابة اصلهم ويقطعوني واحسن اليهم ويسيئون الي ويجهلون علي
واحلم عنهم قال لئن كان كما تقول فكانما تسفهم المل ولا يزال معك من الله ظهير ما دمت على ذلك الحال معناه
وقال رجل من المسلمين اللهم ليس عندي صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضي شيا فهو عليه صدقة فاوحى
الله تعالى الى النبي صلى الله عليه وسلم اني قد غفرت له وقال صلى الله عليه وسلم ايعجز احدكم ان يكون كابي ضمضم
قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم اذا اصبح يقول اللهم اني تصدقت اليوم بعرضي على عبادك وقيل في
قوله تعالى ربانيين اي علما حلما وعن الحسن في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلما
ان جهل عليهم لم يجهلوا وقال عطا بن ابي رباح يمشون على الارض هونا اي حلما قال ابن حبيب في قوله تعالى
وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا صفحوا وروي ان ابن مسعود
مر بلغو معرضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا ابرهيم بن ميسرة
وهو الراوي قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم لا يدركني ولا ادركه

زمان لا يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب وقال صلى الله
عليه وسلم ليليني منكم اولوا الاحلام والنهى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ولا تختلفوا فتختلف قلوبكم واياكم
وهيشات الاسواق وروي انه وفد الى النبي صلى الله عليه وسلم الاشج فاناخ راحلته ثم عقلها ثم طرح عنه
ثوبين كانا عليه واخرج من العيبة ثوبين حسنين فلبسهما وذلك بعين رسول الله صلى الله عليه وسلم ما
يصنع ثم اقبل يمشي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم يا اشج ان فيك
خلقين يحبهما الله ورسوله قال ما هما بابي انت وامي يا رسول الله قال الحلم والاناة فقال خلقان تخلقتهما
او خلقان جبلت عليهما فقال بل خلقان جبلك الله عليهما فقال الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله ورسوله
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الحليم الحيي الغني المتعفف ويبغض
الفاحش البذي السايل الملحف وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث من لم يكن فيه واحدة
منهن فلا تعتدن بشي من عمله تقوى تحجزه عن معاصي الله وحلم يكف به السفيه وخلق يعيش به في الناس
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الخلايق يوم القيمة نادى مناد اين اهل الفضل فيقوم ناس يسير
فينطلقون سراعا الى الجنة فتتلقاهم الملايكة فيقولون انا نراكم سراعا الى الجنة فيقولون نحن اهل الفضل
فيقولون ما كان فضلكم فيقولون كنا اذا ظلمنا صبرنا واذا اسي الينا غفرنا واذا جهل علينا حلمنا فيقال لهم
ادخلوا الجنة فنعم اجر العاملين **الاثار** قال عمر رضي الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم
وقال علي رضي الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم حلمك وان لا تباهي الناس
بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات استغفرت الله وقال الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالوقار والحلم
وقال اكثم بن صيفي دعامة العقل الحلم وجماع الامر الصبر وقال ابو الدردا ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا
شوكا لا ورق فيه ان نقدتهم نقدوك وان تركتهم لم يتركوك قالوا كيف نصنع قال تقرضهم من عرضك
ليوم فقرك وقال علي رضي الله عنه ان اول عوض الحليم من حلمه ان الناس كلهم اعوانه على الجاهل وقال
معوية لا يبلغ الرجل مبلغ الراي حتى يغلب حلمه جهله وصبره شهوته ولا يبلغ ذلك الا بقوة العلم وقال
معوية لعمرو بن الاهتم اي الرجال اشجع قال من رد جهله بحلمه قال اي الرجال اسخى قال من بذل دنياه
لصلاح دينه وقال انس بن مالك في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم الى قوله تعالى
عظيم هو الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فغفر الله لك وان كنت صادقا فغفر الله لي وعن بعضهم قال
شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عني فاستعبدني بها زمانا وسب رجل ابن عباس رضي الله عنه فلما فرغ قال
يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحيا وقال رجل لعمر بن عبد العزيز اشهد انك
من الفاسقين قال ليس تقبل شهادتك وعن علي بن الحسين بن علي انه سبه رجل فرمى اليه بخميصة كانت
عليه وامر له بالف درهم فقال بعضهم جمع فيه خمس خصال الحلم واسقاط الاذى وتخليص الرجل مما يبعده

من الله تعالى وحمله على الندم والتوبة ورجوعه الى المدح بعد الذم اشترى ذلك بشيء من الدنيا يسير وقال
معويه لعرابة بن اوس بم سدت قومك يا عرابة فقال يا امير المومنين كنت احلم عن جاهلهم واعطي سائلهم
واسعى في حوائجهم فمن فعل فعلي فهو مثلي ومن جاوزني فهو افضل مني ومن قصر عني فانا خير منه وقال رجل
لجعفر بن محمد انه قد وقع بيني وبين قوم منازعة في امر واني اريد ان اتركه فيقال لي ان تركك له ذل فقال جعفر
انما الذليل الظالم وقال الخليل بن احمد كان يقال من اساءك فاحسن اليه تجعل له حاجزا
من قلبه يردعه عن مثل اساءته وقال الاحنف بن قيس لست بحليم ولكني اتحلم وقال
وهب بن منبه من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يجهل يغلب ومن يعجل يخطي ومن يحرص على الشر لا يسلم
ومن لا يدع المرا يشتم ومن لا يكره الشر ياثم ومن يكره الشر يعصم ومن يتبع وصية الله يحفظ ومن يحذر الله
يامن ومن يتول الله يمنع ومن لا يسال الله يفتقر ومن لا يكن مع الله يخذل ومن يستعن بالله يظفر وقال
رجل لمالك بن دينار بلغني انك ذكرتني بسوء قال انت اذا اكرم علي من نفسي اني اذا فعلت ذلك اهديت اليك
حسناتي وقال بعض العلما الحلم ارفع من العقل لان الله عز وجل تسمى به وقال رجل لبعض الحكما والله لاسبنك
سبا يدخل معك قبرك قال معك يدخل لا معي ومر المسيح بن مريم صلى الله عليه وسلم بقوم من اليهود فقالوا له
شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون شرا وانت تقول خيرا فقال كل ينفق مما عنده وقال لقمن لابنه لا يعرف
ثلثة الا عند ثلث لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع الا عند الحرب ولا اخاك الا عند حاجتك اليه ودخل
على بعض الحكما صديق له فقدم الطعام فخرجت امراة الحكيم وهي سيئة الخلق فرفعت المائدة واقبلت على شتم
الحكيم فخرج الصديق مغضبا فتبعه الحكيم وقال اتذكر يوما كنا في منزلك فسقطت دجاجة على المائدة فافسدت
ما عليها فلم يغضب احد منا فقال نعم قال فاحسب ان هذه مثل تلك الدجاجة فسري عن
الرجل وانصرف وقال صدق الحكيم الحلم شفاء من كل الم وضرب رجل قدم حكيم فاوجعه فلم يغضب فقيل له في ذلك فقال
اقمته مقام حجارة عثرت بها فذبحت الغضب وقال محمود الوراق :. سالزم نفسي الصفح عن كل مذنب وان كثرت منه علي الجرائم
وما الناس الا واحد من ثلثة شريف ومشروف ومثل مقاوم :. فاما الذي فوقي فاعرف قدره واتبع فيه الحق والحق لازم
واما الذي دوني فان قال صنت عن اجابته عرضي وان لام لايم :. واما الذي مثلي فان زل او هفا تفضلت ان الفضل بالحلم حاكم

بيان القدر الذي يجوز الانتصار والتشفي به من الكلام

اعلم ان كل ظلم صدر من شخص فلا يجوز
مقابلته بمثله فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة ولا مقابلة التجسس بالتجسس ولا مقابلة السب بالسب
وكذلك سائر المعاصي وانما القصاص والغرامة على ما ورد في الشرع وفصلناه في الفقه واما السب فلا
يقابل بمثله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امرو عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه وقال المستبان شيطانان
يتهاتران وشتم رجل ابا بكر وهو ساكت فلما ابتدا ينتصر منه قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابو بكر انك
كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت قمت قال لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجا الشيطان

فلم اكن لاجلس في مجلس فيه الشيطان وقال قوم تجوز المقابلة بما لا كذب فيه ونهيه صلى الله عليه وسلم
عن التعيير بمثله نهي تنزيه والافضل تركه ولكنه لا يعصي والذي يرخص فيه ان يقول من انت وهل انت الا
من بني فلان كما قال سعد لابن مسعود رضي الله عنهما وهل انت الا من بني هذيل فقال ابن مسعود وهل انت
الا ابن امية ومثل قوله يا احمق قال مطرف كل الناس احمق فيما بينه وبين ربه الا ان بعض الناس اقل حماقة
من بعض وقال ابن عمر في حديث طويل حتى ترى الناس كلهم حمقى في ذات الله وكذلك
قوله يا جاهل اذ ما من احد الا وفيه جهل فقد اذاه بما ليس بكذب وكذلك قوله يا سيء الخلق يا صفيق الوجه
يا ثلاب الاعراض وكان ذلك فيه وكذلك قوله لو كان فيك حيا ما تكلمت وما احقرك في عيني بما فعلت
واخزاك الله وانتقم منك فاما النميمة والغيبة والكذب وسب الوالدين فحرام بالاتفاق لما روي انه كان
بين خالد بن الوليد وسعد كلام فذكر رجل خالد بن الوليد عند سعد فقال سعد انما بيننا لم يبلغ ديننا يعني
ان ياثم بعضنا في بعض فلم يسمع السوء فكيف يجوز ان يقوله والدليل على جواز ما ليس بكذب ولا حرام كالنسبة
الى الزنا والسب والفحش ما روت عايشة ان ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ارسلن فاطمة فجات فقالت يا رسول الله
ارسلني ازواجك يسالنك العدل في ابنة ابي قحافة والنبي صلى الله عليه وسلم نايم فقال النبي يا بنية اتحبين
ما احب قالت نعم قال فاحبي هذه فرجعت اليهن فاخبرتهن بذلك فقلن ما اغنيت عنا شيا فارسلن زينب بنت
جحش قالت وهي التي تساميني في الحب فجات فقالت بنت ابي بكر فما زالت تذكرني وانا ساكتة انتظر كانت
ان ياذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذن لي فسببتها حتى جف لساني فقال النبي صلى الله عليه وسلم كلا
انها ابنة ابي بكر يعني انك لا تقاومينها في الكلام وقولها سببتها ليس المراد به الفحش بل هو جواب عن كلامها
بالحق ومقابلتها بالصدق وقال النبي صلى الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي حتى يعتدي المظلوم فاثبت
للمظلوم انتصارا الى ان يعتدي فهذا القدر هو الذي اباحه هولا وهو رخصة في الايذا جزا على ايذايه السابق
ولا يبعد الرخصة في هذا القدر ولكن الافضل تركه فانه يجره الى ما وراه ولا يمكن الاقتصار على مقدار
الحق فيه والسكوت عن اصل الجواب لعله ايسر من الشروع في الجواب والوقوف على حد الشرع فيه ولكن
من الناس من لا يقدر على ضبط نفسه في فورة الغضب ولكن يعود سريعا ومنهم من يكف في الابتدا ولكن
يحقد على الدوام والناس في الغضب اربعة فبعضهم كالحلفا سريع الوقود سريع الخمود وبعضهم كالغضا
بطي الوقود بطي الخمود وبعضهم بطي الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته الى فتور الحمية والغيرة
وبعضهم سريع الوقود بطي الخمود وهذا هو شرهم وفي الخبر المومن سريع الغضب سريع الرضا فهذه بتلك
وقال الشافعي من استغضب فلم يغضب فهو حمار ومن استرضي فلم يرض فهو شيطان
وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني ادم خلقوا على طبقات شتى فمنهم بطي
الغضب سريع الفي ومنهم سريع الغضب سريع الفي فتلك بتلك ومنهم سريع الغضب بطي الفي الا

وان خيرهم البطي الغضب السريع الفي وشرهم السريع الغضب البطي الفي ولما كان الغضب في الحال يهيج ويوثر
في كل انسان وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه عليه لانه ربما يتعدى الواجب
ولانه يكون متشفيا غيظه ومريحا نفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون انتقامه
وانتصاره لله تعالى لا لنفسه راى عمر رضي الله عنه سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران
فرجع عمر فقيل له يا امير المومنين لما شتمك تركته قال لانه اغضبني ولو عزرته لكان ذلك لغضبي
لنفسي فلم احب ان اضرب مسلما حمية لنفسي وقال عمر بن عبد العزيز لرجل اغضبه لولا انك اغضبتني
لعاقبتك **القول في معنى الحقد ونتايجه** وفضيلة العفو والرفق **اعلم** ان الغضب
اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الى الباطن واحتقن فيه فصار حقدا ومعنى الحقد ان
يلزم قلبه استثقاله والبغضة له والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقى وقد قال صلى الله عليه وسلم المومن ليس بحقود
فالحقد ثمرة الغضب والحقد يثمر ثمانية امور الاول الحسد وهو ان يحملك الحقد على ان تتمنى زوال النعمة
عنه فتغتم بنعمة ان اصابها وتسر بمصيبة ان نزلت به وهذا من فعل المنافقين اعني الحسد وسياتي ذمه
الثاني ان تزيد على اضمار الحسد في الباطن فتشمت بما يصيبه من البلا الثالث ان تهجره وتصارمه وتنقطع
عنه وان طلبك واقبل عليك **الرابع** وهو دونه ان تعرض عنه استصغارا له **الخامس** ان تتكلم فيه
بما لا يحل من كذب وغيبة وافشا سر وهتك ستر وغيره السادس ان تحاكيه استهزا به وسخرية منه
السابع ايذاوه بالضرب وما يولم بدنه الثامن ان تمنعه حقه من صلة رحم او رد مظلمة وكل ذلك حرام
واقل درجات الحقد ان تحترز من الافات الثمانية المذكورة ولا تخرج بسبب الحقد الى ما تعصي الله تعالى
به ولكن تستثقله بالباطن ولا تنهى قلبك عن بغضه حتى تمتنع عما كنت تتطوع به من البشاشة والرفق
والعناية والقيام بحاجته والمجالسة معه على ذكر الله تعالى والمعاونة على المنفعة له او بترك
الدعا له والثنا عليه والتحريض على بره ومواساته فهذا كله مما ينقص درجتك في الدين ويحول بينك
وبين فضل عظيم وثواب جزيل وان كان لا يعرضك لعقاب ولما حلف ابو بكر رضي الله عنه ان لا ينفق على
مسطح وكان قريبه ولكن تكلم في واقعة الافك نزل قوله تعالى ولا ياتل اولوا الفضل منكم الى قوله الا تحبون
ان يغفر الله لكم فقال ابو بكر نعم نحب ذلك وعاد الى الانفاق عليه والاولى ان يبقى على ما كان فان امكنه
ان يزيد في الاحسان مجاهدة للنفس وارغاما للشيطان فذلك مقام الصديقين وهو من فضايل
اعمال المقربين فللحقود ثلثه احوال عند القدرة احدها ان يستوفي حقه الذي يستحقه من غير
زيادة ونقصان وهو العدل والثاني ان تحسن اليه بالعفو والصلة وذلك هو الفضل والثالث
ان تظلمه بما لا يستحقه وذلك هو الجور وهو اختيار الاراذل والثاني هو اختيار الصديقين
والاول هو منتهى درجة الصالحين ولنذكر الان فضيلة العفو والاحسان **فضيلة** العفو اعلم ان العفو

ان تستحق حقا فتسقطه وتبرا عنه من قصاص او غرامه وهو غير الحلم وكظم الغيظ فلذلك افردناه وقد
قال تعالى خذ العفو الايه وقال تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثلث والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن ما نقصت صدقة من مال فتصدقوا ولا عفى رجل عن
مظلمة يبتغي بها وجه الله الا زاده الله بها عزا يوم القيمه ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله عليه باب فقر
وقال صلى الله عليه وسلم التواضع لا يزيد العبد الا رفعه فتواضعوا يرفعكم الله والعفو لا يزيد
العبد الا عزا فاعفوا يعزكم الله والصدقة لا تزيد المال الا كثرة فتصدقوا يرحمكم الله وقالت عايشه
رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا قط من مظلمة ظلمها قط ما لم ينتهك من محارم الله
تعالى فاذا انتهك من محارم الله شي كان اشدهم في ذلك غضبا وما خير بين امرين الا اختار ايسرهما ما لم
يكن ماثما وقال عقبه بن عامر لقيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فبدرته فاخذت بيده او بدرني
فاخذ بيدي فقال يا عقبه الا اخبرك بافضل اخلاق الدنيا والاخره تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو
عمن ظلمك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال موسى عليه السلام يا رب اي عبادك اعز عليك قال
الذي اذا قدر عفى ولذلك سيل ابو الدردا عن اعز الناس قال الذي يعفو اذا قدر فاعفوا يعزكم الله وجا
رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكو مظلمه فامره النبي صلى الله عليه وسلم ان يجلس واراد ان ياخذ
له بمظلمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان المظلومين هم المفلحون يوم القيمه فابى
ان ياخذها حين سمع الحديث وقالت عايشه رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا على من
ظلمه فقد انتصر وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا بعث الله الخلايق يوم القيمه نادى مناد من تحت
العرش ثلثه اصوات يا معشر الموحدين ان الله قد عفى عنكم فليعف بعضكم عن بعض وعن ابي هريره
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكه طاف بالبيت وصلى ركعتين ثم اتى الكعبه فاخذ بعضادتي الباب
فقال ما تقولون وما تظنون قالوا نقول اخ وابن عم حليم رحيم قالوا ذلك ثلثا فقال
النبي صلى الله عليه وسلم اقول كما قال يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين
قال فخرجوا كانما نشروا من القبور فدخلوا في الاسلام وعن سهيل بن عمرو قال لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم مكه وضع يده على بابي الكعبه والناس حوله فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له
صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ثم قال يا معشر قريش ما تقولون وما تظنون قال قلت يا رسول الله
نقول خيرا ونظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي
يوسف لا تثريب عليكم اليوم وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وقف العباد نادى مناد
ليقم من اجره على الله فليدخل الجنه قيل من ذا الذي اجره على الله قال العافون عن الناس فقام كذا وكذا
الفا يدخلونها بغير حساب وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينبغي لوال امر ان يوتي

بحد الا اقامه والله عفو يحب العفو ثم قرا فليعفوا وليصفحوا الايه وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ثلث من جا بهن مع ايمان دخل من اى ابواب الجنه شا وزوج من حور العين حيث شا من ادى دينا
خفيا وقرا في دبر كل صلوه قل هو الله احد عشر مرات وعفى عن قاتله فقال ابو بكر او احدهن
يا رسول الله قال او احدهن **الاثار** قال ابرهيم التيمي ان الرجل ليظلمني فارحمه وهذا احسان وراء العفو
لانه يشتغل قلبه بتعرضه لمعصية الله تعالى بالظلم وانه يطالب يوم القيمه به فلا يكون له جواب وقال
بعضهم اذا اراد الله ان يتحف عبدا قيض له من يظلمه ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز فجعل يشكوا اليه
رجلا ظلمه ويقع فيه فقال له عمر انك ان تلقى الله تعالى ومظلمتك كما هي خير لك من ان تلقاه
وقد انتقصتها وقال يزيد بن ميسره ان ظللت تدعوا على من ظلمك فان الله تعالى يقول ان اخر يدعوا عليك
انك ظلمته فان شيت استجبنا لك واجبنا عليك وان شيتما اخرتكما الى يوم القيمه فيسعكما عفوي وقال
مسلم بن يسار لرجل دعا على ظالمه كل الظالم الى ظلمه فانه اسرع اليه من دعايك عليه الا ان يتداركه بعمل
ويقمن ان لا يفعل وعن ابن عمر عن ابي بكر رضي الله عنهما انه قال بلغنا ان الله عز وجل يامر مناديا يوم القيمه فينادي
من كان له عند الله حق فليقم فيقوم اهل العفو فيكافيهم الله بما كان من عفوهم عن الناس وقال هشام بن
محمد اتى النعمن بن المنذر برجلين احدهما قد اذنب ذنبا عظيما فعفا عنه والاخر اذنب ذنبا صغيرا فعاقبه
وقال تعفوا الملوك عن العظيم من الذنوب بفضلها ولقد تعاقب في اليسير وليس ذاك لجهلها الا ليعرف حلمها
ويخاف شده صولها وعن مبارك بن فضاله قال وفد سوار بن عبد الله في وفد من اهل البصره الى ابي جعفر
فكنت عنده اذ اتي برجل فامر بقتله فقلت يقتل رجل من المسلمين وانا حاضر فقلت يا امير المومنين الا احدثك
حديثا سمعته من الحسن قال وما هو قلت سمعته يقول اذا كان يوم القيمه جمع الله الناس في صعيد واحد
حيث يسمعهم الداعي وينفذهم البصر فيقوم مناد من عند الله من كان له يد عند الله عز وجل فليقم فلا يقوم الا
من عفى فقال والله سمعته من الحسن فقلت والله لسمعته منه فقال خليا عنه وقال معويه عليكم بالحلم
والاحتمال حتى تمكنكم الفرصه فاذا امكنتكم فعليكم بالصفح والافضال وروي ان راهبا دخل على هشام بن عبد الملك
فقال للراهب ارايت ذا القرنين كان نبيا فقال لا ولكنه اعطي ما اعطي باربع خصال كن فيه كان اذا قدر عفا واذا
وعد وفى واذا حدث صدق ولا يجمع اليوم لغد وقال بعضهم ليس الحليم من ظلم فحلم حتى اذا قدر انتقم ولكن
الحليم من ظلم فحلم ثم قدر فعفى وقال زياد القدره تذهب الحفيظه يعني الحقد والغضب واتي
هشام برجل بلغه عنه امر فلما اقيم بين يديه جعل يتكلم بحجته فقال له هشام وتتكلم ايضا فقال الرجل
يا امير المومنين قال الله تعالى يوم تاتي كل نفس تجادل عن نفسها افنجادل الله جل الا ولا نتكلم امامك كلاما قال
هشام بلى ويحك فتكلم وروي ان لصا دخل خبا عمار بن ياسر فقيل له اقطعه فانه من اعدائنا فقال
استر عليه لعل الله ان يستر علي يوم القيمه وجلس ابن مسعود في السوق يبتاع طعاما فابتاع ثم طلب

الدراهم وكانت

الدراهم وكانت في عمامته فوجدها قد حلت فقال لقد جلست وانها لمعي فجعلوا يدعون عليه اللهم اقطع
يد السارق الذي اخذها فقال عبد الله اللهم ان كان حمله على اخذها حاجه فبارك له فيها وان كان حمله
جراه على الذنب فاجعله اخر ذنوبه وقال الفضيل ما رايت ازهد من رجل من اهل خراسان جلس الي في
المسجد الحرام ثم قام ليطوف فسرقت دنانير كانت معه فجعل يبكي فقلت له اعلى الدنانير تبكي قال لا ولكن
مثلتني واياه بين يدي الله عز وجل فاشرف عقلي على ادحاض حجته فبكاي رحمه له وقال مالك بن دينار اتينا
منزل الحكم بن ايوب وهو على البصره وجا الحسن وهو خايف فدخلنا عليه مع الحسن فما كنا معه
الا بمنزله الفراريج فذكر الحسن قصه يوسف عليه السلام وما صنع به اخوته من بيعهم اياه وطرحهم له
في الجب فقال باعوا اخاهم واحزنوا اباهم وذكر ما لقي من كيد النسا ومن الحبس ثم قال ايها الامير ماذا صنع
الله به اداله منهم ورفع ذكره واعلى كلمته وجعله على خزاين الارض فما صنع حين اكمل له امره وجمع له
اهله قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم يعرض للحكم بالعفو عن اصحابه قال الحكم
وانا اقول لا تثريب عليكم اليوم ولو لم اجد الا ثوبي لواريتكم به وكتب ابن المقفع الى صديق له يسله العفو
عن بعض اخوانه فلان هارب من زلته الى عفوك لايذ منك بك واعلم انه لن يزداد الذنب عظما الا ازداد
العفو فضلا واتي عبد الملك بن مروان باسارى من اصحاب ابن الاشعث فقال لرجا بن حيوه ما ترى قال ان
الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فاعط الله ما يحب من العفو فعفى عنهم وروي ان زيادا اخذ رجلا من الخوارج
فافلت منه فاخذ اخا له فقال له ان جيت باخيك والا ضربت عنقك فقال ارايت ان جيتك
بكتاب من عند امير المومنين تخلي سبيلي قال نعم قال فانا اتيك بكتاب من العزيز الحكيم واقيم عليه شاهدين
ابرهيم وموسى ثم تلا ام لم ينبا بما في صحف موسى وابرهيم الذي وفى الا تزر وازره وزر اخرى فقال زياد
خلوا سبيله هذا رجل لقن حجته وقيل مكتوب في الانجيل من استغفر لمن ظلمه فقد هزم الشيطان **فضيله
الرفق** اعلم ان الرفق محمود ويضاده العنف والعنف نتيجه الغضب والفظاظه والرفق واللين
نتيجه حسن الخلق والسلامه وقد يكون سبب الحده الغضب وقد يكون سببها شده الحرص واستيلاوه
بحيث يدهش عن التفكر ويمنع من التثبت فالرفق في الامور ثمره لا يثمرها الا حسن الخلق ولا يحسن
الخلق الا بضبط قوه الغضب وقوه الشهوه وحفظهما على حد الاعتدال ولاجل هذا اثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الرفق وبالغ فيه فقال يا عايشه انه من اعطي حظه من الرفق
فقد اعطي حظه من خير الدنيا والاخره ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والاخره وقال
صلى الله عليه وسلم اذا احب الله اهل بيت ادخل عليهم الرفق وقال صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل ليعطي
على الرفق ما لا يعطي على الخرق واذا احب الله عبدا اعطاه الرفق ما من اهل بيت يحرمون الرفق الا قد
حرموا وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف وقال صلى الله عليه وسلم

يا عايشه ارفقي فان الله اذا اراد باهل بيت كرامه دلهم على باب الرفق وقال صلى الله عليه وسلم من يحرم الرفق يحرم الخير كله وقال صلى الله عليه وسلم ايما والٍ ولي فلان ورفق رُفق به يوم القيمه وقال صلى الله عليه وسلم الا تدرون من يحرم على النار كل هين لين سهل قريب وقال صلى الله عليه وسلم الرفق يمن والخرق شوم وقال صلى الله عليه وسلم التاني من الله والعجله من الشيطان وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتاه رجل فقال يا رسول الله ان الله قد بارك لجميع المسلمين فيك فاخصصني منك بخير فقال الحمد لله الحمد لله مرتين او ثلثا ثم اقبل عليه فقال هل انت مستوصٍ هل انت مستوصٍ مرتين او ثلثا قال نعم قال اذا اردت امرا فتدبر عاقبته وعن عايشه انها كانت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر على بعير صعب فجعلت تضربه يمينا وشمالا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عايشه عليك بالرفق فانه لا يدخل في شي الا زانه ولا ينزع عن شي الا شانه

الاثار بلغ عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان جماعة من عماله اشتكوا فامرهم ان يوافوه فلما اتوه قام فحمد الله واثنى عليه ثم قال ايتها الرعيه ان لنا عليكم حقا النصيحة بالغيب والمعاونه على الخير ايتها الرعاه ان للرعيه عليكم حقا واعلموا انه لا حلم احب الى الله تعالى ولا اعم من حلم امام ورفقه وليس جهل ابغض الى الله تعالى من جهل امام وخرقه واعلموا انه من ياخذ بالعافيه فيمن بين ظهريه يرزق العافيه ممن هو دونه وقال وهب بن منبه الرفق ثني الحلم وفي الخبر موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العلم خليل المومن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق والده واللين اخوه والصبر امير جنوده وقال بعضهم ما احسن الايمان يزينه العلم وما احسن العلم يزينه العمل وما احسن العمل يزينه الرفق وما اضيف شي الى شي مثل حلم الى علم وقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ما الرفق قال ان تكون ذا اناة وتلاين الولاه قال فما الخرق قال معاداه امامك ومناواته من يقدر على ضرك وقال سفين لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا قل يا ابا محمد قال ان تضع الامور مواضعها الشده في موضعها واللين في موضعه والسيف في موضعه والسوط في موضعه وهذه اشاره الى انه لا بد من مزج الغلظ باللين والفظاظه بالرفق كما قيل: ووضع الندى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندى. فالمحمود وسط بين العنف واللين كما في ساير الاخلاق ولكن لما كانت الطباع الى الحده والعنف اميل كانت الحاجه الى ترغيبهم في جانب الرفق اكثر فلذلك كثر ثنا الشرع على جانب الرفق دون العنف فان كان العنف في محله حسنا كما ان الرفق في محله حسن فاذا كان الواجب العنف فقد وافق الحق الهوى وهو الذ من الزبد بالشهد هكذا قاله عمر بن عبد العزيز وروي ان عمرو بن العاص كتب الى معاويه يعاتبه في التاني فكتب اليه معاويه اما بعد فان التفهم في الخير زياده ورشد وان الرشيد من رشد عن العجلة وان الخايب من خاب عن الاناه وان المتثبت مصيب او كاد ان يكون مصيبا وان العجل مخطي او كاد ان يكون مخطيا وان من لا ينفعه الرفق يضره الخرق ومن لا تنفعه التجارب لا يدرك المعالي وعن ابي عون الانصاري قال ما تكلم الناس بكلمة

صعبه الا والى جنبها كلمه الين منها تجري مجراها وقال ابو حمزه الكوفي لا تتخذ من الخدم الا ما لا بد منه فان مع كل انسان شيطانا واعلم انهم لا يعطونك بالشده شيا الا اعطوك باللين ما هو افضل منه وقال الحسن المومن وقاف متان وليس كحاطب ليل فهذا ثنا اهل العلم على الرفق وذلك لانه محمود ومفيد في اكثر الاحوال واغلب الامور والحاجه الى العنف قد تقع ولكن على الندور وانما الكامل من يميز مواقع الرفق عن مواقع العنف فيعطي كل امر حقه فان كان قاصر البصيرة او اشكل عليه حكم واقعه من الوقايع فليكن ميله الى الرفق فان النجح معه في الاكثر

القول في ذم الحسد وفي حقيقته واسبابه ومعالجته وغايه الواجب في ازالته

بيان ذم الحسد اعلم ان الحسد من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فهو فرع فرع الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد من الفروع الذميمه ما لا يكاد يحصى وقد ورد في ذم الحسد خاصه اخبار كثيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب وقال صلى الله عليه وسلم في النهي عن الحسد واسبابه وثمراته لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا وقال انس كنا يوما جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يطلع عليكم الان من هذا الفج رجل من اهل الجنه قال فطلع رجل من الانصار تنطف لحيته من وضوءه قد علق نعليه من يده الشمال فسلم فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وسلم مثل ذلك فطلع ذلك الرجل وقاله في اليوم الثالث فطلع ذلك الرجل فلما قام النبي صلى الله عليه وسلم تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص فقال اني لاحيت ابي فاقسمت ان لا ادخل عليه ثلثا فان رايت ان تويني اليك حتى تمضي فعلت فقال نعم فبات عنده ثلث ليال فلم يره يقوم من الليل شيا غير انه اذا انقلب على فراشه ذكر الله تعالى ولم يقم حتى يقوم لصلوه الفجر غير اني لم اسمعه يقول الا خيرا فلما مرت الثلث وكدت ان احتقر عمله قلت يا عبد الله لم يكن بيني وبين والدي كلام ولا هجره ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كذا وكذا فاردت ان اعرف عملك فلم ارك تعمل عملا كثيرا فما الذي بلغ بك ذلك قال ما هو الا ما رايت فلما وليت دعاني فقال ما هو الا ما رايت غير اني لا اجد على احد من المسلمين في نفسي غشا ولا احسد احدا على خير اعطاه الله اياه قال عبد الله هي التي بلغت بك وهي التي لا نطاق وقال صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينجو منهن احد الظن والطيره والحسد وسا حدثكم بالمخرج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ وفي روايه ثلث لا ينجوا منهن احد وقل من ينجو منهن فاثبت في هذه الروايه امكان النجاه وقال صلى الله عليه وسلم دب اليكم دا الامم من قبلكم الحسد والبغضا والبغضه هي الحالقه لا اقول حالقه الشعر ولكن حالقه الدين والذي نفس محمد بيده لا تدخلون الجنه حتى تومنوا ولن تومنوا حتى تحابوا الا انبيكم بما يثبت ذلك لكم افشوا السلام بينكم وقال صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد ان يغلب القدر وقال صلى الله عليه وسلم انه سيصيب امتي دا الامم قالوا وما دا الامم قال الاشر والبطر والتكاثر والتنافس

من الدنيا والتباعد والتحاسد حتى يكون البغي ثم يكون الهرج وقال صلى الله عليه وسلم لا تظهر الشماتة لأخيك فيرحمه الله ويبتليك وروي أن موسى عليه السلام لما تعجل إلى ربه رأى في ظل العرش رجلا فغبطه لمكانه وقال إن هذا لكريم على ربه فسأل ربه أن يخبره باسمه فلم يخبره باسمه وقال أحدثك من عمله بثلث كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة وقال زكريا صلوات الله عليه قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي وقال صلى الله عليه وسلم أخوف ما أخاف على أمتي أن يكثر لهم المال فيتحاسدون ويقتتلون وقال صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج بالكتمان فإن كل ذي نعمة محسود وقال صلى الله عليه وسلم إن لنعم الله أعداء فقيل ومن ذلك قال الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال صلى الله عليه وسلم ستة يدخلون النار قبل الحساب بسنة قيل يا رسول الله من هم قال الأمراء بالجور والعرب بالعصبية والدهاقين بالتكبر والتجار بالخيانة وأهل الرستاق بالجهالة والعلماء بالحسد **الآثار** قال بعض السلف أول خطيئة كانت هي الحسد حسد إبليس آدم أن يسجد له فحمله الحسد على المعصية حكي أن عون بن عبد الله دخل على الفضل بن المهلب وكان يومئذ على واسط فقال إني أريد أن أعظك بشيء فقال وما ذاك فقال إياك والكبر فإنه أول ذنب عصي الله به ثم قرأ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم الآية والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة أمكنه الله من جنة عرضها السموات والأرض يأكل منها إلا شجرة واحدة نهاه الله عنها فأكل منها فأخرجه الله منها ثم قرأ اهبطا منها إلى آخر الآية وإياك والحسد فإنه قتل ابن آدم أخاه حين حسده ثم قرأ واتل عليهم نبأ ابني آدم وإذا ذكر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فاسكت وإذا ذكر القدر فاسكت وإذا ذكر النجوم فاسكت وقال بكر بن عبد الله كان رجل يغشى بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيك مساويه فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول زعم أن الملك أبخر فقال له الملك وكيف يصح ذلك عندي قال تدعوه إليك فإذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر فقال انصرف حتى أنظر فخرج من عند الملك فدعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم فخرج الرجل من عنده وقام بحذاء الملك فقال أحسن إلى المحسن بإحسانه والمسيء ستكفيك مساويه فقال له الملك ادن مني فوضع يده على فيه مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم فقال الملك في نفسه ما أرى فلانا إلا قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطه إلا بجائزة أو صلة فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله إذا أتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به إلي فأخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال ما هذا الكتاب فقال خط الملك لي بصلة فقال هبه لي فقال هو لك فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل في كتابك أن أذبحك وأسلخك فقال إن الكتاب ليس هو لي الله الله في أمري حتى تراجع الملك فقال ليس لكتاب

الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشا جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته وقال مثل قوله فتعجب الملك وقال ما فعل الكتاب فقال لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له قال الملك إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر قال ما قلت قال فلم وضعت يدك على فيك قال كان أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه قال صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء مساويه وقال ابن سيرين ما حسدت أحدا على شيء من أمر الدنيا لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده على الدنيا وهي حقيرة في الجنة وإن كان من أهل النار فكيف أحسده على أمر الدنيا وهو يصير إلى النار وقال رجل للحسن هل يحسد المؤمن قال ما أنساك بني يعقوب قال نعم ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يدا ولا لسانا وقال أبو الدرداء ما أكثر عبد ذكر الموت إلا قل فرحه وقل حسده وقال معاوية كل الناس أقدر على رضاه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها ولذلك قيل:

كل العداوة قد ترجى سلامتها … إلا عداوة من عاداك من حسد

وقال بعض الحكماء الحسد جرح لا يبرأ وحسب الحسود ما يلقى وقال أعرابي ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن ابن آدم لم تحسد أخاك فإن كان الذي أعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من أكرمه الله وإن كان غير ذلك فلم تحسد من مصيره إلى النار وقال بعضهم الحاسد لا ينال من المجالس إلا مذمة وذلا ولا ينال من الملائكة إلا لعنة وبغضا ولا ينال من الخلق إلا جزعا وغما ولا ينال عند النزع إلا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف إلا فضيحة ونكالا

بيان الحسد وحكمه وأقسامه ومراتبه اعلم أنه لا حسد إلا على نعمة فإذا أنعم الله على أخيك بنعمة فلك فيها حالتان إحداهما أن تكره تلك النعمة وتحب زوالها من المنعم عليه الثانية أن لا تحب زوالها ولا تكره وجودها ودوامها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى غبطة وقد يخص باسم المنافسة وقد تسمى المنافسة حسدا والحسد منافسة وقد يوضع أحد اللفظين بدل الآخر ولا حجر في الأسامي بعد فهم المعاني وقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن يغبط والمنافق يحسد فأما الأول فهو حرام على كل حال إلا نعمة أصابها فاجر أو كافر وهو يستعين بها على تهييج الفتنة وإفساد ذات البين وإيذاء الخلق فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها فإنك لا تحب زوالها من حيث هي نعمة بل من حيث هي آلة الفساد ولو أمنت فساده لم يغمك تنعمه ويدل على تحريم الحسد الأخبار التي نقلناها وأن هذه الكراهة تسخط لقضاء الله في تفضيل بعض عباد الله على بعض وذلك لا عذر فيه ولا رخصة وأي معصية تزيد على كراهتك لراحة مسلم من غير أن يكون لك فيه مضرة وإلى هذا أشار القرآن بقوله إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وهذا الفرح شماتة والحسد والشماتة متلازمان وقال تعالى ودوا لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا فأخبر أن حبهم زوال نعمة الإيمان حسد وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء وذكر الله حسد إخوة يوسف وعبر عما في قلوبهم فقالوا ليوسف وأخوه

احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف او اطرحوه ارضا الاية فلما كرهوا
حب ابيه له وساءهم ذلك واحبوا زواله عنه فغيبوه عنه وقال تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة
مما اوتوا اي لا تضيق صدورهم به ولا يغتمون فاثنى عليهم بعدم الحسد وقال تعالى في معرض
الانكار ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وقال تعالى كان الناس امة واحدة الى قوله
من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم قيل في التفسير حسدا وقال تعالى وما تفرقوا الا من بعد ما
جاءهم العلم بغيا بينهم فانزل الله العلم ليجمعهم ويؤلف بينهم على طاعته فامرهم ان يتالفوا بالعلم
فتحاسدوا واختلفوا اذ اراد كل واحد ان ينفرد بالرياسة وقبول القول فرد بعضهم على بعض
قال ابن عباس كانت اليهود قبل ان يبعث النبي صلى الله عليه وسلم اذا قاتلوا قوما
قالوا نسالك بالنبي الذي وعدتنا ان ترسله وبالكتاب الذي تنزله الا ما نصرتنا فكانوا ينصرون
فلما جاء النبي صلى الله عليه وسلم من ولد اسمعيل عرفوه وكفروا به بعد معرفتهم فقال تعالى وكانوا
من قبل يستفتحون على الذين كفروا الاية الى قوله ان يكفروا بما انزل الله بغيا اي حسدا وقالت
صفية بنت حيي للنبي صلى الله عليه وسلم جاء ابي وعمي من عندك يوما فقال ابي لعمي ما
تقول فيه قال اقول انه النبي الذي بشر به موسى قال فما ترى قال ارى معاداته ايام الحيوة فهذا حكم
الحسد في التحريم واما المنافسة فليست بحرام بل هي اما واجبة واما مندوبة واما مباحة وقد يستعمل
لفظ المنافسة بدل الحسد والحسد بدل المنافسة قال قثم بن العباس لما اراد هو والفضل ان ياتيا قثم صح
النبي صلى الله عليه وسلم فيسالاه ان يؤمرهما على الصدقة قال لهما علي لا تذهبا اليه فانه لا يؤمركما قال
عليها فقالا له ما هذا منك الا نفاسة والله لقد زوجك الله ابنته فما نفسنا ذلك عليك اي هذا منك
حسد وما حسدناك على تزويجك فاطمة فالمنافسة مشتقة في اللغة من النفاسة والذي يدل
على اباحة المنافسة قوله تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وقال تعالى سابقوا الى مغفرة
من ربكم وانما المنافسة عند خوف الفوت وهما كالعبدين يتسابقان الى خدمة مولاهما اذ يجزع المسابقة
كل واحد ان يسبقه صاحبه فيحظى عند مولاه بمنزلة لا يحظى هو بها وكيف وقد صرح رسول الله
صلى الله عليه وسلم بذلك فقال لا حسد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في
الحق ورجل اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ثم فسر ذلك في حديث ابي كبشة الانماري فقال
مثل هذه الامة مثل اربعة رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه الله علما ولم
يؤته مالا فيقول رب لو ان لي مالا مثل مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل عمله فهما في الاجر سوا وهذا منه
حب لان يكون له مثل ما له من غير حب زوال النعمة عنه قال ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في
معاصي الله ورجل لم يؤته الله مالا علما فيقول لو ان لي مال فلان لكنت اعمل بمثل عمله فهما في الوزر سوا فذمه

94

رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة تمنيه للمعصية لا من جهة حبه ان يكون له من النعمة مثل ما له
فاذن لا حرج على من يغبط غيره في نعمة ويشتهي لنفسه مثلها مهما لم يحب زوالها عنه ولم يكره دوامها
له نعم ان كانت تلك النعمة دينية واجبة كالايمان والصلوات والزكوة فهذه المنافسة واجبة وهو
ان يحب ان يكون مثله لانه ان لم يحب ذلك فيكون راضيا بالمعصية وذلك حرام وان كانت النعمة
من الفضائل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب اليها وان كانت نعمة يتنعم بها
على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح وكل ذلك يرجع الى ارادة مساواته واللحوق به في النعمة وليس
فيها كراهة النعمة وكان تحت هذه النعمة امران احدهما راحة المنعم عليه والاخر ظهور نقصان غيره وتخلفه
عنه وهو يكره احد الوجهين وهو تخلف نفسه ويحب مساواته ولا حرج على من يكره تخلف نفسه ونقصانها
في المباحات نعم ذلك ينقص من الفضل ويناقض الزهد والتوكل والرضى ويحجب عن المقامات الرفيعة ولكنه
لا يوجب العصيان وههنا دقيقة غامضة وهو انه اذا ايس من ان ينال مثل تلك النعمة وهو يكره تخلفه
ونقصانه فلا محالة يحب زوال النقصان وانما يزول نقصانه اما بان ينال مثله او بان تزول نعمة المحسود
فان انسد احد الطريقين فيكاد القلب لا ينفك عن شهوة الطريق الاخر حتى اذا زالت النعمة من المحسود
كان ذلك اشهى عنده من دوامها اذ بزوالها يزول تخلفه وتقدم غيره وهذا لا يكاد ينفك القلب عنه فان كان
بحيث لو القي الامر اليه ورد الى اختياره لسعى في ازالة النعمة عنه فهو حسود حسدا مذموما وان كان
يردعه التقوى عن ازالة ذلك فيعفى عنه ما يجده في طبعه من ارتياح الى زوال النعمة عن محسوده مهما
كان كارها لذلك من نفسه بعقله ودينه ولعله المعني بقوله صلى الله عليه وسلم ثلث لا ينفك عنهن المؤمن
الحسد والظن والطيرة ثم قال وله منهن مخرج اذا حسدت فلا تبغ اي ان وجدت في قلبك
شيئا فلا تعمل به وبعيد ان يكون الانسان يريد اللحاق باخيه في النعمة فيعجز عنها ثم ينفك عن ميل الى
زوال النعمة اذ يجد لا محالة ترجيحا على دوامها فهذا الحد من المنافسة يزاحم الحسد الحرام فينبغي ان
يحتاط له لانه موضع الخطر وما من انسان الا وهو يرى فوق نفسه من معارفه واقرانه من يحب ان يساويه
ويكاد يجره ذلك الى الحسد المذكور ان لم يكن قوي الايمان رزين التقوى ومهما كان محركه خوف التفاوت
وظهور نقصانه عن غيره جره ذلك الى الحسد المذموم والى ميل الطبع الى زوال النعمة عن اخيه حتى ينزل هو
الى مساواته اذ لم يقدر هو ان يرتقي الى مساواته بادراك النعمة وذلك لا رخصة فيه اصلا بل هو حرام
سواء كان في مقاصد الدين او مقاصد الدنيا ولكن يعفى ذلك عنه ما لم يعمل به ان شاء الله تعالى ويكون
كراهته لذلك من نفسه كفارة له فهذه حقيقة الحسد واحكامه واما مراتبه فاربعة الاولى ان يحب زوال النعم وان كان ذلك لا [illegible] اليه وهذا غاية [illegible] الثانية
ان يحب زوال النعمة اليه لرغبته في تلك النعمة مثل رغبته في دار حسنة او امراة حسنة او ولاية
نافذة او سعة نالها غيره وهو يحب ان تكون له ومطلوبه تلك النعمة لا زوالها عنه ومكروهه فقد النعمة

لا تنعم غيره والثالث ان لا يشتهي عينها بل يشتهي لنفسه مثلها فان عجز عن مثلها احب زوالها كي لا يظهر التفاوت بينهما والرابع ان يشتهي لنفسه مثلها فان لم يحصل فلا يحب زوالها عنه وهذا الاخير هو المعفو عنه اذا كان في الدنيا والمندوب اليه اذا كان في الدين والثالثة فيها مذموم وغير مذموم والثانية اخف من الثالثة والاول مذموم محض وتسمية الثانية حسدا فيه تجوز وتوسع ولكنه مذموم قال تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض فتمنيه مثل ذلك غير مذموم اما تمنيه عين ذلك فهو مذموم

بيان اسباب الحسد والمنافسة

اما المنافسة فسببها حب ما فيها المنافسة فان كان ذلك امرا دينيا فسببه حب الله تعالى وحب طاعته وان كان دنيويا فسببه حب مباحات الدنيا والتنعم فيها وانما نظرنا الآن في اسباب الحسد المذموم ومداخلها كثيرة جدا ولكن يحصر جملتها سبعة ابواب العداوة والتعزز والكبر والتعجب والخوف من فوت المقاصد المحبوبة وحب الرياسة وخبث النفس وبخلها فانه انما يكره النعمة عليه اما لانه عدوه فلا يريد له الخير وهذا لا يختص بالامثال بل يحسد الخسيس الملك بمعنى انه يحب زوال نعمته لكونه مبغضا له بسبب اساءته اليه او الى من يحبه واما ان يكون من حيث يعلم انه يستكبر بالنعمة عليه وهو لا يطيق احتمال كبره وتفاخره لعزة نفسه وهو المراد بالتعزز واما ان يكون في طبعه ان يتكبر على المحسود ويمتنع ذلك عليه بنعمته وهو المراد بالتكبر واما ان يكون النعمة عظيمة والمنصب كبيرا فيتعجب من فوز مثله بمثل تلك النعمة وهو التعجب واما ان يخاف من فوات مقاصده بسبب نعمته بان يتوصل بها الى مزاحمته في اغراضه واما ان يكون يحب الرياسة التي تنبني على الاختصاص بنعمة لا يساوى فيها واما ان لا يكون لسبب من هذه الاسباب بل لخبث النفس وشحها بالخير لعباد الله ولا بد من شرح هذه الاسباب

السبب الاول العداوة والبغضاء وهذا اشد اسباب الحسد فان من آذاه انسان بسبب من الاسباب وخالفه في غرضه بوجه من الوجوه ابغضه قلبه وغضب عليه ورسخ في نفسه الحقد والحقد يقتضي التشفي والانتقام فان عجز المبغض عن ان يتشفى بنفسه احب ان يتشفى منه الزمان وربما يحمل ذلك على كرامة نفسه عند الله تعالى فمهما اصاب عدوه بلية فرح وظنه مكافاة من جهة الله تعالى له على بغضه له وانه لاجله ومهما اصابه نعمة ساءه ذلك لانه ضد مراده وربما يخطر له انه لا منزلة له عند الله عز وجل حيث لم ينتقم له من عدوه الذي آذاه بل انعم عليه وبالجملة فالحسد يلزم البغض والعداوة ولا يفارقهما وانما غاية التقي ان لا يبغي ويكره ذلك من نفسه فاما ان يبغض انسانا ثم يستوي عنده مسرته ومساءته فهذا غير ممكن وهذا مما وصف الله تعالى الكفار به اعني الحسد بالعداوة اذ قال تعالى واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم الآية وكذلك قال تعالى ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من افواههم الآية والحسد بسبب البغض وربما

يفضي الى التنازع والتقاتل واستغراق العمر في ازالة النعمة بالحيل والسعاية وهتك الستر وما يجري مجراه

السبب الثاني التعزز وهو ان يثقل عليه ان يترفع عليه غيره فاذا اصاب بعض امثاله ولاية او علما او مالا خاف ان يتكبر عليه وهو لا يطيق تكبره ولا تسمح نفسه باحتمال تفاخره وترفعه عليه فليس من غرضه ان يتكبر بل غرضه ان يدفع كبره فانه قد رضي بمساواته مثلا ولكنه لا يرضى بترفعه عليه

السبب الثالث ان يكون في طبعه ان يتكبر عليه ويستصغره ويستخدمه ويتوقع منه الانقياد له والمتابعة في اغراضه فاذا نال النعمة خاف ان لا يحتمل تكبره ويترفع عن متابعته او ربما يتشوف الى مساواته او الى ان يترفع عليه فيعود متكبرا بعد ان كان متكبرا عليه ومن التعزز والتكبر كان حسد اكثر الكفار لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قالوا كيف يتقدم علينا غلام يتيم وكيف نطاطي له رؤوسنا فقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم اي كان لا يثقل علينا ان نتواضع له ونتبعه اذا كان عظيما وقال تعالى يصف قول قريش اهؤلاء من الله عليهم من بيننا كالاستحقار لهم والانفة منهم

السبب الرابع التعجب كما اخبر الله تعالى عن الامم الماضية اذ قالوا ما انتم الا بشر مثلنا وقالوا انؤمن لبشرين مثلنا ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون فتعجبوا من ان يفوز برتبة الرسالة والوحي والقرب من الله سبحانه بشر مثلهم فحسدوهم واحبوا زوال النعمة عنهم جزعا ان يفضل عليهم من هو مثلهم في الخلقة لا عن قصد تكبر وطلب رياسة وتقدم عداوة او سبب آخر من سائر الاسباب وقالوا متعجبين ابعث الله بشرا رسولا وقالوا لولا انزل علينا الملائكة فقال تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم

السبب الخامس الخوف من فوت المقاصد وذلك يختص بمتزاحمين على مقصود واحد فان كل واحد يحسد صاحبه في كل نعمة يكون عونا له في الانفراد بمقصوده ومن هذا الجنس تحاسد الضرات في التزاحم على مقاصد الزوجية وتحاسد الاخوة على نيل المنزلة في قلب الابوين للتوصل به الى مقاصد الكرامة والمال وكذلك تحاسد التلميذين لاستاذ واحد على نيل المنزلة في قلب الاستاذ وتحاسد ندماء الملك وخواصه في نيل المنزلة في قلبه للتوصل به الى الجاه والمال وكذلك تحاسد الواعظين المتزاحمين على اهل بلدة واحدة اذا كان غرضهما نيل المال من القبول عندهم وكذلك تحاسد العالمين المتزاحمين على طائفة من المتفقهة محصورين اذ يطلب كل واحد منزلة في قلوبهم للتوصل به الى اغراضه

السبب السادس حب الرياسة وطلب الجاه لنفسه من غير توصل به الى مقصود وذلك كالرجل الذي يريد ان يكون عديم النظير في فن من الفنون اذا غلب عليه حب الثناء واستفزه الفرح بما يمدح به من انه واحد الدهر وفريد العصر وانه لا نظير له فانه لو سمع بنظير له في اقصى العالم لساءه ذلك واحب موته او زوال النعمة التي بها يشاركه في المنزلة من شجاعة او علم او عبادة او قناعة او جمال او ثروة او غير ذلك مما يتفرد هو به ويفرح بسببه

تفرده به وليس السبب في هذا عداوة ولا تعززا ولا تكبرا على المحسود ولا خوفا من فوات مقصود سوى
محض الرياسة بدعوى الانفراد وهذا وراء ما بين آحاد العلماء في طلب الجاه والمنزلة في قلوب
الناس للتوصل الى مقاصد الرياسة وقد كان علماء اليهود ينكرون معرفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يؤمنون
خيفة من ان تبطل رياستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم السبب **السابع** خبث النفس وشحها
بالخير لعباد الله تعالى فانك تجد من لا يشتغل برياسة وتكبر ولا طلب مال اذا وصف عنده حسن حال عبد
من عباد الله تعالى فيما انعم به عليه شق عليه ذلك واذا وصف له اضطراب امور المسلمين وادبارهم وفوات
مقاصدهم وتنغص عيشهم فرح به فهو ابدا يحب الادبار لغيره ويبخل بنعمة الله تعالى على عباده الذين
ليس بينه وبينهم عداوة ولا رابطة وهذا ليس له سبب ظاهر الا خبث في النفس ورذالة في الطبع
عليه وقعت الجبلة ومعالجته شديدة لان الحسد الثابت بسائر الاسباب اسبابها عارضة يتصور زوالها
فيطمع في ازالتها وهذا خبث في الجبلة لا عن سبب عارض فيعسر ازالته او يستحيل في العادة ازالته
فهذه هي اسباب الحسد وقد يجتمع بعض هذه الاسباب او اكثرها او جميعها في شخص واحد فيعظم الحسد
لذلك ويقوى قوة لا يقدر معه على الاخفاء والمجاملة بل ينهتك حجاب المجاملة وتظهر العداوة بالمكاشفة
واكثر المحاسدات يجتمع فيها جملة من هذه الاسباب وقلما يتجرد سبب واحد **بيان**
السبب في كثرة الحسد بين الامثال والاقران والاخوة وبني العم والاقارب وتاكدها وقلتها في غيرهم وضعفها
اعلم ان الحسد انما يكثر بين قوم تكثر بينهم الاسباب التي ذكرناها وانما يقوى بين قوم تجتمع فيهم جملة من هذه
الاسباب وتتظاهر اذ الشخص الواحد يجوز ان يحسد لانه يمتنع عن قبول التكبر ولانه يتكبر ولانه
عدو ولغير ذلك من الاسباب وهذه الاسباب انما تكثر بين قوم تجمعهم روابط يجتمعون بسببها في مجالس
المخاطبات ويتواردون على الاغراض فاذا خالف واحد صاحبه في غرض من اغراضه نفر
طبعه وابغضه وثبت الحقد فعند ذلك يريد ان يستحقره ويتكبر عليه ويكافيه على مخالفته لغرضه
ويكره تمكنه من النعمة التي توصله الى اغراضه وتترادف جملة الاسباب اذ لا رابطة بين شخصين في بلدتين
متنائيتين فلا يكون بينهما محاسدة وكذلك في محلتين نعم اذا تجاورا في مسكن او سوق او مسجد او مدرسة
تواردا على مقاصد تتناقض فيها اغراضهم فيثور من التناقض التنافر والتباغض ومنه تثور
بقية اسباب الحسد فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد والعابد دون العالم والتاجر يحسد التاجر
والاسكاف يحسد الاسكاف ولا يحسد البزاز الا بسبب اخر سوى الاجتماع في الحرفة ويحسد الرجل اخاه
وابن عمه اكثر مما يحسد الاجانب وتحسد المراة ضرتها وسرية زوجها اكثر مما تحسد ام الزوج وابنته
لان مقصد البزاز غير مقصد الاسكاف فلا يتزاحمون على المقاصد اذ مقصد البزاز الثروة ولا يحصلها الا بكثرة
الزبون وانما ينازعه فيه بزاز اخر اذ حريف البزاز لا يطلبه الاسكاف بل البزاز ثم مزاحمة البزاز المجاور له

اكثر من مزاحمة البعيد عنه الى اطراف السوق فلا جرم يكون حسده للمجاور اكثر وكذلك الشجاع يحسد
الشجاع ولا يحسد العالم لان مقصوده ان يذكر بالشجاعة ويشتهر بها وينفرد بهذه الخصلة ولا يزاحمه
العالم على هذا الغرض وكذلك يحسد العالم العالم ولا يحسد الشجاع ثم حسد الواعظ للواعظ اكثر من حسده
للفقيه والطبيب لان التزاحم بينهما على مقصود اخص واصل هذه المحاسدات العداوة واصل العداوة التزاحم
على غرض واحد والغرض الواحد لا يجمع متباعدين بل متناسبين فلذلك يكثر الحسد بينهم نعم من اشتد
حرصه على الجاه واحب الصيت في جميع اطراف العالم بما هو فيه فانه يحسد كل من هو في العالم وان بعد ممن
يساهمه في الخصلة التي يتفاخر بها ومنشا جميع ذلك حب الدنيا فان الدنيا هي التي تضيق على المتزاحمين
اما الاخرة فلا تضيق فيها **واما** مثل الاخرة نعمة العلم فلا جرم من يحب معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته
وملائكته وانبيائه وملكوت ارضه وسمائه لم يحسد غيره اذا عرف ذلك ايضا لان المعرفة لا تضيق على
العارفين بل المعلوم الواحد يعرفه الف الف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذ به ولا تنقص لذة احد بسبب
غيره بل يحصل لكثرة العارفين زيادة الانس وثمرة الافادة والاستفادة فلذلك لا يكون بين علماء الدين
محاسدة لان مقصدهم معرفة الله جل وعز وهو بحر واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عند الله
ولا ضيق ايضا فيما عند الله سبحانه لان اجل ما عند الله من النعيم لذة لقائه وليس فيه ممانعة
ولا مزاحمة ولا يضيق بعض الناظرين على بعض بل يزيد الانس بكثرتهم نعم اذا قصد العلماء بالعلم المال والجاه
تحاسدوا لان المال اعيان واجسام اذا وقعت في يد واحد خلت عنه يد الاخر ومعنى الجاه ملك
القلوب ومهما امتلا قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الاخر او نقص منه لا محالة
فيكون ذلك سبب التحاسد واذا امتلا قلب بالفرح بمعرفة الله تعالى لم يمنع ذلك ان يمتلئ قلب غيره به
وان يفرح به فالفرق بين العلم والمال ان المال لا يحل في يد ما لم يرتحل عن اليد الاخرى والعلم في قلب العالم
مستقر ويحل في قلب غيره بتعليمه من غير ان يرتحل عن قلبه والمال اجسام واعيان ولها نهاية
فلو ملك الانسان جميع ما في الارض لم يبق بعده مال يتملكه والعلم لا نهاية له ولا يتصور استيعابه فمن عود
نفسه الفكر في جلال الله عز وجل وعظمته وملكوت ارضه وسمائه صار ذلك الذ عنده من كل نعيم ولم يكن
ممنوعا عنه ولا مزاحما فيه فلا يكون في قلبه حسد لاحد من الخلق لان غيره ايضا لو عرف مثل معرفته
لم ينقص من لذته بل زادت لذته بمؤانسته فيكون لذة هو لا في مطالعة عجائب الملكوت
على الدوام اعظم من لذة من ينظر الى اشجار الجنة وبساتينها بالعين الظاهرة فان نعيم العارف وجنته
معرفته التي هي صفة ذاته يامن زوالها وهو ابدا يجني ثمارها فهو بروحه وقلبه مغتذ بفاكهة علمه
وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية فهو وان غمض العين الظاهرة فروحه ابدا
ترتع في جنة عالية ورياض زاهرة فان فرض كثرة في العارفين لم يكونوا متحاسدين بل كانوا

كما قال فيهم رب العالمين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين فهذا حالهم وهم بعد
في الدنيا فما ظنك بهم عند انكشاف الغطا ومشاهدة المحبوب في العقبى فاذن لا يتصور ان يكون
في الجنة محاسدة ولا ان يكون بين اهل الجنة في الدنيا محاسدة لان الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة فيها
في الدنيا ايضا فاهل الجنة بالضرورة براء عن التحاسد في الدنيا والاخرة جميعا بل الحسد من صفات المبعدين (ولا تنال الا بمعرفة الله التي لا مزاحمة فيها)
عن سعة عليين الى مضيق سجين ولذلك وسم به الشيطان اللعين وذكر من صفاته انه
حسد ادم على ما خص به من الاجتبا لما دعي الى السجود استكبر وابى وتمرد وعصى فقد عرفت انه لا
حسد الا للتوارد على مقصود يضيق عن الوفا بالكل ولهذا لا ترى الناس يتحاسدون على النظر
الى زينة السما ويتحاسدون على البساتين التي هي جزء يسير من جملة الارض وكل الارض التي لا وزن
لها بالاضافة الى السما ولكن السما لسعة الاقطار وافية لجميع الابصار فلم يكن فيها تزاحم وتحاسد
اصلا فعليك ان كنت بصيرا وعلى نفسك مشفقا ان تطلب نعيما لا زحمة فيه ولذة لا مكدر لها ولا يوجد
ذلك في الدنيا الا في معرفة الله ومعرفة صفاته وافعاله وعجائب ملكوت السموات والارض ولا ينال ذلك
في الاخرة الا بهذه المعرفة ايضا فان كنت لا تشتاق الى معرفة الله تعالى ولم تجد لذته وفتر عنه رايك
وضعفت فيها رغبتك فانت فيه معذور فالعنين لا يشتاق الى لذة الوقاع والصبي لا
يشتاق الى لذة الملك فان هذه لذات يختص بادراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين فكذلك لذة
المعرفة يختص بادراكها رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فلا يشتاق الى هذه اللذة
غيرهم لان الشوق بعد الذوق ومن لم يذق لم يعرف ومن لم يعرف لم يشتق ومن لم يشتق لم يطلب
ومن لم يطلب لم يدرك ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في اسفل سافلين ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض
له شيطانا فهو له قرين

بيان الدوا الذي به ينفي مرض الحسد عن القلب

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا يداوى مرض القلب الا بالعلم والعمل والعلم النافع لمرض الحسد هو ان
تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين وانه لا ضرر فيه على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع
به في الدنيا والدين ومهما عرفت هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا
محالة اما كونه ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضا الله وكرهت نعمته التي قسمها لعباده
وعدله الذي اقامه في ملكه بخفي حكمته واستنكرت ذلك واستبشعته وهذه جناية على حدقة التوحيد
وقذى في عين الايمان وناهيك بها جناية على الدين وقد انضاف اليه انك غششت رجلا من المسلمين
وتركت نصيحته وفارقت اوليا الله وانبيايه عليهم السلام في حبهم الخير لعباد الله وشاركت ابليس وساير
الكفار في محبتهم للمومنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايث في القلب تاكل حسنات القلب كما تاكل النار
الحطب وتمحوها كما يمحو الليل النهار واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك تتالم بحسدك وتتعذب به

ولا تزال في كمد وغم اذ اعداوك لا يخليهم الله عن نعم يفيضها عليهم فلا تزال تتعذب بكل نعمة تراها وتتالم
بكل بلية تنصرف عنهم فتبقى مغموما محروما متشعب القلب ضيق النفس كما تشتهيه لاعدايك وكما يشتهي
اعداوك لك فقد كنت تريد المحنة لعدوك فتنجزت في الحال محنتك وغمك نقدا ولا تزول النعمة عن
المحسود بحسدك ولو لم تكن تومن بالبعث والحساب لكان مقتضى الفطنة ان كنت عاقلا ان تحذر من الحسد
لما فيه من الم القلب ومساءته مع عدم النفع فكيف وانت عالم بما في الحسد من العذاب الشديد في الاخرة
فما اعجب من العاقل ان يتعرض لسخط الله تعالى من غير نفع يناله بل مع ضرر يحتمله والم يقاسيه فيهلك
دينه ودنياه من غير جدوى ولا فايدة واما انه لا ضرر على المحسود في دينه ودنياه فواضح لان النعمة لا
تزول عنه بحسدك بل ما قدره الله من اقبال ونعمة فلا بد وان يدوم الى اجل قدره الله تعالى فلا حيلة
في دفعه كل شي عنده بمقدار ولكل اجل كتاب ولذلك شكا نبي من الانبيا عليهم السلام من امراة ظالمة مستولية
على الخلق فاوحى الله تعالى اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها اي ما قدرناه في الازل لا سبيل الى تغييره فاصبر
حتى تنقضي المدة التي سبق القضا بدوام اقبالها فيها ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المحسود ضرر
في الدنيا ولا يكون عليه اثم في الاخرة ولعلك تقول ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي
وهذا غاية الجهل فانه بلا تشتهيه اولا لنفسك فانك ايضا لا تخلو عن عدو يحسدك فلو كانت
النعم تزول بالحسد لم يبق لله تعالى عليك نعمة ولا على الخلق ولا نعمة الايمان لان الكفار يحسدون
المومنين على الايمان قال الله تعالى ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون
الا انفسهم اذ ما يريده الحسود لا يكون نعم هو يضل بارادته الضلال لغيره فان ارادة الكفر كفر
فمن يشتهي ان تزول النعمة عن المحسود بالحسد فكانه يريد ان يسلب نعمة الايمان بحسد
الكفار وكذا ساير النعم وان اشتهيت ان تزول النعمة عن الخلق بحسدك ولا تزول عنك بحسد
غيرك فهذا غاية الجهل والغباوة فان كل واحد من حمقى الحساد ايضا يشتهي ان يخص بهذه
الخاصية ولست باولى من غيرك فنعمة الله عليك في ان لم تزل النعمة بالحسد مما يجب عليك
شكرها وانت بجهلك تكرهها واما ان المحسود ينتفع به في الدين والدنيا فواضح اما منفعته في
الدين فهو انه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجك الحسد الى القول والفعل بالغيبة والقدح فيه
وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه اعني انك تهدي اليه حسناتك حتى يلقاه
يوم القيمة مفلسا محروما عن النعمة كما حرمت في الدنيا النعمة فكانك اردت زوال النعمة عنه فلم تزل
نعم كان لله تعالى عليك نعمة اذ وفقك للحسنات فنقلتها اليه فاضفت له نعمة الى نعمة واضفت
الى نفسك شقاوة الى شقاوة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعدا وغمهم
وشقاوتهم وكونهم معذبين مغمومين ولا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني اعدايك

ان يكونوا في نعمه وان يكونوا في غم وحسره بسبب بليتهم وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم ولذلك لا يشتهي
عدوك موتك بل يشتهي ان تطول حياتك ولكن في عذاب الحسد لتنظر الى نعم الله تعالى عليه
ولذلك قيل، لا مات اعداوك بل خلدوا حتى يروا منك الذي يكمد، لا زلت محسودا على نعمه فانما الكامل
من يحسد، ففرح عدوك بغمك وحسدك اعظم من فرحه بنعمته ولو علم خلاصك من الم الحسد
وعذابه لكان ذلك اعظم مصيبة وبلية عنده فما انت فيه تلازمه من غم الحسد الا كما يشتهيه
عدوك فاذا تاملت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذ تعاطيت ما تضررت به في الدنيا
والآخرة وانتفع به عدوك في الدنيا والاخرة وصرت مذموما عند الخلق والخالق شقيا في الحال والمآل
ونعمه المحسود دايمة شئت ام ابيت ثم لم تقتصر على تحصيل مراد عدوك حتى وصلت الى ادخال
اعظم سرور على ابليس الذي هو اعدا اعدايك لانه لما راك محروما عن نعمه العلم والورع والجاه
والمال الذي اختص به عدوك عليك خاف ان تحب ذلك له فتشاركه في الثواب لسبب المحبه
لان من احب الخير للمسلمين كان شريكا في الخير ومن فاته اللحاق بدرجه الاكابر في الدين لم يفته ثواب
الحب لهم مهما احب ذلك فخاف ابليس ان تحب ما انعم الله تعالى به على عبده من دينه ودنياه فتفوز
بثواب الحب فبغضه اليك حتى لا تلحقه بحبك كما لم تلحقه بعملك وقد قال الاعرابي للنبي صلى الله عليه وسلم
الرجل يحب القوم ولما يلحق بهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقام اعرابي ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى الساعه فقال ما اعددت لها فقال ما اعددت لها
كثير صلوه ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال النبي صلى الله عليه وسلم انت مع من احببت قال انس
فما فرح المسلمون بعد اسلامهم كفرحهم يومئذ اشاره الى ان اكثر بغيتهم كان حب الله ورسوله عليه
السلام قال انس فنحن نحب رسول الله عليه السلام وابا بكر وعمر ولا نعمل مثل عملهم ونرجو ان نكون
معهم وقال ابو موسى قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي معهم ويحب الصايمين ولا يصوم
حتى عد اشيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم هو مع من احب وقال رجل
لعمر بن عبد العزيز رضي الله عنه انه كان يقال ان استطعت ان تكون متعلما فاحبهم فان لم تستطع فلا
تبغضهم فقال سبحان الله لقد جعل الله مخرجا فانظر الان كيف حسدك ابليس ففوت عليك ثواب
الحب ثم لم يقنع حتى بغض اليك اخاك وحملك على الكراهيه حتى اثمت وكيف لا وعسى ان تحاسد
رجلا من اهل العلم وتحب ان يخطي في دين الله وينكشف خطاوه ليفتضح وتحب ان يخرس لسانه
حتى لا يتكلم او يمرض حتى لا يعلم ولا يتعلم واي اثم يزيد على ذلك فليتك اذ فاتك اللحاق به ثم اغتممت
بسببه سلمت من الاثم وعذاب الاخره وقد جاء في الحديث اهل الجنه ثلثه المحسن والمحب له والكاف
عنه اي من يكف عنه الاذى والحسد والبغض والكراهه فانظر كيف ابعدك ابليس عن جميع

المداخل الثلثة حتى لا تدور بها البته فقد نفذ عليك حسد ابليس وما نفذ حسدك على عدوك
بل على نفسك بل لو كوشفت بحالك في يقظه او منام لرايت نفسك ايها الحاسد في صوره من يرمي
حجرا الى عدوه ليصيب به مقتله فلا يصيبه بل يرجع على حدقته اليمنى فيقلعها فيزيد غضبه
ثانيا فيعود ويرميه اشد من الاولى فيرجع على عينه الاخرى فيعميها فيزداد غضبه فيعود
ثالثه فيعود الى راسه فيشجه وعدوه سالم في كل حال وهو اليه راجع مره بعد اخرى واعداوه
حواليه يفرحون به ويضحكون عليه وهذا حال الحسود وسخريه الشيطان منه لا بل حالك في الحسد
اقبح من هذا لان الحجر العايد لم يفوت الا العين ولو لم يفت لفات بالموت لا محاله والحسد يعود
بالاثم والاثم لا يفوت بالموت ولعله يسوقه الى غضب الله تعالى والى النار فلان
ان تذهب عينه في الدنيا خير من ان يبقى له عين يدخل بها النار فيقلعها لهب النار فانظر كيف
انتقم الله تعالى من الحاسد اذ اراد زوال النعمه عن المحسود فلم يزلها عنه ثم ازالها من الحاسد
اذ السلامه من الاثم نعمه والسلامه من الغم والكمد نعمه وقد زالتا عنه تصديقا لقوله تعالى ولا
يحيق المكر السيء الا باهله وربما ابتلي بعين ما يشتهيه لعدوه وقل ما يشمت شامت بمساة الا
ويبتلى بمثلها حتى قالت عايشه رضي الله عنها ما تمنيت لعثمان شيا الا نزل بي حتى لو تمنيت له
القتل لنزل بي فهذا اثم الحسد نفسه فكيف ما يجر اليه الحسد من الاختلاف وجحود الحق
واطلاق اللسان واليد بالفواحش في التشفي من الاعدا وهو الدا الذي فيه هلك الامم فهذه الادويه
العلميه مهما تفكر الانسان فيها بذهن صاف وقلب حاضر انطفى من قلبه نار الحسد وعلم انه مهلك
نفسه ومفرح عدوه ومسخط ربه ومنغص عيشه واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد فكل
ما يتقاضاه الحسد من قول او فعل فينبغي ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه
كلف لسانه المدح له والثنا عليه وان حمله التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار اليه
وان بعثه على كف الانعام عليه الزم نفسه الزياده في الانعام عليه فمهما فعل ذلك عن تكلف وعرفه
المحسود طاب قلبه واحبه ومهما ظهر حبه عاد الحاسد واحبه وتولد منهما الموافقه التي تقطع
ماده الحسد لان التواضع والثنا والمدح واظهار السرور بالنعمه يستميل قلب المنعم عليه ويسترقه
ويستعطفه ويحمله على مقابله ذلك بالاحسان ثم ذلك الاحسان يعود الى الاول فيطيب قلبه
ويصير ما تكلفه اولا طبعا اخرا ولا يصدنه عن ذلك قول الشيطان ومكايده بل المجامله تكلفا كانت
او طبعا تكسر سوره العداوه من الجانبين وتقلل مرغوبها وتعود بها القلوب الى التوالف
والتحاب وبها تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه ادويه الحسد وهي نافعه جدا
ولكن النفع في الدوا المر فمن لم يصبر على مراره الدوا لم ينل حلاوه الشفا وانما تهون مراره الدوا اعني

التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب
الرضا بقضا الله تعالى وحب ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شي على خلاف
مراده وعند ذلك لا يريد ما يكون اذ لا طمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة
ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما ان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون والاول ليس
اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه **واما** الثاني فللمجاهدة فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن
فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدوا الكلي واما الدوا المفصل فهو تتبع اسباب الحسد من الكبر وعزة
النفس وشدة الحرص على ما لا يغني وسياتي تفصيل مداواة هذه الاسباب في مواضعها فانها مواد
هذا المرض ولا ينقمع هذا المرض الا بقمع المادة فان لم تقمع المادة لم يحصل بما ذكرناه الا تسكين
وتطفية ولا يزال يعود مرة بعد اخرى ويطول الجهد في تسكينه مع بقا مواده فانه ما دام محبا
للجاه فلا بد وان يحسد من استاثر بالجاه والمنزلة في قلوب الناس دونه ويغمه ذلك لا محالة وانما
غايته ان يهون الغم على نفسه ولا يظهر بلسانه ويده فاما الخلو عنه راسا فلا يمكنه **بيان
القدر** الواجب في نفي الحسد عن القلب **اعلم** ان المؤذي ممقوت بالطبع ومن اذاك فلا يمكنك الا
ان تبغضه غالبا فاذا تيسرت له نعمة فلا يمكنك الا تكرهه حتى يستوي عندك حسن حال عدوك وسو
حاله بل لا تزال تدرك في النفس بينهما تفرقة ولا يزال الشيطان ينازعك الى الحسد له ولكن ان
قوي ذلك فيك حتى بعثك على اظهار الحسد بقول او فعل بحيث يعرف ذلك من ظاهرك بافعالك
الاختيارية فانت اذن حسود عاص لان الحسد صفة القلب لا صفة الفعل قال
الله تعالى ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا وقال عز وجل ودوا لو تكفرون كما كفروا وقال سبحانه ان
تمسسكم حسنة تسؤهم **اما** الفعل فهو غيبة وكذب وهو عمل صادر عن الحسد وليس هو عين الحسد
بل محل الحسد القلب دون الجوارح نعم هذا الحسد ليس مظلمة يجب الاستحلال منها بل هو معصية بينك وبين الله تعالى وانما يجب الاستحلال من الاسباب الظاهرة
على الجوارح فاما اذا كففت ظاهرك والزمت مع ذلك قلبك كراهة ما يترشح منه بالطبع من حب زوال
النعمة حتى كانك تمقت نفسك على ما في طبعها فتكون تلك الكراهة من جهة العقل في مقابلة الميل من
جهة الطبع فقد اديت الواجب عليك ولا يدخل تحت اختيارك في اغلب الاحوال اكثر من هذا واما تغيير
الطبع حتى يستوي عندك المؤذي والمحسن ويكون فرحك او غمك بما يتيسر لهما من نعمة او تنصب عليهما
من بلية سوا فهذا مما لا يطاوع الطبع عليه ما دام ملتفتا الى حظوظ الدنيا الا ان يصير مستغرقا بحب الله
تعالى مثل السكران الواله فقد ينتهي امره الى ان لا يلتفت قلبه الى تفاصيل احوال العباد بل ينظر الى
الكل بعين واحدة وهو عين الرحمة ويرى الكل عباد الله وافعالهم افعال الله ويراهم مسخرين وذلك ان
كان فهو كالبرق الخاطف لا يدوم ويرجع القلب بعد ذلك الى طبعه ويعود العدو الى منازعته اعني

الشيطان فانه ينازع بالوسوسة مهما قابل ذلك بكراهة الزم قلبه فقد ادى ما كلفه وقد ذهب ذاهبون
الى انه لا ياثم اذا لم يظهر الحسد على جوارحه لما روي عن الحسن رحمه الله انه سئل عن الحسد فقال غمه
فانه لا يضرك ما لم تبده وروي عنه موقوفا ومرفوعا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة في المؤمن له
منهن مخرج ومخرجه من الحسد ان لا يبغي والاولى ان يحمل هذا على ما ذكرناه من ان يكون فيه كراهية من جهة
الدين والعقل في مقابلة حب الطبع لزوال نعمة العدو وتلك الكراهية تمنعه من البغي ومن الايذا فان جميع
ما ورد من الاخبار في ذم الحسد يدل ظاهره على ان كل حاسد آثم والحسد عبارة عن صفة القلب لا عن
الافعال وكل من يحب مساة المسلمين فهو حاسد فاذن كونه آثما بمجرد حسد القلب من غير فعل هو في محل
الاجتهاد والاظهر ما ذكرناه من حيث ظواهر الايات والاخبار ومن حيث المعنى اذ يبعد ان يعفى عن العبد
في ارادته مساة مسلم واشتماله بالقلب عليه من غير كراهة وقد عرفت من هذا ان لك في اعدايك ثلثة
احوال احدها ان تحب مساتهم بطبعك وتكره حبك لذلك وميل قلبك اليه بعقلك وتمقت نفسك عليه
وتود لو كانت لك حيلة في ازالة ذلك الميل منك وهذا معفو عنه قطعا لانه لا يدخل تحت الاختيار اكثر منه
الثانية ان تحب ذلك وتظهر الفرح بمساته اما بلسانك او بجوارحك فهذا هو الحسد المحظور قطعا الثالثة
وهي بين الطرفين ان تحسد بالقلب من غير مقتك لنفسك على حسدك ومن غير انكار منك على قلبك ولكن تحفظ جوارحك
عن طاعة الحسد في مقتضاها وهذا محل الخلاف والظاهر انه لا يخلو عن اثم بقدر قوة ذلك الحب
وضعفه ✿ تم كتاب افة الغضب والحقد والحسد يتلوه كتاب ذم الدنيا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم

كتاب ذم الدنيا

الحمد لله الذي عرف اولياءه غوايل الدنيا وافاتها وكشف لهم عن عيوبها وعوراتها حتى نظروا في شواهدها
واياتها ووزنوا بحسناتها سياتها فعلموا انه يزيد منكرها على معروفها ولا يفي مرجوها بمخوفها مرجوها
ولا يسلم طلوعها عن كسوفها ولكنها في صورة امراة مليحة تستميل الناس بجمالها ولها اسرار
سو قبايح تهلك الناس الراغبين في وصالها ثم هي فرارة عن طلابها شحيحة باقبالها واذا اقبلت
لم يومن شرها ووبالها ان احسنت ساعة اسات سنة وان اسات مرة جعلتها سنة فدوائر
اقبالها على التقارب دايرة وتجارة بنيها خاسرة باية وافاتها على التوالي لصدور طلابها
راشقة ومجاري احوالها بذل طالبيها ناطقة فكل مغتر بها الى الذل مصيره وكل متكبر بها الى
التحسر مسيره شانها الهرب من طالبها والطلب لهاربها من خدمها فاتته ومن اعرض عنها واتته لا يخلو
صفوها عن شوايب الكدورات ولا ينفك سرورها عن المنغصات سلامتها تعقب السقم وشبابها

لا تسوق الا الى الهرم ونعيمها لا يثمر الا الحسره والندم فهي خداعه مكاره طياره فراره لا تزال تتزين
لطلابها حتى اذا صاروا من احبابها كشرت لهم عن انيابها وشوشت عليهم مناظم اسبابها وكشفت لهم
عن مكنون عجايبها فاذاقتهم قواتل سمها ورشقتهم بصوايب سهمها بينما اصحابها منها في سرور وانعام
اذ ولت عنهم كانها اضغاث احلام ثم عكرت عليهم بدواهيها فطحنتهم طحن الحصيد ووارتهم في اكفانهم تحت
الصعيد ان ملكت واحدا جميع ما طلعت عليه الشمس جعلته حصيدا كان لم يغن بالامس تمني اصحابها
سرورا وتعدهم غرورا حتى يا ملون كثيرا ويبنون قصورا فتصبح قصورهم قبورا وجمعهم بورا وسعيهم
هبا منثورا وكان امر الله قدرا مقدورا والصلوه على محمد عبده ورسوله المرسل الى العالمين بشيرا ونذيرا
وعلى كل من آله واصحابه له في الدين ظهيرا وعلى الظالمين نصيرا وسلم كثيرا اما بعد فان الدنيا عدوه
لله عدوه لاوليا الله وعدوه لاعدا الله اما عداوتها لله فانها قطعت الطريق على عباد الله ولذلك لم
ينظر الله تعالى اليها منذ خلقها واما عداوتها لاوليا الله فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها
حتى تجرعوا مرارة الصبر في مقاطعتها واما عداوتها لاعدا الله تعالى فانها استدرجتهم بمكيدتها ومكرها
واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا بها وعولوا عليها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها فاجتنوا منها
حسره تتقطع دونها الاكباد ثم حرمتهم عن السعاده ابد الاباد فهم على فراقها يتحسرون ومن مكايدها
يستغيثون ولا يغاثون بل يقال لهم اخسئوا فيها ولا تكلمون اوليك الذين اشتروا
الحيوه الدنيا بالاخره الايه واذا عظمت غوايل الدنيا وشرورها فلا بد اولا من معرفه الدنيا ما هي وما
الحكم في خلقها مع عداوتها وما مداخل غرورها وشرورها فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ويوشك
ان يقع فيه ونحن نذكر ذم الدنيا وامثلتها وحقيقتها وتفصيل معانيها واصناف الاشغال المتعلقه
بها ووجه الحاجه الى اصولها وسبب انصراف الخلق عن الله تعالى بسبب التشاغل بفضولها ان شا الله
تعالى بيان ذم الدنيا الايات الوارده في ذم الدنيا وامثلتها كثيره واكثر القران مشتمل على ذم الدنيا
وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخره بل هو من مقصود الانبيا عليهم السلام ولم يبعثوا الا الى ذلك
فلا حاجه الى الاستشهاد بايات القران لظهورها وانما نورد بعض الاخبار الوارده فيها فقد روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على شاه ميته فقال اترون هذه الشاه هينه على اهلها
فقالوا نعم والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله عز وجل من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تعدل
عند الله جناح بعوضه ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنه
الكافر وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا ملعونه ملعون ما فيها الا ما كان لله منها وقال ابو موسى
الاشعري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه
فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال صلى الله عليه وسلم الدنيا راس كل خطيه وقال زيد بن ارقم كنا مع

ابي بكر الصديق رضي الله عنه فدعا بشراب فاتي بما وعسل فلما ادناه من فيه بكا وبكا حتى ابكا اصحابه
وسكتوا وما سكت ثم عاد وبكى حتى ظنوا انهم لم يقدروا على مسايلته قالوا ثم مسح عينيه فقالوا
يا خليفه رسول الله ما ابكاك قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته يدفع
عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول الله ما الذي تدفع عن نفسك قال هذه
الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وقال
صلى الله عليه وسلم يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الحيوان وهو يسعى لدار الغرور وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقف على مزبله فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت على تلك المزبله وعظاما
قد نخرت فقال هذه الدنيا وهذا اشاره الى ان زينتها ستخلق مثل تلك وان الاجسام التي ترى بها
ستصير عظاما باليه وقال صلى الله عليه وسلم ان الدنيا خضره حلوه وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف
تعملون ان بني اسرايل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا في الحليه والنسا والطيب والثياب
وقال عيسى صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم الدنيا عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا
يضيعه فان صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الافه وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الافه وقال ايضا
يا معشر الحواريين اني كببت لكم الدنيا على وجهها فلا تنعشوها بعدي فان من خبث الدنيا ان الله تعالى
قد عصي فيها وان من خبث الدنيا ان الاخره لا تدرك الا بتركها الا فاعبروا الدنيا ولا تعمروها واعلموا
ان كل خطيه حب الدنيا ورب شهوه اورثت اهلها حزنا طويلا وقال ايضا بطحت لكم
الدنيا وجلستم على ظهرها فلا ينازعكم فيها الا النسا والملوك اما الملوك فلا تنازعوهم فانهم لن يعرضوا
لكم ما تركتموهم ودنياهم واما النسا فاتقوهن بالصوم والصلوه وقال ايضا الدنيا طالبه ومطلوبه فطالب
الاخره تطلبه الدنيا حتى يستكمل فيها رزقه وطالب الدنيا تطلبه الاخره حتى يجي الموت فياخذ بعنقه
وقال موسى بن يسار قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عز وجل لم يخلق خلقا ابغض اليه
من الدنيا وانه منذ خلقها لم ينظر اليها وروي ان سليمن بن داود عليهما السلام مر في موكبه والطير تظله
والجن والانس عن يمينه وعن يساره قال فمر بعابد من عباد بني اسرايل فقال والله يا بن داود لقد
اتاك الله ملكا عظيما قال فسمع سليمن فقال لتسبيحه في صحيفه مومن خير مما اعطي بن داود فانما اعطي
بن داود يذهب والتسبيحه تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي مالي
وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال صلى الله عليه
وسلم الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي من لا علم عنده
وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح والدنيا
اكبر همه فليس من الله والزم الله قلبه اربع خصال هما لا ينقطع ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا

وفقرا لا يبلغ غناه ابدا وامالا لا يبلغ منتهاه ابدا وقال ابو هريرة قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا ابا هريرة الا اريك الدنيا جميعا بما فيها قلت بلى يا رسول الله فاخذ بيدي واتى بي
واديا من اودية المدينة فاذا مزبلة فيها رؤوس ناس وعذرات وخرق وعظام ثم قال يا ابا هريرة هذه
الرؤوس كانت تحرص حرصكم وتامل امالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم هي صائرة رفاتا وهذه العذرات
الوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبتموها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها
وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم
التي كانوا ينتجعون عليها اطراف البلاد فمن كان باكيا فليبك قال فما برحنا
حتى اشتد بكاؤنا ويروى ان الله عز وجل لما اهبط ادم الى الارض قال ابن للخراب ولد للفنا وقال
داود بن هلال مكتوب في صحف ابرهيم عليه السلام يا دنيا ما اهونك على الابرار الذين تصنعت
وتزينت لهم اني قذفت في قلوبهم بغضك والصدود عنك وما خلقت خلقا اهون علي منك
كل شانك صغير والى الفنا تصير قضيت عليك يوم خلقتك الا تدومي لاحد ولا يدوم احد لك وان
بخل بك صاحبك وشح عليك طوبى للابرار الذين اطلعوني من قلوبهم على الرضا ومن ضميرهم على الصدق
والاستقامة طوبى لهم ما لهم عندي من الجزا اذا وفدوا الي من قبورهم النور يسعى امامهم والملائكة
حافون بهم حتى اللغهم ما يرجون من رحمتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا موقوفة بين السما
والارض منذ خلقها الله تعالى لا ينظر اليها وتقول يوم القيمة يا رب اجعلني لادنى اوليايك نصيبا اليوم
فيقول اسكتي اني لم ارضك لهم في الدنيا الم وروي في اخبار ادم عليه السلام
ان ادم لما اكل من الشجرة تحركت معدته لخروج الثفل ولم يكن ذلك مجعولا في شي من اطعمة الجنة الا في
هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله تعالى ملكا يخاطبه فقال قل له في
اي مكان تضعه اعلى الفرش ام على السرر ام على الانهار ام تحت ظلال الاشجار هل ترى هاهنا موضعا
يصلح لذلك ولكن اهبط الى الارض وقال صلى الله عليه وسلم ليجيئن اقوام يوم القيمة واعمالهم كجبال تهامة
فيؤمر بهم الى النار قالوا يا رسول الله مصلين قال نعم انهم كانوا يصلون ويصومون وياخذون هنية من
الليل فاذا عرض لهم من الدنيا شي وثبوا عليه وقال صلى الله عليه وسلم في بعض خطبه
المومن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه
فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن حيوته لموته ومن شبابه لهرمه فان الدنيا
خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة والذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة
او النار وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم حب الدنيا والاخرة في قلب مومن كما لا يستقيم الما والنار
في انا واحد ويروى ان جبريل قال لنوح عليهما السلام يا اطول الانبيا عمرا كيف وجدت الدنيا قال كدار

لها بابان

لها بابان دخلت من احدهما وخرجت من الاخر وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت بيتا قال يكفينا خلقان
من كان قبلنا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا فانها اسحر من هاروت وماروت وعن الحسن قال
خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم على اصحابه فقال هل منكم من يريد ان يذهب الله عنه العمى
ويجعله بصيرا الا انه من رغب في الدنيا وطال امله فيها اعمى الله تعالى قلبه على قدر ذلك ومن زهد في
الدنيا وقصر امله فيها اعطاه الله تعالى علما بغير تعلم وهدى بغير هداية الا انه سيكون بعدكم قوم
لا يستقيم لهم الملك الا بالقتال والتجبر ولا الغنى الا بالفخر والبخل ولا المحبة الا باتباع الهوى
فمن ادرك ذلك الزمان منكم فصبر للفقر وهو لا يريد بذلك الا وجه الله عز وجل اعطاه الله ثواب
خمسين صديقا وروي ان عيسى عليه السلام اشتد به المطر والرعد والبرق يوما فجعل يطلب شيا يلجا
اليه فرفعت له خيمة من بعيد فاتاها فاذا فيها امراة فحاد عنها فاذا هو بكهف في جبل فاتاه فاذا فيه
اسد فوضع يده عليه وقال الهي لكل شي ماوى ولم تجعل لي ماوى فاوحى الله تعالى اليه
ماواك في مستقر من رحمتي لازوجنك يوم القيمة مائة حوراء خلقتهن بيدي ولاطعمن في عرسك اربعة
الاف عام يوم منها كعمر الدنيا ولامرن مناديا ينادي اين الزهاد في الدنيا زوروا عرس الزاهد عيسى بن
مريم وقال عيسى عليه السلام ويل لصاحب الدنيا كيف يموت ويتركها وما فيها وتغره
ويثق بها وتخذله ويل للمغترين كيف ارتهم ما يكرهون وفارقهم ما يحبون وجاءهم ما
يوعدون وويل لمن الدنيا همه والخطايا عمله كيف يفتضح غدا بذنبه وقيل اوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام
ما لك ولدار الظالمين انها ليست لك بدار اخرج منها همك وفارقها بعقلك فبيست الدار هي الا لعاقل
يعمل فيها فنعمت الدار هي يا موسى اني مرصد للظالم حتى اخذ منه للمظلوم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
بعث ابا عبيدة بن الجراح فجاء بمال من البحرين فسمعت الانصار بقدوم ابي عبيدة بن الجراح فوافوا
صلوة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له فتبسم
رسول الله صلى الله عليه وسلم حين راهم فقال اظنكم سمعتم ان ابا عبيدة قدم بشي قالوا اجل يا رسول الله
قال فابشروا واملوا ما يسركم فوالله ما الفقر اخشى عليكم ولكني اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما
بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما اهلكتهم وقال ابو سعيد
الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اكثر ما اخاف عليكم ما يخرج الله من بركات الارض فقيل ما بركات
الارض قال زهرة الدنيا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تشغلوا قلوبكم بذكر الدنيا فنهى عن ذكرها
فضلا عن اصابة عينها وقال عمار بن سعيد مر عيسى عليه السلام بقرية فاذا اهلها موتى في الافنية
والطرق فقال لهم يا معشر الحواريين ان هولا ماتوا عن سخطة ولو ماتوا عن غيرها لتدافنوا فقالوا
يا روح الله وددنا انا علمنا خبرهم فسال الله فاوحى الله عز وجل اليه اذا كان الليل فنادهم يجيبوك

فلما كان الليل اشرف على نشز ثم نادى يا اهل القرية فاجابه مجيب لبيك يا روح الله فقال ما حالكم وما
قصتكم قالوا بتنا في عافية واصبحنا في الهاوية قال وكيف ذلك قال بحب الدنيا وطاعتنا على المعاصي
قال وكيف كان حبكم للدنيا قال حب الصبي لامه اذا اقبلت فرحنا واذا ادبرت حزنا وبكينا قال فما
بال اصحابك لم يجيبون قال لانهم ملجمون بلجم من نار بايدي ملايكة غلاظ شداد قال فكيف اجبتني انت من
بينهم قال لاني كنت فيهم ولم اكن منهم فلما نزل بهم العذاب اصابني معهم فانا معلق على شفير جهنم لا ادري
انجو منها ام اكبكب فيها قال المسيح للحواريين لاكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبس المسوح والنوم
على المزابل كثير مع عافية الدنيا والاخرة وقال انس كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضبا لا
تسبق فجا اعرابي بناقة له فسبقها فشق ذلك على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انه حق على الله ان لا يرفع شيا من الدنيا الا وضعه وقال عيسى عليه السلام من ذا الذي يبني على
موج البحر دارا تلكم الدنيا فلا تتخذوها قرارا وقيل لعيسى صلى الله عليه وسلم علمنا عملا واحدا يحبنا الله عليه
قال ابغضوا الدنيا يحبكم الله عز وجل وقال ابو الدردا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لبكيتم
كثيرا ولضحكتم قليلا ولهانت عليكم الدنيا ولاثرتم الاخرة ثم قال ابو الدردا من قبل نفسه لو تعلمون ما اعلم
لخرجتم الى الصعدات تبكون على انفسكم ولتركتم اموالكم لا حارس لها ولا راجع اليها الا ما لا بد لكم منه ولكن
يغيب عن قلوبكم ذكر الاخرة وحضرها الامل فصارت الدنيا املك باعمالكم وصرتم كالذين لا يعلمون فبعضكم
شر من البهايم التي لا تدع هواها مخافة مما في عاقبته ما لكم لا تحابون ولا تناصحون وانتم اخوان على
دين ما فرق بين اهوايكم الا خبث سرايركم ولو اجتمعتم على البر لتحاببتم ما لكم تناصحون في امر الدنيا
ولا يملك احدكم النصيحة لمن يحبه ويعينه على امر اخرته ما هذا الا من قلة الايمان في قلوبكم لو كنتم توقنون
بخير الاخرة وشرها كما توقنون بالدنيا لاثرتم طلب الاخرة لانها املك باموركم فان قلتم حب العاجلة غالب
فانا نراكم تدعون العاجل من الدنيا للاجل منها تكدون انفسكم بالمشقة والاحتراف في طلب امر لعلكم لا
تدركوه فبئس القوم انتم ما حققتم ايمانكم بما يعرف به الايمان البالغ فيكم فان كنتم في شك مما جاءكم
به محمد صلى الله عليه وسلم فاتونا فلنبين لكم ولنرينكم من النور ما تطمئن اليه قلوبكم ما لكم تفرحون
باليسير من الدنيا تصيبونه وتحزنون على اليسير منها يفوتكم حتى يتبين ذلك في
وجوهكم ويظهر على السنتكم وتسمونها المصايب وتقيمون فيها الماتم وعامتكم قد تركوا كثيرا
من دينهم ثم لا يتبين ذلك في وجوهكم ولا تتغير حالكم اني لارى الله تعالى قد تبرا منكم يلقى بعضكم
بعضا بالسرور وكلكم يكره ان يستقبل صاحبه بما يكره مخافة ان يستقبله صاحبه بمثله فاصبحتم
على الغل ونبتت مراعيكم على الدمن وتصافيتم على رفض الاجل ولوددت ان الله اراحني منكم
والحقني بمن احب رؤيته ولو كان حيا لم يصابركم فان كان فيكم خير فقد اسمعتكم وان تطلبوا ما عند الله

تجدوه يسيرا والله استعين على نفسي وعليكم قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني
الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه قيل
ارى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما استغنى
الملوك بدنياهم عن الدين وقال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لتاتينكم بعدي دنيا تاكل ايمانكم كما تاكل النار الحطب واوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام ان يا موسى لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه السلام
برجل يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى عليه السلام يا رب عبدك يبكي من مخافتك فقال
يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموع عينيه ورفع يديه حتى يسقطا لم اغفر له وهو يحب الدنيا

الاثار

قال علي رضي الله عنه من جمع ست خصال لم يدع عن الجنة مطلبا ولا عن النار مهربا من عرف الله تعالى فاطاعه
وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الاخرة فطلبها
وقال الحسن رحم الله قوما كانت الدنيا عندهم وديعة فادوها الى من ائتمنهم عليها ثم راحوا
خفافا وقال ايضا من نافسك في دينك فنافسه ومن نافسك في دنياك فالقها في نحره وقال
لقمن لابنه يا بني ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثيرة فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل وحشوها
الايمان بالله تعالى وشراعها التوكل على الله تعالى لعلك ناج وما اراك ناجيا وقال الفضيل طالت فكرتي في
هذه الاية انا جعلنا ما على الارض زينة لها الى قوله صعيدا جرزا وقال بعض الحكما انك لن تصبح في شي من الدنيا
الا وقد كان له اهل قبلك ويكون له اهل بعدك وليس لك من الدنيا الا عشا ليلة وغدا يوم فلا تهلك في اكله نفسك
فصم الدنيا وافطر على الاخرة وان راس مال الدنيا الهوى وربحها النار وقيل لبعض الحكما كيف ترى الدهر قال يخلق
الابدان ويجدد الامال ويقرب المنية ويبعد الامنية قال فما حال اهله قال من ظفر به نصب ومن فاته
نصب وفي ذلك قيل
ومن يحمد الدنيا لعيش يسره فسوف لعمري عن قريب يلومها
اذا ادبرت كانت على المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها
وقال بعض الحكما كانت الدنيا ولم اكن فيها وتذهب
الدنيا ولا اكون فيها فلا اسكن اليها فان عيشها نكد وصفوها كدر واهلها منها على وجل اما بنعمة زايلة او
بلية نازلة او منية قاضية وقال بعضهم من عيب الدنيا انها لا تعطي احدا ما يستحق لكنها
اما ان تزيد واما ان تنقص وقال الشعبي اما ترى النعم كانها مغضوب عليها قد وضعت في غير اهلها وقال
ابو سليمان الداراني من طلب الدنيا على المحبة لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر ومن طلب الاخرة على المحبة
لها لم يعط منها شيا الا اراد اكثر وليس لهذا غاية ولا لهذا نهاية وقال رجل لابي حازم اشكو اليك حب الدنيا
وليست لي بدار فقال انظر ما آتاك الله عز وجل منها فلا تاخذه الا من حله ولا تضعه الا في حقه ولا يضرك
حب الدنيا وانما قال هذا لانه لو اخذ نفسه بذلك لاتعبه حتى يتبرم بها ويطلب الخروج منها وقال يحيى

معاذ الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من حانوته شيا فيجي فياخذك وقال الفضيل لو كانت الدنيا من
ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي ان نختار خزفا يبقى على ذهب يفنى فكيف وقد اخترنا خزفا
يفنى على ذهب يبقى وقال ابو حازم اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما
للدنيا فيقال هذا عظم ما حقره الله وقال بن مسعود رضي الله عنه ما اصبح احد من الناس الذي
الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية مردودة وقد قيل
وما المال والاهلون الا ودايع ولا بد يوما ان ترد الودايع وزار رابعة اصحابها فذكروا الدنيا فاقبلوا
على ذمها فقالت اسكتوا عن ذكرها فلولا موقعها من قلوبكم ما اكثرتم من ذكرها الا من احب شيا اكثر ذكره
وقد قيل لابرهيم بن ادهم كيف انت فقال نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبا لعبد آثر الله ربه وجاد بدنياه لما يتوقع وقال الصباري طالب الدنيا ان طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما
كبان بنى بنيانه فاتمه فلما استوى ما قد بناه تهدما وقيل اصاحب الدنيا تمتع بالبلى عفوا اليسير مصير
ذاك الى انتقال وما دنياك الا مثل فيء اظلك ثم آذن بالزوال وقال الحسن يا ابن آدم بع دنياك بآخرتك
تربحهما جميعا ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعا وقال مطرف بن الشخير لا تنظر الى خفض عيش
الملوك ولين رياشهم ولكن انظر الى سرعة ظعنهم وسوء منقلبهم وقال ابن عباس رضي الله عنه ان الله
عز وجل جعل الدنيا ثلثة اجزاء جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين
والكافر يتمتع وقال بعضهم الدنيا جيفة فمن اراد منها فليصبر على معاشرة الكلاب
وقيل يا خاطب الدنيا الى نفسها تنح عن خطبتها تسلم ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من الماتم
وقال ابو الدرداء من هوان الدنيا على الله انه لا يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وقيل
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق وقيل يا راقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
افنى القرون التي كانت منعمة كر الليالي اقبالا وادبارا يا من يعانق دنيا لا بقاء لها يمسي ويصبح في دنياه سيارا
هلا تركت من الدنيا معانقة حتى تعانق في الفردوس ابكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها فينبغي ان لا تامن النارا
وقال ابو امامة الباهلي لما بعث محمد صلى الله عليه وسلم اتت ابليس جنوده فقالوا قد بعث نبي واخرجت امة
قال يحبون الدنيا قالوا نعم قال لئن كانوا يحبونها ما ابالي ان لا يعبدوا الاوثان وانا اغدو عليهم واروح بثلث
اخذ المال من غير حقه وانفاقه في غير حقه وامساكه عن حقه والشر كله لهذا تبع وقال رجل لعلي رضي
الله عنه يا امير المؤمنين صف لنا الدنيا فقال وما اصف لكم من دار من صح فيها امن ومن سقم فيها ندم ومن
افتقر فيها حزن ومن استغنى فيها فتن في حلالها الحساب وفي حرامها العذاب وقيل له ذلك مرة
فقال اطول ام اقصر فقيل قصر فقال حلالها حساب وحرامها عقاب وقال مالك بن دينار اتقوا
السحارة فانها تسحر قلوب العلماء يعني الدنيا وقال ابو سليمان اذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا

تزحمها فاذا كانت الدنيا في القلب لم تزحمها الآخرة لان الآخرة كريمة والدنيا لئيمة وهذا تشديد عظيم ونرجوا
ان يكون ما ذكره سيار بن الحكم اصح اذ قال الدنيا والآخرة يجتمعان في القلب فايهما غلب كان
الآخر تبعا له وقال مالك بن دينار بقدر ما تحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك وبقدر ما تحزن للآخرة يخرج
هم الدنيا من قلبك وهذا اقتباس مما قاله عيسى عليه السلام الدنيا والآخرة ضرتان بقدر ما ترضي احدا ها
تسخط الاخرى وقال الحسن والله لقد ادركت اقواما كانت الدنيا اهون عليهم من التراب الذي يمشون عليه
ما يبالون اشرقت الدنيا ام غربت اذهبت الى ذا ام ذهبت الى ذا وقال رجل للحسن ما
تقول في رجل اتاه الله مالا فهو يتصدق منه ويصل منه ويحسن فيه اله ان يتعيش فيه يعني التنعم فقال
لو كانت الدنيا كلها له ما كان له منها الا الكفاف ويقدم ذلك ليوم فقره وقال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت
علي حلالا لا احاسب بها في الآخرة لكنت اتقذرها كما يتقذر احدكم الجيفة اذا مر بها ان تصيب ثوبه وقيل قدم
عمر رضي الله عنه الشام فاستقبله ابو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه على ناقة مخطومة بحبل فسلم عليه وساله
ثم اتى منزله فلم ير الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر رضي الله عنهما لو اتخذت متاعا فقال يا امير المؤمنين
ان هذا يبلغنا المقيل وقال سفيان خذ من الدنيا لبدنك ومن الآخرة لقلبك وقال الحسن والله لقد عبدت
بنو اسرائيل الاصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا وقال وهب قرات في بعض الكتب الدنيا غنيمة الاكياس
وغفلة الجهال لم يعرفوها حتى خرجوا منها فسالوا الرجعة فلم يرجعوا وقال لقمن لابنه يا بني انك قد استدبرت
الدنيا من يوم نزلتها واستقبلت الآخرة فانت الى دار تقرب منها اقرب من دار تباعد منها وقال سعيد
بن مسعود اذا رايت العبد تزداد دنياه وتنقص آخرته وهو بذلك راض فهو المغبون الذي يلعب به
ابليس ولا يشعر وقال عمرو بن العاص على المنبر والله ما رايت قوما قط ارغب فيما كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه منكم والله ما مر برسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث الا والذي عليه
اكثر من الذي له وقال الحسن بعد ان تلى قوله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا من قال ذا قالها من خلقها فهو اعلم
بها اياكم وما شغل من الدنيا فان الدنيا كثيرة الاشغال لا يفتح رجل على نفسه باب شغل الا اوشك ذلك
الباب ان يفتح عليه عشرة ابواب وقال ايضا مسكين ابن ادم رضي بدار حلالها حساب وحرامها عذاب
ان اخذه من حله حوسب بنعمته وان اخذه من حرام عذب به ابن ادم يستقل ماله ولا يستقل عمله
يفرح بمصيبته في دينه ويجزع من مصيبته في دنياه وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنهما
سلام عليك اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فاجابه عمر سلام الله عليك كانك بالدنيا
لم تكن وبالآخرة لم تزل وقال الفضيل بن عياض الدخول في الدنيا هين لكن التخلص منها شديد وقال بعضهم
عجبا لمن يعرف ان الموت حق كيف يفرح وعجبا لمن يعرف ان النار حق كيف يضحك وعجبا لمن يرى تقلب الدنيا
باهلها كيف يطمئن اليها وعجبا لمن يعرف ان القدر حق كيف ينصب وقدم على معوية رضي الله عنه

رجل من نجران عمره مائتا سنة فسأله عن الدنيا كيف وجدها فقال سنيات بلاء وسنيات رخاء يوم فيوم
وليلة فليلة يولد ولد ويهلك هالك فلولا المولود باد الخلق ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها قال له
سل ما شئت قال عمر مضى فترده او اجل حضر فتدفعه قال لا املك ذلك قال لا حاجة لي اليك وقال داود
الطائي يا ابن ادم فرحت ببلوغ املك وانما بلغته بانقضاء اجلك ثم سوفت بعملك كان منفعته لغيرك
وقال بشر من سال الله تعالى الدنيا فانما يساله طول الوقوف بين يديه وقال ابو حازم ما في الدنيا شيء
يسرك الا وقد الصق به شيء يسوءك وقال الحسن لا تخرج نفس ابن ادم من الدنيا الا بحسرات ثلث انه لم
يشبع مما جمع ولم يدرك ما امل ولم يحسن الزاد لما قدم وقيل لبعض العباد قد بلغت الغنا قال انما
نال الغنا من اعتق من رق الدنيا وقال ابو سليمن لا يصبر على شهوات الدنيا الا من كان في قلبه ما يشغله
بالاخرة وقال مالك بن دينار اصطلحنا على حب الدنيا فلا يامر بعضنا بعضا ولا ينهى بعضنا بعضا ولا يدعنا
الله على ذلك فليت شعري اي عذاب الله ينزل علينا وقال ابو حازم يسير الدنيا يشغل عن كثير الاخرة وقال الحسن
اهينوا الدنيا فوالله ما هي لاحد باهنا منها لمن اهانها وقال ايضا اذا اراد الله بعبد خيرا اعطاه من
الدنيا عطية ثم يمسك فاذا نفد اعاد عليه واذا هان عليه عبد بسط له بسطا وكان بعضهم يدعو يا ممسك
السما ان تقع على الارض امسك عني الدنيا وقال محمد بن المنكدر ارايت لو ان رجلا صام الدهر لا يفطر
وقام الليل لا ينام وتصدق بماله وجاهد في سبيل الله واجتنب محارم الله غير انه يؤتى به يوم القيمة فيقال
ان هذا عظم في عينه ما صغره الله تعالى وصغر في عينه ما عظمه الله تعالى كيف يكون حاله فمن منا ليس
هكذا الدنيا عنده عظيمة مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا وقال ابو حازم اشتدت مؤونة الدنيا
والاخرة فاما مؤونة الاخرة فانك لا تجد عليها اعوانا واما مؤونة الدنيا فانك لا تضرب بيدك
الى شيء منها الا وجدت فاجرا قد سبقك اليه وقال ابو هريرة الدنيا موقوفة ما بين السما
والارض كالشن البالي تنادي ربها منذ خلقها الى يوم يفنيها يا رب لم تبغضني فيقول لها اسكتي
يا لا شيء اسكتي يا لا شيء وقال عبد الله بن المبارك حب الدنيا والذنوب في القلب قد احتوشته فمتى يصل
الخير اليه وقال وهب بن منبه من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد اخطا الحكمة ومن جعل شهوته تحت
قدميه فرق الشيطان من ظله ومن غلب علمه هواه فهو الغالب وقيل لبشر مات فلان فقال جمع الدنيا
وذهب الى الاخرة ضيع نفسه قيل انه كان يفعل ويفعل وذكروا ابوابا من البر فقال
وما ينفع هذا وهو يجمع الدنيا وقال بعضهم الدنيا تبغض الينا نفسها ونحن نحبها فكيف لو تحببت الينا
وقيل لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل له الاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا دار خراب
واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها وقال الجنيد كان الشافعي من
المريدين الناطقين بلسان الحق في الدنيا وعظ اخا له في الله عز وجل وخوفه بالله تعالى فقال يا اخي

ان الدنيا دحض مزلة ودار مذلة عمرانها الى الخراب صائر وساكنها الى القبور زائر شملها على الفرقة
موقوف وغناها الى الفقر مصروف الاكثار فيها اعسار والاعسار فيها يسار فافزع الى الله وارض
برزق الله لا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك فان عيشك فيء زائل وجدار مائل اكثر من عملك
واقصر من املك وقال ابراهيم بن ادهم لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار في اليقظة فقال
دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك تحبه في النوم والذي لا تحبه في الاخرة لا تحبه
في اليقظة وعن اسمعيل بن عياش قال كان اصحابنا يسمون الدنيا خنزيرة فيقولون اليك عنا يا خنزيرة
فلو وجدوا لها اسما اقبح من هذا لسموها به وقال كعب لتحببن لكم الدنيا حتى تعبدوها واهلها وقال
يحيى بن معاذ من علامات العاقل ثلث من ترك الدنيا قبل ان تتركه وبنى قبره قبل ان يدخله وارضى خالقه
قبل ان يلقاه وقال ايضا الدنيا من شؤمها ان تمنيك بما يلهيك عن طاعة الله عز وجل
فكيف الوقوع فيها وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني بالدنيا عن الدنيا كان كمن يطفي النار بالتبن
وقال بندار اذا رايت ابناء الدنيا يتكلمون في الزهد فاعلم انهم في سخرة الشيطان وقال ايضا من اقبل على
الدنيا احرقته نيرانها يعني الحرص حتى يصير رمادا ومن اقبل على الاخرة صفته نيرانها فصار سبيكة ذهب
ينتفع به ومن اقبل على الله عز وجل احرقته نيران التوحيد فصار جوهرا لا حد لقيمته وقال علي رضي الله
عنه انما الدنيا ستة اشيا مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف المطعومات
العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر واشرف الملبوسات الحرير وهو
نسج دودة واشرف المركوبات الفرس وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال
والله ان المراة لتزين احسن شيء منها ويراد اقبح شيء منها

بيان المواعظ في صفة الدنيا وذمها

قال بعضهم ايها الناس اعملوا على مهل وكونوا من الله عز وجل على وجل ولا تغتروا بالامل ونسيان
الاجل ولا تركنوا الى الدنيا فانها غدارة خداعة قد تزخرفت لكم بغرورها وفتنتكم بامانيها وتزينت لخطابها
فاصبحت كالعروس المجلوة العيون اليها ناظرة والقلوب عليها عاكفة والنفوس لها عاشقة
فكم من عاشق لها قتلت ومطمئن اليها خذلت فانظروا اليها بعين الحقيقة فانها دار كثير بوائقها
وذمها خالقها جديدها يبلى وملكها يفنى وعزيزها يذل وكثيرها يقل ودها يموت وخيرها يفوت
فاستيقظوا من غفلتكم وانتبهوا من رقدتكم قبل ان يقال فلان عليل او مدنف ثقيل فهل الى الدواء من
دليل او هل الى الطبيب من سبيل فيدعى لك الاطبا ولا يرجى لك الشفا ثم يقال
فلان اوصى وماله احصى ثم يقال قد ثقل لسانه فما يكلم اخوانه ولا يعرف جيرانه وعرق عند ذلك
جبينك وتتابع انينك وطمحت جفونك وصدقت ظنونك وتلجلج لسانك وبكى اخوانك وقيل لك
هذا ابنك فلان وهذا اخوك فلان منعت الكلام فلا تنطق ثم حل بك القضا وانتزعت نفسك من

الاعضا ثم عرج بها الى السما فاجتمع عندك اخوانك واحضر اكفانك فغسلوك وكفنوك فانقطع
عوادك واستراح حسادك وانصرف اهلك الى مالك وبقيت مرتهنا باعمالك وقال بعضهم لبعض الملوك
ان احق الناس بذم الدنيا وقلاها من تبسط له منها واعطي حاجته منها لانه يتوقع آفة تعدو على ماله
فتجتاحه او على جميعه فتفرقه او تاتي سلطانه فتهدمه من القواعد او تدب الى جسمه فتسقمه او تفجعه
بشي هو ضنين به من احبابه فالدنيا احق بالذم هي الآخذه ما تعطي الراجعه فيما تهب بينا هي تضحك
صاحبها اذ اضحكت منه غيره اذ ابكت عليه وبينا هي تنبسط كفه بالاعطا اذ بسطتها بالاسترداد تعقد
التاج على راس صاحبها اليوم وتعفره في التراب غدا سوا عليها ذهاب ما ذهب وبقا
ما بقي تجد في الباقي من الذاهب خلفا وترضى بكل من كل بدلا وكتب الحسن البصري الى عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنهما اما بعد فان الدنيا دار ظعن ليست بدار اقامه وانما انزل ادم عليه السلام اليها عقوبه فاحذرها
يا امير المومنين فان الزاد منها تركها والغنى فيها فقرها لها في كل حين قتيل تذل من اعزها وتفقر من جمعها
هي كالسم ياكله من لا يعرفه وهو حتفه فكن فيها كالمداوي جراحته يحتمي قليلا مخافة ما يكره
طويلا ويصبر على شدة الدوا مخافة طول البلا فاحذر هذه الدار الغداره الختاله الخداعه التي قد
تزينت بخدعها وفتنت بغرورها وحليت باملها وتشوفت لخطابها واصبحت كالعروس المجليه فالعيون
اليها ناظره والقلوب عليها والهه والنفوس لها عاشقه وهي لازواجها كلهم قاتله ولا
الباقي بالماضي معتبر ولا الاخر على الاول مزدجر ولا العارف بالله عز وجل حين اخبره عنها مدكر فعاشق
لها قد ظفر منها بحاجته فاغتر وطغى ونسي المعاد وشغل فيها لبه حتى زلت عنها قدمه فعظمت ندامته
وكثرت حسرته واجتمعت عليه سكرات الموت بالمه وحسرات الفوت بغصته ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب
ولم يروح نفسه من التعب فخرج بغير زاد وقدم على غير مهاد فاحذرها يا امير المومنين وكن اسر ما تكون فيها
احذر ما تكون لها فان صاحب الدنيا كلما اطمان منها الى سرور اشخصته الى مكروه السار فيها لاهلها غار والنافع
منها غدا ضار وقد وصل الرخا منها بالبلا وجعل البقا فيها الى فنا سرورها مشوب بالاحزان لا يرجع منها
ما ولى وادبر ولا يدرى ما هو آت فينتظر امانيها كاذبه وآمالها باطله وصفوها كدر وعيشها نكد وابن ادم فيها
على خطر ان عقل ونظر وهو من النعما على خطر ومن البلا على حذر فلو كان الخالق تعالى لم يضرب لها مثلا
ولم يخبر عنها خبرا لكانت الدنيا قد ايقظت النايم ونبهت الغافل فكيف وقد جا من الله تعالى عنها زاجر
وفيها واعظ فما لها عند الله تعالى قدر وما نظر اليها منذ خلقها ولقد عرضت على نبيك صلى الله عليه
وسلم بمفاتيحها وخزاينها لا ينقصه عند الله جناح بعوضه فابى ان يقبلها اذ كره ان يخالف على الله امره
او يحب ما ابغض خالقه او يرفع ما وضع فزواها عن الصالحين اختيارا وبسطها لاعدايه اغترارا افيظن
المغرور فيها المقتدر عليها انه اكرم بها ونسي ما صنع الله عز وجل بمحمد صلى الله عليه وسلم حين شد الحجر

على بطنه ولقد جات الروايه عن الله تعالى انه قال لموسى صلى الله عليه وسلم اذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب
عجلت عقوبته واذا رايت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين فان شيت اقتديت بصاحب الروح
والكلمة عيسى ابن مريم عليه السلام كان يقول ادامي الجوع وشعاري الخوف ولباسي الصوف
وصلوتي في الشتا مشارق الشمس وسراجي القمر ودابتي رجلاي وطعامي وفاكهتي ما انبتت الارض ابيت
وليس لي شي واصبح وليس لي شي وليس على الارض احد اغنى مني وقال ابن وهب لما بعث الله عز وجل موسى
وهرون عليهما السلام الى فرعون فقال لا يروعكما لباسه الذي لبس من الدنيا فان ناصيته بيدي ليس ينطق
ولا يطرف ولا يتنفس الا باذني ولا يعجبكما ما متع به منها فانما هي زهرة الحيوه الدنيا وزينة المترفين
فلو شيت ان ازينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها ان مقدرته تعجز عنها لفعلت ولكني ارغب
بكما عن ذلك فازوي ذلك عنكما وكذلك افعل باوليايي اني لاذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي غنمه عن
مراعي الهلكه واني لاجنبهم سلوتها كما يجنب الراعي الشفيق ابله عن مبارك الغره وما ذلك لهوانهم
علي ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفرا انما يتزين اوليايي بالذل والخشوع والخوف
والتقوى ينبت في قلوبهم فيظهر على اجسادهم فهي ثيابهم التي يلبسون ودثارهم التي يظهرون وضميرهم
الذي يستشعرون ونجاتهم التي بها يفوزون ورجاوهم الذي اياه يا ملون ومجدهم الذي به يفخرون
وسيماهم الذي به يعرفون فاذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل لهم قلبك ولسانك واعلم ان من اخاف لي
وليا فقد بارزني بالمحاربه ثم انا الثاير لهم يوم القيمه وخطب علي رضي الله عنه يوما فقال اعلموا انكم ميتون
ومبعوثون من بعد الموت وموقوفون على اعمالكم ومجزيون بها فلا تغرنكم الحيوه الدنيا فانها بالبلايا
محفوفه وبالفنا معروفه وبالغدر موصوفه وكل ما فيها الى زوال وهي بين اهلها دول وسجال لا تدوم
احوالها ولا يسلم من شرها نزالها بينا اهلها في رخا وسرور اذا هم منها في بلا وغرور واحوال مختلفه
وتارات متصرفه العيش فيها مذموم والرخا فيها لا يدوم وانما اهلها فيها اغراض مستهدفه ترميهم
بسهامها وتقصيهم بحمامها وكل حتفه فيها مقدور وحظه منها موفور واعلموا عباد الله انكم وما انتم
فيه من هذه الدنيا على سبيل من قد مضى ممن كان اطول منكم اعمارا واشد منكم بطشا واعمر ديارا وابعد
اثارا فاصبحت اصواتهم هامدة خامدة من بعد تقلبها واجسادهم باليه وديارهم خاليه واثارهم عافيه
استبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهده الصخور والاحجار المسنده في القبور اللاطيه
الملحده فمحلها مقترب وساكنها مغترب بين اهل عماره موحشين واهل محله متشاغلين لا يستانسون
بالعمران ولا يتواصلون تواصل الجيران والاخوان على ما بينهم من قرب الجوار ودنو الدار وكيف يكون بينهم
تواصل وقد طحنهم بكلكله البلا واكلتهم الجنادل والثرى فاصبحوا بعد الحيوه امواتا وبعد غضارة
العيش رفاتا فجع بهم الاحباب وسكنوا التراب وظعنوا فليس لهم اياب هيهات هيهات كلا انها كلمة هو

قايلها ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون فكان قد صرتم الى ما قد صاروا اليه من البلا والوحده في دار
الثرى وارتهنتم في ذلك المضجع وضمكم ذلك المستودع فكيف بكم لو قد عاينتم الامور وبعثرت القبور
وحصل ما في الصدور واوقفتم للتحصيل بين يدي الملك الجليل وطارت القلوب لاشفاقها من سالف
الذنوب وهتكت عنكم الحجب والاستار وظهرت منكم العيوب والاسرار هنالك تجزى كل نفس بما كسبت
ان الله تعالى يقول ليجزي الذين اساوا بما عملوا الايه وقال سبحانه ووضع الكتاب فترى
المجرمين مشفقين الايه جعلنا الله واياكم عاملين بكتابه ومتبعين لاوليايه حتى يحلنا واياكم دار
المقامه من فضله انه حميد مجيد وقال بعض الحكما الايام سهام والناس اغراض والدهر
يرميك كل يوم بسهامه ويخترمك بلياليه وايامه حتى يستغرق جميع اجزايك فكيف بقا سلامتك مع
وقوع الايام بك وسرعة الليالي في بدنك لو كشف لك عما احدثت الايام فيك من النقص لاستوحشت من
كل يوم ياتي عليك واستثقلت ممر الساعات بك ولكن تدبير الله فوق الاعتبار وبالسلو عن غوايل
الدنيا وجد طعم لذاتها وانها لامر من العلقم اذا اعجبها الحكيم وقد اعيت الواصف بعيوبها بظاهر افعالها وما
تاتي به العجايب اكثر مما يحيط به الواعظ فنستوهب الله رشدا الى الصواب وقال بعض الحكما وقد استوصف الدنيا
وقدر بقايها الدنيا وقتك الذي يرجع اليك فيه طرفك لان ما مضى عنك فقد فاتك ادراكه وما لم يات فلا علم لك
به والدهر يوم مقبل تنعاه ليلته وتطويه ساعته واحداثه تتوالى على الانسان بالتغير والنقصان والدهر
موكل بتشتيت الجماعات وانخرام الشمل وتنقل الدول والامل طويل والعمر قصير والى الله تصير الامور وخطب عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنه فقال ايها الناس انما خلقتم لامر ان كنتم تصدقون به فانتم حمقى وان كنتم
تكذبون به انكم لهلكى ما خلقتم للابد ولكنكم عباد الله من دار الى دار تنقلون عباد الله انكم في دار لكم فيها
من طعامكم غصص ومن شرابكم شرق ولا تصفو لكم نعمه تسرون بها الا بفراق اخرى تكرهون فراقها فاعملوا
لما انتم صايرون اليه وخالدون فيه ثم غلبه البكا ونزل وقال علي رضي الله عنه في خطبته اوصيكم
بتقوى الله والترك للدنيا التاركه لكم وان كنتم لا تحبون تركها المبليه اجسامكم وان كنتم تريدون تجديدها
فانما مثلكم ومثلها كمثل سفر سلكوا طريقا وكانهم قد قطعوه او افضوا الى علم فكانهم بلغوه وكم عسى ان
يجري المجري حتى ينتهي الى الغايه وكم عسى ان يبقى من يدوم في الدنيا وطالب حثيث يطلبه حتى يفارقها فلا
تجزعوا لبوسها وضرايها فانه الى انقطاع ولا تفرحوا بنعمايها فانها الى زوال عجبت لطالب الدنيا والموت
يطلبه ولغافل ليس بمغفول عنه وقال محمد بن الحسن لما علم اهل العقل والعلم والمعرفه والادب ان الله عز وجل
قد اهان الدنيا وانه لم يرضها لاوليايه وانها عنده حقيره قليله وان رسول الله صلى الله عليه وسلم زهد فيها وحذر
اصحابه من فتنتها اكلوا منها قصدا وقدموا فضلا اخذوا منها ما يكفي وتركوا ما يلهي لبسوا من الثياب ما ستر
العوره واكلوا من الطعام ادناه ما سد الجوعه ونظروا الى الدنيا بعين انها فانيه والى الاخره انها باقيه

فتزودوا من الدنيا كزاد الراكب فخربوا الدنيا وعمروا بها الاخره نظروا الى الاخره بقلوبهم فعلموا انهم سينظرون
اليها باعينهم فارتحلوا اليها بقلوبهم كما علموا انهم سيرتحلون اليها بابدانهم صبروا قليلا وتنعموا طويلا وكرهوا
ما كره لهم

بيان صفة الدنيا بالامثله

اعلم ان الدنيا سريعة الفنا قريبة الانقضا تعد بالبقا
ثم تخلف في الوفا تنظر اليها فتراها ساكنة مستقرة وهي سايرة سيرا عنيفا ومرتحلة ارتحالا سريعا ولكن
الناظر اليها قد لا يحس بحركتها فيطمين اليها وانما يحس عند انقضايها ومثالها الظل فانه متحرك ساكن
متحرك في الحقيقه ساكن في الظاهر لا تدرك حركتها بالبصر الظاهر بل بالبصيرة الباطنه ولما ذكرت
الدنيا عند الحسن البصري انشد وقال: احلام نوم او كظل زايل ... ان اللبيب بمثله لا يخدع. وكان الحسن بن
علي يتمثل ويقول يا اهل لذات دنيا لا بقا لها ... ان اغترارا بظل زايل حمق. وكان يرى انه من قوله ويقال
نزل اعرابي بقوم فقدموا اليه طعاما فاكل ثم قام الى ظل خيمة لهم فنام هناك فاقتلعوا الخيمه فاصابته
الشمس فانتبه وقام وهو يقول الا انما الدنيا كظل بنيته ... ولا بد يوما ان ظلك زايل. ولذلك قيل
وان امرا دنياه اكبر همه لمستمسك منها بحبل غرور ومن امثال الدنيا من حيث التغرير بخيالاتها ثم الافلاس
منها بعد افلاتها انها تشبه خيالات المنام واضغاث الاحلام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الدنيا حلم واهلها عليها مجازون ومعاقبون وقال يونس بن عبيد ما شبهت نفسي في الدنيا الا كرجل نام
فراى في منامه ما يكره وما يحب فبينا هو كذلك اذا انتبه فكذلك الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس
بايديهم شي مما ركنوا اليه وفرحوا به وقيل لحكيم اي شي اشبه بالدنيا قال احلام النايم **مثال** اخر
للدنيا في عداوتها لاهلها واهلاكها بنيها اعلم ان طبع الدنيا التلطف في الاستدراج اولا والتوصل الى الاهلاك
اخرا وهي كامراة تتزين للخطاب حتى اذا نكحتهم ذبحتهم فقد روي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فراها
في صورة عجوز شمطا عليها من كل زينه فقال لها كم تزوجت قالت لا احصيهم قال فكلهم مات عنك او كلهم
طلقك قالت بل كلهم قتلت فقال عيسى عليه السلام بوسا لازواجك الباقين كيف لا
يعتبرون بازواجك الماضين كيف تهلكينهم واحدا واحدا ولا يكونون منك على حذر **مثال** اخر
للدنيا في مخالفة ظاهرها لباطنها اعلم ان الدنيا مزينة الظواهر قبيحة السراير وهي تشبه عجوزا متزينه
تخدع الناس بظاهرها فاذا وقفوا على باطنها وكشفوا القناع عن وجهها تبين لهم قبايحها فندموا
على اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها قال العلا بن زياد رايت في النوم عجوزا
كبيره متغضنة الجلد عليها من كل زينة الدنيا والناس عكوف عليها متعجبون ينظرون اليها فجيت فنظرت
وتعجبت من نظرهم اليها واقبالهم عليها فقلت لها ويلك من انت قالت اما تعرفني قلت لا ما ادري من
انت قالت اما تعرفني قلت لا ما ادري من انت قالت اني انا الدنيا فقلت اعوذ بالله من شرك قالت فان
احببت ان تعاذ من شري فابغض الدراهم وقال ابو بكر بن عياش رايت الدنيا في النوم عجوزا مشوهه

شمطا تصفق بيديها وخلفها خلق يتبعونها يصفقون ويرقصون فلما كانت بحذائي اقبلت الي فقالت لو
ظفرت بك لصنعت بك ما صنعت بهؤلاء ثم بكا ابو بكر وقال رايت هذا قبل ان اقدم الى بغداد وقال الفضيل
بن عياض قال ابن عباس يؤتى بالدنيا يوم القيمة في صورة عجوز شمطاء زرقا انيابها بادية مشوه خلقها
فتشرف على الخلايق فيقال تعرفون هذه فيقولون نعوذ بالله من معرفة هذه فيقال هذه الدنيا
التي تناحرتم عليها بها تقاطعتم الارحام وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم ثم تقذف في جهنم فتنادي
اي رب اين اتباعي واشياعي فيقول الله عز وجل الحقوا بها اتباعها واشياعها وقال الفضيل بلغني ان رجلا عرج بروحه
فاذا امراة على قارعة الطريق عليها من كل زينة الحلي والثياب واذا لا يمر بها احد الا
جرحته فاذا هي ادبرت كانت احسن شي راها الناس واذا اقبلت راها الناس عجوز شمطاء زرقاء عمشاء
قال فقلت اعوذ بالله منك قالت لا والله لا يعيذك الله مني حتى تبغض الدراهم قال فقلت من
انت قالت انا الدنيا **مثال** اخر للدنيا وعبور الانسان لها اعلم ان الاحوال ثلثه حالة لم يكن فيها
شيا وهي ما قبل وجودك الى الازل وحالة لا يكون فيها مشاهد الدنيا وهي ما بعد موتك الى الابد وحالة
متوسطة بين الابد والازل وهي ايام حياتك في الدنيا فانظر الى مقدار طولها وانسبه الى طرفي الازل والابد
حتى تعلم انه اقل من منزل قصير في سفر طويل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم مالي وللدنيا انما مثلي ومثل الدنيا
كمثل راكب سار في يوم صايف فرفعت له شجرة فقال في ظلها ثم راح ومن راى الدنيا بهذه العين لم يركن الى
الدنيا ولم يبال كيف انقضت ايامه في ضر وضيق او في سعة ورفاهية بل لا يبني لبنة على لبنة توفي
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما وضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وراى بعض الصحابة وهو يبني بيتا
من جص فقال ارى الامر اعجل من هذا وانكر ذلك واليه اشار عيسى عليه السلام حيث قال
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فان الحيوة الدنيا معبر الى الاخرة والمهد هو الميل
الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الثاني وبينهما مسافة محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة
ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان
فلا بد من العبور فالبنا على القنطرة وتزيينها باصناف الزينة وانت عابر عليها غاية الجهل والخذلان
مثال اخر للدنيا في لين ماخذها وخشونة مصدرها اعلم ان اوايل امور الدنيا تبدو ساهلة
لينة يظن الخايض فيها ان حلاوة حظها كحلاوة الخوض فيها وهيهات فالخوض في الدنيا سهل والخروج
منها مع السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي مثالها فقال مثل الدنيا مثل الحية
لين مسها ويقتل سمها فاعرض عما يعجبك لقلة ما يصحبك وضع عنك همومها لما ايقنت من فراقها
وكن اسر ما تكون فيها احذر ما تكون لها فان صاحبها كلما اطمان منها الى سرور اشخصه عنه مكروه والسلام
مثال اخر للدنيا في تعذر الخلاص من تباعتها بعد الخوض فيها قال النبي صلى الله عليه وسلم

انما مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي على الماء ان لا تبتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون
في نعيم الدنيا بابدانهم وقلوبهم منها مطهرة وعلايقها عن بواطنهم منقطعة وذلك مكيدة من الشيطان
بل لو اخرجوا مما هم فيه لكانوا اعظم المتفجعين بفراقها فكما ان المشي في الماء يقتضي بللا لا محالة يلتصق
بالقدم فكذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة وظلمة في القلب بل علاقة القلب مع الدنيا تمنع حلاوة العبادة
قال عيسى عليه السلام بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت
كما ينظر المريض الى الطعام فلا يلتذ من شدة الوجع كذلك صاحب الدنيا لا يلتذ بالعبادة ولا يجد حلاوتها
مع ما يجد من حب الدنيا بحق اقول لكم ان الدابة اذا لم تركب وتمتهن تصعبت وتغير خلقها كذلك
القلوب اذا لم ترقق بذكر الموت ونصب العبادة تقسو وتغلظ بحق اقول لكم ان الزقاق ما لم تنخرق
او تقحل يوشك ان يكون وعا للعسل فكذلك القلوب ما لم تخرقها الشهوات او يدنسها
الطمع او يقسيها النعيم يوشك ان يكون اوعية للحكمة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما بقي من الدنيا
بلا وفتنه وانما مثل عمل احدكم كمثل الوعا اذا طاب اعلاه طاب اسفله واذا خبث اعلاه خبث اسفله **مثال** اخر
لما بقي من الدنيا وقلته بالاضافة الى ما سبق قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل
ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا بخيط في اخره فيوشك ذلك ان ينقطع مثال اخر لتاديه
علايق الدنيا بعضها الى بعض حتى الهلاك قال عيسى عليه السلام مثل طالب الدنيا مثل شارب ما البحر كلما
ازداد شربا ازداد عطشا حتى يقتله **مثال** اخر لمخالفة اخر الدنيا لاولها ولنضارة اوايلها وخبث عواقبها
اعلم ان شهوات الدنيا في القلب لذيذة كشهوات الاطعمة في المعدة وسيجد العبد لشهوات الدنيا في قلبه
من الكراهة والنتن والقبح ما تجده للاطعمة اللذيذة اذا بلغت في المعدة غايتها وكما ان الطعام كلما
كان الطعام اكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى
والذ واقوى فنتنها وكراهتها والتاذي بها عند الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهد فان من نهبت داره
واخذ اهله وولده فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته فيه وحبه له وحرصه عليه
فكلما كان عند الوجود اشهى عنده والذ فهو عند الفقد ادهى وامر ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا
فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للضحاك بن سفيان الكلابي الست تؤتى بطعامك
وقد ملح وقزح ثم تشرب عليه اللبن والما قال بلى قال فالى ما يصير قال الى ما قد علمت يا رسول الله قال
فان الله عز وجل ضرب مثل الدنيا بما يصير اليه طعام ابن ادم وقال ابي بن كعب قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدنيا ضربت مثلا لابن ادم فانظر ما يخرج من ابن ادم وان قزحه وملحه
الى ما يصير وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت الدنيا لطعام ابن ادم مثلا وضرب مطعم ابن ادم للدنيا
مثلا وان قزحه وملحه قال الحسن قد رايتهم يطيبونه بالافاويه والطيب ثم يرمون به حيث رايتم

وقد قال الله عز وجل فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس الى رجيعه وقال رجل لابن عمر رضي الله
عنه اني اريد ان اسألك واستحيي قال فلا تستحي وسل قال اذا قضى احدنا حاجته فقام
ينظر الى ذلك منه قال نعم ان الملك يقول له انظر هذا ما بخلت به انظر الى ما ذا صار وكان بشر بن كعب
يقول انطلقوا حتى اريكم الدنيا فيذهب بهم الى مزبلة فيقول انظروا الى ثمارهم وعسلهم وسمنهم
ودجاجهم **مثال** اخر في نسبة الدنيا الى الاخرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة
الا كمثل ما يجعل احدكم اصبعه في اليم فلينظر بما يرجع اليه مثال اخر للدنيا واهلها في اشتغالهم بنعيم
الدنيا وغفلتهم عن الاخرة وخسرانهم العظيمة بسببها اعلم ان اهل الدنيا في غفلتهم مثل قوم ركبوا سفينة
فانتهت بهم الى جزيرة فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام وخوفهم مقام السفينة
واستعجالها فتفرقوا في نواحي الجزيرة فقضى بعضهم الحاجة وبادر الى السفينة فصادف المكان خاليا
فاخذ اوسع الاماكن والينها واوفقها لمراده وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر الى ازهارها وانوارها
العجيبة وغياضها الملتفة ونغمات طيورها الطيبة والحانها الموزونة الغريبة وصار يلحظ من تربة
احجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الالوان والاشكال الحسنة المنظر العجيبة النقوش السالبة
اعين الناظرين بحسن زبرجدها وعجايب صورها ثم تنبه لخطر فوات السفينة فرجع اليها فلم يصادف
الا مكانا ضيقا حرجا فاستقر فيه وبعضهم اكب على تلك الاصداف والاحجار واعجبه حسنها
ولم تسمح نفسه باهمالها فاستصحب منها حمله فلم يجد في السفينة الا مكانا ضيقا وزادته الحجارة ضيقا
وصار ثقلا عليه ووبالا فندم على اخذه ولم يقدر على رميه ولم يجد مكانا لوضعه فحمله في السفينة على عنقه
وهو متاسف على اخذه وليس ينفعه التاسف وبعضهم تولج الغياض ونسي المركب وبعد في متفرجه
ومتنزهه حتى لم يبلغه نداء الملاح لاشتغاله باكل تلك الثمار والتشمم لتلك الانوار والتفرج بين تلك
الاشجار وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع وغير خال من السقطات والنكبات ولا ينفك
عن شوك يتشبث بثيابه ويهتك عورته ويمنعه عن الانصراف لو اراده فلما بلغهم نداء السفينة انصرف
بعضهم مثقلا بما معه ولم يجد في المركب موضعا فبقي على الشط حتى مات جوعا وبعضهم لم يبلغهم النداء وسارت
السفينة فمنهم من افترسته السباع ومنهم من تاه على وجهه حتى هلك ومنهم من مات في الاوحال ومنهم من
نهشته الحيات وتفرقوا كالجيف المنتنة واما من وصل الى المركب بثقل ما اخذه من الاحجار المزهرة
فقد استرقته وشغله الحزن بحفظه والخوف من فوته وقد ضيقت عليه مكانه فلم يلبث ان ذبلت
تلك الازهار وكمدت الوان الاحجار فظهر نتن رايحتها فصار مع عفونته مضيقا عليه مؤذيا بنتنه
ووحشته فلم يجد حيلة الا ان القاها في البحر هربا منها وقد اثر فيه ما اكل منها فلم ينته الى الوطن
الا بعد ان ظهر عليه من الاسقام بتلك الروايح فلم يبلغ الا سقيما مدبرا ومن رجع قريبا ما فاته الا سعة

المحل فتاذى بضيق المكان مدة ولكن لما وصل الى الوطن استراح ومن رجع اولا وجد المكان الاوسع
ووصل الى الوطن سالما فهذا مثال اصناف اهل الدنيا في اشتغالهم بحظوظهم العاجلة ونسيانهم موردهم
ومصدرهم وغفلتهم عن عاقبة امرهم وما اقبح من يزعم انه بصير عاقل ان تغره حجارة الارض وهي الذهب
والفضة وهشيم النبات وهي زينة الدنيا وشيء منه لا يصحبه عند الموت بل يصير كلا ووبالا عليه وهو في الحال
شاغل له بالحزن والخوف عليه وهذه حال الخلق كلهم الا من عصمه الله تعالى **مثال** اخر لاغترار
الخلق بالدنيا وضعف ايمانهم ثم يقول الله تعالى في نحو زجرهم اياها بغوايل الدنيا قال الحسن بلغني ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لاصحابه انما مثلي ومثلكم ومثل الدنيا كمثل قوم سلكوا مفازة غبراء حتى لم يدروا ما سلكوا منها
اكثر او ما بقي انفذوا الزاد وحسروا الظهر وبقوا بين ظهراني المفازة لا زاد ولا حمولة فايقنوا
بالهلكة فبينما هم كذلك اذ خرج عليهم رجل في حلة يقطر راسه ماء فقالوا ان هذا قريب عهد بريف وما جاءكم
هذا الا من قريب فلما انتهى اليهم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال على ما انتم قالوا على ما ترى قال
ارايتم ان هديتكم الى ماء رواء ورياض خضر ما تعملون قالوا لا نعصيك شيئا قال عهودكم
ومواثيقكم بالله فاعطوه عهودهم ومواثيقهم بالله لا يعصونه شيئا قال فاوردهم ماء رواء ورياضا خضرا
فمكث فيهم ما شاء الله ثم قال يا هؤلاء قالوا يا هذا قال الرحيل قالوا الى اين قال الى ماء ليس كمائكم
والى رياض ليست كرياضكم فقال اكثرهم والله ما وجدنا هذا حتى ظننا انا لن نجده وما نصنع بعيش خير من
هذا قال وقالت طايفة وهم اقلهم الم تعطوا هذا الرجل عهودكم ومواثيقكم بالله ان لا تعصوه شيئا وقد
صدقكم في اول حديثه فوالله ليصدقنكم في اخره فراح فيمن اتبعه وتخلف بقيتهم فبدرهم عدو فاصبحوا
من بين قتيل واسير **مثال** اخر لتنعم الناس بالدنيا ثم تفجعهم على فراقها اعلم ان مثل الناس فيما
[illegible] الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها وهو يدعو الى داره قوما على الترتيب واحدا بعد واحد
فدخل واحد داره فقدم اليه طبق ذهب عليه بخور ورياحين ليشمه ويتركه لمن يلحقه لا ليتملكه
ويأخذه فجهل رسمه فظن انه قد وهب ذلك منه فتعلق به قلبه لما ظن انه له فلما استرجع منه ضجر
وتفجع ومن كان عالما برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلب وانشراح صدر فكذلك من عرف
سنة الله تعالى في الدنيا علم انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها
وينتفعوا بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم مصيبتهم
عند فراقها فهذه امثلة الدنيا وافاتها وغوايلها **بيان حقيقة الدنيا وماهيتها في حق
العبد** اعلم ان معرفة ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان يجتنب
منها وما الذي لا يجتنب فلا بد ان نبين الدنيا المذمومة المامور باجتنابها لكونها عدوة قاطعة
لطريق الله تعالى ما هي فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوال قلبك فالقريب الداني

منها يسمى دنيا وهي كل ما قبل الموت والمتراخي يسمى آخره وهي ما بعد الموت فكل ما لك فيه حظ
وغرض ونصيب وشهوه ولذه في عاجل الحال قبل الوفاه فهي الدنيا في حقك الا ان جميع ما لك اليه
ميل وفيه نصيب وحظ فليس بمذموم بل هي ثلثه اقسام القسم الاول ما يصحبك في الاخره وتبقى معك
ثمرته بعد الموت وهما شيان العلم والعمل اعني بالعلم العلم بالله عز وجل وصفاته وافعاله وملايكته
وكتبه ورسله وملكوت ارضه وسمائه والعلم بشريعة نبيه صلى الله عليه وسلم واعني بالعمل العباده
الخالصه لوجه الله تعالى وقد يانس العالم بالعلم حتى يصير ذلك الذ الاشيا عنده فيهجر النوم والمنكح
والمطعم في لذته لانها اشهى عنده من جميعها فقد صار حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا الدنيا
المذمومة لم نعد هذا من الدنيا اصلا بل قلنا انه من الاخره وكذلك العابد قد يانس بعبادة الله عز وجل
فيستلذها بحيث لو منع عنها لكان ذلك اعظم العقوبات عليه حتى قال بعضهم
ما اخاف من الموت الا من حيث يحول بيني وبين قيام الليل وكان اخر يقول اللهم ارزقني قوه الصلوة
والركوع والسجود في القبر فهذه قد صارت الصلوة من حظوظه العاجله وكل حظ عاجل فاسم الدنيا
ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا المذمومه ذلك وقد قال صلى الله
عليه وسلم حبب الي من دنياكم ثلث الطيب والنسا وجعلت قرة عيني في الصلوه فجعل الصلوه من جمله
ملاذ الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهده فهو من عالم الشهاده وهو من الدنيا والتلذذ
بتحريك الجوارح بالسجود والركوع انما يكون في الدنيا فلذلك اضافها الى الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا
نتعرض الا الدنيا المذمومه فنقول هذه ليست من الدنيا القسم الثاني وهو المقابل له على الطرف الاقصى كل ما
فيه حظ عاجل ولا ثمره له في الاخره اصلا كالتلذذ بالمعاصي كلها والتنعم بالمباحات الزايده على قدر
الضرورات والحاجات الداخله في جمله الرفاهيه والرعونات كالتنعم بالقناطير المقنطرة من الذهب والفضه
والخيل المسومه والحرث والغلمان والجواري والخيول والمواشي والدور والقصور ورفيع الثياب ولذيذ
الاطعمه فحظ العبد من هذا كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجه نظر طويل اذ
روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه استعمل ابا الدردا على حمص فاتخذ كنيفا انفق عليه درهمين
فكتب اليه من عمر بن الخطاب امير المومنين الى عويمر قد كان لك في بنا فارس والروم ما تكتفي به عن عمران
الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فقد سيرتك انت واهلك الى دمشق فلم يزل بها
حتى مات فهذا راه فضولا من الدنيا فتامل فيه القسم الثالث وهو متوسط بين الطرفين كل حظ في العاجل
معين على اعمال الاخرة كالقوت من الطعام وكالقميص الخشن الواحد وكل ما لا بد منه لتتاتى للانسان
البقا والصحه التي بها يتوصل الى العلم والعمل فهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين على القسم الاول
ووسيله اليه فمهما تناوله العبد على قصد الاستعانه به على العلم والعمل لم يكن متناولا للدنيا

ولم يصر به من ابنا الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانه على التقوى التحق بالقسم الثاني
وصار من جمله الدنيا ولا يبقى مع العبد عند الموت الا ثلث صفات صفا القلب اعني طهارته عن
ادناس الدنيا وانسه بذكر الله تعالى وحبه لله عز وجل وصفا القلب وطهارته لا تحصل الا بالكف عن
شهوات الدنيا والانس لا يحصل الا بذكر الله تعالى والمواظبة عليه والحب لا يحصل الا بالمعرفة ولا تحصل
معرفه الله تعالى الا بدوام الفكر وهذه الصفات الثلث هي المنجيات المسعدات بعد الموت وهي الباقيات الصالحات
اما طهارة القلب عن شهوات الدنيا فهي من المنجيات اذ يكون جنة بين العبد وبين عذاب الله كما ورد في
الخبر ان اعمال العبد تناضل عنه فاذا جا العذاب من قبل رجليه جا قيام الليل يدفع عنه واذا جا من جهه
يديه جات الصدقه تدفع عنه الحديث واما الانس والحب فهما من المسعدات وهما موصلان العبد
الى لذة اللقا والمشاهدة وهذه السعادة تتعجل عقيب الموت الى ان يدخل اوان الرويه في الجنه فيصير القبر
روضه من رياض الجنه وكيف لا يكون القبر عليه روضة ولم يكن له الا محبوب واحد وكانت العوايق تعوقه عن
الانس بدوام ذكره ومطالعة جماله فارتفعت العوايق وافلت من السجن وخلي بينه وبين محبوبه فقدم
عليه مسرورا سليما من الموانع امنا من الفراق وكيف لا يكون محب الدنيا معذبا عند الموت ولم يكن له
محبوب الا في الدنيا وقد غصب منه وحيل بينه وبينه وسدت عليه طريق الحيلة في الرجوع اليه فما حال
من له واحد يوخذ منه ذلك الواحد وليس الموت عدما انما هو فراق لمحاب الدنيا وقدوم على الله تعالى
فاذن سالك طريق الاخره هو المواظب على اسباب هذه الصفات الثلث وهي الذكر والفكر والعمل الذي
يفطمه عن شهوات الدنيا ويبغض اليه ملاذها ويقطعه عنها وكل ذلك لا يمكن الا بصحه البدن
وصحة البدن لا تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج كل واحد الى اسباب فالقدر الذي لا
بد منه من هذه الثلاث اذا اخذه العبد من الدنيا للاخره لم يكن من ابنا الدنيا وكانت الدنيا في حقه
مزرعه الاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابنا الدنيا والراغبين في حظوظها
الا ان الرغبه في حظوظ الدنيا تنقسم الى ما يعرض صاحبه لعذاب الاخره ويسمى ذلك حراما والى ما
يحول بينه وبين الدرجات العلى ويعرضه لطول الحساب ويسمى ذلك حلالا والبصير يعلم ان طول الموقف
في عرصات القيامه لاجل الحساب ايضا عذاب فمن نوقش الحساب عذب اذ قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حلالها حساب وحرامها عذاب وقد قال ايضا حلالها عذاب الا انه اخف من عذاب
الحرام بل لو لم يكن الحساب لكان ما يفوت من الدرجات العلى في الجنه وما يرد على القلب من
التحسر على تفويتها بحظوظ حقيرة خسيسه لا بقا لها هو ايضا عذاب وقس به حالك
في الدنيا اذا نظرت الى اقرانك وقد سبقوك بسعادات دنيويه كيف يتقطع قلبك عليه
حسرة مع علمك بانها سعادة منصرمه لا بقا لها ومنغصة بكدورات لا صفا لها فما حالك

في جنات شعادة لا يحيط الوصف بعظمها وينقطع الوهم دون غايتها فكل من تنعم في الدنيا
ولو بسماع صوت من طاير او بالنظر الى خضرة او شربة ماء بارد فانه ينقص من حظه في الاخرة
اضعافه وهو المعنى بقوله صلى الله عليه وسلم لعمر رضي الله عنه هذا من النعيم الذي تسئل عنه
اشارة الى الماء البارد والتعرض لجواب السوال فيه ذل وخوف وخطر ومشقة وانتظار وكل ذلك
من نقصان الحظ ولذلك قال عمر رضي الله عنه اعزلوا عني حسابها حيث كان به عطش
فعرض عليه ماء بارد بعسل فادار في كفه ثم امتنع عن شربه فالدنيا قليلها وكثيرها حرامها
وحلالها ملعونة الا ما اعان على تقوى الله تعالى فان ذلك القدر ليس من الدنيا وكل من كانت
معرفته اقوى واتقن كان حذره من نعيم الدنيا اشد حتى ان عيسى عليه السلام وضع راسه على حجر
لما نام ثم رمى به اذ تمثل له ابليس وقال رغبت في الدنيا وحتى ان سليمن عليه السلام في ملكه كان
يطعم الناس لذيذ الطعام وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك على نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة
فان الصبر عن لذيذ الطعام مع وجوده اشد ولهذا زوى الله تعالى الدنيا عن نبينا صلى الله عليه وسلم فكان
يطوي اياما وكان يشد الحجر على بطنه من الجوع ولهذا سلط الله تعالى البلايا والمحن على الانبيا
عليهم السلام والاوليا ثم الامثل فالامثل وكل ذلك نظرا لهم وامتنانا عليهم ليتوفر من الاخرة حظهم
كما يمنع الوالد المشفق ولده لذة الفواكه ويلزمه الم الفصد والحجامة شفقا عليه وحبا له لا بخلا
عليه وقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله فهو للدنيا وما هو لله فليس ذلك من الدنيا فان قلت فما الذي
هو لله فاقول الاشيا ثلثة اقسام منها ما لا يتصور ان يكون لله تعالى وهو الذي يعبر عنه بالمعاصي
والمحظورات وانواع التنعمات في المباحات وهي الدنيا المحض المذمومة فهي الدنيا صورة ومعنى
ومنها ما صورته لله عز وجل ويمكن ان يجعل لغير الله وهي ثلثة الفكر والذكر والكف عن الشهوات
فان هذه الثلث اذا جرت سرا ولم يكن عليه باعث سوى امر الله تعالى واليوم الاخر فهي لله تعالى
وليست من الدنيا وان كان الغرض من الفكر طلب العلم للتشرف به وطلب القبول بين الخلق باظهار
المعرفة او كان الغرض من ترك الشهوة حفظ المال او الحمية لصحة البدن او الاشتهار
بالزهد فقد صار هذا من الدنيا بالمعنى وان كان يظن بصورتها انها لله تعالى ومنها ما صورتها
لحظ النفس ويمكن ان يجعل معناها لله وذلك كالاكل والنكاح وكل ما يرتبط به بقاوه
وبقاء ولده فان كان القصد حظ النفس فهو من الدنيا وان كان القصد الاستعانة على التقوى
فهو لله تعالى بمعناه وان كانت صورته صورة الدنيا قال النبي صلى الله عليه وسلم
من طلب الدنيا حلالا مكاثرا لقي الله وهو عليه غضبان ومن طلبها استعفافا عن المسالة
وصيانة لنفسه جا يوم القيمة ووجهه كالقمر ليلة البدر فانظر كيف اختلف بالقصد فاذن الدنيا

حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوى واليه الاشارة بقوله تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي الماوى ومجامع الهوى خمسة امور وهي ما جمعه الله تعالى
في قوله انما الحيوة الدنيا لعب ولهو الاية والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها
قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النسا الى قوله ذلك متاع الحيوة الدنيا وقد عرفت ان
كل ما هو لله فليس من الدنيا وقدر ضرورة القوت وما لا بد منه من مسكن وملبس هو لله تعالى
ان قصد به وجه الله والاستكثار منه تنعم وهو لغير الله وبين التنعم والضرورة درجة يعبر عنها
بالحاجة ولها طرفان وواسطة وطرف يقرب من حد الضرورة فلا يضر فان الاقتصار على حد الضرورة
لا يمكن وطرف يزاحم جانب التنعم ويقرب منه وينبغي ان يحذر وبينهما وسايط متشابهة ومن
حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه والحزم في الحذر والتقوى والتقرب من حد الضرورة ما امكن
اقتدا بالانبيا والاوليا اذ كانوا يردون انفسهم الى حد الضرورة حتى ان اويسا القرني كان يظن
اهله انه مجنون لشدة تضييقه على نفسه فبنوا له بيتا على باب دارهم فكان ياتي
عليه السنة والسنتان والثلث لا يرون له وجها وكان يخرج الى الاذان وياتي الى منزله بعد — المسجد اي
العشا الاخرة وكان طعامه ان يلتقط النوى فكلما اصاب الحشف خباه لافطاره فان اصاب ما يقوته
من الحشف تصدق بالنوى وان لم يصب ما يقوته من الحشف باع النوى واشترى ما يقوته
وكان لباسه مما يلتقط من المزابل فيلتقط قطع الاكسية فيغسلها في الفرات ويلفق بعضها الى — يلتقط
بعض ثم يلبسها فكان ذلك لباسه فكان ربما مر بالصبيان فيرجمونه ويظنون انه مجنون فيقول
لهم يا اخوتاه ان كنتم ترجموني فارموني باحجار صغار فاني اخاف ان ترجموني فتخضبوا الصلوة — تدموني
ولا اصيب الما فهكذا كانت سيرته ولهذا اعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم امره فقال اني لاجد نفس
الرحمن من جانب اليمن اشارة اليه ولما ولي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال
يا ايها الناس من كان منكم من اهل العراق فليقم قال فقاموا فقال اجلسوا الا من كان من اهل الكوفة فجلسوا
فقام جماعة فقال الا اجلسوا الا من كان من مراد فجلسوا الا من كان من قرن فجلسوا كلهم الا رجل — وبقي جماعة — الا اجلس
واحد فقال له عمر رضي الله عنه اقرني انت فقال نعم فقال اتعرف اويس بن
عامر القرني فوصف له فقال نعم وما تسل عن ذلك يا امير المومنين والله ما فينا احمق منه ولا اجن
منه ولا احوج منه ولا ادنى منه فبكى عمر ثم قال ما قلت الا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه — الدعوات
وسلم يقول يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر فقال هرم بن حيان لما سمعت هذا القول
من عمر بن الخطاب رضي الله عنه قدمت الكوفة فلم يكن لي هم الا ان اطلب اويسا القرني واسال عنه — ابدا
حتى سقطت عليه جالسا على شاطي الفرات نصف النهار يتوضا ويغسل ثوبه قال فعرفته

بالنعت الذي نعت لي فاذا رجل لحيم شديد الأدمة محلوق الراس كث اللحية متغير جدا
كريه الوجه مهيب المنظر قال فسلمت عليه فرد علي ونظر الي فقلت حياك الله
من رجل ومددت يدي لاصافحه فابى ان يصافحني فقلت رحمك الله يا اويس وغفر لك كيف انت رحمك
الله ثم خنقتني العبرة من حبي اياه ورقتي عليه اذ رايت من حاله ما رايت حتى بكيت وبكى
قال وانت يا هرم بن حيان كيف انت يا اخي ومن دلك علي قال قلت الله قال
لا اله الا الله سبحان الله ان كان وعد ربنا لمفعولا قال فتعجبت حين عرفني لا والله ما رايته قبل
ذلك ولا راني فقلت من اين عرفت اسمي واسم ابي وما رايتك قبل اليوم قال نباني العليم الخبير وعرفت
روحي روحك حين كلمت نفسي نفسك ان الارواح لها انفس كانفس الاحياء وان المومنين ليعرف
بعضهم بعضا ويتحابون بروح الله سبحانه وان لم يلتقوا يتعارفون ويلتقون ويتكلمون وان نات
بهم الدار وتفرقت بهم المنازل قال قلت حدثني رحمك الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث
اسمعه منك قال اني لم ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يكن لي معه صحبة
بابي وامي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن رايت رجالا قد صحبوه وبلغني من حديثه نحو ما بلغك
ولست احب ان افتح هذا الباب على نفسي ان اكون محدثا او مفتيا او قاضيا في نفسي شغل عن الناس
يا هرم بن حيان فقلت يا اخي اقرا علي اية من القران اسمعها منك وادع لي بدعوات واوصني بوصية
احفظها عنك فاني احبك في الله حبا شديدا قال فقام واخذ بيدي على شاطي الفرات ثم قال اعوذ بالله
السميع العليم من الشيطان الرجيم ثم بكى ثم قال قال ربي والحق قول ربي واصدق الحديث حديثه واصدق
الكلام كلامه ثم قرا وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعبين ما خلقناهما الا بالحق ولكن
اكثرهم لا يعلمون حتى انتهى الى قوله انه هو العزيز الرحيم فشهق شهقة ظننت انه غشي عليه ثم
قال يا هرم بن حيان مات ابوك حيان واوشك ان تموت فاما الى جنة واما الى نار ومات ابوك ادم
وماتت امك حوا ومات نوح ومات ابرهيم خليل الرحمن ومات موسى نجي الله يا ابن حيان ومات داود
خليفة الرحمن ومات محمد صلى الله عليه وسلم ومات ابو بكر خليفة المسلمين ومات عمر بن الخطاب اخي وصفيي
ثم قال يا عمراه يا عمراه قال فقلت رحمك الله ان عمر لم يمت قال فقد نعاه الي ربي ونعى
الي نفسي ثم قال انا وانت في الموتى كانه قد كان ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ثم دعا بدعوات خفاف ثم قال
هذه وصيتي اليك يا هرم بن حيان كتاب الله ونهج الصالحين المومنين فقد نعيت الي نفسي ونفسك
عليك بذكر الموت لا يفارق قلبك طرفة عين ما بقيت وانذر قومك اذا رجعت اليهم وانصح للامة
جميعا واياك ان تفارق الجماعة قيد شبر فتفارق دينك وانت لا تعلم فتدخل النار
ادع لي ولنفسك ثم قال اللهم ان هذا يزعم انه يحبني فيك وزارني من اجلك فعرفني وجهه في الجنة
وادخله

وادخله علي في دارك دار السلام واحفظه ما دام في الدنيا حيث ما كان وضم عليه
ضيعته وارضه من الدنيا باليسير وما اعطيته من الدنيا فيسره له تيسيرا واجعله لما اعطيته
من نعمائك من الشاكرين واجزه عني خير الجزاء ثم قال استودعك الله يا
هرم بن حيان والسلام عليك ورحمة الله لا اراك بعد اليوم رحمك الله ان تطلبني فاني اكره الشهرة
والوحدة احب الي اني كثير الهم شديد الغم مع هولاء الناس حيا فلا تسأل عني ولا تطلبني واعلم انك
مني على بال وان لم ارك وترني فاذكرني وادع لي وانا ساذكرك وادعو لك ان شاء الله انطلق
انت ها هنا حتى انطلق انا ها هنا فحرصت ان امشي معه ساعة فابى علي وفارقته فبكى وابكاني فجعلت
انظر في قفاه حتى دخل بعض السكك فسالت عنه بعد ذلك فما وجدت احدا يخبرني عنه بشيء رحمه الله
وغفر له فهكذا كانت سيرة ابناء الاخرة المعرضين عن الدنيا وقد عرفت مما سبق في بيان الدنيا ومن
سيرة الانبياء والاولياء ان حد الدنيا كل ما اظلته الخضراء واقلته الغبراء الا ما كان لله تعالى من ذلك وضد
الدنيا الاخرة وهو كل ما اريد به الله تعالى مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله وذلك
ليس من الدنيا ويتبين هذا بمثال اذا حلف انه في طريق الحج لا يشتغل بغير الحج بل يتجرد له ثم اشتغل
بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه لم يحنث في يمينه ولم يكن مشغولا بغير
الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع به مسافة العمر فتعهد البدن بما تبقى به قوته على سلوك
الطريق بالعلم والعمل هو من الاخرة لا من الدنيا نعم اذا قصد تلذذ البدن وتنعمه بشيء من هذه الاسباب
كان منحرفا عن الاخرة ويخشى على قلبه القسوة قال الطنافسي كنت على باب بني شيبة
في المسجد سبعة ايام طاويا فسمعت في الليلة الثامنة مناديا بين اليقظة والنوم الا من اخذ من الدنيا
اكثر مما يحتاج اليه اعمى الله عين قلبه فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك **بيان ماهية**
الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت هم الخلق حتى انستهم انفسهم وخالقهم ومصدرهم
ومواردهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل
فهذه ثلاثة امور قد يظن ان الدنيا عبارة عن آحادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة التي هي
الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها الاية
فالارض فراش للادميين ومهاد ومسكن ومستقر وما عليها لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ويجمع
ما على الارض ثلاثة اقسام المعادن والنبات والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات
والتداوي واما المعادن فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب
والفضة وغير ذلك من المقاصد واما الحيوان فينقسم الى الانسان والبهائم اما البهائم فيطلب لحومها
للاكل وظهورها للمركب والزينة واما الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم

ويستسخرهم كالغلمان او ليتمتع بهم كالجواري والنسوان ويطلب قلوب الناس ليملكها بان يغرس فيها
التعظيم والاكرام وهو الذي يعبر عنه بالجاه اذ معنى الجاه ملك قلوب الادميين فهذه الاعيان التي
يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء الى قوله من الذهب
والفضة وهذا من الجواهر والمعادن وفيه تنبيه على غيرها من اللآلئ واليواقيت والخيل المسومة
والانعام وهي البهايم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا
الا ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى
يصير قلبه كالعبد او المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والغل والحسد والرياء والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التفاخر والتكاثر
وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها والعلاقة الثانية مع البدن وهي
اشتغاله باصلاح هذه الاعيان لتصلح لحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات
والحرف التي الخلق مشغولون بها فالخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين
العلاقتين علاقة القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وعرف ربه وعرف حكمة الدنيا
وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم تخلق الا لعلف الدابة التي يسير به
الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس ومسكن كما لا يبقى الابل في طريق
الحج الا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في نسيانه نفسه ومقصده مثل الحاج الذي يقف في منازل
الطريق ولا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل اليها انواع
الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن
بقائه في البادية فريسة للسباع هو وناقته والحاج البصير لا يهمه من امر الجمل الا القدر الذي
يقدر به على المشي فيتعهده وقلبه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر الضرورة فكذلك
البصير في سفر الاخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة كما لا يدخل بيت الماء الا بالضرورة ولا
فرق بين ادخال الطعام وبين اخراجه من البطن في ان كل واحد منهما ضرورة البدن ومن همته ما يدخل
في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه واكثر ما شغل الناس عن الله هو البطن فان القوت ضروري
واما المسكن والملبس فهو اهون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور واقتصروا عليها
لم تستغرقهم اشغال الدنيا وانما استغرقتهم لجهلهم بالدنيا وحكمتها وحظوظهم منها ولكنهم
جهلوا وغفلوا وتتابعت اشغال الدنيا واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة
فتاهوا في كثرة الاشغال ونسوا مقصودها ونحن نذكر تفاصيل اشغال الدنيا وكيفية حدوث
الحاجة اليها وكيفية غلط الناس في مقاصدها حتى يتضح لك ان اشغال الدنيا كيف صرفت الخلق

عن الله عز وجل وكيف انستهم عاقبة امورهم فنقول الاشغال الدنيوية هي الحرف والصناعات
والاعمال التي ترى الخلق منكبين عليها وسبب كثرة الاشغال هو ان الانسان مضطر الى ثلث القوت
والمسكن والملبس فالقوت للغذاء والبقاء والملبس لدفع الحر والبرد ولدفع اسباب الهلاك عن المال (والمسكن لدفع الحر والبرد)
والاهل ولم يخلق الله تعالى القوت والمسكن والملبس مصلحا بحيث يستغني عن صنعة الانسان
فيه نعم خلق ذلك للبهايم فان النبات يغذي الحيوان من غير طبخ والحر والبرد لا يؤثر في بدنه فيستغني
عن البنا ويقنع بالصحرا ولباسها شعورها وجلودها فتستغني عن اللباس والانسان ليس
كذلك فحدثت الحاجة لذلك الى خمس صناعات هي اصول الصناعات واوايل
الاشغال الدنيوية وهي الفلاحة والرعاية والاقتناص والحياكة والبنا اما البنا فللمسكن والحياكة
وما يكتنفها من الغزل والخياطة فللملبس والفلاحة للمطعم والرعاية للمواشي والخيل ايضا للمطعم
والمركب والاقتناص نعني به ما خلقه الله تعالى من صيد او معدن او حشيش او حطب فالفلاح (تحصيل)
يحصل النبات والراعي يحفظ الحيوانات ويستنتجها والمقتنص يحصل ما نبت
ونتج بنفسه من غير صنع ادمي وكذلك ياخذ من معادن الارض ما خلق فيها من غير صنعة ادمي ونعني
بالاقتناص ذلك ويدخل تحته صناعات واشغال عدة ثم هذه الصناعات تفتقر الى ادوات والات
كالحياكة والفلاحة والبنا والاقتناص والالات انما تؤخذ من النبات وهو الاخشاب او من المعادن
كالرصاص والحديد وغيره او من جلود الحيوانات فحدثت الحاجة الى ثلثة انواع اخر من الصناعات
النجارة والحدادة والخرز وهؤلاء هم عمال الالات ونعني بالنجار كل عامل في الخشب كيفما كان وبالحداد
كل من يعمل في جواهر المعادن حتى النحاس والابري وغيرهما وغرضنا ذكر الاجناس فاما احاد
الحرف فكثيرة واما الخراز فنعني به كل عامل على جلود الحيوانات واجزايها فهذه
امهات الصنايع ثم ان الانسان خلق بحيث لا يعيش وحده بل يضطر الى الاجتماع مع غيره من
جنسه وذلك لسببين احدهما حاجته الى النسل لبقاء جنس الانسان ولا يكون ذلك الا باجتماع
الذكر والانثى وعشرتهما والثاني التعاون على تهيئة اسباب المطعم ولتربية الولد فان الاجتماع (والملبس)
يفضي الى الولد لا محالة والواحد لا يشتغل بحفظ الولد وتهيئة اسباب القوت ثم ليس
يكفيه الاجتماع مع الاهل والولد في المنزل بل لا يمكنه ان يعيش كذلك ما لم تجتمع طايفة كثيرة ليتكفل
كل واحد بصناعة فان الشخص الواحد كيف يتولى الفلاحة وحده وهو محتاج الى الات ويحتاج الالة
الى حداد ونجار ويحتاج الطعام الى طحان وخباز وكذلك كيف ينفرد بتحصيل الملبس وهو يفتقر
الى حراسة القطن والات الحياكة والخياطة والات كثيرة فلذلك امتنع عيش الانسان وحده وحدثت
الحاجة الى الاجتماع ثم لو اجتمعوا في صحرا مكشوفة لتاذوا بالحر والبرد واللصوص فافتقروا

الى ابنية محكمة ومنازل ينفرد كل اهل بيت به وبما معه من الالات والاثاث والمنازل تدفع
الحر والبرد وتدفع الجيران عن اللصوصية ولكن جميع المنازل قد يقصدها جماعة من اللصوص خارج
المنزل فافتقر اهل المنزل الى التناصر والتعاون والتحصن بسور يحيط بجميع المنازل فحدثت
البلاد لهذه الضرورة ثم مهما اجتمع الناس في المنازل والبلاد وتعاملوا تولدت بينهم خصومات
اذ تحدث رياسة وولاية للزوج على الزوجة وولاية الوالدين على الولد لانه ضعيف محتاج الى القوام
به ومهما حصلت الولاية على عاقل افضى الى الخصومة بخلاف الولاية على البهايم اذ ليس لها قوة المخاصمة
وان ظلمت واما المراة فتخاصم الزوج والولد يخاصم الابوين هذا في المنزل واما اهل البلد ايضا فيتعاملون
في الحاجات ويتنازعون فيها ولو تركوا كذلك لتقاتلوا وهلكوا وكذلك الرعاة وارباب الفلاحة والصناعة
لعمى ومرض وهرم عوارض مختلفة لو ترك ضايعا الملك ولو وكل تفقده الى الجميع لتخاذلوا ولو خص
واحد من غير سبب يخصه لكان لا يذعن له فتحدث بالضرورة من ذلك العوارض بالاجتماع صناعات
اخرى فمنها صناعة المساحة التي بها تعرف مقادير الارض لتمكن القسمة بينهم بالعدل ومنها صناعة
الجندية لحراسة البلد بالسيف ودفع اللصوص عنهم ومنها صناعة الحكم والتوصل لفصل الخصومة
ومنها الحاجة الى الفقه وهو معرفة القانون الذي ينبغي ان يضبط به الخلق ويلزموا الوقوف على حدودها
حتى لا يكثر النزاع وهو معرفة حدود الله عز وجل في المعاملات وشروطها فهذه امور سياسية
لا بد منها ولا يشتغل بها الا مخصوصون بصفات مخصوصة من التمييز والعلم والهداية واذا اشتغلوا
بها لم يتفرغوا لصناعة اخرى ويحتاجون الى المعاش ويحتاج اهل البلد اليهم اذ لو اشتغل اهل البلد
بالحرب مع الاعداء مثلا تعطلت الصناعات ولو اشتغل اهل الحرب بالصناعات لطلب القوت تعطلت
البلاد عن الحراس واستضر الناس فمست الحاجة الى ان يصرف الى معايشهم الاموال الضايعة
التي لا مالك لها ان كانت او يصرف اليهم الغنايم ان كانت العداوة مع الكفار فان كانوا اهل ديانة وورع
قنعوا بالقليل من اموال المصالح وان ارادوا التوسع فتمس الحاجة الى ان يمدهم
اهل البلد باموالهم ليمدوهم بالحراسة فتحدث الحاجة الى الخراج ثم يتولد بسبب الحاجة الى الخراج
الحاجة الى صناعات اخرى اذ يحتاج الى من يوظف الخراج بالعدل على الفلاحين وارباب الاموال وهم العمال
والى من يستوفي منهم بالرفق وهم الجباة والمستخرجون والى من يجمع عنده ليحفظها الى وقت التفرقة
وهم الخزان والى من يفرق عليهم بالعدل وهو الفارض للعساكر وهذه الاعمال لو تولاها عدد لا
يجمعهم رابط انخرم النظام فتحدث منه الحاجة الى ملك يدبرهم وامير مطاع يعين لكل عمل شخصا
ويختار لكل واحد ما يليق به ويرعى النصفة في اخذ الخراج واعطايه واستعمال الجنود في الحرب
وتوزيع اسلحتهم وتعيين جهات الحرب ونصب الامير والقايد على كل طايفة منهم الى غير ذلك من

صناعات الملك فيحدث من ذلك بعد الجند الذين هم اهل السلاح وبعد الملك الذي يراقبهم بالعين الكالية
ويدبرهم الكتاب والخزان والحساب والجباة والعمال ثم هولاء ايضا يحتاجون الى معيشة ولا يمكنهم
الاشتغال بالحرث فيحدث الحاجة الى مال الفرع مع مال الاصل وهو المسمى فرع الخراج وعند هذا
يكون الناس في الصناعات ثلث طوايف الفلاحون والرعاة والمحترفون والثاني الجندية الحماة
لهم بالسيوف والثالث المترددون بين الطايفتين في الاخذ والاعطا وهم العمال والجباة وامثالهم
فانظر كيف ابتدا الامر من حاجة القوت والمسكن والملبس الى ما انتهى وهكذا امور الدنيا لا ينفتح منها
باب الا وينفتح بسببه عشرة ابواب اخر وهكذا تتناهى الى غير حد محصور وكانها
هاوية لا نهاية لعمقها من وقع في مهواة منها سقط منها الى اخرى وهكذا على التوالي فهذه الحرف
والصناعات الا انها لا تتم الا بالاموال والالات والمال عبارة عن اعيان الارض وما عليها مما ينتفع بها
واعلاها الاغذية ثم الامكنة التي ياوي اليها الانسان وهي الدور ثم الامكنة التي يسعى فيها للتعيش
كالحوانيت والاسواق والمزارع ثم الكسوة ثم اثاث البيت والاته ثم الات الالات وقد يكون في
الالات ما هو حيوان كالكلب آلة الصياد والبقر آلة الحرث والفرس آلة الحرب ثم يحدث من ذلك حاجة
البيع فان الفلاح ربما يسكن قرية ليس فيها الة الفلاحة والحداد والنجار يسكنان قرية لا يمكن بها
الزراعة فبالضرورة يحتاج الفلاح اليهما ويحتاجان الى الفلاح فيحتاج احدهما الى ان يبذل ما عنده
للاخر حتى ياخذ منه غرضه وذلك بطريق المعاوضة الا ان النجار مثلا اذا طلب من الفلاح الغذا بالته
ربما لا يحتاج الفلاح في ذلك الوقت الى الاله فلا يبيعه والفلاح اذا طلب الاله من النجار بالطعام ربما
كان عنده طعام في ذلك الوقت فلا يحتاج اليه فتتعوق الاغراض فاضطروا الى حانوت يجمع آلة كل
صناعة ليترصد بها صاحبه ارباب الحاجات والى انبار يجمع اليها ما يحمله الفلاحون فيشتريها منه
صاحب الانبار ليترصد بها ارباب الحاجات فيظهر لذلك الاسواق والمخازن فيحمل الفلاح الحبوب
فاذا لم يصادف محتاجا باع بثمن رخيص من الباعة فيخزنونها لانتظار ارباب الحاجات طمعا
في الربح وكذلك في جميع الامتعة والاموال ثم يحدث لا محالة بين البلاد والقرى تردد فتردد
الناس يشترون من القرى الاطعمة ومن البلاد الالات وينقلون ويتعيشون به لتنتظم امور
البلاد بسببهم اذ بلدة ربما لم توجد فيها كل آلة وكل قرية لا يوجد فيها كل طعام والبعض يحتاج
الى البعض فيحوج الى النقل فيحدث التجار المتكلفون للنقل وباعثهم عليه حرص جمع
جمع المال الذي ياكله لا محالة غيرهم اما قاطع طريق واما سلطان ظالم ولكن جعل الله تعالى في
غفلتهم وجهلهم نظاما للبلاد ومصلحة للعباد بل جميع الدنيا انتظم بالغفلة وخسة الهمة ولو عقل الناس
وارتفعت هممهم لزهدوا في الدنيا ولو فعلوا ذلك لبطلت المعايش ولو بطلت لهلكوا وهلك الزهاد

ايضا ثم هذه الاموال التي تنقل لا يقدر الانسان على حملها فيحتاج الى دواب لحملها وصاحب المال قد
لا يملك الدابه فيحدث معامله بينه وبين صاحب الدابه تسمى الاجاره ويصير الكرا نوعا من
الاكتساب ايضا ثم يحدث بسبب البياعات الحاجه الى النقدين فان من يريد ان يشتري
طعاما بثوب فمن اين يدري ان المقدار الذي يساويه من الطعام كم هو والمعامله تجري
في اجناس مختلفه كما يباع ثوب بطعام وحيوان بثوب وهذه امور لا تتناسب فلا بد من حاكم
عدل يتوسط بين المتبايعين يعدل احدهما بالاخر فيطلب ذلك العدل من اعيان الاموال ثم يحتاج
الى مال يطول بقاوه لان الحاجه اليه تدوم وابقى الاموال المعادن فاتخذت النقود من الذهب
والفضه والنحاس ثم مست الحاجه الى الضرب والنقش والتقدير فحدثت الحاجه الى دار الضرب
والى الصيارفه وهكذا تداعى الاشغال والاعمال بعضها الى بعض حتى انتهت الى ما تراه فهذه
اشغال الخلق في معايشهم وشي من هذه الحرف لا يمكن مباشرتها الا بنوع تعلم وتعب في الابتدا
وفي الناس من يغفل عن ذلك في الصبى فلا يشتغل به او يمنعه مانع فيبقى عاجزا عن الاكتساب
لعجزه عن الحرف فيحتاج الى ان ياكل مما يسعى فيه غيره فيحدث منه حرفتان خسيستان اللصوصيه
والكديه اذ يجمعهما انهما ياكلان من سعي غيرهما ثم ان الناس يحترزون من اللصوص والمكدين
ويحفظون عنهم اموالهم فافتقروا الى صرف عقولهم الى استنباط الحيل والتدابير اما اللصوص فمنهم
من طلب اعوانا ويكون في يده شوكه وقوه فيجتمعون ويتكاثرون ويقطعون الطرق
كالاعراب والاكراد واما الضعفا منهم فيفزعون الى الحيل اما بالنقب والتسلق عند انتهاز فرصه
الغفله واما ان يكون طرارا او سلالا الى غير ذلك من انواع التلصص الحادث بحسب ما انتجته
الافكار المصروفه الى استنباطها واما المكدي فانه اذا طلب ما سعى فيه غيره قيل له انصب واعمل
كما عمل غيرك فما لك وللبطاله فلا يعطى فافتقروا الى حيله في استخراج الاموال وتمهيد العذر
لانفسهم في البطاله فاحتالوا للتعلل بالعجز اما بالحقيقه كجماعه يعمون اولادهم وانفسهم بالحيله
ليعذروا بالعمى فيعطون واما بالتعامي والتفالج والتجانن والتمارض واظهار ذلك بانواع
الحيل مع بيان ان تلك محنة اصابتهم من غير استحقاق ليكون ذلك سبب الرحمه وجماعه
اقوالا وافعالا يتعجب الناس منها حتى تنبسط قلوبهم عند مشاهدتها حتى يسخو برفع اليد
عن قليل من المال في حال التعجب ثم قد يندم بعد زوال التعجب ولا ينفع الندم وذلك قد يكون
بالتمسخر والمحاكاة والشعوذة والافعال المضحكة وقد يكون بالاشعار الغريبه والكلام
المنثور المسجع مع حسن الصوت والشعر الموزون اشد تاثيرا في النفس لا سيما اذا كان فيه تعصب
يتعلق بالمذاهب كاشعار مناقب الصحابه وفضايل اهل البيت والذي يحرك داعيه العشق

من اهل المجانه كصنعه الطالبين في الاسواق او تسليم ما يشبه العوض وليس بعوض كبيع
التعويذات والحشيش الذي يخيل انها ادويه فيخدع بها الصبيان وكاصحاب القرعه والفال
من المنجمين ويدخل في هذا الجنس الوعاظ المكدون على روس المنابر اذا لم يكن وراهم طايل وكان
غرضهم استماله قلوب العوام واخذ اموالهم وانواع الكديه تزيد على الالف والالفين وكل ذلك
استنباط بدقيق الفكر لاجل المعيشة فهذه اشغال الخلق واعمالهم التي اكبوا عليها وجرهم الى ذلك
كله الحاجه الى القوه والكسوة ولكن نسوا في اثناء ذلك انفسهم ومقصودهم ومنقلبهم ومالهم فضلوا
وتاهوا وسبق الى عقولهم الضعيفة بعد ان كدرها زحمه اشغال الدنيا خيالات فاسده فانقسمت
مذاهبهم واختلفت اراوهم على عدة اوجه فطايفه غلبهم الجهل والغفله فلم تنفتح اعينهم للنظر
الى عاقبه امرهم فقالوا المقصود ان نعيش اياما في الدنيا فنجتهد حتى نكتسب القوت ثم ناكل حتى نقوى
على الكسب ثم نكتسب حتى ناكل فياكلون ليكتسبون ويكتسبون لياكلون وهذا مذهب
الفلاحين والمحترفين ومن ليس له تنعم في الدنيا ولا قدم في الدين فانه يتعب نهارا لياكل ليلا وياكل
ليلا ليتعب نهارا وذلك كسير السواني فهو سفر لا ينقطع الا بالموت وطايفه اخرى زعموا انهم تفطنوا
للامر وهو انه ليس المقصود ان يشقى الانسان بالعمل ولا يتنعم في الدنيا بل السعاده في ان يقضي وطره
من شهوه الدنيا وهو شهوه البطن والفرج فهولا نسوا انفسهم وصرفوا هممهم الى اتباع الشهوات وجمع
لذيذ الاطعمه ياكلون كما تاكل الانعام ويظنون انهم اذا نالوا ذلك فقد ادركوا غاية السعاده فشغلهم
ذلك عن الله تعالى واليوم الاخر وطايفه اخرى ظنوا ان السعاده في حسن الاسم وانطلاق الالسن بالثنا
والمدح بالتجمل والمروه فهولا يتعبون في كسب المعايش ويضيقون على انفسهم في المطعم
والمشرب ويصرفون جميع مالهم الى الملابس الحسنة والدواب النفيسه ويزخرفون ابواب الدور وما يقع
عليه ابصار الناس حتى يقال انه غني وانه ذو ثروة ويظنون ان ذلك هو السعاده فهمتهم في ليلهم
ونهارهم في تعهد موقع نظر الناس وطايفه اخرى ظنوا ان السعاده في الجاه والكرامة من الناس
وانقياد الخلق بالتواضع والتوقير فصرفوا هممهم الى استجرار الناس الى الطاعه بطلب الولايات
وتقلد الاعمال السلطانية لينفذ امرهم بها على طايفة من الناس ويرون انهم اذا اتسعت ولايتهم
وانقادت لهم رعاياهم فقد سعدوا سعاده عظيمه وان ذلك غايه المطلب وهذا اغلب الشهوات
على قلوب المتغافلين من الناس فهولا شغلهم حب تواضع الناس لهم عن التواضع لله وعن عبادته
وعن التفكر في اخرتهم ومعادهم ووراء هذا طوايف يطول حصرها تزيد على نيف وسبعين فرقه كلهم
ضلوا واضلوا وضلوا عن سوا السبيل وانما جرهم الى ذلك كله حاجه المطعم والملبس والمسكن
فنسوا ما يراد به هذه الامور الثلثه والقدر الذي يكفي منها وانجرت بهم اوايل اسبابها الى اخرها

وتداعى بهم الى مهاوى لم يمكنهم التوقي منها فمن عرف وجه الحاجة الى هذه الاسباب والاشغال وعرف
غاية المقصود منها فلا يخوض في شغل وحرفة وعمل الا وهو عالم بمقصوده وعالم بحظه ونصيبه منه
وان غاية مقصوده تعهد بدنه بالقوت والكسوة حتى لا يهلك وذلك ان سلك فيه سبيل التقليل
اندفعت الاشغال عنه وفرغ القلب وغلب عليه ذكر الآخرة وانصرفت الهمة الى الاستعداد له وان تعدى به
قدر الضرورة كثرت الاشغال وتداعى البعض الى البعض وتسلسل الى غير نهاية فتتشعب به الهموم
ومن تشعبت به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله تعالى في اي واد اهلكه فيها فهذا شان
المنهمكين في اشغال الدنيا وتنبه لهذا طائفة فاعرضوا عن الدنيا فحسدهم الشيطان ولم يتركهم واضلهم
في الاعراض ايضا حتى انقسموا الى طوائف فظنت طائفة ان الدنيا دار بلاء ومحنة وان الآخرة دار سعادة
لكل من وصل اليها سواء تعبد في الدنيا او لم يتعبد فراوا ان الصواب في ان يقتلوا انفسهم للخلاص من محنة
الدنيا واليه ذهب طوائف من العباد من الهند فهم يتهجمون على النار ويقتلون انفسهم بالاحراق ويظنون ان ذلك
خلاص لهم من محن الدنيا وظنت طائفة اخرى ان القتل لا يخلص بل لا بد اولا من اماتة الصفات البشرية
وقلعها عن النفس بالكلية وان السعادة في قطع الشهوة والغضب ثم اقبلوا على المجاهدة وشددوا
على انفسهم حتى هلك بعضهم لشدة الرياضة وبعضهم فسد عقله وجن وبعضهم مرض وانسد عليه
طريق العبادة وبعضهم عجز عن قمع الصفات بالكلية فظن ان ما كلفه الشرع محال وان الشرع تلبيس
لا اصل له فوقع في الالحاد وظهر لبعضهم ان هذا التعب كله لله وان الله تعالى مستغن عن عبادة
العباد لا ينقصه عصيان عاص ولا تزيده عبادة عابد فعادوا الى الشهوات وسلكوا مسلك الاباحة
وطووا بساط الشرع والاحكام وزعموا ان ذلك من صفاء توحيدهم حيث اعتقدوا ان الله تعالى مستغن
عن عبادة العباد وظنت طائفة اخرى ان المقصود من العبادة المجاهدة حتى يصل العبد
بها الى معرفة الله فاذا حصلت المعرفة فقد وصل وبعد الوصول يستغنى عن الوسيلة والحيلة فتركوا
السعي والعبادة وزعموا انهم ارتفع محلهم في معرفة الله عز وجل عن ان يمتهنوا بالتكاليف
التكاليف على عوام الخلق ووراء هذا مذاهب باطلة وضلالات هائلة يطول احصاؤها الى
نيف وسبعين فرقة وانما الناجي منها الفرقة الواحدة وهو ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ان لا يترك الدنيا بالكلية ولا يقمع الشهوة بالكلية اما الدنيا فياخذ منها قدر الزاد واما الشهوة
فيقمع منها ما يخرج عن طاعة الشرع والعقل فلا يتبع كل شهوة ولا يترك كل شهوة بل يتبع
العدل ولا يترك كل شيء من الدنيا بل يعلم مقصود كل ما خلق من الدنيا ويحفظه على حد مقصوده
فياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ من اللصوص والحر والبرد
ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن اقبل على الله تعالى بكنه همه واشتغل

بالفكر والذكر طول العمر ويبقى ملازما لسياسة الشهوات ومراقبا لها حتى لا يجاوز حدود الورع والتقوى
ولا يعلم تفصيل ذلك الا بالاقتداء بالفرقة الناجية والفرقة الناجية هم الصحابة رضي الله عنهم
فانه لما قال النبي صلى الله عليه وسلم الناجي منها واحدة قالوا يا رسول الله ومن هم قال ما انا عليه
واصحابي وقد كانوا على المنهج القصد وعلى السبيل الذي فصلناه من قبل فانهم ما كانوا ياخذون
الدنيا للدنيا بل للدين وما كانوا يترهبون ويتركون الدنيا بالكلية وما كان لهم في الامور تفريط
وافراط بل كان بين ذلك قواما وذلك هو العدل والوسط بين الطرفين وهو احب الامور الى الله تعالى
كما سبق ذكره في مواضع — كمل الكتاب والحمد لله وحده — يتلوه ان
شاء الله كتاب حب المال وذم البخل من كتاب الاحيا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم

كتاب ذم حب المال والبخل

الحمد لله مستوجب الحمد برزقه المبسوط وكاشف الضر بعد القنوط الذي خلق الخلق ووسع الرزق
وافاض على العالمين اصناف الاموال وابتلاهم فيها بتقلب الاحوال وردهم فيها بين العسر
واليسر والغنى والفقر والطمع والياس والثروة والافلاس والعجز والاستطاعة والحرص
والقناعة والبخل والجود والفرح بالموجود والاسف على المفقود والايثار والانفاق والتوسع
والاملاق والتبذير والتقتير والرضى باليسير واستحقار الكثير كل ذلك ليبلوهم ايهم احسن عملا
ولينظر ايهم آثر الدنيا على الآخرة بدلا وابتغى عن الآخرة عدولا وحولا واتخذ الدنيا ذخيرة وخولا والطول
على محمد الذي نسخ بملته مللا وطوى بشريعته اديانا ونحلا وعلى آله وصحبه الذين سلكوا سبل ربهم ذللا
وسلم تسليما **اما بعد** فان فتن الدنيا كثيرة الشعب واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا
سلامة منها فان الطغيان الذي لا يكون عاقبة امره الا خسرا وبالجملة فهو لا يخلو من الفوائد والآفات
وفوائدها من المنجيات وآفاتها من المهلكات وتمييز خيرها من شرها من المعوصات التي لا يقوى عليها
الا ذوو البصائر في الدين من العلماء الراسخين دون المترسمين المغترين وشرح ذلك مهم على الانفراد
فانا ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظرا في المال خاصة بل في الدنيا عامة والدنيا تتناول
كل حظ عاجل والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها ولها ابعاض
كثيرة كما للانسان فيه حظ عاجل ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه آفات وغوائل
وللانسان من فقده صفة الفقر ومن وجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار ثم
للفاقد حالتان القناعة والحرص واحداهما مذمومة والاخرى محمودة وللحريص حالتان طمع فيما في ايدي

الناس وتشمر للحرف والصناعات مع اليأس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان
امساك بحكم البخل والشح وانفاق واحدهما مذموم والاخر محمود وللمنفق حالتان تبذير واقتصاد
والمحمود هو الاقتصاد وهذه امور متشابهة وكشف الغطاء عن الغموض فيها مهم فنشرحه في فصول
وهو بيان ذم المال ثم مدحه ثم تفصيل فوائد المال وآفاته ثم ذم الحرص والطمع ثم علاج الحرص والطمع ثم فضيلة
السخاء ثم حكايات الاسخياء ثم ذم البخل ثم حكايات البخلاء ثم الايثار وفضله ثم حد السخاء والبخل
ثم علاج البخل ثم مجموع الوظائف في المال ثم ذم الغنى ومدح الفقر **بيان ذم المال** وكراهية حبه
قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم الآية وقال تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة وقال
تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا الآية وقال تعالى الهاكم التكاثر وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم
باكثر فسادا فيها من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلك الاكثرون الا من قال
بالمال في عباد الله هكذا وهكذا وقليل ما هم وقيل يا رسول الله اي امتك اشر قال الاغنياء
وقال صلى الله عليه وسلم سيأتي بعدكم قوم يأكلون اطايب الدنيا والوانها لهم بطون بالقليل لا تشبع وانفس
بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة من دون الههم وربا دون ربهم
الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد بن عبد الله لمن ادرك ذلك الزمان من عقب عقبكم وخلف
خلفكم ان لا يسلم عليهم ولا يعاد مرضاهم ولا يتبع جنائزهم ولا يوقر كبيرهم فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم
الاسلام وقال صلى الله عليه وسلم دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ
حتفه وهو لا يشعر وقال صلى الله عليه وسلم يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك الا ما تصدقت فامضيت او
اكلت فافنيت او لبست فابليت وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما لي لا احب الموت فقال هل معك
من مال قال نعم يا رسول الله قال قدم مالك فان قلب المؤمن مع ماله ان قدمه احب ان يلحق به وان خلفه احب
ان يتخلف معه وقال صلى الله عليه وسلم اخلاء ابن آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه والثاني الى قبره
والثالث الى محشره فالذي يتبعه الى قبض روحه فماله والذي يتبعه الى قبره فاهله والذي يتبعه الى محشره
فعمله وقال الحواريون لعيسى بن مريم ما لك تمشي على الماء ولا نقدر على ذلك فقال لهم ما منزلة الدينار
عندكم قالوا حسنة قال لكنها عندي والمدر سواء وكتب سلمان الى ابي الدرداء يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا
تؤدي شكره فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يجاء بصاحب الدنيا الذي اطاع الله
فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله امض فقد اديت حق الله في ثم يجاء بصاحب الدنيا
الذي لم يطع الله فيها وماله بين كتفيه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله تعالى في فما
يزال كذلك يدعو بالويل والثبور وكلما اوردناه في كتاب الزهد والفقر في ذم الغنى ومدح الفقر يرجع جميعه

الى ذم المال فلا نطول بتكريره وكذا كلما ذكرناه في ذم الدنيا فيتناول ذم المال بحكم العموم لان المال اعظم
اركان الدنيا وانما نذكر الآن ما ورد في المال خاصة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة
فتحبوا الدنيا **الآثار** روي ان رجلا نال من ابي الدرداء واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح
جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف رأى كثرة المال غاية البلاء مع صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد
ان يفضي الى الطغيان ووضع علي رضي الله عنه درهما على كفه ثم قال اما انك ما لم تخرج
عني لا تنفعني وروي ان عمر ارسل الى زينب بنت جحش رضي الله عنهما بعطائها فقالت ما هذا قالوا ارسل
اليك عمر بن الخطاب قالت غفر الله له ثم حلت سترا كان لها فقطعته صررا وقسمته بين اهل رحمها وايتامها
ثم رفعت يديها وقالت اللهم لا تدركني عطية عمر بعد عامي هذا فكانت اول نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم لحوقا به
وقال الحسن والله ما اعز احد الدرهم الا اذله الله وقيل ان اول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما
ابليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا وقال سميط بن عجلان ان الدنانير
والدراهم ازمة المنافقين يقادون بها الى النار وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا
تأخذه فانه ان لدغك قتلك سمه قيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه وقال العلاء بن زياد تمثلت
لي الدنيا وعليها من كل زينة فقلت اعوذ بالله من شرك قالت ان سرك ان يعيذك الله مني فابغض الدرهم وذلك لان الدينار والدرهم
هي الدنيا كلها اذ يتوصل بهما الى جميع اصنافها فمن صبر عنهما صبر عن الدنيا ولذلك قيل
اني وجدت فلا تظنوا غيره هذا التورع عند بغض الدرهم فاذا قدرت عليه ثم تركته فاعلم بان تقاك تقوى المسلم
وقيل لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار فوق كعب الساق منه رفعه ولدى الدرهم فانظر غيه او ورعه
ويروى عن مسلمة بن عبد الملك انه دخل على عمر بن عبد العزيز عند موته فقال يا امير المؤمنين صنعت صنيعا لم
يصنعه احد قبلك تركت ولدك ليس لهم دينار ولا درهم وكان عنده ثلثة عشر من الولد فقال اقعدوني
فاقعدوه فقال اما قولك لم ادع لهم دينارا ولا درهما فاني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا لغيرهم وانما ولدي
بين اثنين اما مطيع لله فالله كافيه والله يتولى الصالحين واما عاص لله فلا ابالي على ما وقع وروي ان محمد
القرظي اصاب مالا كثيرا فقيل له لو ادخرته لولدك من بعدك قال لكني ادخره لنفسي عند ربي
وادخر ربي لولدي وروي ان رجلا قال لابي عبد ربه يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فخرج ابو
عبد ربه من مائة الف درهم وقال يحيى بن معاذ مصيبتان لم يسمع الاولون والآخرون بمثلهما للعبد في
ماله عند موته قيل وما هما قال يؤخذ منه كله ويسأل عنه كله **بيان مدح
المال والجمع بينه وبين الذم** اعلم ان الله تعالى قد سمى المال خيرا في مواضع فقال تعالى ان ترك
خيرا الوصية الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكلما جاء في ثواب الصدقة

والحج فهو ثنا على المال اذ لا يمكن الوصول اليه الا به وقال تعالى ممتنا على عباده ويمددكم باموال
وبنين ويجعل لكم جنات الايه وقال عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا وهو ثنا على المال
ولا تقف على وجه الجمع بين المدح والذم الا ان تعرف حكمة المال ومقصوده وافاته وغوايله حتى ينكشف
لك انه خير من وجه وشر من وجه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس
بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح لا محاله مره ويذم اخرى
ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود منه غير المذموم وبيانه بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر
من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصاير
سعادة الاخره التي هي النعيم المقيم والقصد الى هذا داب الاكياس الكرام اذ قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
من اكرم الناس واكيسهم فقال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا وهذه السعاده
لا تنال الا بثلث وسايل في الدنيا وهي الفضايل النفسيه كالعلم وحسن الخلق والفضايل البدنيه كالصحه
والسلامه والفضايل الخارجه عن البدن كالمال وساير الاسباب واعلاها النفسيه ثم البدنيه ثم الخارجه
والخارجه اخسها والمال من جمله الخارجه وادناها الدنانير والدراهم فانهما خادمان ولا خادم لهما ومرادان
لغيرهما ولا يرادان لعينهما اذ النفس هو الجوهر النفيس المطلوب سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفه ومكارم
الاخلاق لتحصلها صفه في ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطه الحواس والاعضا والمطاعم والملابس
تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقا البدن ومن المناكح ابقا النسل ومن البدن تكميل النفس
وتزكيتها وتزيينها بالعلم والخلق الحسن ومن عرف هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه وانه
من حيث هو ضرورة المطاعم والملابس التي هي ضروره بقا البدن الذي هو ضروره كمال النفس خير ومن
عرف فايده الشي وغايته ومقصوده واستعمله لتلك الغايه ملتفتا اليها غير ناس لها فقد احسن
وانتفع وكان ما حصل له الغرض محمودا في حقه فاذن المال الة ووسيله الى مقصود صحيح ويصلح ان يتخذ
اله ووسيله الى مقاصد فاسده وهي المقاصد الصادة عن سعاده الاخره ويسد سبيل العلم والعمل فهو اذا
مذموم محمود بالاضافه الى المقصود المحمود ومذموم بالاضافه الى المقصود المذموم فمن اخذ من الدنيا اكثر مما
يكفيه فقد اخذ حتفه وهو لا يشعر كما ورد به الخبر ولما كانت الطباع مايله الى اتباع الشهوات القاطعه
لسبيل الله وكان المال مسهلا لها واله اليها عظم الخطر فيما يزيد على الكفايه فاستعاذ الانبيا عليهم
السلام من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت ال محمد كفافا فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض
خيره وقال عليه السلام اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا واستعاذ ابرهيم خليل
الرحمن فقال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام وعنا بها هذين الحجرين الذهب والفضه اذ رتبه النبوه
اجل من ان يخشى عليها ان تعتقد الالهيه في شي من الحجاره وانما عبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون

اليهما وقال نبينا صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس ولا انتعش واذا شيك فلا انتقش
فبين ان محبهما عابد لهما ومن عبد حجرا فهو عابد صنم بل كل من كان عبدا لغير الله فهو عابد صنم وهو شرك
الا ان الشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقلما ينفك عنه المومنون فانه اخفى من دبيب
النمله وشرك جلي يوجب الخلود في النار **بيان تفصيل افات المال وفوايده** اعلم ان المال مثل
الحيه فيها سم وترياق ففوايدها ترياقها وغوايلها سمومها فمن عرف فوايدها وغوايلها امكنه ان يحترز
من شرها ويستدر من خيرها اما الفوايد فتنقسم الى دنيويه ودينيه اما الدنيويه فلا حاجه الى ذكرها
فان معرفتها مشتركه بين اصناف الخلق ولولا ذلك لم يتهالكوا على طلبها واما الدينيه فينحصر جميعها في ثلثه
انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عباده او في الاستعانه على العباده اما في العباده كالاستعانه
به في الحج والجهاد فانه لا يتوصل اليهما الا بالمال وهما من امهات القربات والفقير محروم عن فضلهما واما فيما
يقويه على العباده وذلك هو المطعم والملبس والمنكح وضرورة المعيشه فان هذه الحاجات اذا لم تتيسر
كان القلب منصرفا الى تدبيرها فلا يتفرغ للدين وما لا يتوصل الى العباده الا به فهو عباده فاخذ الكفايه من
الدنيا لاجل الاستعانه على الدين من الفوايد الدينيه ولا يدخل في هذا التنعم والزياده على قدر الحاجه فان
ذلك من حظوظ الدنيا فقط **النوع** الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعه اقسام الصدقه والمروه ووقايه
العرض والاستخدام اما الصدقه فلا يخفى ثوابها وانها لتطفي غضب الرب جل وعز وقد ذكرنا فضايلها
واما المروه فنعني به صرف المال الى الاغنيا والاشراف في هديه او ضيافه او اعانه وما يجري مجراه فان هذا
لا يسمى صدقه بل الصدقه ما يسلم الى المحتاج الا ان هذا من الفوايد الدينيه اذ به يكتسب العبد الاخوان
والاصدقا وبه يكتسب صفه السخا ويلحق بزمره الاسخيا فلا يوصف بالجود الا من يصطنع المعروف ويسلك
سبيل الفتوه والمروه وهذا ايضا مما يعظم الثواب فيه فقد وردت اخبار كثيره في الهدايا والضيافات
واطعام الطعام من غير اشتراط الفقر والفاقه في مصارفها **واما** وقايه العرض فنعني به بذل المال
لدفع هجو الشعرا وثلب السفها وقطع السنتهم ودفع شرهم وهو ايضا مع تنجز فايدته في العاجله
من الحظوظ الدينيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقه
وفيه منع المغتاب عن معصيه الغيبه واحتراز عما يثور من كلامه من العداوه التي تحمل في
المكافاه والانتقام على مجاوزه حدود الشريعه واما الاستخدام فهو ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان
لتهييه اسبابه كثيره ولو تولاها بنفسه ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الاخره بالفكر والذكر
الذي هو اعلى مقامات السالكين ومن لا مال له فيفتقر الى ان يتولى بنفسه خدمه
نفسه من شرا الطعام وطحنه وكنس البيت حتى نسخ الكتاب الذي يحتاج اليه وكل ما يتصور ان يقوم به
غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر ما لا يتصور ان

يقوم به غيرك وتحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت به اذ عليك من العلم والعمل والذكر ما لا
يتصور ان يقوم به غيرك فتضييع الوقت في غيره خسران **النوع الثالث** ما لا يصرفه الى انسان
معين ولكنه يحصل به خير عام كبنا المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضى
ونصب الحباب في الطرق وغير ذلك من الاوقاف المرصدة للخيرات الموبدة الدارة بعد الموت المستجلبة
بركة ادعية الصالحين الى اوقات متمادية وناهيك به خيرا فهذه جملة فوايد المال
في الدين سوى ما يتعلق بالحظوظ العاجلة من الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر والوصول الى العز
والمجد بين الخلق وكثرة الاخوان والاعوان والاصدقا والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه
المال في الحظوظ الدنيوية **واما** الافات فدينية ودنيوية اما الدينية فثلثة
الاولى انه يجر الى المعاصي فان الشهوات متقاضية والعجز قد يحول بين المرء وبين المعصية ومن العصمة
ان لا يقدر ومهما كان الانسان ايسا عن نوع من المعصية لم تتحرك داعيته فاذا استشعر القدرة عليه
انبعثت الداعية والمال نوع من القدرة يحرك داعية المعاصي وارتكاب الفجور فان اقتحم ما اشتهاه هلك وان
صبر وقع في شدة اذ الصبر مع القدرة اشد وفتنة السرا اعظم من فتنة الضرا **الثاني** انه يجر الى التنعم في
المباحات وهذا اول الدرجات فمتى يقدر صاحب المال على ان يتناول خبز الشعير ويلبس الثوب الخشن
ويترك لذيذ الاطعمة كما كان يقدر عليه سليمن عليه السلام في ملكه فاحسن احواله ان يتنعم بالدنيا ويمرن
عليها نفسه فيصير التنعم مالوفا عنده ومحبوبا لا يصبر عنه ويجره البعض منه الى البعض واذا اشتد
انسه به ربما لا يقدر على التوصل اليه الا بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات ويخوض في المرايات والمداهنة
والكذب والنفاق وساير الاخلاق الرديه لينتظم امر دنياه ويتيسر له تنعمه فان من كثر ماله كثرت حاجته
الى الناس ومن احتاج الى الناس فلا بد ان ينافقهم ويعصي الله تعالى في طلب رضاهم فان سلم الانسان
من الافة الاولى وهو مباشرة المحظورات فلا يسلم من هذه اصلا ومن الحاجة الى الخلق تثور العداوة
والصداقة وينشا عليه الحقد والحسد والريا والكذب والغيبة والنميمة وساير المعاصي التي تختص
بالقلب واللسان ولا تخلو ايضا من التعدي الى ساير الجوارح وكل ذلك يلزم من شوم المال والحاجة الى
حفظه واصلاحه **الثالثة** وهي التي لا ينفك عنها احد وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله
تعالى وكل ما يشغل العبد عن الله تعالى فهو خسران ولذلك قال عيسى عليه السلام في المال ثلث افات
ياخذه من غير حله فقيل ان اخذه من حله قال يضعه في غير حقه فقيل ان وضعه في حقه قال يشغله
اصلاحه عن الله تعالى وهذا هو الدا العضال فان اصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالى والفكر في
جلاله وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة الفلاح ومحاسبته وخصومة
الشركا ومنازعتهم في الما والحدود ومنازعة اعوان السلطان في الخراج وخصومة الاجرا في التقصير في

العمارة وخصومة الفلاحين في خيانتهم وسرقتهم وصاحب التجارة يكون متفكرا في خيانة شريكه
وانفراده بالربح وتقصيره في العمل وتضييعه للمال وكذلك صاحب المواشي وهكذا ساير اصناف
الاموال وابعدها عن كثرة الشغل النقد المكنوز تحت الارض ولا يزال الفكر مترددا فيما يصرف اليه
وفي كيفية حفظه وفي الخوف مما يعثر عليه وفي دفع اطماع الناس عنه واودية افكار الدنيا لا نهاية لها
والذي معه قوت يومه في سلامة عن جميع ذلك فهذه جملة الافات الدنيوية سوى ما يقاسيه ارباب الاموال في
الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الحساد وتجشم المصاعب في حفظ الاموال وكسبها
فاذا ترياق المال اخذ القوت منه وصرف الباقي الى الخيرات وما عداه سموم وافات **بيان ذم**
الحرص والطمع ومدح القناعة والياس مما في ايدي الناس اعلم ان الفقر محمود كما اوردناه في كتاب
الفقر ولكن ينبغي ان يكون الفقير قانعا منقطع الطمع عن الخلق غير ملتفت الى ما في ايديهم ولا حريصا على اكتساب
المال كيف كان ولا يمكنه ذلك الا بان يقنع بقدر الضرورة من المطعم والملبس ويقتصر على اقله قدرا
واخسه نوعا ويرد امله الى يومه او الى شهره ولا يشغل قلبه بما بعد شهر فان تشوف الى الكثرة
او طول الامل فاته عز القناعة وتدنس لا محالة بالطمع وذل الحرص وجره الحرص والطمع الى مساوي
الاخلاق وارتكاب المنكرات الخارقة للمروات وقد جبل الادمي على الحرص وقلة القناعة والطمع قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب
ويتوب الله على من تاب وعن ابي واقد الليثي قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوحي اليه
اتيناه يعلمنا مما اوحي اليه فجيته ذات يوم فقال ان الله عز وجل يقول انا انزلنا المال لاقام الصلوة وايتا
الزكوة ولو كان لابن ادم واد لاحب ان يكون اليه الثاني ولو كان الثاني لاحب ان يكون اليهما الثالث مرفوع
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال ابو موسى الاشعري نزلت سورة نحو براة ثم رفعت
وحفظ ان الله تعالى يويد هذا الدين باقوام لا خلاق لهم ولو ان لابن ادم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا
ولا يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب وقال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم
العلم ومنهوم المال وقال صلى الله عليه وسلم يهرم ابن ادم وتشب معه اثنتان الامل
وحب المال ولما كانت هذه جبلة للادمي مضلة وغريزة مهلكة اثنى الله عز وجل ورسوله عليه السلام على
القناعة فقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدي الى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال ما من احد
غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا في الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم ليس الغنا عن كثرة العرض
انما الغنى غنى النفس ونهى عن شدة الحرص والمبالغة في الطلب فقال ايها الناس اجملوا في الطلب فانه
ليس للعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمة وروي ان موسى عليه السلام
سال ربه عز وجل اي عبادك اغنى قال اقنعهم بما اعطيته قال فايهم اعدل قال من انصف من نفسه

وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان روح القدس نفث في روعي ان
نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم كن ورعا تكن اعبد الناس وكن قنعا تكن اشكر الناس واحب للناس ما تحب لنفسك تكن مومنا
ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث
تعتذر منه غدا واجمع الاياس مما في ايدي الناس وقال عوف بن مالك الاشجعي قال
كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة او ثمانية او سبعة فقال الا تبايعون رسول الله قلنا او ليس
قد بايعناك يا رسول الله ثم قال الا تبايعون رسول الله فبسطنا ايدينا فبايعناه
فقال قايل منا قد بايعناك فعلى م ذا نبايعك قال ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيا وتصلوا الصلوات
الخمس وتسمعوا وتطيعوا ولا تسالوا الناس شيا قال ولقد كان بعض اوليك النفر يسقط سوطه
فما يسال احدا ان يناوله اياه **الاثار** قال عمر رضي الله عنه ان الطمع فقر وان الياس غنا وانه من ياس
مما في ايدي الناس استغنى عنهم ولذلك قال الشاعر ⁂ العيش ساعات تمر وخطوب ايام تكر ⁂
اقنع بعيشك ترضه واترك هواك تعيش حر ⁂ فلرب حتف ساقه ذهب وياقوت ودر ⁂ وكان محمد بن واسع
يبل الخبز اليابس بالماء وياكله ويقول من قنع بهذا لم يحتج الى احد وقال [illegible] خير
دنياكم ما لم تبتلوا به وخير ما ابتليتم به ما خرج من ايديكم وقال شميط بن عجلان انما بطنك يا ابن ادم
شبر في شبر فلم يدخلك النار وقيل لحكيم ما مالك قال التجمل في الظاهر والقصد في الباطن والياس مما في ايدي
الناس ويروى ان الله عز وجل قال يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا
اعطيتك منها القوت وجعلت حسابها على غيرك فانا لك محسن وقال ابن مسعود اذا طلب احدكم الحاجة
فليطلبها طلبا يسيرا ولا ياتي الرجل فيقول انك وانك فيقطع ظهره فانما ياتيه ما قسم له او ما رزق وكتب
بعض بني امية الى ابي حازم يعزم عليه ان يرفع اليه حوائجه فكتب اليه رفعت حوائجي الى مولاي فما اعطاني
منها قبلت وما امسك عني قنعت وقيل لبعض الحكما اي شي اسر العاقل وايها اعون على دفع الحزن
قال اسرها اليه ما قدم من صالح العمل واعونها له على دفع الحزن الرضا بمحتوم القضا
وقال بعض الحكما وجدت اطول الناس غما الحسود واهناهم عيشا القانع واصبرهم على البلا الذي
الحريص اذا طمع واخفضهم عيشا ارفضهم للدنيا واعظمهم ندامة العالم المفرط وقد قيل
ارفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم الارزاق يرزقه ⁂ وقيل حتى متى انا في حل وترحال
وطول سعي وادبار واقبال ⁂ ونازح الدار لا انفك مغتربا عن الاحبة لا يدرون ما حالي
بمشرق الارض طورا او مغربها لا يخطر الموت من حرص على بالي ⁂ ولو قنعت اتاني الرزق في دعة

ان القنوع الغنى لا كثرة المال ⁂ وقد قيل ⁂ ارفه ببال فتى يمسي على ثقة ان الذي قسم
الارزاق يرزقه ⁂ فالعرض منه مصون لا يدنسه ⁂ والوجه منه جديد ليس يخلقه ⁂
ان القناعة من يحلل بساحتها لم يلق في دهره شيا يورقه ⁂ وقال عمر رضي الله عنه
الا اخبركم بما استحل من مال الله عز وجل حلتان لشتاي وقيظي وما يسعني من الظهر لحجي وعمرتي
وقوتي بعد ذلك كقوت رجل من قريش لست بارفعهم ولا باوضعهم ووالله ما ادري ايحل ذلك ام
لا كانه شك في ان هذا القدر هل هو زايد على الكفاية التي تجب القناعة بها وعاتب اعرابي
اخاه على الحرص فقال يا اخي انت طالب ومطلوب يطلبك من لا تفوته وتطلب انت من قد كفيته
وكان ما قد غاب عنك قد كشف لك وما انت فيه قد نقلت عنه كانك يا اخي لم تر حريصا محروما
وزاهدا مرزوقا وقيل في ذلك ⁂ اراك يزيدك الاثرا حرصا على الدنيا كانك لا تموت ⁂
فهل لك غاية ان صرت يوما اليها قلت حسبي قد رضيت ⁂ وقال الشعبي رضي الله عنه حكي ان رجلا صاد
قنبرة فقالت ما تريد ان تصنع بي قال اذبحك واكلك قالت والله ما اشفي من قرم
ولا اشبع من جوع ولكني اعلمك ثلث خصال هي خير لك من اكلي اما واحدة فاعلمك وانا في يدك واما
الثانية فاذا صرت على الشجرة واما الثالثة فاذا صرت على الجبل قال هات الاولى قالت لا تلهفن على ما فات
فلما صارت على الشجرة قال هات الثانية قالت لا تصدقن بما لا يكون انه يكون وطارت
فصارت على الجبل فقالت يا شقي لو ذبحتني لاخرجت من حوصلتي درتين في كل واحدة عشرون مثقالا قال
فعض على شفتيه وقال هات الثالثة قالت انت قد نسيت الاثنين فكيف اخبرك بالثالثة الم اقل لك لا
تلهفن على ما فاتك ولا تصدقن بما لا يكون انه يكون انا ولحمي ودمي وريشي لا يكون عشرين مثقالا فكيف
يكون في حوصلتي درتان في كل واحدة عشرون مثقالا ثم طارت وذهبت وهذا مثال لفرط طمع الادمي
فانه يعميه عن درك الحق حتى يقدر ما لا يكون انه يكون وقال ابن السماك ان الرجا حبل في قلبك وقيد
في رجلك فاخرج الرجا من قلبك يخرج القيد من رجلك وقال ابو محمد اليزيدي دخلت على الرشيد فوجدته ينظر
في ورقة مكتوب فيها بالذهب فلما راني تبسم فقلت فايدة اصلح الله امير المومنين قال نعم وجدت هذين البيتين
في بعض خزاين بني امية فاستحسنتهما وقد اضفت اليهما ثالثا وانشدني
اذا سد باب عنك من دون حاجة فدعه لاخرى ينفتح لك بابها ⁂ فان قراب البطن يكفيك ملؤه ويكفيك سوات
الامور اجتنابها ⁂ ولا تك مبذالا لعرضك واجتنب ركوب المعاصي يجتنبك عذابها ⁂
وقال عبد الله بن سلام لكعب ما يذهب العلم من قلوب العلما بعد اذ وعوه وعقلوه قال الطمع
وشره النفس وطلب الحاجات فقال رجل للفضيل فسر لي قول كعب قال يطمع الرجل في الشي يطلبه
فيذهب عليه دينه والشره شره النفس في هذا وفي هذا حتى تحب الا يفوتها شي ويكون لك الى هذا حاجة

والى هذا حاجه فاذا قضاها لك خرم انفك وقادك حيث شا واستمكن منك وخضع له من جلك
الدنيا شمت عليه اذا مرزيه وعدته اذا مرض لم تسلم عليه لله ولم تعده لله فلو لم يكن لك اليه
حاجه كان زجرا لك ثم قال هذا اخبر لك من مايه حديث عن فلان عن فلان وقال بعض
الحكما عجيب امر الانسان انه لو نودي بدوام البقا في ايام الدنيا لم يكن في قوى خلقته من الحرص اكثر مما استعمله
مع قصر مدة التمتع وتوقع الزوال وقد قال عبد الواحد بن زيد مررت براهب فقلت من اين تاكل قال من
بيدر اللطيف الخبير الذي خلق الرحا هو الذي ياتيها بالطحين واوما بيده الى رحا اضراسه **بيان**
علاج الحرص والطمع والدوا الذي يكتسب به صفة القناعه اعلم ان هذا الدوا مركب من ثلثه اركان
الصبر والعلم والعمل ومجموع ذلك خمسه امور الاول وهو العمل والاقتصاد في المعيشه والرفق في
الانفاق فمن اراد عز القناعة فينبغي ان يسد على نفسه ابواب الخرج ما امكنه ويرد نفسه الى ما لابد
له منه فمن كثر خرجه واتسع انفاقه لا يمكنه القناعة بل ان كان وحده فينبغي ان يقنع بثوب واحد
خشن ويقنع باي طعام كان ويقلل من الادام ما امكنه ويوطن نفسه عليه فان كان له عيال فرد كل
واحد الى هذا القدر فان هذا القدر يتيسر بادنى جهد ويمكن معه الاجمال في الطلب فالاقتصاد في المعيشه
هو الاصل في القناعه ونعني به الرفق في الامر كله وقال صلى الله عليه وسلم ما عال من اقتصد
وقال صلى الله عليه وسلم ثلثه منجيات خشية الله في السر والعلانيه والقصد في الغنى والفقر
والعدل في الرضى والغضب وروي ان رجلا ابصر ابا الدردا وهو يلتقط حبا من الارض ويقول ان من فقهك
رفقك في معيشتك وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد وحسن السمت والهدي الصالح
جزء من بضع وعشرين جزءا من النبوه وفي الخبر التدبير نصف العيش وقال صلى الله عليه وسلم من اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا اردت امرا فعليك
بالتؤده حتى يجعل الله لك فرجا ومخرجا والتؤده في الانفاق من اهم الامور **الثاني** انه اذا تيسر له في الحال ما
يكفيه فلا ينبغي ان يكون شديد الاضطراب لاجل الاستقبال ويعينه على ذلك قصر الامل
والتحقق ان الرزق الذي قدر له لابد ان ياتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول
الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال سبحانه وما من دابه في الارض الايه وذلك لان
الشيطان يعده الفقر ويامره بالفحشا ويقول ان لم تحرص ربما تعجز وتحتاج الى احتمال الذل في السوال
فلا يزال طول العمر يتعبه في الطلب خوفا من التعب ويضحك عليه في احتماله التعب نقدا مع الغفله
عن الله عز وجل لتوهم تعب في ثاني الحال ربما لا يكون وفي مثله قيل
ومن ينفق الساعات في جمع ماله مخافة فقر فالذي فعل الفقر وقد دخل ابنا خالد على رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال لا تياسا من الرزق ما تهززت رؤسكما فان الانسان تلده امه احمر ليس عليه قشر

ثم يرزقه الله تعالى ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بابن مسعود وهو حزين فقال لا تكثر همك ما يقدر
يكن وما ترزق ياتيك وقال صلى الله عليه وسلم ايها الناس اجملوا في الطلب فانه ليس
لعبد الا ما كتب له ولن يذهب عبد من الدنيا حتى ياتيه ما كتب له من الدنيا وهي راغمه ولا ينفك الانسان عن
الحرص الا بحسن ثقته بتدبير الله تعالى في تقدير ارزاق العباد وان ذلك يحصل لا محاله مع الاجمال في
الطلب بل ينبغي ان يعلم ان رزق العبد من حيث لا يحتسب اكثر قال تعالى ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه
من حيث لا يحتسب وقال سفيان اتق الله فما رايت تقيا محتاجا اي لا يترك التقي فاقدا الضروره بل يلقي
الله عز وجل في قلوب المسلمين ان يوصلوا اليه رزقه وقال المفضل الضبي قلت لاعرابي من اين معاشك
قال نذر الحاج قلت فاذا صدروا فبكى وقال لو لم نعش الا من حيث ندري لم نعش وقال
ابو حازم وجدت الدنيا شيئين شيا منهما هو لي فلن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض
وشيا هو لغيري فذلك لم انله فيما مضى ولا ارجوه فيما بقي يمنع الذي لغيري مني كما يمنع الذي لي من غيري
ففي اي هذين افني عمري فهذا دوا من جهة المعرفه لابد منه لدفع تخويف الشيطان وانذاره بالفقر **الثالث**
ان تعرف ما في القناعه من عز الاستغنا وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق عنده ذلك
انبعثت رغبته الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس
في القناعه الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا الم لا يطلع عليه احد وفيه ثواب الاخره وذلك
مما ينضاف اليه نظر الناس وفيه الوبال والماثم يفوته عز النفس والقدره على متابعة الحق
فان من كثر طمعه وحرصه كثرت حاجته الى الناس فلا تمكنه دعوتهم الى الحق ويلزمه المداهنه وذلك
يهلك دينه ومن لا يوثر عز النفس على شهوة البطن فهو ركيك العقل ناقص الايمان قال النبي صلى الله
عليه وسلم عز المومن استغناوه عن الناس ففي القناعه الحريه والعز ولذلك قيل استغن عمن
شيت فانت نظيره واحتج الى من شيت فانت اسيره واحسن الى من شيت فانت اميره **الرابع** ان
يكثر تامله في تنعم اليهود والنصارى واراذل الناس والحمقى من الاكراد والاعراب ومن لا دين لهم
ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبيا والاوليا والى سنة الخلفا الراشدين وساير الصحابه والتابعين
رضي الله عنهم اجمعين ويستمع احاديثهم ويطالع احوالهم ويخير عقله بين ان يكون على مشابهه
اراذل الخلق او على الاقتدا بمن هو اعز اصناف الخلق عند الله عز وجل حتى يهون عليه بذلك الصبر على
القليل والقناعه باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير
اعلى رتبه منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى رتبه منه وان قنع بالقليل ورضي
به لم يساهمه في رتبته الا الانبيا والاوليا **الخامس** ان يفهم ما في جمع المال من الخطر كما ذكرناه
من افات المال وما فيه من خوف السرقه والنهب والضياع وما في خلو اليد من الامن والفراغ ويتامل ما

ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته من المرافقة عن باب الجنة الى خمسمائة عام فانه اذا لم يقنع
بما يكفيه التحق بزمرة الاغنيا واخرج عن جريدة الفقرا ويتم ذلك بان ينظر ابدا الى من دونه في الدنيا
لا الى من فوقه فان الشيطان ابدا يصرف نظره في الدنيا الى من فوقه فيقول لم تفتر عن الطلب وارباب
الاموال يتنعمون في المطاعم والملابس ويصرف نظره في الدين الى من هو دونه فيقول
ولم تضيق على نفسك وتخاف الله وفلان اعلم منك وهو لا يخاف الله والناس كلهم مشغولون بالتنعم
فلم تريد ان تتميز عنهم قال ابو ذر اوصاني خليلي ان انظر الى من هو دوني لا الى من هو
فوقي اي في الدنيا وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم اذا نظر احدكم الى من فضله الله تعالى عليه في المال
والخلق فلينظر الى من هو اسفل منه ممن فضل عليه بهذه الامور يقدر على اكتساب خلق القناعة
وعماد الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلايل ليتمتع دهرا طويلا فيكون
كالمريض الذي يصبر على مرارة الدوا لشدة طمعه في انتظار الشفا

بيان فضيلة السخا

اعلم ان المال
ان كان مفقودا فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي ان يكون حاله
الايثار والسخا واصطناع المعروف والتباعد عن الشح والبخل فان السخا من اخلاق الانبيا عليهم السلام
وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم قال السخا شجرة من شجر الجنة
اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصنا قاده ذلك الغصن الى الجنة وقال جابر قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال جبريل عليه السلام قال الله تعالى ان هذا الدين ارتضيته ولن يصلحه الا السخا وحسن
الخلق فاكرموه بهما ما استطعتم وفي رواية فاكرموه بهما ما صحبتموه وعن عايشة قالت قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ما جبل الله وليا له الا على السخا وحسن الخلق وعن جابر قال قيل يا رسول الله اي الاعمال
افضل قال الصبر والسماحة وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخا واما اللذان
يبغضهما الله فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيرا استعمله على قضا حوايج الناس وروى المقدام
بن شريح عن ابيه عن جده قال قلت يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة قال ان من موجبات المغفرة
اطعام الطعام وافشا السلام وحسن الكلام وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخا شجرة في
الجنة والشح شجرة في النار فمن كان سخيا اخذ بغصن منها فلم يتركه الغصن حتى يدخله الجنة والشح
شجرة في النار فمن كان شحيحا اخذ بغصن من اغصانها فلم يتركه ذلك الغصن حتى يدخله النار
وقال ابو سعيد الخدري قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اطلبوا الفضل من الرحما من عبادي
تعيشوا في اكنافهم فاني جعلت فيهم رحمتي ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فاني جعلت فيهم سخطي
وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تجافوا عن ذنب السخي فان الله آخذ بيده كلما عثر وقال
بن مسعود

١٢١

بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الرزق الى مطعم الطعام اسرع من السكين الى
ذروة البعير وان الله ليباهي بمطعم الطعام الملايكة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجواد
ويحب معالي الاخلاق ويكره سفسافها وقال انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يسئل على الاسلام
شيا الا اعطاه فاتاه رجل فسأله فامر له بشاء كثيرة بين جبلين من شاء الصدقة فرجع الى قومه فقال
يا قوم اسلموا فان محمدا يعطي عطا من لا يخشى الفاقة وقال ابن عمر رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا يخصهم بالنعم لمنافع العباد فمن بخل بتلك المنافع عن العباد
نقلها الله عنه وحولها الى غيره وعن الهلالي قال اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم باسرى من بني العنبر
فامر بقتلهم وافرد منهم رجلا فقال علي رضي الله عنه يا رسول الله الرب واحد والدين واحد والذنب
واحد فما بال هذا من بينهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم نزل علي جبريل عليه السلام
فقال اقتل هولا واترك هذا فان الله شكر له سخا فيه وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل شي ثمرة وثمرة
المعروف تعجيل السراح وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم طعام الجواد دوا
وطعام البخيل دا وقال صلى الله عليه وسلم من عظمت نعمة الله عنده عظمت مونة الناس عليه فمن
لم يحتمل تلك المونة عرض تلك النعمة للزوال وقال عيسى عليه السلام وعلى نبينا استكثروا من شي
لا تاكله النار قيل وما هو قال المعروف وقالت عايشة رضي الله عنها الجنة دار الاسخيا وقال
ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد
من النار وان البخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي
احب الى الله من عابد بخيل وادوى الدا البخل وقال عليه السلام اصنع المعروف الى من هو اهله والى
من ليس هو اهله وقال عليه السلام ان بدلا امتي لم يدخلوا الجنة بصلوة ولا صيام دخلوها بسخا
الانفس وسلامة الصدور والنصح للمسلمين وقال ابو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله جعل للمعروف وجوها من خلقه حبب اليهم المعروف وحبب اليهم فعاله ووجه طلاب المعروف
اليهم ويسر عليهم اعطاه كما ييسر الغيث الى البلدة الجدبة فيحييها ويحيي به اهلها وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وكل ما انفق الرجل على اهله ونفسه كتب له صدقة وما وقى الرجل
به عرضه فهو له صدقة وما انفق الرجل نفقة لله فعلى الله خلفها وقال صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة
صنعته الى غني او فقير صدقة وروي ان الله تعالى اوحى الى موسى صلى الله عليه وسلم لا تقتل السامري
فانه سخي وقال جابر بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا عليهم قيس بن سعد بن عبادة فجهدوا
فنحر لهم قيس تسع ركايب فحدثوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال صلى الله عليه وسلم ان الجود
لمن شيمة اهل ذلك البيت

الآثار قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا فانفق منها فانها

لا تفنى واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى وانشد لا تبخلن بدنيا وهي مقبلة فليس ينقصها
التبذير والسرف فان تولت فاحرى ان تجود بها فالحمد منها اذا ما ادبرت خلف
وسال معوية الحسن بن علي عن المروه والنجده والكرم فقال اما المروه فحفظ
الرجل دينه وحرزه نفسه وحسن قيامه بضيفه وحسن المنازعه والاقدام في الكراهيه واما
النجده فالذب عن الجار والصبر في المواطن واما الكرم فالتبرع بالمعروف قبل السوال والاطعام في
المحل والرافه بالسايل مع بذل النايل ورفع رجل الى الحسن بن علي رقعة فقال حاجتك
مقضيه فقيل له يا ابن رسول الله لو نظرت في رقعته ثم رددت الجواب على قدر ذلك فقال يسالني الله
عز وجل عن ذل مقامه بين يدي حتى اقرا رقعته وقال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله
ولا يشتري الاحرار بمعروفه وسيل بعض الاعراب وقيل من سيدكم فقال من احتمل شتمنا واعطى
سايلنا واغضى عن جاهلنا وقال علي بن الحسين ومن وصف ببذل ماله لطلابه
لم يكن سخيا انما السخي من يبتدي بحقوق الله عز وجل في اهل طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر
له اذا كان يقينه ثواب الله تعالى وقيل للحسن البصري ما السخا فقال ان تجود بمالك في الله تعالى
قيل فما الحزم قال ان تمنع مالك فيه قيل فما الاسراف قال الانفاق لحب الرياسه وقال
جعفر الصادق لا مال اعود من العقل ولا مصيبه اعظم من الجهل ولا مظاهرة كالمشوره الا ان الله
عز وجل يقول اني جواد كريم لا يجاورني لييم واللوم من الكفر واهل الكفر في النار
والجود والكرم من الايمان واهل الايمان في الجنه وقال حذيفه تاجر في دينه اخرق من معيشته بدخل
سماحته ورأى الاحنف بن قيس رجلا وعنده درهم فقال لمن هذا الدرهم فقال لي فقال اما انه ليس
لك حتى يخرج من يدك ومعناه قيل انت للمال الذي امسكته واذا انفقته فالمال لك
وسمي واصل بن عطا الغزال لانه كان يجلس الى الغزالين فاذا راى امراة ضعيفه اعطاها شيا
وقال الاصمعي كتب الحسن بن علي الى الحسين بن علي يعيب عليه اعطا الشعرا
فكتب اليه خير المال ما وقى العرض وقيل لسفين بن عيينه ما السخا قال السخا البر بالاخوان والجود
بالمال وورث خمسين الف درهم فبعث بها الى اخوانه صررا وقال كنت اسال الله تعالى لاخواني الجنه في
صلواتي فابخل عليهم بالدنيا وقال الحسن بذل المجهود في بذل الموجود منتهى الجود وقيل لبعض الحكما
من احب الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي قيل فان لم يكن قال من كثرت ايادي عنده وقال عبد
العزيز بن مروان اذا الرجل امكنني من نفسه حتى اضع معروفي عنده فيده عندي مثل يدي عنده وقال
المهدي لشبيب بن شيبه كيف رايت الناس في داري فقال يا امير المومنين ان الرجل منهم ليدخل راجيا
ويخرج راضيا وتمثل عبد الله بن جعفر فقال ان الصنيعه لا تكون صنيعه حتى يصاب بها طريق المصنع

فاذا اصطنعت صنيعه فاعمد بها لله او لذوي القرابه او دع فقال عبد الله بن جعفر ان هذين
البيتين ليبخلان الناس ولكن امطر المعروف مطرا فان اصاب الكرام كانوا له اهلا وان اصاب اللئام كنت
له اهلا

حكايات الاسخيا

عن محمد بن المنكدر عن ام دره وكانت تخدم عايشه
رضي الله عنها قالت ان الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومايه الف فدعت بطبق فجعلت
تقسمه بين الناس فلما امست قالت يا جاريه هاتي فطوري فجاتها بخبز وزيت فقالت لها ام دره
ما استطعت فيما قسمت اليوم ان تشتري لحما تفطرين عليه قالت لو كنت ذكرتني لفعلت
وعن ابان بن عثمان قال اراد رجل ان يضار عبد الله بن عباس فاتى وجوه قريش
فقال يقول لكم عبد الله بن عباس تغدوا عندي اليوم فاتوه حتى ملوا عليه الدار فقال
ما هذا فاخبر بالخبر فامر عبد الله بشرا الفاكهه وامر قوما فطبخوا وخبزوا وقدمت الفاكهه اليهم فلم يفرغوا
منها حتى وضعت الموايد فاكلوا حتى صدروا وقال عبد الله لوكلايه اموجود لنا هذا كلما اردنا قالوا نعم قال
فليتغد عندنا هولاي في كل يوم وقال مصعب بن الزبير حج معوية فلما انصرف مر بالمدينة فقال الحسين
بن علي لاخيه لا تلقه ولا تسلم عليه فلما خرج معوية قال الحسن ان علينا دينا ولا بد من اتيانه
فركب في اثره فلحقه فسلم عليه واخبره بدينه فمروا عليه ببختي عليه ثمانون الف دينار وقد اعيى
وتخلف عن الابل وقوم يسوقونه فقال معوية ما هذا فذكر له فقال اصرفوه
بما عليه الى ابي محمد وعن واقد بن محمد الواقدي قال ابي انه رفع رقعه الى المامون فذكر فيها
كثرة الدين وقله صبره عليه فوقع المامون على ظهر رقعته انك رجل اجتمع فيه خصلتان سخا وحيا
فاما السخا فهو الذي اطلق ما في يديك واما الحيا فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد امرت
لك بمايه الف درهم فان كنت قد اصبت فازدد في بسط يدك وان لم اكن اصبت فجنايتك على
نفسك وانت حدثتني وكنت على قضا الرشيد عن محمد بن اسحق عن الزهري عن انس ان النبي صلى الله
عليه وسلم قال للزبير بن العوام يا زبير اعلم ان مفاتيح ارزاق العباد بازا العرش يبعث الله
عز وجل الى كل عبد بقدر نفقته فمن كثر كثر الله عليه ومن قلل قلل عليه وانت اعلم قال الواقدي
فوالله لمذاكرة المامون اياي الحديث احب الي من الجايزه وهي مايه الف وسال رجل الحسن بن
علي حاجه فقال له يا هذا حق سوالك اياي يعظم لدي ومعرفتي بما يجب لك يكبر علي ويدي تعجز
عن نيلك بما انت اهله والكثير في ذات الله قليل وما في ملكي وفا لشكرك فان قبلت الميسور ورفعت
عني مؤنة الاحتيال والاهتمام لما اتكلفه من واجبك فعلت فقال يا ابن رسول الله اقبل
واشكر العطية واعذر على المنع فدعا الحسن بوكيله وجعل يحاسبه على نفقاته حتى
استقصاها فقال هات الفاضل من الثلثمايه الف فاحضر خمسين الفا قال فما فعل الخمسمايه دينار

فقال هي عندك قال احضرها فاحضرها فدفع الدراهم والدنانير الى الرجل فقال هات من يحملها لك فاتاه
بحمالين فدفع الحسن رداه لكرا الحمالين فقال له مواليه والله ما عندنا درهم فقال ولكني ارجوا
ان يكون لي عند الله اجر عظيم واجتمع قرا البصرة الى ابن عباس وهو عامل البصرة فقالوا
لنا جار صوام قوام يتمنى كل واحد منا ان يكون مثله وقد زوج بنية له من ابن اخيه وهو فقير وليس
عنده ما يجهزها به فقام عبد الله بن عباس رضي الله عنه فاخذ بايديهم وادخلهم داره وفتح صندوقا
فاخرج منه ست بدر وقال احملوا فحملوا فقال ابن عباس ما انصفناه حيث اعطيناه
ما يشغله عن قيامه وصيامه ارجعوا بنا نكن اعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل
مومنا عن عبادة ربه تعالى وما بنا من الكبر ما لا نخدم اوليا الله تعالى ففعل وفعلوا وحكي انه
لما اجدب الناس بمصر وعبد الحميد بن سعد اميرهم فقال والله لاعلمن الشيطان اني عدوه فعال
محاويجهم الى ان رخصت الاسعار ثم عزل عنهم فدخل وللتجار عليه الف الف درهم ورهنهم بها
حلي نسايه وقيمته خمسماية الف الف فلما تعذر عليه ارتجاعه كتب اليهم ببيعها ودفع الفاضل
منها عن حقوقهم الى من لم تصله صلته وكان ابو طالب بن كثير شيعيا فقال له رجل بحق علي بن ابي
طالب لما وهبت لي نخلك بموضع كذا قال قد فعلت وحقه لاعطينك ما يليها وكان ذلك اضعاف
مطلب الرجل وكان ابو مرثد احد الكرما فمر به بعض الشعرا فقال للشاعر والله ما عندي ما
اعطيك ولكن قدمني الى القاضي وادعي علي عشرة الاف درهم حتى اقر لك بها ثم احبسني فان اهلي لا
يتركوني محبوسا ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع اليه عشرة الاف درهم واخرج ابو مرثد من الحبس
وكان معن بن زايدة عاملا على العراقين بالبصرة فحضر بابه شاعر فاقام مدة واراد الدخول على
معن فلم يتهيا له فقال يوما لبعض خدم معن اذا دخل الامير البستان فعرفني فلما دخل اعلمه
فكتب الشاعر بيتا على خشبة والقاها في الما الذي يدخل بستان معن على راس الما فلما بصر بالخشبة
اخذها وقراها فاذا فيها مكتوب: ايا جود معن ناج معنا بحاجتي ... فما لي الى معن سواك شفيع
قال فقال من صاحب هذه فدعي بالرجل فقال له كيف قلت فقال له: ايا جود معن ناج معنا
بحاجتي ... فما لي الى معن سواك شفيع فامر له بعشرة بدر فاخذها واخذ الامير الخشبة فوضعها
تحت بساطه فلما كان اليوم الثاني اخرجها من تحت البساط وقراها ودعا بالرجل فدفع اليه ماية
الف درهم فلما اخذها تفكر وخاف ان ياخذ منه ما اعطاه وخرج فلما كان في اليوم الثالث قراها
ودعا بالرجل وطلبه فلم يوجد فقال معن حق علي ان اعطيه حتى لا يبقى في بيت مالي درهم ولا دينار
وقال ابو الحسن المدايني خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حجاجا ففاتهم اثقالهم فجاعوا
وعطشوا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب فقالت نعم فاناخوا اليها وليس لها الا

شويهة في كسر الخيمة فقالت احلبوها وامتذقوا لبنها ففعلوا ذلك ثم قالوا لها هل من طعام فقالت
لا الا هذه الشاة فليذبحها احدكم حتى اهيي لكم ما تاكلون فقام اليها احدهم وذبحها وكشطها
ثم هيات لهم طعاما فاكلوا واقاموا حتى ابردوا فلما ارتحلوا قالوا لها نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه
فاذا رجعنا سالمين فالمي بنا فانا صانعون بك خيرا ثم ارتحلوا فاقبل زوجها فاخبرته بخبر القوم والشاة
فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم لا تعرفيهم ثم تقولين نفر من قريش ثم
بعد مدة الجاتهما الحاجة الى دخول المدينة فدخلاها وجعلا ينقلان البعر اليها ويبيعانه ويعيشان
من ثمنه فمرت العجوز في بعض سكك المدينة فاذا الحسن بن علي رضي الله عنهما جالس على باب داره
فعرف العجوز وهي له منكرة فبعث الحسن غلامه ودعا العجوز فقال لها يا امة الله
اتعرفيني قالت لا قال انا ضيفك يوم كذا وكذا قالت العجوز بابي انت وامي انت هو قال نعم ثم امر الحسن
فاشتروا لها من شا الصدقة الف شاة وزاد لها الف دينار وبعث بها مع غلامه الى الحسين فقال لها
الحسين بكم وصلك اخي قالت بالف شاة والف دينار فامر لها الحسين بمثل ذلك ثم بعث بها مع غلامه الى عبد
الله بن جعفر فقال لها بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي دينار
فاعطاها مثلهما وقال لها لو بدات بي لاتعبتهما فرجعت العجوز الى زوجها باربعة الاف شاة واربعة
الاف دينار وخرج عبد الله بن عامر بن كريز من المسجد يريد منزله وهو وحده فقام اليه غلام من
ثقيف يمشي الى جانبه فقال له عبد الله الك حاجة يا غلام قال صلاحك وفلاحك رايتك تمشي وحدك
فقلت اقيك بنفسي واعوذ بالله ان طار بجنابك مكروه فاخذ عبد الله بيده ومشى معه الى منزله
ثم دعا بالف دينار فدفعها الى الغلام وقال استنفق هذه فنعم ما ادبك اهلك وحكي ان قوما من العرب
جاووا الى قبر بعض اسخيايهم للزيارة فنزلوا عند قبره وجاووا من سفر بعيد فباتوا عند قبره فراى
رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وكان خلف السخي الميت
نجيبا معروفا به ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم وباع في النوم بعيره بنجيبه فلما وقع بينهما
العقد عمد هذا الرجل الى بعيره فنحره في النوم فانتبه الرجل من نومه ينبجس الدم من نحر بعيره فقام الرجل
من النوم فنحره وقسم لحمه وطبخه وقضوا حاجتهم ثم رحلوا وساروا فلما كان في اليوم الثاني وهم
في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم ذلك الرجل فقال انا فقال هل
بعت من فلان شيا وذكر الميت صاحب القبر قال نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا
نجيبه ثم هو ابي وقد رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه
وخرج رجل من قريش من السفر فمر برجل من الاعراب على قارعة الطريق قد اقعده الدهر واضر به
المرض فقال يا هذا اعنا على الدهر فقال الرجل لغلامه ما بقي من النفقة فادفعه اليه فصب الغلام

في حجر الاعرابي اربعة آلاف درهم فذهب لينهض فلم يقدر من الضعف فبكى فقال
له الرجل ما يبكيك لعلك استقللت ما اعطيناك فقال لا ولكن ذكرت ما تاكل الارض من كرمك
فابكاني واشترى عبد الله بن عامر من خالد بن عقبة بن ابي معيط داره التي في السوق بتسعين
الف درهم فلما كان الليل سمع بكاء اهل خالد فقال لاهله ما لهؤلاء فقالوا يبكون لدارهم فقال يا غلام ائتهم فاعلمهم
ان الدار والمال لهم جميعاً وقيل انفذ هرون الرشيد الى مالك بن انس خمسمائة دينار فبلغ ذلك
الليث بن سعد فانفذ اليه الف دينار فغضب هرون وقال اعطيته خمسمائة دينار
واعطيته انت الفاً وانت من رعيتي فقال يا امير المؤمنين ان لي كل يوم من غلتي الف دينار فاستحييت
ان اعطي مثله اقل من دخل يوم وقيل انه لم يجب عليه الزكوة مع ان دخله كل يوم الف دينار وروي ان
امراة سالت الليث بن سعد شيئاً من عسل فامر لها بزق وقال انها سالت على قدرها ونعطيها على
قدر النعمة علينا وكان الليث بن سعد لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة وستين مسكيناً وقال
الاعمش اشتكت شاة لي فكان خيثمة بن عبد الرحمن يعودها بالغداة والعشي ويسالني هل
استوفت علفها وكيف صبر الصبيان منذ فقدوا لبنها وكان تحتي لبد اجلس عليه فاذا خرج قال
خذ ما تحت اللبد حتى وصل الي في علة الشاة اكثر من ثلثمائة دينار من بره حتى تمنيت ان الشاة لم
تبرا وقال عبد الملك بن مروان لاسماء بن خارجة بلغني عنك خصال فحدثني بها
فقال هي من غيري احسن منها مني قال عزمت عليك الا حدثتني بها فقال يا امير المؤمنين ما مددت رجلي بين
يدي جليس قط ولا صنعت طعاماً فدعوت عليه قوماً الا كانوا اعلى امتناناً علي مني عليهم ولا نصب لي رجل وجهه
قط ليسالني شيئاً فاستكثرت شيئاً اعطيته اياه ودخل سعيد بن خالد على سليمان بن عبد الملك وكان
سعيد رجلاً جواداً فاذا لم يجد شيئاً كتب لمن ساله الصكاك على نفسه حتى يخرج عطاؤه فلما نظر
اليه سليمان تمثل بهذا البيت: اني سمعت مع الصباح منادياً ... يا من يعين على الفتى المعوان
ثم قال حاجتك قلت ديني قال وكم هو قلت ثلثون الف دينار قال لك دينك ومثله وقال
مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ اخوانه فقيل انهم يستحيون لما لك عليهم من الدين فقال اخزى
الله مالاً يمنع الاخوان من الزيارة ثم امر منادياً فنادى من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل قال فكسرت
درجته بالعشي لكثرة من عاده وعن ابي اسحق قال صليت الفجر في مسجد الاشعث بالكوفة اطلب غريماً
لي فلما صليت وضع بين يدي حلة ونعلان فقلت لست من اهل هذا المسجد فقيل ان الاشعث بن قيس
الكندي قدم البارحة من مكة فامر لكل من صلى في مسجده بحلة ونعلين وقال الشيخ ابو سعيد الخركوشي
النيسابوري سمعت محمد بن محمد الحافظ يقول سمعت الشافعي المجاور بمكة قال كان رجل بمصر يعرف
بالجمع للفقراء فولد لبعضهم ولد قال فجئت اليه فقلت ولد لي مولود وليس معي شيء فقام معي ودخل

على جماعة فلم يفتح له بشيء فجاء الى قبر رجل وجلس وقال رحمك الله كنت تفعل وتصنع واني درت اليوم
وكلفت جماعة دفع شيء لمولود فلم يتفق له شيء ثم قام واخرج ديناراً وكسره نصفين وناولني
نصفه وقال هذا دين عليك الى ان يفتح الله لك بشيء قال فاخذته وانصرفت فقال
فاصلحت ما اتفق لي به فراى ذلك المحتسب تلك الليلة ذلك الشخص في منامه فقال
سمعت جميع ما قلت وليس لنا اذن في الجواب ولكن احضر منزلي وقل لاولادي يحفروا موضع الكانون
ويخرجوا قرابة فيها خمسمائة دينار واحملها الى هذا الرجل قال فلما كان الغد تقدم الى منزل الميت
وقص القصة فقالوا له اجلس فحفروا الموضع واخرجوا الدنانير فجاؤا بها ووضعوها بين يديه
فقال هذا مالكم وليس لرؤياي حكم فقالوا هو يتسخى ميتاً ونحن لا نتسخى احياء فلما الحوا عليه حملوا
الدنانير الى الرجل صاحب المولود وذكر له القصة قال فاخذ منها ديناراً فكسره نصفين فاعطاه النصف الذي
اقرضه وحمل النصف الآخر وقال يكفيني هذا تصدقوا به على الفقراء قال ابو سعد فلا ادري
اي هؤلاء اسخى وروي ان الشافعي لما مرض مرض موته قال امروا فلاناً يغسلني فلما توفي بلغه خبر وفاته
فحضر وقال ائتوني بتذكرته قال فاتي بها فنظر فيها فاذا على الشافعي رحمه الله سبعون الف درهم ديناً
فكتبها على نفسه وقضاها عنه وقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا قال ابو سعد الخركوشي رحمه الله
لما قدمت مصر طلبت منزل ذلك الرجل فدلوني عليه فرايت جماعة من احفاده وزرتهم فرايت فيهم
سيما الخير وآثار الفضل فقلت بلغ آثاره في الخير اليهم وظهرت بركته فيهم مستدلاً بقوله تعالى وكان
ابوهما صالحاً وقال الشافعي رحمه الله لا ازال احب حماد بن ابي سليمان لشيء بلغني عنه انه كان راكباً على
حمار فحركه فانقطع زره فمر على خياط فاراد ان ينزل عليه ليسوي زره فقال الخياط
والله لا نزلت فقام الخياط اليه فسوى زره فاخرج اليه صرة فيها عشرة دنانير فسلمها الى الخياط واعتذر
اليه من قلتها وانشد الشافعي لنفسه: يا لهف نفسي على مال افرقه ... على المقلين من اهل المروات
ان اعتذاري الى من جاء يسالني ... ما ليس عندي من احدى المصيبات ... وعن الربيع بن سليمان قال اخذ رجل
بركاب الشافعي رحمه الله فقال يا ربيع اعطه اربعة دنانير واعتذر اليه عني وقال الربيع سمعت
الحميدي يقول قدم الشافعي رحمه الله من صنعاء الى مكة بعشرة آلاف دينار فضرب خباه في موضع خارج
من مكة فنثرها في ثوب ثم اقبل على كل من دخل عليه فيقبض قبضة فاعطاه حتى صلى الظهر ونفض
الثوب وليس عليه شيء وعن ابي ثور اراد الشافعي الخروج الى مكة ومعه مال وكان قلما يمسك
شيئاً من سماحته فقلت ينبغي ان تشتري بهذا المال ضيعة تكون لك ولولدك قال فخرج ثم قدم علينا
فسالته عن ذلك المال فقال ما وجدت بمكة ضيعة يمكنني ان اشتريها لمعرفتي باصلها وقد وقف
اكثرها ولكني بنيت بها ما يكون لاصحابنا اذا حجوا ان ينزلوا فيها وانشد الشافعي لنفسه

أرى نفسي تتوق إلى أمور ... ويقصر دون مبلغهن مالي
فنفسي لا تطاوعني ببخل ... ومالي لا يبلغني فعالي

وقال محمد بن عباد المهلبي دخل أبي على المأمون فوصله بمائة ألف درهم فلما قام من عنده تصدق بها فأخبر به المأمون فلما عاد إليه عاتبه المأمون في ذلك فقال يا أمير المؤمنين منع الموجود سوء ظن بالمعبود فوصله بمائة ألف أخرى وقام رجل إلى سعيد بن العاص فسأله فأمر له بمائة ألف درهم فبكى فقال له سعيد ما يبكيك فقال أبكي على الأرض أن تأكل مثلك فأمر له بمائة ألف أخرى ودخل أبو تمام على إبراهيم بن شكلة بأبيات امتدحه بها فوجده عليلا فقبل المدحة وأمر حاجبه بنيله ما يصلحه وقال عسى أن أقوم من مرضي فأكافيه فأقام شهرين فأوحشه طول المقام فكتب إليه

إن حراما قبول مدحتنا ... وترك ما نرتجي من الصفد
كما الدنانير والدراهم في الـ ... ـبيع حرام إلا يدا بيد

فلما وصل إلى إبراهيم البيتان قال لحاجبه كم أقام بالباب قال شهرين قال أعطه ثلاثين ألفا وجئني بدواة فكتب إليه

أعجلتنا فأتاك عاجل برنا ... قلا ولو أمهلتنا لم نقلل
فخذ القليل وكن كأنك لم تسل ... ونكون نحن كأننا لم نفعل

ويروى أنه كان لعثمان على طلحة خمسون ألف درهم فخرج عثمان يوما إلى المسجد فقال له طلحة قد تهيأ مالك فاقبضه فقال هو لك يا أبا محمد معونة لك على مروءتك وقالت سعدى بنت عوف دخلت على طلحة فرأيت منه ثقلا فقلت ما لك قال اجتمع عندي مال وقد غمني فقلت وما يغمك ادع قومك فقال يا غلام علي بقومي فقسمه فيهم فسألت الخادم كم كان فقال أربعمائة ألف وجاء أعرابي إلى طلحة فسأله وتقرب إليه برحم فقال إن هذه رحم ما سألني بها أحد قبلك إن لي أرضا قد أعطاني بها عثمان ثلاثمائة ألف فإن شئت فاقبضها وإن شئت بعتها من عثمان ودفعت لك الثمن فقال الثمن فباعها من عثمان ودفع إليه الثمن وقيل بكى علي رضي الله عنه يوما فقيل له ما يبكيك فقال لم يأتني ضيف منذ سبعة أيام أخاف أن يكون الله تعالى قد أهانني وأتى رجل صديقا له فدق عليه الباب فقال ما جاء بك قال أربعمائة درهم دين علي فوزن أربعمائة درهم وأخرجها إليه وعاد يبكي فقالت امرأته لم أعطيته إذ شق عليك فقال إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي

بيان ذم البخل

قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم الآية وقال تعالى الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال صلى الله عليه وسلم إياكم والشح فإنه دعا من كان قبلكم فسفكوا دماءهم ودعاهم فاستحلوا محارمهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيء الملكة وفي رواية ولا جبار وفي رواية ولا منان وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء

بنفسه وقال صلى الله عليه وسلم إن الله تعالى يبغض ثلاثة الشيخ الزاني والبخيل المنان والمعيل المختال وقال صلى الله عليه وسلم مثل المنفق والبخيل كمثل رجلين عليهما جبتان من حديد من لدن ثديهما إلى تراقيهما فأما المنفق فلا ينفق شيئا إلا سبغت أو وفرت على جلده حتى تخفي بنانه فأما البخيل فلا يريد أن ينفق شيئا إلا قلصت ولزمت كل حلقة مكانها حتى أخذت بتراقيه فهو يوسعها ولا تتسع وقال صلى الله عليه وسلم خصلتان لا تجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم اللهم إني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وقال صلى الله عليه وسلم إياكم والظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة وإياكم والفحش فإن الله لا يحب الفاحش ولا المتفحش وإياكم والشح فإنما أهلك من كان قبلكم الشح أمرهم بالكذب فكذبوا وأمرهم بالظلم فظلموا وأمرهم بالقطيعة فقطعوا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شر ما في الرجل شح هالع وجبن خالع وقتل شهيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكته باكية فقالت واشهيداه فقال النبي صلى الله عليه وسلم وما يدريك أنه شهيد فلعله قد كان يتكلم فيما لا يعنيه أو يبخل بما لا ينقصه وقال جبير بن مطعم بينا نحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه الناس مقفله من حنين علقت برسول الله صلى الله عليه وسلم الأعراب يسألونه حتى اضطروه إلى شجرة فخطفت رداءه فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أعطوني ردائي لو كان لي عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لا تجدوني بخيلا ولا جبانا ولا كذابا وقال عمر رضي الله عنه قسم النبي صلى الله عليه وسلم قسما فقلت غير هؤلاء كانوا أحق به منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنهم يخيروني بين أن يسألوني بالفحش أو يبخلوني ولست بباخل وقال أبو سعيد الخدري قال دخل رجلان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألاه ثمن بعير فأعطاهما دينارين فخرجا من عنده فلقيهما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فأثنيا وقالا معروفا وشكرا ما صنع بهما فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بما قالا فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم لكن فلان أعطيته ما بين عشرة إلى مائة ولم يقل ذلك إن أحدكم ليسألني فينطلق في مسألته متأبطها وهي نار فقال عمر رضي الله عنه فلم تعطهم ما هو نار قال يأبون إلا أن يسألوني ويأبى الله لي البخل وعن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجود من جود الله تعالى فجودوا يجد الله لكم ألا إن الله خلق الجود فجعله في صورة رجل وجعل أسه راسخا في أصل شجرة طوبى وشد أغصانها بأغصان سدرة المنتهى ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله الجنة ألا إن السخاء من الإيمان والإيمان في الجنة وخلق البخل من مقته وجعل أسه في أصل شجرة الزقوم ودلى بعض أغصانها إلى الدنيا فمن تعلق بغصن منها أدخله النار ألا إن البخل من الكفر والكفر في النار وقال صلى الله عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلج الجنة إلا سخي والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلج النار إلا بخيل وقال أبو هريرة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سيدكم يا بني سلمة قالوا سيدنا الجد بن قيس الا انه رجل فيه بخل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي دا ادوا من البخل ولكن سيدكم عمرو بن الجموح وفي رواية
انهم قالوا سيدنا جد بن قيس فقال بم تسودونه قالوا انه اكثرنا مالا وانا على ذلك لنزمنه بالبخل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم واي دا ادوا من البخل ليس ذلك سيدكم قالوا فمن سيدنا يا رسول الله قال
سيدكم بشر بن البرا قال علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يبغض البخيل في حياته
السخي عند موته وقال ابو برزة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم السخي الجهول احب الى الله من العابد البخيل
وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجتمع الشح والايمان في قلب عبد وقال ايضا
خصلتان لا تجتمعان في مومن البخل وسوء الخلق وقال صلى الله عليه وسلم لا ينبغي للمومن ان يكون بخيلا ولا
جبانا وقال صلى الله عليه وسلم يقول قائلكم الشحيح اعذر من الظالم واي ظلم اظلم عند الله من الشح حلف
الله بعزته وعظمته وجلاله لا يدخل الجنة شحيح ولا بخيل وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطوف
بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة البيت الا ما غفرت لي قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه لك قال ويحك ذنبك اعظم ام الارضون
قال بل ذنبي يا رسول الله قال ويحك ذنبك اعظم ام الجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام البحار
قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام السموات قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام العرش
قال بل ذنبي يا رسول الله قال فذنبك اعظم ام الله قال بل الله اعظم واعلى قال ويحك فصف لي ذنبك فقال
يا رسول الله اني رجل ذو ثروة من المال وان السايل ليسالني فكانما يستقبلني بشعلة من نار قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام
ثم صليت الف الف عام حتى تجري من دموعك الانهار وتسقى بها الاشجار ثم مت وانت لئيم لاكبك
الله في النار ويحك اما علمت ان البخل كفر وان الكفر في النار ويحك اما علمت ان الله يقول ومن يبخل فانما
يبخل عن نفسه ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون **الاثار** قال ابن عباس لما خلق الله جنة
عدن قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها اظهري انهارك فاظهرت السلسبيل وعين الكافور
وعين التسنيم فتفجر منها في الجنان انهار الخمر وانهار العسل واللبن ثم قال لها اظهري سررك وحجالك
وكراسيك وحليك وحللك وحور عينك فاظهرت فنظر اليها فقال تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني فقال
الله تعالى وعزتي لا اسكنك بخيلا وقالت اخت عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه اف للبخيل لو كان
البخل قميصا ما لبسته ولو كان طريقا ما سلكته وقال طلحة بن عبيد الله انا نجد باموالنا ما يجد البخلا
ولكنا نتصبر وقال محمد بن المنكدر كان يقال اذا اراد الله بقوم شرا امر عليهم شرارهم
وجعل ارزاقهم بايدي بخلايهم وقال علي رضوان الله عليه في خطبته انه سياتي على الناس زمان عضوض

يعض المومن على ما في يديه ولم يومر بذلك قال الله تعالى ولا تنسوا الفضل بينكم وقال عبد الله بن عمرو
الشح اشد من البخل لان الشحيح هو الذي يشح على ما في يد غيره حتى ياخذه ويشح بما في يديه فيمسكه
والبخيل هو الذي يبخل بما في يديه وقال الشعبي لا ادري ايهما ابعد غورا في جهنم البخل او
الكذب وقيل ورد على انوشروان حكيم الهند وفيلسوف الروم فقال للهندي تكلم فقال خير الناس من الفي سخيا
وعند الغضب وقورا وفي القول متانيا وفي الرفعة متواضعا وعلى ذي رحم مشفقا وقام الرومي فقال من
كان بخيلا ورث عدوه ماله ومن قل شكره لم ينل النجح واهل الكذب مذمومون واهل النميمة يموتون فقرا ومن
لا يرحم سلط عليه من لا يرحمه وقال الضحاك في قوله تعالى انا جعلنا في اعناقهم
اغلالا قال البخل امسك الله تعالى ايديهم عن النفقة في سبيل الله فهم لا يبصرون الهدى وقال كعب ما من صباح
الا وقد وكل به ملكان يناديان اللهم اعجل لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي سمعت
اعرابيا وقد وصف رجلا فقال لقد صغر في عيني فلان لعظم الدنيا في عينه وكانما يرى السايل اذا راه ملك
الموت اذا اتاه وقال ابو حنيفة لا ارى ان اعدل بخيلا لانه يحمله البخل على الاستقصا فياخذ فوق حقه خيفة
من ان يغبن فمن كان هكذا لا يكون مامون الامانة وقال علي رضي الله عنه والله ما استقصى كريم حقه
قط قال الله تعالى عرف بعضه واعرض عن بعض وقال الجاحظ ما بقي من اللذات الا ثلث ذم البخلا واكل القديد
وحك الجرب وقال بشر بن الحرث البخيل لا غيبة له قال النبي صلى الله عليه وسلم انك لبخيل ومدحت امراة
عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا ان فيها بخلا قال فما خيرها اذا وقال بشر النظر الى
البخيل يقسي القلب ولقا البخلا كرب على قلوب المومنين وقال يحيى بن معاذ ما في القلب للاسخيا الا حب
ولو كانوا فجارا وللبخلا الا بغض ولو كانوا ابرارا وقال ابن المعتز ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه
ولقي يحيى بن زكريا ابليس في صورته فقال له يا ابليس اخبرني باحب الناس اليك
وابغض الناس اليك قال احب الناس الي المومن البخيل وابغض الناس الي الفاسق السخي قال ولم
قال لان البخيل قد كفاني بخله والفاسق السخي اتخوف ان يطلع الله عليه في سخايه فيقبله ثم ولى وهو
يقول لولا انك يحيى ما اخبرتك **حكايات البخلا** قيل كان بالبصرة رجل بخيل موسر
فدعاه بعض جيرانه وقرب اليه طباهجة ببيض فاكل فاكثر وجعل يشرب الما فانتفخ بطنه ونزل به
الكرب والموت فجعل يتلوى فلما اجهده الامر وصف حاله للطبيب فقال لا باس عليك تقيا ما اكلت
فقال هاه اتقيا طباهجة ببيض اموت ولا اتقيا طباهجة ببيض وقيل اقبل اعرابي يطلب رجلا
وبين يديه تين فغطى التين بكسائه فجلس الاعرابي فقال له الرجل هل تحسن من القران شيا قال
نعم فقرا والتين والزيتون وطور سينين فقال واين التين فقال هو تحت كسايك ودعا بعضهم
اخا له ولم يطعمه الى العصر حتى اشتد جوعه واخذه مثل الجنون فاخذ صاحب البيت العود وقال له

تخبرني اي صوت تشتهي ان اسمعه قال صوت المقلى وحكي ان محمد بن يحيى بن خالد بن برمك كان
بخيلا قبيح البخل فسئل نسيب له كان يعرفه عنه وقال قايل له صف لي مائدته فقال هي فتر في فتر
وصحافه منقورة من حب الخشخاش قيل فمن يحضره قال الكرام الكاتبون قال فما
ياكل معه احد قال بلى الذباب فقال سوءة له انت خاص به وثوبك مخرق فقال والله اني ما اقدر على ابرة
اخيط به ولو ملك محمد بيتا من بغداد الى النوبة مملوا ابرا ثم جاءه جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب
النبي عليه السلام يضمنون له ابرة ويسالوه ان يعيرهم اياها ليخيط بها قميص يوسف عليه السلام الذي قد
دبر ما فعل ويقال كان مروان بن ابي حفصة لا ياكل اللحم بخلا حتى يقدم اليه فاذا قدم اليه ارسل غلامه
فاشترى له راسا فياكله فقيل له نراك لا تاكل الا الروس في الصيف والشتاء فلم تختار ذلك
فقال نعم الراس اعرف سعره فامن خيانة الغلام ولا يستطيع ان يغبنني وليس
بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان ياكل منه ان مس عينا او اذنا او خدا وقفت على ذلك واكل منه الوانا
اكل عينه لونا واذنه لونا وغلصمته لونا ودماغه لونا واكفي مؤونة طبخه فقد اجتمعت فيه
مرافق وخرج يوما يريد الخليفة المهدي فقالت له امراة من اهله ما لي عليك ان رجعت بالجايزة قال
ان اعطيت مائة الف اعطيتك درهما فاعطي ستين الفا فاعطاها اربعة دوانق واشترى لحما بدرهم
فدعاه صديق له فرد اللحم الى القصاب بنقصان دانق وقال اكره الاسراف وكان للاعمش
جار له كان لا يزال يعرض عليه المنزل يقول لو دخلت فاكلت كسرة وملحا فيابى عليه الاعمش
فعرض عليه ذات يوم فوافق جوع الاعمش فقال سر بنا فدخل منزله فقرب اليه كسرة وملحا اذ سال سايل فقال
له رب المنزل بورك فيك فاعاد عليه المسالة فقال له بورك فيك فلما سال الثالثة
قال له اذهب والا والله خرجت اليك بالعصا قال فناداه الاعمش فقال اذهب ويحك فلا والله ما
رايت احدا اصدق مواعيد منه هو منذ مدة يدعوني على كسرة وملح فلا والله ما زادني عليهما

بيان الايثار وفضله

اعلم ان السخا والبخل كل واحد ينقسم الى درجات فارفع درجات السخا الايثار
وهو ان يجود بالمال مع الحاجة اليه وانما السخا عبارة عن بذل ما لا يحتاج اليه لمحتاج او لغير محتاج والبذل
مع الحاجة اشد وكما ان السخاوة قد ينتهي الى ان يسخو على غيره مع الاحتياج فالبخل قد ينتهي
الى ان يبخل على نفسه مع الحاجة فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوى ويشتهي
الشهوة فلا يمنعه منها الا البخل بالثمن ولو وجده مجانا لاكله فهذا يبخل على نفسه مع الحاجة وذاك
يوثر على نفسه غيره مع انه محتاج اليه فانظر ما بين الرجلين فان الاخلاق عطايا يضعها الله
تعالى حيث يشا وليس بعد الايثار درجة في السخا وقد اثنى الله سبحانه على الصحابة فقال عز وجل
ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة وقال صلى الله عليه وسلم ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته

وآثر على نفسه غفر له وقالت عائشة رضي الله عنها ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام متوالية حتى
فارق الدنيا ولو شينا لشبعنا ولكنا كنا نوثر على انفسنا ونزل برسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد
عند اهله شيا فدخل عليه رجل من الانصار فذهب به الى اهله فوضع بين يديه الطعام وامر امراته باطفا
السراج وجعل يمد يده الى الطعام كانه ياكل ولا ياكل حتى اكل الضيف الطعام فلما اصبح قال له رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد عجب الله من صنيعكم ونزلت ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة فالسخا خلق من
اخلاق الله تعالى والايثار اعلى درجات السخا وكان ذلك من خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سماه
الله عظيما فقال جل وعز وانك لعلى خلق عظيم وقال سهل بن عبد الله قال موسى صلى الله
عليه وسلم يا رب ارني بعض درجات محمد صلى الله عليه وسلم وامته فقال يا موسى انك لن تطيق ذلك ولكن
اريك منزلة من منازله جليلة عظيمة فضلته بها عليك وعلى جميع خلقي فكشف له عن ملكوت السما
فنظر الى منزلة كادت تتلف نفسه من انوارها وقربها من الله عز وجل فقال يا رب بماذا بلغته الى هذه
الكرامة قال بخلق اختصصته به من بينهم وهو الايثار لا ياتي احد منهم قد عمل به وقتا من عمره
الا استحييت من محاسبته وبوأته من جنتي حيث شا وقيل خرج عبد الله بن جعفر الى ضيعة
له فنزل على نخيل قوم وفيها غلام اسود يعمل فيها اذ اتى الغلام بقوته ودخل الحايط كلب ودنا من الغلام
فرمى اليه الغلام بقرص فاكله ثم رمى اليه بالثاني والثالث فاكله وعبد الله ينظر اليه فقال يا غلام كم
قوتك كل يوم قال ما رايت قال فلم آثرت هذا الكلب قال ما هي بارض كلاب انه جاء
من مسافة بعيدة جايعا فكرهت رده قال فما انت صانع اليوم قال اطوي يومي هذا فقال عبد الله بن
جعفر الام على السخا ان هذا لاسخى مني واشترى الحايط والغلام وما فيها من الالات واعتق
الغلام ووهبها له وقال عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة
فقال ان اخي احوج مني اليها فبعث بها اليه فلم يزل يبعث به الواحد الى الاخر حتى تداوله سبعة ابيات
حتى رجع الى الاول وبات علي رضي الله عنه على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى
جبريل وميكائيل اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من عمر الاخر فايكما يوثر صاحبه بالحيوة
فاختار كلاهما الحيوة فاوحى الله تعالى اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه وبين نبيي محمد
فبات على فراشه يفديه بنفسه ويوثره بالحيوة اهبطا الى الارض فاحفظاه من عدوه فكان جبريل
عند راسه وميكائيل عند رجليه وجبريل عليه السلام ينادي بخ بخ من مثلك يا ابن ابي طالب
يباهي الله تعالى بك الملايكة فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله والله
رءوف بالعباد وعن ابي الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون نفسا وكانوا في قرية
بقرب الري ولهم ارغفة معدودة لم تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا

للطعام فلما رفع فاذا الطعام بحاله ولم ياكل واحد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه وروي ان شعبة
جاءه سايل ولم يكن عنده شي فنزع خشبة من سقف بيته فاعطاه ثم اعتذر اليه وقال
حذيفة العدوي انطلقت يوم اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من ما وانا اقول ان كان به رمق
اسقيته ومسحت به وجهه فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار ان نعم فاذا رجل يقول آه فاشار
ابن عمي ان انطلق به اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فسمع برجل يقول آه فاشار
هشام ان انطلق به اليه فجيته فوجدته قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات فرجعت
الى ابن عمي فاذا هو قد مات وقال عباس بن دهقان ما خرج احد من الدنيا كما دخل
الا بشر بن الحارث فانه اتاه رجل في مرضه فشكا اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار
ثوبا فمات فيه وعن بعض الصوفية قال كنا بطرسوس فاجتمعنا جماعة فخرجنا الى باب الجهاد
فتبعنا كلب من البلد فلما بلغنا ظاهر الباب اذا نحن بدابة ميتة فصعدنا الى موضع خال فقعدنا
فلما نظر الكلب الى الميتة رجع الى البلد ثم رجع بعد ساعة ومعه مقدار عشرين كلبا فجا الى تلك
الميتة وقعد ناحية ووقعت الكلاب بالميتة فما زالت تلك الكلاب تاكلها وذلك الكلب قاعد ينظر
اليها حتى اكلت الميتة وبقي ما كان فيها من العظام ورجعت الكلاب الى البلد فقام ذلك الكلب وجا
الى تلك العظام واكل ما بقي على العظم ثم انصرف وقد ذكرنا جملة من اخبار الايثار واحوال الاوليا
فيه في كتاب الفقر والزهد فلا نعيده

بيان حد السخا والبخل وحقيقتهما

لعلك تقول عرفت بشواهد الشرع ان البخل من المهلكات ولكن ما حد البخل وبماذا يصير به الانسان بخيلا
وما من انسان الا وهو يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا وقد يصدر فعل من انسان فيختلف فيه
الناس فيقول قوم هذا بخل ويقول قوم ليس هذا من البخل وما من انسان الا ويجد في نفسه حبا
للمال ولاجله يحفظ المال ويمسكه فان كان يصير بامساك المال بخيلا فاذا لا ينفك احد من البخل
واذا كان الامساك مطلقا لا يوجب البخل فلا معنى للبخل الا الامساك فما البخل الذي يوجب الهلاك
وما حد السخا الذي يستحق به العبد صفة السخاوة وثوابها فنقول قد قال قايلون حد البخل
منع الواجب فكل من ادى ما يجب عليه فليس ببخيل وهذا غير كاف فان من يرد اللحم الى القصاب
والخبز الى الخباز من نقصان حبة او نصف حبة فانه يعد بخيلا بالاتفاق وكذلك من يسلم الى عياله
القدر الذي يفرضه القاضي ثم يضايقهم في لقمة ازدادوا عليها او تمرة اكلوها من ماله عد بخيلا ومن
كان بين يديه رغيف فحضر من يظن انه ياكل معه فاخفاه عد بخيلا وقال قايلون البخيل هو
الذي يستصعب العطية القليلة كالحبة وما يقرب منها ويستصعب ما فوقه وان اريد به انه يستصعب
بعض العطايا فما من جواد الا ويستصعب بعض العطايا وهو ما يستغرق جميع ماله او المال العظيم

وهذا لا يوجب الحكم بالبخل وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطا بلا من واسعاف على غير روية
وقيل الجود عطا من غير مسالة على رؤية التقليل وقيل الجود السرور بالسايل والفرح بالاعطا
بما امكن وقيل الجود عطا على غير رؤية ان المال لله وان العبد لله تعالى فيعطي عبد الله مال الله
على غير رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخا ومن بذل الاكثر وابقى
لنفسه شيا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل
شيا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول
المال خلق لحكمة ومقصود وهو صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف
اليه ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل وهو ان يحفظ حيث
يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك حيث يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك
تبذير وبينهما وسط هو المحمود وينبغي ان يكون السخا والجود عبارة عنه اذ لم يؤمر رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا بالسخا فقيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك الاية وقوله والذين اذا
انفقوا لم يسرفوا الاية فالجود وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذله
وامساكه بقدر الواجب ولا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه طيبا به غير منازع له فيه
فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنازعه وهو يصابرها فهو متسخي وليس بسخي بل ينبغي ان لا
يكون لقلبه علاقة مع المال الا من حيث يراد المال له وهو صرفه الى ما يجب صرفه له فان
قلت فقد صار هذا موقوفا على معرفة الواجب فما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب
بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي هو الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب المروة فان منع
واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع واجب الشرع ابخل كالذي يمنع ادا الزكوة ويمنع عياله واهله
النفقة او يوديها ولكن يشق عليه فانه بخيل بالطبع وانما يتسخى بالتكلف او الذي يتيمم الخبيث من ماله ينفقه
ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله او من وسطه فهذا كله بخل واما واجب المروة فهو ترك المضايقة
والاستقصا في المحقرات فان ذلك مستقبح منه واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص
فمن كثر ماله يستقبح منه ما لا يستقبح من الفقير من المضايقة ويستقبح من الرجل من المضايقة
مع اهله وولده واقاربه ومماليكه ما لا يستقبح من الاجانب ويستقبح مع الجار ما لا يستقبح
مع البعيد ويستقبح في الضيافة ما لا يستقبح منه في المبايعة والمعاملة فيختلف ذلك بما فيه
المضايقة من ضيافة او معاملة وبما فيه المضايقة من طعام او ثوب اذ يستقبح في الاطعمة ما لا
يستقبح في غيره ويستقبح في شرا الكفن مثلا او شرا الاضحية او شرا خبز الصدقة ما لا يستقبح في
غيره من المضايقة وكذلك بمن معه من صديق واخ وقريب وزوجة وولد واجنبي وبمن منه

المضايقه من صبي وامراه وشيخ وشاب وعالم وجاهل وموسر وفقير فالبخيل هو الذي يمنع حيث
لا ينبغي ان يمنع اما بحكم الشرع واما بحكم المروه وذلك لا يمكن التنصيص على مقداره ولعل حد
البخل هو امساك المال عن غرض ذلك الغرض هو اهم من حفظ ذلك المال فان المضايق في الدقايق
مع من لا يحسن المضايقه معه هاتك ستر المروه لحب المال فهو بخيل وتبقى درجه اخرى وهو
ان يكون الرجل ممن يودي الواجب ويحفظ المروه ولكن معه مال كثير قد جمعه وليس يصرفه
الى الصدقات والى المحتاجين فقد تقابل غرض حفظ المال ليكون له عده على نوايب الزمان وغرض
الثواب ليكون رافعا لدرجاته في الاخره فامساك المال عن هذا الغرض بخل عند الاكياس وليس
ببخل عند عوام الخلق وذلك لان نظر العوام كالمقصور على حظوظ الدنيا فيرون امساكه لدفع نوايب
الزمان مهما وربما يظهر عند العوام ايضا سمه البخل عليه ان كان في جواره محتاج فمنعه وقال قد
اديت الزكوه الواجبه وليس علي غيره ويختلف استقباح ذلك باختلاف مقدار ماله وباختلاف
حاجه المحتاج وصلاحه ودينه واستحقاقه فمن ادى واجب الشرع وواجب المروه اللايقه به
فقد تبرا من البخل نعم لا يتصف بصفه الجود والسخا ما لم يبذل زياده على ذلك لطلب الفضيله ونيل
الدرجات فاذا اتسعت نفسه لبذل المال حيث لا يوجبه الشرع ولا تتوجه اليه الملامه في العاده فهو
جواد بقدر ما تتسع له نفسه من قليل او كثير ودرجات ذلك لا تحصى وبعض الناس اجود من بعض
واصطناع المعروف وراما توجبه العاده والمروه هو الجود ولكن بشرط ان يكون عن طيب نفس ولا
يكون عن طمع ورجا خدمه او مكافاه او شكر او ثنا فان من طمع في الشكر والثنا فهو بياع وليس
بجواد فانه يشتري المدح بماله والمدح لذيذ وهو مقصود في نفسه والجود هو بذل الشي عن غير غرض هذا
هو الحقيقه ولا يتصور ذلك الا من الله تعالى فاما الادمي فاسم الجود عليه مجاز اذ لا يبذل الشي
الا لغرض ولكنه اذا لم يكن غرضه غير الثواب في الاخره او اكتساب فضيله الجود وتطهير النفس
عن رذاله البخل سمي جوادا فان كان الباعث عليه الخوف من الهجا مثلا او من ملامه الخلق او ما يتوقعه
من نفع ينال من المنعم عليه فكل ذلك ليس من الجود لانه مضطر اليه بهذه البواعث وهي اغراض
معجله له عليها فهو معتاض لا جواد كما روي عن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان بن هلال
وهو جالس مع اصحابه فقالت هل فيكم من اسئله عن مسئله فقالوا لها سلي عما
شيت واشاروا الى حبان بن هلال فقالت ما السخا عندكم قالوا العطا والبذل والايثار قالت هذا
السخا في الدنيا فما السخا في الدين قالوا ان نعبد الله عن غير كرهه قالت فتريدون على ذلك اجرا
قالوا نعم قالت ولم قالوا لان الله تعالى وعد بالحسنه عشر امثالها قالت سبحان الله فاذا اعطيتم
واحده واخذتم عشره فباي شي تسخيتم عليه قالوا لها فما السخا عندك يرحمك الله قالت السخا عندي

ان تعبد الله متنعمين متلذذين بطاعته غير كارهين لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل بكم ما
يشا الا تستحيون من الله يطلع على قلوبكم فيعلم منكم انكم تريدون شيا بشي ان هذا في الدنيا لقبيح وقالت
بعض المتعبدات اتحسب احدكم ان السخا في الدينار والدرهم فقط قال ففيم قالت السخا عندي في المهج
وقال المحاسبي السخا في الدين ان تسخو بنفسك تتلفها لله وتسخو قلبك ببذل مهجتك
واراقه دمك لله عز وجل من غير اكراه لا تريد بذلك ثوابا عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن
عن الثواب ولكن يغلب على قلبك حسن كمال السخا بترك الاختيار على الله عز وجل حتى يكون مولاك
هو الذي يفعل بك ما يحسن

بيان علاج البخل

اعلم ان البخل سببه حب المال
ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان
لو علم انه يموت بعد يوم ربما كان لا يبخل بماله اذ القدر الذي يحتاج اليه في يوم او في شهر او في سنه
قريب وان كان قصير الامل ولكن كان له اولاد قام الولد مقام طول الامل فانه يقدر بقاهم كبقا نفسه
فيمسك لاجلهم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الولد مبخله مجبنه فاذا انضاف
الى ذلك الخوف من الفقر وقله الثقه بمجي الرزق قوي البخل لا محاله

السبب الثاني ان يحب عين المال
فمن الناس من معه ما يكفيه لنفسه بقيه عمره اذا اقتصر على ما جرت عادته بنفقته وهو شيخ
ولا ولد له ومعه اموال كثيره ولا تسمح نفسه باخراج الزكوه ولا بمداواه نفسه عند المرض بل صار
محبا للدنانير عاشقا لها يلتذ بوجودها في يده وبقدرته عليها فيكنزها تحت الارض وهو يعلم انه
يموت فتضيع او ياخذها اعداوه ومع هذا فلا تسمح نفسه بان ياكل او يتصدق وهذا مرض للقلب
عظيم عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجا علاجه ومثل صاحبه مثل
رجل عشق شخصا فاحب رسوله لنفسه ثم نسي محبوبه واشتغل برسوله فان الدنانير رسول
مبلغ الى الحاجات فصار محبوبا لذلك لان التوصل الى اللذيذ لذيذ ثم قد ينسى
الحاجات ويصير الذهب كانه محبوب في نفسه وهو غايه الضلال بل من راى بينه وبين الحجر فرقا
فهو جاهل الا من حيث قضا حاجته به فالفاضل عن قدر حاجته والحجر بمثابه واحده فهذه
اسباب حب المال وانما علاج كل عله بمضاده سببها فيعالج حب الشهوات بالقناعه باليسير
وبالصبر ويعالج طول الامل بكثره ذكر الموت والنظر في موت الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه
بعدهم ويعالج التفات القلب الى الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه
مالا وحاله احسن ممن ورث وبان يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده بخير وينقلب هو
الى شر وان ولده ان كان تقيا فيكفيه وان كان فاسقا فيستعين بماله على المعصيه وترجع مظلمته
اليه ويعالج ايضا قلبه بكثره التامل في الاخبار الوارده في ذم البخل ومدح السخا وما توعد الله

تعالى به على البخل من العقاب العظيم ومن الادوية النافعة كثرة التامل في احوال البخلا ونفرة الطبع
عنهم واستقباحه لهم فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره ويستثقل كل بخيل من اصحابه
فيعلم انه مستثقل ومستقذر في قلوب الناس مثل ساير البخلا في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان
يتفكر في مقاصد المال وانه لماذا خلق فلا يحفظ من المال الا قدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان
يحصل ثواب بذله فهذه ادوية من جهة المعرفة والعلم فاذا عرف بنور البصيرة ان البذل خير له من
الامساك في الدنيا والاخرة هاجت رغبته في البذل ان كان عاقلا فان تحركت الداعية فينبغي ان
يجيب الخاطر الاول ولا يتوقف لان الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه كان ابو الحسن
البوشنجي في الخلا فدعا تلميذا له وقال انزع عني القميص وادفعه الى فلان فقال الا صبرت حتى تخرج
قال لم امن على نفسي ان تتغير وكان قد خطر لي بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل
تكلفا كما لا يزول العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر عن مستقره حتى اذا سافر وفارق تكلفا
وصبر عليه مدة تسلى عنه قلبه فكذلك الذي يريد علاج البخل ينبغي ان يفارق المال تكلفا بان يبذله بل لو
رماه في الما كان اولى به من امساكه اياه مع الحب له ومن لطايف الحيل فيه ان يخدع نفسه بحسن
الاسم والاشتهار بالسخا فيبذل على قصد الريا حتى تسمح نفسه بالبذل طمعا في حشمة الجود فيكون
قد ازال عن نفسه خبث ولكن ينعطف بعد ذلك على الريا فيزيله بعلاجه ويكون طلب الاسم
كالتسلية للنفس عند فطامه عن المال كما يسلى الصبي عند الفطام عن الثدي باللعب بالعصافير وغيرها
لا ليخلى مع اللعب ولكن لينفصل عن الثدي اليه ثم ينقل عنه الى غيره وكذلك هذه الصفات الخبيثة ينبغي
ان يسلط بعضها على بعض كما تسلط الشهوة على الغضب لتكسر سورته بها وتسلط على الشهوة
الغضب لتكسر رعونتها به الا ان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من حب الجاه والريا فيبدل الاقوى
بالاضعف وان كان الجاه محبوبا عنده كالمال فلا فايدة فيه لانه ينقطع من علة ويزيد اخرى مثلها الا ان
علامة ذلك ان لا يثقل عليه البذل لاجل الريا فبذلك يتبين ان الريا اغلب عليه وان كان البذل يشق عليه
مع الريا فينبغي ان يبذل فان ذلك يدل على ان مرض البخل اغلب على قلبه ومثال دفع هذه الصفات بعضها
ببعض ما يقال من ان الميت تستحيل جميع اجزايه دودا ثم ياكل بعض الديدان بعضا حتى يقل عددهم
ويكبرون ثم ياكل بعضهم بعضا حتى يرجع الى اثنين قويين عظيمين ثم لا يزالان يتقاتلان الى ان
يغلب احدهما الاخر فياكله ويسمن به ثم لا يزال يبقى وحده جايعا الى ان يموت فكذلك هذه الصفات
الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها على بعض حتى يقمعها فيجعل الاضعف قوتا للاقوى الى ان لا يبقى
الا واحدة ثم تقع العناية بمحوها واذابتها بالمجاهدة وهو منع القوت منه ومنع القوت من الصفات ان لا
تعمل بمقتضاها فانها تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت الصفات وماتت مثل البخل فانه يقتضي

امساك المال فاذا منع مقتضاه وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخرى ماتت صفة البخل وصار البذل
طبعا وسقط التعب فيه فاذا علاج البخل بعلم وعمل فالعلم يرجع الى معرفة افة البخل وفايدة الجود والعمل
يرجع الى البذل على سبيل التكلف ولكن قد يقوى البخل بحيث يعمي ويصم فيمنع تحقق المعرفة
بافته واذا لم تتحقق المعرفة لم تتحرك الرغبة فلم يتيسر العمل فتبقى العلة مزمنة كالمرض الذي
يمنع معرفة الدوا وامكان استعماله فانه لا حيلة فيه الا الصبر الى الموت وكان من عادة بعض شيوخ الصوفية
في معالجة علة البخل في المريدين ان يمنعهم من الاختصاص بزواياهم فكان اذا توهم في مريد فرحه
بزاويته وما فيها نقله الى زاوية غيره ونقل زاوية غيره اليه واخرجه عن جميع ما ملكه واذا راه
يلتفت الى ثوب جديد او سجادة يفرح بها امره بتسليمها الى غيره ويلبسه ثوبا خلقا لا يميل اليه قلبه
فبهذا يتجافى القلب عن متاع الدنيا فمن لم يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها فان كان له الف
متاع كان له الف محبوب ولذلك اذا اخذ واحد منه المته مصيبته بقدر حبه له فاذا مات نزل به الف
مصيبة دفعة واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه بل هو في حياته على خطر المصيبة بالفقد
والهلاك حكي انه حمل الى بعض الملوك قدح من فيروزج مرصع بالجواهر لم ير له نظير ففرح الملك بذلك
فرحا شديدا فقال لبعض الحكما عنده كيف ترى هذا فقال اراه مصيبة او فقرا قال
كيف قال ان انكسر كانت مصيبة لا جبر لها وان سرق صرت فقيرا اليه ولم تجد مثله وقد كنت قبل ان
يحمل اليك في امن من المصيبة والفقر ثم اتفق ان انكسر يوما وعظمت مصيبة الملك فيه فقال صدق
الحكيم ليته لم يحمل الينا وهذا شان جميع اسباب الدنيا فان الدنيا عدوة لاعدا الله عز وجل اذ تسوقهم
الى النار وعدوة لاوليا الله تعالى اذ تغمهم بالصبر عنها وعدوة لله تعالى اذ تقطع طريقه على عباده
وعدوة لنفسها فانها تاكل نفسها فان المال لا يحفظ الا بالخزاين والحراس والخزاين والحراس لا يمكن
تحصيلها الا بالمال وهو بذل الدنانير والدراهم فالمال ياكل نفسه ويضاد ذاته حتى يفنى ومن عرف
افة المال لم يانس به ولم ياخذ منه الا قدر حاجته ومن قنع بقدر الحاجة فلا يبخل لان امساكه
لحاجته يبخل وما لا يحتاج اليه فلا يتعب نفسه بحفظه فيبذله بل هو كالما على شط النهر
اذ لا يبخل احد به لقناعة الناس منه بقدر الحاجة والله المستعان **بيان مجموع الوظايف**
التي على العبد في ماله اعلم ان المال كما وصفناه خير من وجه وشر من وجه ومثاله مثال حية
ياخذها الراقي ويستخرج منها الدرياق وياخذها الجاهل فيقتله سمها من حيث لا يدري
ولا يخلو احد عن سم المال الا بالمحافظة على خمس وظايف الاولى ان يعرف مقصود المال
وانه لماذا خلق وانه لم يحتج اليه حتى لا يكتسب ولا يحفظ الا قدر الحاجة ولا يعطيه من همته
فوق ما يستحقه **الثاني** ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام المحض وما الغالب عليه الحرام

كمال السلاطين ويتجنب الجهات المكروهة القادحة في المروءة كالهدايا التي فيها شوائب الرشوة وكالسؤال
الذي فيه الذل وهتك المروءة وما يجري مجراه **الثالث** في المقدار الذي يكتسبه فلا يستكثر منه
ولا يستقلل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة كسوة ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث
درجات ادنى واوسط واعلى وما دام مائلا الى جانب القلة ومتقربا من حد الضرورة كان محقا
وان جاوز ذلك وقع في هوة لا اخر لعمقها وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب الزهد
الرابعة يراعي جهة الخرج ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكرنا فيضع ما اكتسبه
من حله في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه سوا
الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ ما ياخذ ليستعين به على
العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك قال علي
رضي الله عنه لو ان رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالى فهو زاهد ولو انه ترك الجميع
ولم يرد به وجه الله تعالى فليس بزاهد فلتكن جميع حركاتك وسكناتك لله تعالى مقصورة على
عبادته او على ما يعين على العبادة فان ابعد الحركات عن العبادة الاكل وقضاء الحاجة وهما معينان
على العبادة فاذا كان ذلك قصدك بهما صار عبادة في حقك وكذلك ينبغي ان تكون نيتك في كل ما
يحفظك من قميص وازار وفراش وانية لان كل ذلك يحتاج اليه في الدين وما فضل عن الحاجة ينبغي ان
يقصد به ان ينتفع به عبد من عباد الله عز وجل ولا يمنعه منه عند حاجته فمن فعل ذلك فهو الذي
اخذ من حية المال جوهرها ودرياقها واتقى سمها فلا تضره كثرة المال ولكن لا يتاتى ذلك الا لمن
رسخ في الدين قدمه وعظم فيه علمه والعامي اذا تشبه بالعالم في الاستكثار من المال وزعم انه
يشبه اغنيا الصحابة رضي الله عنهم شابه الصبي الذي يرى المعزم الحاذق ياخذ الحية ويتصرف فيها
فيخرج منها ترياقها فيقتدي به ويظن انه اخذها مستحسنا صورتها وشكلها ومستلينا جلدها فاخذها
اقتداء به فتقتله في الحال الا ان قتيل الحية يدري انه قتيل وقتيل المال قد لا يعرف وقد شبهت الدنيا
بالحية فقيل هي دنيا كحية تنفث السم وان كانت الحية لانت وكما يستحيل ان يتشبه الاعمى بالبصير في
تخطي قلل الجبال واطراف البحار والطرق المشوكة فمحال ان يتشبه العامي بالعالم الكامل في تناول
المال **بيان ذم الغنى ومدح الفقر** اعلم ان الناس قد اختلفوا في تفضيل الغني الشاكر
على الفقير الصابر وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر وكشفنا عن تحقيق الحق فيه ولكنا في هذا الكتاب
ما يدل على ان الفقر افضل واعلى من الغنى على الجملة من غير التفات الى تفصيل الاحوال ونقتصر فيه
على حكاية فصل ذكرها الحارث بن اسد المحاسبي رحمه الله في بعض كتبه في الرد على بعض العلما
من الاغنيا حيث احتج باغنيا الصحابة رضوان الله عليهم وبكثرة مال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه
وشبه نفسه

وشبه نفسه بهم والمحاسبي رحمه الله حبر الامة في علم المعاملة وله السبق على جميع الباحثين
عن عيوب النفس وافات الاعمال واحوال العبادات فكلامه حري بان يحكى على وجهه
وقد قال بعد كلام له في الرد على علماء السوء بلغنا ان عيسى عليه السلام قال يا علماء السوء تصومون
وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما
تحكمون تتوبون بالقول والاماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم ان تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة
بحق اقول لكم لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى منه النخالة كذلك انتم تخرجون
الحكم من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الاخرة من لا تنقضي من الدنيا
شهوته ولا تنقطع منها رغبته بحق اقول ان قلوبكم تبكي من اعمالكم جعلتم الدنيا تحت السنتكم
والعمل تحت اقدامكم بحق اقول افسدتم اخرتكم فصلاح الدنيا احب اليكم من صلاح الاخرة فاي الناس اخس
منكم لو تعلمون ويلكم حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محل المتحيرين كانكم تدعون
اهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم ان يوضع السراج فوق ظهره وجوفه
وحش مظلم كذلك لا يغني عنكم ان يكون نور العلم بافواهكم واجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد
الدنيا لا كعبيد اتقيا ولا كاحرار كرام يوشك الدنيا ان تقلعكم عن اصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم
على مناخركم ثم تاخذ خطاياكم بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم حتى يسلمكم الى الملك الديان عراة
فرادى فيوقفكم على سوءاتكم ثم يجزيكم بسوء اعمالكم ثم قال الحارث رحمه الله اخواني
فهؤلاء علماء السوء شياطين الانس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها واثروها على الاخرة
واذلوا الدين للدنيا فهم في الدنيا عار وشين وفي الاخرة هم الاخسرون او يعفو الكريم بفضله وبعد فاني
رايت الهالك المؤثر للدنيا سروره ممزوج بالتنغيص فتتفجر عنه انواع الهموم وفنون المعاصي والى التلف
والبوار مصيره فرح الهالك برجائه فلم تسلم له دنياه ولم يسلم له دينه خسر الدنيا والاخرة الا ذلك هو الخسران
المبين فيا لها مصيبة ما افظعها ورزية ما اجلها الا فراقبوا الله اخواني ولا يغرنكم الشيطان واولياؤه
من الاخسين بالحجج الداحضة عند الله تعالى فانهم يتكالبون على الدنيا ثم يطلبون لانفسهم المعاذير والحجج
ويزعمون ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت لهم اموال فيتزين المغرورون بذكر
الصحابة رضي الله عنهم ليعذرهم الناس على جمع المال ولقد دهاهم الشيطان وما يشعرون ويحك
ايها المفتون ان احتجاجك بمال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه مكيدة من الشيطان ينطق بها
على لسانك لتهلك لانك متى زعمت ان اخيار الصحابة رضي الله عنهم ارادوا المال للتكاثر والشرف
والزينة فقد اغتبت السادة ونسبتهم الى امر عظيم ومتى زعمت ان المال الحلال اعلى وافضل من تركه
فقد ازريت على محمد والمرسلين صلى الله عليهم ونسبتهم الى قلة الرغبة والزهد في الخير الذي رغبت فيه

انت واصحابك من جمع المال وتشبثتم الى الجهل اذ لم يجمعوا المال كما جمعت ومتى زعمت ان جمع المال
الحلال اعلى من تركه فقد زعمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينصح الامه اذ نهاهم عن جمع المال وقد للامه
علم ان جمع المال خير لهم فقد غششتهم بزعمك حين نهاهم عن جمع المال كذبت ورب السما على رسول الله صلى الله
عليه وسلم لقد كان للامه ناصحا وعليهم مشفقا وبهم رووفا نعم ومتى زعمت ان جمع المال افضل فقد زعمت
ان الله عز وجل لم ينظر لعباده حين نهاهم عن جمع المال وقد علم ان جمع المال خير لهم او زعمت ان الله
عز وجل لم يعلم ان الفضل في الجمع فلذلك نهاهم عنه وانت عليم بما في المال ______ من الخير والفضل
فلذلك رغبت في الاستكثار وكانك اعلم بموضع الفضل والخير من ربك تعالى الله عن جهلك ايها المفتون
تدبر ما دهاك به الشيطان حين زين لك الاحتجاج بمال الصحابه رضي الله عنهم ويحك وما ينفعك الاحتجاج
بمال ______ عبد الرحمن بن عوف فعل ود ابن عوف رضي الله عنه يوم القيمه انه لم يوت من الدنيا
الا قوتا ولقد بلغني انه لما توفي عبد الرحمن بن عوف قال ______ اناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا نخاف على عبد الرحمن مما ترك فقال كعب سبحان الله وما تخافون على عبد الرحمن كسب طيبا وانفق
طيبا وترك طيبا فبلغ ذلك ابا ذر رضي الله عنه فخرج مغضبا يريد كعبا فمر بلحي بعير فاخذه بيده
ثم انطلق يطلب كعبا فقيل له ان ابا ذر يطلبك فخرج هاربا حتى دخل على عثمن رضي الله عنه يستغيث به
واخبره الخبر فاقبل ابو ذر يقتص الاثر في طلب كعب حتى انتهى الى دار عثمن رضي الله عنهما فلما دخل قام
كعب فجلس خلف عثمن هاربا من ابي ذر فقال له ابو ذر هيه يا ابن اليهوديه تزعم ان لا باس بما تركه
عبد الرحمن بن عوف لقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما نحو احد وانا معه فقال ______
يا ابا ذر قلت لبيك يا رسول الله قال الاكثرون هم الاقلون يوم القيمه الا من قال هكذا وهكذا عن يمينه
وشماله وقدامه وخلفه وقليل ما هم ثم قال يا ابا ذر قلت نعم يا رسول الله بابي انت وامي ما يسرني ان لي مثل
احد انفقه في سبيل الله اموت يوم اموت واترك منه قيراطين ثم قال يا ابا ذر انت تريد الاكثر وانا اريد
الاقل فرسول الله صلى الله عليه وسلم يريد هذا وانت تقول يا ابن اليهوديه لا باس بما ترك عبد الرحمن بن
عوف كذبت وكذب من قال فلم يرد عليه حرفا حتى خرج وبلغنا ان عبد الرحمن بن عوف قدمت عليه عير من
اليمن فضجت المدينه ضجه واحده فقالت عايشه رضي الله عنها ما هذا فقيل عير قدمت لعبد الرحمن بن
عوف قالت صدق الله ورسوله فبلغ ذلك عبد الرحمن فسالها فقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول اني رايت الجنه فرايت فقرا المهاجرين والمسلمين يدخلون سعيا ولم ار احدا من الاغنيا يدخلها
معهم الا عبد الرحمن بن عوف رايته يدخلها معهم حبوا فقال ______ عبد الرحمن ان العير وما عليها
في سبيل الله وان ارقاها احرار لعلي ادخلها معهم سعيا وبلغني ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لعبد الرحمن اما
انك اول من يدخل الجنه من اغنيا امتي وما كدت ان تدخلها الا حبوا ويحك ايها المفتون فما احتجاجك

بالمال وهذا عبد الرحمن في فضله وتقواه وصنايعه المعروف وبذله الاموال في سبيل الله تعالى مع
صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وبشراه بالجنه يوقف في عرصه القيمه واهوالها بسبب ما كسبه
من حلال للتعفف ولصنايع المعروف وانفق منه قصدا واعطى في سبيل الله سخا منع من الجنه
ان يدخلها سعيا مع الفقرا المهاجرين وصار يحبو في اثارهم حبوا فما ظنكم بامثالنا الغرقا
في فتن الدنيا وبعد فالعجب كل العجب لك يا مفتون تتمرغ في تخاليط الشبهات والسحت وتكالب على
اوساخ الناس وتتقلب في الشهوات والزينه والمباهاه وتتقلب في فتن الدنيا ثم تحتج بعبد
الرحمن بن عوف وتزعم انك ان جمعت المال فقد جمعه الصحابه رضي الله عنهم كانك اشبهت السلف
وفعلهم ويحك ان هذا من قياس ابليس ومن فتياه لاوليايه وسا صف لك احوالك واحوال السلف
لتعرف فضايحك وفضايل السلف رضي الله عنهم ولعمري لقد كان لبعض الصحابه اموال ارادوها للتعفف
والبذل في سبيل الله فكسبوا حلالا واكلوا طيبا وانفقوا قصدا وقدموا فضلا ولم يمنعوا منها حقا
ولم يبخلوا بها لكنهم جادوا لله تعالى باكثرها وجاد بعضهم بجميعها وفي الشده اثروا الله تعالى على
انفسهم كثيرا فبالله اكذا انت والله انك لبعيد الشبه بالقوم وبعد فان اخيار الصحابه رضي الله عنهم
كانوا للمسكنه محبين ومن خوف الفقر امنين وبالله تعالى في ارزاقهم واثقين وبمقادير الله
تعالى مسرورين وفي البلا راضين وفي الرخا شاكرين وفي الضرا صابرين وفي السرا حامدين وكانوا
لله عز وجل متواضعين وعن حب العلو والتكاثر ورعين لم ينالوا من الدنيا الا المباح لهم ورضوا بالبلغه
منها وزجوا الدنيا وصبروا على مكارهها وتجرعوا مرارتها وزهدوا في نعيمها وزهرتها فبالله اكذلك
انت ولقد بلغنا انهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته من الله تعالى
واذا راوا الفقر مقبلا قالوا مرحبا بشعار الصالحين وبلغنا ان بعضهم كانوا اذا اقبلت الدنيا عليهم حزنوا
كان اذا اصبح وعند عياله شي اصبح كييبا حزينا وان لم يكن عندهم شي اصبح فرحا مسرورا فقيل له
ان الناس اذا لم يكن عندهم شي حزنوا واذا كان عندهم شي فرحوا وانت لست كذلك قال اني اذا اصبحت
وليس عند عيالي شي فرحت اذ كانت لي بمحمد صلى الله عليه وسلم اسوه واذا كان عند عيالي شي اغتممت
اذ لم يكن لي بال محمد صلى الله عليه وسلم اسوه وبلغنا انهم كانوا اذا سلك بهم سبيل الرخا حزنوا واشفقوا
وقالوا ما لنا وللدنيا وما يراد بها فكانهم على خوف واذا سلك بهم سبيل البلا فرحوا واستبشروا وقالوا جناح
الان تعاهدنا ربنا فهذه احوال السلف ونعتهم وفيهم من الفضل اكثر مما وصفنا فبالله اكذلك انت انك
لبعيد الشبه بالقوم وسا صف احوالك ايها المفتون ضد لاحوالهم وذلك انك تطغى عند الغنا وتبطر في
الرخا وتمرح عند السرا وتغفل عن شكر ذي النعما وتقنط عند الضرا وتسخط عند البلا ولا ترضى بالقضا
نعم وتبغض الفقر وتانف من المسكنه وذلك فخر المسلمين وانت تانف من فخرهم وتدخر المال وتجمعه خوفا

من الفقر وذلك من سوء الظن بالله تعالى وقلة اليقين بضمانه وكفايته اثما وعساك تجمع المال
لنعيم الدنيا وزهرتها وشهواتها ولذاتها وبلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال شرار
امتي الذين غذوا بالنعيم ونبتت عليه اجسامهم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال يجيء يوم القيمة قوم يطلبون
حسنات لهم فيقال لهم اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها وانت في غفلة قد حرمت
نعيم الاخرة بسبب نعيم الدنيا فيا لها حسرة ومصيبة نعم وعساك تجمع المال للتكاثر والعلو والفخر والزينة
في الدنيا وقد بلغنا ان من طلب الدنيا ليكاثر بها او ليفاخر لقي الله تعالى وهو عليه غضبان وانت غير مكترث
لما حل بك من غضب الله تعالى حين اردت التكاثر والعلو وعساك المكث في الدنيا احب اليك من النقلة الى جوار
الله تعالى ذكره وانت تكره لقا الله والله للقائك اكره وانت في غفلة وعساك تاسف على ما فاتك من عرض الدنيا
وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسف على دنيا فاتته اقترب من النار مسيرة سنة وانت تاسف
على ما فاتك غير مكترث بقربك من عذاب الله تعالى ولعلك تخرج من دينك احيانا لتوفير دنياك وتفرح باقبال
الدنيا عليك وترتاح لذلك سرورا بها وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب
الدنيا ذهب خوف الاخرة من قلبه وبلغنا ان بعض اهل العلم قال انك محاسب على التحزن على ما فاتك من الدنيا ومحاسب
بفرحك في الدنيا اذا قدرت عليها وانت فرح بدنياك وقد سلبت الخوف من الله تعالى وعساك ان تعنى بامور
دنياك اضعاف ما تعنى بامور اخرتك وعساك مصيبتك في معاصيك اهون من مصيبتك في انتقاص
دنياك نعم وخوفك من ذهاب مالك اكثر من خوفك من الذنوب وعساك تبذل للناس ما جمعت من الاوساخ
كلها للعلو والرفعة في الدنيا وعساك ترضي المخلوقين بمساخط الله تعالى كيما تكرم وتعظم ويحك
وكان احتقار الله تبارك وتعالى لك في القيمة اهون عليك من احتقار الناس اياك وعساك تخفي
مساويك من المخلوقين ولا تكترث باطلاع الله تعالى عليك فيها فكان الفضيحة عند الله تعالى اهون عليك
من الفضيحة في الناس وكان العبيد عندك اعلى قدرا من الله تعالى عز جلاله فكيف تنطق عند ذوي
الالباب وهذه المثالب فيك وانك متلوث في الاقذار تحتج بالابرار هيهات ما ابعدك عن السلف والله
لقد بلغني انهم كانوا فيما احل لهم ازهد منكم فيما حرم عليكم ان الذي لا باس به عندكم كان كالموبقات عندهم
وكانوا للزلة الصغيرة اشد استعظاما منكم لكبائر المعاصي فليت اطيب مالك واحله مثل شبهات اموالهم
وليتك اشفقت من سيئاتك كما اشفقوا على حسناتهم ان لا تقبل منهم وليت صومك على مثل افطارهم وليت
اجتهادك في العبادة على مثل فتورهم ونومهم وليت جميع حسناتك مثل واحدة من حسناتهم وقد بلغني عن بعض
الصحابة انه قال غنيمة الصديقين ما فاتهم من الدنيا ونهمتهم ما زوي عنهم منها فمن لم يكن كذلك
فليس منهم في الدنيا ولا معهم في الاخرة فسبحان الله كم بينهم من التفاوت من خيار الصحابة في العلو عند الله
تعالى ومن لم يلحق امثالكم في السفال او يعفو الله الكريم بفضله وبعد فان زعمت انك متاسي بالصحابة بجمع

المال للتعفف والبذل في سبيل الله ويحك فتدبر امرك ويحك هل تجد من الحلال في دهرك كما وجدوا
في دهرهم او تحسب انك محتاط في طلب الحلال كما احتاطوا لقد بلغني ان بعض الصحابة رضي الله عنهم قال
كنا ندع سبعين بابا من الحلال مخافة ان نقع في باب من الحرام افتطمع من نفسك في مثل هذا
الاحتياط لا ورب الكعبة ما احسبك كذلك ويحك كن على يقين ان جمع المال لاعمال البر مكر من الشيطان
ليوقعك بسبب البر في اكتساب الشبهات الممزوجة بالسحت والحرام وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من اجترا على الشبهات اوشك ان يقع في الحرام ايها المغرور اما علمت ان
خوفك من اقتحام الشبهات اعلى وافضل واعظم لقدرك عند الله تعالى من اكتساب الشبهات وبذلها
في سبيل الله تعالى وسبيل البر بلغنا ذلك عن بعض اهل العلم قال لان تدع درهما واحدا مخافة ان لا يكون
حلالا خير لك من ان تتصدق بالف دينار من شبهة لا تدري ايحل لك ام لا فان زعمت انك اتقى واورع من ان
تتلبس بالشبهات وانما تجمع المال بزعمك من الحلال للبذل في سبيل الله تعالى
ويحك ان كنت كما زعمت بالغا في الورع فلا تتعرض للحساب فان خيار الصحابة رضي الله عنهم خافوا
المسايلة بلغنا ان بعض الصحابة قال ما يسرني ان اكتسب كل يوم الف دينار من حلال وانفقه في طاعة الله
تعالى ولم يشغلني الكسب عن صلوة الجماعة قالوا ولم ذلك رحمك الله قال لاني غني عن
مقام يوم القيمة فيقول عبدي من اين اكتسبت وفي اي شي انفقت فهولاء المتقون كانوا في جدة الاسلام
والحلال موجود لديهم تركوا المال وجلا من الحساب مخافة ان لا يقوم خير المال بشره وانت في غاية
الامن والحلال في دهرك مفقود تتكالب على الاوساخ ثم تزعم انك تجمع المال من الحلال ويحك واين الحلال
فتجمعه وبعد فلو كان الحلال موجودا لديك اما تخاف ان يتغير عند الغنا قلبك وقد بلغنا ان بعض
الصحابة كان يرث المال الحلال فيتركه مخافة ان يفسد قلبه افتطمع ان يكون قلبك اتقى من قلب الصحابة فلا
تزول عن شي من الحق في امرك ولئن ظننت ذلك لقد احسنت الظن بنفسك الامارة بالسوء ويحك
اني لك ناصح ارى لك ان تقنع بالبلغة ولا تجمع المال لاعمال البر ولا تتعرض للحساب فانه بلغنا عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال من نوقش الحساب عذب وقال صلى الله عليه وسلم يوتى بالرجل يوم
القيمة وقد جمع مالا من حرام وانفقه في حرام فيقال اذهبوا به الى النار ويوتى برجل قد جمع مالا من حرام فانفقه
في حلال فيقال اذهبوا به الى النار ويوتى برجل جمع مالا من حلال وانفقه في حلال فيقال له قف لعلك فرطت
في طلب هذا بشي مما فرضت عليك من صلوة لم تصلها لوقتها وفرطت في شي من ركوعها وسجودها ووضوها
فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت ولم اختل
ولم ابال في شي فيقال لعلك اختلت في شي من هذا المال في مركب او ملبس باهيت به فيقول لا يا رب
لم اختل ولم اباه في شي فيقول لعلك منعت حق احد امرتك ان تعطيه من ذوي القربى واليتامى والمساكين

وابن السبيل فيقول لا يا رب كسبت من حلال وانفقت في حلال ولم اضيع شيا مما فرضت علي ولم اختل
ولم اباه ولم اضيع حق احد امرتني ان اعطيه قال فيجي اوليك فيخاصمونه فيقولون يا رب
اعطيته واغنيته وخولته بين اظهرنا وامرته ان يعطينا فان كان اعطاهم وما ضيع مع ذلك شيا من الفرايض
ولم يختل في شي من ذلك فيقال قف الان هات شكر نعمة انعمتها عليك من نعمة او شربة او لقمة او لذة
فلا يزال يسيل ويحك فمن الذي يتعرض لهذه المسايلة التي كانت لهذا الرجل الذي تقلب في الحلال وقام بالحقوق
كلها وادى الفرايض بحدودها حوسب هذه المحاسبة فكيف ترى يكون حال امثالنا الغرقا في فتن الدنيا وتخاليطها
وشبهاتها وشهواتها وزينتها ويحك لاجل هذه المسايلة خاف المتقون ان يتلبسوا بالدنيا فرضوا
بالكفاف منها وعملوا بانواع البر من كسب المال فلك ويحك في هولا الاخيار اسوة فان ابيت ذلك وزعمت
انك بالغ في الورع والتقوى ولم تجمع المال الا من حلال بزعمك للتعفف والبذل في سبيل الله تعالى ولم
تسخط الله تعالى ولم تنفق شيا من الحلال الا في حق ولم يتغير بسبب المال قلبك عما يحب الله تعالى
ولم تسخط الله تعالى في شي من سرايرك وعلانيتك ويحك ان كنت كذلك ولست كذلك فقد ينبغي لك ان
ترضى بالبلغة وتعتزل ذوي الاموال اذا وقفوا للسوال وتستبق مع الجيل الاول في زمرة المصطفى لا
حبس عليك للمسايلة والحساب واما سلامة واما عطب فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يدخل صعاليك المهاجرين قبل اغنيايهم الجنة بخمسماية عام وقال صلى الله عليه وسلم
يدخل فقرا المومنين الجنة قبل اغنيايهم فيتنعمون وياكلون والاخرون جثاة على ركبهم فيقول قبلكم
طلبتي انتم حكام الناس وملوكهم فاروني ما ذا صنعتم فيما اعطيتم وبلغنا ان بعض اهل العلم قال ما يسرني
ان لي حمر النعم ولا اكون في الرعيل الاول مع محمد صلى الله عليه وسلم وحزبه يا قوم فاستبقوا السباق
مع المخفين في زمرة المرسلين وكونوا وجلين من التخلف والانقطاع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما وجل
المتقون لقد بلغني ان بعض الصحابة رضي الله عنهم عطش فاستسقى فاتي بشربة من ما وعسل فلما ذاقه
خنقته العبرة وبكى وابكى ثم مسح الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكا فما زال يبكي حتى مسح
الدموع عن وجهه وذهب ليتكلم فعاد في البكا فلما اكثر البكا قيل له اكل هذا من اجل هذه الشربة قال نعم
بينا انا يوما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وما معه في البيت احد غيري فجعل يدفع عن نفسه ويقول اليك
عني فقلت له فداك ابي وامي ما ارى بين يديك احدا فمن تخاطب فقال هذه الدنيا تطاولت
الي بعنقها وراسها فقالت لي يا محمد خذني فقلت اليك عني فقالت ان تنج مني يا محمد فانه لا ينجو مني من
بعدك فاخاف ان تكون هذه قد لحقتني تقطعني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيا قوم فهولا الاخيار
بكوا وجلا ان تقطعهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شربة من حلال ويحك انت في انواع النعم والشهوات
من مكاسب السحت والشبهات لا تخشى الانقطاع اف لك ما اعظم جهلك ويحك فان تخلفت في القيمه

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لتنظرن الى اهوال جزعت منها الملايكة والانبيا ولين قصرت عن السباق
فليطولن عليك اللحاق ولين اردت الكثرة لتصيرن الى حساب عسير ولين لم تقنع بالقليل لتصيرن الى
وقوف طويل وصراخ وعويل ولين رضيت باحوال المتخلفين لتقتطعن عن اصحاب اليمين وعن رسول رب
العالمين ولتبطين عن نعيم المتنعمين ولين خالفت احوال المتقين لتكونن من المحتبسين في اهوال يوم الدين
تدبر ويحك ما سمعت وتبصر فان زعمت انك في خيار مثال السلف قنع القلب زاهد في الحلال بذول للمال
موثر على نفسك لا تخشى الفقر ولا تدخر شيا لغد مبغض للتكاثر والغنى راض بالفقر والبلا فرح بالقلة
والمسكنة مسرور بالذل والضعة كاره للعلو والرفعة قوي في امرك لا تتغير عن الرشد قد حاسبت
نفسك في الله تعالى واحكمت امورك كلها على ما وافق رضوان الله تعالى ولن توقف في المسايلة ولا يحاسب
مثلك من المتقين وانما تجمع المال الحلال للبذل في سبيل الله ويحك ايها المغرور فتدبر الامر واحسن النظر
اما علمت ان ترك الاشتغال بالمال وفراغ القلب بالذكر والتذكر والتذكار والفكر والاعتبار اسلم للدين
وايسر للحساب واخف للمسايلة وامن من روعات القيمة واجزل للثواب واعظم لقدرك
عند الله تعالى اضعافا بلغنا عن بعض الصحابة رضي الله عنهم انه قال لو ان رجلا في حجره دنانير يعطيها والاخر
يذكر الله تعالى لكان الذاكر افضل وسيل بعض اهل العلم عن الرجل يجمع المال لاعمال البر قال تركه ابر به وبلغنا
ان بعض خيار التابعين سيل عن رجلين احدهما طلب الدنيا حلالا فاصابها فوصل بها رحمه وقدم لنفسه واما
الاخر فانه جانبها فلم يطلبها ولم يتناولها فايهما افضل قال بعيد والله ما بينهما الذي جانبها
افضل كما بين مشارق الارض ومغاربها ويحك فهذا الفضل لك بترك الدنيا على من طلبها ولك في العاجل ان تركت
الاشتغال بالمال ان ذلك اروح لبدنك واقل لتعبك وانعم لنفسك وارخى لبالك واقل
لهمومك فما عذرك في جمع المال وانت بترك المال افضل ممن طلب المال لاعمال البر وشغلك بذكر الله افضل
من بذل المال في سبيل الله فاجتمع لك راحة العاجل مع السلامة والفضل في الآجل وبعد فلو كان في جمع
المال فضل عظيم لوجب عليك في مكارم الاخلاق ان تتاسى بنبيك عليه السلام اذ هداك الله تعالى به وترضى
بما اختار لنفسه من مجانبة الدنيا ويحك تدبر ما سمعت وكن على يقين ان السعادة والفوز في مجانبة
الدنيا وتحت لوا المصطفى صلى الله عليه وسلم سابقا الى الجنة المأوى فانه بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال سادات المومنين في الجنة من اذا تغدى لم يجد عشا واذا استقرض لم يجد قرضا
وليس له فضل كسوة الا ما يواريه ولم يقدر على ان يكتسب ما يغنيه يمسي مع ذلك ويصبح راضيا
عن ربه جل وعز فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا والصالحين وحسن
اوليك رفيقا الا يا اخي فمتى جمعت المال مع البيان فانك مبطل فيما ادعيت انك للبر والفضل تجمعه
لا ولكنك خوفا من الفقر تجمعه وللتنعم والكثرة والزينة والتكاثر والفخر والعلو والريا والسمعة

والتعظيم والتكرمة تجمعه ثم تزعم انك لاعمال البر تجمعه ويحك راقب الله تعالى واستحي من دعواك
ايها المغرور ويحك ان كنت مفتونا بحب الدنيا فكن مقرا ان الخير والفضل في الرضا بالبلغة ومجانبة الفضول
نعم وكن عند جمع المال مزريا على نفسك ومعترفا باساءتك ووجلا من الحساب فذلك انجى لك واقرب الى
الفضل من طلب الحجج لجمع المال اخواني اعلموا ان دهر الصحابة رضي الله عنهم كان الحلال فيه موجودا وكانوا مع
ذلك من اورع وازهدهم في المباح لهم ونحن في دهر الحلال فيه مفقود وكيف لنا من الحلال مبلغ القوت
وستر العورة فاما جمع المال في دهرنا فاعاذنا الله من ذلك واين لنا مثل تقوى الصحابة
رضي الله عنهم وورعهم وزهدهم واحتياطهم واين لنا مثل ضمايرهم وحسن نياتهم ذهبنا ورب السما
بادواء النفوس واهوائها وعن قريب يكون الورود فيا سعادة المخفين يوم النشور وحزن طويل لاهل
التكاثر والتخاليط وقد نصحت لكم ان قبلتم والقابلون لهذا قليل وفقنا الله واياكم لكل خير برحمته هذا اخر
كلامه وفيه كفاية في اظهار فضل الفقر على الغنى ولا مزيد ويشهد لذلك ايضا جميع الاخبار التي اوردناها
في كتاب ذم الدنيا وفي كتاب الفقر والزهد ويشهد له ايضا ما روي عن ابي امامة الباهلي
ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا
تطيقه قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا قال يا ثعلبة اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل نبي الله
اما والذي نفسي بيده لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا وفضة لسارت قال والذي بعثك بالحق لئن دعوت
الله ان يرزقني مالا لاعطين كل ذي حق حقه ولافعلن ولافعلن قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اللهم ارزق ثعلبة مالا فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت عليه المدينة فتنحى عنها فنزل
واديا من اوديتها حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويدع ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى وترك
الصلوات في الجماعة الا الجمعة وهي تنمو كما ينمو الدود حتى ترك الجمعة وطفق يلقى الركبان يوم الجمعة
فيسألهم عن الاخبار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل ثعلبة بن حاطب فقيل يا رسول الله
اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة واخبر بامره كله فقال يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة يا ويح ثعلبة قال
وانزل الله عز وجل خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلواتك سكن لهم وانزل الله
فرائض الصدقة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا من جهينة ورجلا من بني سليم على الصدقة
وكتب لهما كتابا باخذ الصدقة وامرهما ان ياخذا الصدقة من المسلمين وقال مرا بثعلبة بن حاطب
وبفلان رجل من بني سليم وخذا صدقاتهما فخرجا حتى اتيا ثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية انطلقا
حتى تفرغا ثم تعودا الي فانطلقا نحو السليمي فسمع بهما فقام الى خيار اسنان ابله فعزلها للصدقة
ثم استقبلهما بها فلما راياها قالا لا يجب عليك هذا وما نريد ناخذ هذا منك قال بلى خذوه فان نفسي

بها طيبة وانما هي لتاخذوها فلما فرغا من صدقاتهما رجعا حتى مرا بثعلبة فسألاه الصدقة فقال
اروني كتابكما فنظر فيه فقال هذه اخت الجزية انطلقا حتى ارى رايي فانطلقا حتى
اتيا النبي صلى الله عليه وسلم فلما راهما قال يا ويح ثعلبة قبل ان يكلماه ودعا للسليمي فاخبراه الذي صنع
ثعلبة وبالذي صنع السليمي وانزل الله تعالى في ثعلبة ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من اقارب ثعلبة فسمع ما انزل
فيه فخرج حتى اتى ثعلبة فقال لا ام لك قد انزل الله تعالى فيك كذا فخرج ثعلبة حتى اتى النبي صلى الله عليه
وسلم فسأله ان يقبل منه صدقته فقال ان الله عز وجل منعني ان اقبل منك صدقتك فجعل يحثي التراب
على راسه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا عملك امرتك فلم تطعني فلما ابى ان يقبل
منه شيئا رجع الى منزله فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بها الى ابي بكر الصديق فابى ان يقبلها
منه وجاء بها الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه فابى ان يقبلها منه وتوفي ثعلبة بعد في خلافة عثمن رحمه الله
فهذا طغيان المال وشومه فقد عرفته من هذا الحديث ولاجل بركة الفقر وشوم الغنى آثر رسول الله صلى الله
عليه وسلم الفقر لنفسه ولاهل بيته حتى روي عن عمران بن حصين انه قال كانت لي من رسول الله منزلة
وجاه فقال يا عمران ان لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقلت بابي انت وامي نعم فقام وقمت معه حتى وقف بباب فاطمة فقرع الباب
وقال السلام عليكم ادخل فقالت ادخل يا رسول الله قال انا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله والذي بعثك
بالحق نبيا ما علي الا هذه العباة قال اصنعي بها هكذا وهكذا واشار بيده فقالت هذا جسدي قد واريته فكيف
براسي فالقى اليها ملاة كانت عليه خلقة فقال شدي بها على راسك ثم اذنت له فدخل فقال السلام عليك
يا بنتاه كيف اصبحت فقالت اصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما بي اني لست اقدر على طعام آكله فقد اضر بي
الجوع فبكى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تجزعي يا بنتاه والله ما ذقت طعاما منذ ثلث واني لاكرم على
الله منك ولو سالت ربي لاطعمني ولكن آثرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال
ابشري فوالله انك لسيدة نساء اهل الجنة قالت فاين آسية امراة فرعون ومريم بنت عمران فقال آسية سيدة نساء عالمها
ومريم سيدة نساء عالمها وانت سيدة نساء عالمك انكن في بيوت من قصب لا اذى فيها ولا صخب ثم قال لها اقنعي بابن عمك
فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة فانظر الآن الى فاطمة رضي الله عنها وهي بضعة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم كيف آثرت الفقر وترك المال ومن راقب احوال الانبياء والاولياء واقوالهم وما ورد من اخبارهم
وآثارهم لم يشك ان فقد المال افضل من وجوده وان صرف الى الخيرات اذ اقل ما فيه مع اداء الحقوق والتوقي من الشبهات
والصرف الى الخيرات اشتغال الهم باصلاحه وانصرافه عن ذكر الله تعالى اذ لا ذكر الا مع الفراغ ولا فراغ مع
شغل المال وقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى بن مريم عليه السلام فقال اكون معك واصحبك

فانطلقا فانتهيا الى شط نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفا وبقي رغيف فقام
عيسى عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع فلم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف
فقال لا ادري قال فانطلق ومعه صاحبه فراى ظبية معها خشفان قال فدعا احدهما فاتاه
فذبحه فاشتوى منه فاكلا من ذلك هو والرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فقام فذهب فقال للرجل
بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال ما ادري فانتهيا الى وادي ما فاخذ عيسى بيد الرجل فمشيا
على الما فلما جاوزا فقال اسالك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري قال فانتهيا
الى مفازة فجلسا فاخذ عيسى عليه السلام فجمع ترابا او كثيبا ثم قال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا
فقسمه ثلثة اثلاث فقال ثلث لي وثلث لك وثلث لمن اخذ الرغيف قال انا اخذت الرغيف
قال فكله لك وفارقه عيسى عليه السلام فانتهى اليه رجلان في المفازة ومعه المال فارادا ان ياخذاه ويقتلاه
فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى يشتري طعاما قال فبعثوا احدهم
فقال الذي بعث لاي شي اقاسم هولاء هذا المال لكني اضع في هذا الطعام سما فاقتلهما قال ففعل وقال
ذانك لاي شي نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع قتلناه واقتسمنا المال بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه
واكلا الطعام فماتا فبقي ذلك المال في المفازة واوليك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عليه السلام
على ذلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا فاحذروها وحكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس بايديهم
شي مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورا فاذا اصبحوا تعاهدوا تلك القبور وكنسوها
وصلوا عندها ورعوا البقل كما ترعى البهايم وقد قيض الله لهم في ذلك معايش من نبات
الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي اليه حاجة فاقبل اليه ذو القرنين
وقال ارسلت اليك لتاتيني فابيت فها انا ذا قد جيتك فقال له لو كان لي اليك حاجة لاتيتك فقال له
ذو القرنين ما لي اراكم على الحال التي لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذلك قال ليس لكم دنيا ولا شي افلا
اتخذتم من الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احدا لم يعط منها شيا الا تاقت نفسه
ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما بالكم قد احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم تعاهدتموها وكنستموها وصليتم
عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملنا الدنيا منعتنا قبورنا من الامل قال واراكم لا طعام لكم الا البقل
من الارض افلا اتخذتم البهايم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان
نجعل بطوننا قبورا لها وراينا في نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن ادم ادنى العيش من الطعام وانما جاوز
الحنك من الطعام لم نجد له طعما كاينا ما كان من الطعام ثم بسط ملك تلك الارض يده خلف ذي القرنين
فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال ملك من ملوك
الارض اعطاه الله عز وجل سلطانا على اهل الارض فغشم وظلم وعتا فلما راى الله عز وجل ذلك منه حسمه

بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى عليه عمله حتى يجزيه به في اخرته ثم تناول جمجمة اخرى بالية فقال يا
ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملكه الله بعده قد كان يرى ما صنع
الذي كان قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله تعالى وخشع وامر بالعدل في اهل مملكته
فصار كما ترى قد احصى الله تعالى عليه عمله حتى يجزيه في اخرته ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال وهذه الجمجمة
كان قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في صحبتي فاتخذك اخا
ووزيرا وشريكا فيما اتاني الله تعالى من هذا المال قال ما اصلح انا وانت في مكان ولا ان نكون جميعا قال ذو
القرنين ولم قال من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك
من الملك والمال والدنيا ولا احد يعاديني لرفضي لذلك ولما عندي من الحاجة وقلة الشي قال فانصرف عنه
ذو القرنين متعجبا منه ومتعظا له فهذه الحكايات تدلك على افات الغنى مع ما قدمناه
من قبل والحمد لله رب العالمين تم كتاب ذم المال من كتاب احيا علوم الدين وهو الكتاب السابع
من ربع المهلكات والحمد لله رب العالمين يتلوه كتاب ذم الجاه والريا وصلى الله على محمد
وعلى اله وسلم تسليما كثيرا

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد نبيه الكريم وعلى اله وسلم

كتاب ذم الجاه والريا

الحمد لله علام الغيوب المطلع على سراير القلوب المتجاوز عن كباير الذنوب العالم بما تخفيه الضماير من خفايا
العيوب البصير بسراير النيات وخفايا الطويات الذي لا يقبل من الاعمال الا ما كمل ووفى وخلص
عن شوايب الريا والشرك وصفا فانه المنفرد بالملكوت والملك فهو اغنى الاغنيا عن الشرك والصلوة على
محمد وعلى اله واصحابه المبرين من الخيانة والافك وسلم تسليما كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ان اخوف ما اخاف على امتي الريا والشهوة الخفية التي هي اخفى من دبيب النملة السودا على الصخرة
الصما في الليلة الظلما ولذلك عجز عن الوقوف على غوايلها سماسرة العلما فضلا عن عامة العباد والاتقيا وهو من
اواخر غوايل النفس وبواطن مكايدها وانما يبتلى به العلما والعباد المشمرون عن ساق الجد لسلوك
سبيل الاخرة فانهم مهما قهروا انفسهم وجاهدوها وفطموها عن الشهوات وصانوها عن الشبهات
وحملوها بالقهر على اصناف العبادات عجزت نفوسهم عن الطمع في المعاصي الظاهرة الواقعة على الجوارح
فطلبت الاستراحة الى التظاهر بالخير واظهار العمل والعلم فوجدت مخلصا من مشقة المجاهدة الى لذة
القبول عند الخلق ونظرهم اليه بعين التعظيم والوقار فسارعت الى اظهار الطاعة وتوصلت الى اطلاع الخلق
ولم تقنع باطلاع الخالق وفرحت بحمد الناس ولم تقنع بحمد الله تعالى وحده وعلمت انهم اذا عرفوا تركه

للشهوات وتوقيه للشبهات وتحمله مشاق العبادات اطلقوا السنتهم بالمدح والثنا وبالغوا في التقريظ
والاطرا ونظروا اليه بعين التوقير والاكرام وتبركوا بمشاهدته ولقائه ورغبوا في بركة دعائه وحرصوا
على اتباع رايه وفاتحوه بالخدمة والسلام واكرموه في المحافل غاية الاكرام وسامحوه في البيع والمعاملات وقدموه في
المجالس واثروه بالمطاعم والملابس وتصاغروا له متواضعين وانقادوا له في اغراضه موقرين واصابت
النفس في ذلك لذة هي اعظم اللذات وشهوة هي اغلب الشهوات فاستحقرت فيه ترك المعاصي والهفوات
واستلانت خشونة المواظبة على العبادات لادراكها في الباطن لذة اللذات وشهوة
الشهوات الخفية التي تعمى عن دركها العقول النافذة القوية ويرى انه مخلص في طاعة الله تعالى ومجتنب لمحارم الله
والنفس قد ابطنت هذه الشهوة تزينا للعباد وتصنعا للخلق وفرحا بما نالت من المنزلة والوقار واحبطت
بذلك ثواب الطاعات واجور الاعمال وقد اثبت اسمه في جريدة المنافقين وهو يظن انه عند الله من المقربين
وهذه مكيدة للنفس لا يسلم منها الا الصديقون ومهواة لا يرقى منها الا المقربون ولذلك قيل اخر ما
يخرج من رؤوس الصديقين حب الرياسة واذا كان الريا هو الداء الدفين الذي هو اعظم شبكة للشيطان
وجب شرح القول في سببه وحقيقته ودرجته واقسامه وطرق معالجته والحذر منه وينحصر الغرض منه
في ترتيب الكتاب في شطرين الشطر **الاول** في حب الجاه والشهرة وفيه بيان ذم الشهرة
وبيان فضيلة الخمول وبيان ذم الجاه وبيان معنى الجاه وحقيقته وبيان السبب في كونه محبوبا حبا اشد
من حب المال وبيان ان الجاه كمال وهمي وليس بكمال حقيقي وبيان ما يحمد من حب الجاه وما يذم وبيان
السبب علاج حب المدح والثنا وكراهة الذم وبيان السبب في حب المدح والثنا وكراهة الذم وبيان العلاج في حب
الجاه وبيان علاج حب المدح وبيان علاج كراهية الذم وبيان اختلاف احوال الناس في الذم والمدح
وهي اثنى عشر فصلا منها تنشا معاني الريا فلا بد من تقديمها

بيان ذم الشهرة وانتشار الصيت

اعلم ان اصل الجاه هو انتشار الصيت والاشتهار وهو مذموم بل المحمود الخمول الا من شهره الله تعالى
لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه قال انس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في دينه ودنياه وقال
جابر بن عبد الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسب المرء من الشر الا من عصمه الله من الشر ان يشير الناس
اليه بالاصابع في دينه ودنياه ان الله لا ينظر الى صوركم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم ولقد ذكر الحسن للحديث
تاويلا لا باس به اذ روى هذا الحديث فقيل له يا ابا سعيد ان الناس اذا راوك اشاروا اليك بالاصابع
فقال انه لم يعن هذا انما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه وقال علي رضي الله عنه تبذل ولا
تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر وتعلم واكتم واصمت تسلم تسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن
ادهم ما صدق الله من احب الشهرة وقال ايوب والله ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر بمكانه وعن خالد

بن معدان انه كان اذا كثرت حلقته قام مخافة الشهرة وعن ابي العالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلاثة
قام وراى طلحة قوما يمشون معه نحوا من عشرة فقال ذباب طمع وفراش نار وقال سليم بن طلحه بينا نحن حنظلة
حول ابي بن كعب نمشي اذ راه عمر رضي الله عنه فعلاه بالدرة فقال انظر يا امير المومنين
ما تصنع فقال ان هذه ذلة للتابع وفتنة للمتبوع وعن الحسن قال خرج ابن مسعود يوما
من منزله فاتبعه اناس فالتفت اليهم فقال علام تتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي ما
اتبعني منكم رجلان وقال الحسن ان خفق النعال حول الرجال قلما يلبث قلوب الحمقى
وخرج الحسن ذات يوم فاتبعه قوم فقال هل لكم من حاجة والا فما عسى ان يبقى هذا من قلب المومن وروي
ان رجلا صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال اوصني قال ان استطعت ان تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى
اليك وتسال ولا تسال فافعل وخرج ايوب في سفر فشيعه ناس كثير فقال لولا اني اعلم ان الله تعالى يعلم
من قلبي اني لهذا كاره لخشيت المقت من الله عز وجل وقال معمر عاتبت ايوب على طول قميصه فقال ان الشهرة
فيما مضى كانت في طوله وهي اليوم في تقصيره وقال بعضهم كنت مع ابي قلابة اذ دخل عليه رجل عليه
اكسية فقال اياكم وهذا الحمار النهاق يشير به الى طلب الشهرة وقال الثوري كانوا يكرهون الشهرتين
الثياب الجيدة والثياب الردية اذ الابصار تمتد اليهما جميعا وقال رجل لبشر بن الحارث اوصني
فقال اخمل ذكرك وطيب مطعمك وكان حوشب يبكي ويقول بلغ اسمي مسجد الجامع وقال بشر ما اعرف
رجلا احب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح وقال ايضا لا يجد حلاوة الاخرة رجل يحب ان يعرفه الناس

بيان فضيلة الخمول

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رب اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه
له لو اقسم على الله لابره منهم البراء بن مالك وقال ابن مسعود قال النبي صلى الله عليه وسلم رب ذي طمرين لا يوبه له
لو اقسم على الله لابره لو قال اللهم اني اسالك الجنة لاعطاه الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا
قال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على اهل الجنة كل ضعيف متضعف لو اقسم على الله لابره واهل النار كل مستكبر
جواظ وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له
الذين اذا استاذنوا على الامرا لم يوذن لهم واذا خطبوا النسا لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم يتلجلج
تتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيمة على الناس لوسعهم وقال صلى الله عليه وسلم ان من امتي من لو اتى احدكم
فساله دينارا لم يعطه اياه ولو ساله درهما لم يعطه اياه ولو ساله فلسا لم يعطه اياه ولو
سال الله تعالى الجنة اعطاها اياه ولو ساله الدنيا لم يعطه اياها وما منعها اياه الا لهوانه عليه ذو طمرين
لا يوبه له لو اقسم على الله لابره وروي ان عمر رضي الله عنه دخل المسجد فاذا هو بمعاذ بن جبل يبكي عند
قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان اليسير من الريا
شرك وان الله يحب الاخفيا الاتقيا الذين ان غابوا لم يفتقدوا وان حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح

الهوى ينحون من كل عبد اظله وقال محمد بن سويد قحط اهل المدينه وكان بها رجل صالح لا يؤبه له لازم لمسجد
النبي صلى الله عليه وسلم فبينما هم في دعائهم اذ جاءهم رجل عليه طمران خلقان فصلى ركعتين اوجز فيهما ثم
بسط يديه فقال يا رب اقسمت عليك الا امطرت علينا الساعة فلم يرد يديه ولم يقطع
دعاه حتى تغشت السما بالغيم وامطروا حتى صاح اهل المدينه من مخافه الغرق فقال
يا رب ان كنت تعلم انهم قد اكتفوا فارفع عنهم فسكن وتبع رجل الرجل صاحب المطر حتى عرف منزله ثم بكر عليه
فخرج عليه فقال اني اتيتك في حاجة فقال ما هي قال تخصني بدعوه قال سبحان الله انت انت وتسالني ان اخصك
بدعوه قال ما الذي بلغك ما رايت قال اطعت الله فيما امرني ونهاني فسالت الله فاعطاني وقال ابن مسعود
كونوا ينابيع العلم مصابيح الهدى احلاس البيوت سرج الليل جدد القلوب خلقان الثياب تعرفون
في اهل السما وتخفون على اهل الارض وقال ابو امامه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله ان اغبط
اوليائي عندي مومن خفيف الحاذ ذو حظ من صلوة احسن عبادة ربه واطاعه في السر وكان غامضا
في الناس لا يشار اليه بالاصابع ثم صبر على ذلك قال ثم نقر رسول الله صلى الله عليه وسلم
بيده فقال عجلت منيته وقل تراثه وقلت بواكيه وقال عبد الله بن عمر احب عباد الله الى الله الغربا قيل ومن
الغربا قال الفارون بدينهم يجتمعون يوم القيمه الى عيسى بن مريم عليه السلام قال الفضيل بلغني ان الله عز وجل
يقول في بعض ما يمن به على عباده الم انعم عليك الم استرك الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم
اجعلني عندك من ارفع خلقك واجعلني عند نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط
خلقك وقال الثوري وجدت قلبي يصلح بمكه والمدينه مع قوم غربا اصحاب قوت وعبي
وقال ابرهيم بن ادهم ما قرت عيني يوما في الدنيا قط الا مره بت ليله في بعض مساجد قرى الشام وكان بي
البطن فجرني المؤذن برجلي حتى اخرجني من المسجد وقال الفضيل ان قدرت على الا تعرف فافعل وما عليك
الا تعرف فافعل وما عليك الا تعرف وما عليك الا يثنى عليك وما عليك ان تكون مذموما عند الناس اذا
كنت محمودا عند الله عز وجل فهذه الاخبار والاثار تعرفك مذمه الشهره وفضيله الخمول وانما المطلوب
بالشهره وانتشار الصيت هو الجاه والمنزله في القلوب وحب الجاه هو منشا كل فساد فان قلت فاي شهره
تزيد على شهره الانبيا والخلفا الراشدين وايمة العلما فكيف فاتهم فضيله الخمول فاعلم ان المذموم
طلب الشهره فاما وجودها من جهه الله تعالى من غير تكلف من العبد فليس بمذموم نعم فيه فتنه على
الضعفا دون الاقويا وهم كالغريق الضعيف اذا كان معه جماعة من الغرقى فالاولى به ان لا يعرفه
احد فانهم يتعلقون به فيضعف عنهم فيهلك معهم واما القوي فالاولى به ان يعرفه الغرقى ليتعلقوا
به فينجيهم ويثاب عليهم **بيان ذم الجاه** قال الله تعالى تلك الدار الاخره نجعلها للذين
لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فجمع تعالى بين اراده الفساد والعلو وبين ان الدار الاخره للخالي

عن الارادتين جميعا وقال تعالى من كان يريد الحيوه الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون
اولئك الذين ليس لهم في الاخره الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون وهذا ايضا متناول
بعمومه لحب الجاه فانه اعظم لذه من لذات الحيوه واكثر زينه من زينتها وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم حب المال والجاه ينبتان النفاق كما ينبت الما البقل وقال صلى الله عليه وسلم ما ذئبان
ضاريان ارسلا في زريبه غنم باكثر فسادا من حب المال والشرف في دين الرجل المسلم وقال صلى الله عليه وسلم
لعلي رضي الله عنه انما هلاك الناس باتباع الهوى وحب الثنا **بيان معنى الجاه** وحقيقته اعلم ان
المال والجاه هما ركنا الدنيا ومعنى المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعنى الجاه ملك
القلوب المطلوبه تعظيمها وطاعتها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير اي يقدر عليهما ليتوصل بهما
الى الاغراض والمقاصد وقضا الشهوات وساير حظوظ النفس فكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب
الناس اي يقدر ان يتصرف فيها ليستعمل بواسطتها اربابها في اغراضه وماربه وكما انه يكتسب
الاموال بانواع من الحرف والصناعات فكذلك يكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات ولا تصير القلوب
مسخرة الا بالمعارف والاعتقادات فكل من اعتقد القلب فيه وصفا من اوصاف الكمال انقاد له وتسخر له بحسب
قوه اعتقاده وبحسب درجه ذلك الكمال عنده وليس يشترط ان يكون الوصف كمالا في نفسه
بل يكفي ان يكون كمالا عنده وفي اعتقاده وقد يعتقد ما ليس كمالا كمالا ويذعن قلبه للموصوف به انقيادا
ضروريا بحسب اعتقاده فان انقياد القلب حال للقلب واحوال القلوب تابعه لاعتقادات
القلوب وعلومها وتخيلاتها وكما ان محب المال يطلب ملك الارقا والعبيد فطالب الجاه يطلب ان
يسترق الاحرار ويستعبدهم ويملك رقابهم بملك قلوبهم بل الرق الذي يطلبه صاحب الجاه اعظم لان
المالك يملك العبد قهرا والعبد متاب بطبعه ولو خلي ورايه انسل عن الطاعه وصاحب الجاه يطلب
الطاعه طوعا ويبغي ان يكون له الاحرار عبيدا بالطبع والطوع مع الفرح بالعبوديه والطاعه له فما يطلبه
فوق ما يطلبه مالك الرق بكثير فاذا معنى الجاه قيام المنزله في قلوب الناس اي اعتقاد القلوب لنعت من نعوت
الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون من كماله تذعن له قلوبهم وبقدر اذعان القلوب يكون قدرته على القلوب
وبقدر قدرته يكون فرحه وحبه للجاه فهذا هو معنى الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح والاطرا فان
المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه وكالخدمه وكالاعانه فانه لا يبخل ببذل نفسه في
طاعته بقدر اعتقاده فيكون سخرة له مثل العبيد في اغراضه وكالايثار وترك المنازعه
والتعظيم والتوقير والمفاتحة بالسلام وتسليم الصدر والتقديم في المحافل وفي جميع المقاصد فهذه اثار
تصدر عن قيام الجاه في القلب ومعنى قيام الجاه اشتمال القلوب على اعتقاد صفات الكمال في الشخص
اما بعلم او عبادة او حسن خلق او النسب او ولاية او جمال في صورة او قوة في بدن او شي مما يعتقده

الناس كما لا فارق هذه الاوصاف كلها تعظم محلها في القلوب فيكون سببا لقيام الجاه **بيان سبب**
كون الجاه محبوبا بالطبع حتى لا يخلو عنه قلب الا بشدة المجاهدة اعلم ان السبب الذي
يقتضي كون الذهب والفضة وساير انواع الاموال محبوبا هو بعينه يقتضي كون الجاه محبوبا بل يقتضي
ان يكون احب من المال كما يقتضي ان يكون الذهب احب من الفضة مهما تساويا في المقدار
وهو انك تعلم ان الدراهم والدنانير لا غرض في اعيانهما اذ لا تصلح لمطعم ولا منكح ولا ملبس وانما هي
والحصى بمثابة واحدة ولكنهما وسيلة الى المحاب وذريعة الى قضاء الشهوات فكذلك
الجاه لان معنى الجاه ملك القلوب وكما ان ملك الذهب والفضة يفيد قدرة يتوصل الانسان بها الى ساير
اغراضه فكذلك ملك قلوب الاحرار والقدرة على استسخارها تفيد قدرة على التوصل الى جميع الاغراض
فالاشتراك في السبب اقتضى الاشتراك في المحبة وترجيح الجاه على المال اقتضى ان يكون الجاه احب من
المال وتملك القلوب ترجح على ملك الاموال من ثلثة اوجه الاول ان التوصل بالجاه الى المال
ايسر من التوصل بالمال الى الجاه فالعالم او الزاهد الذي تقرر له جاه في القلوب لو قصد اكتساب المال
تيسر له فان اموال ارباب القلوب مسخرة للقلوب ومبذولة لمن اعتقد فيه الكمال واما الرجل الخسيس
الذي لا يتصف بصفة كمال اذا وجد كنزا ولم يكن له جاه يحفظ ماله واراد ان يتوصل بالمال الى الجاه لم يتيسر
فاذا الجاه آلة الى المال فمن ملك الجاه فقد ملك المال ايضا ومن ملك المال لم يملك الجاه بكل حال فلذلك صار
الجاه احب **الثاني** وهو ان المال معرض لان يسرق ويغصب ويطمع فيه الملوك والظلمة ويحتاج فيه
الى الحفظة والحراس والخزاين ويتطرق اليه اخطار كثيرة واما القلوب اذا ملكت فلا تتعرض
لهذه الآفات فهي على التحقيق خزاين عتيدة لا يقدر عليها السراق ولا تتناولها ايدي الغصاب واثبت
الاموال العقار ولا يومن فيه الغصب والظلم ولا يستغنى عن المراقبة والحفظ واما خزاين القلوب
فهي محفوظة بانفسها وذو الجاه في امن وامان من الغصب والسرقة فيها نعم انما تغصب القلوب بالتصريف
وتقبيح الحال وتغير الاعتقاد فيما صدقت به من اوصاف الكمال وذلك مما يهون دفعه ولا يتيسر على محاوله
فعله **الثالث** ان ملك القلوب يسري وينمو ويتزايد من غير حاجة الى تعب ومقاساة فان القلوب
اذا اذعنت لشخص واعتقدت كماله بعلم او عمل او غيره افصحت الالسنة لا محالة بما فيها فتصف ما تعتقده
لغيرها وتقتنص ذلك القلب ايضا له ولهذا المعنى يحب الطبع الصيت وانتشار الذكر لان ذلك اذا
استطار في الاقطار اقتنص القلوب ودعاها الى الاذعان والتعظيم فلا يزال يسري من واحد الى واحد
ويتزايد وليس له مرد معين واما المال فمن ملك منه شيا فهو مالكه ولا يقدر
على استنمائه الا بتعب ومقاساة والجاه ابدا في النماء بنفسه ولا مرد لموقعه والمال واقف ولهذا اذا
عظم الجاه وانتشر الصيت وانطلقت الالسنة بالثناء استحقرت الاموال في مقابلتها فهذه مجامع

ترجيحات الجاه على المال فاذا فصلت كثرت وجوه الترجيح فان قلت فالاشكال قائم في المال والجاه جميعا
فلا ينبغي ان يحب الانسان المال والجاه نعم القدر الذي يتوصل به الى جلب الملاذ ودفع المضار معلوم كالمحتاج
الى الملبس والمسكن والمطعم وكالمبتلى بمرض او بعقوبة اذا كان لا يتوصل الى دفع العقوبة عن نفسه
الا بمال او جاه فحبه للمال والجاه معلوم اذ كل ما لا يتوصل الى المحبوب الا به فهو محبوب وفي الطباع امر عجيب
وراء هذا وهو حب جمع المال وكنز الكنوز وادخار الذخاير واستكثار الخزاين وراء جميع الحاجات
حتى لو كان للعبد واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا وكذلك يحب الانسان اتساع الجاه وانتشار
الصيت الى اقصى البلاد التي يعلم قطعا انه لا يطاها ولا يشاهد اصحابها ليعظموها او ليبروه بماله
او ليعينوه على غرض من اغراضه ومع الياس من ذلك فانه يلتذ به غاية الالتذاذ وحب ذلك ثابت
في الطبع ويكاد يظن ان ذلك جهل فانه حب لما لا فايدة فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فنقول نعم هذا الحب لا
تنفك عنه القلوب وله سببان احدهما جلي والآخر خفي وهو اعظم السببين ولكنه ادقهما واخفاهما
وابعدهما عن فهم الاذكيا فضلا عن الاغبيا وذلك لاستمداده من عرق خفي في النفس وطبيعة مستكنة
في الطبع لا يكاد يقف عليها الا الغواصون فاما السبب الاول فهو دفع الم الخوف لان الشفيق بسوء
الظن مولع والانسان وان كان مكتفيا في الحال فانه طويل الامل ويخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته
ربما يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قلبه ولا يدفع الم الخوف الا الامن الحاصل
بوجود مال آخر يفزع اليه ان اصابت هذا المال جايحة فهو ابدا يحب المال للشفقة على نفسه وحبه للحياة
[امكان الهجوم] تقدر طول الحيوة وتقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق الآفات الى الاموال
ويستشعر الخوف من ذلك فيطلب ما يدفع خوفه وهو كثرة المال حتى ان اصيب بطايفة من ماله استغنى عنها
بالاخرى وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال فلذلك لم يكن لمثله موقف الى ان يملك جميع ما في
الدنيا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم منهومان لا يشبعان منهوم المال ومنهوم العلم ومثل
هذه العلة تطرد في حب قيام المنزلة والجاه في قلوب الاباعد عن وطنه وبلده فانه لا يخلو عن تقدير
سبب يزعجه عن الوطن او يزعج اوليك عن اوطانهم الى وطنه وبلده ويحتاج الى الاستعانة بهم ومهما
كان ذلك ممكنا ولم يكن احتياجه اليهم مستحيلا استحالة ظاهرة كان للنفس فرح ولذة بقيام الجاه
في قلوبهم لما فيه من الامن عن هذا الخوف **والسبب الثاني** وهو الاقوى ان الروح امر رباني
به وصفه الله تعالى ذكره اذ قال ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي ومعنى كونه ربانيا
من اسرار علم المكاشفة ولا رخصة في اظهاره اذ لم يظهره رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنك قبل معرفة
ذلك تعلم ان للقلب ميلا الى صفات بهيمية كالاكل والوقاع والى صفات سبعية كالقتل والضرب والايذا
والى صفات شيطانية كالمكر والخديعة والاغوا والى صفات ربوبية كالكبر والعز والتجبر وطلب الاستعلا

وذلك لانه مركب من اصول مختلفه يطول شرح تفصيلها فهو لما فيه من الامر الرباني يحب الربوبيه بالطبع
ومعنى الربوبيه التوحد بالكمال والتفرد بالوجود على سبيل الاستقلال فصار الكمال من نعوت الالاهيه
وصار محبوبا بالطبع للانسان والكمال في التفرد بالوجود فان المشاركه في الوجود نقص لا محاله فكمال
الشمس في انها موجوده وحدها فلو كان معها شمس اخرى لكان ذلك نقصانا في حقها اذ لم تكن منفرده
بكمال معنى الشمسية والمنفرد بالوجود هو الله تعالى اذ ليس له موجود سواه وانما سواه اثر من اثار
قدرته لا قوام له بذاته بل هو القايم به ولم يكن موجودا معه لان يوجب المساواه في الرتبه والمساواه
في الرتبه نقصان في الكمال بل الكامل من لا نظير له في رتبته وكما ان اشراق نور الشمس في اقطار الافاق ليس
نقصانا في الشمس بل هو من جملة كمالها وانما النقصان بوجود شمس اخرى تساويها في الرتبه مع الاستغنا
عنها فكذلك وجود كل ما في العالم يرجع الى اشراق انوار القدرة فيكون تابعا ولا يكون معا
فاذا معنى الربوبيه التفرد بالوجود وهو الكمال وكل انسان فانه بطبعه محب لان يكون هو المنفرد بالكمال
ولذلك قال بعض شيوخ الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله انا
ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد له مجالا وهو كما قال فان العبوديه قهر على النفس والربوبيه
محبوبة بالطبع وذلك للنسبة الربانية التي اوما اليه قوله تعالى قل الروح من امر ربي ولكن لما عجزت النفس
عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال فهو محب للكمال ومشته له وملتذ به لذاته لا لمعنى اخر وراء
الكمال فكل موجود فهو محب لذاته ولكمال ذاته ومبغض للهلاك الذي هو عدم ذاته او عدم صفات
الكمال بعد ان لم يسلم التفرد بالوجود في الاستيلا على كل الموجودات فان اكمل الكمال ان يكون وجود غيرك
منك فان لم يكن منك فان تكون مستوليا عليه فصار الاستيلا على الكل محبوبا بالطبع لانه نوع كمال
وكل موجود يعرف ذاته فانه يحب ذاته ويحب كمال ذاته ويلتذ به الا ان الاستيلا على الشي بالقدرة
على التاثير فيه وعلى تغيره بحسب الاراده وكونه مسخرا لك تردده كيف تشا فاحب الانسان ان يكون
له الاستيلا على كل الاشيا الموجوده معه الا ان الموجودات منقسمة الى ما لا يقبل التغير في ذاته كذات
الله تعالى وصفاته والى ما يقبل التغير ولكن لا تستولى عليها قدرة الخلق كالافلاك والكواكب وملكوت
السموات ونفوس الملايكه والجن والشياطين وكالجبال والبحار وما تحت الجبال والبحار والى ما يقبل
التغير بقدرة العبد كالارض واجزايها وما عليها من المعادن والنبات والحيوان ومن جملتها قلوب الناس
لانها قابله للتاثير والتغير مثل اجسادهم واجساد الحيوانات فاذا انقسمت الموجودات الى ما يقدر الانسان
على التصرف فيه كالارضيات والى ما لا يقدر كذات الله تعالى والملايكه والسموات فاحب الانسان ان يستولى
على السموات بالعلم والاحاطه والاطلاع على اسرارها فان ذلك نوع استيلا اذ المعلوم المحاط به كالداخل
تحت العلم والعالم كالمستولي عليه فلذلك احب ان يعرف الله تعالى والملايكه والافلاك والكواكب وجميع عجايب

السموات وعجايب البحار والجبال وغيرها لان ذلك نوع استيلا عليها والاستيلا نوع كمال وهذا يضاهي
اشتياق من عجز عن صنعة عجيبة الى معرفة طريق الصنعة فيها كمن يعجز عن وضع الشطرنج فانه قد يشتهي
ان يعرف اللعب به وانه كيف وضع وكمن يرى صنعة عجيبه في الهندسه والشعبذة او جر الثقيل او غيره
وهو يستشعر من نفسه بعض العجز والقصور عنه لكنه مشتاق الى معرفه كيفيته فهو متالم بنقص العجز
ومتلذذ بكمال العلم ان علمه واما القسم الثاني وهو الارضيات التي يقدر الانسان عليها فانه يحب بالطبع
ان يستولى عليها بالقدرة على التصرف فيها كيف يريد وهي قسمان اجساد وارواح الاجساد الدراهم والدنانير
والامتعه فيجب ان يكون قادرا عليها يفعل فيها ما يشا من الرفع والوضع والتسليم والمنع
فان ذلك قدره والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية والربوبيه محبوبه بالطبع فلذلك احب الاموال وان
كان لا يحتاج اليها في ملبسه ومطعمه وفي شهوات نفسه ولذلك طلب استرقاق العبيد
واستعباد اشخاص الاحرار ولو بالقهر والغلبه حتى يتصرف في اجسادهم واشخاصهم بالاستسخار
وان لم يملك قلوبهم فانها ربما لم تعتقد كماله حتى يصير محبوبا ويقوم منزلته فيها فان الحشمة القهريه
ايضا لذيذه لما فيها من القدرة القسم الثاني نفوس الادميين وقلوبهم وهي انفس ما على وجه
الارض فهو يحب ان يكون له استيلا وقدرة عليها لتكون مسخرة له متصرفه تحت
اشارته وارادته لما فيه من كمال الاستيلا والتشبه بالصفات الربوبية ويحب من القلوب ان تلين
بالجبر ولا تحب الا باعتقاد الكمال فان كل كمال محبوب لان الكمال من الصفات الالهيه والصفات الالهية كلها
محبوبه بالطبع للمعنى الرباني من جملة معاني الانسان وهو الذي لا يبليه الموت فيعدمه ولا يتسلط
عليه التراب فيا كله فانه محل الايمان والمعرفه وهو الواصل الى لقا الله تعالى والساعي اليه فاذا معنى الجاه
تسخير القلوب ومن تسخرت له القلوب كانت له قدرة واستيلا عليها والقدرة والاستيلا كمال وهو من
اوصاف الربوبيه فاذا محبوب القلب بالطبع الكمال بالعلم والقدرة والجاه والمال من اسباب القدرة ولا نهايه
للمعلومات ولا نهاية للمقدورات وما دام يبقى معلوم او مقدور فالشوق لا يسكن والنقصان لا يزول
فلذلك قال عليه السلام منهومان لا يشبعان فاذا مطلوب القلب الكمال بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات
فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والجاه والمال
محبوبا لا لاجل التوصل الى قضا الشهوات فان هذه العله قد تبقى مع سقوط الشهوات
بل يحب الانسان من العلوم ما لا يصلح للتوصل به الى الاغراض بل ربما تفوت عليه جملة من الاغراض والشهوات
ولكن الطبع يتقاضى طلب العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في العلم استيلا على المعلوم وهو نوع
من الكمال الذي هو من صفات الربوبيه فكان هو محبوبا بالطبع الا ان في حب كمال القدرة والعلم اغاليط لا
بد من بيانها

بيان الكمال الحقيقي والكمال الوهمي

الذي لا حقيقه له قد عرفت انه لا كمال

بعد موت النفس بالوجود الا في العلم والقدرة ولكن الكمال الحقيقي فيه ملتبس بالكمال الوهمي وبيانه
ان كمال العلم لله تعالى وذلك من ثلثة اوجه احدها من حيث كثرة المعلومات وسعتها
فانه تعالى محيط بجميع المعلومات فلذلك كلما كانت علوم العبد اكثر كانت اقرب الى الله تعالى والثاني
من حيث تعلق العلم بالمعلوم على ما هو به وكون المعلوم مكشوفا به كشفا تاما فان المعلومات
مكشوفة لله تعالى باتم انواع الكشف على ما هي عليه فلذلك مهما كان علم العبد اوضح واتم واصدق واوفق
للمعلوم في تفاصيل صفات المعلوم كان اقرب الى الله تعالى والثالث من حيث بقا العلم ابد الاباد بحيث
لا يتغير ولا يزول فان علم الله تعالى باق لا يتصور ان يتغير فكذلك مهما كان علم العبد بمعلومات لا يقبل
التغير والانقلاب كان اقرب الى الله تعالى والمعلومات قسمان متغيرات وازليات
فاما المتغيرات فمثاله العلم بكون زيد في الدار فانه علم له معلوم ولكن يتصور ان يخرج زيد من الدار ويبقى
اعتقاد كونه في الدار كما كان فينقلب جهلا فيكون نقصانا لا كمالا فكلما اعتقدته اعتقادا موافقا له
وتصور ان ينقلب المعتقد فيه عما اعتقدته كنت بصدد ان ينقلب كمالك نقصانا ويعود علمك جهلا
ويلتحق بهذا المثال جميع متغيرات العالم كعلمك مثلا بارتفاع جبل ومساحة ارض وتعدد البلاد وتباعد
ما بينهما من الاميال والفراسخ وسائر ما يذكر في المسالك والممالك وكذلك العلم باللغات التي اصطلاحات
يتغير بتغير الاعصار والامم والعادات فهذه علوم معلوماتها مثل الزيبق تتغير من حال الى حال فليس فيه
كمال الا في الحال ولا يبقى كمالا في القلب والقسم الثاني هي المعلومات الازلية وهي جواز الجائزات
ووجوب الواجبات واستحالة المستحيلات فان هذه معلومات ازلية ابدية اذ لا يستحيل
الواجب قط جائزا ولا الجائز محالا ولا المحال واجبا وكل هذه الاقسام داخلة في معرفة الله سبحانه
وما يجب له وما يستحيل في صفاته ويجوز في افعاله فالعلم بالله تعالى وبصفاته وافعاله وحكمته في ملكوت
السموات والارض وترتيب الدنيا والاخرة وما يتعلق به هو الكمال الحقيقي الذي يقرب من يتصف به من الله
تعالى ويبقى كمالا للنفس بعد الموت ويكون هذه المعرفة نورا للعارفين بعد الموت يسعى نورهم بين ايديهم
وبايمانهم يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اي يكون هذه المعرفة راس مال يوصل الى كشف ما لم
ينكشف في الدنيا كما ان من معه سراج خفي فانه يجوز ان يكون ذلك سببا لزيادة النور بسراج اخر يقتبس
منه فيكمل النور بذلك النور الخفي على سبيل الاستتمام ومن ليس معه اصل السراج لا مطمع له في ذلك فمن
ليس له اصل معرفة الله تعالى لم يكن له مطمع في هذا النور فيبقى كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها
بل كظلمات في بحر لجي يغشيه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
فاذا لا سعادة الا في معرفة الله سبحانه واما ما عدا ذلك من المعارف ففيها ما لا فائدة له اصلا كمعرفة
الشعر وانساب العرب وغيره ومنها ما له منفعة في الاعانة على معرفة الله سبحانه كمعرفة لغة العرب

والتفسير والفقه

والتفسير والفقه والاخبار فان معرفة لغة العرب تعين على معرفة تفسير القران ومعرفة التفسير
تعين على معرفة ما في القران من كيفية العبادات والاعمال التي تفيد تزكية النفس ومعرفة طريق تزكية النفس تفيد في
استعداد النفس لقبول الهداية الى معرفة الله تعالى كما قال تعالى قد افلح من زكاها
وقال تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فتكون جملة هذه المعارف كالوسايل
الى تحقيق معرفة الله تعالى وانما الكمال في معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله وتنطوي فيه جميع
المعارف المحيطة بالموجودات اذ الموجودات كلها من افعاله فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى
ومن حيث ارتباطها بالقدرة والارادة والحكمة فهي من تكملة معرفة الله تعالى هذا حكم كمال العلم الذي ذكرناه
وان لم يكن لايقا باحكام الجاه والريا ولكن اوردناه لاستيفا اقسام الكلام واما القدرة فليس فيها كمال
حقيقي للعبد بل للعبد علم حقيقي وليس له قدرة حقيقية واما القدرة الحقيقية لله تعالى وما يحدث
من الاشيا عقب ارادته وقدرته وحركته فهي حادثة باحداث الله تعالى كما قررناه في كتاب
الصبر والشكر والتوكل وفي مواضع شتى من ربع المنجيات فكمال العلم يبقى بعد الموت ويوصله الى
الله تعالى فاما كمال القدرة فلا نعم له كمال من جهة القدرة بالاضافة الى الحال وهي وسيلة له الى كمال العلم
كسلامة اطرافه وقوة يده للبطش ورجله للمشي وحواسه للادراك فان هذه القوى الة للتوصل
بها الى حقيقة كمال العلم وقد يحتاج في استيفا هذه القوى الى القدرة بالمال والجاه
للتوصل به الى المطعم والملبس وذلك الى قدر معلوم فان لم يستعمله للوصول به الى معرفة الله تعالى فلا
خير فيه البتة الا من حيث اللذة الحالية التي تنقضي على القرب ومن ظن ذلك كمالا فهو جاهل والخلق كلهم هالكون
في غمرة هذا الجهل فانهم يظنون ان القدرة على الاجساد بقهر الحشمة وعلى اعيان الاموال بسعة الغنى
وعلى تعظيم القلوب بسعة الجاه كمال فلما اعتقدوا ذلك احبوه ولما احبوه طلبوه ولما طلبوه شغلوا به
وتهالكوا عليه فنسوا الكمال الحقيقي الذي يقرب من الله تعالى ومن ملائكته وهو العلم والحرية اما العلم فما
ذكرناه من معرفة الله تعالى واما الحرية فالخلاص من اسر الشهوات وغموم الدنيا والاستيلا عليها بالقهر
تشبها بالملائكة الذين لا تستفزهم الشهوات ولا يستهويهم الغضب فان دفع اثار الغضب والشهوة
عن النفس من الكمال الذي هو من صفات الملائكة ومن صفات الكمال لله سبحانه استحالة التغير والتاثر عليه
فمن كان عن التغير والتاثر بالعوارض ابعد كان الى الله تعالى اقرب وبالملائكة اشبه ومنزلته عند الله
تعالى اعظم وهذا كمال ثالث سوى كمال العلم والقدرة وانما لم نورده في اقسام الكلام
لان حقيقته ترجع الى عدم نقصان فان التغير نقصان اذ هو عبارة عن عدم صفة كائنة وهلاكها
والهلاك نقص في الذات وفي صفات الكمال للذات فاذا الكمالات ثلثة ان عددنا عدم التغير بالشهوات
وعدم الانقياد لها كمالا كمال العلم وكمال الحرية واعني به عدم العبودية للشهوات وارادات الاسباب

الدنيوية والقدرة وللعبد طريق الى اكتساب كمال العلم وكمال الحرية ولا طريق له الى اكتساب كمال القدرة
الباقية بعد موته اذ قدرته على اعيان الاموال وعلى استسخار القلوب والابدان ينقطع بالموت
ومعرفته وحريته لا ينعدم بالموت بل يبقى كمالا فيه ووسيلة الى القرب من الله تعالى
فانظر كيف انقلب الجاهلون وانكبوا على وجوههم انكباب العميان فاقبلوا على كمال القدرة بالجاه والمال وهو
الكمال الذي لا يسلم وان سلم فلا بقاء له واعرضوا عن كمال الحرية والعلم الذي اذا حصل كان ابديا لا انقطاع له
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا جرم لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم
يعلموا قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا الاية فالعلم والحرية هي الباقيات
الصالحات التي تبقى كمالا في النفس والمال والجاه هو الذي يفنى على القرب وهو كما مثله الله تعالى حيث
يقول انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السما الاية فكل ما تذروه الموت فهو زهر الحيوة الدنيا وكل ما لا
يقطعه الموت فهي الباقيات الصالحات فقد عرفت بهذا ان كمال القدرة بالمال والجاه
كمال ظني لا اصل له وان من قصر الوقت على طلبه وظنه مقصودا فهو جاهل الا قدر البلغة منهما الى الكمال
الحقيقي **بيان ما يحمد من** حب الجاه وما يذم مهما عرفت ان معنى الجاه ملك القلوب والقدرة عليها
فحكمها حكم ملك الاموال فانه عرض من اعراض الحيوة الدنيا وينقطع بالموت كالمال والدنيا مزرعة الاخرة
فكلما خلق في الدنيا فيمكن ان يتزود منه للاخرة وكما انه لا بد من ادنى مال لضرورة المطعم والملبس فلا بد من
ادنى جاه لضرورة المعيشة مع الخلق والانسان كما لا يستغني عن طعام يتناوله فيجوز ان يحب الطعام
او المال الذي يبتاع به الطعام فكذلك لا يخلو عن الحاجة الى خادم يخدمه
ورفيق يعينه وسلطان يحرسه ويدفع عنه ظلم الاشرار فحبه ان يكون له في قلب خادمه من المحل
ما يدعوه الى الخدمة ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب رفيقه من المحل ما يحسن به مرافقته
ومعاونته ليس بمذموم وحبه لان يكون له في قلب استاذه من المحل ما يحسن به ارشاده
وتعليمه والعناية به ليس بمذموم وحبه لان يكون له من المحل في قلب سلطانه ما يحثه ذلك على
دفع الشر عنه ليس بمذموم فان الجاه وسيلة الى الاغراض كالمال ولا فرق بينهما الا ان التحقيق في هذا
يفضي الى ان لا يكون المال والجاه في اعيانهما محبوبا بل ينزل ذلك منزلة حب الانسان ان يكون في داره
بيت ماء لانه يضطر اليه لقضاء حاجته ويود لو استغنى عن قضاء الحاجة حتى يستغني عن بيت الماء
وهذا على التحقيق ليس بحب لبيت الماء فكل ما يراد للتوسل الى محبوب فالمحبوب المقصود المتوسل اليه
وتدرك التفرقة بمثال وهو ان الرجل قد يحب زوجته من حيث انه يدفع بها فضلة الشهوة
كما يدفع ببيت الماء فضلة الطعام ولو كفي مؤنة الشهوة لكان يهجر زوجته كما لو كفي قضاء الحاجة
لكان لا يدخل بيت الماء ولا يدور به وقد يحب زوجته لذاته حب العشاق ولو كفي الشهوة لبقي

مستصحبا لنكاحها فهذا هو الحب دون الاول وكذلك الجاه والمال قد يحب كل واحد منهما على هذين
الوجهين فحبهما لاجل التوسل بهما الى مهمات البدن غير مذموم وحبهما لاعيانهما فيما يجاوز ضرورة
البدن وحاجته مذموم ولكنه لا يوصف صاحبه بالفسق والعصيان ما لم يحمله الحب على مباشرة معصية
وما لم يتوصل الى اكتسابه بكذب وخداع وارتكاب محظور وما لم يتوصل الى اكتسابه بعبادة فان
التوصل الى الجاه والمال بالعبادة جناية على الدين وهو حرام واليه يرجع معنى الريا المحظور كما سياتي
فان قلت طلبه الجاه والمنزلة في قلب استاذه وخادمه ورفيقه وسلطانه ومن يرتبط
به امره مباح على الاطلاق كيف ما كان او يباح الى حد مخصوص وعلى وجه مخصوص فاقول
يطلب ذلك على ثلثة اوجه وجهان منها مباح ووجه منها محظور واما الوجه المحظور فهو ان يطلب
قيام المنزلة في قلوبهم باعتقادهم صفة هو منفك عنها مثل العلم والورع والنسب فيظهر لهم انه
علوي او عالم او ورع ولا يكون كذلك فهذا حرام لانه تلبيس وكذب اما بالقول واما بالمعاملة
واما المباح فهو ان يطلب المنزلة بصفة هو متصف بها كقول يوسف عليه السلام اجعلني على خزاين
الارض اني حفيظ عليم فانه طلب المنزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه وكان صادقا فيه
الثاني وهو ان يطلب اخفاء عيب من عيوبه ومعصية من معاصيه حتى لا يعلمه فلا تزول منزلته
به فهذا ايضا مباح لان حفظ الستر على القبايح جايز ولا يجوز هتك الستر واظهار القبيح وهذا
ليس فيه تلبيس بل هو سد لطريق العلم بما لا فايدة في العلم به كالذي يخفي عن السلطان انه يشرب
الخمر ولا يلقي اليه انه ورع فان قوله انه ورع تلبيس وعدم اقراره بالشرب لا يوجب اعتقاده
الورع بل يمنع العلم بالشرب ومن جملة المحظور ان يحسن الصلوة بين يديه ليحسن فيه اعتقاده
فان ذلك ريا وهو تلبيس اذ يخيل اليه انه من المخلصين الخاشعين لله تعالى وهو مراي بما يفعله
فكيف يكون مخلصا فطلب الجاه بهذا الطريق حرام وكذا بكل معصية وذلك يجري مجرى اكتساب
المال من غير فرق وكما لا يجوز له ان يتملك مال غيره بتلبيس في عوض او في غيره فلا يجوز له ان
يتملك قلبه بتزوير وخداع فان تملك القلوب اعظم من تملك الاموال **بيان السبب في حب
المدح والثنا** وارتياح القلب به وميل الطباع اليه وبغضه للذم ونفرته منه اعلم ان لحب المدح
والثنا والتذاذ القلب به اربعة اسباب الاول وهو الاقوى شعور النفس بالكمال فانا بينا
ان الكمال محبوب وكل محبوب فادراكه لذيذ فمهما شعرت بكمالها ارتاحت واهتزت والمدح يشعر النفس
نفس الممدوح بكمالها فان الوصف الذي به مدح لا يخلو اما ان يكون جليا ظاهرا او يكون مشكوكا فيه
فان كان جليا ظاهرا محسوسا كانت اللذة فيه اقل ولكنه لا يخلو عن لذة كثنايه عليه بانه طويل
القامة ابيض اللون فان هذا نوع كمال ولكن النفس تغفل عنه فتخلو عن لذته فاذا اشعر به

لم يخل حدوث الشعور عن حدوث لذة وإن كان ذلك الوصف مما يتطرق إليه الشك فاللذة فيه أعظم
كالثناء عليه بكمال العلم وكمال الورع أو بالحسن المطلق فإن الإنسان ربما يكون شاكاً في كمال حسنه
وكمال علمه وكمال ورعه ويكون مشتاقاً إلى زوال ذلك الشك بأن يصير مستيقناً لكونه
عديم النظير في هذه الأمور أو تطمئن نفسه إليه فإذا ذكره غيره أورث ذلك طمأنينة وثقة باستشعار
ذلك الكمال فتعظم لذته وإنما تعظم اللذة بهذه العلة مهما صدر الثناء من بصير بهذه الصفات
خبير بها لا يجازف في القول إلا عن تحقيق وذلك كفرح التلميذ بثناء أستاذه عليه بالكياسة والذكا
وغزارة الفضل فإنه في غاية اللذة فإن صدر ممن يجازف في الكلام أو لا يكون بصيراً بذلك الوصف ضعفت
اللذة وبهذه العلة يبغض الذم أيضاً ويكرهه لأنه يشعره بنقصان نفسه والنقصان ضد الكمال
المحبوب فهو ممقوت والشعور به مؤلم ولذلك يعظم الألم إذا صدر الذم من بصير موثوق به كما
ذكرناه **السبب الثاني** أن المدح يدل على أن قلب المادح مملوك للممدوح وأنه مريد له ومعتقد فيه
ومسخر تحت مشيئته وملك القلوب محبوب والشعور به لذيذ وبهذه العلة تعظم اللذة مهما صدر الثنا
ممن تتسع قدرته وينتفع باقتناص قلبه كالملوك والأكابر وتضعف مهما كان المثني ممن لا
يؤبه له ولا يقدر على شيء فإن القدرة عليه بملك قلبه قدرة على أمر حقير فلا يدل المدح إلا على قدرة
قاصرة وبهذه العلة أيضاً يكره الذم ويتألم به القلب وإذا كان من الأكابر كانت نكايته أعظم لأن الفائت
به أعظم **السبب الثالث** أن ثناء المثني ومدح المادح سبب لاصطياد قلب كل من يسمعه
لا سيما إذا كان ذلك ممن يلتفت إلى قوله ويعتد بثنائه وهذا يختص بثناء يقع على الملأ فلا جرم
كلما كان الجمع أكثر والمثني أجدر بأن يلتفت إلى قوله كان المدح ألذ والذم أشد على النفس **السبب الرابع**
أن المدح يدل على حشمة الممدوح واضطرار المادح إلى إطلاق اللسان بالثناء عليه إما عن طوع وإما عن
قهر فإن الحشمة أيضاً لذيذة لما فيها من القهر والقدرة وهذه اللذة تحصل وإن كان المادح لا يعتقد
في الباطن ما مدح به ولكن كونه مضطراً إلى ذكره نوع قهر واستيلاء عليه فلا جرم تكون لذته
بقدر تمنع المادح وقوته فيكون لذة ثناء القوي الممتنع عن التواضع بالثناء أشد فهذه الأسباب
الأربعة قد تجتمع في مدح مادح واحد فيعظم به الالتذاذ وقد تفترق فتنقص اللذة أما العلة
الأولى وهي استشعار الكمال فتندفع بأن يعلم الممدوح أنه غير صادق في مدحه كما إذا مدح بأنه حسيب
أو سخي أو عالم بعلم أو متورع عن المحظورات وهو يعلم من نفسه ضد ذلك فتزول اللذة التي سببها
استشعار الكمال وتبقى لذة الاستيلاء على قلبه وعلى لسانه وبقية اللذات فإن كان يعلم أن المادح يعتقد
ما يقوله ويعلم خلوه عن هذه الصفات بطلت اللذة الثانية وهي استيلاؤه على قلبه وتبقى لذة الاستيلاء
بالحشمة على اضطرار لسانه إلى النطق بالثناء فإن لم يكن ذلك عن خوف بل كان بطريق اللعب بطلت اللذات

كلها فلم يكن فيه أصلاً لذة لفوات الأسباب الثلاثة فهذا ما يكشف الغطاء عن علة التذاذ النفس بالمدح
وتألمها بسبب الذم وإنما ذكرناه لتعرف طريق العلاج لحب الجاه وحب المحمدة وخوف المذمة فإن ما لا
يعرف سببه لا تمكن معالجته إذ العلاج عبارة عن حل أسباب المرض **بيان علاج حب الجاه**
اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق مشغوفاً بالتودد إليهم والمراءاة
لأجلهم ولا يزال في أقواله وأعماله ملتفتاً إلى ما يعظم منزلته عندهم وذلك بذر النفاق
وأصل الفساد ويجر ذلك لا محالة إلى التساهل في العبادات والمراءاة بها وإلى
اقتحام المحظورات للتوصل إلى اقتناص القلوب ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الشرف
والمال وإفسادهما للدين بذئبين ضاريين وقال إنه ينبت النفاق كما ينبت الماء البقل هو مخالفة
الظاهر الباطن بالقول والفعل وكل من طلب المنزلة في قلوب الناس فيضطر إلى النفاق معهم وإلى
التظاهر بخصال محمودة هو خال عنها وذلك عين النفاق فحب الجاه إذن من المهلكات
فيجب علاجه وإزالته عن القلب فإنه طبع جبل القلب عليه كما جبل على حب المال وعلاجه مركب من علم
وعمل أما العلم فهو أن يعلم السبب الذي لأجله أحب الجاه وهو كمال القدرة على أشخاص الناس وعلى قلوبهم
وقد بينا أن ذلك إن صفا وسلم فآخره الموت فليس هو من الباقيات الصالحات بل لو سجد
لك كل من على بسيط الأرض من المشرق إلى المغرب فإلى خمسين سنة لا يبقى الساجد ولا المسجود له
ويكون ذلك كحال من مات قبلك من ذوي الجاه مع المتواضعين له فهذا لا ينبغي أن يترك له الدين الذي
هو الحياة الأبدية التي لا انقطاع لها ومن فهم الكمال الحقيقي والكمال الوهمي كما سبق صغر الجاه في عينه
إلا أن ذلك إنما يصغر في عين من ينظر إلى الآخرة كأنه يشاهدها ويستحقر العاجلة ويكون الموت كالحاصل
عنده ويكون حاله كحال الحسن البصري رحمه الله حين كتب إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله
عنه أما بعد فكأنك بآخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد نظره نحو المستقبل وقدره كائناً
وكذلك عمر بن عبد العزيز حيث كتب في جوابه أما بعد فكأنك بالدنيا لم تكن وكأنك بالآخرة لم تزل فهؤلاء
التفاتهم إلى العاقبة فكان عملهم لها بالتقوى إذ علموا أن العاقبة للمتقين فاستحقروا المال والجاه
في الدنيا وأبصار الخلق ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها إلى مشاهدة العواقب ولذلك
قال تعالى كلا بل تحبون العاجلة وتذرون الآخرة فمن هذا حده فينبغي أن يعالج قلبه
من حب الجاه بالعلم بالآفات العاجلة وهو أن يتفكر في الأخطار التي يستهدف لها أرباب الجاه في الدنيا
فإن كل ذي جاه محسود ومقصود بالأذى وخائف على جاهه ومحترز من أن تتغير منزلته في
القلوب والقلوب أشد تغيراً من القدر في غليانه وهو مردد بين الإقبال والإعراض فكل ما يبنى على قلوب
الخلق يضاهي ما يبنى على أمواج البحر فإنه لا ثبات له والاشتغال بمراعاة القلوب وحفظ الجاه ودفع

كيد الحساد ومنع اذا الاعدا كل ذلك غموم عاجلة مكدرة لذة الجاه فلا يفي في الدنيا ايضا مرجوها بمخوفها
فضلا عما يفوت في الاخرة فبهذا ينبغي ان يعالج الضعيف البصيرة واما من نفذت بصيرته وقوي ايمانه
لم يلتفت الى الدنيا فهذا هو العلاج من حيث العلم واما من حيث العمل فاسقاط الجاه عن قلوب الخلق
بمباشرة افعال يلام عليها حتى يسقط من اعين الخلق وتفارقه لذة القبول ويانس
بالخمول ويرد الخلق ويقنع بالقبول من الخالق وهذا هو مذهب الملامتية اذ اقتحموا الفواحش في صورتها الملامتية
ليسقطوا انفسهم من اعين الخلق فيسلموا من افة الجاه وهذا غير جائز لمن يقتدى به فانه يوهن الدين
في قلوب المسلمين واما الذي لا يقتدى به فلا يجوز له ان يقدم على محظور لاجل ذلك بل له ان يفعل من
المباحات ما يسقط قدره عند الناس كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه
استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك سقط من عينه فانصرف فقال
الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني ومنهم من شرب شرابا حلالا في قدح لونه لون الخمر حتى يظن انه يشرب خمرا
فيسقط عن الاعين وهذا في جوازه نظر من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي
به الفقيه مهما راوا اصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير كما فعل بعضهم فانه
عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه فاخذوه
وضربوه واستردوا منه الثياب وقالوا انه طرار وهجروه واقوى الطريق في قطع الجاه
الاعتزال عن الناس والهجرة الى موضع الخمول فان المعتزل في بيته في البلد الذي هو به مشهور لا يخلو
عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور
وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت بمقصودها ولو تغير الناس عما اعتقدوا فيه فذموه او نسبوه الى امر
غير لائق به جزعت نفسه وتالمت وربما توصلت الى الاعتذار عن ذلك واماطة ذلك الغبار عن قلوبهم
وربما يحتاج في ازالة ذلك عن قلوبهم الى كذب وتلبيس ولا يبالي به فيتبين انه بعد محب للجاه والمنزلة
فهو كمحب المال بل هو شر منه فان فتنة الجاه اعظم ولا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام
يطمع في الناس فاذا احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع طمعه عن الناس راسا
اصبح الناس كلهم عنده كالارذال فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم او لم يكن كما لا يبالي بذلك في قلوب
الذين هم منه في اقصى المشرق لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ولا ينقطع الطمع عن الناس الا بالقناعة
فمن قنع استغنى عن الناس واذا استغنى لم يشتغل قلبه بالناس ولم يكن لقيام منزلته في
القلوب عنده وزن ولا يتم ترك الجاه الا بالقناعة وقطع الطمع ويستعين على
جميع ذلك بالاخبار الواردة في ذم الجاه ومدح الخمول والذل مثل قولهم لا يخلو من ذلة او قلة او علة
وينظر في احوال السلف رضي الله عنهم وايثارهم الذل على العز ورغبتهم في ثواب الاخرة **بيان وجه العلاج**

لحب المدح وكراهية الذم **اعلم** ان اكثر الخلق انما هلكوا بخوف مذمة الناس وحب مدحهم فصارت حركاتهم
كلها موقوفة على ما يوافق رضى الناس رجاء للمدح وخوفا من الذم وذلك من المهلكات فيجب
معالجته وطريقه ملاحظة الاسباب التي لاجلها يحب المدح ويكره الذم **اما** السبب الاول فهو
استشعار الكمال بسبب قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك وتقول لنفسك هذه الصفة التي
يمدحك بها انت بها متصف ام لا فان كنت متصفا بها فاما صفة تستحق الفرح بها كالعلم والورع واما
صفة لا تستحق كالثروة والجاه والاعراض الدنيوية فان كان من الاعراض الدنيوية فالفرح بها كالفرح
بنبات الارض الذي يصير على القرب هشيما تذروه الرياح وهذا من قلة العقل بل العاقل
يقول اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا فلا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا
وان فرح فلا ينبغي ان يفرح بمدح المادح بها بل بوجودها والمدح ليس هو سبب وجودها وان كانت
الصفة مما تستحق الفرح بها كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة وهذا انما
يقتضي الفرح لانه يقرب عند الله زلفى وخطر الخاتمة باق ففي الخوف من الخاتمة شغل عن الفرح بكل ما
في الدنيا بل الدنيا دار احزان وغموم لا دار فرح وسرور ثم ان كنت تفرح بها على رجاء حسن الخاتمة فينبغي ان
يكون فرحك بفضل الله تعالى عليك بالعلم والتقوى لا بمدح المادح فان اللذة باستشعار
الكمال والكمال موجود من فضل الله تعالى لا من المدح والمدح تابع له فلا ينبغي ان تفرح بالمدح والمدح لا يزيدك
فضلا وان كانت الصفة التي تمدح بها انت خال عنها ففرحك بالمدح غاية الجنون ومثالك مثال من
يهزا به انسان ويقول له سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائه وما اطيب الروائح التي تخرج منه
اذا قضى حاجته وهو يعلم ما يشتمل عليه امعاؤه من الاقذار والانتان ثم يفرح به فكذلك اذا اثنوا
عليك بالصلاح والورع ففرحت به والله تعالى مطلع على خبائث باطنك وغوائل سريرتك واقذار صفاتك
كان ذلك من غاية الجهل فان صدق المادح فليكن فرحك بصفتك التي هي من فضل الله تعالى عليك وان
كذب فينبغي ان يغمك ذلك ولا تفرح به **واما** السبب الثاني وهو دلالة المدح على تسخير قلب المادح وكونه
سببا لتسخير قلب اخر فهذا يرجع الى حب الجاه والمنزلة في القلوب وقد سبق وجه معالجته وذلك بقطع
الطمع وطلب المنزلة عند الله عز وجل وبان تعلم ان طلبك المنزلة في قلوب الناس وفرحك به يسقط
منزلتك عند الله فكيف تفرح به **واما** السبب الثالث وهو الحشمة التي اضطرت المادح الى المدح
فهو ايضا يرجع الى قدرة عارضة لا ثبات لها ولا تستحق الفرح بل ينبغي ان يغمك
مدح المادح وتكرهه وتغضب به كما كان يفعل ذلك السلف لان افة المدح على الممدوح
عظيمة كما ذكرنا في كتاب افة اللسان قال بعض السلف من فرح بمدح فقد امكن الشيطان من ان يدخل
في بطنه وقال بعضهم اذا قيل لك نعم الرجل انت فكان احب اليك من ان يقال بئس الرجل انت فانت والله

بئس الرجل وروي في بعض الأخبار فإن صح فهو قاصم للظهور أن رجلا أثنى على رجل خيرا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم لو كان صاحبك حاضرا فرضي الذي قلت فمات على ذلك دخل النار
وقال صلى الله عليه وسلم مرة للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما أفلح إلى يوم القيمة وقال
لهم ألا لا تمادحوا وإذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب فلهذا كان الصحابة رضي الله عنهم
على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب من السرور به حتى أن بعض الخلفاء الراشدين رضي الله
عنهم سأل رجلا عن شيء فقال أنت يا أمير المؤمنين خير مني وأعلم فغضب وقال إني لم آمرك أن تزكيني
وقيل لبعض الصحابة رضي الله عنهم لن يزال الناس بخير ما أبقاك الله فغضب وقال إني لأحسبك
عراقيا وقال بعضهم لما مدح قال اللهم إن عبدك هذا تقرب إلي بمقتك فأشهدك على مقته وإنما كرهوا
المدح خيفة أن يفرحوا بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق تعالى فكان اشتغال قلوبهم بحالهم
عند الله تعالى يبغض إليهم مدح الخلق لأن الممدوح هو المقرب إلى الله تعالى والمذموم على الحقيقة هو
المبعد من الله تعالى الملقى في النار مع الأشرار فهذا الممدوح إن كان عند الله تعالى من أهل النار فما أعظم
جهله إذا فرح بمدح غيره وإن كان من أهل الجنة فلا ينبغي أن يفرح إلا بفضل الله تعالى وثنائه عليه إذ ليس
أمره بيد الخلق ومهما علم أن الآجال والأرزاق بيد الله تعالى قل التفاته إلى مدح الخلق وذمهم وسقط
من قلبه حب المدح واشتغل بما يهمه من أمر دينه **بيان علاج كراهية** الذم قد سبق أن
العلة في كراهية الذم هو ضد العلة في حب المدح فعلاجه أيضا منه والقول الوجيز فيه أن من ذمك
لا يخلو من ثلاثة أحوال إما أن يكون قد صدق فيما قال وقصد النصح والشفقة وإما
أن يكون صادقا ولكن قصده الإيذاء والتعنت أو يكون كاذبا فإن كان صادقا فلا ينبغي أن تذمه
وتغضب عليه وتحقد بسببه بل ينبغي أن تتقلد منته فإن من أهدى إليك عيوبك فقد أرشدك إلى
المهالك حتى تتقيها فينبغي أن تفرح به وتشتغل بإزالة الصفة المذمومة عن نفسك إن قدرت عليه
فأما اغتمامك بسببه وكراهتك له وذمك إياه فغاية الجهل وإن كان قصده التعنت فأنت قد
انتفعت بقوله إذ أرشدك إلى عيبك إن كنت جاهلا أو ذكرك عيبك إن كنت غافلا عنه أو قبحه
في عينك لينبعث حرصك على إزالته إن كنت قد استحسنته وكل ذلك أسباب سعادتك وقد استفدته
منه فاشتغل بطلب السعادة فقد أتيح لك أسبابها بسبب ما سمعته من المذمة فمهما قصدت
الدخول على ملك وثوبك ملوث بالعذرة وأنت لا تدري ولو دخلت عليه كذلك لخفت أن يحز رقبتك
لتلويثك مجلسه بالعذرة فقال لك قائل أيها الملوث بالعذرة طهر نفسك فينبغي أن تفرح به لأن
تنبيهك بقوله غنيمة وجميع مساوي الأخلاق مهلكة في الآخرة والإنسان إنما يعرفها من قول أعدائه
فينبغي أن تغتنمه **وأما** قصد العدو التعنت فجناية منه على دين نفسه وهي نعمة منه عليك

فلم تغضب عليه بفعل انتفعت أنت به وتضرر هو به **والحالة** الثانية أن يفتري عليك بما أنت بريء
منه عند الله تعالى فينبغي أن لا تكره ذلك ولا تشتغل بذمه بل تتفكر في ثلاثة أمور أحدها أنك إن خلوت
من ذلك العيب فلا تخلو عن أمثاله وأخواته وما ستره الله تعالى من عيوبك أكثر فاشكر الله تعالى عليه إذ لم
يطلعه على عيوبك ودفعه عنك بذكر ما أنت بريء منه والثاني أن ذلك كفارة لبقية
مساويك وذنوبك فكأنه رماك بعيب أنت بريء منه عند الله تعالى وطهرك من ذنوب أنت ملوث
بها وكل من اغتابك فقد أهدى إليك حسناته وكل من مدحك فقد قطع ظهرك فما بالك تفرح بقطع
الظهر وتحزن لهدايا الحسنات التي تقربك إلى الله عز وجل وأنت تزعم أنك تحب القرب
إلى الله تعالى **وأما** الثالث فهو أن المسكين جنى على دينه حتى سقط من عين الله تعالى وأهلك
نفسه بافترائه وتعرض لعقابه الأليم فلا ينبغي أن تغضب عليه مع غضب الله تعالى عليه فتشمت
الشيطان به وتقول اللهم أهلكه بل ينبغي أن تقول اللهم أصلحه اللهم تب عليه اللهم ارحمه
كما قال صلى الله عليه وسلم إذ قال اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون لما أن ضربوه ودعا إبراهيم بن أدهم لمن شج
رأسه بالمغفرة وقال إني أعلم أني مأجور بسببه فلا أرضى أن يكون هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهية
الذم قطع الطمع فإن من استغنيت عنه مهما ذمك لم يعظم أثر ذلك في قلبك وأصل الدين القناعة وبها ينقطع
الطمع عن الجاه وما دام الطمع قائما كان حب المدح والجاه في قلب من طمعت فيه غالبا وكانت همتك إلى
تحصيل المنزلة في قلبه مصروفة ولا تنال ذلك إلا بهدم الدين فلا ينبغي أن يطمع طالب المال والجاه ومحب
المدح ومبغض الذم في سلامة دينه فإن ذلك بعيد جدا **بيان أحوال الناس** في الذم والمدح
اعلم أن للناس أربعة أحوال بالإضافة إلى الذام والمادح الحالة الأولى أن يفرح بالمدح ويشكر
المادح ويغضب من الذم ويحقد على الذام ويكافيه أو يحب مكافاته وهذا أكثر الخلق وهو غاية
درجات المعصية في هذا الباب الثانية أن يمتعض في الباطن على الذام ولكن يمسك لسانه وجوارحه
عن مكافاته ويفرح في باطنه ويرتاح للمادح ولكن يحفظ ظاهره عن إظهار السرور وهذا من النقصان
إلا أنه بالإضافة إلى ما قبله كمال **الحالة الثالثة** وهو أول درجات الكمال أن يستوي ذامه ومادحه
فلا تغمه المذمة ولا تسره المدحة وهذا قد يظنه بعض العباد بنفسه ويكون مغرورا إن
لم يمتحن نفسه بعلاماته وعلامته أن لا يجد في نفسه استثقالا للذام ولا أن يكون انقطاع الذام عن
مجلسه أهون عليه من انقطاع المادح ولا يكون نشوز المادح المطري له أشد نكاية في قلبه من
نشوز الذام وأن لا يكون غمه بمصيبة المادح وما يناله من أعدائه أكثر مما يكون بمصيبة الذام وأن لا يكون
زلة المادح أخف على قلبه وفي عينه من زلة الذام فمهما خف الذام على قلبه كما خف المادح واستويا من
كل وجه فقد نال هذه الرتبة وما أبعد ذلك وما أشده على القلوب وأكثر العباد فرحهم بمدح

الناس مستبطن في قلوبهم وهم لا يشعرون حيث لا يمتحنون انفسهم بهذه العلامات وربما يشعر العابد بميل قلبه الى المادح دون الذام والشيطان يحسن له ذلك ويقول له الذام قد عصى الله بمذمتك والمادح قد اطاع الله تعالى بمدحك فكيف تسوي بينهما وانما استثقالك للذام من الدين المحض وهو محض التلبيس فان العابد لو تفكر علم ان في الناس من ارتكب من كبائر المعاصي اكثر مما ارتكبه الذام في مذمته ثم انه لا يستثقلهم ولا ينفر عنهم ويعلم ان الذي مدحه لا يخلو عن مذمة غيره ولا يجد في نفسه نفرة عنه بمذمة غيره كما يجد بمذمة نفسه والمذمة من حيث انها معصية لا تختلف بان يكون هو المذموم او غيره فاذا العابد المغرور لنفسه يغضب ولهواه يمتعض ثم الشيطان يخيل اليه انه من الدين حتى يعتقد على الله تعالى بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله تعالى ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فاكثر عباداته تعب ضائع يفوت عليه الدنيا ويخسر في الآخرة وفيهم قال تعالى قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الى قوله انهم يحسنون صنعا الحالة الرابعة وهي الصدق في العبادة ان يكره المدح ويمقت المادح اذ يعلم انه فتنة عليه قاصمة للظهر مضرة له في الدين ويحب الذام اذ يعلم انه مهد اليه عيبه ومرشد له الى مهمه ومهد اليه حسناته وقد قال صلى الله عليه وسلم راس التواضع ان تكره ان تذكر بالبر والتقوى وقد روي في بعض الاخبار ما هو قاصم لظهور امثالنا ان صح اذ روي انه صلى الله عليه وسلم قال ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب الصوف الا من فقيل يا رسول الله الا من فقال الا من تنزهت نفسه عن الدنيا وبغض المدحة واستحب المذمة وهذا شديد جدا وغاية امثالنا الطمع في الجاه الحالة الثانية وهو ان يضمر الفرح والكراهة على الذام والمادح ولا يظهر بالقول والعمل فاما الحالة الثالثة وهي التسوية بين المادح والذام فلسنا نطمع فيها ثم ان طلبنا انفسنا بعلامات الحالة الثالثة ما وفت بها فانها لا بد ان تسارع الى اكرام المادح وقضاء حاجاته وتتثاقل عن اكرام الذام والثناء عليه وقضاء حاجاته ولا تقدر ان تسوي بينهما في الفعل الظاهر كما لا تقدر عليه في سريرة القلب ومن قدر على التسوية بين الذام والمادح في ظاهر الفعل فهو جدير بان يتخذ قدوة في هذا الزمان ان وجد فانه الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى فكيف بما بعده من الرتبتين وكل واحدة من هذه الرتب ايضا فيها درجات اما الدرجات في المدح فهو ان من الناس من يتمنى المدحة والثناء وانتشار الصيت فيتوصل الى نيلها بكل ممكن حتى يرائي بالعبادات ولا يبالي بمقارفة المحظورات لاستمالة قلوب الناس واستنطاق السنتهم بالمدح وهذا من الهالكين ومنهم من يريد ذلك ويطلبه بالمباحات ولا يطلبه بالعبادات ولا يباشر المحظورات وهذا على شفا جرف هار فان حدود الكلام الذي تستمال به القلوب وحدود الاعمال لا يمكنه ان يضبطها فيوشك ان يقع في نيل ما لا يحل لنيل الحمد فهو قريب من الهالكين جدا

ومنهم من لا يريد المدحة ولا يسعى لطلبها ولكن اذا مدح سبق السرور الى قلبه فان لم يقابل ذلك بالمجاهدة ولم يتكلف الكراهة فهو قريب من ان يجره فرط السرور الى الرتبة التي قبله وان جاهد نفسه في ذلك وكلف قلبه الكراهة وبغض السرور بالتفكر في آفات المدح فهو في خطر المجاهدة فتارة يكون اليد له وتارة تكون عليه ومنهم من اذا سمع المدح لم يسر به ولم يغتم ولكن لم يؤثر فيه وهذا على خير وان كان قد بقي عليه بقية من الاخلاص ومنهم من يكره المدح اذا سمعه ولكن لا ينتهي به الى ان يغضب على المادح وينكر عليه واقصى درجاته ان يكره ويغضب وهو صادق فيه لا ان يظهر الغضب وقلبه محب له فان ذلك عين النفاق لانه يريد ان يظهر من قلبه الاخلاص والصدق وهو مفلس منه وكذلك بالضد من هذا تتفاوت في حق الذام واول درجاته اظهار الغضب وآخره اظهار الفرح ولا يكون الفرح واظهاره الا ممن في قلبه حنق وحقد على نفسه لتمردها عليه ولكثرة عيوبها ومواعيدها الكاذبة وتلبيساتها الخبيثة فيبغضها بغض العدو والانسان يفرح بمن يذم عدوه وهذا شخص عدوه نفسه فيفرح اذا سمع ذمها ويشكر الذام عليها ويعتقد فطنته وذكاءه لما وقف على عيوبها فيكون ذلك كالتشفي له من نفسه ويكون غنيمة عنده اذ صار بالمذمة اوضع في عيون الناس حتى لا يبتلى بفتنة الجاه واذا سيقت اليه حسنات لم ينصب فيها فعساه يكون جبر العيوب التي هو عاجز عن اماطتها ولو جاهد المريد نفسه طول عمره في هذه الخصلة الواحدة وهو ان يستوي ذامه ومادحه لكان له شغل شاغل فيه لا يتفرغ معه لغيره وبينه وبين السعادة عقبات كثيرة هذه احدى تلك العقبات ولا ينقطع شيء منها الا بالمجاهدة الشديدة في العمر الطويل

الشطر الثاني من الكتاب في طلب الجاه والمنزلة بالعبادات وهو الرياء وفيه بيان ذم الرياء وبيان حقيقة الرياء وما يراءى به وبيان درجات الرياء وبيان الرياء الخفي وبيان ما يحبط العمل من الرياء وما لا يحبط وبيان دواء الرياء وعلاجه وبيان الرخصة في اظهار الطاعات وبيان الرخصة في كتمان الذنوب وبيان ترك الطاعات خوفا من الرياء والآفات وبيان ما يصلح من نشاط العبد للعبادة بسبب رؤية الخلق وبيان ما يجب على المريد ان يلزمه قلبه قبل الطاعة وبعدها وهي عشرة فصول

بيان ذم الرياء اعلم ان الرياء حرام والمرائي عند الله عز وجل ممقوت وقد شهدت لذلك الآيات والاخبار والآثار اما الآيات فقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات الآية قال مجاهد هم اهل الرياء وقال تعالى انما نطعمكم لوجه الله الآية فمدح المخلصين بنفي كل ارادة سوى وجه الله تعالى والرياء ضده وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه الآية انزلت فيمن يطلب الآخرة والحمد بعباداته واعماله **واما الاخبار** فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم حين سأله رجل

فقال يا رسول الله فيم النجاه فقال ان لا يعمل العبد بطاعه الله يريد به الناس وروى ابو هريره في حديث
الثلثه المقتول في سبيل الله والمتصدق بماله والقارى لكتابه كما اوردناه في كتاب الاخلاص وان الله عز وجل
يقول لكل واحد منهم كذبت بل اردت ان يقال فلان قارى فاخبر صلى الله عليه وسلم انهم
يثابوا وان رياهم هو الذي احبط اعمالهم وقال ابن عمر قال النبي صلى الله عليه وسلم من ايا را ايا الله به ومن
سمع سمع الله به وفي حديث اخر طويل ان الله تعالى يقول للملايكه ان هذا لم يردني
بعمله فاجعلوه في سجين قال صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك
الاصغر يا رسول الله قال الريا يقول الله عز وجل اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراوون
في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزا وقال صلى الله عليه وسلم استعيذوا بالله من جب
الحزن قيل وما هو يا رسول الله قال واد في جهنم اعد للقرا المرايين وقال صلى الله عليه وسلم من عمل عملا اشرك
فيه غيري فهو له كله وانا منه بري وانا اغنى الاغنيا عن الشرك وقال عيسى عليه السلام اذا كان
يوم صوم احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه لئلا يرى الناس انه صايم واذا اعطى بيمينه
فليخفه عن شماله واذا صلى فليرخ ستر بابه فان الله يقسم الثنا كما يقسم الارزاق وقال النبي صلى
الله عليه وسلم لا يقبل الله عملا فيه مقدار ذره من ريا وقال [illegible] لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما وراه يبكي
ما يبكيك قال حديث سمعته من صاحب هذا القبر يعني النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان ادنى الريا شرك
وقال صلى الله عليه وسلم اخوف ما اخاف عليكم الريا والشهوه الخفيه وهي ايضا ترجع الى
خفايا الريا ودقايقه وقال صلى الله عليه وسلم ان في ظل العرش يوم لا ظل الا ظله رجلا تصدق بيمينه فكاد
ان يخفيها عن شماله ولذلك ورد ان فضل عمل السر على عمل الجهر سبعون ضعفا وقال
النبي صلى الله عليه وسلم ان المرائي ينادى يوم القيمه يا فاجر يا غادر يا مرائي ضل عملك وحبط اجرك اذهب
فخذ اجرك ممن كنت تعمل له وقال شداد بن اوس رايت النبي صلى الله عليه وسلم يبكي فقلت ما يبكيك
قال اني تخوفت على امتي الشرك اما انهم لا يعبدون صنما ولا شمسا ولا قمرا ولا حجرا ولكنهم يراوون
باعمالهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خلق الله الارض مادت باهلها فخلق الجبال فضربها اوتادا
الارض فقالت الملايكه ما خلق الله خلقا هو اشد من الجبال فخلق الله الحديد فقطع الجبل ثم خلق
النار فاذابت الحديد ثم امر الله الما فاطفا النار وامر الريح فركدت الما فاختلفت الملايكه فقالت
نسال الله تعالى فقالت يا رب ما اشد ما خلقت من خلقك قال الله تعالى لم اخلق شيا هو اشد من ابن
ادم حين يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله فهذا اشد خلق خلقته وروى عبد الله بن المبارك
باسناده عن رجل انه قال لمعاذ بن جبل حدثني حديثا سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فبكى معاذ حتى ظننت انه لا يسكت ثم قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال يا معاذ قلت له لبيك

بابي انت وامي قال اني احدثك حديثا ان انت حفظته نفعك وان انت ضيعته ولم تحفظه انقطعت
حجتك عند الله تعالى يوم القيمه يا معاذ ان الله تعالى خلق سبعه املاك قبل ان يخلق السموات
والارض ثم خلق السموات والارض فجعل لكل سما من السبعه ملكا بوابا عليها قد جللها عظما فتصعد
الحفظه بعمل العبد من حين اصبح الى حين امسى له نور كنور الشمس حتى اذا طلعت به الى السما الدنيا زكته
وكثرته فيقول الملك للحفظه اضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انا صاحب الغيبه امرني
ربي ان لا ادع عمل من اغتاب الناس يجاوزني الى غيري قال ثم تاتي الحفظه بعمل صالح من اعمال
العبد فتمر فتزكيه وتكثره حتى تبلغ به الى السما الثانيه فيقول لهم الملك الموكل بالسما الثانيه قفوا
واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه اراد بعمله هذا عرض الدنيا امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري
انه كان يفتخر على الناس في مجالسهم قال وتصعد الحفظه بعمل العبد يبتهج نورا من صدقه
وصيام وصلوه قد اعجب الحفظه فيجاوزون الى الثالثه فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل
وجه صاحبه انا ملك الكبر امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني انه كان يتكبر على الناس في مجالسهم قال وتصعد
الحفظه بعمل العبد يزهر كما يزهر الكوكب الدري له دوي من تسبيح وصلوه وحج وعمره حتى يجاوزوا به
الى السما الرابعه فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل ظهره وبطنه انا صاحب
العجب امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري انه كان اذا عمل عملا ادخل فيه العجب قال وتصعد الحفظه
بعمل العبد حتى يجاوزوه الى السما الخامسه كانه العروس المزفوفه الى اهلها فيقول لهم الملك
الموكل قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه واحملوه على عاتقه انا ملك الحسد انه كان يحسد الناس من يتعلم
ويعمل بمثل عمله وكل من كان ياخذ فضلا من العباده يحسدهم ويقع فيهم امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى
غيري قال وتصعد الحفظه بعمل العبد من صلوه وزكوه وحج وعمره وصيام فيجاوزون الى السما السادسه فيقول
لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه انه كان لا يرحم انسانا قط من عباد الله اصابه بلا او
ضر بل كان يشمت به انا ملك الرحمه امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري قال وتصعد الحفظه بعمل العبد الى السما
السابعه من صوم وصلوه واجتهاد وورع له دوي كدوي الرعد وضو كضو الشمس معها ثلثه الاف ملك
فيجاوزون بها الى السما السابعه [illegible] فيقول لهم الملك الموكل بها قفوا واضربوا بهذا العمل وجه صاحبه
اضربوا به جوارحه اقفلوا على قلبه اني احجب عن ربي كل عمل لم يرد به وجه ربي انه اراد بعمله غير الله انه اراد
به رفعه عند الفقها وذكرا عند العلما وصيتا في المداين امرني ربي ان لا ادع عمله يجاوزني الى غيري وكل عمل لم
يكن لله خالصا فهو ريا ولا يقبل الله عمل المرائي قال وتصعد الحفظه بعمل العبد من صلوه وزكاه
وصيام وحج وعمره وخلق حسن وصمت وذكر الله تعالى وتشيعها ملايكه السموات حتى يقطعون الحجب كلها
الى الله تعالى فيقفون بين يديه ويشهدون له بالعمل الصالح المخلص لله تعالى فيقول الله لهم انتم الحفظه

على عمل عبدي وانا الرقيب على نفسه انه لم يردني بهذا العمل واراد به غيري فعليه لعنتي فتقول الملائكة كلها
عليه لعنتك ولعنتنا وتقول السموات كلها عليه لعنة الله ولعنتنا وتلعنه السموات السبع
ومن فيهن قال معاذ قلت يا رسول الله انت رسول الله وانا معاذ قال اقتد بي وان كان في عملك تقصير يا معاذ
حافظ على لسانك من الوقيعة في اخوانك من حملة القران واحمل ذنوبك عليك ولا تحملها عليهم ولا تزك نفسك
بذمهم ولا ترفع نفسك عليهم ولا تدخل عمل الدنيا على عمل الاخرة ولا تتكبر في مجلسك لكي يحذر الناس من
سوء خلقك ولا تناج رجلا وعندك اخر ولا تتعظم على الناس فينقطع عنك خير الدنيا ولا تمزق الناس
فتمزقك كلاب النار يوم القيمة في النار قال الله تعالى والناشطات نشطا تدري ما هن يا معاذ
قلت ما هي بابي انت وامي قال كلاب في النار تنشط اللحم والعظم قلت بابي انت وامي من يطيق هذه الخصال ومن ينجو
منها قال يا معاذ انه ليسير على من يسره الله عليه قال فما رايت اكثر تلاوة للقران من معاذ للحذر مما في هذا
الحديث **واما الاثار** فيروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه راى رجلا يطاطي رقبته فقال يا صاحب الرقبة
ارفع رقبتك ليس الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب وراى ابو امامة رجلا في المسجد يبكي
في سجوده فقال انت انت لو كان هذا في بيتك وقال علي رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل اذا كان وحده
وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص اذا ذم وقال رجل لعبادة بن
الصامت رضي الله عنه اقاتل بسيفي في سبيل الله اريد وجه الله ومحمدة الناس قال لا شي لك فسأله ثلث
مرات كل ذلك يقول لا شي لك ثم قال في الثالثة ان الله تعالى يقول انا اغنى الشركا عن الشرك الحديث وسال رجل
سعيد بن المسيب فقال احدنا يصطنع المعروف يحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت قال لا قال فاذا
عملت لله تعالى عملا فاخلصه وقال الضحاك لا يقولن احدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقل هذا لله وللرحم فان
الله تعالى لا شريك له وضرب عمر رجلا بالدرة ثم قال له اقتص مني فقال لا بل ادعها لله ولك فقال
له عمر ما صنعت شيئا اما ان تدعها لي فاعرف ذلك او تدعها لله وحده فقال ودعتها لله وحده قال نعم اذا
وقال الحسن لقد صحبت اقواما ان كان احدهم لتعرض له الحكمة لو نطق بها لنفعته ونفعت اصحابه وما يمنعه
منها الا مخافة الشهرة وان كان احدهم ليمر فيرى الاذى على الطريق فما يمنعه ان ينحيه الا مخافة الشهرة
ويقال ان المرائي ينادى يوم القيمة باربعة اسامي يا مرائي يا غادر يا فاجر يا خاسر اذهب فخذ اجرك ممن عملت
له فلا اجر لك عندنا وقال الفضيل كانوا يراءون بما يفعلون وصاروا اليوم يراءون بما لا يفعلون وقال عكرمة
ان الله تعالى يعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية لا رياء فيها وقال الحسن المرائي يريد
ان يغلب قدر الله تعالى هو رجل سوء يريد ان يقول الناس هو صالح وكيف يقولون وقد حل من ربه محل
الاردياء فلا بد لقلوب المومنين ان تعرفه وقال قتادة اذا راءى العبد يقول الله عز وجل انظروا الى عبدي
يستهزئ بي وقال مالك بن دينار القراء ثلثة قراء الدنيا وقراء الملوك وقراء الرحمن وان محمد بن واسع من قراء الرحمن

وقال الفضيل من اراد ان ينظر الى مراء فلينظر الي وقال محمد بن المبارك الصوري اظهر السمت بالليل فانه اشرف
من سمتك بالنهار لان السمت بالنهار للمخلوقين وسمت الليل لرب العالمين وقال ابو سليمان التوقي على
العمل اشد من العمل وقال ابن المبارك ان كان الرجل ليطوف بالبيت وهو بخراسان فقيل كيف ذاك قال يحب ان
يذكر انه مجاور بمكة وقال ابرهيم بن ادهم ما صدق الله من اراد ان يشتهر **بيان**
حقيقة الرياء وما يراءى به اعلم ان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة مشتقة من السماع وانما الرياء
اصله طلب المنزلة في قلوب الناس بارائهم خصال الخير الا ان الجاه والمنزلة تطلب في القلب باعمال سوى
العبادات ان يطلب بالعبادات واسم الرياء مخصوص بحكم العادة بطلب المنزلة في القلوب بالعبادات واظهارها
فحد الرياء هو ارادة العباد بطاعة الله عز وجل فالمرائي هو العابد والمراءى هو الناس المطلوب رؤيتهم بطلب
المنزلة في قلوبهم والمراءى به هو الخصال التي قصد المرائي اظهارها والرياء هو قصده اظهار ذلك والمراءى به كثير
وتجمعه خمسة اقسام هي مجامع ما يتزين به العبد للناس وهو البدن والزي والقول والعمل والاتباع
والاشياء الخارجة وكذلك اهل الدنيا يراءون بهذه الاسباب الخمسة الا ان طلب الجاه وقصد الرياء باعمال ليست
من جملة الطاعات اهون من الرياء بالطاعات الاول الرياء بالدين من جهة البدن وذلك باظهار النحول والصفار
ليوهم بذلك شدة الاجتهاد وعظم الحزن على امر الدين وكذلك يرائي بتشعيث الشعر ليدل به على استغراق
الهم بالدين وعدم التفرغ لتسريح الشعر وهذه اسباب مهما ظهرت استدل الناس بها على هذه الامور
فارتاحت النفس لمعرفتهم بها فلذلك تدعو النفس الى اظهارها لنيل تلك الراحة ويقرب من هذا خفض
الصوت واغارة العينين وذبول الشفتين ليستدل بذلك على انه مواظب على الصوم وان وقار
الشرع هو الذي خفض من صوته او ضعف الجوع هو الذي اضعف قوته وعن هذا قال عيسى
عليه السلام اذا صام احدكم فليدهن راسه ويرجل لحيته ويكحل عينيه وكذلك روي عن ابي هريرة وذلك
كله لما يخاف عليه من نزغ الشيطان بالرياء ولذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه اصبحوا صياما مدهنين فهذه
مراآة اهل الدين بالبدن **واما** اهل الدنيا فيراءون باظهار السمن وصفا اللون واعتدال القامة وحسن القامة
ونظافة البدن وقوة الاعضاء وتناسبها **الثاني** الرياء بالزي والهيئة فتشعيث شعر الراس وحلق الشارب
واطراق الراس في المشي والهدو في الحركة وابقا اثر السجود على الوجه وغلظ الثياب ولبس الصوف وتشميرها
الى قريب من نصف الساق وقصر الاكمام وترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه
انه متبع للسنة فيه ومقتد فيه بعباد الله الصالحين ومنه لبس المرقع والصلوة على السجادة ولبس
الثياب الزرق تشبها بالصوفية مع الافلاس من حقائق التصوف في الباطن ومنه التقنع بالازار فوق
العمامة ليرى انه انتهى تقشفه الى الحذر من غبار الطريق ولتنصرف اليه الاعين بسبب تميزه
بتلك العلامة ومنه الدراعة والطيلسان يلبسه من هو خال من العلم ليوهم انه من اهل العلم والمراءون

بالزي على طبقات فمنهم من يطلب المنزلة عند اهل الصلاح باظهار الزهد فيلبس الثياب المخرقة الوسخة
القصيرة الغليظة ليرائي بغلظها ووسخها وقصرها وتخرقها ولو كلف ان يلبس ثوبا وسطا نظيفا مما كان
السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح وذلك لخوفه ان يقول الناس قد بدا له من الزهد ورجع عن تلك
الطريقة ورغب في الدنيا وطبقة اخرى يطلبون القبول عند اهل الصلاح وعند اهل الدنيا من الملوك
والتجار ولو لبسوا الثياب الفاخرة ازدراهم القرا ولو لبسوا الثياب البالية الخلقة ازدرتهم اعين
الملوك والاغنيا فهم يريدون الجمع بين قبول اهل الدين والدنيا فلذلك يطلبون الاصواف الدقيقة والاكسية
الرقيقة والمرقعات المصبوغة والفوط الرقيقة فيلبسونها ولعل قيمة ثوب احدهم قيمة ثوب الاغنيا ولونه
وهيئته لون ثياب الصلحا فيلتمسون القبول عند الفريقين وهولا لو كلفوا لبس ثوب
خشن او وسخ لكان عندهم كالذبح خوفا من السقوط من اعين الملوك والاغنيا ولو كلفوا لبس الدبيقي والكتان
الرقيق الابيض او القصب المعلم وان كان قيمته دون قيمة ثيابهم لعظم عليهم خوفا من ان يقول اهل الصلاح
قد رغب في زي اهل الدنيا وكل طبقة منهم راى منزلته في زي مخصوص فيثقل عليه الانتقال الى ما دونه
او ما فوقه وان كان مباحا خيفة من المذمة واما اهل الدنيا فمراياتهم بالثياب النفيسة والمراكب
الرفيعة وانواع التوسع والتجمل في الملبس والمسكن واثاث البيت وفراهة الخيول وبالثياب المصبغة
والطيالسة النفيسة وذلك ظاهر بين الناس فانهم يلبسون في بيوتهم الثياب الخشنة ويشتد عليهم لو
برزوا للناس في تلك الثياب ما لم يبالغوا في الزينة الثالث الرياء بالقول ورياء اهل الدين بالوعظ والتذكير
والنطق بالحكمة وحفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة اظهارا لغزارة العلم ودلالة على شدة
العناية باحوال السلف الصالحين وتحريك الشفتين بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب للمنكرات واظهار الاسف على مقارفة الناس المعاصي وتضعيف
الصوت في الكلام وترقيق الصوت بقراءة القران ليدل بذلك على الخوف والحزن وادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ
والرد على من يروي الحديث ببيان خلل في لفظه ليعرف انه بصير بالاحاديث والمبادرة الى ان الحديث صحيح
او غير صحيح لاظهار الفضل فيه والمجادلة على قصد افحام الخصم ليظهر للناس قوته في علم الدين والرياء
بالقول كثير وابوابه لا تنحصر واما اهل الدنيا فمراياتهم بالقول بحفظ الاشعار والامثال والتفاصح في
العبارات وحفظ النحو الغريب للاغراب على اهل الفضل واظهار التودد الى الناس لاستمالة القلوب الرابع
الرياء بالعمل كمراياة المصلي بطول القيام ومده وتطويل السجود والركوع واطراق الراس وترك الالتفات
واظهار السكون والهدو وتسوية القدمين واليدين وكذلك بالصوم والغزو والحج وبالصدقة واطعام
الطعام والاخبات في المشي عند اللقا كارخاء الجفون وتنكيس الراس والوقار في الكلام حتى ان المرائي
قد يسرع في المشي الى حاجته فاذا اطلع عليه واحد من اهل الدين يرجع الى الوقار واطراق الراس خوفا من

ينسبه الى العجلة وقلة الوقار فان غاب الرجل عاد الى عجلته فاذا رآه عاد الى خشوعه ولم يحضره ذكر الله
حتى يكون يجدد الخشوع له بل هو لاطلاع انسان عليه يخشى ان لا يعتقد فيه انه من العباد والصلحا
ومنهم من اذا سمع هذا استحيى من ان يخالف مشيته في الخلوة مشيته بمرأى من الناس فيكلف نفسه المشية
الحسنة في الخلوة حتى اذا رآه الناس لم يفتقر الى التغيير ويظن انه يتخلص به من الرياء وقد تضاعف رياؤه
فانه صار ايضا في خلوته مرائيا فانه انما يحسن في الخلوة مشيته ليكون كذلك في الملا لا لخوف من الله عز وجل
وحيا منه واما اهل الدنيا فمراياتهم بالتبختر والاختيال وتحريك اليدين وتقريب الخطا والاخذ
باطراف الذيل وادارة العطفين ليدلوا بذلك على الجاه والحشمة الخامس المراياة بالاصحاب
والزائرين والمخالطين كالذي يتكلف ان يستزير عالما من العلما ليقال ان فلانا قد زار فلانا او عابدا
من العباد ليقال ان اهل الدين يتبركون بزيارته ويترددون اليه او ملكا من الملوك او عاملا من عمال
السلطان ليقال انهم يتبركون به لعظم رتبته في الدين وكذلك الذي يكثر ذكر الشيوخ ليرى انه لقي
شيوخا كثيرة واستفاد منهم فيتباهى بشيوخه ومباهاته ومراياته تترشح عند مخاصمته فيقول
لغيره من لقيت من الشيوخ وانا قد لقيت فلانا وفلانا ودرت البلاد وخدمت الشيوخ وما يجري مجراه
فهذه مجامع ما يرائي به المراؤون وكلهم يطلبون به الجاه والمنزلة في قلوب العباد ومنهم من يقنع بحسن
الاعتقاد فيه فكم من راهب انزوى الى ديره سنين كثيرة وكم من عابد اعتزل الى قلة جبل مدة مديدة وانما خباته
حبه من حيث علمه بقيام جاهه في قلوب الخلق ولو عرف انهم نسبوه الى جريمة
في ديره او صومعته لتشوش قلبه ولم يقنع بعلم الله تعالى ببراءة ساحته بل يشتد لذلك غمه ويسعى
بكل حيلة في ازالة ذلك من قلوبهم مع انه قطع طمعه عن اموالهم ولكنه يحب مجرد الجاه فانه لذيذ
كما ذكرناه في اسبابه فانه نوع قدرة وكمال في الحال وان كان سريع الزوال لا يغتر به الا الجهال ولكن اكثر
الناس جهال ومن المرائين من لا يقنع بقيام منزلته بل يلتمس مع ذلك اطلاق اللسان بالثنا والحمد
ومنهم من يريد الاشتهار عند الملوك ليقبل شفاعته وتتنجز الحوائج على يديه ليقوم له جاه عند
العامة ومنهم من يريد انتشار الصيت في البلاد لتكثر الرحلة اليه ومنهم من يقصد التوصل بذلك الى جمع
حطام وكسب مال ولو من الاوقاف واموال اليتامى وغير ذلك من الحرام وهولا اشد
طبقات المرائين الذين يراءون بالاسباب التي ذكرناها فهذه حقيقة الرياء وما به يقع الرياء فان قلت
فالرياء حرام او مكروه او مباح او فيه تفصيل فاقول فيه تفصيل فان الرياء هو طلب الجاه وهو اما ان يكون
بالعبادات او بغير العبادات فان كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يحرم
من حيث انه طلب منزلة في قلوب العباد ولكن كما يمكن كسب المال بتلبيسات واسباب محظورات فكذلك
الجاه وكما ان كسب قليل من المال وهو ما يحتاج اليه محمود فكسب قليل من الجاه وهو ما يسلم به عن الافات

محمود وهو الذي طلبه يوسف عليه السلام حيث قال اني حفيظ عليم وكما ان المال فيه سم ناقع وترياق نافع فكذلك الجاه وكما ان كثير المال يلهي ويطغي وينسي ذكر الله تعالى والدار الآخرة فكذلك كثير الجاه بل هو اشد وفتنة الجاه اعظم من فتنة المال وكما انا لا نقول تملك المال الكثير حرام فلا نقول ايضا تملك القلوب الكثيرة حرام الا اذا حملته كثرة المال وكثرة الجاه على مباشرة ما لا يجوز نعم انصراف الهم الى سعة الجاه مبدا الشرور كانصراف الهم الى كثرة المال ولا يقدر محب الجاه والمال على ترك معاصي القلب واللسان وغيرها واما سعة الجاه من غير حرص منك على طلبه ومن غير اغتمام بزواله ان زال فلا ضرر فيه فلا جاه اوسع من جاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاه الخلفاء الراشدين ومن بعدهم من علماء الدين ولكن انصراف الهم الى طلب الجاه نقصان في الدين ولا يوصف بالتحريم فعلى هذا نقول تحسين الثوب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراءاة وليس بحرام لانه ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وقس على هذا كل تجمل للناس وتزين لهم والدليل عليه ما روي عن عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اراد ان يخرج على اصحابه فكان ينظر في حب الماء ويسوي عمامته وشعره قالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب من العبد ان يتزين لاخوانه اذا خرج عليهم نعم هذا كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة لانه كان مامورا بدعوة الخلق وترغيبهم في الاتباع واستمالة قلوبهم ولو سقط من اعينهم لم يرغبوا في اتباعه فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله لكي لا تزدريه اعينهم فان اعين عوام الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر فكان ذلك قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن لو قصد قاصد به ان يحسن نفسه في اعينهم حذرا من ذمهم ولومهم واسترواحا الى توقيرهم واحترامهم كان قد قصد امرا مباحا اذ للانسان ان يحذر من الم المذمة ويطلب راحة الانس بالاخوان ومهما استثقلوه واستقذروه لم يانسوا به فاذا المراءاة بما ليس من العبادات قد يكون مباحا وقد يكون طاعة وقد يكون مذموما وذلك بحسب الغرض المطلوب به ولذلك نقول الرجل اذا انفق ماله على جماعة من الاغنياء لا في معرض الصدقة والعبادة ولكن ليعتقد الناس انه سخي فهذا مراءاة وليس بحرام وكذلك امثاله اما العبادات كالصدقة والصلاة والغزو والحج فللمرائي فيه حالتان احداهما ان لا يكون له قصد الا الرياء المحض دون الاجر وهذا يبطل عبادته لان الاعمال بالنيات وهذا ليس بقصد العبادة ثم لا يقتصر على احباط عبادته حتى يقول صار كما كان قبل العبادة بل يعصي بذلك وياثم كما دلت عليه الاخبار والآيات والمعنى فيه امران احدهما يتعلق بالعباد وهو التلبيس والمكر لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع لله تعالى وانه من اهل الدين وليس كذلك والتلبيس من امر الدنيا حرام حتى لو قضى دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقدوا سخاوته اثم به لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالخداع والمكر **والثاني** يتعلق بالله عز وجل وهو انه مهما قصد بعبادة الله تعالى خلق الله فهو مستهزئ بالله تعالى ولذلك قال قتادة اذا راءى العبد قال الله تعالى انظروا الى عبدي كيف يستهزئ بي ومثاله

ان يمثل بين يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة الخدمة وانما وقوفه لملاحظة جارية من جواري الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد التقرب الى الملك بخدمته بل قصد بذلك عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد على ان يقصد العبد بطاعة الله عز وجل مراءاة عبد ضعيف لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا وهل ذلك الا لانه يظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله تعالى وانه اولى بالتقرب اليه من الله تعالى اذ آثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى فهذا من كبائر المهلكات ولهذا سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الشرك الاصغر نعم بعض درجات الرياء اشد من بعض كما سياتي في درجات الرياء ولا يخلو شيء منه عن اثم غليظ او خفيف بحسب ما به المراءاة ولو لم يكن في الرياء الا انه يركع ويسجد لغير الله تعالى لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب الى الله عز وجل فقد قصد غير الله تعالى لعمري لو عظم غير الله تعالى بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلبه الناس فاقتضت تلك العظمة ان يسجد ويركع فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه ومهما زال قصد تعظيم الله سبحانه بالسجود وبقي تعظيم الخلق كان ذلك قريبا من الشرك الا انه ان قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم لله تعالى فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك لا يقدم عليه الا الجاهل قد خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من نفعه وضره ورزقه واجله ومصالح حاله وماله اكثر مما يملكه الله تعالى فلذلك عدل بوجهه عن الله اليهم فاقبل بقلبه عليهم يستميل بذلك قلوبهم ولو وكله الله تعالى اليهم في الدنيا والآخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على صنيعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون ضرا ولا نفعا فكيف لغيرهم هذا في الدنيا فكيف في يوم لا تجزي والد عن ولده شيئا بل يقول الانبياء فيه نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل عن ثواب الآخرة ونيل القرب عند الله تعالى ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا ينبغي ان يشك في ان المرائي بطاعة الله تعالى في سخط الله عز وجل من حيث النقل والقياس جميعا هذا اذا لم يقصد الاجر فاما اذا قصد الاجر والحمد جميعا في صدقته وصلاته فهو الشرك الذي يناقض الاخلاص وقد ذكرنا حكمه في كتاب الاخلاص ويدل على ما نقلناه من الآثار من قول سعيد بن المسيب وعبادة بن الصامت انه لا اجر فيه اصلا

بيان درجات الرياء

اعلم ان بعض ابواب الرياء اشد واغلظ من بعض واختلافه باختلاف اركانه وتفاوت الدرجات فيه واركانه ثلاثة المراءى به والمراءى لاجله ونفس قصد الرياء **الركن الاول** نفس قصد الرياء وذلك لا يخلو اما ان يكون مجردا دون ارادة الله تعالى والثواب واما ان يكون مع ارادة الثواب فان كان كذلك فلا يخلو اما ان تكون ارادة الثواب اقوى واغلب او اضعف او متساوية لارادة العباد فتكون الدرجات اربعة الاولى وهي اعظمها

ان لا يكون مراده الثواب اصلا كالذي يصلي بين اظهر الناس ولو انفرد لكان لا يصلي بل ربما يصلي من غير
طهارة مع الناس فهذا جرد قصده الى الريا فهو الممقوت عند الله عز وجل وكذلك من يخرج الصدقة
خوفا من مذمة الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها فهذا في الدرجة العليا من الريا
الثانية ان يكون له قصد الثواب ايضا ولكن قصدا ضعيفا بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله
ولا يحمله ذلك القصد على العمل ولو لم يكن الثواب لكان قصد الريا يحمله على العمل فهذا قريب مما قبله وما فيه
من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمله على العمل لا ينفي عنه المقت والاثم الثالثة
ان يكون قصد الريا وقصد الثواب متساويين بحيث لو كان كل واحد خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل
فلما اجتمعا انبعثت الرغبة او كان كل واحد لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد افسد مثل ما
اصلح فرجوا ان يسلم راسا براس لا له ولا عليه او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب وظواهر
الاخبار تدل على انه لا يسلم وقد تكلمنا عليه في كتاب الاخلاص الرابعة ان يكون اطلاع
الناس مرجحا ومقويا لنشاطه ولو لم يكن لكان لا يترك العبادة ولو كان قصد الريا وحده لما اقدم
فالذي نظنه والعلم عند الله انه لا يحبط اصل الثواب ولكنه ينقص منه او يعاقب على مقدار قصد
الريا ويثاب على مقدار قصد الثواب واما قوله تعالى انا اغنى الشركاء عن الشرك فهو محمول على ما اذا
تساوى القصدان او كان قصد الريا ارجح الركن الثاني المرايا به وهو الطاعة وذلك ينقسم الى الريا
بالاصول وهي على ثلث درجات الاولى الريا باصل الايمان وهذا اغلظ ابواب الريا وصاحبه مخلد في
النار وهو الذي يظهر كلمتي الشهادة وباطنه مشحون بالتكذيب ولكنه يرائي بظاهر الاسلام وهو الذي
ذكره الله تعالى في كتابه في مواضع شتى كقوله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله الى
قوله لكاذبون اي في دلالتهم بقولهم على ضمائرهم وقال تعالى ومن الناس من يعجبك
قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه الاية وقال تعالى واذا لقوكم قالوا امنا الاية وقال تعالى
يراؤن الناس الاية والايات فيهم كثيرة وكان النفاق يكثر في ابتدا الاسلام ممن يدخل في ظاهر الاسلام
ابتدا لغرض وذلك مما يقل في زماننا ولكن يكثر نفاق من ينسل عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار
والدار الاخرة ميلا الى قول الملحدة او يعتقد طي بساط الاحكام ميلا الى اهل الاباحة او يعتقد كفرا
او بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين المرائين المخلدين في النار وليس وراء هذا الريا
ريا وحال هؤلاء اشد من حال الكفار المجاهرين لانهم جمعوا بين الكفر الباطن ونفاق الظاهر الثانية
الريا باصول العبادات مع التصديق باصل الدين وهذا ايضا عظيم عند الله عز وجل ولكنه دون الاول
بكثير ومثاله ان يكون مال الرجل في يد غيره فيامره باخراج الزكوة خوفا من ذمه والله تعالى يعلم انه لو كان في يده
لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو في جمع فيصلي معهم وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذلك

يصوم رمضان

يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق ليفطر وكذلك يحضر الجمعة ولولا خوف المذمة لكان لا يحضرها
او يصل رحمه او يبر والديه لا عن رغبة لكن خوفا من الناس او يغزو ويحج كذلك فهذا مراء معه
اصل الايمان بالله سبحانه يعتقد انه لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله تعالى او يسجد لغيره لم
يفعل ولكنه يترك العبادة للكسل وينشط عند اطلاع الناس فتكون منزلته عند الخلق احب اليه
من منزلته عند الخالق تعالى وخوفه من مذمة الناس اعظم من خوفه من عقاب الله تعالى ورغبته في
محمدتهم اشد من رغبته في ثواب الله تعالى وهذا غاية الجهل وما اجدر صاحبه
بالمقت من الله تعالى وان كان غير منسل عن اصل الايمان من حيث الاعتقاد الثالثة الا يرائي بالايمان
ولا بالفرائض ولكن يرائي بالنوافل ثم يبعثه الريا على فعله وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة
المريض واتباع الجنائز وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عرفة وعاشورا او يوم الاثنين
والخميس فقد يفعل المرائي جملة ذلك خوفا من المذمة او طلبا للمحمدة ويعلم الله تعالى منه انه لو خلا بنفسه
لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم ولكنه دون ما قبله فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق
وهذا ايضا قد فعل ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب الله
تعالى واما هذا فلم يفعل ذلك لانه لم يخف عقابا على ترك النافلة لو تركه وكانه على الشطر من الاول
وعقابه نصف عقابه فهذه هي الريا باصول العبادات القسم الثاني الريا باوصاف العبادات لا باصولها
وهي ايضا على ثلث درجات الاولى ان يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان يخفف
الركوع والسجود ولا يطول القراءة واذا راه الناس احسن الركوع والسجود وترك الالتفات وطول
القعود بين السجدتين وقد قال بن مسعود رضي الله عنه من فعل ذلك فهو استهانة
يستهين بها ربه عز وجل اي انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة فاذا اطلع عليه ادمي احسن
الصلوة ومن جلس بين يديه انسان متربعا او متكيا فدخل غلامه فاستوى واحسن الجلسة
كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة للسيد لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة
في الملا دون الخلوة وكذلك الذي يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية او من الحب الردي فاذا اطلع
عليه غيره اخرجه من الجيد خوفا من مذمته وكذلك الصائم يصون صومه عن الغيبة والرفث لا لاكمال
عبادة الصوم فهذا ايضا من الريا المحظور لان فيه تقديم المخلوق على الخالق ولكنه دون الريا باصول
التطوعات فان قال المرائي انما فعلت ذلك صيانة لالسنتهم عن الغيبة فانهم اذا راوا الركوع
والسجود وكثرة الالتفات اطلقوا اللسان بالذم والغيبة فانما قصدت صيانتهم عن هذه المعصية
فيقال له هذه مكيدة للشيطان وتلبيس وليس كذلك فان ضررك من نقصان صلاتك وهي خدمة
منك لمولاك اعظم من ضررك من غيبة غيرك فلو كان باعثك الدين لكان شفقتك على نفسك

اكثر وما اتسع هذا الا كمن يهدي وصيفة الى ملك لينال منه ولاية يقلدها فيهديها اليه وهي عوراء
قبيحة مقطوعة الاطراف ولا يبالي به اذا كان الملك وحده واذا كان عنده بعض غلمانه امتنع خوفا
من مذمة غلامه وهذا محال بل من يراعي جانب غلام الملك ينبغي ان تكون مراقبته للملك اعظم نعم للمرائي فيه غلمانه
حالتان احداهما ان يطلب بذلك المنزلة والمحمدة عند الناس وذلك حرام قطعا **والثانية** ان يقول
ليس يحضرني الاخلاص في تحسين الركوع والسجود ولو خففت كانت صلاتي عند الله ناقصة واذاني
الناس بذمهم وغيبتهم فاستفيد بتحسين الهيئة دفع مذمتهم ولا ارجو عليه ثوابا فهو خير
من ان اترك تحسين الصلوة فيفوت الثواب وتحصل المذمة منه فهذا فيه ادنى نظر والصحيح ان الواجب اذني
عليه ان يحسن ويخلص فان لم تحضره نية فينبغي ان يستمر على عادته في الخلوة فليس له ان
يدفع الذم بالمراءاة بطاعة الله عز وجل فان ذلك استهزا كما سبق **الدرجة** الثانية ان يرائي بما
لا نقصان في تركه ولكن فعله في حكم التكملة والتتمة لعبادته كالتطويل في الركوع والسجود ومد
القيام وتحسين الهيئة في رفع اليدين والمبادرة الى التكبير الاول وتحسين الاعتدال والزيادة في
القراءة على السورة المعتادة وكذلك كثرة الخلوة في الصوم في رمضان وطول الصمت وكاختيار الاجود
على الجيد في الزكوة واعتاق الرقبة الرفيعة في الكفارة وكل ذلك فيما لو خلي بنفسه لكان لا يقدم عليه
الثالثة ان يرائي بزيادة خارجة عن نفس النوافل ايضا كحضور الجماعة قبل القوم وقصده الصف الاول القوم
وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه وكل ذلك مما يعلم الله انه لو خلي بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى
يحرم بالصلوة فهذه درجات الريا بالاضافة الى ما يرائي به وبعضه اشد من بعض والكل مذموم **الركن**
الثالث المرائى لاجله فان للمرائي مقصودا لا محالة فانما يرائي لادراك مال او جاه او غرض من الاغراض مال
لا محالة وله ايضا ثلث درجات الدرجة الاولى وهي اشدها واعظمها ان يكون مقصوده التمكن
من معصية كالذي يرائي بعبادته ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل والامتناع عن اكل الشبهات
وغرضه ان يعرف بالامانة فيولى القضا والاوقاف والوصايا او مال الايتام فياخذها او يسلم اليه تفرقة
الزكوات والصدقات ليستاثر بما يقدر عليه منها او يودع الودائع فياخذها ويجحدها
او يسلم اليه الاموال التي ينفق في طريق الحج فيختزل بعضها او كلها او يتوصل بها الى استتباع الحجيج فياخذ
ويتوصل بقوتهم الى مقاصده الفاسدة في المعاصي وقد يظهر بعضهم زي التصوف وهيئة الخشوع وكلام
الحكمة على سبيل الوعظ والتذكير وانما قصده التحبب الى امراة او غلام لاجل الفجور وقد يحضرون
العلم والتذكير وحلق القرآن يظهرون الرغبة في سماع العلم والقرآن وغرضهم ملاحظة النسوان والصبيان
او يخرج الى الحج ومقصوده الظفر بمن في الرفقة من غلام او امراة وهؤلاء ابغض المرائين الى الله عز وجل
لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصيته واتخذوها آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ويقرب من هؤلاء

وان كان دونهم من هو مقترف بجريمة اتهم بها وهو مصر عليها ويريد ان ينفي التهمة عن نفسه فيظهر التقوى
لنفي التهمة كالذي جحد وديعة واتهمه الناس بها فيتصدق بالمال ليقال انه يتصدق واتهمه
بمال نفسه فكيف يستحل مال غيره وكذلك من ينسب الى فجور بامراة او غلام فيدفع التهمة عن نفسه بالخشوع
واظهار التقوى **الرتبة** الثانية ان يكون غرضه نيل حظ مباح من حظوظ الدنيا من مال او نكاح امراة جميلة
او شريفة كالذي يظهر الحزن والبكا ويشتغل بالوعظ والتذكير لتبذل له الاموال ويرغب في نكاحه النسا
فيقصد اما امراة بعينها لينكحها او امراة شريفة على الجملة وكالذي يرغب في ان يتزوج بنت عالم عابد
فيظهر له العلم والعبادة ليرغب في تزويجه ابنته فهذا ريا محظور لانه طلب متاع الدنيا بطاعة الله تعالى
ولكنه دون الاولى فان المطلوب بهذا مباح في نفسه **الرتبة** الثالثة ان لا يقصد نيل حظ وادراك مال او
نكاح ولكن يظهر عبادته خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ولا يعد من الخاصة والزهاد ويعتقد
انه من جملة العامة وكالذي يمشي فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كي لا يقال انه من كالذي
اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار وكذلك ان سبق الى الضحك او بدر منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه
بعين الاحتقار فيتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعدا واظهار الحزن ويقول
ما اعظم غفلة الادمي عن نفسه والله تعالى يعلم منه انه لو كان في خلوة لما كان يثقل عليه ذلك وانما يخاف
ان ينظر اليه بعين التوقير وكالذي يرى جماعة يصلون التراويح او يتهجدون او يصومون الاثنين
والخميس او يتصدقون فيوافقهم خيفة ان ينسب الى الكسل ويلحق بالعوام ولو خلا بنفسه لكان لا
يفعل شيئا منه وكالذي يعطش في يوم عرفة او عاشورا او في الاشهر الحرم فلا يشرب خوفا من ان يعلم
الناس انه غير صايم فاذا ظنوا به الصوم امتنع من الاكل لاجله او يدعى الى طعام فيمتنع ليظن انه صايم وقد
لا يصرح باني صايم ولكن يقول لي عذر وقد جمع بين خبيثين لانه يرى انه صايم
ثم يرى انه مخلص ليس بمراء وانه يحترز من ان يذكر عبادته للناس فيكون مرائيا فيريد ان يقال
انه مستتر بعبادته ثم ان اضطر الى شرب لم يصبر عن ان يذكر لنفسه فيه عذرا تصريحا او تعريضا بان يتعلل ساتر
بمرض يقتضي فرط العطش ويمنع من الصوم او يقول افطرت تطييبا لقلب فلان ثم قد لا يذكر ذلك متصلا
بشربه كي لا يظن انه يعتذر رياء ولكنه يصبر ثم يذكر عذره في معرض حكاية مثل ان يقول ان فلانا
محب للاخوان شديد الرغبة في ان ياكل الانسان من طعامه وقد الح علي اليوم ولم اجد بدا من تطييب
قلبه ومثل ان يقول ان امي ضعيفة القلب مشفقة علي تظن اني لو صمت يوما مرضت فلا تدعني ان اصوم
فهذا وما يجري مجراه من آفات الريا فلا يسبق الى اللسان الا لرسوخ عرق الريا في الباطن اما المخلص فانه
لا يبالي كيف نظر الخلق اليه فان لم يكن له رغبة في الصوم وقد علم الله تعالى ذلك منه فلا يريد ان يعتقد
غيره بخلاف ما يعلم الله تعالى فيكون ملبسا وان كان له رغبة في الصوم لله تعالى قنع بعلم الله تعالى

ولم يشرك فيه غيره وقد يخطر له ان في اظهاره اقتداء غيره به وتحريك رغبة الناس فيه وفيه مكيدة
وغرور وسياتي شرح ذلك وشروطه فهذه درجات الربا ومراتب اصناف المرايين وجميعهم
تحت مقت الله تعالى وغضبه وهي من اشد المهلكات وان من شدته ان فيه شوايب هي اخفى من دبيب
النملة كما ورد به الخبر تزل فيه فحول العلما فضلا عن العباد الجهلة بافات النفوس وغوايل القلوب
اعاذنا الله منه **بيان الربا الخفي الذي** هو اخفى من دبيب النملة اعلم ان الربا جلي وخفي فالجلي
هو الذي يبعث على العمل ويحمل عليه لو لا قصد الثواب وهو اجلاه واخفى منه قليلا ما لا يحمل على العمل
بمجرده الا انه يخفف العمل الذي اريد به وجه الله تعالى كالذي يعتاد التهجد كل ليلة ويثقل عليه فاذا
دخل عليه الضيفان نشط له وخف عليه وعلم انه لو لا انه رجا الثواب لكان لا يصلي بمجرد ربا الضيفان
واخفى من ذلك ما لا يوثر في العمل ولا في التسهيل والتخفيف ايضا لكنه مع ذلك مستبطن في القلب
ومهما لم يوثر في الدعا الى العمل لم يمكن ان يعرف الا بالعلامات واجل علاماته ان يسر بالاطلاع على طاعته
فرب عبد يخلص في عمله ولا يعتقد الربا بل يكرهه ويرده ويتم العمل على ذلك ولكن اذا اطلع عليه الناس
سره ذلك وارتاح له وروح ذلك على قلبه شدة العبادة وهذا السرور يدل على ربا خفي منه يرشح السرور
ولو لا التفات القلب الى الناس لما ظهر سروره عند اطلاع الناس فلقد كان الربا مستكنا في القلب استكنان
النار في الحجر فاظهر منه اطلاع الخلق اثر الفرح والسرور ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك
بكراهية فيصير ذلك قوتا وغذا للعرق الخفي من الربا حتى يتحرك على نفسه حركة خفية فيتقاضاها
تقاضيا خفيا ان يتكلف سببا يطلع عليه بالتعريض والقا الكلام عرضا وان كان لا يدعو الى التصريح
وقد يخفى فلا يدعو الى الاظهار بالنطق تعريضا وتصريحا ولكن بالشمايل كاظهار النحول والصفار
وخفض الصوت ويبس الشفتين وجفوف الريق واثار الدموع وغلبة النعاس الدال على طول
التهجد واخفى من ذلك ان يختفي بحيث لا يريد الاطلاع ولا يسر بظهور طاعته ولكنه مع ذلك اذا راى
الناس احب ان يبدوه بالسلام وان يقابلوه بالبشاشة والتوقير وان يثنوا عليه وان ينشطوا في قضا
حوايجه وان يسامحوه في البيع والشرا وان يوسعوا له في المجالس فان قصر فيه مقصر ثقل على قلبه
ووجد لذلك استبعادا في نفسه كان نفسه تتقاضى الاكرام على الطاعة التي اخفاها مع انه لم يطلع
عليه ولو لم يكن قد سبق منه تلك الطاعة لما كان يستبعد تقصير الناس في حقه ومهما لم يكن وجود
العبادة كعدمها في كل ما يتعلق بالخلق لم يكن قد قنع بعلم الله تعالى وحده ولم يكن خاليا عن
شوب خفي من الربا اخفى من دبيب النمل وكل ذلك يوشك ان يحبط الاجر ولم يسلم منه الا الصديقون
وقد روي عن علي رضي الله عنه انه قال ان الله عز وجل يقول للقرا يوم القيمة الم يكن يرخص
لكم السعر الم تكونوا تبتدون بالسلام الم تكن تقضى لكم الحوايج وفي الحديث لا اجر لكم قد

استوفيتم اجوركم وقال عبد الله بن المبارك روي عن وهب انه قال ان رجلا من السياح قال لاصحابه
انا انما فارقنا الاموال والاولاد مخافة الطغيان فنخاف ان يكون قد دخل علينا في امرنا
هذا من الطغيان اكثر مما دخل على اهل الاموال في اموالهم ان احدنا اذا لقي احب ان يعظم لمكان دينه وان
سال حاجة احب ان يقضى له لمكان دينه وان اشترى شيئا احب ان يرخص عليه لمكان دينه فبلغ
ذلك ملكهم فركب في موكبه من الناس فاذا السهل والجبل قد امتلا بالناس فقال
السايح ما هذا قيل هو الملك قد اظلك فقال للغلام ايتني بطعام فاتاه ببقل وزيت وقلوب الشجر فجعل
يحشو شدقيه وياكل اكلا عنيفا فقال الملك اين صاحبكم قالوا هذا قال كيف انت قال كالناس وفي
حديث اخر بخير فقال الملك ما عند هذا من خير فانصرف عنه فقال السايح الحمد لله الذي
صرفك عني وانت لي ذام فلم يزل المخلصون خايفين من الربا الخفي يجتهدون لذلك في مخادعة الناس
عن اعمالهم الصالحة يحرصون على اخفايها اعظم مما يحرصون على اخفا فواحشهم كل ذلك رجا ان يخلص
عملهم فيجازيهم الله عز وجل في القيمة باخلاصهم على ملا من الخلق اذ علموا ان الله عز وجل لا يقبل في القيمة
الا الخالص وعلموا شدة حاجتهم وفاقتهم في القيمة وانه لا ينفع فيه مال ولا بنون ولا يجزي والد عن ولده
ويشتغل الصديقون بانفسهم فيقول كل واحد نفسي نفسي فضلا عن غيرهم وكانوا كزوار بيت الله
عز وجل اذا توجهوا الى مكة فانهم يستصحبون مع انفسهم الذهب المغربي الخالص لعلمهم ان ارباب البوادي
لا يروج عندهم الزايف والحاجة تشتد في البادية ولا وطن يفزع اليه ولا حميم يتمسك به فلا ينجي الا
الخالص من النقد فهكذا يشاهد ارباب القلوب يوم القيمة والزاد الذي يتزود له من التقوى فاذا
شوايب الربا الخفي كثيرة لا تنحصر ومهما ادرك النفس تفرقة بين ان يطلع على عبادته انسان او بهيمة
ففيه شعبة من الربا فانه لما قطع طمعه من البهايم لم يبال حضرت البهايم او الصبيان الرضع او غابوا
اطلعوا على حركته او لم يطلعوا فلو كان مخلصا قانعا بعلم الله تعالى لاستحقر عقلاء العباد كما استحقر
صبيانهم ومجانينهم وعلم ان العقلا لا يقدرون له على رزق واجل وزيادة ثواب ونقصان عقاب
كما لا يقدر عليه البهايم والصبيان والمجانين فاذا لم يجد ذلك ففيه شوب خفي وليس كل شوب محبطا
للاجر ومفسدا للعمل بل فيه تفصيل فان قلت فما نرى احدا ينفك عن السرور اذا
عرفت طاعته فالسرور مذموم كله او بعضه محمود فنقول اولا كل سرور فليس بمذموم بل السرور
ينقسم الى محمود والى مذموم فاما المحمود فاربعة الاول ان يكون قصده اخفا الطاعة والاخلاص لله تعالى
ولكن لما اطلع عليه الخلق علم ان الله تعالى اطلعهم واظهر الجميل من احواله فيستدل به على حسن صنع
الله عز وجل به ونظره له والطافه به فانه يستر الطاعة والمعصية ثم الله تعالى يستر عليه المعصية
ويظهر الطاعة ولا لطف اعظم من ستر القبيح واظهار الجميل فيكون فرحه بجميل نظر الله تعالى له لا

بحمد الناس وقيام المنزلة في قلوبهم وقد قال الله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
فكأنه ظهر له أنه عند الله عز وجل مقبول ففرح به **الثاني** أن يستدل بإظهار الله عز وجل الجميل
وستره القبيح عليه في الدنيا أنه كذلك يفعله في الآخرة إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ما ستر الله على عبد في الدنيا إلا ستر الله عليه في الآخرة فيكون الأول فرح بالقبول في الحال من غير ملاحظة
المستقبل وهذا التفات إلى المستقبل الثالث أن يظن رغبة المطلعين على الاقتداء به في الطاعة
فيتضاعف بذلك أجره فيكون له أجر العلانية بما أظهر آخرا وأجر السر بما قصده أولا
إذ من اقتدى به في طاعة فله أجر أعمال المقتدين من غير أن ينقص من أجورهم شيء وتوقع ذلك جدير
بأن يكون سبب السرور فإن مخايل الربح لذيذة وموجبة للسرور لا محالة **الرابع** أن يحمده المطلعون
على طاعته فيفرح بطاعتهم لله عز وجل في مدحهم وبحبهم للمطيع وبميل قلوبهم إلى الطاعة إذ من أهل
الإيمان من يرى أهل الطاعة فيمقته ويحسده أو يذمه ويهزأ به وينسبه إلى الرياء ولا يحمده عليه فهذا
فرح بحسن إيمان عباد الله تعالى وعلامة الإخلاص في هذا النوع أن يكون فرحه بحمدهم غيره
مثل فرحه بحمدهم له وأما المذموم فهو الخامس وهو أن يكون فرحه لقيام منزلته في قلوب الناس حتى
يمدحونه ويعظمونه ويقومون بقضاء حوائجه ويقابلونه بالإكرام في مصادره وموارده فهذا مكروه
بيان ما يحبط العمل وما لا يحبط من الرياء الخفي والجلي فنقول إذا عقد العبادة على
الإخلاص ثم ورد وارد الرياء فلا يخلو إما أن يكون ورد عليه بعد الفراغ من العمل أو قبل الفراغ فإن ورد
بعد الفراغ سرور مجرد بالظهور من غير إظهار فهذا لا يحبط العمل إذ العمل قد تم على نعت الإخلاص
سالما عن الرياء فما يطرأ بعده فنرجو أن لا ينعطف عليه أثره لا سيما إذا لم يتكلف هو إظهاره والتحدث
به ولم يتمن ذكره وإظهاره ولكن اتفق ظهوره بإظهار الله عز وجل ولم يكن منه إلا ما دخل من السرور
والارتياح على قلبه نعم لو تم العمل على الإخلاص من غير عقد رياء ولكن ظهرت له بعده رغبة في الإظهار
فتحدث به وأظهره فهذا مخوف وفي الآثار والأخبار ما يدل على أنه محبط فقد روي عن ابن مسعود أنه
سمع رجلا يقول قرأت البارحة البقرة فقال ذلك حظه منها وروي عن رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال لرجل قال له صمت الدهر يا رسول الله فقال له ما صمت ولا أفطرت فقال بعضهم إنما قال ذلك
لأنه أظهر وقيل هو إشارة إلى كراهية صوم الدهر وكيفما كان فيحتمل أن يكون ذلك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابن مسعود رضي الله عنه استدلالا على أن قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء
وقصده له لما أن ظهر منه التحدث به إذ يبعد أن يكون ما يطرأ بعد العمل مبطلا لثواب العمل بل الأقيس
أن يقال إنه مثاب على عمله الذي مضى ومعاقب على مراءاته بطاعة الله عز وجل بعد الفراغ منها بخلاف ما لو
تغير عقده إلى الرياء قبل الفراغ من الصلوة فإن ذلك قد يبطل الصلوة ويحبط العمل وأما إذا ورد وارد

الرياء قبل الفراغ من الصلوة مثلا وكان قد عقد على الإخلاص ولكن ورد في أثنائها وارد الرياء فلا يخلو
إما أن يكون مجرد سرور لا يؤثر في العمل وإما أن يكون رياء باعثا على العمل فإن كان باعثا
على العمل وختم العبادة به حبط أجره ومثاله أن يكون في تطوع فتجددت نظارة أو حضر ملك
من الملوك وهو يشتهي أن ينظر إليه أو يذكر شيئا نسيه من ماله وهو يريد أن يطلبه ولولا الناس
لقطع الصلوة فاستتمها خوفا من مذمة الناس فقد حبط أجره وعليه الإعادة إن كان في فريضة وقد
قال صلى الله عليه وسلم العمل كالوعاء إذا طاب آخره طاب أوله أي النظر إلى خاتمته وروي أن من راءى بعمله ساعة
حبط عمله الذي كان قبله وهو منزل على الصلوة في هذه الصورة لا على الصدقة ولا على القراءة لأن كل جزء
منه منفرد فما يطرأ يفسد الباقي دون الماضي والصوم والحج من قبيل الصلوة وأما إذا كان وارد
الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام من أجل الثواب كما لو حضر جماعة في أثناء
صلوته ففرح بحضورهم وعقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لأجل نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها
أيضا فهذا رياء قد أثر في العمل وانتهض باعثا على الحركات فإن كان غلب حتى انمحق معه الإحساس بقصد
العبادة والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا أيضا ينبغي أن يفسد العبادة مهما مضى ركن
من أركانها على هذا الوجه لأنا نكتفي بالنية السابقة عند الإحرام بشرط أن لا يطرأ ما يغلبها ويغمرها
ويحتمل أن يقال لا يفسد العبادة نظرا إلى حالة العقد وإلى بقاء أصل قصد الثواب وإن ضعف بهجوم
قصد هو أغلب منه ولقد ذهب الحارث المحاسبي رحمه الله إلى الإحباط في أمر هو أهون منه وقال إذا لم
يرد إلا مجرد السرور باطلاع الناس يعني سرورا هو كحب المنزلة والجاه قال قد
اختلف الناس في هذا فصارت فرقة إلى أنه محبط لأنه قد نقض العزم الأول وركن إلى حمد المخلوقين
ولم يختم عمله بالإخلاص وإنما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا أقطع عليه بالحبط وإن لم يتزيد في العمل
ولا آمن عليه وقد كنت أقف لاختلاف الناس وأما الآن فالأغلب على قلبي أنه يحبط إذا ختم عمله بالرياء
ثم قال فإن قيل قد قال الحسن رحمه الله إنهما سورتان فإذا كانت الأولى لله لم تضره
الثانية وقد روي أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا رسول الله أسر العمل لا أحب أن يطلع
عليه فيطلع عليه فيسرني فقال لك أجران أجر السر وأجر العلانية ثم تكلم على الأثر والخبر فقال أما
الحسن فأراد بقوله لا يضره أي لا يدع العمل ولا يضره الخطرة وهو يريد الله تعالى ولم يقل إذا عقد
الرياء بعد عقد الإخلاص لم يضره وأما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله إلى ثلاثة أوجه أحدها
أنه يحتمل أنه أراد ظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث أنه قبل الفراغ **والثاني** أنه أراد أن
يسر به لاقتداء الناس به أو لسرور آخر محمود مما ذكرناه من قبل لا سرورا بسبب حب الحمد والمنزلة
بدليل أنه جعل له به أجرا ولا ذاهب من الأمة إلى أن للسرور بالحمد أجرا وغايته أن يعفى عنه وكيف

يكون للمخلص أجر وللمرائي أجران وأما **الثالث** أن قال من روى الحديث يرويه غير متصل إلى أبي هريرة
بل يوقفه أكثرهم على أبي صالح ومنهم من يرفعه والحكم بالعمومات الواردة في الرياء أولى بهذا
ما ذكره ولم يقطع به بل أظهر ميلاً إلى الإحباط والأقيس عندنا أن هذا القدر إذا لم يظهر أثره في العمل وبقي
العمل صادراً عن باعث الدين وإنما انضاف إليه سرور بالاطلاع فلا يفسد العمل لأنه لم ينعدم به أصل نيته وبقيت
تلك النية باعثة على العمل وحاملة على الإتمام وأما الخبر الذي ورد في الرياء فهو محمول على ما إذا لم يرد به
إلا الخلق وأما ما ورد في الشركة فهو محمول على ما إذا كان قصد الرياء مساوياً لقصد الثواب
أو أغلب منه أما إذا كان ضعيفاً بالإضافة إليه فلا يحبط بالكلية ثواب الصدقة وسائر الأعمال ولا ينبغي أن
تفسد الصلوة ولا يبعد أيضاً أن يقال إن الذي وجب عليه صلوة خالصة لوجه الله تعالى
والخالص ما لا يشوبه شيء فلا يكون مؤدياً للواجب مع هذا الشوب والعلم عند الله عز وجل فيه وقد ذكرنا
في كتاب الإخلاص كلاماً أوفى مما أوردناه الآن فليرجع إليه فهذا حكم الرياء الطارئ بعد عقد العبادة إما قبل
الفراغ أو بعد الفراغ **القسم الثالث** الذي يقارن حال العقد بأن يبتدئ الصلوة على قصد الرياء فإن تم
عليه حتى يسلم فلا خلاف في أنه يقضي ولا يعتد بصلوته وإن ندم عليه في أثناء ذلك واستغفر ورجع قبل
التمام ففيما يلزمه ثلثة أوجه قالت فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستأنف لأن التحريم عقد والرياء
خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقداً وقالت فرقة لا يلزمه إعادة شيء بل يستغفر الله تعالى بقلبه
ويتم العبادة على الإخلاص والنظر إلى خاتمة العبادة كما لو ابتداه بالإخلاص وختم بالرياء لكان يفسد
عمله وشبهوا ذلك بثوب أبيض لطخ بنجاسة عارضة فإذا أزيل العارض رجع إلى الأصل فقالوا إن الصلوة
والركوع والسجود لا يكون إلا لله تعالى ولو سجد لغير الله عز وجل لكان كافراً ولكن اقترن به عارض
الرياء ثم زال بالندم والتوبة وصار إلى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم فتصح صلاته ومذهب الفريقين الآخرين
خارج عن قياس الفقه جداً خصوصاً من قال يلزمه إعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لأن الركوع
والسجود إن لم يصح صارت أفعالاً زائدة في الصلوة فتبطل الصلوة وكذلك قول من قال لو ختم بالإخلاص صح
نظراً إلى الآخر أيضاً ضعيف لأن الرياء يقدح في النية وأولى الأوقات بمراعاة أحكام النية حالة الافتتاح
فالذي يستقيم على قياس الفقه هو أن يقال إن كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد
دون طلب الثواب وامتثال الأمر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده وذلك فيمن إذا خلا بنفسه
لم يصل ولما رأى الناس تحرم بالصلوة وكان بحيث لو كان ثوبه نجساً أيضاً كان يصلي لأجل الناس
فهذه صلوة لا نية فيها إذ النية عبارة عن إجابة باعث الدين وهاهنا لا باعث ولا إجابة فأما إذا
كان بحيث لولا الناس أيضاً لكان يصلي إلا أنه ظهرت له الرغبة في المحمدة أيضاً فاجتمع الباعثان فهذا
إما أن يكون في صدقة وقراءة وما ليس فيه تحريم وتحليل أو في عقد صلوة وحج فإن كان في صدقة

فقد عصى بإجابة باعث الرياء وأطاع في إجابة باعث الثواب ومن يعمل مثقال ذرة خيراً يره الآية فله
ثواب بقدر قصده الصحيح وعقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط أحدهما الآخر وإن كان في صلوة تقبل
الفساد بتطرق خلل إلى النية فلا يخلو إما أن يكون نفلاً أو فرضاً فإن كان نفلاً فحكمه أيضاً حكم الصدقة
فقد عصى من وجه وأطاع من وجه إذ اجتمع في قلبه الباعثان ولا يمكن أن يقال صلوته
فاسدة والاقتداء به باطل حتى إن من يصلي التراويح من قرائه وتبين له أن قصد الرياء بإظهار حسن القراءة
ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء به فإن المصير إلى هذا بعيد
جداً بل يظن بالمسلم أنه يقصد الثواب أيضاً بتطوعه فتصح باعتبار ذلك القصد صلوته ويصح الاقتداء به
وإن اقترن به قصد آخر هو به عاص فأما إذا كان في فرض واجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل
وإنما يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لأن الإيجاب لم ينتهض باعثاً في حقه
بمجرده واستقلاله وإن كان كل باعث مستقلاً حتى لو لم يكن باعث الرياء لأدى الفرض ولو لم يكن باعث
الفرض لأنشأ صلوة تطوعاً لأجل الرياء فهذا في محل النظر وهو محتمل جداً فيحتمل أن يقال إن الواجب
صلوة خالصة لوجه الله عز وجل ولم يؤد الواجب الخالص ويحتمل أن يقال الواجب امتثال
الأمر بباعث مستقل بنفسه وقد وجد فاقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار
مغصوبة فإنه وإن كان عاصياً بإيقاع الصلوة في الدار المغصوبة فإنه مطيع بأصل الصلوة ومسقط
للفرض عن نفسه وتعارض الاحتمال في تعارض البواعث في أصل الصلوة أما إذا كان الرياء في المبادرة
مثلاً دون أصل الصلوة مثل من بادر الصلوة في أول الوقت لحضور جماعة ولو خلا لأخر إلى وسط
الوقت ولولا الفرض لكان لا يبتدئ صلوة لأجل الرياء فهذا مما يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض
لأن باعث أصل الصلوة من حيث إنها صلوة لم يعارضها غيره بل من حيث تعيين الوقت فهذا أبعد عن
القدح في النية هذا في رياء يكون باعثاً على العمل وحاملاً عليه وأما مجرد السرور باطلاع الناس إذا لم يبلغ
أثره إلى حيث يؤثر في العمل فبعيد أن يفسد الصلوة فهذا ما نراه لائقاً بقانون الفقه والمسألة غامضة
من حيث إن الفقهاء لم يتعرضوا لها في الفقه والذين خاضوا فيها وتعرضوا لها لم يلاحظوا قوانين الفقه ومقتضى
فتاوى الفقهاء من صحة الصلوة وفسادها بل حملهم الحرص على تصفية القلوب وطلب الإخلاص على إفساد
العبادات بأدنى الخواطر وما ذكرناه هو الأقصد فيما نراه والله أعلم **بيان دواء**
الرياء وطريق معالجة القلب فيه قد عرفت مما سبق أن الرياء محبط للأعمال وسبب للمقت عند الله
عز وجل وأنه من كبائر المهلكات وما هذا وصفه فجدير بالتشمير عن ساق الجد في إزالته ولو بالمجاهدة
وتحمل المشاق إذ لا شفاء إلا في شرب الأدوية المرة البشعة وهذه مجاهدة يضطر إليها العباد كلهم إذ
الصبي يخلق ضعيف العقل والتمييز ممتد العين إلى الخلق كثير الطمع فيهم فيرى الناس يتصنع بعضهم لبعض

فيغلب عليه حب التصنع بالضرورة ويترشح ذلك في نفسه وانما يشعر بكون ذلك مهلكا بعد كمال
عقله وقد انغرس الريا في قلبه وترسخ فيه فلا يقدر على قمعه الا بمجاهدة شديدة ومكابدة لقوة
الشهوات فلا ينفك عن الحاجة الى هذه المجاهدة ولكنها تشق اولا وتخف اخرا وفي علاجه مقامان احدهما
قلع عروقه واصوله التي منها انشعابه والثاني دفع ما يخطر منه في الحال المقام الاول في قلع
عروقه واستيصال اصوله واصله حب المنزلة والجاه واذا فصل رجع الى ثلثة اصول وهو لذة الحمد والفرار
من الم المذمة والطمع لما في ايدي الناس ويشهد للريا بهذه الاسباب وانها الباعثة للمرائي ما روي عن ابي
موسى ان اعرابيا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية
ومعناه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور مغلوب وقال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو لذة طلب الجاه
والقدر في القلوب والرجل يقاتل للذكر وهذا هو الحمد باللسان فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتكون كلمة
الله هي العليا فهو في سبيل الله وقال ابن مسعود اذا التقى الصفان نزلت الملائكة فكتبوا الناس على نياتهم فلان
يقاتل للذكر وفلان يقاتل للملك والقتال للملك اشارة الى الطمع في الدنيا وقال عمر رضي الله عنه يقولون
فلان شهيد ولعله ان يكون قد ملا دفتي راحلته ورقا وقال صلى الله عليه وسلم من غزا لا يبتغي الا
عقالا فله ما نوى فهذه اشارة الى الطمع وقد لا يشتهي الحمد ولا يطمع فيه ولكنه يحذر من الم الذم كالبخيل
بين الاسخيا وهم يتصدقون بالمال الكثير فانه يتصدق بالقليل كي لا يبخل وهو ليس يطمع في الحمد
وقد سبقه غيره وكالجبان بين الشجعان لا يفر من الزحف خوفا من الذم وهو ليس يطمع في الحمد وقد
تقحم غيره على صف القتال ولكن اذا ايس من الحمد كره الذم وكالرجل بين القوم يصلون جميع الليل فيصلي
ركعات معدودة كي لا يذم بالكسل وهو لا يطمع في الحمد وقد يقدر الانسان على الصبر عن لذة الحمد ولا
يقدر على الصبر على الذم ولذلك قد يترك السوال عن علم هو محتاج اليه خيفة من ان يذم بالجهل ويفتي
بغير علم ويدعي العلم بالحديث وهو به جاهل كل ذلك حذرا من الذم فهذه الامور الثلثة هي التي تحرك
المرائي الى الريا وعلاجها ما ذكرناه في الشطر الاول من الكتاب على الجملة ولكنا نذكر الان ما يخص
الريا وليس يخفى ان الانسان انما يقصد الشي ويرغب فيه لظنه انه خير له ونافع ولذيذ اما في الحال واما
في المال فان علم انه لذيذ في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة عنه كمن يعلم ان العسل
لذيذ ولكن اذا بان له ان فيه سما اعرض عنه فكذلك طريق قطع هذه الرغبة ان يعلم ما فيها من المضرة
ومهما عرف العبد الريا وما يفوته من صلاح قلبه وما يحرم عليه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة
عند الله تعالى وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر
رؤس العباد في الاخرة يا غادر يا مرائي اما استحييت اذ اشتريت بطاعة الله عز وجل عرض الدنيا
وراقبت قلوب الخلق واستهزيت بطاعة الله وتحببت الى العباد بالتبغض الى الله عز وجل وتزينت

لهم بالشين عند الله عز وجل وتقربت اليهم بالبعد من الله تعالى وتحمدت اليهم بالتذمم عند الله تعالى
وطلبت رضاهم بالتعرض لسخط الله اما كان احد اهون عليك من الله فمهما تفكر العبد في هذا الخزي
وقابل ما يحصل له من العباد والتزين لهم في الدنيا بما يفوته في الاخرة وبما يحبط عليه من ثواب الاعمال
مع ان العمل الواحد ربما يترجح به ميزان حسناته لو خلص فاذا افسده بالريا حول الى كفة السيئات
فيترجح به ويهوي الى النار فلو لم يكن في الريا الا احباط عبادة واحدة لكان ذلك كافيا في معرفة ضرره وان كان
مع ذلك سائر حسناته راجحة فقد كان ينال بهذه الحسنة علو الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيين
والصديقين وقد حط عنهم بسبب الريا ورد الى صف النعال من مراتب الاوليا هذا مع ما يتعرض له في الدنيا
من تشتيت الهم بسبب ملاحظة قلوب الخلق فان رضا الخلق غاية لا تدرك
فكل ما يرضى به فريق يسخطه فريق ورضا بعضهم في سخط بعض ومن طلب رضاهم في سخط الله تعالى سخط
الله عليه واسخطهم ايضا عليه ثم اي غرض له في مدحهم وايثار ذم الله تعالى لاجل حمدهم ولا يزيده
حمدهم رزقا ولا اجلا ولا ينفعه يوم فقره وفاقته وهو يوم القيمة واما الطمع لما في ايديهم فبان يعلم ان الله
تعالى هو المسخر للقلوب بالمنع والاعطا وان الخلق مضطرون فيه ولا رازق الا الله عز وجل ومن طمع في
الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل الى المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله تعالى
برجا كاذب ووهم فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا تفي لذته بالم منته ومذلته واما
ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيده ذمهم شيا ما لم يكتبه الله عليه ولا يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا
يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة ولا يبغضه الى الله تعالى ان كان محمودا عند الله ولا يزيده مقتا
ان كان عند الله ممقوتا فالعباد كلهم عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا
نشورا فاذا قرر في قلبه افة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل على الله بقلبه فان العاقل
لا يرغب فيما يكثر ضرره ويقل نفعه ويكفيه ان الناس لو علموا ما في باطنه من قصد الريا واظهار الاخلاص
لمقتوه وسيكشف الله عن سره حتى يبغضه الى الناس ويعرفهم انه مراء ممقوت عند الله عز وجل
ولو اخلص لله تعالى لكشف لهم اخلاصه وحببه اليهم وسخرهم له واطلق السنتهم بحمده والثنا عليه
مع انه لا كمال له في حمدهم ولا نقصان في ذمهم كما قال الشاعر من بني تميم ان مدحي زين
وان ذمي شين فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذلك الله عز وجل لا اله الا هو اذ لا زين الا في حمد الله ولا
شين الا في ذمه فاي خير لك في مدح الناس وانت عند الله مذموم ومن اهل النار واي شر لك في ذم
الناس وانت عند الله تعالى محمود في زمرة المقربين فمن احضر في قلبه الاخرة ونعيمها المقيم
والمنازل الرفيعة عند الله استحقر ما يتعلق بالخلق ايام الحيوة مع ما فيه من الكدورات والمنغصات
واجتمع همه وانصرف قلبه الى الله عز وجل وتخلص من مذمة الريا ومقاساة قلوب الخلق وينعطف

من اخلاصه انوار على قلبه ينشرح به صدره وينفتح له من لطايف المكاشفات ما يزيد به انسه بالله عز وجل ووحشته من الخلق واستحقاره للدنيا واستعظامه للاخره وسقط محل الخلق من قلبه وانحل عنه داعيه الريا وتذلل له منهج الاخلاص فهذا وما قدمناه في الشطر الاول هي الادله العلميه القالعه مغارس الريا **واما** الدوا العملي فهو ان يعود نفسه اخفا العبادات واغلاق الابواب دونها كما يغلق الابواب دون الفواحش حتى يقنع قلبه بعلم الله عز وجل واطلاعه على عباداته ولا تنازعه النفس الى طلب علم غير الله عز وجل به وقد روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا واهلها فقال اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد هذا فلم يرخص في اظهار هذا القدر لان في ضمن ذم الدنيا دعوى الزهد فيها فلا دوا للريا مثل الاخفا وذلك يشق في بدايه المجاهده واذا صبر عليه مده بالتكلف سقط عنه ثقله وهان ذلك عليه بتواصل الطاف الله تعالى وما يمد به عباده من حسن التوفيق والتاييد ولكن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم فمن العبد المجاهده ومن الله تعالى الهدايه ومن العبد قرع الباب ومن الله فتح الباب والله لا يضيع اجر المحسنين وان تك حسنه يضاعفها ويوت من لدنه اجرا عظيما

المقام الثاني في دفع العارض منه في اثنا العباده وذلك لا بد من ان يتعلم ايضا فان من جاهد نفسه وقلع مغارس الريا من قلبه بالقناعه وقطع الطمع واسقاط نفسه من اعين المخلوقين واستحقار مدح المخلوقين وذمهم فالشيطان لا يتركه في اثنا العباده بل يعارضه بخطرات الريا ولا ينقطع عنه نزغاته وهوى النفس وميلها لا ينمحي بالكليه فلا بد ان يتشمر لدفع ما يخطر من خاطر الريا وخواطر الريا ثلثه قد تخطر دفعه على كالخاطر الواحد وقد تترادف على التدريج فالاول العلم باطلاع الخلق ورجا اطلاعهم ثم يتلوه هيجان الرغبه من النفس في حمدهم وحصول المنزله عندهم ثم يتلوه قبول النفس له والركون اليه وعقد الضمير على تحقيقه فالاول معرفه والثاني حاله تسمى الشهوه والرغبه والثالث فعل يسمى العزم وتصميم العقد وانما كمال القوه في دفع الخاطر الاول ورده قبل ان يتلوه الثاني فاذا خطر له معرفه اطلاع الخلق او رجا اطلاعهم دفع ذلك بان قال ما لك وللخلق علموا او لم يعلموا اذ الله تعالى عالم بحالك فاي فايده في علم غيره فان هاجت الرغبه الى لذه الحمد تذكر ما رسخ في قلبه من قبل من افات الريا وتعرضه للمقت عند الله تعالى في القيمه وخيبته في احوج اوقاته الى اعماله فان معرفه اطلاع الناس تثير شهوه ورغبه في الريا ومعرفه افه الريا تثير كراهه له تقابل تلك الشهوه اذ يتفكر في تعرضه لمقت الله عز وجل وعقابه الاليم والشهوه تدعوه الى القبول والكراهه تدعوه الى الابا والنفس تطاوع لا محاله اقواهما واغلبهما فاذا لا بد في رد الريا من ثلثه امور المعرفه والكراهه والابا وقد يشرع العبد في العباده على عزم الاخلاص ثم يرد خاطر الريا فيقبله ولا تحضره المعرفه ولا الكراهه التي كان الضمير منطويا عليها حين لا يبقى في القلب متسع لغيره فتعزب عن القلب

المعرفه السابقه بافات الريا وشوم عاقبته اذ لم يبق موضع في القلب خال عن شهوه الحمد او خوف الذم وهو كالذي يحدث نفسه بالحلم وذم الغضب ويعزم على الحلم عند جريان سبب الغضب ثم تجري من الاسباب ما تستدعي غضبه فينسى سابق عزمه ويمتلي قلبه غيظا يمنع من تذكر افه الغضب ويشغل عنه فكذلك حلاوه الشهوه تملا القلب وتدفع نور المعرفه مثل مراره الغضب واليه اشار جابر بقوله بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجره على ان لا نفر ولم نبايعه على الموت فانسيناها يوم حنين حتى نودي يا اصحاب الشجره فرجعوا وذلك لان القلوب امتلات بالخوف فنسيت العهد السابق حتى ذكروا واكثر الشهوات التي تهجم فجاه هكذا يكون اذ ينسى معرفه مضرتها الداخله في عقد الايمان ومهما نسي المعرفه لم تظهر الكراهه فان الكراهه ثمره المعرفه وقد يتذكر فيعلم ان الذي خطر له هو خاطر الريا الذي يعرضه لسخط الله تعالى ولكنه يستمر عليه لشده شهوته فيغلب عليه هواه عقله ولا يقدر على ترك لذه الحال ويسوف بالتوبه او يتشاغل عن التفكر في ذلك لشده الشهوه فكم من عالم يحضره كلام لا يدعوه الى فعله الا ريا الخلق وهو يعلم ذلك ولكنه يستمر عليه فتكون الحجه عليه اوكد اذ قبل داعي الريا مع علمه بغايلته وكونه مذموما عند الله تعالى ولا تنفعه معرفته اذا خلت المعرفه عن الكراهه وقد تحضر المعرفه والكراهه ولكن مع ذلك يقبل داعي الريا ويعمل به لكون الكراهه ضعيفه بالاضافه الى قوه الشهوه وهذا ايضا لا ينتفع بكراهته اذ الغرض ان تصرف عن الفعل فاذا لا فايده الا في اجتماع الثلثه وهي المعرفه وقوه المعرفه بحسب قوه الايمان ونور العلم وضعف المعرفه بحسب الغفله وحب الدنيا ونسيان الاخره وقله التفكر فيما عند الله وقله التامل في افات الحيوه الدنيا وعظيم نعيم الاخره وبعض ذلك ينتج بعضا ويثمره واصل ذلك كله حب الدنيا وغلبه الشهوات فهو راس كل خطيه ومنبع كل ذنب لان حلاوه حب الجاه والمنزله ونعيم الدنيا هي التي تغضب القلب وتسلبه وتحول بينه وبين التفكر في الاخره والاستناره بنور الكتاب والسنه وانوار العلم فان قلت فمن صادف من نفسه كراهيه الريا وحملته على الكراهيه على الابا ولكنه مع ذلك غير خال عن ميل الطبع اليه وحبه له ومنازعته اياه الا انه كاره لحبه وميله غير مجيب اليه فهل يكون في زمره المرائين فاعلم ان الله لم يكلف العبد الا ما يطيق وليس في طاقه العبد منع الشيطان من نزغاته ولا قمع الطبع حتى لا يميل الى الشهوات ولا ينازع اليها وانما غايته ان يقابل شهوته بكراهه استثارها من معرفه العواقب وعلم الدين واصول الايمان بالله تعالى واليوم الاخر فاذا فعل ذلك فهو الغايه في اداء ما كلف ويدل على ذلك من الاخبار ما روي ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شكوا اليه وقالوا تعرض في قلوبنا اشيا لان نخر من السما فتخطفنا الطير او تهوي بنا الريح في مكان سحيق احب الينا من ان نتكلم به قال او قد وجدتموه قالوا

نعم قارنت الكراهة صريح الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة بها ولا يمكن ان يقال المراد صريح
الايمان ولم يجدوا الا الوسواس والكراهة بها ولا يمكن ان يقال المراد صريح الايمان بالوسوسة
فلم يبق حمله الا على الكراهة المساوقة للوسوسة والريا وان كان عظيما فهو دون الوسوسة في
حق الله تعالى واذا اندفع ضرر الاعظم بالكراهة فبان يندفع ضرر الاصغر اولى وكذلك يروى عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ابن عباس انه قال الحمد لله الذي رد كيد الشيطان
الى الوسوسة وقال ابو حازم ما كان من نفسك فكرهته نفسك لنفسك فلا يضرك ما هو من عدوك
وما كان من نفسك فرضيته نفسك لنفسك فعاتبها عليه فاذن وسوسة الشيطان ومنازعة النفس
لا تضرك مهما ورد مرادها بالاباء والكراهية والخواطر التي هي العلوم والتذكيرات والتخيلات للاسباب
المهيجة للرياء من الشيطان والرغبة والميل بعد تلك الخواطر من النفس والكراهة من الايمان ومن اثار
العقل الا ان للشيطان هاهنا مكيدة وهو انه اذا عجز عن حمله على قبول الريا خيل اليه ان صلاح قلبه في
الاشتغال بمجادلة الشيطان ومدافعته ان طال عن سر المناجاة مع الله عز وجل فيوجب ذلك
نقصانا في منزلته عند الله عز وجل والمتخلصون عن الريا في دفع خواطر الريا على اربعة مراتب الاول ان يرد
على الشيطان مكيدته ولا يقتصر عليه بل يشتغل بمجادلته ويطيل الجدال معه لظنه ان ذلك اسلم
لقلبه وهو على التحقيق نقصان لانه اشتغل عن مناجاة الله عز وجل وعن الخير الذي هو بصدده
وانصرف الى قتال قطاع الطريق والتعريج على قتال قطاع الطريق نقصان في السلوك الرتبة
الثانية ان يعلم ان القتال في السلوك نقصان في السلوك فيقتصر على تكذيبه ودفعه ولا يشتغل
بمجادلته الرتبة الثالثة الا يشتغل بتكذيبه لان ذلك وقفة وان قلت بل قد يكون قد قرر في عقد
ضميره كراهية الريا وكذب الشيطان فيستمر على ما كان عليه مستصحبا للكراهة غير مشتغل بالتكذيب
ولا بالمخاصمة والرابع ان يكون قد علم ان الشيطان سيتحسد عند جريان اسباب الريا فيكون قد عزم على انه
مهما نزغ الشيطان زاد فيما هو فيه من الاخلاص والاشتغال بالله عز وجل واخفاء الصدقة والقناعة
غيظا للشيطان وذلك الذي يغيظ الشيطان ويقمعه ويوجب يأسه وقنوطه حتى لا يرجع يروى عن الفضيل
بن غزوان انه قيل له ان فلانا ذكرك فقال والله لاغيظن من امره قيل له من امره قال الشيطان
اللهم اغفر له اني لاغيظه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه العادة كف عنه خيفة ان يزيد
في حسناته وقال ابرهيم التيمي ان الشيطان ليدعو العبد الى الباب من الاثم فلا يطيعه وليحدث عند ذلك
خيرا فاذا راه كذلك تركه وقال ايضا اذا راك الشيطان مترددا طمع فيك واذا راك مداوما ملك وقلاك
وضرب الحارث المحاسبي لهذه الاربعة مثالا احسن فيه فقال مثالهم كاربعة قصدوا مجلسا من العلم والحديث
لينالوا به فائدة وفضلا وهداية ورشدا فحسدهم على ذلك ضال مبتدع وخاف ان يعرفوا الحق فتقدم الى

واحد لمنعه وصرفه عنه ودعوته الى مجلس ضلال فابى فلما عرف اباءه شغله بالمجادلة له فاشتغل معه
ليرد ضلالته وهو يظن ان ذلك مصلحة وهو غرض الضال ليفوت عليه بقدر تأخره فلما مر الثاني عليه نهاه
واستوقفه فوقف فدفع في نحر الضال ولم يشتغل بالقتال واستعجل ففرح به الضال بقدر توقفه
للدفع فيه ومر به الثالث فلم يلتفت اليه ولم يشتغل بدفعه ولا بقتاله بل استمر على ما كان فخاب منه رجاؤه
بالكلية ومر الرابع فلم يتوقف له واراد ان يغيظه فزاد في عجلته وترك التاني في المشي فيوشك ان عاد
عليه مرة اخرى ان يعاود لجميع الا هذا الاخير فانه لا يعاوده خيفة من ان يزداد فائدة في استعجاله
فان قلت فالشيطان اذا كان لا تؤمن نزغاته فهل يجب الترصد له قبل حضوره للحذر منه انتظارا
لوروده ام يجب التوكل على الله تعالى ليكون هو الدافع له او يجب الاشتغال بالعبادة والغفلة عنه قلنا
اختلف الناس فيه على ثلثة اوجه فذهبت فرقة من اهل البصرة الى ان الاقوياء قد استغنوا عن الحذر من
الشيطان وايس منهم وخنس عنهم كما ايس من ضعفاء العباد في الدعوة الى الخمر والزنا فصار ملاذ
الدنيا عندهم وان كان مباحا كالخمر والخنزير وانخلوا من حبها بالكلية لم يبق للشيطان اليهم سبيل فلا حاجة
بهم الى الحذر وذهبت فرقة من اهل الشام الى ان الترصد للحذر منه انما يحتاج اليه من قل يقينه
ونقص توكله فمن ايقن بان لا شريك لله في تدبيره فلا يحذر من غيره ويعلم ان الشيطان ذليل مخلوق وليس
اليه امر ولا يكون الا ما اراده الله تعالى فهو الضار والنافع يستحي منه ان يحذر غيره فاليقين بالوحدانية
يغنيه عن الحذر وقالت فرقة من اهل العلم لا بد من الحذر من الشيطان وما ذكره البصريون من ان الاقوياء استغنوا
عن الحذر وخلت قلوبهم من حب الدنيا بالكلية وهي وسيلة الشيطان فهذا يدل على غرور اذ الانبياء عليهم السلام
لم يتخلصوا من وساوس الشيطان ونزغاته فكيف يتخلص غيرهم وليس كل وساوس الشيطان من الشهوات
وحب الدنيا بل في صفات الله واسمائه وفي تحسين البدع والضلال وغيره ولا ينجو احد
من الخطر فيه ولذلك قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية
وقال النبي صلى الله عليه وسلم انه ليغان على قلبي مع ان شيطانه قد اسلم فلا يامره الا بخير
ومن ظن ان اشتغاله بحب الله تعالى اكثر من اشتغال رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء فهو مغرور وهم
لم يأمنوا ذلك من كيد الشيطان وكذلك لم يسلم منه ادم وحوا في الجنة التي هي دار الامن والسرور بعد ان قال الله
تعالى لهما ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى الى قوله ولا تضحى ومع انه لم ينههما الا عن
شجرة واحدة واطلقهما في سواها ومع ذلك ما اراد فاذا لم يامن نبي من الانبياء وهو في الجنة دار الامان والسعادة من
كيد الشيطان فكيف يجوز لغيره ان يامن في دار الدنيا وهي منبع الفتن والمحن ومعدن الملاذ والشهوات
المنهي عنها وقال موسى عليه السلام هذا من عمل الشيطان ولذلك حذر الله تعالى منه جميع الخلق فقال
تعالى يا بني ادم لا يفتننكم الشيطان كما اخرج ابويكم من الجنة وقال تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم

والقران من اوله الى اخره تحذير من الشيطان فكيف يدعي الامن منه واخذ الحذر حيث امر الله تعالى به لا ينافي
الاشتغال بحب الله تعالى فان من الحب امتثال امره وقد امر بالحذر من العدو كما امر بالحذر من الكفار فقال تعالى
وليأخذوا اسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل فاذا لزمك بامر الله تعالى الحذر
من العدو الكافر وانت تراه فبان يلزمك الحذر من عدو يراك ولا تراه اولى ولذلك قال ابن محيريز
عدو يراك ولا تراه يوشك ان يظفر بك وعدو تراه ولا يراك يوشك ان تظفر به واشار الى الشيطان كيف
وليس في الغفلة من عداوة الكافر الا القتل وهو شهادة وفي اهمال الحذر من الشيطان التعرض للنار والعقاب
الاليم فليس من الاشتغال بالله الاعراض عما حذر الله تعالى وبه يبطل مذهب الفرقة الثانية في ظنهم ان ذلك
قدح في التوكل فان اخذ الترس والسلاح وجمع الجنود وحفر الخندق لم يقدح في توكل رسول الله صلى الله عليه وسلم
فكيف يقدح في التوكل الخوف مما خوف الله تعالى به والحذر مما امر بالحذر منه وقد ذكرنا في كتاب التوكل غلط من
ظن ان معنى التوكل النزوع عن الاسباب بالكلية وقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل
لا ينافي امتثاله التوكل مهما اعتقد القلب ان الضار النافع والمحيي والمميت هو الله تعالى فكذلك يحذر
الشيطان ويعتقد ان المضل والهادي هو الله عز وجل ويرى الاسباب وسايط مسخرة كما ذكرناه في التوكل وهذا
ما اختاره المحاسبي رحمه الله وهو الصحيح الذي يشهد له نور العلم وما قبله يشبه ان يكون من كلام العباد الذين
لا يغزر علمهم ويظنون ان ما يهجم عليه من الاحوال في بعض الاوقات من الاستغراق بالله عز وجل يستمر على الدوام
وهو بعيد ثم اختلفت هذه الفرقة على ثلثة اوجه في كيفية الحذر اذ حذرنا الله تعالى العدو فلا ينبغي ان
يكون شي اغلب على قلوبنا من ذكره والحذر منه والترصد له فانا ان غفلنا عنه لحظة فيوشك ان يهلكنا وقال
قوم ان ذلك يودي الى خلو القلب عن ذكر الله تعالى واشتغال القلب كله بالشيطان وذلك مراد الشيطان منا بل
نشتغل بالعبادة وبذكر الله تعالى ولا ننسى الشيطان وعداوته والحاجة الى الحذر فنجمع بين الامرين فانا ان
نسيناه ربما عرض من حيث لا نحتسبه وان تجردنا للذكر اهملنا ذكر الله تعالى فالجمع اولى وقال
العلماء المحققون غلط الفريقان اما الاولى فقد تجردت لذكر الشيطان ونسيت ذكر الله تعالى فلا يخفى
غلطها وانما امرنا بالحذر من الشيطان كي لا يصدنا عن الذكر فكيف نجعل ذكره اغلب الاشيا على قلوبنا وهو منتهى
ضرر العدو ثم يودي ذلك الى خلو القلب عن نور ذكر الله عز وجل وقوة الاشتغال به فيوشك ان يظفر به فلا
يقوى على دفعه فلم يومر بانتظار الشيطان ولا بادمان ذكره واما الفرقة الثانية فقد شاركت الاولى اذ جمعت
في القلب بين ذكر الله عز وجل والشيطان وبقدر ما يشتغل القلب بذكر الشيطان ينقص من ذكر الله تعالى وقد امر
الله تعالى الخلق بذكره ونسيان ما عداه ابليس وغيره فالحق ان يلزم العبد قلبه الحذر من الشيطان ويقرر
على نفسه عداوته ثم اذا خطر الشيطان له تنبه له وعند التنبه يشتغل بدفعه والاشتغال بذكر الله تعالى
لا يمنع من التيقظ عند نزغه الشيطان بل الرجل ينام على ان ينتبه وهو خايف على ان يفوته مهم عند طلوع

الصبح فيلزم نفسه الحذر وينام على ان ينتبه في ذلك الوقت فينتبه في الليل مرارا قبل الوقت لما استمكن في قلبه
من الحذر انه بالنوم غافل عنه فاشتغاله بذكر الله تعالى كيف يمنع تنبهه ومثل هذا القلب هو الذي يقوى
على دفع العدو واذا كان اشتغاله بمجرد ذكر الله تعالى قد امات منه الهوى واحيا فيه نور العقل والعلم واماط
ظلمة الشهوات فاهل البصيرة اشعروا قلوبهم عداوة الشيطان وترصده والزموها الحذر ثم لم
يشتغلوا بذكره بل بذكر الله تعالى ودفعوا بالذكر شر العدو واستضاؤوا بنور الذكر حتى ابصروا خواطر العدو
فمثال القلب مثال بير اريد تطهيرها من الماء القذر ليتفجر منها الماء الصافي فالمشتغل بذكر الشيطان قد ترك فيه
الماء القذر والذي جمع بين ذكر الشيطان وذكر الله تعالى قد نزح الماء القذر من جانب ولكن تركه جاريا اليه من
جانب اخر فيطول تعبه ولا يجف البير عن الماء القذر والبصير هو الذي جعل لمجرى الماء القذر سدا وملاه بالصافي
فاذا جاء الماء القذر دفعه بالسكر والسد من غير كلفة ولا مونة وزيادة تعب

بيان الرخصة في قصد اظهار الطاعات

اعلم ان في الاسرار للاعمال فايدة الاخلاص والنجاة من الرياء وفي الاظهار فايدة الاقتداء وترغيب الناس في
الخير قد علم المسلمون ان السر احرز العملين ولكن في الاظهار ايضا فايدة ولذلك اثنى الله تعالى على السر
والعلانية فقال تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وتكفر
والاظهار قسمان احدهما في نفس العمل والاخر التحدث بما عمل القسم الاول اظهار نفس العمل كالصدقة في الملا
لترغيب الناس فيه كما روي عن الانصاري الذي جاء بالصرة فتتابع الناس بالعطية لما راوه فقال
النبي صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة فعمل بها كان له اجرها واجر من اتبعه وتجري ساير الاعمال
هذا المجرى من الصلوة والحج والغزو وغيره ولكن الاقتداء في الصدقة على الطباع اغلب نعم الغازي اذا هم
بالخروج فاستعد وشد الرحل قبل القوم تحريضا لهم على الحركة فذلك افضل له لان الغزو في اصله من اعمال
العلانية لا يمكن اسراره والمبادرة اليه ليس من الاعلان بل هو تحريض مجرد وكذلك الرجل قد يرفع صوته
في الصلوة بالليل لينبه جيرانه واهله فيقتدى به فكل عمل لا يمكن اسراره كالحج والجهاد والجمعة فالافضل
المبادرة اليه واظهار الرغبة فيه للتحريض بشرط ان لا يكون فيه شوايب الرياء واما ما يمكن اسراره كالصلوة
والصدقة فان كان اظهار الصدقة تؤذي المتصدق عليه وترغب الناس في الصدقة فالسر افضل لان الايذاء
حرام وان لم يكن فيه ايذاء فقد اختلف الناس في الافضل فقال قوم السر افضل من العلانية وان كان في العلانية
قدوة وقال قوم السر افضل من علانية لا قدوة فيها اما العلانية للقدوة فافضل من السر ويدل على ذلك
ان الله تعالى امر انبياءه عليهم السلام باظهار العمل للاقتداء وخصهم بمنصب النبوة ولا يجوز ان يظن انهم
حرموا افضل العملين ويدل عليه قوله له اجرها واجر من عمل بها وقد روي في بعض الحديث ان عمل السر يضاعف
على عمل العلانية سبعين ضعفا ويضاعف عمل العلانية اذا استن بعامله على عمل السر سبعين ضعفا
وهذا لا وجه للخلاف فيه فانه مهما انفك القلب عن شوايب الرياء لم ينفعه اقتداء غيره وهلك به ولا خلاف

وتم الاخلاص على وجه واحد من الحالتين مما يقتدى به افضل لا محالة وانما يخاف من الظهور الريا
ومهما حصل شائبة الريا لم ينفعه اقتدا غيره وهلك به ولا خلاف في ان السر افضل منه ولكن على من يظهر
العمل وظيفتان احداهما ان يظهره حيث يعلم انه يقتدى به جيرانه دون اهل السوق وربما يقتدى به اهل
محلته وانما العالم المعروف هو الذي يقتدى به الناس كافة فغير العالم اذا اظهر بعض الطاعات
ربما نسب الى الريا والنفاق وذموه ولم يقتدوا به فليس له الاظهار من غير فائدة وانما يصح الاظهار بنية
القدوة ممن هو في محل القدوة وعلى من هو في محل الاقتدا والثانية ان يراقب قلبه فانه ربما يكون فيه حب
الريا الخفي فيدعوه الى الاظهار بعذر الاقتدا وانما شهوته التجمل بالعمل وبكونه مقتدى به وهذا حال كل من
يظهر اعماله الا الاقويا المخلصون وقليل ما هم فلا ينبغي ان يخدع الضعيف نفسه بذلك فيهلك وهو لا يشعر
فان الضعيف مثاله مثل الغريق الذي يحسن سباحة ضعيفة فنظر الى جماعة من الغرقى فرحمهم فاقبل عليهم
حتى تشبثوا به فهلكوا وهلك والغرق بالماء في الدنيا المه ساعة وليت كان الهلاك بالريا مثله لا بل عذابه دائم
مدة مديدة وهو مزلة قلوب منهم قدم العباد والعلما فانهم يتشبهون بالاقويا في الاظهار ولا
تقوى قلوبهم على الاخلاص فتحبط اجورهم بالريا والتفطن لذلك غامض ومحك ذلك ان يعرض على نفسه
انه لو قيل له اخف العمل حتى يقتدي الناس بعابد آخر من اقرانك ويكون لك في السر مثل اجر الاعلان فان
مال قلبه الى ان يكون هو المقتدى به وهو المظهر للعمل فباعثه الريا دون طلب الاجر واقتدا الناس ورغبتهم
في الخير فانهم قد رغبوا في الخير بالنظر الى غيره واجره قد توفر عليه مع اسراره فما بال قلبه يميل الى الاظهار
لولا ملاحظته لاعين الخلق ومراءاتهم فليحذر العبد خدع النفس فان النفس خدوع والشيطان مترصد
وحب الجاه على القلب غالب وقلما تسلم الاعمال الظاهرة عن الآفات فلا ينبغي ان يعدل بالسلامة شيئا
والسلامة في الاخفاء وفي الاظهار من الاخطار ما لا يقوى عليها امثالنا فالحذر من الاظهار اولى بنا وبجميع
الضعفا **القسم** الثاني ان يتحدث بما فعله بعد الفراغ وحكمه حكم اظهار العمل نفسه والخطر في هذا
اشد لان مؤونة النطق خفيفة على اللسان وقد يجري في الحكاية زيادة ومبالغة وللنفس لذة في اظهار
الدعاوى عظيمة الا انه لو تطرق اليه الريا لم يؤثر في افساد العبادة الماضية بعد الفراغ منها فهو من هذا
الوجه اهون والحكم فيه ان من قوي قلبه وتم اخلاصه وصغر الناس في عينه واستوى عنده مدحهم
وذمهم وذكر ذلك عند من يرجو الاقتدا به والرغبة في الخير بسببه فهو جائز بل هو مندوب اليه ان صفت
النية وسلمت من جميع الآفات لانه ترغيب في الخير والترغيب في الخير خير وقد نقل مثل ذلك عن جماعة من
السلف الاقويا قال سعد بن معاذ رضي الله عنه ما صليت صلوة منذ اسلمت فحدثت نفسي بغيرها ولا تبعت
جنازة فحدثت نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقول لها ولا سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول
قولا قط الا علمت انه حق وقال عمر ما ابالي اصبحت على عسر او يسر لاني لا ادري ايهما خير لي وقال ابن مسعود

ما اصبحت على حال فتمنيت ان اكون على غيرها وقال عثمن ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست
ذكري بيميني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال شداد بن اوس ما تكلمت بكلمة منذ اسلمت حتى
ازمها واخطمها الا هذه وكان قال لغلامه ائتنا بالسفرة لنعبث بها حتى ندرك الغدا وقال
ابو سفين لاهله حين حضرته الوفا لا تبكوا علي فاني ما احدثت ذنبا منذ اسلمت وقال عمر بن عبد العزيز ما
قضى الله لي بقضا فسرني ان يكون قضى لي بغيره وما اصبح لي هوى الا في مواقع قدر الله تعالى فهذا
كله اظهار لاحوال شريفة وفيها غاية المراءاة اذا صدر ممن يرائي بها وفيه غاية الترغيب اذا صدر ممن
يقتدى به فذلك على قصد الاقتدا جائز للاقويا بالشروط التي ذكرناها فلا ينبغي ان يسد باب اظهار الاعمال
والطباع مجبولة على التشبه والاقتدا بل اظهار المرائي للعبادة اذا لم يعلم الناس انه ريا فيه خير كثير للناس
ولكنه شر للمرائي فكم من مخلص كان سبب اخلاصه الاقتدا بمن هو مراء عند الله وقد روي انه كان يجتاز
الانسان في سكك البصرة عند الصبح فيسمع اصوات المصلين بالقرآن من البيوت فصنف بعضهم كتابا في
دقائق الريا فتركوا ذلك وترك الناس الرغبة فيه فكانوا يقولون ليت ذلك الكتاب لم يصنف
فاظهار المرائي فيه خير كثير لغيره اذا لم يعرف رياؤه فان الله عز وجل يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وباقوام لا
خلاق لهم كما ورد في الاخبار وبعض المرائين ممن يقتدى به منهم

بيان الرخصة في كتمان الذنوب وكراهة اطلاع الناس عليه وكراهة ذمهم له

اعلم ان الاصل في الاخلاص استوا السريرة والعلانية كما قال
عمر رضي الله عنه لرجل عليك بعمل العلانية قال يا امير المؤمنين وما عمل العلانية قال ما اذا
اطلع عليه لم تستحي منه وقال ابو مسلم الخولاني ما عملت عملا ابالي ان يطلع الناس عليه الا اتياني اهلي
والغائط والبول الا ان هذه درجة رفيعة لا ينالها كل احد ولا يخلو الانسان عن ذنوب بقلبه وجوارحه
وهو يخفيها ويكره اطلاع الناس عليها لا سيما ما تختلج به الخواطر في الشهوات والاماني والله تعالى مطلع
على جميع ذلك فارادة العبد لاخفائه عن العبيد ربما يظن انه محظور وليس كذلك بل المحظور
ان يستر ذلك ليرى الناس انه ورع وانه خائف من الله تعالى مع انه ليس كذلك فهذا هو ستر المرائي
واما الصادق الذي لا يرائي فله ستر المعاصي ويصح قصده فيه ويصح اغتمامه باطلاع الناس عليه
من ثمانية اوجه الاول هو ان يفرح بستر الله عليه واذا افتضح اغتم بهتك الله ستره وخاف ان يهتك
ستره في القيمة اذ ورد في الخبر ان من ستر الله عليه في الدنيا ستر عليه في الآخرة وهذا غم ينشأ من قوة الايمان
الثاني انه قد علم ان الله تعالى يكره ظهور المعاصي ويحب سترها كما قال صلى الله
عليه وسلم من ارتكب شيئا من هذه القاذورات فليستتر بستر الله فهو وان عصى الله تعالى بالذنب
فلم يخل قلبه عن محبة ما احب الله تعالى وهذا ينشأ من قوة الايمان بكراهة الله تعالى ظهور المعاصي
واثر الصدق فيه ان يكره ظهور الذنب من غيره ايضا ويغتم بسببه **الثالث** ان يكره ذم الناس

له به من حيث ان ذلك يغمه ويشغل قلبه وعقله عن طاعة الله عز وجل فان الطبع يتأذى بالذم وينازع
العقل ويشغل عن طاعة الله تعالى وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يكره الحمد الذي يشغله عن الله تعالى
ويستغرق قلبه ويصرفه عن الذكر وهذا ايضا من قوة الايمان اذ صدق الرغبة في فراغ القلب لاجل الطاعة
من الايمان **الرابع** ان يكون ستره ورغبته فيه لكراهته لذم الناس من حيث يتأذى طبعه فان الذم مؤلم للقلب
كما ان الضرب مؤلم للبدن وتألم القلب بالذم ليس بحرام ولا الانسان به عاص وانما يعصي اذا جزعت نفسه من
ذم الناس ودعته الى ما لا يجوز حذرا من ذمهم وليس يجب على الانسان ان لا يغتم بذم الخلق ولا يتألم به نعم كمال
الصدق في ان يزول عن رؤية الخلق فيستوي ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله
تعالى وان العباد كلهم عاجزون وذلك قليل جدا واكثر الطباع تتألم بالذم لما فيه من الشعور بالنقصان
ورب تألم بالذم محمود اذا كان الذام من اهل البصيرة في الدين فانهم شهداء الله تعالى وذمهم يدل على ذم الله تعالى وعلى
نقصانه في الدين فكيف لا يغتم به نعم الغم المذموم هو ان يغتم لفوات الحمد بالورع كانه يحب ان يحمد بالورع ولا
يجوز ان يحب ان يحمد بطاعة الله تعالى فيكون قد طلب بطاعة الله عز وجل ثوابا من غيره فان وجد ذلك في نفسه
وجب عليه ان يقابله بالكراهة والرد واما كراهية الذم بالمعصية من حيث الطبع فليس بمذموم فله الستر
حذرا من ذلك ويتصور ان يكون بحيث لا يحب الحمد ولكن يكره الذم وانما مراده ان يتركه الناس حمدا وذما فكم من
صابر عن لذة الحمد لا يصبر على الم الذم اذ الحمد يطلب اللذة وعدم اللذة لا يؤلم واما الذم مؤلم فحب الحمد على الطاعة
لطلب ثواب عن الطاعة في الحال واما كراهة الذم على المعصية فلا محذور فيه الا امر واحد وهو ان يشغله
غمه باطلاع الخلق على ذنبه عن اطلاع الله عز وجل فان ذلك غاية النقصان في الدين بل ينبغي ان يكون غمه
باطلاع الله عز وجل وذمه له اكثر وقد يكره الذم من حيث ان الذام قد عصى الله تعالى به وهذا من الايمان
وعلامته ان يكره ذمه لغيره ايضا فهذا التوجع لا يفرق بينه وبين غيره بخلاف التوجع من قبل الطبع
السادس ان يستر كيلا يقصد بشر اذا عرف ذنبه وهذا وراء الذم فان الذم مؤلم من حيث يشعر القلب
بنقصانه وخسته وان كان ممن يؤمن شره وقد يخاف شر من يطلع على ذنبه بسبب من الاسباب فله ان
يستتر ذلك حذرا منه **السابع** مجرد الحيا فانه نوع الم وراء الم الذم والقصد بالشر وهو خلق كريم يحدث
في اول الصبا مهما اشرق عليه نور العقل فيستحيي من القبائح اذا شوهد منه وهو وصف محمود قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله وقال الحيا شعبة من الايمان وقال الحيا
لا يأتي الا بخير وقال ان الله يحب الحيي الحليم فالذي يفسق ولا يبالي ان يظهر فسقه للناس جمع الى الفسق التهتك
والوقاحة وفقد الحيا فهذا اشد حالا ممن يستتر ويستحيي الا ان الحيا ممتزج بالريا ومشتبه به اشتباها
عظيما قل من يتفطن له ويدعي كل مراء انه مستحي وان سبب تحسينه العبادات هو الحيا من الناس
وذلك كذب بل الحيا خلق ينبعث من الطبع الكريم وتهيج عقبه داعية الريا وداعية الاخلاص ويتصور
ان يخلص معه

ان يخلص معه ويتصور ان يرائي معه وبيانه ان الرجل يطلب من صديق له قرضا ونفسه لا تسخو باقراضه
الا انه يستحيي من رده وعلم انه لو راسله على لسان غيره لكان لا يستحيي ولا يقرض رياء ولا لطلب ثواب منه
عند ذلك احوال احدها ان يشافهه بالرد والتصريح ولا يبالي فينسب الى قلة الحيا وهذا فعل من لا
حيا له فان المستحيي اما ان يتعلل او يقرض فان اعطى فيتصور له ثلاثة احوال احدها
ان يمزج الريا بالحيا بان يهيج الحيا فيقبح الرد عنده فيهيج خاطر الريا ويقول ينبغي ان تعطي حتى يثني
عليك ويحمدك وينتشر اسمك بالسخا او ينبغي ان تعطي حتى لا يذمك ولا ينسبك الى البخل فاذا اعطى
اعطى بالريا وكان المحرك للريا هيجان الحيا **الثاني** ان يتعذر عليه الرد بالحيا ويبقى في نفسه البخل
فيتعذر الاعطا فيهيج باعث الاخلاص ويقول له ان الصدقة بواحدة والقرض بثمانية عشر
ففيه اعظم اجر وادخال سرور على قلب صديق وذلك محمود عند الله تعالى فتسخو النفس بالاعطا لذلك
فهذا مخلص هيج الحيا اخلاصه والثالث ان لا يكون له رغبة في الثواب ولا خوف لمذمته ولا حب لمحمدته
لانه لو طلبه مراسلة لكان لا يعطيه فاعطاه بمحض الحيا وهو ما يجده في قلبه من الم الحياء ولولا الحيا
لرده ولو جاءه من لا يستحيي منه من الاجانب والارذال لكان يرده وان كثر الحمد والثواب
فيه فهذا مجرد الحيا ولا يكون هذا الا في القبائح كالبخل ومقارفة الذنوب والمرائي يستحيي من المباحات ايضا
حتى انه يرى مستعجلا في المشي فيعود الى الهدو او ضاحكا فيرجع الى الانقباض ويزعم ان ذلك حيا وهو
عين الريا وقد قيل ان بعض الحيا ضعف وهو صحيح والمراد منه الحيا مما ليس بقبيح كالحيا من وعظ الناس
وامامة الصلاة وهو في النسا والصبيان محمود وفي العقلا غير محمود وقد تشاهد معصية من شيخ فيستحيي
من شيبته ان ينكر عليه لان من اجلال الله تعالى اكرام ذي الشيبة وهذا الحيا حسن واحسن منه ان يستحيي
من الله تعالى فلا يضيع الامر بالمعروف فالقوي يؤثر الحيا من الله تعالى على الحيا من الناس والضعيف قد لا
يقدر عليه فهذه هي الاسباب التي يجوز لاجلها ستر القبائح والذنوب الثامن ان يخاف من ظهور ذنبه
ان يستجري عليه غيره ويقتدي به وهذه العلة الواحدة فقط هي الجارية في اظهار الطاعة وهو القدوة ويختص
ذلك بالائمة او بمن يقتدى به وبهذه العلة ايضا ينبغي ان يخفي العاصي ايضا معصيته من اهله وولده لانهم
يتعلمون منه ففي ستر الذنب هذه الاعذار الثمانية وليس في اظهار الطاعة عذر الا هذا
العذر الواحد ومهما قصد بستر المعصية ان يخيل الى الناس انه ورع كان مرائيا كما انه اذا قصد ذلك باظهار
الطاعة فان قلت فهل يجوز للعبد ان يحب حمد الناس له بالصلاح وحبهم اياه بسببه وقد قال
رجل للنبي صلى الله عليه وسلم دلني على ما يحبني الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا
يحبك الله وانبذ اليهم هذا الحطام يحبوك فنقول حبك لحب الناس لك قد يكون مباحا وقد يكون
محمودا وقد يكون مذموما فالمحمود ان تحب ذلك لتعرف به حب الله تعالى لك فانه اذا احب عبدا حببه في قلوب

عباده والمذموم ان تحب حمدهم على حجك وغزوك وصلاتك وعلى طاعة بعينها فان ذلك طلب عوض
على طاعة الله تعالى عاجلا سوى ثواب الله تعالى والمباح ان تحب ان يحبوك لصفات
محموده سوى الطاعات المحموده المعينه فحبك ذلك كحبك المال لان ملك القلوب وسيله الى الاغراض كملك
الاموال فلا فرق بينهما

بيان ترك الطاعات خوفا من الريا ودخول الافات

اعلم ان من الناس من يترك العمل خوفا من ان يكون مرايا به وذلك غلط وموافقه للشيطان بل الحق
فيما يترك من الاعمال وما لا يترك لخوف الافات ما نذكره وهو ان الطاعات تنقسم الى ما لا لذة في عينها كالصلوه
والصوم والحج والغزو فانها مقاسات ومجاهدات انما تصير لذيذه من حيث انه يوصل الى حمد الناس وحمد الناس
لذيذ وذلك عند اطلاع الناس عليه والى ما هو لذيذ وهو اكثر ما لا يقتصر على البدن بل يتعلق بالخلق كالخلافه
والقضا والولايات والحسبة وامامة الصلوه والتذكير والتدريس وانفاق المال
على الخلق وغير ذلك مما تعظم الافة فيه لتعلقه بالخلق ولما فيه من اللذه **القسم** الاول الطاعات اللازمه للبدن
التي لا تتعلق بالغير ولا لذه في عينها كالصلوه والصوم والحج فخطرات الريا فيها ثلثه احدها ما يدخل قبل العمل فيبعث على
الابتدا لرويه الناس وليس معه باعث الدين فهذا ما ينبغي ان يترك لانه معصيه لا طاعه فانه قد تدرع
بصورة الطاعة الى طلب المنزله فان قدر الانسان على ان يدفع عن نفسه باعث الريا فيقول لها الا تستحيي من
مولاك الا تسخو بالعمل لاجله وتسخو بالعمل لاجل عباده حتى اندفع باعث الريا وسخت النفس بالعمل لله
تعالى عقوبه للنفس على خاطر الريا وكفاره عليه فليشتغل بالعمل الثانيه ان ينبعث لاجل الله تعالى ولكن
يعترض الريا مع عقد العباده واولها فلا ينبغي ان يترك العمل لانه وجد باعثا دينيا فليشرع في العمل
وليجاهد نفسه في دفع الريا وتحصيل الاخلاص بالمعالجه التي ذكرناها من الزام النفس كراهيه الريا
والابا عن القبول **الثالثه** ان يعقد على الاخلاص ثم يطرأ الريا ودواعيه فينبغي ان يجاهد في الدفع ولا يترك
العمل لكن يرجع الى عقد الاخلاص ويرد نفسه اليه قهرا حتى يتم العمل لان الشيطان يدعوك اولا الى ترك
العمل فاذا لم تجب واشتغلت فيدعوك الى الريا فاذا لم تجب ودفعته بقي يقول لك هذا العمل ليس بخالص
وانت مراء وتعبك ضايع فاي فايده لك في عمل لا اخلاص فيه حتى يحملك بذلك على ترك العمل فاذا تركته فقد
حصلت غرضه ومثال من يترك العمل خوفا ان يكون مرايا كمن سلم اليه مولاه حنطه فيها تراب وقال
خلصها من التراب ونقها منه تنقيه بالغة فيترك اصل العمل ويقول اخاف ان اشتغلت به لم تخلص خلاصا
صافيا نقيا فترك العمل من اصله هو ترك للاخلاص مع اصل العمل فلا معنى له ومن هذا القبيل ان يترك العمل
خوفا على الناس ان يقولوا انه مراء فيعصون الله به فهذا من مكايد الشيطان لانه اولا اسا الظن بالمسلمين
وما كان من حقه ان يظن بهم ذلك ثم ان كان فلا يضره قولهم ويفوته ثواب العباده وترك العمل خوفا هم
انه مراء هو عين الريا فلولا حبه لحمدهم وخوفه من ذمهم فما له ولقولهم قالوا انه مراء او قالوا انه مخلص

فاي فرق بين ان يترك العمل خوفا من ان يقال انه مراء وبين ان يحسن العمل خوفا من ان
يقال انه غافل مقصر بل ترك العمل اشد من ذلك فهذه كلها مكايد الشيطان على العباد الجهال ثم كيف
يطمع ان يتخلص من الشيطان بان يترك العمل والشيطان لا يخليه بل يقول له الان يقول لك الناس
انك تركت العمل ليقال انك مخلص لا تشتهي الشهرة فيضطرك بذلك الى ان تهرب فان هربت ودخلت سربا
تحت الارض القى في قلبك حلاوة معرفة الناس بزهدك وهربك منهم وتعظيمهم لك بقلوبهم على ذلك فكيف
تتخلص بل لا نجاة منه الا بان تلزم قلبك معرفة افة الريا وهو انه ضرر في الاخره ولا نفع فيه في الدنيا لتلزم
الكراهه والابا قلبك وتستمر مع ذلك على العمل فلا تبالي وان نزغ العدو ونازع الطبع فان ذلك لا ينقطع
وترك العمل لاجل ذلك يجر الى البطاله وترك الخيرات فما دمت تجد باعثا دينيا على العمل
فلا تترك العمل وجاهد خاطر الريا والزم قلبك الحيا من الله تعالى اذ دعتك نفسك الى ان تستبدل بحمد الله
حمد المخلوقين وهو مطلع على قلبك ولو اطلع الخلق على قلبك وانت تريد حمدهم لمقتوك بل ان قدرت على
ان تزيد في العمل حيا من ربك وعقوبة لنفسك فان قال لك الشيطان انت مراء فاعلم كذبه لما يصادف في قلبك
من كراهه الريا وابايه وخوفك منه وحياك من الله تعالى وان لم تجد في قلبك له كراهه ومنه خوفا ولم
يبق باعث ديني بل تجرد باعث الريا فاترك العمل عند ذلك وهو بعيد ممن يشرع في العمل لله تعالى فانه لا
بد وان يبقى معه اصل قصد الثواب فان قلت فقد نقل عن اقوام ترك العمل مخافة الشهره روي ان ابرهيم
النخعي دخل عليه انسان فاطبق المصحف وترك القراءه وقال لا يرى هذا انا نقرا كل ساعه وقال
ابرهيم التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت واذا اعجبك السكوت فتكلم وقال الحسن ان كان احدهم ليمر بالاذى
وما يمنعه من رفعه الا كراهيه الشهره وكان احدهم ياتيه البكا فيصرفه الى الضحك مخافة الشهره وقد ورد
فيه اثار كثيره قلنا ان هذا يعارضه ما ورد من اظهار الطاعات مما لا يحصى واظهار الحسن هذا الكلام في
معرض الوعظ اقرب الى خوف الشهره من البكا واماطة الاذى عن الطريق ثم لم يتركه وبالجمله ترك النوافل
جايز والكلام في الافضل والافضل انما يقدر عليه الاقويا دون الضعفا فالافضل ان يتم العمل ويجتهد في الاخلاص
ولا يتركه وارباب الاعمال قد يعالجون انفسهم بخلاف الافضل لشده الخوف والاقتدا ينبغي ان يكون بالاقويا
واما اطباق ابرهيم النخعي المصحف فيمكن ان يكون لعلمه بانه سيحتاج الى ترك القراءه عند دخوله واستينافه
بعد خروجه للاشتغال بكلامه فراى ان الاخفا في القراءه ابعد عن الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به
حتى يعود اليه بعد ذلك واما ترك الاذى فذلك ممن يخاف على نفسه افة الشهره واقبال الناس
عليه وشغلهم اياه عن عبادات هي اكثر من رفع خشبه من الطريق فيكون تركه لذلك للحفاظ على
عبادات اكثر منها لا لمجرد خوف الريا واما قول التيمي اذا اعجبك الكلام فاسكت فيجوز ان يكون قد
اراد به مباحات الكلام كالفصاحه من الحكايات وغيرها فان ذلك يورث العجب وكذلك العجب بالسكوت

المباح محذور فهو عدول من مباح الى مباح حذرا من العجب واما الكلام الحق المندوب اليه فلم ينص عليه
على ان الافه مما تعظم في الكلام فهو واقع من القسم الثاني وانما كلامنا في العبادات الخاصه
ببدن العبد مما لا يتعلق بالناس ولا تعظم فيه الافات ثم كلام الحسن في تركهم البكا واماطه الاذى تخوف
الشهره انما كان حكاية احوال الضعفا الذين لا يعرفون الافضل ولا يدركون هذه الدقايق وانما ذكره
تخويفا للناس من افه الشهرة وزجرا عن طلبها **القسم** الثاني ما يتعلق بالخلق وتعظم فيه الافات
والاخطار واعظمها الخلافه ثم القضا ثم التذكير والتدريس والفتوى ثم انفاق الاموال اما الخلافه
والاماره فهي من افضل العبادات اذا كان مع العدل والاخلاص وقد قال صلى الله عليه وسلم
ليوم من امام عادل خير من عباده الرجل وحده ستين عاما فاعظم بعبادة يوازي يوم منها عباده ستين
سنة وقد قال صلى الله عليه وسلم اول من يدخل الجنة الامام المقسط وقال ابو هريرة قال صلى
الله عليه وسلم ثلثه لا ترد دعوتهم الامام العادل احدهم وقال صلى الله عليه وسلم اقرب الناس
مني مجلسا يوم القيمه امام عادل رواه ابو سعيد الخدري فالاماره والخلافه من اعظم العبادات
ولم يزل المتقون يحترزون منها ويتركونها ويهربون من تقلدها وذلك لما فيها من عظيم الخطر اذ يتحرك
لها الصفات الباطنه ويغلب على النفس حب الجاه ولذه الاستيلا ونفاذ الامر وهو اعظم ملاذ الدنيا واذا
صارت الولايه محبوبه كان الوالي ساعيا في حظ نفسه ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في
جاهه وولايته وان كان حقا ويقدم على ما يزيد في مكانته وان كان باطلا وعند ذلك يهلك ويكون يوم من
سلطان جاير اشد من فسق ستين سنة بمفهوم الحديث الذي ذكرنا ولهذا الخطر العظيم كان عمر رضي الله عنه
يقول من ياخذها بما فيها وكيف لا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من والي عشيرة الا جا يوم القيمه
مغلوله يده الى عنقه اطلقه عدله او اوبقه جوره رواه معقل بن يسار وولاه عمر ولايه فقال
يا امير المومنين اشر علي قال اجلس واكتم علي وروى الحسن ان رجلا ولاه النبي صلى الله عليه وسلم فقال للنبي صلى الله
عليه وسلم خر لي فقال اجلس وكذلك حديث عبد الرحمن بن سمره اذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم يا عبد الرحمن
لا تسئل الاماره فانك ان اعطيتها عن غير مسله اعنت عليها وان اوتيتها عن مسلة وكلت اليها وقال ابو بكر رضي الله
عنه لرافع بن عمر لا تامرن على اثنين ثم ولي هو الخلافه فقام بها فقال له رافع الم تقل لي لا تامرن على اثنين
وانت قد وليت امر امه محمد صلى الله عليه وسلم قال بلى وانا اقول لك ذلك فمن لم يعدل فعليه بهلة الله يعني
لعنه الله ولعل القليل البصيره يرى ما ورد في فضل الاماره مع ما ورد من النهي عنها متناقضا وليس كذلك
بل الحق فيه ان الخواص الاقويا في الدين لا ينبغي ان يمتنعوا من تقلد الولايات وان الضعفا لا ينبغي لهم ان يدوروا
بها فيهلكوا واعني بالقوي الذي لا تميله الدنيا ولا يستفزه الطمع ولا تاخذه في الله لومه لايم وهم الذين سقط
الخلق عن اعينهم وزهدوا في الدنيا وتبرموا بها وبمخالطه الخلق وقهروا انفسهم وملكوها وقمعوا الشيطان وابليس

منهم فهؤلاء لا يحركهم الا الحق ولا يسكنهم الا الحق ولو زهقت فيه ارواحهم فهم اهل نيل الفضل في الاماره والخلافه
ومن علم انه ليس بهذه الصفة فيحرم عليه الخوض في الولايات ومن جرب نفسه فراها صابره على الحق كافه
عن الشهوات في غير الولايه ولكن خاف عليها ان تتغير اذا ذاقت لذه الولايه وان تستحلي الجاه وتستلذ نفاذ
الامر فتكره العزل فيداهن خيفه من العزل واختلف الفقها في انه هل يلزمه الهرب من تقلد الولايه فقال
قايلون لا يجب لان هذا خوف امر في المستقبل وهو في الحال لم يعهد نفسه الا قويا في ملازمه الحق وترك
لذات النفس والصحيح ان عليه الاحتراز لان النفس خداعه مدعيه للحق واعده بالخير فلو وعدت
بالخير جزما لكان يخاف عليه ان يتغير عند الولايه فكيف اذا ظهرت التردد والامتناع عن قبول الولايه
اهون من العزل بعد الشروع فالعزل مولم وهو كما قيل طلاق الرجال فاذا شرع لا تسمح
نفسه بالعزل وتميل نفسه الى المداهنه واهمال الحق وتهوي به في قعر جهنم ولا يستطيع النزوع منه الى
الموت الا ان يعزل قهرا وكان فيه عذاب عاجل على كل من يحب الولايه ومهما مالت النفس الى طلب الولايه
وحملت على السوال والطلب فهي اماره الشر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا نولي امرنا من سالناه
فاذا فهمت اختلاف حكم القوي والضعيف علمت ان نهي ابي بكر رضي الله عنه لرافع بن عمر عن الولايه ثم
تقلدها ليس متناقض اما القضا فهو وان كان دون الخلافه والاماره فهو في معناها فان كل ذي ولايه
امير اي له امر نافذ والاماره محبوبه بالطبع والثواب في القضا عظيم مع اتباع
الحق والعقاب ايضا فيه عظيم مع العدول عن الحق وقد قال صلى الله عليه وسلم القضاه ثلثه واحد في الجنه
واثنان في النار وقال من استقضى فقد ذبح بغير سكين فحكمه حكم الاماره ينبغي ان يتركها الضعفا
وكل من للدنيا ولذاتها وزن في عينيه وليتقلده الاقويا الذين لا تاخذهم في الله لومه لايم ومهما كان السلاطين
ظلمه ولم يقدر القاضي على القضا الا بمداهنتهم واهمال بعض الحقوق لاجلهم ولاجل المتعلقين بهم او يعلم
انه لو حكم عليهم بالحق لعزلوه او لم يطيعوه فليس له ان يتقلد القضا وان تقلده فعليه ان يطالبهم بالحقوق
ولا يكون خوف العزل عذرا مرخصا له في الاهمال اصلا بل اذا عزل اسقطت التبعه عنه فينبغي
ان يفرح بالعزل ان كان يقضي لله تعالى فان لم تسمح نفسه بذلك فهو اذا يقضي لاتباع الهوى والشيطان فكيف
يرتقب عليه ثوابا وهو مع الظلمه في الدرك الاسفل من النار واما الوعظ والفتوى والتدريس وروايه
الحديث وجمع الاسانيد العاليه وكلما يتسع بسببه الجاه ويعظم به القدر فافته ايضا عظيمه
مثل افه الولايات وقد كان الخايفون من السلف يتدافعون الفتوى ما وجدوا اليه سبيلا وكانوا يقولون
حدثنا باب من ابواب الدنيا ومن قال حدثنا فقد قال اوسعوا لي ومن الحديث
اني اشتهي ان احدث ولو اشتهيت ان لا احدث لحدثت والواعظ يجد في وعظه وتاثر قلوب الناس
به وتلاحق بكايهم وزعقاتهم واقبالهم عليه لذه لا توازيها لذه فاذا غلب ذلك على قلبه مال قلبه الى كل

كلام مزخرف يروج عند العوام وإن كان باطلا وينفر عن كل كلام حق لا يستثقله العوام وإن كان حقا ويصير
مصروف الهمة بالكلية إلى ما يحرك قلوب العوام وتعظم منزلته في قلوبهم فلا يسمع حديثا وحكمة إلا
ويكون فرحه بها من حيث إنه يصلح لأن يذكره على رأس المنبر وكان ينبغي أن يكون
فرحه بها من حيث إنه عرف طريق السعادة وطريق سلوك سبيل الدين ليعمل به أولا ثم يقول
إذا أنعم الله علي بهذه النعمة ونفعني بهذه الحكمة فأقصها ليشاركني في نفعها إخواني المسلمون
فهذا أيضا مما يعظم فيه الخوف والفتنة فحكمه حكم الولايات فمن لا باعث له إلا طلب الجاه والمنزلة والأكل
بالدين والتفاخر والتكاثر فينبغي أن يتركه ويخالف الهوى فيه إلى أن ترتاض نفسه وتقوى في الدين منته
ويأمن على نفسه الفتنة فعند ذلك يعود إليه فإن قلت مهما حكم بذلك على أهل العلم
تعطلت العلوم واندرست وعم الجهل كافة الخلق فنقول قد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن طلب
الإمارة وتوعد عليها حتى قال إنكم تحرصون على الإمارة وإنها حسرة يوم القيمة وندامة إلا من أخذها
بحقها وقال نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ومعلوم أن السلطنة والإمارة لو تعطلت لبطل الدين
والدنيا جميعا وثار القتال بين الخلق وزال الأمن وخربت البلاد وتعطلت المعايش فلم نهى عنها مع ذلك
وضرب عمر رضي الله عنه أبي بن كعب حين رأى قوما يتبعونه وهو في ذلك يقول أبي سيد المسلمين وكان
يقرأ عليه القرآن فنهى من أن يتبعوه وقال عمر رضي الله عنه في ذلك فتنة على المتبوع ومذلة على التابع
وعمر رضي الله عنه كان يخطب بنفسه ويعظ ولا يمتنع منه واستأذن رجل عمر رضي الله عنه أن يعظ
الناس إذا فرغ من صلاة الصبح فمنعه فقال أتمنعني من أن أنصح المسلمين فقال أخشى أن تنتفخ حتى تبلغ
الثريا إذ رأى فيه مخايل الرغبة في جاه الوعظ وقبول الخلق والقضاء والخلافة مما يحتاج إليه في
دينهم الناس كالوعظ والتدريس والفتوى وفي كل واحد منها فتنة ولذة فلا فرق بينهما فأما
قول القائل نهيك عن ذلك يؤدي إلى اندراس العلم فهو غلط إذ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن القضاء
لم يؤد إلى تعطيل القضاء بل الرياسة وحبها يضطر الخلق إلى طلبها وكذلك حب الرياسة لا يترك العلوم
تندرس بل لو حبس الناس وقيدوا بالسلاسل والأغلال عن طلب العلوم التي فيها القبول والرياسة
لأفلتوا من الحبس وكسروا السلاسل وطلبوها وقد وعد الله تعالى أن يؤيد هذا الدين بأقوام لا
خلاق لهم فلا تشغل قلبك بأمر الناس فإن الله تعالى لا يضيعهم وانظر لنفسك ثم إني أقول مع هذا إذا كان في
البلد جماعة يقومون بالوعظ مثلا فليس في النهي عند الخوف إلا امتناع بعضهم وإلا فيعلم أن كلهم لا
يمتنعون ولا يتركون لذة الرياسة فإن لم يكن في البلد إلا واحد وكان وعظه نافعا للناس من حيث
حسن كلامه وحسن سمته في الظاهر وتخييله للعوام أنه إنما يريد الله تعالى بوعظه وأنه تارك
للدنيا ومعرض عنها فلا نمنعه ونقول اشتغل وجاهد نفسك فإن قال لست أقدر على نفسي فنقول

اشتغل وجاهد لأنا نعلم أنه لو ترك لهلك الناس كلهم إذ لا قائم به غيره ولو واظب وغرضه الجاه
فهو الهالك وحده وسلامة دين الجميع عندنا أحب من سلامة دينه وحده فنجعله فدى للقوم
ونقول لعل هذا هو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم
ثم الواعظ هو الذي يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا بكلامه وبظاهر سيرته فأما ما أحدثه الوعاظ في هذه
الأعصار من الكلمات المزخرفة والألفاظ المسجعة المقرونة بالأشعار مما ليس فيه تعظيم لأمر
الدين وتخويف للمسلمين بل فيه الترجية والتجرئة على المعاصي بطيارات النكت فيجب إخلاء البلد
منهم فإنهم نواب الدجال وخلفاء الشيطان وإنما كلامنا في واعظ حسن الوعظ جميل الظاهر يبطن
في نفسه حب القبول ولا يقصد غيره وفيما أوردناه في كتاب العلم من الوعيد الوارد
في حق علماء السوء ما يبين لزوم الحذر من فتن العلم وغوائله ولقد قال عيسى عليه السلام يا علماء السوء
تصومون وتصلون وتصدقون ولا تفعلون ما تؤمرون وتدرسون ما لا تعملون فيا سوء ما تحكمون
تتوبون بالقول والأماني وتعملون بالهوى وما يغني عنكم أن تنقوا جلودكم وقلوبكم دنسة بحق أقول لكم
لا تكونوا كالمنخل يخرج منه الدقيق الطيب ويبقى فيه النخالة كذلك أنتم تخرجون الحكمة من أفواهكم
ويبقى الغل في صدوركم يا عبيد الدنيا كيف يدرك الآخرة من لا تنقضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع منها
رغبته بحق أقول لكم إن قلوبكم تبكي من أعمالكم جعلتم الدنيا تحت ألسنتكم والعمل تحت أقدامكم بحق
أقول لكم أفسدتم آخرتكم فصلاح الدنيا أحب إليكم من صلاح الآخرة فأي الناس أخس منكم لو تعلمون ويلكم
حتى متى تصفون الطريق للمدلجين وتقيمون في محلة المتحيرين كأنكم تدعون أهل الدنيا ليتركوها لكم مهلا
مهلا ويلكم ماذا يغني عن البيت المظلم أن يوضع السراج فوق ظهره وجوفه وحش مظلم كذلك لا يغني
عنكم أن يكون نور العلم بأفواهكم وأجوافكم منه وحشة معطلة يا عبيد الدنيا لا كعبيد أتقياء ولا كأحرار
كرام يوشك الدنيا أن تقلعكم عن أصولكم فتلقيكم على وجوهكم ثم تكبكم على مناخركم ثم تأخذ خطاياكم
بنواصيكم ثم يدفعكم العلم من خلفكم ثم يسلمكم إلى الملك الديان عراة فرادى فيوقفكم على سوآتكم ثم يجزيكم
بسوء أعمالكم فقد روى الحرث المحاسبي رحمه الله هذا الحديث في بعض كتبه ثم قال هؤلاء علماء
السوء هم شياطين الإنس وفتنة على الناس رغبوا في عرض الدنيا ورفعتها وآثروها على الآخرة
وأذلوا الدين للدنيا فهم في العاجل عار وشين وفي الآخرة هم الأخسرون فإن قلت فهذه الآفات
ظاهرة ولكن ورد في العلم والوعظ رغائب كثيرة حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن
يهدي الله بك رجلا خير لك من الدنيا وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم أيما داع دعا إلى هدى فاتبع عليه
كان له أجره وأجر من اتبعه إلى غير ذلك من فضائل العلم فينبغي أن يقال للعالم اشتغل بالعلم واترك
مراءاة الخلق كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة لا تترك العمل ولكن أتم العمل وجاهد فاعلم أن فضل العلم

كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والامارة ولا نقول لاحد من عباد الله اترك العلم اذ ليس في نفس العلم افة انما الافة في اظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الاحاديث ولا نقول له ايضا اتركه ما دام يجد في نفسه باعثا دينيا ممزوجا بباعث الريا فاما اذا لم يحركه الا الريا فترك الاظهار انفع له واسلم وكذلك نوافل الصلوات اذ الجزم فيها بباعث الريا وحده تركها اما اذا خطر له وساوس الريا في اثنا الصلوة وهو لها كاره فلا يترك الصلوة لان افة الريا في العبادات ضعيف وانما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم وبالجملة فالمراتب ثلثة الولايات والافات فيها عظيمة وقد تركها جماعة من السلف خوفا من الافة الثانية الصلوة والصوم والحج والغزو وقد تعرض لها اقويا السلف وضعفاؤهم ولم يوثر عنهم الترك لخوف الافة وذلك لضعف الافة الداخلة فيها والقدرة على نفيها مع اتمام العمل لله بادنى قوة الرتبة الثالثة وهي متوسطة بين الرتبتين وهو التصدي لمنصب الوعظ والفتوى والتدريس و… فيها اقل مما في الولايات واكثر مما في الصلوات فالصلوة ينبغي ان لا يتركها الضعيف والقوي ولكن يدفع خاطر الريا والولايات ينبغي ان يتركها الضعفا راسا دون الاقويا ومناصب العلم بينهما ومن جرب افات منصب العلم علم انها بالولايات اشبه وان الحذر منها في حق الضعيف اسلم والله اعلم وهاهنا رتبة رابعة وهي جمع المال واخذه للتفرقة على المستحقين فان في الانفاق واظهار السخا استجلاب الثنا وفي ادخال السرور على قلوب الناس لذة للنفس والافات ايضا فيها كثيرة ولذلك سيل الحسن رحمه الله عن رجل طلب القوت ثم امسك واخر طلب فوق قوته ثم تصدق فقال القاعد افضل لما يعرفون من قلة السلامة في الدنيا وان من الزهد فيها تركها قربة لله تعالى وقال ابو الدردا ما يسرني اني اقمت على درج مسجد دمشق اصيب كل يوم خمسين دينارا اتصدق بها اما اني لا احرم البيع والشرا ولكني اريد ان اكون من الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وقد اختلف العلما في هذا فقال قوم اذا طلب الدنيا من الحلال وسلم منه وتصدق به فهو افضل من ان يشتغل بالعبادات والنوافل وقال قوم الجلوس في دوام ذكر الله تعالى افضل والاخذ والاعطا يشغل عن الله تعالى وقد قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا ليبر تركك لها ابر وقال اقل ما فيه انه يشغله اصلاحه عن ذكر الله وذكر الله افضل واكبر وهذا فيمن يسلم من الافات واما من يتعرض لافة الريا فتركه لها والاشتغال بالذكر لا خلاف في انه افضل وبالجملة ما يتعلق بالخلق وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات والاحب ان يعمل ويدفع الافة فان عجز فلينظر وليجتهد وليستفت قلبه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل عليه نور العلم دون ما يميل اليه الطبع وبالجملة ما يجده اخف على قلبه فهو في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر وقل ما تستلذ بالخير وتميل اليه وان كان لا يبعد ذلك ايضا في بعض الاحوال وهذه امور لا يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات وهو موكول الى اجتهاد القلب لينظر فيه لدينه ويدع ما يريبه الى ما

لا يريبه ثم هاهنا غلط يقع مما ذكرناه غرور الجاهل فيمسك المال ولا ينفقه خيفة من الافة وهو عين البخل ولا خلاف في ان تفرقة المال في المباحات فضلا عن الصدقات افضل من امساكه وانما الخلاف فيمن يحتاج الى الكسب ان الافضل ترك الكسب والانفاق او التجرد للذكر وذلك لما في الكسب من الافات فباي علامة يعرف العالم والواعظ انه صادق مخلص في وعظه غير مريد ريا الناس فاعلم ان لذلك علامات احدها انه لو ظهر من هو احسن منه وعظا واغزر علما منه والناس له اشد قبولا فرح به ولم يحسده نعم لا باس بالغبطة وهو ان يتمنى لنفسه مثل علمه والاخرى ان الاكابر اذا حضروا مجلسه لم يتغير كلامه بل يبقى كما كان عليه فينظر الى الخلق بعين واحدة والاخرى ان لا يحب اتباع الناس له في الطريق والمشي خلفه في الاسواق ولذلك علامات كثيرة يطول احصاؤها وقد روي عن سعيد بن ابي مروان انه قال كنت جالسا الى جنب الحسن اذ دخل علينا الحجاج من بعض ابواب المسجد ومعه الحرس وهو على برذون اصفر فدخل المسجد على برذونه فجعل يلتفت في المسجد حلقه احفل من حلقة الحسن فتوجه نحوها حتى بلغ قريبا منها ثم ثنى وركه فنزل ومشى نحو الحسن فلما راه الحسن متوجها اليه تجافى له عن ناحية مجلسه قال سعيد وتجافيت له ايضا عن ناحية مجلسي حتى صار بيني وبين الحسن فرجة فجا الحجاج فجلس بيني وبينه والحسن يتكلم بكلام له يتكلم به في كل يوم فما قطع الحسن كلامه قال سعيد فقلت في نفسي لابلون الحسن اليوم ولانظرن هل يحمل الحسن جلوس الحجاج اليه ان يزيد في كلامه يتقرب اليه او يحمل الحسن هيبة الحجاج ان ينقص من كلامه فتكلم الحسن كلاما واحدا نحوا مما يتكلم به في كل يوم حتى انتهى الى اخر كلامه فلما فرغ الحسن من كلامه وهو غير مكترث رفع الحجاج يده فضرب بها على منكب الحسن ثم قال صدق الشيخ وبر فعليكم بهذه المجالس واشباهها فاتخذوها حلقا وعادة فانه بلغني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حلق الذكر رياض الجنة ولولا ما حملناه من امر الناس ما غلبتمونا على هذه المجالس لمعرفتنا بفضلها قال ثم افتر الحجاج فتكلم حتى عجب الحسن ومن حضر من بلاغته فلما فرغ طفق فقام فجا رجل من اهل الشام الى مجلس الحسن حيث قام الحجاج فقال عباد الله المسلمين الا تعجبون اني رجل شيخ كبير واني اغزو فاكلف فرسا وبغلا واكلف فسطاطا واني في ثلث مائة درهم من العطا وعلى سبع بنات من العيال فشكا من حاله حتى رق له الحسن واصحابه والحسن مكب فلما فرغ الرجل رفع الحسن راسه فقال ما لهم قاتلهم الله اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا وقتلوا الناس على الدينار والدرهم فاذا غزا عدو الله غزا في الفساطيط الهبابة وعلى البغال السباقة واذا اغزى اخاه اغزاه طاويا راجلا فما فتر الحسن حتى ذكرهم باقبح العيب واشده فقام رجل من اهل الشام كان جالسا الى الحسن فسعى به الى الحجاج وحكى له كلامه فلم يلبث الحسن ان اتته رسل الحجاج فقالوا اجب الامير فقام الحسن واشفقنا عليه من شدة كلامه الذي تكلم به فلم يلبث الحسن ان رجع الى مجلسه

وهو يتبسم وقل ما رأيته فاغرا فاه بضحك انما كان يتبسم فاقبل حتى قعد في مجلسه فعظم الامانة وقال
انما تجالسونا بالامانة كأنكم تظنون ان الخيانة ليست الا في الدينار والدرهم ان الخيانة اشد الخيانة ان
يجالسنا الرجل فنطمئن الى جانبه فينطلق ويسعى الى شكره من الناس اني اتيت هذا فقال
اقصر عليك من لسانك وقولك اذا غزا اعداء الله غزا كذا واذا غزا اخاه اعزى كذا الا بالك
نحرص علينا الناس اما على ذلك لا انتم لتنصحك فاقصر عليك من لسانك فاقد دفعه الله عنه وركب
الحسن حمارا يريد المنزل فبينما هو يسير اذ التفت فرأى قوما يتبعونه فوقف فقال هل لكم من حاجة
او تسألون عن شيء والا فارجعوا فما يبقي هذا من قلب العبد فبهذه العلامات وامثالها يتبين سريرة الباطن
ومهما رأيت العلماء يتغايرون ويتحاسدون ولا يتواسون ولا يتعاونون فاعلم انهم قد اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة فهم الخاسرون **بيان ما يصح من نشاط العبد للعبادة** بسبب رؤية الخلق
وما لا يصح **اعلم** ان الرجل قد يبيت مع القوم في موضع فيقومون للتهجد او يقوم بعضهم فيصلون الليل
كله او بعضه وهو ممن يقوم في بيته ساعة قريبة فاذا رآهم انبعث نشاطه للموافقة حتى يزيد على ما
كان يعتاده او يصلي مع انه كان لا يعتادها اصلا وكذلك قد يقع في موضع يصوم فيه اهل ذلك الموضع فينبعث
له نشاط في الصوم ولولاهم لما انبعث هذا النشاط فهذا ربما يظن انه رياء وان الواجب ترك الموافقة وليس
كذلك على الاطلاق بل له تفصيل لان كل مؤمن راغب في عبادة الله تعالى وفي قيام الليل وصيام النهار ولكن
قد تعوقه العوائق وتمنعه الاشغال ويغلبه التمكن من الشهوات او تستهويه الغفلة فربما يكون
مشاهدة الغير سبب زوال الغفلة او تندفع العوائق والاشغال في بعض المواضع فينبعث النشاط
فقد يكون الرجل في منزله فتقطعه الاسباب عن التهجد مثل تمكنه من النوم على فراش وثير او
تمكنه من التمتع بزوجته او المحادثة مع اهله واقاربه او الاشتغال باولاده او مطالعة حساب له مع
معامليه واذا وقع في منزل غريب اندفعت هذه الاشغال التي تفتر رغبته في الخير وحصلت اسباب باعثة
على الخير كمشاهدته اياهم وقد اقبلوا على الله عز وجل واعرضوا عن الدنيا فانه ينظر اليهم فينافسهم ويشق
عليه ان يسبقوه بطاعة الله عز وجل فيتحرك داعيته للدين لا للرياء او ربما يفارقه النوم لاستنكاره الموضع
او بسبب اخر فيغتنم زوال النوم وفي منزله ربما يغلبه النوم وربما ينضاف اليه انه في منزله على الدوام والنفس لا تسمح
بالتهجد دائما وانما تسمح بالتهجد وقتا قليلا فيكون سبب هذا النشاط مع اندفاع سائر العوائق وقد
يعسر عليه الصوم في منزله ومعه اطايب الاطعمة ويشق عليه الصبر عنها فاذا اعوزته تلك الاطعمة
لم يشق عليه فتنبعث داعية الدين للصوم فان الشهوات الحاضرة عوائق ودوافع تغلب باعث الدين
فاذا غابت سلم عنها وقوي باعث الدين وامثاله من الاسباب يتصور وقوعه ويكون السبب فيه مشاهدة
الناس وكونه معهم والشيطان عند ذلك ربما يصده عن العمل ويقول لا تعمل فتكون مرائيا اذ كنت لا تعمل

في بيتك ولا تزد على صلواتك المعتادة وقد يكون رغبته في الزيادة لاجل رؤيتهم وخوفا من ذمهم ونسبتهم اياه
الى الكسل لا سيما اذا كانوا يظنون به انه يقوم الليل فان نفسه لا تسمح بان يسقط من اعينهم فيريد ان
يحفظ منزلته فعند ذلك قد يقول الشيطان صل فانك مخلص ولست تصلي لاجلهم بل لله وانما
كنت لا تصلي كل ليلة لكثرة العوائق وانما داعيتك لزوال العوائق لا لاطلاعهم وهذا امر مشتبه الا
على ذوي البصائر فاذا عرف ان المحرك هو الرياء فلا ينبغي ان يزيد على ما كان يعتاده ولا ركعة واحدة لانه
يعصي الله تعالى بطلب محمدة الناس بطاعة الله تعالى وان كان انبعاثه لدفع العوائق وتحرك الغبطة والمنافسة
بسبب عبادتهم فليوافق وعلامة ذلك ان يعرض على نفسه انه لو رأى هؤلاء يصلون من حيث لا يرونه بل من
وراء حجاب وهو في ذلك الموضع بعينه هل كانت تسخو نفسه بالصلوة وهم لا يرونه فان سخت به فليصل فان
باعثه الحق وان كان يثقل ذلك على نفسه لو غاب عن اعينهم فليترك فان باعثه الرياء وكذلك قد يحضر
للانسان يوم الجمعة في الجامع من نشاط الصلوة ما لا يحضره كل يوم ويمكن ان يكون ذلك لحب
حمدهم ويمكن ان يكون نشاطه لنشاطهم وزوال غفلته بسبب اقبالهم على الله تعالى
وقد يتحرك بذلك باعث الدين ويقارنه نزوع النفس الى حب المحمدة فمهما علم ان الغالب على قلبه ارادة
الدين فلا ينبغي ان يترك العمل بما يجده من حب الحمد بل ينبغي ان يرد ذلك على نفسه بالكراهة ويشتغل بالعبادة
وكذلك قد يبكي جماعة فينظر اليهم فيحضره البكاء خوفا من الله تعالى لا من الرياء ولو سمع ذلك الكلام لما بكى ولكن
بكاء الناس يؤثر في ترقيق القلب وقد لا يحضره البكاء فيتباكى تارة رياء وتارة مع الصدق اذ يخشى على
نفسه قساوة القلب حين يبكون ولا تدمع عينه فيتباكى تكلفا وذلك محمود وعلامة الصدق فيه ان يعرض
على نفسه انه لو سمع بكاءهم من حيث لا يرونه هل كان يخاف على نفسه القساوة فيتباكى ام لا فان لم يجد ذلك
عند تقدير الاختفاء عن اعينهم فانما خوفه من ان يقال انه قاسي القلب فينبغي ان يترك التباكي
قال لقمن لابنه لا تري الناس انك تخشى الله ليكرموك وقلبك فاجر وكذلك الصيحة والتنفس
والانين يتجاذبها ذلك محمود وقد يقترن به الرغبة لدلالته انه كثير الحزن ليعرف بذلك فان تجرد هذه
الداعية فهي الرياء وان اقترنت بداعية الحزن فان اباها ولم يقبلها وكرهها سلم بكاؤه وتباكيه
وان قبل ذلك وركن اليه بقلبه حبط اجره وضاع سعيه وتعرض لسخط الله تعالى وقد يكون اصل
الانين عن الحزن ولكن يمده ويزيد في رفع الصوت فتلك الزيادة رياء وهو محظور فانها في حكم الابتدا
بمجرد الرياء فقد يهيج من الخوف ما لا يملك العبد معه نفسه ولكن يسبق خاطر الرياء فيقبله فيدعو الى
زيادة تحزين الصوت او رفع له او حفظ الدمعة على الوجه حتى يبصر بعد ان استرسلت لخشية الله
تعالى ولكن يحفظ اثرها على الوجه لاجل الرياء وكذلك قد يسمع الذكر فتضعف قواه من الخوف فيسقط
ثم يستحيي ان يقال انه سقط من غير زوال عقل وحالة شديدة فيزعق ويتواجد تكلفا ليرى انه سقط

لكونه مغشيا عليه وقد كان ابتدا السقط من صدق وقد يزول عقله فيسقط ولكن يفيق سريعا
فيجزع نفسه ان يقال حالته غير ثابتة والغاشي يحكي من خاطف فيستديم الزعقة والرقص ليرى دوام
حاله وكذلك قد يفيق بعد الضعف ولكن يزول ضعفه سريعا فيجزع ان يقال لم تكن
غشيته صحيحة ولو كان لدام ضعفه فيستديم اظهار الضعف والانين فيتكي على غيره ويرى انه يضعف
عن القيام ويتمايل في المشي فهذه كلها مكايد الشيطان ونزغات النفس فاذا خطرت فعلاجها ان يتذكر
ان الناس لو عرفوا نفاقه في الباطن واطلعوا على ضميره لمقتوه فان الله عز وجل مطلع على ضميره وهو له اشد
مقتا كما روي عن الجنيد انه قام وزعق فقام معه شيخ راى فيه اثر التكلف فقال يا شيخ الذي يراك حين
تقوم مجلس الشيخ وكل ذلك من اعمال المنافقين وقد جا في الخبر تعوذوا بالله من خشوع النفاق وانما خشوع
النفاق ان تخشع الجوارح والقلب غير خاشع ومن ذلك الاستغفار والاستعاذة بالله من عذابه وغضبه
فان ذلك قد يكون لخاطر خوف وتذكر ذنب وتندم عليه وقد يكون للمراياة فهذه خواطر ترد
على القلب متضادة مترادفة متقاربة وهي مع تقاربها متشابهة فراقب قلبك في كل ما يخطر لك وانظر ما هو
ومن اين هو فان كان لله فامضه واحذر مع ذلك ان يكون قد خفي عليك شي من الريا الذي هو كدبيب النمل
وكن على وجل من عبادتك اهي مقبولة ام لا لخوفك على الاخلاص فيه واحذر ان يتجدد لك خاطر الركون
الى حمدهم بعد الشروع بالاخلاص فان ذلك مما يكثر جدا فاذا خطر لك فتفكر في اطلاع الله تعالى عليك ومقته
لك وتذكر ما قاله احد الثلثة الذين خاصموا ايوب اذ قال يا ايوب اما علمت ان العبد تضل
عنه علانيته التي كان يخادع بها نفسه ويجزى بسريرته وقول بعضهم اعوذ بك ان ترى الناس اني اخشاك
وانت لي ماقت وكان من دعا الحسن بن علي اللهم اني اعوذ بك ان تحسن في لامعة العيون علانيتي وتقبح لك
فيما اخلو به سريرتي محافظا على ريا الناس من نفسي ومضيعا لما انت مطلع عليه مني ابدي للناس حسن
امري وافضي اليك بسوء عملي تقربا الى الناس بحسناتي وفرارا منهم اليك بسيئاتي فيحل بي مقتك ويجب علي
غضبك اعذني من ذلك يا رب العالمين وقد قال احد الثلثة نفر لايوب عليه السلام الم تعلم ان الذين حفظوا
علانيتهم واضاعوا سرايرهم عند طلب الحاجات الى الرحمن تسود وجوههم فهذه جمل افات الريا فليراقب العبد
قلبه ليقف عليه ففي الخبر ان للريا سبعين بابا وقد عرفت ان بعضه اغمض من بعض حتى ان بعضه مثل دبيب
النملة وبعضه اخفى من دبيب النملة وكيف يدرك ما هو اخفى من دبيب النمل الا بشدة التفقد والمراقبة
وليتنه يدرك بعد بذل المجهود فكيف يطمع في ادراكه من غير تفقد للقلب وامتحان للنفس وتفتيش
عن خدعها **بيان ما ينبغي للمريد ان يلزم نفسه** قبل العمل وبعده وفيه **اعلم** ان اولى ما يلزم
المريد قلبه من اوقاته القناعة بعلم الله تعالى في جميع طاعاته ولا يقنع بعلم الله تعالى الا من لا يخاف
الا الله ولا يرجوا الا الله فاما من جاوز غيره وارتجاه اشتهى اطلاعه على محاسن احواله فان كان في هذه

الرتبة فليلزم قلبه كراهة ذلك من جهة العقل والايمان لما فيه من خطر التعرض للمقت وليراقب نفسه عند
الطاعات العظيمة الشاقة التي لا يقدر عليها غيره فان النفس عند ذلك تكاد تغلي حرصا على اظهار العمل
وتقول مثل هذا العمل العظيم او الخوف العظيم او البكا العظيم لو عرفه الخلق لسجدوا
لك فما في الخلق من يقدر على مثله فكيف ترضى باخفايه فيجهل الناس محلك وينكرون قدرك ويحرمون على
الاقتدا بك ففي مثل هذا الامر ينبغي ان تثبت قدمك وتتذكر في مقابلة عظم عملك عظم ملك الاخرة ونعيم
الجنة ودوامها ابد الاباد وعظم غضب الله تعالى ومقته على من طلب بطاعته ثوابا من عباده وتعلم ان
اظهاره لغيره تحبب اليهم وسقوط عند الله عز وجل واحباط للعمل العظيم فيقول وكيف اتبع مثل هذا العمل
بحمد الخلق وهم عاجزون ولا يقدرون على رزق ولا اجل فيلزم ذلك قلبه ولا ينبغي ان ييأس عنه فيقول انما يقدر
على الاخلاص الاقويا واما المخلطون فليس ذلك من شانهم فيترك المجاهدة في الاخلاص لان المخلط الى ذلك
احوج من المتقي لان المتقي ان فسدت نوافله بقيت فرايضه كاملة تامة والمخلط لا تخلو فرايضه من النقصان
والحاجة الى الجبران بالنوافل فان لم تسلم صار ماخوذا بالفرايض وهلك به فالمخلط الى الاخلاص احوج وقد
روى تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحاسب العبد يوم القيمة فان نقص فرضه قيل انظروا
هل له من تطوع فان كان له تطوع اكمل به فرضه وان لم يكن له تطوع اخذ بطرفيه فالقي في النار فياتي المخلط
يوم القيمة وفرضه ناقص وعليه ذنوب كثيرة فاجتهاده في جبر الفرايض وتكفير السيئات ولا يمكن ذلك
الا بخلوص النوافل واما المتقي فجهده في زيادة الدرجات فان حبط تطوعه بقي من حسناته ما يترجح
على السيئات فيدخل الجنة فاذا فينبغي ان يلزم قلبه خوف اطلاع الله تعالى عليه لتصح نوافله ثم يلزم قلبه ذلك
بعد الفراغ حتى لا يتحدث به ولا يظهره فاذا عمل جميع ذلك فينبغي ان يكون وجلا من عمله خايفا انه ربما
دخله من الريا الخفي ما لم يقف عليه ويكون شاكا في قبوله ورده مجوزا ان يكون الله تعالى قد احصى عليه من
نيته الخفية ما مقته بها ورد عمله بسببها ويكون هذا الشك والخوف في دوام عمله وبعده لا في ابتدا العقد
بل ينبغي ان يكون متيقنا في الابتدا انه مخلص ما يريد بعمله الا الله تعالى وحده حتى يصح عمله فاذا شرع
ومضت لحظة يمكن فيها الغفلة والنسيان كان الخوف من الغفلة عن شايبة خفية احبطت عمله من ريا
او عجب اولى به ولكن يكون رجاؤه اغلب من خوفه لانه استيقن انه دخل بالاخلاص وشك في انه هل افسده
فيكون رجا القبول اغلب وبذلك تعظم لذته في المناجات والطاعات
فالاخلاص يقين والريا شك وخوفه لاجل ذلك الشك جدير بان يكفر خاطر الريا ان كان قد سبق وهو
غافل عنه والذي يتقرب الى الله تعالى بالسعي في حوايج الناس وافادة العلم فينبغي ان يلزم نفسه رجا
الثواب على دخول السرور على قلب من قضى حاجته فقط ورجا الثواب على عمل المتعلم بعلمه فقط دون شكر
ومكافاة وحمد وثنا من العالم والمنعم عليه فان ذلك يحبط الاجر فمهما توقع من المتعلم مساعدة في شغل

وحمله او مرافقه في المشي في الطريق يستكثر باستتباعه او تردده منه في حاجته فقد اخذ اجره فلا ثواب
له غيره نعم ان لم يتوقع هو وان لم يقصد الا الثواب على عمله بعلمه ليكون له مثل اجره ولكن يخدم التلميذ بنفسه
فقبل خدمته فرجوا ان لا يحبط اجره اذا كان لا ينتظره ولا يريده منه ولا يستبعده منه لو قطعه ومع هذا
فقد كان العلماء يحذرون ذلك حتى ان بعضهم وقع في بير فجاء قوم فادلوا الحبل لياخذوه فحلف عليهم ان لا يقف معهم من
قرا عليه اية من القران او سمع منه حديثا خيفة من ان يحبط اجره وقال شقيق البلخي اهدينا لسفين
الثوري ثوبا فرده علي فقلت له يا ابا عبد الله لست انا ممن يسمع الحديث حتى ترده علي قال اعلمت ذلك ولكن اخوك
يسمع مني الحديث فاخاف ان يلين قلبي لاخيك اكثر مما يلين لغيره وجاء رجل الى سفين ببدرة او ببدرتين
وكان ابوه صديقا لسفين وكان سفين ياتيه كثيرا فقال له يا ابا عبد الله في نفسك من ابي شي قال يرحم الله اباك
كان وكان فاثنى عليه قال فقال يا ابا عبد الله قد عرفت كيف صار الي هذا المال فاحب ان تاخذ هذه
تستعين بها على عيالك قال فقبل سفين ذلك فلما خرج قال سفين لولده يا مبارك الحقه فرده علي فرجع فقال
احب ان تاخذ مالك فلم يزل حتى رده عليه وكانه كانت اخوته مع ابيه في الله تعالى فكره ان ياخذ ذلك قال ولده
فلما خرج لم املك نفسي ان جئت اليه فقلت له ويلك اي شي هذا اليس لك عيال اما ترحمني اما ترحم اخوتك اما ترحم
عيالنا فاكثرت عليه فقال يا مبارك تاكلها هنيا واسال انا عنها فاذا يجب على العالم ان يلزم قلبه طلب حمد الله
تعالى وثوابه ونيل المنزلة عنده لا عند المتعلم وعند الخلق وربما يظن انه ان يرائي بطاعته لينال عند
المعلم رتبة فيتعلم منه وهو خطا لان ارادته بطاعته غير الله تعالى خسران في الحال والعلم ربما يفيد
وربما لا يفيد فكيف يخسر في الحال عملا نقدا على توهم علم وذلك غير جائز بل ينبغي ان يتعلم لله عز وجل ويعبد
لله تعالى ويخدم المعلم لله تعالى لا ليكون له في قلبه منزلة وان كان يريد ان يكون تعلمه طاعة فان العباد امروا
ان لا يعبدوا الا الله وحده ولا يريدوا بطاعته غيره وكذلك لا يخدم ابويه لا ينبغي ان يخدم لطلب المنزلة عندهما
الا من حيث ان رضا الله في رضا ابويه ولا يجوز له ان يرائي بطاعته لينال به منزلة عند الوالدين فان ذلك
معصية في الحال وسيكشف الله تعالى عن ريائه وتسقط منزلته من قلب الوالدين ايضا واما الزاهد المعتزل
عن الناس فينبغي ان يلزم قلبه ذكر الله تعالى والقناعة بعلمه ولا يخطر بقلبه معرفة الناس زهده
واستعظامهم لمحله فان ذلك يغرس الريا في صدره حتى يتيسر عليه العبادات في خلوته به وانما سلوته
في معرفة الناس باعتزاله واستعظامهم لمحله وهو لا يدري انه المخفف للعمل عليه وقال
ابرهيم بن ادهم تعلمت المعرفة من راهب يقال له سمعان دخلت عليه في صومعته فقلت يا سمعان منذ كم
انت في صومعتك قال منذ سبعين سنة قلت فما طعامك قال يا حنيفي ما دعاك الى هذا فقلت
احببت ان اعلم قال في كل ليلة حمصة قلت فما الذي يهيج من قلبك حتى تكفيك هذه الحمصة قال اترى الدير الذي
بحذائك قلت نعم قال انهم ياتوني في كل سنة يوما واحدا يزينون صومعتي ويطوفون حولها يعظموني فكلما تثاقلت

نفسي عن العبادة ذكرتها عز تلك الساعة فانا احتمل جهد سنة لعز ساعة فاحتمل يا حنيفي جهد ساعة لعز
الابد فوقر في قلبي المعرفة فقال احسبك او اريك قلت بلى قال انزل عن الصومعة فنزلت فادلى الي ركوة فيها
عشرون حمصة فقال لي ادخل الدير فقد راوا ما ادليته اليك فلما دخلت الدير اجتمع النصارى
فقالوا يا حنيفي ما الذي ادلى اليك الشيخ قلت من قوته قالوا وما تصنع به نحن احق به قالوا ساوم قلت عشرين
دينارا فاعطوني عشرين دينارا فرجعت الى الشيخ فقال يا حنيفي ما الذي صنعت قلت بعته منهم قال بكم قلت
بعشرين دينارا قال اخطات لو ساومتهم بعشرين الف دينار لاعطوك هذا عز من لا يعبده فانظر كيف يكون
عز من يعبده يا حنيفي اقبل على ربك ودع الذهاب والقصه والمقصود ان استشعار النفس عز العظمة
في القلوب يكون باعثا في الخلوة وقد لا يشعر العبد به فينبغي ان يلزم نفسه الحذر منه وعلامة
سلامته ان يكون الخلق عنده والبهائم بمثابة فلو تغيروا له عن اعتقادهم لم يجزع ولم يضق به ذرعا الا
كراهة ضعيفة ان وجدها في قلبه فيردها في الحال بعقله وايمانه وانه لو كان في عبادة فاطلع الناس كلهم عليه
لم يزده ذلك خشوعا ولم يداخله سرور بسبب اطلاعهم فان داخله سرور يسير فهو دليل ضعفه
ولكن اذا قدر على رده بكراهة العقل والايمان وبادر الى ذلك ولم يقبل السرور بالركون اليه فيرجى له ان لا يخيب
سعيه الا ان يزيد عند مشاهدتهم في الخشوع والانقباض كيلا ينبسطوا اليه فذلك لا باس به ولكن فيه
غرور اذ النفس قد يكون شهوتها الخفية اظهار الخشوع وتتعلل بطلب الانقباض فليطالبها في دعواه
قصد الانقباض بموثق من الله تعالى غليظ وهو انه لو علم ان انقباضهم عنه انما يحصل بان يعدو سريعا
وياكل كثيرا او يضحك فتسمح نفسه بذلك فاذا لم تسمح به وتسمح بالعبادة فيشبه ان يكون مراده المنزلة
عندهم ولا ينجو من ذلك الا من تقرر في قلبه انه ليس في الوجود احد سوى الله تعالى فيعمل عمل من لو كان
على وجه الارض وحده لكان يعمله فلا يلتفت قلبه الى الخلق الا خطرات ضعيفة لا يشق عليه ازالتها فاذا
كان كذلك لم يتغير بمشاهدة الخلق ومن علامات الصدق فيه انه لو كان له صاحبان احدهما غني والاخر فقير فلا
يجد عند اقبال الغني زيادة هزة في نفسه لاكرامه الا اذا كان في الغني زيادة علم او زيادة ورع فيكون
مكرما له بذلك الوصف لا بالغنى فمن كان استرواحه الى مشاهدة الاغنياء اكثر فهو مراء او طماع والا فالنظر
الى الفقراء يزيد في رغبة الاخرة ويحبب الى القلب المسكنة والنظر الى الاغنياء بخلافه فكيف يستروح
بالغني اكثر مما يستروح الى الفقير وقد حكي ان الاغنياء لم يكونوا في مجلس اذل منهم في مجلس الثوري
كان يجلسهم وراء الصف ويقدم الفقراء حتى كانوا الاغنياء يتمنون انهم فقراء في مجلسه نعم لك زيادة اكرام
للغني اذا كان اقرب اليك او كان بينك وبينه حق او صداقة سابقة ولكن يكون بحيث لو وجدت تلك
العلاقة في فقير لكنت لا تقدم الغني عليه في اكرام وتوقير البتة فان الفقير اكرم على الله تعالى من الغني
فايثارك له لا يكون الا طمعا وريا ثم اذا سويت بينهما في المجالسة فيخشى عليك ان تظهر الحكمة والخشوع

للغنى اكثر مما تظهره للفقير وانما ذلك لرياء خفي او طمع خفي كما قال ابن السماك لجارية له ما لي اذا اتيت بغداد
فتحت لي الحكمة قالت الطمع يشحذ لسانك وقد صدقت فان اللسان ينطلق عند الغني بما لا ينطلق
به عند الفقير وكذلك يحضر من الخشوع عنده ما لا يحضر عند الفقير ومكايد النفس وخباياها في هذا الفن
لا تنحصر ولا ينجيك منها الا ان تخرج ما سوى الله تعالى من قلبك وتتجرد للشفقة على نفسك بقية عمرك
ولا ترضى لها بالنار بسبب شهوات منغصة في ايام متقاربة منقضية وتكون في الدنيا كملك
من ملوك الدنيا قد امكنته الشهوات وساعدته اللذات ولكن في بدنه سقم هو يخاف الهلاك في كل ساعة
على نفسه ان اتسع في الشهوات وعلم انه لو احتمى وجاهد فيه شهوته عاش ودام ملكه فلما عرف ذلك
جالس الاطباء وحارف الصيادلة وعود نفسه شرب الادوية المرة وصبر على بشاعتها وهجر جميع اللذات
وصبر في مفارقتها فبدنه كل يوم يزداد نحولا لقلة اكله ولكن سقمه كل يوم يزداد نقصانا لشدة احتمائه
فمهما نازعته نفسه الى شهوة تفكر في توالي الالام والاوجاع وادى ذلك الى الموت المفرق بينه وبين مملكته
الموجب لشماتة اعدائه ومهما اشتد عليه شرب دواء تفكر فيما يستفيده منه من الشفاء الذي هو سبب
التمتع بملكه ونعيمه في عيش هني وبدن صحيح وقلب رخي وامر نافذ فيخف عليه مهاجرة اللذات ومصابرة
المكروهات فكذلك المؤمن المريد لملك الاخرة احتمى عن كل مهلك له في اخرته وهي لذات الدنيا
وزهرتها فاجتزى منها بالقليل واختار النحول والذبول والوحشة والحزن والخوف وترك المؤانسة بالخلق
خوفا من ان يحل عليه غضب الله تعالى فيهلك ورجاء ان ينجو من عذابه فخف ذلك كله عليه عند شدة يقينه
وايمانه بعاقبة امره وبما اعد له من النعيم المقيم في رضوان الله تعالى ابد الاباد ثم علم ان الله تعالى كريم رحيم
لم يزل لعباده المريدين لمرضاته عونا وبهم رؤفا وعليهم عطوفا ولو شاء لاغناهم عن التعب والنصب ولكن
اراد ان يبلوهم ويعرف صدق ارادتهم حكمة منه وعدلا ثم اذا تحمل التعب في بدايته اقبل الله تعالى عليه بالمعونة
والتيسير وحط عنه الاعباء وسهل عليه الصبر وحبب اليه الطاعة ورزقه فيها من لذة المناجاة ما يلهيه
به عن سائر اللذات ويقويه على اماتة الشهوات ويتولى سياسته وتقويته وامده بمعونته فان الكريم
لا يضيع امل الراجي ولا يخيب امل المحب وهو الذي يقول من تقرب الي شبرا تقربت اليه ذراعا
ويقول لقد طال شوق الابرار الى لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا فليظهر العبد في البداية صدقه
واخلاصه فلا يعوزه من الله تعالى على القرب ما هو اللايق بجوده وكرامته ورأفته ورحمته وصلى الله على محمد
وعلى اله وسلم تسليما تم كتاب ذم الجاه والرياء من كتاب احيا علوم الدين وهو
الكتاب الثامن من ربع المهلكات يتلوه التاسع وهو كتاب ذم الكبر والعجب من ربع المهلكات
ان شاء الله تعالى

وهو الكتاب التاسع من كتاب احياء

كتاب ذم الكبر والعجب

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم تسليما كثيرا
الحمد لله الخالق البارئ المصور العزيز الجبار المتكبر العلي الذي لا يضعه عن مجده واضع الجبار الذي لا يدافعه
عن مراده دافع الغني الذي ليس له في ملكه شريك ولا منازع القادر الذي بهر ابصار الخلائق جلاله وبهاؤه وقهر
العرش المجيد استواؤه واستعلاؤه واستيلاؤه وحصر السن الانبياء وصفه وثناؤه وارتفع عن حد قدرتهم
احصاؤه واستقصاؤه واعترف بالعجز عن وصف كنه جلاله ملائكته وانبياؤه وكسر ظهر الاكاسرة عزه
وعلاؤه وقصر ايدي القياصرة عظمته وكبرياؤه فالعظمة ازاره والكبرياء رداؤه ومن نازعه فيهما قصمه بداء
الموت فاعجزه دواؤه جل جلاله وتقدست اسماؤه والصلوة على محمد الذي انزل معه النور
المنتشر ضياؤه حتى اشرقت بنوره اكناف العالم وارجاؤه وعلى اله واصحابه الذين هم احباء الله واولياؤه
وخيرته واصفياؤه وسلم كثيرا اما بعد فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله العظيم
العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما قصمته وقال ثلث مهلكات والمتكبر والمعجب سقيمان مريضان
وهما عند الله تعالى ممقوتان بغيضان واذا كان القصد في هذا الربع من كتب احيا علوم الدين شرح المهلكات
وجب ايضاح الكبر والعجب فانهما من قبايح المرديات ونحن نستقصي بيانهما من الكتاب في شطرين شطر في
الكبر وشطر في العجب الشطر **الاول** من الكتاب في الكبر وفيه بيان ذم الكبر وبيان ذم الاختيال
وبيان فضل التواضع وبيان حقيقة الكبر وافته وبيان من يتكبر عليه ودرجات الكبر وبيان ما فيه التكبر
وبيان البواعث على التكبر وبيان اخلاق المتواضعين وما فيه ما يظهر التكبر وبيان علاج الكبر وبيان امتحان
النفس في خلق الكبر وبيان المحمود من خلق التواضع والمذموم منه **بيان** ذم الكبر قد ذم الله تعالى
الكبر في مواضع من كتابه وذم كل جبار متكبر فقال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وقال
تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار وقال تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر ولا يدخل النار رجل في قلبه مثقال
حبة من ايمان وقال ابو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى الكبرياء ردائي
والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم وعن ابي سلمة بن عبد الرحمن التقى عبد الله بن عمرو وعبد الله
بن عمر على المروة فتواقفا فمضى ابن عمرو واقام ابن عمر فبكى فقالوا ما يبكيك يا ابا عبد الرحمن قال هذا يعني عبد الله
بن عمرو زعم انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر اكبه الله
تعالى في النار على وجهه وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يزال الرجل يذهب بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه
ما اصابهم من العذاب وقال سليمان بن داود عليهما السلام للطير والانس والجن والبهايم اخرجوا
فخرجوا في مائتي الف من الانس ومائتي الف من الجن فرفع حتى سمع زجل الملائكة بالتسبيح في السموات ثم خفض
حتى مست قدمه البحر فسمع صوتا لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعته وقال

صلى الله عليه وسلم يخرج من النار عنق لها اذنان تسمعان وعينان تبصران ولسان ينطق يقول وكلت بثلثة
بكل جبار عنيد وبكل من دعى مع الله الها اخر وبالمصورين وقال لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيء الملكة
وقال صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار اوثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا
يدخلني الا ضعفا الناس وسقطهم وعجزهم فقال الله تعالى للجنة انما انت رحمتي ارحم بك من
اشا من عبادك وقال للنار انما انت عذابي اعذب بك من اشا ولكل واحدة منكما ملؤها وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم بيس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بيس العبد عبد تجبر واختال ونسي الكبير المتعال
بيس العبد عبد سهى ولهى ونسي المقابر والبلى بيس العبد عبد عتى وبغى ونسي المبدا والمنتهى وعن ثابت
قال بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت وقال
عبد الله بن عمرو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة دعا ابنيه وقال اني امركما
باثنتين وانهاكما عن اثنتين انهاكما عن الشرك والكبر وامركما بلا اله الا الله فان السموات والارض وما فيهن لو وضعت
في كفة الميزان ووضعت لا اله الا الله في الكفة الاخرى كانت ارجح منهما ولو ان السموات والارض وما فيهما كانتا حلقة
فوضعت لا اله الا الله عليهما لقصمتهما وامركما بسبحان الله وبحمده فانها صلوة كل شيء وبها يرزق كل شيء وقال
عيسى صلى الله عليه وسلم طوبى لمن علمه الله كتابه ثم لم يمت جبارا وقال النبي صلى الله عليه وسلم اهل النار كل جعظري
جواظ مستكبر جماع مناع واهل الجنة الضعفا المقلون وقال صلى الله عليه وسلم ان احبكم الينا واقربكم
منا في الاخرة احاسنكم اخلاقا وان ابغضكم الينا وابعدكم منا الثرثارون المتشدقون المتفيهقون قالوا يا رسول الله
قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون قال المتكبرون وقال صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون يوم
القيمة ذرا في مثل صور الرجال يعلوهم كل شيء من الصغار ثم يساقون الى سجن في جهنم يقال له بولس يعلوهم نار
الانيار يسقون من طين الخبال عصارة اهل النار وقال ابو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يحشر المتكبرون
والمتجبرون يوم القيمة في صور الذر يطاهم الناس لهوانهم على الله تعالى وعن محمد بن واسع قال دخلت على بلال
بن ابي بردة فقلت له يا بلال ان اباك حدثني عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في جهنم واديا يقال
له هبهب حق على الله ان يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه وقال صلى الله عليه وسلم ان في النار
قصرا يجعل فيه المتكبرون ويطبق عليهم وقال صلى الله عليه وسلم اللهم اني اعوذ بك من نفخة
الكبريا وقال من فارق روحه جسده وهو بري من ثلث دخل الجنة الكبر والدين والغلول **الاثار** قال ابو بكر
الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله تعالى كبير وقال وهب لما خلق الله تعالى
جنة عدن نظر اليها فقال انت حرام على كل متكبر وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب بن الزبير على سريره فجا
يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم
يتكبر وهو قد خرج من مجرى البول مرتين وقال الحسن العجب لابن ادم يغسل الخرء بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر

يعارض جبار السموات وقد قيل في انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط والبول وقال محمد بن حسين بن علي
رضي الله عنهم ما دخل قلب امرئ شيء من الكبر قط الا نقص من عقله بقدر ما دخل من ذلك قل او كثر وسئل سلمان
عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة فقال الكبر وقال النعمن بن بشير على المنبر ان للشيطان
مصاليا وفخوخا وان من مصاليه وفخوخه البطر بانعم الله تعالى والفخر باعطا الله عز وجل والكبر على عباد الله واتباع
الهوى في غير ذات الله **بيان ذم الاختيال** واظهار اثار الكبر في المشي وجر الثياب قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا ينظر الله الى رجل يجر ازاره بطرا وقال صلى الله عليه وسلم بينا رجل يتبختر في بردية قد
اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيمة وقال زيد بن اسلم دخلت على
بن عمر ومر به عبد الله بن واقد وعليه ثوب جديد فسمعته يقول اي بني ارفع ازارك فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول لا ينظر الله الى من جر ازاره خيلاء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بزق يوما على
كفه ووضع اصبعه عليه وقال يقول الله تعالى ابن ادم اتعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك وعدلتك
مشيت بين بردتين وللارض منك وئيد جمعت ومنعت حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق وانى اوان الصدقة وقال
النبي صلى الله عليه وسلم اذا مشت امتي المطيطا وخدمتهم فارس والروم سلط بعضهم على بعض قال ابن الاعرابي
هي مشية فيها اختيال وقال صلى الله عليه وسلم من تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
الاثار عن ابي بكر الهذلي قال بينما نحن مع الحسن اذ مر علينا ابن الاهتم يريد المقصورة وعليه جباب خز
قد نضد بعضها فوق بعض على ساقه وانفرج عنها قباؤه وهو يمشي يتبختر اذ نظر اليه الحسن نظرة فقال
اف اف شامخ بانفه ثاني عطفه مصعر خده اي حميق انت تنظر في عطفيك في نعم غير مشكورة ولا مذكورة غير
الماخوذ بامر الله تعالى فيها ولا المودى حق الله تعالى منها والله ان يمشي احدكم طبيعته ان يتخلج تخلج المجنون
في كل عضو من اعضايه لله نعمة وللشيطان به لعنة فسمع ابن الاهتم فرجع يعتذر اليه فقال لا تعتذر الي وتب الى
ربك اما سمعت قول الله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا ومر بالحسن
شاب عليه بزة له حسنة فدعاه فقال ابن ادم معجب بشبابه معجب بجماله كان القبر قد وارى بدنك وكانك
قد لاقيت عملك ويحك داو قلبك فان حاجة الله تعالى الى العباد صلاح قلوبهم وروي ان عمر بن عبد العزيز حج
قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه ثم قال
ليس هذه مشية من في بطنه خرء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو مني على هذه المشية حتى
تعلمتها وراى محمد بن واسع ولده يختال فدعاه فقال اتدري من انت اما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما
ابوك فلا كثر الله في المسلمين مثله وراى ابن عمر رجلا يجر ازاره فقال ان للشيطان اخوانا كررها مرتين او ثلثا ويروى
ان مطرف بن عبد الله الشخير راى المهلب وهو يتبختر في جبة له فقال يا عبد الله هذه مشية يبغضها الله
فقال له المهلب اما تعرفني قال بلى اعرفك اولك نطفة قذرة واخراك جيفة نتنة وتحمل بين جنبيك

عزره ممضى المهلب وترك مشيته تلك وقال مجاهد ذهب الى اهله يتمطى يتبختر واذ ذكرنا ذم الكبر والاختيال
فلنذكر فضيلة التواضع

بيان فضيلة التواضع

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله عبدا بعفو
الا عزا وما تواضع احد لله الا رفعه الله وقال صلى الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه
حكمه يمسكانه فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع نفسه قالا اللهم ارفعه وقال صلى الله عليه
وسلم طوبى لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه
والحكمة وعن ابي سلمة المديني عن ابيه عن جده قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندنا وكان صايما فاتيناه
بقدح من لبن وجعلنا فيه شيا من عسل فلما رفعه وذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله جعلنا
فيه شيا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه
الله ومن بذر افقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان في نفر من اصحابه في بيته
ياكلون فقام سايل على الباب وبه زمانة تتكره منها فاذن له فلما دخل اجلسه رسول الله صلى الله عليه
وسلم على فخذه ثم قال له اطعم فكان رجلا من قريش اشمأز منه وكرهه فما مات ذلك الرجل حتى كانت به زمانة مثلها
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرني ربي بين امرين عبدا رسولا او ملكا نبيا فلم ادر ايهما اختار وكان صفيي من الملايكة
جبريل فرفعت راسي فقال تواضع لربك فقلت عبدا رسولا واوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام انما اقبل صلوة
من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي والزم قلبه خوفي وقطع النهار بذكري وكف نفسه عن الشهوات من اجلي
وقال صلى الله عليه وسلم الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنا وقال عيسى عليه السلام طوبى للمتواضعين
في الدنيا هم اصحاب المنابر يوم القيمة طوبى للمصلحين بين الناس في الدنيا هم الذين يرثون الفردوس يوم القيمة طوبى
للمطهرة قلوبهم في الدنيا الذين ينظرون الى الله عز وجل يوم القيمة وقال بعضهم بلغني ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا هدى الله عبدا للاسلام وحسن صورته وجعله في موضع غير شاين له ورزقه مع ذلك تواضعا
فذلك من صفوة الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اربع لا يعطيهن الله الا من يحب الصمت وهو اول العبادة والتوكل
على الله والتواضع لله والزهد في الدنيا وقال ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد رفعه
الله الى السما السابعة وقال صلى الله عليه وسلم ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا يرحمكم
الله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يطعم فجا اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد الا قام
من جنبه فاجلسه النبي صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال صلى الله عليه وسلم انه ليعجبني ان يحمل الرجل الشي بيده
يكون مهنة لاهله يدفع به الكبر عن نفسه وقال صلى الله عليه وسلم لاصحابه ما لي لا ارى عليكم حلاوة العباده
قالوا وما حلاوة العباده قال التواضع وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المتواضعين من امتي فتواضعوا لهم واذا
رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم فان ذلك لهم مذلة وصغار

الاثار قال عمر رضي الله عنه ان العبد اذا تواضع لله
رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله واذا تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض فقال الخسا خسا الله فهو في
نفسه كبير

نفسه كبير وفي اعين الناس حقير حتى انه لاحقر عندهم من الخنزير وقال جرير بن عبد الله انتهيت مرة الى
شجرة تحتها رجل نايم قد استظل بنطع له وقد جاوزت الشمس النطع فسويته عليه ثم ان الرجل استيقظ
فاذا هو سلمان الفارسي فذكرت له ما صنعت فقال لي يا جرير تواضع لله في الدنيا فانه من
تواضع لله في الدنيا رفعه الله يوم القيمة يا جرير اتدري ما ظلمة النار يوم القيمة قلت لا قال فانه
ظلم الناس بعضهم بعضا في الدنيا وقالت عايشة رضي الله عنها انكم لتغفلون عن افضل العبادة التواضع من كثرة
الاجتهاد وقال الفضيل وقد سيل عن التواضع هو ان تخضع للحق وتنقاد له ولو سمعته من صبي قبلته منه
ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وقال ابن المبارك راس التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة
الدنيا حتى تعلمه ان ليس لك بدنياك عليه فضلا وان ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه ليس
له بدنياه عليك فضلا وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع
فيه كان عليه وبالا يوم القيمة وقيل اوحى الله الى عيسى عليه السلام اذا انعمت عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة
اتممها عليك وقال كعب ما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فشكرها لله وتواضع بها لله الا اعطاه الله نفعها في
الدنيا ورفع له بها درجة في الاخرة وما انعم الله على عبد من نعمة في الدنيا فلم يشكرها ولم يتواضع بها لله الا منعه
الله نفعها في الدنيا وفتح له طبقا من النار يعذبه ان شا او يتجاوز عنه وقيل لعبد الملك بن مروان اي الرجال افضل
قال من تواضع عن قدرة وزهد عن قدرة وترك النصرة عن قوة ودخل ابن السماك على هرون فقال
يا امير المومنين ان تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك فقال ما احسن ما قلت فقال يا امير المومنين ان امرا اتاه
الله جمالا في خلقته ومنصبا في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى في ماله وتواضع في حسبه
كتب في ديوان الله من خالص الله فدعا هرون بدواة وقرطاس وكتبه بيده وكان سليمن بن داود صلوات الله عليهما
اذا اصبح تصفح وجوه الاغنيا والاشراف حتى يجي الى المساكين فيقعد معهم ويقول مسكين مع مساكين وقال
بعضهم كما تكره ان يراك الاغنيا في الثياب الدون فكذلك اكره ان يراك الفقرا في الثياب المرتفعة ويروى انه
خرج يونس وايوب والحسن يتذاكرون التواضع فقال لهما الحسن اتدرون ما التواضع التواضع ان تخرج
من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال مجاهد ان الله تعالى لما اغرق قوم نوح شمخت الجبال وتطاولت
وتواضع الجودي فرفعه الله تعالى فوق الجبال وجعل السفينة عليه وقال ابو سليمن ان الله تعالى
اطلع على قلوب الادميين فلم يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه منهم بالكلام وقال يونس
بن عبيد وقد انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي ويقال ارفع
ما يكون المومن عند الله تعالى اوضع ما يكون عند نفسه واوضع ما يكون عند الله تعالى ارفع ما يكون عند نفسه
وقال زياد النميري الزاهد بغير تواضع كالشجرة التي لا تثمر وقال مالك بن دينار لو ان مناديا ينادي بباب
المسجد ليخرج شركم رجلا والله ما كان يسبقني احد الى الباب الا رجل بفضل قوة او سعي قال فلما بلغ ابن المبارك

فوله قال بهذا صار بلك ملكا وقال الفضيل من احب الرياسه لم يفلح ابدا وقال موسى بن القاسم كانت عندنا زلزله
وريح حمرا فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت له يا با عبد الله انت امامنا فادع الله لنا فبكى ثم قال يا ليتنى لم اكن سبب
هلاككم قال فرايت النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فقال ان الله دفع عنكم بدعا محمد بن مقاتل
وجا رجل الى الشبلى فقال له ما انت وكان هذا دابه وعادته فقال له انا النقطه التى تحت البا فقال له الشبلى
ابا دك الله شاهدك او تجعل لنفسك مكانا وقال الشبلى فى بعض كلامه ذلى عطل ذل اليهود
ويقال من راى لنفسه قيمه فليس له من التواضع نصيب وعن الفتح بن شخرف قال رايت على بن ابى طالب
رضى الله عنه فى المنام فقلت له يا با الحسن عظنى فقال ما احسن التواضع بالاغنيا فى مجالس الفقرا رغبة فى ثواب
الله عز وجل واحسن من ذلك تيه الفقرا على الاغنيا ثقة منهم بما عند الله تعالى وقال ابو سليمن لا يتواضع
العبد حتى يعرف نفسه وقال ابو يزيد ما دام العبد يظن ان فى الخلق من هو شر منه فهو متكبر قيل فمتى يكون متواضعا
فقال اذا لم ير لنفسه مقاما ولا حالا وتواضع كل انسان على قدر معرفته بربه جل وعز ومعرفته بنفسه وقال
ابو سليمن لو اجتمع الخلق على ان يضعونى كاتضاعى عند نفسى ما قدروا عليه وقال عروه بن الورد التواضع
احد مصايد الشرف وكل ذى نعمة محسود عليها صاحبها الا التواضع وقال يحيى بن خالد البرمكى
الشريف اذا تنسك تواضع والسفيه اذا تنسك تعاظم وقال يحيى بن معاذ التكبر على ذى التكبر عليك بماله
تواضع ويقال التواضع فى الخلق كلهم حسن وفى الاغنيا احسن والكبر فى الخلق كلهم قبيح وفى الفقرا اقبح
ويقال لا عز الا لمن تذلل لله تعالى ولا رفعه الا لمن تواضع لله ولا امن الا لمن خاف الله ولا ربح الا لمن ابتاع نفسه
من الله عز وجل وقال ابو على الجوزجانى النفس معجونة بالكبر والحرص والحسد فمن اراد الله تعالى هلاكه
منع منه التواضع والنصيحة والقناعة واذا اراد الله به خيرا فاذا هاجت فى نفسه ادركتها النصيحه مع
توفيق الله عز وجل واذا هاجت فى نفسه نار الحرص ادركتها القناعة مع عون الله تعالى وعن الجنيد انه كان
يقول يوم الجمعه فى مجلسه لولا انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال يكون فى اخر الزمان زعيم القوم ارذلهم ٣٠
ما تكلمت عليكم وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد تكبر ولعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها
والموحد لا يثبت نفسه ولا يرى لها شيا حتى يضعها او يرفعها وعن عمر بن شيبة قال كنت بمكه بين الصفا
والمروة فرايت رجلا راكبا بغلة وبين يديه غلمان واذا هم يعنفون الناس قال ثم عدت بعد حين فدخلت
بغداد فكنت على الجسر فاذا انا برجل حاف حاسر طويل الشعر قال فجعلت انظر اليه واتامله فقال لى ما لك
تنظر الى فقلت له شبهتك برجل رايته بمكة ووصفت له الصفة فقال انا ذلك الرجل فقلت ما فعل الله بك ٦
فقال انى ترفعت فى موضع يتواضع فيه الناس فوضعنى الله حيث يترفع فيه الناس وقال
المغيرة كنا نهاب ابرهيم النخعى هيبة الامير وكان يقول ان زمانا صرت فيه فقيه الكوفه لزمان سوء وكان عطا
السلمى اذا سمع صوت الرعد قام وقعد واخذه بطنه كانه امراه ماخض وقال هذا من اجلى يصيبكم لو مات عطا

لاستراح الناس وكان بشر الحافى يقول سلموا على ابنا الدنيا بترك السلام عليهم ودعا رجل لعبد الله بن المبارك
فقال اعطاك الله ما ترجوه فقال ان الرجا يكون بعد المعرفه واين المعرفه وتفاخرت قريش
عند سلمان رضى الله عنه يوما فقال سلمان لكنى خلقت من نطفه قذره ثم اعود جيفه منتنه
ثم الى الميزان فان ثقل فانا كريم وان خف فانا لئيم وقال ابو بكر رضى الله عنه وجدنا الكرم فى التقوى والغنى فى
اليقين والشرف فى التواضع **بيان حقيقة الكبر وآفته** اعلم ان الكبر ينقسم الى ظاهر وباطن
فالباطن هو خلق فى النفس والظاهر هو اعمال تصدر من الجوارح واسم الكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها
ثمرات لذلك الخلق وخلق الكبر موجب للاعمال ولذلك اذا ظهر على الجوارح يقال تكبر واذا لم يظهر يقال فى نفسه
كبر فالاصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون الى روية النفس فوق المتكبر عليه فان الكبر يستدعى
متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن العجب كما سياتى فان العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم
يخلق الانسان الا وحده تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو يرى
نفسه فوق ذلك الغير فى صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا ولا يكفى ان يستعظم نفسه ليكون متكبرا فانه قد
يستعظم نفسه ولكن يرى غيره اعظم من نفسه او مثل نفسه فلا يتكبر عليه ولا يكفى ان يستحقر غيره فانه
مع ذلك لو راى نفسه احقر لم يتكبر ولو راى غيره مثل نفسه لم يتكبر بل ينبغى ان يرى لنفسه مرتبه ولغيره
مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلث يحصل فيه خلق الكبر لا ان هذه الرويه
هى الكبر بل هذه الرويه وهذه العقيده تنفخ فيه فيحصل فى قلبه اعتداد وهزة وفرح وركون الى ما اعتقده
وعز فى نفسه بسبب ذلك فتلك العزة والهزة والركون الى المعتقد هو خلق الكبر ولذلك قال
النبى صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبريا ولذلك قال عمر رضى الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا
للذى استاذنه ان يعظ بعد صلوة الصبح وكان الانسان مهما راى نفسه بهذه العين وهو الاستعظام تكبر وانتفخ
وتعزز فالكبر عبارة عن الحالة الحاصلة فى النفس من هذه الاعتقادات وتسمى ايضا عزة وتعظما
ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنه فى قوله تعالى ان فى صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه قال عظمة لم
يبلغوها فتسمى الكبر بتلك العظمة ثم هذه العزة تقتضى اعمالا فى الظاهر والباطن هى ثمراته ويسمى ذلك تكبرا فانه
مهما عظم عنده قدره بالاضافة الى غيره حقر من دونه وازدراه واقصاه عن نفسه وترفع عن مجالسته ومواكلته
وراى ان حقه ان يقوم ماثلا بين يديه ان اشتد كبره فان كان اشد من ذلك استنكف عن استخدامه ولم يجعله
اهلا للقيام بين يديه ولا لخدمه عتبته فان كان دون ذلك فيانف عن مساواته ويتقدم عليه فى مضايق الطرق
وارتفع عليه فى المحافل وانتظر ان يبداه بالسلام واستبعد ان قصر فى قضاء حوايجه وتعجب منه وان حاج او ناظر
انف ان يرد عليه وان وعظ استنكف من القبول وان وعظ عنف فى النصح وان رد عليه شى من قوله غضب
وان علم لم يرفق بالمتعلمين واستذلهم وانتهرهم وامتن عليهم واستخدمهم وينظر الى العامة كانه ينظر

الى الجميع استحمارًا لهم واستحقارًا والاعمال الصادرة من خلق الكبر كثيرة وهي اكثر من ان تحصى فلا حاجة الى احصائها
فانها مشهورة فهذا هو الكبر وآفته عظيمة وغائلته هائلة وفيه يهلك الخواص من الخلق وقلما ينفك عنه
العباد والزهاد والعلماء فضلًا عن عوام الناس وكيف لا تعظم آفته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابًا دون الجنة لانه يحول بين العبد وبين اخلاق
المؤمنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر ان يحب
للمؤمنين ما يحب لنفسه وفيه شيء من العز ولا يقدر على التواضع وهو راس اخلاق المتقين وفيه العز
ولا يقدر على ترك الحقد وفيه العز ولا يقدر ان يدوم على الصدق وفيه العز ولا يقدر على ترك الحسد وفيه العز
ولا يقدر على ترك الغضب وفيه العز ولا يقدر على كظم الغيظ وفيه العز ولا يقدر على ترك النصح اللطيف
وفيه العز ولا يقدر على قبول النصح وفيه العز ولا يسلم من الازراء بالناس من اغتيابهم وفيه العز ولا معنى
للتطويل فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ عزه وما من خلق محمود الا وهو عاجز عنه
خوفًا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة منه والاخلاق
الذميمة متلازمة والبعض منها داع الى البعض لا محالة وشر انواع الكبر ما يمنع من استفادة العلم وقبول
الحق والانقياد له وفيه وردت الآيات التي فيها ذم المتكبرين قال تعالى ادخلوا ابواب جهنم
خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين ثم اخبر تعالى ان اشد اهل النار عذابًا اشدهم عتيًا وقال
تعالى فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا الآية وقال
تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي الآية وقال تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قيل في
التفسير سأرفع فهم القرآن عن قلوبهم وفي بعض التفاسير سأحجب قلوبهم عن الملكوت قال ابن جريج سأصرفهم
عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذلك قال عيسى عليه السلام ان الزرع ينبت في السهل ولا ينبت في الصفا
كذلك الحكمة تعمر في قلب المتواضع ولا تعمر في قلب المتكبر الا ترون انه من شمخ براسه الى السقف شجه ومن طاطا
اظله واكنه فهذا مثل ضربه للمتكبرين وانهم كيف يحرمون الحكمة ولذلك ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم جحود
الحق في حد الكبر والكشف عن حقيقته فقال من سفه الحق وغمص الناس **بيان المتكبر عليه
واقسامه ودرجاته** وثمرات الكبر فيه اعلم ان المتكبر عليه هو الله تعالى او رسله او سائر الخلق
وقد خلق الانسان ظلومًا جهولًا فتارة يتكبر على الخلق وتارة على الخالق تعالى فاذًا التكبر باعتبار المتكبر عليه
ثلاثة اقسام القسم الاول التكبر على الله تعالى وذلك هو افحش انواع التكبر ولا مثار له الا الجهل المحض
والطغيان مثل ما كان من نمرود فانه كان يحدث نفسه بان يقاتل رب السماء وكما يحكى عن جماعة من الجهلة
بل ما يحكى عن كل من ادعى الربوبية مثل فرعون وغيره فانه لتكبره قال انا ربكم الاعلى اذ
استنكف ان يكون عبدًا لله تعالى ولذلك قال تعالى ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين

١٧٣

وقال تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبدًا لله الآية وقال تعالى واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن
الآية **القسم** الثاني التكبر على الرسل عليهم السلام من حيث تعزز النفس وترفعها عن الانقياد لبشر
مثل سائر الناس وذلك تارة يصرف عن الفكر والاستبصار فيبقى في ظلمة الجهل بكبره فيمتنع عن الانقياد
وهو ظان انه محق فيه وتارة يمتنع مع المعرفة ولكن لا تطاوعه نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل
عليهم السلام كما حكى الله تعالى عن قولهم انؤمن لبشرين مثلنا ان انتم الا بشر مثلنا ولئن اطعتم بشرًا مثلكم
انكم اذًا لخاسرون وقالوا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا الآية وقالوا لولا انزل عليه
ملك وقال فرعون او جاء معه الملائكة مقترنين وقال تعالى واستكبر هو وجنوده في الارض بغير
الحق فتكبر هو على الله تعالى وعلى رسله جميعًا قال وهب قال له موسى عليه السلام آمن ولك ملكك قال حتى
اشاور هامان فشاور هامان فقال بينما انت رب تعبد اذ صرت عبدًا تعبد فاستنكف من عبودية الله عز
وجل ومن اتباع موسى عليه السلام وقالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم قال
قتادة الوليد بن المغيرة وابو مسعود الثقفي طلبوا من هو اعظم رياسة من النبي صلى الله عليه وسلم اذ قالوا
غلام يتيم كيف بعثه الله الينا فقال تعالى اهم يقسمون رحمة ربك وقال تعالى ليقولوا اهؤلاء
من الله عليهم من بيننا اي استحقارًا لهم واستبعادًا لتقدمهم وقالت قريش كيف نجلس اليك وعندك
هؤلاء اشاروا الى فقراء المسلمين فازدروهم باعينهم وتكبروا على مجالستهم فانزل الله تعالى ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي الآية ثم اخبر الله تعالى عن تعجبهم حين دخلوا جهنم اذ لم يروا الذين ازدروهم
فقالوا ما لنا لا نرى رجالًا كنا نعدهم من الاشرار الآية قيل يعنون عمارًا وبلالًا وصهيبًا والمقداد رضي الله عنهم
ثم كان منهم من منع الكبر عن الفكر والمعرفة فجهل كونه صلى الله عليه وسلم محقًا ومنهم من عرف ومنعه الكبر عن
الاعتراف قال الله تعالى فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به وقال تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلمًا وعلوًا
وهذا الكبر قريب من التكبر على الله عز وجل وان كان دونه ولكنه تكبر على قبول امر الله عز وجل والتواضع لرسوله
القسم الثالث التكبر على العباد وذلك بان يستعظم نفسه ويستحقر غيره فتابى نفسه عن الانقياد
لهم وتدعوه الى الترفع عليهم فيزدريهم ويستصغرهم ويانف من مساواتهم وهذا وان كان دون الاول والثاني
فهو ايضًا عظيم من وجهين احدهما ان العز والكبر والعظمة والعلاء لا يليق الا بالملك القادر فاما العبد
المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن اين يليق به الكبر فمهما تكبر العبد فقد نازع الله
تعالى في صفة لا تليق الا بجلاله ومثاله ان ياخذ الغلام قلنسوة الملك فيضعها على راسه ويجلس على
سريره فما اعظم استحقاقه للمقت وما اعظم تهدفه للخزي والنكال وما اشد استجراءه على مولاه
وما اقبح تعاطيه والى هذا المعنى الاشارة بقوله تعالى العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما
قصمته اي انه خاص صفتي ولا يليق الا بي والمنازع فيه منازع في صفة من صفاتي فاذا كان الكبر على

عباده لا يليق الا به فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه اذ الذي يسترذل خواص غلمان الملك ويستخدمهم
ويترفع عليهم ويستأثر بما حق الملك ان يستأثر به منهم فهو منازع له في بعض امره وان لم يبلغ درجته درجة
من اراد الجلوس على سريره والاستبداد بملكه فالخلق كلهم عباد الله تعالى وله العظمة والكبرياء عليهم فمن تكبر
على عبد من عباد الله تعالى فقد نازع الله تعالى الفرق بين هذه المنازعة وبين منازعة نمرود وفرعون ما هو الفرق
بين منازعة الملك في استصغار بعض عبيده واستخدامهم وبين منازعته في اصل الملك والوجه الثاني الذي
يعظم رذيلة الكبر انه يدعو الى مخالفة الله تعالى في اوامره لان المتكبر اذا سمع الحق من عبد من عباد الله تعالى
استنكف من قبوله وتشمر لجحده ولذلك ترى المناظرين في مسائل الدين يزعمون انهم يتباحثون عن اسرار
الدين ثم انهم يتجاحدون تجاحد المتكبرين ومهما اتضح الحق على لسان واحد منهم انف الآخر من قبوله وتشمر لجحده
واحتال لدفعه بما يقدر عليه من التلبيس وذلك من اخلاق الكافرين والمنافقين اذ وصفهم الله تعالى فقال
وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه الاية فكل من يناظر للغلبة والافحام
لا ليغتنم الحق اذا ظفر به فقد شاركهم في هذا الخلق وكذلك يحمل ذلك على الانفة من قبول
الوعظ كما قال تعالى واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم وروي عن عمر رضي الله عنه انه قراها فقال انا لله
وانا اليه راجعون قام رجل يامر بالمعروف فقتل فقام آخر فقال ويقتلون الذين يامرون بالقسط من
الناس فيقتل المتكبر الذي خالفه والذي امره كبرا وقال ابن مسعود كفى بالرجل اثما اذا قيل له اتق الله قال عليك
نفسك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل كل بيمينك قال لا استطيع فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا استطعت فما
منعه الا الكبر قال فما رفعها بعد ذلك اي اعتلت يده فاذا تكبره على الخلق عظيم لانه سيدعوه الى التكبر على
امر الله تعالى وانما ضرب ابليس مثلا لهذا وما حكى من احواله الا ليعتبر به فانه قال انا خير منه وهذا الكبر
بالنسب لانه قال خلقتني من نار وخلقته من طين فحمله ذلك على ان يمتنع من السجود الذي امره الله تعالى به فكان
مبدؤه الكبر على آدم والحسد له فجره ذلك الى التكبر على امر الله تعالى فكان ذلك سبب هلاكه ابد الآباد فهذه
آفة من آفات الكبر على العباد عظيمة ولذلك شرح رسول الله صلى الله عليه وسلم الكبر بهاتين
الآفتين اذ سأله ثابت بن قيس بن شماس فقال يا رسول الله اني امرؤ حبب الي من الجمال ما ترى افمن الكبر
هو فقال صلى الله عليه وسلم لا ولكن الكبر من بطر الحق وغمص الناس وفي حديث آخر من سفه الحق وقوله غمص
الناس اي ازدراهم واستحقرهم وهم عباد الله امثاله او خير منه وهذه الآفة الاولى وسفه الحق هو رده
وهي الآفة الثانية فكل من رأى انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار او رد
الحق وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله تعالى ويتواضع له بطاعته واتباع
رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الله تعالى ورسله عليهم السلام بيان ما به التكبر اعلم انه لا يتكبر
من استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال وجماع ذلك يرجع الى كمال

ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي هو الحسب والجمال والقوة والمال وكثرة الانصار فهذه
سبعة اسباب الاول العلم وما اسرع الكبر الى العلماء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم آفة العلم الخيلاء
فلا يلبث العالم ان يتعزز بعزة العلم ويستشعر في نفسه جمال العلم وكماله ويستعظم نفسه ويستحقر الناس
وينظر اليهم نظره الى البهائم ويستجهلهم ويتوقع ان يبدأوه بالسلام فان بدأ احد منهم بالسلام او رد عليه ببشر
او قام له او اجاب له دعوة راى ذلك صنيعة عنده ويدا عليه يلزمه شكرها واعتقد
انه اكرمهم وفعل بهم ما لا يستحقون من مثله وانه ينبغي ان يرقوا له ويخدموه شكرا على صنيعه
بل الغالب انهم يبرونه ولا يبرهم ويزورونه ولا يزورهم ويعودونه ولا يعودهم ويستخدم من خالطه منهم
ويستسخره في حوائجه فان قصر فيها استنكره كانهم عبيده او اجراؤه وكان تعليمه العلم صنيعة منه لديهم
ومعروف لديهم واستحقاق حق عليهم هذا فيما يتعلق بالدنيا واما تكبره في امر الآخرة فيرى نفسه عند الله
تعالى اعلى وافضل منهم فيخاف عليهم اكثر مما يخاف على نفسه ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لهم وهذا بان
يسمى جاهلا اولى من ان يسمى عالما بل العلم الحقيقي هو الذي يعرف الانسان به نفسه وربه وخطر الخاتمة
وحجة الله تعالى على العلماء وعظم خطر العلم فيه كما سياتي في طريق معالجة الكبر بالعلم وهذه العلوم تزيد
خوفا وتواضعا وتخشعا وتقتضي ان يرى كل الناس خيرا منه لعظم حجة الله عليه بالعلم وتقصيره في
القيام بشكر نعمة العلم ولهذا قال ابو الدرداء من ازداد علما ازداد وجعا وهو كما قال
فان قلت فما بال بعض الناس يزداد بالعلم كبرا وامنا فاعلم ان لذلك سببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمى
علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به نفسه وربه وخطر امره في لقاء الله
تعالى والحجاب منه وهذا يورث الخشية والتواضع دون الكبر والامن قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء فاما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة والشعر والنحو وفصل الخصومات وطرق المجادلات
فاذا تجرد الانسان لها حتى امتلأ بها امتلأ كبرا ونفاقا وهذه بان تسمى صناعات اولى من ان تسمى علوما
بل العلم هو معرفة العبودية والربوبية وطريق العبادة وهذا يورث التواضع غالبا السبب الثاني ان
يخوض العبد في العلم وهو خبيث الدخلة رديء النفس سيئ الاخلاق فلم يشتغل اولا بتهذيب نفسه وتزكية
قلبه بانواع المجاهدات ولم يرض نفسه في عبادة ربه فبقي خبيث الجوهر فاذا خاض في العلم اي علم كان
صادف العلم من قلبه منزلا خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا فقال العلم
كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشربه الاشجار بعروقها فتحوله على قدر طعومها فيزداد المر
مرارة والحلو حلاوة وكذلك العلم يحفظه الرجال فتحوله على قدر هممها واهوائها فيزيد المتكبر كبرا والمتواضع تواضعا
وهذا لان من كانت همته الكبر وهو جاهل فاذا حفظ العلم وجد ما يتكبر به فازداد كبرا واذا كان الرجل
خائفا مع جهله فاذا ازداد علما علم ان الحجة قد تأكدت عليه فيزداد خوفا واشفاقا وتواضعا وذلا

فالعلم من اعظم ما يتكبر به ولذلك قال تعالى لنبيه عليه السلام واخفض جناحك لمن اتبعك من المومنين
وقال تعالى ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ووصف اولياه فقال
تعالى اذلة على المومنين اعزة على الكافرين ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه العباس يكون
قوم يقرون القران لا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرانا القران فمن اقرا منا ومن اعلم منا ثم التفت الى الصحابه
فقال اولئك منكم ايها الامه اوليك هم وقود النار ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا تكونوا جبابرة
العلما فلا يفي علمكم بجهلكم ولذلك استاذن تميم الداري عمر رضي الله عنهما في القصص فابى ان ياذن له وقال انه
الذبح واستاذنه رجل كان امام قومه ان اذا سلم من صلوته ذكرهم فقال اني اخاف ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا
وصلى حذيفه رضي الله عنه بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن افرادا اني رايت في نفسي انه ليس
في القوم افضل مني فاذا كان مثله لا يسلم فكيف يسلم الضعفا من متاخري هذه الامه فما اعز على بسيط الارض
عالم يستحق ان يقال انه عالم لا يحركه عز العلم وخيلاوه فان وجد ذلك هو صديق زمانه فلا ينبغي ان
يفارق بل يكون النظر اليه عبادة فضلا من الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو
في اقصى الصين لسعينا اليه رجا ان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات وانى يسمح آخر
الزمان بمثلهم فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول قد انقرضوا في القرن الاول ومن يليهم بل يعز في زماننا عالم
يختلج في نفسه الاسف والحزن على فوات هذه الخصلة فذلك ايضا اما معدوم واما عزيز ولولا بشارة رسول الله
صلى الله عليه وسلم بقوله سياتي على الناس زمان من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا لكان جديرا بنا والعياذ
بالله ان نقتحم ورطة الياس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا ايضا بالتمسك بعشر ما كانوا
عليه وليتنا تمسكنا بعشر عشيره ونسال الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبايح اعمالنا
كما يقتضيه كرمه وفضله الثاني العمل والعباده وليس يخلو عن رذيلة العز والكبر واستماله قلوب
الناس عن الزهاد والعباد ويترشح الكبر منهم في الدين والدنيا اما الدنيا فانهم يرون غيرهم بزيارتهم اولى منهم
بزيارة غيرهم ويتوقعون قيام الناس بقضا حوايجهم وتوقيرهم والتوسع لهم في المجالس
وذكرهم بالورع والتقوى وتقديمهم على ساير الناس في الحظوظ الى جميع ما ذكرناه في حق العلما وكانهم
يرون عبادتهم منة على الخلق واما في الدين فهو ان يرى الناس هالكين ويرى نفسه ناجيا وهو الهالك انه
تحقيقا مهما راى ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال
ذلك لان هذا القول منه يدل على انه مزدر بخلق الله تعالى مغتر بالله امن من مكره غير خايف من سطوته
وكيف لا يخاف ويكفيه شرا احتقاره لغيره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفى بالمرء شرا ان يحقر اخاه
المسلم وكم من الفرق بينه وبين من يحبه الله تعالى ويعظمه لعبادته ويستعظمه ويرجو له ما لا يرجو
لنفسه فالخلق يدركون النجاة بتعظيمهم اياه لله تعالى فهم يتقربون الى الله عز وجل بالدنو منه وهو يتمقت

الى الله تعالى بالتنزه والتباعد منهم كانه مترفع عن مجالستهم فما اجدرهم اذا احبوه لصلاحه ان ينقلهم
الله عز وجل الى درجته في العمل وما اجدره اذا ازدراهم ان ينقله الله تعالى الى حد الاهمال كما روي ان رجلا
من بني اسرائيل يقال له خليع بني اسرائيل لكثرة فساده مر برجل آخر يقال له عابد بني اسرائيل
وكان على راس العابد غمامة تظله فلما مر به الخليع فقال الخليع في نفسه فلو جلست اليه لعل الله يرحمني
فجلس اليه فقال العابد انا عابد بني اسرائيل وهذا خليع بني اسرائيل كيف يجلس الي فانفه منه وقال
له قم عني فاوحى الله تعالى الى نبي ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت عمل العابد
وفي حديث آخر فتحولت الغمامة الى راس الخليع وهذا يعرفك ان الله تعالى انما يريد من العباد قلوبهم فالجاهل
العاصي اذا تواضع وذل هيبة لله عز وجل وخوفا منه فقد اطاع الله بقلبه فهو اطوع لله من العالم المتكبر
والعابد المعجب وكذلك روي ان رجلا في بني اسرائيل اتى عابدا من بني اسرائيل فوطئ على رقبته وهو ساجد
فقال ارفع فوالله لا يغفر الله لك فاوحى الله اليه ايها المتالي علي بل انت لا يغفر الله لك وكذلك
قال الحسن حتى ان صاحب الصوف اشد كبرا من صاحب المطرف الخز اي ان صاحب الخز يذل لصاحب الصوف
ويرى له الفضل عليه وصاحب الصوف يرى الفضل لنفسه وهذه الآفة ايضا قل ما ينفك عنها العباد وهو
انه لو استخف به مستخف او اذاه موذ استبعد ان يغفر الله تعالى له ولا يشك في انه صار ممقوتا عند الله
تعالى ولو آذى مسلما آخر لم يستنكر ذلك الاستنكار وذلك لعظم قدر نفسه عنده وهو جهل وجمع بين
العجب والكبر والاغترار بالله عز وجل وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الى ان يتحدى ويقول سترون
ما يجري عليه واذا اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كرامته وان الله تعالى ما اراد به الا شفا غليله والانتقام
منه مع انه يرى طبقات من الكفار يسبون الله ورسوله عليه السلام وعرف جماعة قد آذوا الانبيا
صلوات الله عليهم فمنهم من ضربهم ومنهم من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم
بعضهم فلم يصبهم مكروه في الدنيا ولا في الآخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم على الله من انبيايه عليهم السلام
وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيايه به ولعله في مقت الله تعالى باعجابه وكبره وهو غافل عن هلاك نفسه
فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد فيقولون ما كان يقوله عطا السلمي حين كان
تهب الريح او جاءت عاصفة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا بسببي ولو مات عطا لتخلصوا وما قاله الآخر بعد
انصرافه من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين الرجلين هذا يتقي الله تعالى
ظاهرا وباطنا وهو وجل على نفسه مزدر لعمله وسعيه وذلك ربما يضمر من الريا والكبر والحسد والغل
ما هو ضحكة للشيطان ثم انه يمتن على الله تعالى بعمله ومن اعتقد جزما انه فوق احد من عباد الله تعالى
فقد احبط بجهله جميع عمله فان الجهل افحش المعاصي واعظم شي يبعد العبد عن الله تعالى وحكمه لنفسه
بانه خير من غيره جهل محض وامن من مكر الله تعالى ولا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون ولذلك روي ان

رجلا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم بخير فاقبل ذات يوم فقالوا يا رسول الله هذا الذي ذكرناه لك فقال
فاني ارى في وجهه سفعة من الشيطان فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه فقال له
النبي صلى الله عليه وسلم اسالك بالله حدثتك نفسك ان ليس في القوم افضل منك قال اللهم نعم فرأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم بنور النبوة ما استكن في قلبه سفعة في وجهه وهذه آفة لا ينفك منها احد من
العباد الا من عصمه الله تعالى لكن العلما والعباد في آفة الكبر على ثلث درجات الدرجة الاولى ان يكون الكبر
مستقرا في قلبه يرى نفسه خيرا من غيره الا انه يجتهد ويتواضع ويفعل فعل من يرى غيره خيرا من نفسه
وهذا قد رسخ في قلبه شجرة الكبر الا انه قطع اغصانها بالكلية الثانية ان يظهر ذلك على افعاله
بالترفع في المجالس والتقدم على الاقران واظهار الانكار على من يقصر في حقه وادنى ذلك في العالم ان يصعر
خده للناس كانه معرض عنهم وفي العابد ان يعبس وجهه ويقطب جبينه كانه متنزه عن الناس
مستقذر لهم او غضبان عليهم وليس يعلم المسكين ان الورع ليس في الجبهة حتى تقطب ولا في
الوجه حتى يعبس ولا في الخد ولا في الرقبة حتى تطاطا ولا في الذيل حتى يضم انما الورع في القلوب قال
صلى الله عليه وسلم التقوى هاهنا فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرم الخلق واتقاهم
وكان اوسعهم خلقا واكثرهم بشرا وتبسما وانبساطا ولذلك قال الحرث بن جزء الزبيدي صاحب رسول الله
صلى الله عليه وسلم يعجبني من القرا كل طليق مضحاك فاما الذي تلقاه ببشر ويلقاك بعبوس يمن عليك
بعمله فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولو كان الله تعالى رضي ذلك لما قال لنبيه عليه السلام
واخفض جناحك الاية وهولا الذين يظهر الكبر على شمايلهم واحوالهم اخفهم حالا ممن هو في الرتبة الثالثة
وهو الذي يظهر الكبر بلسانه حتى يدعوه الى الدعوى والمفاخرة والمباهاة وتزكية النفس وحكاية
العوالي والمقامات والتشمر لغلبة الغير في العلم والعمل اما العابد فيقول في معرض
التفاخر لغيره من العباد من هو وما عمله ومن اين زهده فيطول اللسان فيهم بالتنقص ثم يثني على نفسه
ويقول اني لم افطر منذ كذا ولا انام بالليل واختم القران في كل يوم وفلان ينام سحرا ولا يكثر القراة وما يجري
مجراه وقد يزكي نفسه ضمنا فيقول قصدني فلان بسوء فهلك ولده واخذ ماله او مرض وما يجري مجراه يدعي
الكرامة لنفسه واما مباهاته فهو انه لو وقع مع قوم يصلون بالليل قام وصلى اكثر مما كان يصلي وان كانوا
يصبرون على الجوع فيكلف نفسه الصبر ليغلبهم ويظهر لهم قوته وعجزهم وكذلك يشتد في العبادة خوفا ان
يقال غيره اعبد منه واقوى منه في دين الله تعالى واما العالم فانه يتفاخر ويقول انا متفنن في العلوم
ومطلع على الحقايق ورأيت من الشيوخ فلانا وفلانا ومن انت وما فضلك ومن لقيت وما الذي سمعت من الحديث
كل ذلك ليصغره ويعظم نفسه واما مباهاته فانه يجتهد في المناظرة ان يغلب ولا يغلب ويسهر طول
الليل والنهار في تحصيل علوم يتجمل بها في المحافل كالمناظرة والجدل وتحسين العبارة وتسجيع الالفاظ

وحفظ العلوم الغريبة ليغرب بها على الاقران ويتعظم عليهم ويحفظ الاحاديث والفاظها واسانيدها
حتى يرد على من اخطا فيها فيظهر فضله ونقصان اقرانه ويفرح مهما اخطا احد ليرد عليه ويسوءه اذا اصاب
واحسن خيفة من ان يرى انه اعظم منه فهذا كله اخلاق الكبر واثاره التي يثمرها التعزز بالعلم والعمل
واين من يخلو عن جميع ذلك او عن بعضه فليت شعري من عرف هذه الاخلاق من نفسه وسمع قول رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر كيف يستعظم نفسه ويتكبر على
غيره وهو منهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل النار وانما العظيم من خلا عن هذا ومن خلا
عنه لم يكن فيه تعظم وتكبر والعالم هو الذي فهم ان الله تعالى قال له ان لك عندنا قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان
رايت لها قدرا فلا قدر لك عندنا ومن لم يعلم هذا من الدين فاسم العالم عليه كذب ومن علمه لزمه ان لا يتكبر ولا
يرى لنفسه قدرا فهذا هو الكبر بالعلم والعمل الثالث التكبر بالحسب والنسب فالذي له نسب شريف
يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه عملا وعلما وقد يتكبر بعضهم فيرى ان الناس له موال وعبيد
ويانف من مخالطتهم ومجالستهم وثمرته على اللسان التفاخر به فيقول لغيره يا نبطي يا هندي يا ارمني من انت
ومن ابوك وانا فلان بن فلان واين لمثلك ان يكلمني او ينظر الي ومع مثلي تتكلم وما يجري مجراه وذلك عرق دفين
في النفس لا ينفك عنه نسيب وان كان صالحا او عاقلا الا انه قد لا يترشح منه عند اعتدال الاحوال فان
غلبه غضب اطفا ذلك نور بصيرته وترشح منه كما روي عن ابي ذر رضي الله عنه انه قال تناولت
رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له يا ابن السودا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا ذر طف الصاع
طف الصاع ليس لابن البيضا على ابن السودا فضل قال ابو ذر فاضطجعت وقلت للرجل قم فطا على
خدي فانظر كيف نبهه رسول الله صلى الله عليه وسلم انه راى لنفسه فضلا بكونه ابن بيضا وان ذلك خطا وجهل
وانظر كيف تاب وكيف قلع من نفسه شجرة الكبر باخمص قدم من تكبر عليه اذ عرف ان العز لا يقمعه الا
الذل ومن ذلك ما روي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال احدهما للاخر انا فلان بن فلان فمن
انت لا ام لك فقال النبي صلى الله عليه وسلم افتخر رجلان عند موسى عليه السلام فقال
احدهما انا فلان بن فلان حتى عد تسعة فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام قل للذي افتخر بل التسعة من
اهل النار وانت عاشرهم وقال صلى الله عليه وسلم ليدعن قوم الفخر باباهم وقد صاروا فحما في جهنم او ليكونن
اهون على الله تعالى من الجعلان التي تذوف بآنافها القذر الرابع التفاخر بالجمال وذلك يجري اكثره
من النسا ويدعو ذلك الى التنقص والثلب والغيبة وذكر عيوب النسا ومن ذلك ما روي عن عايشة
رضي الله عنها انها قالت دخلت امراة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بيدي هكذا اي انها قصيرة
فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد اغتبتها وهذا منشاه خفي الكبر لانها لو كانت قصيرة لما ذكرتها بالقصر
فكانها اعجبت بقامتها واستقصرت المراة في جنب نفسها [illegible] ما قالت الخامس الكبر بالمال وذلك

يجري بين الملوك في الخرائب وبين التجار في البضائع وبين الدهاقين في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم
وخيولهم ومراكبهم فيستحقر الغني الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكدي ومسكين وانا
لو اردت لاشتريت مثلك واستخدمت من هو فوقك ومن انت وما معك واثاث بيتي يساوي اكثر من جميع
مالك وانا انفق في اليوم ما لا تاكله في السنة وكل ذلك لاستعظامه الغنى واستحقاره الفقر وكل ذلك
جهل منه بآفة الغنى وفضيلة الفقر واليه الاشارة بقوله تعالى فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك
مالا واعز نفرا حتى اجابه فقال ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل
عليها حسبانا الآية وكان ذلك تكبرا بالمال والولد ثم بين الله تعالى عاقبة امره بقوله يا ليتني لم اشرك بربي
احدا ومن ذلك تكبر قارون اذ قال تعالى فخرج على قومه في زينته حتى قال قوم يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
السادس التكبر بالقوة وشدة البطش والتكبر به على اهل الضعف **السابع** التكبر بالاتباع والانصار
والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلما
بالمستفيدين وبالجملة فكل ما هو نعمة وامكن ان يعتقد كمالا وان لم يكن في نفسه كمالا امكن ان يتكبر به
حتى ان المخنث ليتكبر على اقرانه بزيادة معرفته وقدرته في صنعة المخنثين لانه يرى ذلك كمالا فيفتخر به
وان لم يكن فعله الا نكالا وكذلك الفاسق قد يفتخر بكثرة الشرب وبكثرة الفجور بالنسوان والغلمان لانه يظن
به او على غيره من يدلي بما هو دونه في اعتقاده وربما كان مثله او فوقه عند الله تعالى كالعالم الذي يتكبر
بعلمه على من هو اعلم منه لظنه انه الاعلم ولحسن اعتقاده في نفسه **بيان البواعث على
الكبر واسبابه** المهيجة له اعلم ان الكبر خلق باطن واما ما يظهر من الاخلاق والافعال فهي ثمرتها ونتيجتها
وينبغي ان تسمى تكبرا ويخص اسم الكبر بالمعنى الباطن الذي هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق
قدر الغير وهذا الباطن له موجب واحد وهو العجب كما سياتي معناه فانه اذا اعجب بنفسه وبعلمه او شيء من
اسبابه استعظم نفسه وتكبر واما الكبر الظاهر فاسبابه ثلثة سبب في المتكبر وسبب في المتكبر عليه وسبب
يتعلق بغيرهما وهو الرياء فتصير الاسباب بهذا الاعتبار اربعة العجب والحقد والحسد والريا اما العجب فقد
ذكرنا انه يورث الكبر الباطن والكبر الباطن يثمر الكبر الظاهر في الاعمال والاقوال والاحوال واما الحقد فانه
قد يحمل على التكبر من غير عجب كالذي يتكبر على من يرى انه مثله او فوقه ولكن قد غضب عليه بسبب سبق منه
فاورثه الغضب حقدا ورسخ في قلبه بغضه فهو لذلك لا تطاوعه نفسه ان يتواضع له وان كان عنده مستحقا
للتواضع فكم من رذل لا تطاوعه نفسه على التواضع لواحد من الاكابر لحقده عليه وبغضه له ويحمله ذلك
على رد الحق اذا جاء من جهته وعلى الانفة من قبول نصحه وعلى ان يجتهد في التقدم عليه وان علم
انه لا يستحق ذلك وعلى ان لا يستحله وان ظلمه ولا يعتذر اليه وان جنى عليه ولا يسأله عما هو جاهل
به **واما الحسد** فانه ايضا يوجب البغض للمحسود وان لم يكن من جهته ايذاء وسبب يقتضي الغضب

والحقد ويدعو الحسد الى جحد الحق حتى يمنع من قبول النصح وتعلم العلم فكم من جاهل يشتاق الى العلم
وقد بقي في رذيلة الجهل لاستنكافه ان يستفيد من واحد من اهل بلده او اقاربه حسدا وبغيا
عليه فهو يعرض عنه ويتكبر عليه مع معرفته بانه يستحق التواضع له لفضل علمه ولكن الحسد يبعثه
على ان يعامله باخلاق الكبر وان كان في باطنه لا يرى نفسه فوقه **واما** الريا فهو ايضا يدعو الى
اخلاق المتكبرين حتى ان الرجل ليناظر من يعلم انه افضل منه وليس بينه وبينه معرفة ولا محاسدة ولا
حقد ولكن يمتنع من قبول الحق منه ولا يتواضع له في الاستفادة خيفة من ان يقول الناس انه افضل
منه فيكون باعثه على التكبر الريا المجرد ولو خلا معه بنفسه لكان لا يتكبر عليه واما الذي
يتكبر بالعجب او الحسد او الحقد فانه يتكبر ايضا عند الخلوة به مهما لم يكن معهما ثالث وكذلك قد ينتمي
الى نسب شريف كاذبا وهو يعلم انه كاذب ثم يتكبر به على من ليس ينتسب الى ذلك النسب ويترفع اليه
في المجالس ويتقدم عليه في الطرق ولا يرضى بمساواته في الكرامة والتوقير وهو عالم باطنا انه لا يستحق
ذلك ولا كبر في باطنه لمعرفته بانه كاذب في دعوى النسب ولكن يحمله الريا على افعال المتكبرين وكان اسم
المتكبر انما يطلق في الاكثر على من يفعل هذه الافعال عن كبر في الباطن صادر عن العجب والنظر الى الغير
بعين الاستحقار وهذا ان سمي متكبرا فلاجل التشبه بافعال المتكبرين **بيان اخلاق المتواضعين**
ومجامع ما يظهر فيه اثر التواضع والتكبر **اعلم** ان التكبر يظهر في شمائل الرجل كصعر في وجهه ونظره شزرا واطراقه
راسه وجلوسه متربعا ومتكيا وفي اقواله حتى في صوته ونغمته وصيغته في الايراد ويظهر في مشيته
وتبختره وقيامه وجلوسه وفي حركاته وسكناته وفي تعاطيه لافعاله وفي ساير تقلباته في احواله واقواله
واعماله فمن المتكبرين من يجمع ذلك كله ومنهم من يتكبر في بعض ويتواضع في بعض فمنها التكبر بان يحب قيام
الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى رجل قاعد
وبين يديه قوم قيام وقال انس لم يكن شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا
اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره يمشي خلفه وقال
ابو الدردا لا يزال العبد يزداد من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لا يعرف
من عبيده اذ كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال ما يبقي هذا من
قلب عبد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب فيامرهم بالتقدم ويمشي
في غمارهم اما لتعليم غيره واما لينفي عن نفسه وساوس الشيطان بالكبر والعجب كما اخرج الثوب
الجديد في الصلوة وابدله بالخلق لاحد هذين السببين ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من
زيارته خير لغيره في الدين وهو ضد التواضع روي ان سفيان الثوري قدم الرملة فبعث اليه ابرهيم
بن ادهم ان تعال فحدثنا فجاء سفيان فقيل له يا ابا اسحق تبعث اليه بمثل هذا فقال اردت ان انظر كيف

تواضعه ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه والتواضع خلافه قال ابن
وهب جلست الى عبد العزيز بن ابي رواد فمس فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ ثيابي فجرني اليه وقال
لي لم تفعلون بي ما تفعلون بالجبابرة واني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة من ولائد المدينة
تاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده منها حتى تذهب به حيث شاءت ومنها ان يتوقى مجالسة
المرضى والمعلولين ويتحاشى عنه وهو كبر دخل رجل عليه جدري قد تقشر على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعنده اصحابه ياكلون فما جلس عند احد الا قام من جنبه فاجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى جنبه
وكان عبد الله بن عمر لا يحبس عن طعامه مجذوما ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته ومنها ان لا
يتعاطى في بيته شغلا بيده والتواضع خلافه وروي ان عمر بن عبد العزيز اتاه ليلة ضيف وكان يكتب فكاد
السراج يطفأ فقال الضيف اقوم الى المصباح فاصلحه فقال ليس من كرم الرجل ان يستخدم ضيفه قال افانبه
الغلام قال هي اول نومة نامها فقام فاخذ البطة وملأ المصباح زيتا فقال الضيف قمت انت بنفسك يا امير
المؤمنين فقال ذهبت وانا عمر ورجعت وانا عمر وخير الناس من كان عند الله متواضعا ومنها
ان لا ياخذ متاعه ويحمله الى بيته وهو خلاف عادة المتواضعين كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك
وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل الكامل من كماله ما حمل من شيء الى عياله وكان ابو عبيدة بن الجراح وهو امير يحمل
سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن ابي مالك رايت ابا هريرة اقبل من السوق يحمل حزمة حطب وهو
يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق للامير يا ابن ابي مالك وعن الاصبغ بن نباتة قال
كاني انظر الى عمر رضي الله عنه اشترى لحما وعلقه في يده اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى
دخل رحله وقال بعضهم رايت عليا رضي الله عنه اشترى لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير
المؤمنين فقال لا ابو العيال احق ان يحمل ومنها اللباس اذ يظهر به التكبر والتواضع وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم البذاذة من الايمان قال هارون سالت معنا عن البذاذة قال هو الدون من اللباس
وقال زيد بن وهب رايت عمر بن الخطاب رضي الله عنه خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربع
عشرة رقعة بعضها من ادم وعوتب علي رضي الله عنه في ازار مرقوع فقال يقتدي به المؤمن ويخشع له القلب
وقال عيسى عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقال طاوس اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما
نقيين ويروى ان عمر بن عبد العزيز كان قبل ان يستخلف يشترى له الحلة بالف دينار فيقول ما اجودها
لولا خشونة فيها فلما استخلف كان يشترى له الثوب بخمسة دراهم فيقول ما اجوده لولا لينه فقيل له
اين لباسك ومركبك وعطرك فقال ان لي نفسا ذواقة تواقة وانها لم تذق من الدنيا طبقة الا تاقت الى
الطبقة التي فوقها حتى اذا ذاقت الخلافة وهي ارفع الطبقات تاقت الى ما عند الله عز وجل وقال سعيد بن
سويد صلى بنا عمر بن عبد العزيز الجمعة ثم جلس وعليه قميص مرقوع الجيب من بين يديه ومن خلفه فقال له

رجل يا امير المؤمنين ان الله قد اعطاك فلو لبست فنكس مليا ثم رفع راسه فقال ان افضل القصد عند الجدة
وان افضل العفو عند القدرة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ترك زينة لله ووضع
ثيابا حسنة تواضعا لله وابتغاء وجهه كان حقا على الله ان يدخر له عبقري الجنة فان قلت فقد قال عيسى
عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وقد سئل نبينا صلى الله عليه وسلم عن الجمال في الثياب هل هو
من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمص الناس فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من
ضرورته ان يكون من التكبر في حق كل احد في كل حال وهو الذي اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس اذ قال له اني امرؤ حبب الي الجمال فعرف ان
ميله الى النظافة وجودة الثياب لا ليتكبر على غيره فانه ليس من ضرورته ان يكون من الكبر وقد يكون
ذلك من الكبر كما ان الرضا بالثوب الدون قد لا يكون من التواضع وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل
اذا رآه الناس ولم يبال اذا انفرد بنفسه كيف يكون وعلامة طالب الجمال ان يحب الجمال في كل شيء ولو في
خلوته وحتى في ستور داره فذلك ليس من الكبر فاذا انقسمت الاحوال نزل قول عيسى عليه السلام
على بعض الاحوال على ان قوله خيلاء القلب يعني قد يورث خيلاء في القلب وقول نبينا عليه السلام انه ليس
من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه ويجوز ان لا يوجبه الكبر ثم يكون هو مورثا للكبر وبالجملة فالاحوال تختلف
في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالبذاذة وقد قال صلى الله عليه
وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير سرف ولا مخيلة ان الله يحب ان يرى اثر نعمته على عبده
وقال بكر بن عبد الله المزني البسوا ثياب الملوك واميتوا قلوبكم بالخشية وانما خاطب بهذا قوما يطلبون
الكبر بثياب اهل الصلاح وقد قال عيسى عليه السلام ما لكم تاتوني وعليكم ثياب الرهبان وقلوبكم قلوب الذئاب
الضواري البسوا ثياب الملوك والينوا قلوبكم بالخشية ومنها ان يتواضع بالاحتمال اذا سب واوذي
واخذ حقه فذلك هو الاصل وقد اوردنا ما نقل عن السلف رضي الله عنهم من احتمال الاذى في كتاب الغضب
والحسد وبالجملة فمجامع حسن الاخلاق والتواضع سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبه ينبغي ان يقتدى
ومنه ينبغي ان يتعلم وقد قال ابو سلمة قلت لابي سعيد الخدري ما ترى فيما احدث الناس
من الملبس والمشرب والمركب والمطعم فقال يا ابن اخي كل لله واشرب لله والبس لله وكل شيء من ذلك دخله
زهو او مباهاة او رياء او سمعة فهو معصية وسرف وعالج في بيتك من الخدمة ما كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يعالجه في بيته كان يعلف الناضح ويعقل البعير ويقم البيت ويحلب الشاة ويخصف النعل
ويرقع الثوب وياكل مع خادمه ويطحن عنه اذا اعيا ويشتري الشيء من السوق ولا يمنعه الحياء
ان يعلقه بيده او يجعله في طرف ثوبه فينقلب الى اهله يصافح الغني والفقير والصغير والكبير ويسلم مبتدئا
على من استقبله من صغير او كبير اسود او احمر او عبد من اهل الصلاة ليست له حلة لمدخله ولا حلة

للحرجه لا يستحي من ان يجيب اذا دعي وان كان اشعث اغبر ولا يحقر ما دعي اليه وان لم يجد الا حشف
الدقل لا يرفع غدا لعشاء ولا عشاء لغداء هين المؤنه لين الخلق كريم الطبيعه جميل المعاشره طليق الوجه
بسام من غير ضحك محزون من غير عبوس شديد في غير عنف متواضع في غير مذله جواد من غير سرف رحيم
لكل ذي قربى ومسلم رقيق القلب دايم الاطراق لم يتبشم قط من شبع ولم يمد يده الى طمع قال ـــــ ابو
سلمة فدخلت على عايشة فحدثتها بذلك عن ابي سعيد فقالت ما اخطا منه حرفا ولقد قصر اذ ما اخبرك ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمتلي قط شبعا ولم يبث الى احد شكوى وكانت الفاقة احب اليه من اليسار
وان كان ليظل جايعا فيلتوي ليلته حتى يصبح فما يمنعه ذلك من صيام يومه ولو شا ان يسال ربه فيوتى
بكنوز الارض وثمارها ورغد عيشها من مشارقها ومغاربها لفعل وربما بكيت رحمة له مما ارى من الجوع
فامسح بطنه بيدي فاقول نفسي لك الفدا لو تبلغت من الدنيا بقدر ما يقوتك ويمنعك من الجوع فيقول يا
عايشه اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا على
ربهم تعالى فاكرم مابهم واجزل ثوابهم واجدني استحي ان ترفهت في معيشتي ان يقصر بي دونهم فاصبر
اياما يسيرة احب الي من ان ينقص حظي غدا في الاخره وما من شي احب الي من اللحوق باخواني واخلائي قالت
عايشه فوالله ما استكمل بعد ذلك جمعة حتى قبضه الله تعالى صلى الله عليه وسلم فما نقل من احواله صلى الله عليه
وسلم يجمع جملة اخلاق المتواضعين فمن طلب التواضع فليقتد به ومن راى نفسه فوق محله صلى الله عليه
وسلم ولم يرض لنفسه بما رضي هو به فما اشد جهله فلقد كان اعظم خلق الله تعالى منصبا في الدين والدنيا
فلا عز ولا رفعة الا في الاقتدا به صلى الله عليه وسلم ولذلك قال عمر رضي الله عنه انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام
فلا نطلب العز في غيره لما عوتب في بذاذة هيئته عند دخوله الشام وقال ـــــ ابو الدردا اعلم ان لله
تعالى عبادا يقال لهم الابدال خلف من الانبيا هم اوتاد الارض فلما انقضت النبوه ابدل الله تعالى مكانها قوما
من امة محمد صلى الله عليه وسلم لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاه ولا حسن حليه ولكن بصدق الورع
وحسن النيه وسلامة الصدر لجميع المسلمين والنصح لهم ابتغا مرضات الله تعالى وتواضع في غير مذله وهم
قوم اصطفاهم الله عز وجل واستخلصهم لنفسه وهم اربعون صديقا ثلاثون رجلا قلوبهم على مثل يقين ابرهيم
خليل الرحمن عليه السلام لا يموت الرجل منهم حتى يكون ـــــ الله تعالى قد انشا من يخلفه واعلم يا اخي انهم
لا يلعنون شيا ولا يوذونه ولا يحقرونه ولا يتطاولون عليه ولا يحسدون احدا ولا يحرصون على الدنيا
هم اطيب الناس خبرا والينهم عريكة واسخاهم نفسا علامتهم السخا وسجيتهم البشاشه وصفتهم السلامه
ليسوا اليوم في خشية وغدا في غفلة ولكن مداومين على حالهم الظاهر وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم
الرياح العواصف ولا الخيل المجراة قلوبهم تصعد ارتياحا الى الله تعالى واشتياقا اليه وقدما في استباق
الخيرات اولئك هم المفلحون قال الراوي قلت يا ابا الدردا ما سمعت بصفة اشد من هذه الصفه وكيف ان ابلغها

قال ما بينك وبين ان تكون في اوسطهم الا ان تبغض الدنيا فانك اذا ابغضت الدنيا اقبلت على حب الاخره
وبقدر حبك للاخره تزهد في الدنيا وبقدر ذلك تبصر ما ينفعك واذا علم الله تعالى من عبد حسن الطلب افرغ
عليه السداد واكتنفه بالعصمة واعلم يا ابن اخي ان ذلك في كتاب ـــــ الله تعالى المنزل ان الله مع
الذين اتقوا والذين هم محسنون قال يحيى بن ابي كثير فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بمثل حب الله تعالى
وطلب مرضاته **بيان الطريق في معالجه** الكبر واكتساب التواضع **اعلم** ان الكبر من المهلكات ولا
يخلو احد من الخلق عن شي منه وازالته فرض عين ولا يزول بمجرد التمني بل بالمعالجه واستعمال الادويه القامعة له
الغاسلة وفي معالجته مقامان احدهما استيصال اصله من سنخه وقلع شجرته من مغرسها في القلب والثاني
دفع العارض منه بالاسباب ـــــ الخاصة التي بها يتكبر الانسان على غيره المقام الاول
في استيصال اصله وعلاجه علمي وعملي ولا يتم الشفا الا بمجموعهما العلمي هو ان يعرف نفسه ويعرف ربه جل وعز
ويكفيه ذلك في ازالة الكبر فانه مهما عرف نفسه حق المعرفه علم انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه
لا يليق به الا التواضع والذله والمهانه واذا عرف ربه جل وعز علم انه لا يليق العظمه والكبريا الا بالله
تعالى اما معرفة ربه جل وعز وعظمته ومجده فالقول فيه يطول وهو منتهى علم المكاشفه واما معرفه
نفسه فهو ايضا يطول ولكنا نذكر منه ما ينفع في اثارة التواضع والمذله ويكفيه ان يعرف معنى اية
واحده في كتاب ـــــ الله عز وجل فان في القران علم الاولين والاخرين لمن فتحت بصيرته وقد قال
تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شي خلقه الى قوله ثم اذا شا انشره فقد اشار الى اول خلق الانسان والى
اخر امره والى وسطه فلينظر الانسان الى ذلك ليفهم معنى هذه الايه **اما** اول الانسان فهو انه لم يكن شيا
مذكورا وقد كان في حكم العدم دهورا بل لم يكن لعدمه اول واي شي اخس واقل من العدم والمحو وقد كان
كذلك في القدم ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشيا ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفه ثم من علقه ثم من
مضغه ثم جعله عظما ثم كسا العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث صار شيا مذكورا فما صار مذكورا الا
وهو على اخس الاوصاف والنعوت اذ لم يخلق في ابتدائه كاملا بل خلقه جمادا ميتا لا يسمع ولا يبصر ولا يحس ولا
يتحرك ولا ينطق ولا يبطش ولا يدرك ولا يعلم فبدا بموته قبل حيوته وبضعفه قبل قوته وبجهله قبل علمه
وبعماه قبل بصره وبصممه قبل سمعه وببكمه قبل نطقه وبضلالته قبل هداه وبفقره قبل غناه وبعجزه
قبل قدرته فهذا معنى قوله تعالى من اي شي خلقه من نطفه خلقه فقدره ومعنى قوله تعالى هل اتى على
الانسان حين من الدهر الايه كذلك خلقه اولا ثم امتن عليه فقال تعالى ثم السبيل يسره وهذه اشاره الى
ما تيسر له في مدة حيوته الى الموت ـــــ ولذلك قال تعالى من نطفه امشاج نبتليه الايه انا هديناه
السبيل ومعناه انه احياه بعد ما كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفه ثانيا واسمعه بعد ما كان اصم وبصره بعد
ما كان فاقد البصر وقواه بعد الضعف وعلمه بعد الجهل وخلق له الاعضا بما فيها من العجايب والايات

بعد الفقد لها، وأشبعه بعد الجوع، وكساه بعد العري، وهداه بعد الضلال، فانظر كيف دبّره وصوّره
وإلى السبيل كيف يسّره، وإلى طغيان الإنسان ما أكفره، وإلى جهل الإنسان كيف أظهره فقال
تعالى أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر
تنتشرون. فانظر إلى نعمة الله تعالى عليه كيف نقله من تلك الذلة والقلة والخسة والقذارة إلى هذه الرفعة
والكرامة، فصار موجودا بعد العدم، وحيا بعد الموت، وناطقا بعد البكم، وبصيرا بعد العمى، وقويا بعد الضعف،
وعالما بعد الجهل، وهاديا بعد الضلال، وقادرا بعد العجز، وغنيا بعد الفقر، فكان في ذاته لا شيء، وأي شيء أخس
من لا شيء، وأي قلة أقل من العدم المحض، ثم صار بالله تعالى شيئا، وإنما خلقه من التراب الذليل والنطفة القذرة
بعد العدم المحض ليعرفه خسة ذاته فيعرف به نفسه، وإنما أكمل النعمة عليه ليعرف به ربه تعالى ويعلم به عظمته
وجلاله، وأنه لا يليق الكبرياء إلا به، ولذلك امتن عليه فقال تعالى ألم نجعل له عينين ولسانا
وشفتين الآية، وعرّفه خسته أولا فقال تعالى ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة، ثم ذكر منّته فقال
تعالى فخلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، ليدوم وجوده بالتناسل كما حصل وجوده ابتداء بالاختراع.
فمن كان هذا بدؤه وهذه أحواله فمن أين له البطر والكبرياء والفخر والخيلاء، وهو على التحقيق أخس الأخساء وأضعف
الضعفاء. نعم لو أكمله وفوض إليه أمره وأدام له الوجود باختياره لجاز أن يطغى وينسى المبدأ والمنتهى، ولكنه
سلط عليه في دوام وجوده الأمراض الهائلة والأسقام العظيمة والآفات المختلفة والطبائع المتضادة
من المرة والبلغم والريح والدم، يهدم البعض من أجزائه البعض شاء أم أبى، رضي أم سخط، فيجوع كرها ويعطش
كرها ويمرض كرها ويموت كرها، لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا خيرا ولا شرا، يريد أن يعلم الشيء فيجهله،
ويريد أن يذكر الشيء فينساه، ويريد أن ينسى الشيء ويغفل عنه فلا يغفل، ويريد أن يصرف قلبه إلى ما يهمه
فيجول في أودية الوسواس والأفكار بالاضطرار، فلا يملك قلبه قلبه ولا نفسه نفسه، يشتهي الشيء وربما
يكون هلاكه فيه، ويكره الشيء وربما يكون حياته فيه، يستلذ الأطعمة وتهلكه وترديه، ويستبشع
الأدوية وهي تنفعه وتحييه، لا يأمن في لحظة من ليله أو نهاره أن يسلب سمعه وبصره وتفلج أعضاؤه
ويختلس عقله ويختطف روحه ويسلب جميع ما يهواه في دنياه، فهو مضطر ذليل، إن ترك بقي، وإن
اختطف فني، عبد مملوك لا يقدر على شيء من نفسه ولا غيره، فأي شيء أذل منه لو عرف نفسه، وأنى يليق الكبر به
لولا جهله، فهذا أوسط أحواله فليتأمل. وأما آخره ومورده فهو الموت المشار إليه بقوله تعالى ثم أماته فأقبره
ثم إذا شاء أنشره، ومعناه أنه يسلب روحه وسمعه وبصره وعلمه وقدرته وحسه وإدراكه وحركته،
فيعود جمادا كما كان أول مرة، لا يبقى إلا شكل أعضائه وصورته، لا حس فيه ولا حركة، ثم يوضع في التراب
فيصير جيفة منتنة قذرة كما كان في الأول نطفة مذرة، ثم تبلى أعضاؤه وتتفتت أجزاؤه وتنخر عظامه
فتصير رميما ورفاتا، وتأكل الدود أجزاءه، فتبتدئ بحدقتيه فتقلعهما، وبخديه فتقطعهما، وبسائر أجزائه

فتصير روثا في أجواف الديدان، ويكون جيفة يهرب منه الحيوان، ويستقذره كل إنسان، ويهرب
لشدة الإنتان. وأحسن أحواله أن يعود إلى ما كان فيصير ترابا يعمل منه الكيزان، أو يعمر به البنيان، ويصير
مفقودا بعد ما كان موجودا، وصار كأن لم يغن بالأمس حصيدا، كما كان في أول أمره أمدا مديدا، وليته بقي كذلك
فما أحسنه لو ترك ترابا، لا بل يحييه بعد طول البلى ليقاسي شديد البلاء، فيخرج من قبره بعد جمع أجزائه
المتفرقة، ويخرج إلى أهوال القيامة، فينظر إلى قيامة قائمة، وسماء ممزقة مشققة، وأرض مبدلة، وجبال مسيرة،
ونجوم منكدرة، وشمس منكسفة، وأحوال مظلمة، وملائكة غلاظ شداد، وجهنم تزفر، وجنة ينظر إليها المجرم
فيتحسر، ويرى صحائف منشورة فيقال له اقرأ كتابك، فيقول وما فيه، فيقال كان قد وكل
بك في حياتك التي كنت تفرح بها وتتكبر بنعيمها وتفتخر بأسبابها ملكان رقيبان يكتبان عليك ما
تنطق به وتعمله من قليل وكثير ونقير وقطمير وأكل وشرب وقيام وقعود، قد نسيت ذلك وأحصاه الله
عز وجل، فهلم إلى الحساب، واستعد للجواب، أو تساق إلى دار العذاب، فينقطع قلبه فزعا من هول هذا الخطاب
قبل أن تنتشر الصحيفة ويشاهد ما فيها من مخازيه، فإذا شاهده قال يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة
ولا كبيرة إلا أحصاها، فهذا آخر أمره، وهو معنى قوله تعالى ثم إذا شاء أنشره، فما لمن هذا حاله والتكبر، بل ما له
وللفرح في لحظة عن البطر والتجبر، فقد ظهر له أول حاله ووسطه، ولو ظهر آخره والعياذ بالله ربما اختار أن
يكون كلبا أو خنزيرا ليصير مع البهائم ترابا، ولا يكون إنسانا يسمع خطابا ويلقى عذابا، وإن كان
عند الله مستحقا للنار فالخنزير أشرف منه وأرفع وأطيب، إذ أوله التراب وآخره التراب، وهو بمعزل عن
الحساب، والكلب والخنزير لا يهرب منه الخلق، ولو رأوا أعراب المذنب في النار لصعقوا من وحشة خلقته
وقبح صورته، ولو وجدوا ريحه لماتوا من نتنه، ولو وقعت قطرة من شرابه الذي يسقى في بحار الدنيا لصارت
أنتن من الجيفة، فمن هذا حاله في العاقبة إلا أن يعفى عنه، وهو على شك من العفو، فكيف يتكبر، وكيف يرى
نفسه شيئا حتى يعتقد له فضلا، وأي عبد لم يذنب ذنبا استحق به العقوبة إلا أن يعفو الكريم بفضله.
أرأيت من جنى على بعض الملوك بما يستحق به ألف سوط فحبس في السجن وهو ينتظر أن يخرج إلى العرض
وتقام عليه العقوبة على ملأ من الخلق، وليس يدري أيعفى عنه أم لا، كيف يكون ذله في السجن، أفترى أنه
يتكبر على من في السجن، وما من عبد مذنب إلا والدنيا سجنه، وقد استحق العقوبة من الله تعالى ولا يدري
كيف يكون آخر أمره، فيكفيه ذلك خوفا وحزنا وإشفاقا ومهانة وذلا. فهذا هو العلاج العلمي القالع لأصل الكبر. وأما
العلاج العملي فهو التواضع بالفعل لله تعالى ولسائر الخلق بالمواظبة على أخلاق المتواضعين كما وصفناه وحكيناه
من أحوال الصالحين ومن أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إنه كان يأكل على الأرض ويقول إنما أنا عبد آكل كما يأكل
العبد. وقيل لسلمان لم لا تلبس ثوبا جديدا، فقال إنما أنا عبد، فإذا أعتقت يوما لبست، أشار به إلى العتق في
الآخرة. ولا يتم التواضع بعد المعرفة إلا بالعمل، ولذلك أمر العرب الذين تكبروا على الله وعلى رسوله صلى الله

عليه وسلم بالايمان والصلوة جميعا وقيل الصلوة عماد الدين وفي الصلوة اسرار لاجلها كانت الصلوة عمادا
ومن جملتها ما فيها من التواضع بالمثول قائما وبالركوع والسجود وقد كانت العرب قديما يانفون من الانحنا
فكان يسقط من يد احدهم سوطه فلا ينحني لاخذه وينقطع شراك نعله فلا ينكس راسه لاصلاحه
حتى قال حكيم بايعت النبي صلى الله عليه وسلم على ان لا اخر الا قائما فبايعه النبي صلى الله عليه
وسلم ثم فقه وكمل ايمانه بعد ذلك فلما كان السجود عندهم هو منتهى الذلة والضعة امروا به لينكسر
بذلك خيلاؤهم ويزول كبرهم ويستقر التواضع في قلوبهم وبه امر ساير الخلق فان الركوع والسجود والمثول
قائما هو العمل الذي يقتضيه التواضع فكذلك من عرف نفسه فلينظر كل ما يتقاضاه الكبر من الافعال فليواظب
على نقيضها حتى يصير التواضع له خلقا فان القلوب لا تتخلق بالاخلاق المحمودة الا بالعلم والعمل
جميعا وذلك لخفي العلاقة بين القلب والجوارح وسر الارتباط الذي بين عالم الملك وعالم الملكوت والقلب من
عالم الملكوت **المقام الثاني** فيما يعرض من التكبر بالاسباب السبعة المذكورة وقد ذكرنا في كتاب ذم الجاه
ان الكمال الحقيقي هو العلم والعمل فاما ما عداه مما يفنى بالموت فكمال وهمي فمن هذا يعسر على العالم ان لا يتكبر ولكنا
نذكر طريق العلاج من العلم والعمل في جميع الاسباب السبعة الاول النسب فمن يعتريه الكبر من جهة النسب
فليداو قلبه بمعرفة امرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه تعزز بكمال غيره ولذلك قيل
لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت ولكن بئس ما ولدوا ؛ فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات
ذاته فمن اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينتسب اليه حيا لكان له ان يقول الفضل لي ومن انت الا دودة
خلقت من بولي افترى ان الدودة التي خلقت من بول الانسان اشرف من الدودة التي من بول الفرس هيهات
هيهات هما متساويان والشرف للانسان لا للدود **الثاني** هو ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده
فان اباه القريب نطفة قذرة وجده البعيد تراب ذليل وقد عرفه الله تعالى نسبه فقال
الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله من التراب المهين
الذي يداس بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حما مسنونا كيف يتكبر واخس الاشيا ما انتسب اليه اذ يقال له
يا اذل من التراب ويا انتن من الحماة ويا اقذر من المضغة فان كان كونه من ابيه اقرب من كونه من التراب
فيقول الفخر بالقريب دون البعيد فالنطفة والمضغة اقرب اليه من الاب فليحقر نفسه به ثم ان كان ذلك
يوجب رفعة لقربه فالاب الاعلى من التراب فمن اين جاءت رفعته واذا لم تكن له رفعة فمن اين جاءت الرفعة لولده
فاذا اصله من التراب وفصله من النطفة فلا اصل له ولا فصل وهذا غاية خسة النسب فالاصل يوطا
بالاقدام والفصل تغسل منه الابدان فهذا هو النسب الحقيقي للانسان ومن عرفه لم يتكبر بالنسب فيكون
مثاله بعد هذه المعرفة وانكشاف الغطاء له عن حقيقة اصله كرجل لم يزل عند نفسه من بني هاشم وقد
اخبره بذلك والداه فلم يزل فيه عزة الشرف فبينا هو كذلك اذ اخبره عدول لا يشك في قولهم انه ابن هندي
حجام متعاطي

حجام متعاطي القذر وكشفوا له وجه التلبيس عليه فلم يبق له شك في صدقهم افترى ذلك يبقي شيا
من كبره لا بل يصير عند نفسه احقر الناس واذلهم فهو من استشعار الخزي لخسته في شغل عن ان يتكبر على
غيره فهذا حال البصير اذا تفكر في اصله وعلم انه من النطفة والمضغة والتراب
اذ لو كان ابوه ممن يتعاطى نقل التراب او يتعاطى الدم بالحجامة او غيرها لكان يعلم به خسة نفسه لمماسة
اعضا ابيه للتراب والدم فكيف اذا عرف انه في نفسه من التراب والدم والاشيا القذرة التي يتنزه منها هو في
نفسه الثاني الكبر بالجمال ودواؤه ان ينظر الى باطنه نظر العقلا ولا ينظر الى الظاهر نظر البهايم ومهما نظر الى
باطنه راى من القبايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع اجزائه الرجيع في امعائه
والبول في مثانته والمخاط في انفه والبصاق في فيه والوسخ في اذنيه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته
والصنان تحت ابطيه يغسل الغايط كل يوم دفعة او دفعتين ويتردد الى الخلا كل يوم مرتين ليخرج من باطنه ما لو
رآه بعينه لاستقذره فضلا عن ان يمسه او يشمه كل ذلك ليعرف قذارته وذلته هذا في حاله وفي اول امره
خلق من الاقذار الشنيعة الصور من النطفة ودم الحيض واخرج من مجرى الاقذار اذ خرج من صلب ثم
من الذكر مجرى البول الى الرحم مغيض دم الحيض ثم خرج من مجرى القذر وقال انس كان ابو بكر
الصديق رضي الله عنه يخطبنا فيقذر لنا انفسنا يقول خرج احدكم من مجرى البول مرتين ولذلك
قال طاوس لعمر بن عبد العزيز ما هذه مشية من في بطنه خرا اذ رآه يتبختر قبل خلافته هذا
اوله ووسطه ولو ترك نفسه في حياته يوما لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار
وصار اقذر وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد انفسها قط فاذا فطن انه خلق من اقذار وسيموت
فيصير جيفة اقذر من ساير الاقذار لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن وكلون الازهار في البوادي
بينما هو كذلك اذ صار هشيما تذروه الرياح كيف ولو كان جماله باقيا وعن هذه القبايح خاليا لكان يجب
ان لا يتكبر على القبيح اذ لم يكن قبح القبيح اليه فيتقيه ولا كان جمال الجميل اليه حتى يحمد عليه كيف ولا بقاء له
بل هو في كل حال يتصور ان يتغير ويزول بمرض او جدري او قرحة او سبب من الاسباب فكم من وجوه
جميلة قد سمجت بهذه الاسباب فمعرفة هذه الامور تنزع من القلب داء الكبر بالجمال لمن اكثر تاملها
السبب الثالث التكبر بالقوة والايدي فيمنعه من ذلك ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع
عرق واحد في بدنه لصار اعجز من كل عاجز واذل من كل ذليل وانه لو يسلبه الذباب شيا لم يستنقذه
منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته ولو دخلت شوكة في رجله لاعجزته وان حمى يوما
تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر على ان يدفع عن نفسه ذبابة
فلا ينبغي ان يفتخر بقوته ثم ان اقوى انسان فلا يكون اقوى من حمار او بقرة او جمل او فيل واي افتخار في صفة يسبقك
البهايم فيها **السبب الرابع** **الغنا وكثرة المال** وفي معناه كثرة الاتباع والانصار والتكبر بولاية

السلاطين والتمكين من جهتهم وكل ذلك تكبر بمعنى خارج من ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح
انواع التكبر فان المتكبر بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد ذليلا والتكبر بتمكين
من السلطان وولايته لا بصفة في نفسه بنى امره على قلب هو اشد غليانا من القدر فان تغير عليه كان ارذل الخلق
وكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغنا لو تامل راى في اليهود من يزيد عليه في
الغنى والثروة والتجمل فاف لشرف يسبقك اليهود به واف لشرف ياخذه السارق في لحظة فيعود
صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما هو في ذاته ليس اليه دوام وجوده
وهو في الاخرة وبال ونكال فالتفاخر به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشي من هذه الامور
ليس اليك بل الى واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال فما انت الا عبد مملوك لا يقدر على شي ومن عرف ذلك
فلا بد ان يزول كبره ومثاله ان يفخر الغافل بقوته وماله وجماله وحريته واستقلاله
وسعة منازله وكثرة خيوله وغلمانه اذ شهد عليه شاهدان عدلان عند حاكم منصف انه رقيق لفلان
وان ابويه كانا مملوكين له فعلم ذلك وحكم به الحاكم فجا مالكه فاخذه واخذ جميع ما في يديه وهو يخشى مع ذلك
ان يعاقبه وينكل به لتفريطه في امواله وتقصيره في طلب مالكه ليعرف ان له مالكا ثم نظر العبد فراى
نفسه محبوسا في منزل قد احدقت به الحيات والهوام وهو في كل حال على وجل من كل واحد منها وقد بقي لا
يملك نفسه ولا ماله ولا يعرف طريقا في الخلاص البتة أفترى من هذا حاله هل يفخر بقدرته وقوته وكماله
ام يذل في نفسه ويخضع وهذا حال كل عاقل بصير فانه يرى نفسه كذلك فانه لا يملك رقبته وماله وبدنه
واعضاءه وهو مع ذلك بين آفات وشهوات وامراض واسقام هي كالعقارب والحيات يخاف منها الهلاك
فمن هذا حاله لا يتكبر بقدرته وقوته اذ يعلم انه لا قدرة له ولا قوة فهذا طريق علاج التكبر بالاسباب الخارجة
وهو اهون من علاج التكبر بالعلم والعمل فانهما كمالان في النفس جدير ان يفرح بهما ولكن في التكبر بهما
ايضا نوع من الجهل خفي كما سنذكره **السبب الخامس** التكبر بالعلم وهذه اعظم الآفات واغلب الادواء
وابعدها عن قبول العلاج الا بشدة شديدة وجهد جهيد وذلك لان قدر العلم عظيم عند الله تعالى عظيم
عند الناس وهو اعظم من قدر الجمال والمال وغيرهما بل لا قدر لهما اصلا الا اذا كان معهما علم وعمل ولذلك
قال كعب ان للعلم طغيانا كطغيان المال ولذلك قال عمر العالم اذا زل زل بزلته عالم
فيعجز العالم عن ان لا يستعظم نفسه بالاضافة الى الجاهل بكثرة ما نطق الشرع بفضائل العلم ولن يقدر
العالم على دفع الكبر الا بمعرفة امرين احدهما ان يعلم ان حجة الله تعالى على اهل العلم آكد وانه يحتمل
من الجاهل ما لا يحتمل عشره من العالم وان من عصى الله تعالى عن معرفة وعلم فجنايته افحش اذ لم يقض
حق نعمة الله عليه في العلم ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعالم يوم القيمة فيلقى في النار فتندلق
اقتابه فيدور كما يدور الحمار بالرحا فيطيف به اهل النار فيقولون ما لك فيقول كنت آمر بالمعروف ولا

آتيه وانهى عن المنكر وآتيه وقد مثل الله تعالى من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال تعالى مثل
الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار اراد علماء اليهود وقال تعالى في بلعم بن باعوراء واتل عليهم نبا
الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها حتى بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس اوتي بلعم كتابا فاخلد
الى شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم آتيته فلا يدع شهوته
ويكفي العالم هذا الخطر فاي عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فمهما خطر للعالم عظم
قدره بالاضافة الى الجاهل فليتفكر في الخطر العظيم الذي هو بصدده فان خطره اعظم من خطر غيره كما ان قدره
اعظم من قدر غيره فهذا بذاك وهو كالملك المخاطر بروحه لكثرة اعدائه فانه اذا اخذ وقهر اشتهى ان يكون
قد كان فقيرا فكم من عالم يشتهي في الآخرة سلامة الجهال والعياذ بالله منه فهذا الخطر يمنع التكبر لانه
ان كان من اهل النار فالخنزير افضل منه فكيف يتكبر فلا ينبغي ان يكون العالم اكبر في نفسه من
الصحابة رضي الله عنهم وقد كان بعضهم يقول يا ليتني لم تلدني امي وياخذ الآخر تبنة من الارض ويقول يا ليتني
كنت هذه التبنة ويقول الآخر يا ليتني كنت طيرا اكل ذلك خوفا من خطر الآخرة وكانوا يرون
انفسهم اسوا حالا من الطير ومن التراب ومهما اطال فكره في الخطر الذي هو بصدده زال بالكلية كبره وراى نفسه
كانه شر الخلق ومثاله عبد امره سيده بامور فشرع فيها وترك بعضها وادخل النقصان في بعضها وشك
في بعضها انه هل اداها كما يرتضيه ام لا فاخبره مخبر ان مولاه ارسل اليه رسولا يخرجه من كل ما هو فيه عريانا
ذليلا ويلقيه على بابه في الشمس والحر زمانا طويلا حتى اذا ضاق عليه الامر وبلغ به المجهود امر برفع
حسابه وفتش عن جميع اعماله قليلها وكثيرها ثم امر به الى سجن ضيق وعذاب دائم لا يروح عنه ساعة
وقد علم ان سيده قد فعل بطوائف من عبيده مثل ذلك وعفا عن بعضهم وهو لا يدري من اي الفريقين يكون
فاذا تفكر في ذلك انكسر في نفسه وذل وبطل عزه وكبره وظهر حزنه وخوفه ولم يتكبر على احد من الخلق
بل رجا ان يكون هو من شفعائه عند نزول العذاب به فكذلك العالم اذا تفكر فيما ضيعه من امر ربه جل
وعز بجنايات على جوارحه وبذنوب في باطنه من الريا والحسد والعجب والنفاق
وغيره علم ما هو بصدده من الخطر العظيم فارقه كبره لا محالة **الامر الثاني** ان العالم يعرف ان الكبر لا
يليق الا بالله تعالى وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا وقد احب الله تعالى منه ان
يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك فلا بد ان
يكلف نفسه ما يحبه مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه وان كان يستيقن انه لا ذنب له مثلا او تصور ذلك
وبهذا زال الكبر عن الانبياء عليهم السلام اذ علموا ان من نازع الله في رداء الكبرياء قصمه وقد امرهم الله تعالى بان
يستصغروا انفسهم حتى يعظم عند الله تعالى محلهم فهذا ايضا مما يبعث على التواضع لا محالة فان قلت فكيف
يتواضع للفاسق المتظاهر بالفسق وللمبتدع وكيف يرى نفسه دونهم وهو عالم عابد وكيف يجهل فضل علم

والعبادة عند الله تعالى وكيف ينبغي ان يخطر بباله خطر العلم وهو يعلم ان خطر الفاسق والمبتدع اكثر فاعلم
ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة بل لو نظر الى كافر لم يمكنه ان يتكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم
له بالايمان ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر والكبير من هو كبير عند الله تعالى في الاخرة والكلب والخنزير اعلى رتبة
ممن هو عند الله تعالى من اهل النار وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر الى عمر رضي الله عنه قبل اسلامه
فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه الله تعالى الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر وحده رضي الله عنهم
اجمعين فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الى العواقب وجميع الفضائل في الدنيا تراد للعاقبة
فاذا حق العبد ان لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل قال انه عصى الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فهو اعذر
مني وان نظر الى عالم فيقول انه قد علم ما لم اعلم فكيف اكون مثله وان نظر الى كبير هو اكبر منه
قال انه اطاع الله تعالى قبلي فكيف اكون مثله وان نظر الى صغير قال اني عصيت الله قبله فكيف اكون
مثله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له بالاسلام ويختم لي بما هو عليه فليس دوام الهداية
الي كما لم يكن ابتداؤها الي فبملاحظة الخاتمة يقدر على ان ينفي الكبر عن نفسه وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة
الاخرة والقرب من الله تعالى لا فيما يظهر في الدنيا مما لا بقاء له ولعمري ان هذا الخطر مشترك بين المتكبر والمتكبر عليه
ولكن حق كل واحد ان يكون مصروف الهم الى نفسه مشغول القلب بخوفه لعاقبته لا ان يشتغل بخوف غيره
فان الشفيق بسوء الظن مولع وشفقة كل انسان على نفسه فاذا حبس جماعة في جناية وهم متوعدون بان
تضرب رقابهم لم يتفرغ واحد للتكبر بعضهم على بعض وان عمهم الخطر اذ شغل كل واحد منهم بنفسه عن الالتفات
الى غيره حتى كان كل واحد هو وحده في مصيبته وخطره فان قلت كيف ابغض المبتدع في الله تعالى وابغض
الفاسق وقد امرت ببغضهما ثم مع ذلك اتواضع لهما والجمع بينهما متناقض فاعلم ان هذا امر مشتبه ملتبس
على اكثر الخلق اذ يمتزج غضبك لله تعالى في انكار البدعة والفسق بكبر النفس والادلال بالعلم والورع
فكم من عابد جاهل وعالم مغرور اذا راى فاسقا جلس الى جنبه ازعجه من عنده وتنزه منه بكبر باطن في نفسه
وهو ظان انه قد غضب لله تعالى كما وقع لعابد بني اسرائيل مع خليعهم وذلك لان الكبر على المطيع ظاهر
كونه شرا فالحذر عنه ممكن والكبر على الفاسق والمبتدع يشبه الغضب لله تعالى وهو خير فان الغضبان
ايضا يتكبر على من غضب عليه والمتكبر يغضب واحدهما يثمر الاخر ويوجبه وهما ممتزجان ملتبسان لا
يميز بينهما الا الموفقون والذي يخلصك عن هذا ان يكون الحاضر في قلبك عند مشاهدة المبتدع
او الفاسق وامرهما بالمعروف ونهيهما عن المنكر ثلاثة امور احدها التفاتك الى ما سبق من ذنوبك وخطاياك
ليصغر عند ذلك قدرك في عينك والثاني ان يكون ملاحظتك لما انت متميز به من العلم واعتقاد الحق
والعمل الصالح من حيث انها نعمة من الله تعالى عليك فلله المنة فيه لا لك فترى ذلك منه حتى لا تعجب بنفسك
واذا لم تعجب لم تتكبر والثالث ملاحظة ابهام عاقبتك وعاقبته انه ربما يختم لك بالسوء ويختم له

بالخير حتى يشغلك الخوف عن التكبر عليه فان قلت فكيف اغضب مع هذه الاحوال فاقول تغضب
لسيدك ومولاك اذ امرك ان تغضب لا لنفسك وانت في غضبك لا ترى نفسك ناجيا وصاحبك
هالكا بل يكون خوفك على نفسك بما علم الله تعالى من خفايا ذنوبك اكثر من خوفك عليه مع
الجهل بالخاتمة واعرفك ذلك بمثال لتعلم انه ليس من ضرورة الغضب لله عز وجل ان يتكبر على المغضوب عليه
وترى قدرك فوق قدره فاقول ان كان للملك غلام وولد هو قرة عينه وقد وكل الغلام بالولد ليراقبه وامره ان
يضربه مهما اساء ادبه واشتغل بما لا يليق به ويغضب عليه فان كان الغلام مطيعا لمولاه فلا يجد بدا من
ان يغضب مهما راى ولده قد اساء الادب وانما يغضب عليه لمولاه ولانه امره به ولانه يريد التقرب بامتثال
امره اليه ولانه جرى من ولده ما يكرهه مولاه فيضرب ولده ويغضب من غير تكبر عليه بل هو متواضع له يرى
قدره عند مولاه فوق قدر نفسه لان الولد لا محالة اعز من الغلام فاذا ليس من ضرورة الغضب التكبر
وعدم التواضع فكذلك يمكنك ان تنظر الى المبتدع والفاسق وتظن انهما ربما كان قدرهما عند الله تعالى
في الاخرة اعظم من قدرك لما سبق لهما من الحسنى في الازل ولما سبق لك من سوء القضاء في الازل وانت
غافل عنه ومع ذلك فتغضب بحكم الامر محبة لمولاك اذ جرى ما يكرهه مع التواضع لمن يجوز ان
يكون عنده اقرب منك في الاخرة فهكذا يكون بغض العلماء الاكياس فينضم اليه الخوف والتواضع
واما المغرور فانه يتكبر ويرجو لنفسه اكثر مما يرجو لغيره مع جهله بالعاقبة وذلك غاية الغرور فهذا
سبيل التواضع لمن عصى الله تعالى واعتقد البدعة مع الغضب عليه ومجانبته بحكم الامر **السبب**
السابع التكبر بالورع والعبادة وذلك ايضا فتنة عظيمة على العباد وسبيله في ان يلزم قلبه التواضع
لسائر العباد وهو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرف من فضيلة
العلم وقد قال الله تعالى قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي الى غير ذلك مما ورد في فضل العلم فان قال العابد
ذلك لعالم عامل بعلمه وهذا عالم فاجر فيقال له اما عرفت ان الحسنات يذهبن السيئات وكما
ان العلم يمكن ان يكون حجة على العالم كذلك يمكن ان يكون وسيلة له وكفارة لذنوبه وكل واحد منهما ممكن
وقد وردت الاخبار بما يشهد لذلك واذا كان هذا امرا غائبا لم يجز له ان يحتقر عالما بل وجب عليه ان
يتواضع له فان قلت فان صح هذا فينبغي ان يكون للعالم ان يرى نفسه فوق العابد لقوله صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل من اصحابي فاعلم ان ذلك كان ممكنا لو علم العالم عاقبة امره
وخاتمة الامر مشكوك فيها فيحتمل ان يموت بحيث يكون حاله عند الله تعالى اشد من حال الجاهل الفاسق
لذنب واحد كان يحسبه هينا وهو عند الله عظيم وقد مقته به فاذا كان هذا ممكنا كان على نفسه خائفا
فاذا كل واحد من العالم والعابد خائف على نفسه وقد كلف امر نفسه لا امر غيره فينبغي ان يكون الغالب عليه

في حق نفسه الخوف وفي حق غيره الرجاء وذلك يمنعه من التكبر بكل حال فهذا حال العابد مع العالم وأما غير
العالم فهم منقسمون في حقه إلى مستورين وإلى مكشوفين فينبغي أن لا يتكبر على المستور فلعله أقل منه ذنبا
وأكثر منه عبادة وأشد منه حبا لله تعالى وأما المكشوف حاله إن لم يظهر لك من الذنوب إلا ما تزيد
عليه ذنوبك في طول عمرك فلا ينبغي أن تتكبر عليه ولا يمكن أن تقول هو أكثر مني ذنبا لأن عدد ذنوبك
وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على إحصائها حتى تعلم الكثرة نعم يمكن أن تعلم أن ذنوبه أشد كما لو رأيت
منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك لا ينبغي أن تتكبر إذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والرياء والغل واعتقاد
الباطل والوسوسة في صفات الله تعالى وتخييل الخطأ فيه كل ذلك شديد عند الله تعالى فربما جرى عليك في باطنك
من خفايا الذنوب ما صرت به عند الله عز وجل ممقوتا وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من طاعات القلوب من حب
الله تعالى والإخلاص وخوف وتعظيم ما انمحى عنه وقد كفر ذلك سيئاته فينكشف الغطاء يوم القيامة فتراه
فوق نفسك بدرجات فهذا ممكن والإمكان البعيد فيما عليك ينبغي أن يكون قريبا عندك إن كنت
مشفقا على نفسك فلا تتفكر فيما هو ممكن لغيرك بل فيما هو مخوف في حقك فإنه لا تزر وازرة وزر أخرى وعذاب
غيرك لا يخفف شيئا من عذابك فإذا تفكرت في هذا الخطر كان عندك شغل شاغل عن التكبر وعن أن ترى
نفسك فوق غيرك وقد قال وهب بن منبه ما تم عقل امرئ حتى يكون فيه عشر خصال فعد تسعة
حتى بلغ العاشرة وما العاشرة بها ساد مجده وبها علا ذكره أن يرى الناس كلهم خيرا منه وإنما الناس عنده
فرقتان فرقة هي أفضل منه وأرفع وفرقة هي أشر منه وأدنى فهو يتواضع للفرقتين جميعا بقلبه إن رأى من هو
خير منه سره وتمنى أن يلحق به وإن رأى من هو شر منه قال لعل هذا ينجو وأهلك أنا فلا تراه إلا خائفا
من العاقبة ويقول لعل بر هذا باطن فذلك خير له ولا أدري لعل فيه خلقا كريما بينه وبين الله عز وجل فرحمه
الله تعالى ويتوب عليه ويختم له بأحسن الأعمال صالح وبري ظاهر فذلك شر لي فلا يأمن ما أظهر من الطاعة
أن يكون دخلتها الآفات فأحبطها ثم قال فحينئذ كمل عقله وساد أهل زمانه فهذا كلامه
وبالجملة من جوز أن يكون عند الله تعالى شقيا وقد سبق القضاء الأزلي بشقوته فما له سبيل إلى أن يتكبر بحال
من الأحوال نعم إذا غلبه الخوف رأى كل أحد خيرا من نفسه وذلك هو الفضيلة كما روي أن عابدا أوى إلى
جبل فقيل له في النوم ائت فلانا الإسكاف فسله أن يدعو لك فأتاه فسأله عن عمله فأخبره أن يصوم
النهار ويكتسب فيتصدق ببعضه ويطعم عياله بعضه فرجع وهو يقول إن هذا الحسن ولكن ليس
كالتفرغ لطاعة الله تعالى فأتي في النوم ثانيا فقيل له ائت الإسكاف فقل له ما هذا الصفار بوجهك فأتاه
فسأله فقال له ما رأيت أحدا من الناس إلا وقع لي أنه سينجو وأهلك أنا فقال العابد بهذه والذي يدل على
فضيلة هذه الخصلة قوله تعالى يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أي يؤتون الطاعات وهم على وجل عظيم من
قبول ذلك وقال تعالى إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون وقال سبحانه إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين

وقد وصف الله تعالى الملائكة مع تقدسهم عن الذنوب ومواظبتهم على العبادة على الدؤوب بالإشفاق
فقال تعالى يسبحون الليل والنهار لا يفترون وإنهم من خشية ربهم مشفقون فمتى زال
الإشفاق والحذر مما سبق به القضاء في الأزل وينكشف عند خاتمة الأجل غلبه الأمن من مكر الله تعالى
وذلك يوجب الكبر وهو سبب الهلاك والكبر دليل الأمن فالأمن مهلك والتواضع دليل الخوف وهو مسعد
فإذا ما يفسد العابد بإضمار واحتقار الخلق والنظر إليهم بعين الاستصغار أكثر مما يصلحه بظاهر
الأعمال فهذه معارف بها يزال داء الكبر عن القلب لا غير إلا أن القلب بعد هذه المعرفة قد يضمر التواضع
ويدعي البراءة من الكبر وهي كاذبة فإذا وقعت الواقعة عادت إلى طبعها ونسيت وعدها فعن هذا لا
ينبغي أن يكتفي بالمداواة بمجرد المعرفة بل ينبغي أن يكمل بالعمل ويجرب بأفعال المتواضعين في مواضع هيجان
الكبر من النفس ولنمتحن امتحانات هي على دلالة على استخراج ما في الباطن وإن كانت
الامتحانات كثيرة الامتحان الأول أن يناظر في مسألة مع واحد من أقرانه فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه
فثقل عليه قبوله والانقياد له والاعتراف له والشكر له على تنبيهه وتعريفه وإخراجه الحق فذلك يدل
على أن فيه كبرا دفينا فليتق الله فيه وليشتغل بعلاجه أما من حيث العلم فبأن يذكر نفسه خسة نفسه
وخطر عاقبته وأن الكبر لا يليق إلا بالله تعالى وأما بالعمل فبأن يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف
بالحق ويطلق اللسان بالحمد والثناء ويقر على نفسه بالعجز ويشكره على الاستفادة ويقول ما أحسن
ما فطنت له وقد كنت غافلا عنه فجزاك الله خيرا كما نبهتني عليه فالحكمة ضالة المؤمن فإذا وجدها فينبغي
أن يشكر من دله عليها فإذا واظب على ذلك مرات متوالية صار له ذلك طبعا وسقط ثقل الحق عن قلبه
وطاب له قبوله ومهما ثقل عليه الثناء على أقرانه بما فيهم ففيه كبر فإن كان ذلك لا يثقل عليه في الخلوة ويثقل
في الملأ فليس فيه كبر وإنما فيه رياء فيعالج الرياء بما ذكرناه من قطع الطمع عن الناس وتذكير القلب بأن
منفعته في كماله في ذاته عند الله تعالى لا عند الخلق إلى غير ذلك من أدوية الرياء وإن ثقل عليه في الخلوة
والملأ جميعا ففيه الكبر والرياء جميعا ولا ينفعه الخلاص من أحدهما ما لم يتخلص من الثاني فليعالج
كلا الداءين جميعا فإنهما جميعا مهلكان الامتحان الثاني أن يجتمع مع الأقران والأمثال في المحافل
فيقدمهم على نفسه ويمشي خلفهم ويجلس في الصدور تحتهم فإن ثقل ذلك عليه فهو متكبر فليواظب
عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزايله الكبر وهاهنا للشيطان مكيدة وهو أن يجلس في صف
النعال أو يجعل بينه وبين الأقران بعض الأرذال فيظن أن ذلك تواضع وهو عين التكبر فإن ذلك
يخف على نفوس المتكبرين إذ يوهمون أنهم تركوا مكانهم بالاستحقاق والتفضل فيكون
قد تكبر وتكبر بإظهار التواضع أيضا بل ينبغي أن يقدم أقرانه ويجلس بجنبهم ولا ينحط عنهم إلى صف
النعال فذلك هو الذي يخرج خبث الكبر من الباطن الامتحان الثالث أن يجيب دعوة الفقير

يمير الى البيت في حاجة الرفقاء والاقارب فان ثقل ذلك عليه فهو كبر فان هذه الافعال من مكارم
الاخلاق والثواب عليها جزيل فنفور النفس عنها ليس الا لخبث في الباطن فليشتغل
بازالته بالمواظبة عليه مع تذكر جميع ما ذكرناه من المعارف التي تزيل داء الكبر **الامتحان الرابع**
ان يحمل حاجة نفسه وحاجة اهله ورفقائه من السوق الى البيت فان ابت نفسه ذلك فهو كبر او رياء
فان كان يثقل ذلك عليه مع خلو الطريق فهو كبر فان كان لا يثقل الا عند مشاهدة الناس فهو رياء وكل ذلك
من امراض القلب وعلله المهلكة له ان لم يتدارك وقد اهمل الناس طب القلوب واشتغلوا بطب
الاجسام مع ان الاجسام قد كتب عليها الموت لا محالة والقلوب لا تدرك السعادة الا بسلامتها اذ قال
تعالى الا من اتى الله بقلب سليم ويروى عن عبد الله بن سلام انه حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا يوسف
قد كان في غلمانك من بنيك ما يكفونك قال اجل ولكني اردت ان اجرب نفسي هل تنكر ذلك
فلم يقنع منها بما اعطته من العزم على ترك الانفة حتى جربها اهي صادقة او كاذبة وفي الخبر من حمل
الفاكهة والشيء فقد برئ من الكبر **الامتحان الخامس** ان يلبس ثيابا بذلة فان نفور النفس عن
ذلك في الملأ رياء وفي الخلوة كبر وكان عمر بن عبد العزيز له مسح يلبسه بالليل وقال صلى الله عليه وسلم انما
انا عبد آكل بالارض والبس الصوف واعتقل البعير والعق اصابعي واجيب دعوة المملوك فمن رغب
عن سنتي فليس مني ويروى ان ابا موسى الاشعري قيل له ان قوما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم ولبس
عباءة فصلى فيها بالناس وهذه مواضع يجتمع فيها الرياء والكبر فما يختص بالملأ فهو رياء وما يكون في
الخلوة فهو كبر فليتعرف فان من لا يعرف الشر لا يتقيه ومن لا يدرك المرض لا يداويه **بيان غاية الرياضة
وخلق التواضع** اعلم ان هذا الخلق كسائر الاخلاق له طرفان وواسطة فطرفه الذي يميل الى الزيادة
يسمى تكبرا وطرفه الذي يميل الى النقصان يسمى تخسسا ومذلة والوسط يسمى تواضعا والمحمود ان
يتواضع في غير مذلة ومن غير تخاسس فان كلا طرفي قصد الامور ذميم واحب الامور الى الله اوسطها
فمن يتقدم على امثاله فهو متكبر ومن تأخر عنهم فهو متواضع اي وضع شيئا من قدره الذي يستحقه
والعالم اذا دخل عليه اسكاف فتنحى له عن مجلسه واجلسه فيه ثم تقدم وسوى له نعله وعدا الى باب
الدار خلفه فهو تخاسس وتذلل وهذا ايضا غير محمود بل المحمود عند الله تعالى العدل وهو ان يعطي
كل ذي حق حقه فينبغي ان يتواضع بمثل هذا لامثاله ولمن يقرب منه درجته فاما تواضعه للسوقي
فبالقيام والبشر في الكلام والرفق في السؤال واجابة دعوته والسعي في حاجته وامثال ذلك وان لا يرى
نفسه خيرا منه بل يكون على نفسه اخوف منه على غيره فلا يحتقره ولا يستصغره وهو لا
يعرف خاتمة امره وخاتمته فاذا سبيله في اكتساب التواضع ان يتواضع للاقران ولمن دونهم حتى يخف
عليه التواضع المحمود في محاسن العادات ليزول به الكبر عنه فان خف عليه ذلك فقد حصل له خلق

التواضع وان كان يثقل عليه من جهة الفعل فهو متكلف لا متواضع بل الخلق ما يصدر عنه الفعل بسهولة
من غير ثقل ومن غير روية فان خف ذلك وصار بحيث يثقل عليه رعاية قدره حتى احب
التملق والتخاسس فقد خرج الى طرف النقصان وهو التملق وذلك اهون من الميل الى طرف الزيادة بالتكبر
كما ان الميل الى التبذير في المال احمد عند الناس من الميل الى طرف البخل فنهاية التبذير ونهاية البخل مذمومان
واحدهما افحش وكذلك نهاية التكبر ونهاية التخسس والتذلل مذمومان واحدهما اقبح من الآخر
والمحمود المطلق هو العدل ووضع الامور مواضعها كما يجب وعلى ما يجب وذلك بالشرع والعادة
ولنقتصر على هذا من بيان اخلاق الكبر والتواضع **الشطر الثاني من الكتاب في
العجب** وفيه بيان ذم العجب وآفته وبيان حقيقة العجب والادلال وبيان علاج العجب على الجملة
وبيان اقسام ما فيه العجب وتفصيل علاجه **بيان ذم العجب وآفته** اعلم ان العجب مذموم في
كتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم ذكر ذلك في معرض الانكار وقال تعالى وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله الآية فرد على
الكفار في اعجابهم بحصونهم وشوكتهم وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهذا ايضا يرجع الى
العجب بالعمل وقد يعجب الانسان بعمل هو مخطئ فيه كما يعجب بعمل هو فيه مصيب وقال النبي
صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فالمهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال لابي
ثعلبة حيث ذكر آخر هذه الامة فقال اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا واعجاب كل ذي رأي برأيه
فعليك نفسك وقال ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنتين العجب والقنوط وانما جمع بينهما لان السعادة
لا تنال الا بالسعي والطلب والجد والتشمير والقانط لا يسعى ولا يطلب والمعجب يعتقد انه قد سعد وقد
ظفر بمراده فلا يسعى فالموجود لا يطلب والمحال لا يطلب والسعادة موجودة في اعتقاد المعجب حاصلة
له وفي اعتقاد القانط فمن ثم جمع بينهما وقد قال تعالى فلا تزكوا انفسكم قال ابن جريج معناه اذا
عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد بن اسلم لا تبروها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب ووقى طلحة
رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد بنفسه واكب عليه حتى اصيبت كفه فكأنه اعجبه فعله العظيم اذ فداه
بروحه حتى جرح فتفرس ذلك فيه عمر فقال ما زال يعرف في طلحة بأو منذ اصيبت اصبعه مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم والبأو في اللغة هو الكبر الا انه نقل فيه انه اظهره واحتقر مسلما فلما كان وقت الشورى قال له
ابن عباس اين انت من طلحة قال ذلك رجل فيه نخوة فاذا كان لا يتخلص من العجب امثالهم فكيف
يتخلص الضعفاء ان لم يأخذوا حذرهم وقال مطرف لأن ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما
واصبح معجبا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لخشيت عليكم اكبر من ذلك العجب فجعل العجب اكبر الذنوب
وكان بشر بن منصور من الذين اذا رؤوا ذكر الله تعالى والدار الآخرة لمواظبته على العبادة فأطال الصلاة يوما

ورجل خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف عن الله قال لا يعجبك ما رأيت مني فان ابليس لعنه الله قد عبد الله تعالى مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى ما صار اليه وقيل لعائشة متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن وقد قال تعالى ولا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى فالمن نتيجة استعظام الصدقة واستعظام العمل هو العجب فظهر بهذا ان العجب مذموم جدا **بيان آفة العجب** اعلم ان آفات العجب كثيرة فان العجب يدعو الى الكبر لانه احد اسبابه كما ذكرنا فيتولد من العجب الكبر ومن الكبر الآفات الكثيرة التي لا تخفى هذا مع العباد واما مع الله تعالى فالعجب يدعو الى نسيان الذنوب واهمالها فبعض ذنوبه لا يذكرها ولا يتفقدها لظنه انه مستغن عن تفقدها فينساها وما يتذكر منها فيستصغرها ولا يستعظمها فلا يجتهد في تداركها وتلافيها بل يظن انها تغفر له واما العبادات والاعمال فانه يستعظمها ويتبجح بها ويمن على الله تعالى بفعلها وينسى نعمة الله تعالى في التوفيق والتمكين منها ثم اذا اعجب بها عمي عن آفاتها ومن لا يتفقد آفات الاعمال كان اكثر سعيه ضايعا فان الاعمال الظاهرة اذا لم تكن خالصة نقية عن الشوايب قلما ينفع وانما يتفقد من يغلب عليه الاشفاق والخوف دون العجب والمعجب يغتر بنفسه وبربه تعالى ويأمن مكر الله وعذابه ويظن انه عند الله تعالى بمكان وان له عند الله تعالى منة وحقا باعماله التي هي نعمة من نعمه وعطية من عطاياه ويخرجه العجب الى ان يثني على نفسه ويحمدها ويزكيها وان اعجب برأيه وعمله وعقله منع ذلك من الاستفادة والاستشارة والسؤال فيستبد بنفسه ورأيه ويستنكف عن سؤال من هو اعلم منه وربما يعجب بالرأي الخطأ الذي خطر له فيفرح بكونه من خواطره ولا يفرح بخاطر غيره فيصر عليه ولا يسمع نصح ناصح ولا وعظ واعظ بل ينظر الى غيره بعين الاستجهال ويصر على خطائه فان كان رأيه في امر دنيوي فيحقق فيه وان كان في امر ديني لا سيما فيما يتعلق باصول العقايد فيهلك به ولو اتهم نفسه ولم يثق برأيه واستضاء بنور القرآن واستعان بعلماء الدين وواظب على مدارسة العلم وتابع سؤال اهل البصيرة لكان ذلك يوصله الى الحق فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان من المهلكات ومن اعظم آفاته انه يفتر في السعي لظنه انه قد فاز واستغنى وهو الهلاك الصريح الذي لا شبهة فيه

بيان حقيقة العجب والادلال وحدهما اعلم ان العجب انما يكون بوصف هو كمال لا محالة وللعالم بكمال نفسه في علم وعمل ومال وغيره حالتان احديهما ان يكون خايفا على زواله مشفقا على تكدره او سلبه من اصله فهذا ليس بمعجب والاخرى ان لا يكون خايفا من زواله ولكن يكون فرحا به من حيث انه نعمة من الله تعالى عليه لا من حيث اضافته الى نفسه وهذا ليس بمعجب وله حالة ثالثة هي العجب وهو ان يكون غير خايف عليه بل يكون فرحا به مطمئنا اليه ويكون فرحه من حيث انه كمال ونعمة ورفعة وخير لا من حيث انه عطية من الله تعالى ونعمة فيكون فرحه من حيث انه صفته ومنسوب اليه بانه له لا من حيث انه منسوب الى الله تعالى بانه منه فمهما غلب على قلبه انه نعمة من الله تعالى

مهما اشار سلبه زال العجب بذلك فاذا العجب هو استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم فان انضاف الى ذلك ان غلب على نفسه ان له عند الله تعالى حقا وانه منه بمكان حتى توقع بعمله كرامة في الدنيا واستبعد ان يجري عليه مكروه استبعادا يزيد على استبعاده ما يجري على الفساق سمي هذا ادلالا بالعمل فكانه يرى لنفسه على الله تعالى دالة وكذلك قد يعطي غيره شيئا فيستعظمه ويمن عليه فيكون معجبا فان استخدمه واقترح عليه الاقتراحات او استبعد تخلفه عن قضاء حقوقه كان مدلا عليه وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن تستكثر اي لا تدل بعملك وفي الخبر ان صلوة المدل لا ترفع فوق رأسه ولان تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت مدل بعملك والادلال وراء العجب فلا مدل الا وهو معجب ورب معجب لا يدل اذ العجب يحصل بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء عليه والادلال لا يتم الا مع توقع فان توقع اجابة دعوته واستنكر ردها بباطنه وتعجب منه كان مدلا بعمله فانه لا يتعجب من رد دعاء الفساق ويتعجب من رد دعاء نفسه لذلك فهذا هو العجب والادلال وهو من مقدمات الكبر واسبابه

بيان علاج العجب على الجملة اعلم ان علاج كل علة هو مقابلة سببها بضدها وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك الجهل فقط فلنفرض العجب بفعل داخل تحت اختيار العبد كالعبادة والصدقة والغزو وسياسة الخلق واصلاحهم فان العجب بهذا اغلب من العجب بالجمال والقوة والنسب وما لا يدخل تحت اختياره ولا يراه من نفسه فنقول الورع والتقوى والعبادة والعمل الذي به يعجب انما يعجب به من حيث انه فيه فهو محله ومجراه او من حيث انه منه وبسببه وبقدرته وقوته فان كان يعجب من حيث انه فيه وهو محله ومجراه يجري فيه وعليه من جهة غيره فهذا جهل لان المحل مسخر ومجرى لا مدخل له في الايجاد والتحصيل فكيف يعجب بما ليس اليه وان كان يعجب به من حيث انه هو منه وفيه واليه وباختياره حصل وبقدرته وقوته فينبغي ان يتأمل في قدرته وقوته وارادته وساير اعضايه وساير الاسباب التي بها تم عمله انها من اين كانت له فان كان جميع ذلك نعمة من الله تعالى اليه من غير حق سبق له ومن غير وسيلة يدلي بها فينبغي ان يكون اعجابه بجود الله تعالى وكرمه وفضله اذ افاض عليه ما لا يستحقه وآثره به على غيره من غير سابقة ووسيلة فمهما برز الملك لغلمانه ونظر اليهم فخلع من جملتهم على واحد منهم لا لصفة فيه ولا وسيلة ولا جمال ولا خدمة فينبغي ان يتعجب المنعم عليه من فضل الملك وحكمه وايثاره من غير استحقاق فاعجابه بنفسه من اين وما سببه ولم ينبغي ان يعجب هو بنفسه نعم يجوز ان يتعجب العبد فيقول الملك حكيم عدل لا يظلم ولا يقدم ولا يؤخر الا لسبب فلولا انه تفطن فيّ من الصفات المحمودة الباطنة ما اقتضى الايثار بالخلعة لما آثرني به فيقال وتلك الصفة هي ايضا من خلعة الملك وعطيته التي خصصك بها عن غيرك من غير وسيلة او هي عطية غيره فان كان من عطية الملك ايضا لم يكن لك ان تعجب به بل كان كما لو اعطاك فرسا فلم تعجب به فاعطاك غلاما فصرت تعجب به وتقول انما اعطاني

غلاماً لأني صاحب فرس وأما غيري فلا فرس له فيقال هو الذي أعطاك الفرس فلا فرق بين أن يعطيك الفرس
والغلام معاً أو يعطي أحدهما بعد الآخر فإذا كان الكل منه فينبغي أن يعجبك جوده وفضله لا نفسك وأما
إن كانت تلك الصفة من غيره فلا يبعد أن يعجب بتلك الصفة وهذا يتصور في حق الملوك ولا يتصور في حق
الجبار ملك الملوك والمنفرد باختراع الجميع المنفرد بإيجاد الموصوف والصفة فإنك إن أعجبت بعبادتك
وقلت ــــ وفقني للعبادة لحبي له فيقال ومن خلق الحب في قلبك فستقول هو فيقال فالحب
والعبادة كلاهما نعمتان من عنده ابتداك بهما من غير استحقاق من جهتك إذ لا وسيلة لك ولا علاقة فيكون
الإعجاب بجوده إذ أنعم بوجودك وبوجود صفاتك وبوجود أعمالك وأسباب أعمالك فإذاً لا معنى لعجب
العابد بعبادته وعجب العالم بعلمه وعجب الجميل بجماله وعجب الغني بغناه لأن كل ذلك من فضل الله تعالى وإنما
هو محل لفيضان فضل الله تعالى وجوده والمحل أيضاً من جوده وفضله فإن قلت لا يمكنني أن أجهل أعمالي
وأني أنا عملتها فإني أنتظر عليها ثواباً ولولا أنها عملي لما انتظرت الثواب فإن كانت ــــ الأعمال
مخلوقة لله تعالى على سبيل الاختراع فمن أين لي الثواب وإن كانت الأعمال مني وبقدرتي فكيف لا أعجب بها
فاعلم أن جوابك من وجهين أحدهما هو صريح الحق والآخر فيه مسامحة أما صريح الحق فهو أنك وقدرتك
وإرادتك وحركتك وجميع ذلك من خلق الله تعالى واختراعه فما عملت إذ عملت وما صليت إذ صليت وما
رميت إذ رميت ولكن الله رمى فهذا هو الحق الذي انكشف لأرباب القلوب بمشاهدة أوضح من إبصار العين
بل خلقك وخلق أعضاءك وخلق فيها القوة والقدرة والصحة وخلق لك العقل والعلم وخلق لك الإرادة
ولو أردت أن تنفي شيئاً من هذا عن نفسك لم تقدر ثم خلق تعالى الحركات في أعضائك مستبداً باختراعه
من غير مشاركة من جهتك معه في الاختراع إلا أنه تعالى خلقه على ترتيب فلم يخلق الحركة ما لم يخلق في
العضو قوة وفي القلب إرادة ولم يخلق إرادة ما لم يخلق علماً بالمراد ولم يخلق علماً ما لم يخلق القلب الذي هو محل
العلم فتدريجه في الخلق شيئاً بعد شيء هو الذي خيل إليك أنك أوجدت عملك وقد غلطت وإيضاح ذلك وكيفية
الثواب ــــ على عمل هو من خلق الله تعالى سيأتي تقريره في كتاب الشكر فإنه أليق به فارجع إليه
ونحن الآن نزيل إشكالك بالجواب الثاني الذي فيه مسامحة وهو أن تحسب أن العمل حصل بقدرتك فمن
أين قدرتك ولا يتصور العمل إلا بوجودك وبوجود علمك وإرادتك وقدرتك وسائر أسباب عملك وكل
ذلك من الله تعالى لا منك فإن كان العمل بالقدرة فالقدرة مفتاحه وهذا المفتاح بيد الله تعالى وما لم يعطك
المفتاح فلا يمكنك العمل والعبادات ــــ خزائن بها يتوصل إلى السعادات ومفاتيحها القدرة والإرادة
والعلم وهي بيد الله تعالى لا محالة أرأيت لو رأيت خزائن الدنيا مجموعة في قلعة حصينة ومفتاحها بيد خازن
ولو جلست على بابها وحول حيطانها ألف سنة لم يمكنك أن تنظر إلى دينار مما فيها ولو أعطاك المفتاح
لأخذته عن قريب بأن تبسط يدك إليه فتأخذه فقط فإذا أعطاك الخازن المفاتيح وسلطك عليها

ومكنك منها فمددت اليد وأخذتها كان إعجابك بإعطاء الخازن المفاتيح أو بما إليك من مد اليد وأخذها
فلا تشك في أنك ترى ذلك نعمة من الخازن لأن المؤنة في تحريك اليد بأخذ المال قريب إنما الشأن كله في
تسليم المفاتيح فكذلك مهما خلق القدرة وسلط الإرادة الجازمة وحرك الدواعي والبواعث وصرف عنك
الموانع والصوارف حتى لم يبق صارف إلا دفع ولا باعث إلا وكل بك فالعمل هين عليك وتحريك البواعث وصرف
العوائق وتهيئة الأسباب ــــ كلها من الله تعالى ليس شيء منها إليك فمن العجائب أن تعجب
بنفسك ولا تعجب بمن إليه الأمر كله ولا تعجب بجوده وكرمه وفضله في إيثاره إياك على الفساق من عباده
إذ سلط دواعي الفساد على الفساق وصرفها عنك وسلط أقران السوء ودعاة الشر عليهم وصرفهم عنك ومكنهم
من أسباب ــــ الشهوات واللذات وزواها عنك وصرف عنهم بواعث الخير ودواعيه وسلطها
عليك حتى تيسر لك وتيسر له الشر فعل ذلك كله بك من غير وسيلة سابقة منك ولا جريمة سابقة من
الفاسق العاصي بل آثرك وقدمك واصطفاك بفضله وأبعد العاصي وأشقاه بعدله فما أعجب إعجابك
بنفسك إذا عرفت ذلك فإذاً لا تتصرف قدرتك إلى المقدور إلا بتسليط الله تعالى عليك داعية لا تجد
إلى مخالفتها سبيلاً فكأنه الذي اضطرك إلى الفعل إن كنت فاعلاً تحقيقاً فله الشكر والمنة لا لك وسيأتي
في كتاب ــــ التوحيد والتوكل من بيان تسلسل الأسباب والمسببات ما تستبين به
أنه لا فاعل إلا الله تعالى ولا خالق سواه والعجب ممن يتعجب إذا رزقه الله تعالى عقلاً وأفقره ممن
أفاض عليه المال من غير علم فيقول كيف منعني قوت يومي وأنا العاقل الفاضل وأفاض على هذا نعيم
الدنيا وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى هذا ظلماً ولا يدري المغرور أنه لو جمع له بين العقل والمال جميعاً
لكان ذلك بالظلم أشبه في ظاهر الحال إذ يقول الجاهل الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما
فهلا جمعتهما لي أو هلا رزقتني أحدهما وإلى هذا أشار علي رضي الله عنه حيث قيل له ما بال ــــ العقلاء فقراء
فقر عليهم فقال إن عقل الرجل محسوب عليه من رزقه والعجب أن العاقل الفقير ربما يرى الجاهل الغني
أحسن حالاً من نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضاً من عقلك وفقرك لامتنع عنه فإذاً
ذلك يدل على أن نعمة الله تعالى عليه أكثر فلم يتعجب منه والمرأة الحسناء الفقيرة ترى الحلي والجواهر على الدميمة
الخلق القبيحة فتتعجب فتقول كيف يحرم مثل هذا الجمال من الزينة وتخص مثل القبيح ولا تدري
المغرورة أن الجمال مكتوب عليها من رزقها وأنها لو خيرت بين الجمال وبين القبح مع الغنى لآثرت الجمال فإذاً
نعمة الله تعالى عليها أكثر وقول الحكيم العاقل الفقير بقلبه يا رب لم حرمتني الدنيا وأعطيت الجهال كقول من
أعطاه الملك فرساً فيقول يا ملك لم لا تعطيني الغلام وأنا صاحب فرس فيقول كنت لا تتعجب من هذا لو لم أعطك
الفرس فهب أني ما أعطيتك ــــ أصار نعمتي عليك وسيلة لك وحجة تطلب بها نعمة أخرى
فهذه أوهام لا تخلو الجهال عنها ومنشأ جميع ذلك الجهل ويزال ذلك بالعلم المحقق فإن العبد وعمله

واوصافه كل ذلك من عند الله تعالى نعمة ابتداه بها قبل الاستحقاق وهذا ينفي العجب والادلال ويورث
الخضوع والشكر والخوف من زوال النعمة ومن عرف هذا لم يتصور ان يعجب بعلمه وعمله اذ يعلم ان ذلك
من الله تعالى ولذلك قال داود عليه السلام يا رب ما تاتي ليلة الا وانسان من آل داود قايم ولا ياتي يوم
الا وانسان من آل داود صايم وفي رواية ما من ساعة الا وعابد من آل داود يعبدك اما بصلاة واما بصوم
واما بذكر فاوحى الله اليه يا داود ومن اين لهم ذلك ان ذلك لم يكن الا بي ولولا عوني اياك ما قويت
وساكلك الى نفسك قال ابن عباس رضي الله عنهما انما اصاب داود عليه السلام من الذنب
ما اصاب بعجبه بعمله اذ اضافه الى آل داود مدلا به حتى وكل الى نفسه فاذنب ذنبا اورثه الحزن والندم وقال
داود عليه السلام يا رب ان بني اسرائيل يسالونك بابرهيم واسحق ويعقوب فقال اني ابتليتهم فصبروا
فقال يا رب وانا ان ابتليتني صبرت فادل بالعمل قبل وقته فاوحى الله اليه اما اني لم اخبرهم باي
شي ابتليتهم ولا في اي شهر ولا في اي يوم وانا اخبرك في شهرك هذا وفي سنتك ابتليك غدا بامراة فاحذر نفسك
فوقع فيما وقع فيه وكذلك لما اتكل اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم حنين على قوتهم وكثرتهم ونسوا
فضل الله تعالى عليهم وقالوا لن نغلب اليوم عن قلة وكلوا الى انفسهم فقال تعالى ويوم حنين اذ
اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيا وضاقت عليكم الارض الاية وروى ابن عيينة ان ايوب عليه السلام قال
الهي انك ابتليتني بهذا البلا وما ورد علي امر الا آثرت هواك على هواي فنودي من غمامة بعشرة آلاف صوت
يا ايوب انى لك ذلك اي من اين لك ذلك قال فاخذ الرماد فوضعه على راسه وقال منك يا رب فرجع عن نسيانه
اضاف ذلك الى الله تعالى ولذلك قال الله تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من
احد ابدا وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه وهم خير الناس ما منكم من احد ينجيه عمله قالوا ولا انت
يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته ولقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتمنون
ان يكونوا ترابا وتبنا وطيرا مع صفا اعمالهم وقلوبهم فكيف يكون لذي بصيرة ان يعجب بعمله او يدل
ولا يخاف على نفسه فاذا هذا هو العلاج القامع لمادة العجب من القلب ومهما غلب ذلك على القلب شغله
خوف سلب هذه النعمة عن الاعجاب به بل هو ينظر الى الكفار والفساق وقد سلبوا نعمة الايمان
والطاعة بغير ذنب اذنبوه من قبل فيخاف من ذلك فيقول ان من لا يبالي ان يحرم من غير جناية ويعطي
من غير وسيلة لا يبالي ان يعود ويسترجع ما وهب فكم من مومن قد ارتد ومطيع قد فسق وختم له بالسوء
وهذا لا يبقى معه عجب بحال **بيان اقسام ما به العجب وتفصيل علاجه** اعلم ان العجب بالاسباب
التي بها يتكبر كما ذكرناه وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي الخطا الذي يزين له بجهله فما به العجب
ثمانية الاول ان يعجب ببدنه في جماله وهيئته وصحته وقوته وتناسب اشكاله وحسن صورته وبالجملة
تفصيل خلقته فيلتفت الى جمال نفسه وينسى انه نعمة من الله تعالى وهو بعرضة الزوال في كل حال

وعلاجه ما ذكرناه في الكبر بالجمال وهو التفكر في اقذار باطنه وفي اول امره وآخره وفي الوجوه الجميلة والابدان
الناعمة انها كيف تمزقت في التراب وانتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع **الثاني**
القوة والبطش كما حكي عن قوم عاد حين قالوا من اشد منا قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها
فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى عليه السلام فثقبه الله تعالى في عنقه وقد يتكل المومن ايضا
على قوته كما روي عن سليمن عليه السلام انه قال لاطوفن الليلة على مائة امراة ولم يقل ان شا الله
تعالى فحرم ما اراد من الولد وكذلك قول داود عليه السلام ان ابتليتني صبرت اعجابا بالقوة ويورث العجب بالقوة
الهجوم في الحروب والقا النفس في التهلكة والمبادرة الى الضرب والقتل لكل من قصده بالسو وعلاجه ما
ذكرناه وهو ان يعلم ان حمى يوم تضعف قوته وانه اذا اعجب بها ربما سلبه الله تعالى ذلك بادنى آفة يسلطها
عليه **الثالث** العجب بالعقل والكياسة والتفطن لدقايق الامور من مصالح الدين والدنيا وثمرته
الاستبداد بالراي وترك المشورة واستجهال الناس المخالفين له لرايه ويخرج الى قلة الاصغا الى اهل العلم اعراضا
عنهم بالاستغنا بالراي والعقل واستحقارا لهم واستهانة به وعلاجه ان يشكر الله تعالى على ما رزق من العقل
ويتفكر انه بادنى مرض يصيب دماغه كيف يوسوس ويجن بحيث يضحك منه فلا يامن ان يسلب عقله ان
اعجب به ولم يقم بشكره وليستقصر عقله وعلمه وليعلم انه ما اوتي من العلم الا قليلا وان اتسع علمه وان ما
جهله مما عرفه الناس اكثر مما علمه فكيف بما لم يعرفه الناس من علم الله تعالى وان يتهم عقله وينظر الى
الحمقى كيف يعجبون بعقولهم ويضحك الناس منهم فيحذر ان يكون منهم وهو لا يدري فان
القاصر العقل قط لا يعلم قصور عقله فينبغي ان يعرف مقدار عقله من غيره لا من نفسه ومن اعدايه لا من
اصدقايه فان من يداهنه يثني عليه فيزيده عجبا وهو لا يظن بنفسه الا الخير ولا يفطن لجهل نفسه فيزداد
به عجبا **الرابع** العجب بالنسب الشريف كعجب الهاشمية حتى يظن بعضهم انه ينجو بشرف نسبه
ونجاة آبايه وانه مغفور له ويتخيل بعضهم ان جميع الخلق له موال وعبيد وعلاجه ان يعلم انه مهما خالف
آباه في افعالهم واخلاقهم وظن انه يلحق بهم فقد جهل وان اقتدى بآبايه فما كان من اخلاقهم العجب بل الخوف
والازرا على النفس واستعظام الخلق ومذمة النفس ولقد شرفوا بالطاعة والعلم والخصال الحميدة
لا بالنسب فليشرف بما شرفوا به وقد ساواهم في النسب وشاركهم في القبايل من لم يومن بالله تعالى
فكانوا عند الله تعالى شرا من الكلاب واخس من الخنازير ولذلك قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم
من ذكر وانثى اي لا تفاوت في انسابكم لاجتماعكم في اصل واحد ثم ذكر فايدة النسب فقال تعالى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا ثم بين تعالى ان الشرف بالتقوى لا بالنسب فقال جل وعز ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ولما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من اكرم الناس من اكيس الناس لم يقل من ينتمي الى نسبي ولكن
قال اكثرهم للموت ذكرا واكثرهم له استعدادا وانما انزلت الاية حين اذن بلال رضي الله عنه يوم الفتح على الكعبة

واخلاقهم

فقال الحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وخالد بن اسيد العبد الاسود يوذن فقال تعالى
ان اكرمكم عند الله اتقاكم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله اذهب عنكم عبية الجاهلية اي كبرها
كلكم بنو ادم وادم من تراب وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر قريش لا ياتي الناس بالاعمال يوم
القيمة وتاتون بالدنيا تحملونها على رقابكم تقولون يا محمد يا محمد فاقول هكذا اي اعرض عنكم فبين عليه السلام
انهم ان مالوا الى الدنيا لم ينفعهم نسب قريش ولما نزل قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين فناداهم بطنا
بعد بطن حتى قال يا فاطمة بنت محمد يا صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله اعملا
لانفسكما فاني لا اغني عنكما من الله شيئا فمن عرف هذه الامور وعرف ان شرفه بقدر تقواه وقد كان من عادة
ابائه التواضع اقتدى بهم في التقوى والتواضع والا كان طاعنا في نسب نفسه بلسان حاله مهما انتمى اليهم
ولم يشبههم في التواضع والتقوى والخوف والاشفاق فان قلت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد قوله لفاطمة
وصفية اني لا اغني عنكما من الله شيئا الا ان لكما من الله رحما سابلها ببلالها وقال عليه السلام اترجوا بنو فلان
شفاعتي ولا يرجوها بنو عبد المطلب فذلك يدل على انه سيخص قرابته بالشفاعة فاعلم ان كل مسلم
فهو منتظر شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنسب ايضا جدير بان يرجوه ولكن بشرط ان يتقي الله ان
يغضب عليه فلا ياذن لاحد في شفاعته فان الذنوب منقسمة الى ما يوجب المقت فلا يوذن في الشفاعة والى ما
يعفى عنه بسبب الشفاعة كالذنوب عند ملوك الدنيا فان كل ذي مكانة عند الملك لا يقدر على الشفاعة فيمن
اشتد عليه غضب الملك فمن الذنوب ما لا تنجي عنه الشفاعة وعنه العبارة بقوله تعالى لا يشفعون
الا لمن ارتضى وقوله تعالى من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وبقوله تعالى لا تنفع الشفاعة الا من اذن له
الرحمن ورضي له قولا واذا انقسمت الذنوب الى ما يشفع فيها والى ما لا يشفع وجب الخوف والاشفاق لا محالة
ولو كان كل ذنب تقبل فيه الشفاعة لما امر قريشا بالطاعة ولما نهى فاطمة رضي الله عنها عن المعصية ولكان
ياذن لها في اتباع الشهوات لتكمل لذتها في الدنيا وترك التقوى اعتمادا على طبيب حاذق
مشفق من اب او اخ او غيره فذلك جهل لان سعي الطبيب وهمته وجده ينفع في ازالة بعض الامراض لا في كلها
فلا يجوز ترك الحمية مطلقا اعتمادا على مجرد الطب بل للطب اثر على الجملة ولكن في الامراض الخفيفة وعند
غلبة اعتدال المزاج فهكذا ينبغي ان يفهم عناية الشفعاء من الانبياء والصلحاء للاقارب والاجانب فانه كذلك قطعا
وذلك لا يزيل الخوف والحذر وكيف يزيل وخير الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه وقد كانوا
يتمنون ان يكونوا بهايم من خوف الاخرة مع كمال تقواهم وحسن اعمالهم وصفا قلوبهم وما سمعوه من وعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم اياهم بالشفاعة عامة ولم يتكلوا عليها ولم يفارق الخضوع والخشوع قلوبهم فكيف يعجب
بنفسه ويتكل على الشفاعة من ليس له مثل صحبتهم وسابقتهم **الخامس** العجب بنسب السلاطين
الظلمة واعوانهم دون نسب اهل الدين والعلم وهذا غاية الجهل وعلاجه ان يتفكر في مخازيهم وما جرى لهم من الظلم

على عباد الله تعالى والفساد في دين الله وانهم ممقوتون عند الله تعالى ولو نظر الى صورهم في النار
وانتانهم واقذارهم لاستنكف منهم ولتبرا من الانتساب اليهم ولانكر على من نسبه اليهم استقذارا لهم واستحقارا
ولو انكشف له ذلهم في القيمة وقد تعلق الخصماء بهم والملائكة اخذون بنواصيهم يجرونهم على وجوههم الى جهنم
في مظالم العباد لتبرا الى الله تعالى منهم ولكان انتسابه الى الكلب والخنزير احب اليه من الانتساب اليهم فحق
اولاد الظلمة ان عصمهم الله تعالى من ظلمهم ان يشكروا الله تعالى على سلامة دينهم ويستغفروا لابائهم ان كانوا
مسلمين فاما العجب بنسبهم فجهل محض **السادس** العجب بكثرة العدد من الاولاد والخدم والغلمان والعشيرة
والاقارب والانصار والاتباع كما قال الكفار نحن اكثر اموالا واولادا وكما قال المومنون يوم حنين لن نغلب اليوم
عن قلة وعلاجه ما ذكرناه في الكبر وهو ان يتفكر في ضعفه وضعفهم وان كلهم عبيد عجزة لا يملكون لانفسهم ضرا
ولا نفعا وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ثم كيف يعجب بهم وانهم سيفترقون عنه اذا مات فيدفن في قبره
ذليلا مهينا وحده لا يرافقه ولد ولا اهل ولا قريب ولا حميم ولا عشير ويسلمونه الى البلى والحيات والعقارب والديدان ولا يغنون
عنه شيئا في احوج اوقاته اليهم وكذلك يهربون منه يوم القيمة يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه
وفصيلته التي تؤويه فاي خير فيمن يفارقك في اشد احوالك ويهرب منك وكيف تعجب به ولا ينفعك في القبر والقيمة
وعلى الصراط الا عملك فكيف تتكل على من لا ينفعك وتنسى نعم من يملك ضرك ونفعك وموتك وحيوتك ونشورك
السابع العجب بالمال كما قال تعالى حكاية عن صاحب الجنتين اذ قال انا اكثر منك مالا واعز نفرا وراى
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا غنيا جلس الى جنبه رجل فقير فانقبض منه وجمع ثيابه فقال
عليه السلام خشيت ان يعدو اليك فقره وذلك العجب بالغنى وعلاجه ان يتفكر في آفات المال وكثرة حقوقه وعظيم
غوائله والى فضيلة الفقراء وسبقهم الى الجنة في القيمة والى ان المال غاد ورائح ولا اصل له والى ان في اليهود من يزيد عليه
في المال والى قوله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر في حلة له قد اعجبته نفسه اذ امر الله تعالى الارض فاخذته فهو
يتجلجل فيها الى يوم القيمة اشار به الى عقوبة اعجابه بماله ونفسه وقال ابو ذر كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم
فدخل المسجد فقال لي يا ابا ذر ارفع راسك فرفعت راسي فاذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع راسك فرفعت راسي
فاذا رجل عليه خلقان فقال يا ابا ذر هذا عند الله خير من قراب الارض من مثل هذا وجميع ما ذكرناه
في كتاب الزهد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال يبين حقارة الاغنياء وشرف الفقراء عند الله تعالى فكيف يتصور
من المومن ان يعجب بثروته بل لا يخلو المومن عن الخوف من تقصيره في القيام بحقوق المال واخذه من حله
ووضعه في حقه ومن لا يفعل ذلك فمصيره الى الخزي والبوار فكيف يعجب بنفسه **الثامن** العجب بالراي
الخطا قال الله تعالى افمن زين له سوء عمله فراه حسنا وقال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقد اخبر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ذلك يغلب على آخر هذه الامة وبذلك هلكت الامم اذ افترقت فرقا وكل معجب
برايه وكل حزب بما لديهم فرحون وجميع اهل البدع والضلال انما اصروا عليها لعجبهم بارائهم والبدعة هي استحسان

ما يسوق اليه الهوى والشهوة مع ظن كونه حقا وعلاج هذا العجب اشد من غيره لان صاحب الراى الخطا
جاهل بخطايه ولو عرفه لتركه ولا يعالج الدا الذى لا يعرف والجهل دا لا يعرف فتعسر مداواته جدا الا ان العا
يقدر ان يبين للجاهل جهله ويزيله عنه الا اذا كان معجبا برايه وجهله فانه لا يصغى الى العارف ويتهمه
فقد سلط الله تعالى عليه بلية تهلكه وهو يظنها نعمة فكيف يمكن علاجه وكيف يطلب الهرب مما هو سبب
سعادته فى اعتقاده وانما علاجه على الجملة ان يكون متهما لرايه ابدا لا يغتر به الا ان يشهد له
قاطع من كتاب او سنة او دليل عقلى صحيح جامع لشروط الادلة ولا يعرف الانسان ادلة
الشرع والعقل وشروطها ومكامن الغلط فيها الا بقريحة تامة وعقل ثاقب وجد وتشمير فى الطلب وممارسة
الكتاب والسنة ومجالسة اهل العلم طول العمر ومدارسة العلوم ومع ذلك فلا يومن عليه الغلط فى بعض الامور
والصواب لمن لم يتفرغ لاستغراق عمره فى العلم ان لا يخوض فى المذاهب ولا يصغى اليها ولا يسمعها ولكن يعتقد
ان الله تعالى واحد لا شريك له وانه ليس كمثله شى وهو السميع البصير العليم وان رسوله عليه السلام صادق فيما اخبر به
ويتبع سنة السلف رضى الله عنهم ويومن بجملة ما جا به الكتاب والسنة من غير بحث وتسوال عن تفصيل بل يقول
امنا وصدقنا ويشتغل بالتقوى واجتناب المعاصى واداء الطاعات والشفقة على المسلمين وساير الاعمال
فان خاض فى المذاهب والبدع ومن التعصب فى العقايد هلك من حيث لا يشعر هذا حق كل من عزم ان لا يشتغل فى
عمره بشى غير العلم فاما الذى عزم على التجرد للعلم فاول ما يهم عليه معرفة الدليل وشروطه وذلك مما يطول الامر
فيه والوصول الى اليقين والمعرفة فى اكثر المطالب شديد لا يقدر عليه الا الاقويا المويدون بنور الله تعالى
وهو عزيز الوجود فنسال الله تعالى العصمة من الضلال ونعوذ بالله من الاغترار بخيالات الجهال امين رب العالمين

كمل كتاب ذم الكبر والعجب اعاذنا الله منهما وصلى الله على محمد وعلى اله الطيبين
الطاهرين وسلم تسليما يتلوه كتاب ذم الغرور وهو العاشر من ربع المهلكات

من كتاب احيا علوم الدين

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد وعلى اله وسلم

الحمد لله الذى بيده مقاليد الامور وبقدرته مفاتيح الخيرات والشرور مخرج اوليايه من الظلمات الى النور ومورد
اعدايه ورطات الغرور والصلوة على محمد مخرج الخلايق من الديجور وعلى اله واصحابه الذين لم تغرهم الحيوة
الدنيا ولم يغرهم بالله الغرور صلوة تتوالى على ممر الدهور ومكر الساعات والشهور اما بعد فمفتاح السعادة
التيقظ والفطنة ومنبع الشقاوة الغرور والغفلة فلا نعمة لله تعالى على عباده اعظم من الايمان والمعرفة
ولا وسيلة اليه سوى انشراح الصدر بنور البصيرة ولا نقمة اعظم من الكفر والمعصية ولا داعى اليهما
سوى عمى القلب بظلمة الجهالة فالاكياس وارباب البصاير قلوبهم كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة
الزجاجة كانها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية الاية الى قوله يهدى الله لنوره من

يشا والمغرورون قلوبهم كظلمات فى بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض
اذا اخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور فالاكياس هم الذين اراد الله تعالى ان يهديهم
فيشرح صدورهم للاسلام والهدى والمغرورون هم الذين اراد الله ان يضلهم فجعل صدورهم ضيقا حرجا كانما
يصعد فى السما والمغرور هو الذى لم تنفتح بصيرته ليكون بهداية نفسه كفيلا وبقى فى العمى فاتخذ الهوى
قايدا والشيطان دليلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الاخرة اعمى واضل سبيلا واذا عرف ان الغرور هو ام الشقاوات ومنبع
المهلكات فلا بد من شرح مداخله ومجاريه وتفصيل ما يقع الغرور فيه ليحذره المريد بعد معرفته فيتقيه
فالموفق من العباد من عرف مداخل الافات والفساد فاخذ منها حذره وبنى على الحزم والبصيرة امره ونحن
نشرح اجناس مجارى الغرور واصناف المغترين من القضاة والعلما الصالحين الذين اغتروا بمبادى الامور
الجميلة ظواهرها القبيحة سرايرها ونشير الى وجه اغترارهم بها وغفلتهم عنها فان ذلك وان كان لا يحصى ولكن
يمكن التنبيه على امثلة تغنى عن الاستقصا وفرق المغترين كثيرة ولكن يجمعهم اربعة اصناف الصنف
الاول من العلما الصنف الثانى من العباد الصنف الثالث من المتصوفة الصنف الرابع من
ارباب الاموال والمغترون من كل صنف فرق وجهات غرورهم مختلفة فمنهم من راى المنكر معروفا كالذى يتخذ
المساجد ويزخرفها من المال الحرام ومنهم من لم يميز بين ما يسعى فيه لنفسه وبين ما يسعى فيه لله تعالى كالواعظ
الذى غرضه القبول والجاه ومنهم من يترك الاهم ويشتغل بالقشر الذى يكون همه فى الصلوة
مقصورا على تصحيح مخارج الحروف الى غير ذلك من مداخل لا تتضح الا بتفصيل الفرق وضرب الامثلة ولنبدا
بذكر غرور العلما ولكن بعد بيان ذم الغرور وبيان حقيقته وحده والله المستعان على ذلك بيان ذم

الغرور وحقيقته وامثلته

اعلم ان قوله تعالى لا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله
تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الامانى كاف فى ذم الغرور وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال
ذرة من صاحب تقوى ويقين خير من ملء الارض من المغترين وقال صلى الله عليه وسلم الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وكلما ورد فى فضل العلم وذم الجهل فهو
دليل على ذم الغرور لان الغرور عبارة عن بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشى ويراه على خلاف
ما هو به والغرور هو جهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعى الغرور مغرورا فيه مخصوصا ومغرورا به
هو الذى يغره فمهما كان المجهول المعتقد شيا يوافق الهوى وكان السبب الموجب للجهل شبهة ومخيلة
فاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم الخير وهم مخطئون فيه فاكثر الناس اذا مغرورون
وان اختلفت اصناف غرورهم واختلفت درجاتهم حتى كان غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها
واشدها غرورا غرور الكفار وغرور العصاة والكفار فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور المثال الاول

غرور الكفار فمنهم من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم
الذين قالوا النقد خير من النسيئة والدنيا نقد والاخرة نسيئة فاذاً هي خير ولا بد من ايثارها وقالوا اليقين
خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا نترك اليقين بالشك وهذه اقيسة فاسدة
تشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى هولاء الاشارة بقوله
تعالى الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما
بتصديق الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله تعالى في قوله عز وجل وما عند الله
خير وابقى وقوله تعالى والاخرة خير وابقى وبقوله تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور وقوله تعالى لا تغرنكم الحيوة
الدنيا وقد اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك طوايف من الكفار فقلدوه وصدقوه وامنوا به ولم يطالبوه
بالبرهان ومنهم من قال نشدتك الله ابعثك الله رسولا فيقول نعم فيصدق وهذا ايمان العامة وهو مخرج من
الغرور وينزل هذا منزلة تصديق الصبي والده فان حضور المكتب خير من حضور اللعب مع انه لا يدري وجه كونه
خيرا واما المعرفة بالبيان والبرهان فهو ان يعرف وجه فساد القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان فان
كل مغرور فلغروره سبب وذلك السبب هو دليل وكل دليل فهو نوع قياس يقع في النفس ويورث السكون
اليه وان كان صاحبه لا يشعر به ولا يقدر على نظمه بالفاظ العلماء فالقياس الذي نظمه الشيطان فيه اصلان
احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والاخر قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس
فليس الامر كذلك بل ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار والمقصود فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة خير فان كان هذا
الكافر المغرور يبذل في تجارته درهما ليأخذ عشرة نسيئة ولا يقول النقد خير من النسيئة فلا اتركه واذا حذره
الطبيب الفواكه ولذيذ الاطعمة تركها في الحال خوفا من الم المرض في المستقبل فقد ترك النقد ورضي بالنسيئة
والتجار كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار نقدا لاجل الراحة والربح نسيئة فان كان عشرة في ثاني الحال خير من
واحد في الحال فانسب لذة الدنيا من حيث مدتها الى مدة الاخرة فان اقصى عمر الانسان مائة سنة
وليس هو عشر عشير جزء من الف الف جزء من الاخرة فكانه ترك واحدة لياخذ الف الف بل لياخذ ما لا نهاية
له ولا حد له وان نظر من حيث النوع راى لذات الدنيا مكدرة مشوبة بالمنغصات ولذات الاخرة صافية غير مكدرة
فاذاً قد غلط في قوله النقد خير من النسيئة وهذا غرور منشاؤه قبول لفظ عام مشهور اطلق واريد به خاص
فغفل المغرور عن خصوص معناه فان من قال النقد خير من النسيئة اراد به خيرا من نسيئة هو مثلها وان لم يصرح به
وعند هذا يفزع الشيطان الى القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك والاخرة شك وهذا القياس اكثر فسادا
من الاول لان كلا اصليه باطل اذ اليقين خير من الشك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه على يقين وفي ربحه على
شك والمتفقه في اجتهاده على يقين وفي ادراكه رتبة العلم على شك والصياد في تردده في المقتنص على
يقين وفي الظفر بالصيد على شك وكذلك الحزم داب العقلاء فكل ذلك ترك لليقين بالشك ولكن التاجر يقول

ان لم اتجر

ان لم اتجر بقيت جايعا وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا وكذلك المريض يشرب الدواء
البشيع الكريه وهو من الشفاء على شك ومن مرارة الدواء على يقين ولكن يقول مرارة الدواء قريب
بالاضافة الى ما اخافه من المرض والموت فكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه بحكم الحزم ان يقول
الصبر ايام قلايل وهو منتهى العمر قريب بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا
التنعم ايام حياتي وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدقا
فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض الملحدين ان كان ما قلت
حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة
ولكن كلم الملحد على قدر كلامه وهو ان الاخرة شك فهو ايضا خطا بل ذلك يقين عند المومنين وليقينه مدركان
احدهما الايمان والتصديق تقليدا للانبياء عليهم السلام والعلماء وذلك ايضا يزيل الغرور وهذا مدرك
يقين العوام واكثر الخواص ومثالهم مثال مريض لا يعرف دواء علته وقد اتفق الاطباء واهل الصناعة من عند
اخرهم على ان دواءه ان النبت الفلاني فانه تطمئن نفس المريض الى تصديقهم ولا يطالبهم بتصحيح ذلك بالبراهين
الطبية بل يثق بقولهم ويعمل به وان بقي سواديا او معتوها يكذبهم بذلك وهو يعلم بالتواتر وقراين الاحوال
انهم اكثر منه عددا واغزر منه فضلا واعلم بالطب منه بل لا علم عنده بالطب فيعلم كذبه في قوله ولا يعتقد
كذبهم بقوله ولا يغتر في عمله بسببه ولو اعتمد قوله وترك قول الاطباء كان معتوها مغرورا فكذلك من نظر
الى المقرين بالاخرة والمخبرين عنها والقائلين بان التقوى هو الدواء النافع في الوصول الى سعادتها وجدهم خير
خلق الله تعالى واعلاهم رتبة في البصيرة والمعرفة والعقل وهم الانبياء والاولياء والحكماء والعلماء واتبعهم عليه
الخلق على اصنافهم وشذ منهم احاد من البطالين غلبت عليهم الشهوة ومالت نفوسهم الى التمتع فعظم عليهم
ترك الشهوات وعظم عليهم الاعتراف بانهم من اهل النار فجحدوا الاخرة وكذبوا الانبياء عليهم
السلام فكما ان قول الصبي وقول السوادي لا يزيل طمانينة القلب الى ما اتفق عليه الاطباء فكذلك قول هذا
الغبي الذي استرقته الشهوة لا يشكك في صحة قول الانبياء والعلماء وهذا القدر من الايمان كاف لجميع الخلق
وهو يقين جازم يستحث على العمل لا محالة والغرور يزول به ان شاء الله تعالى واما المدرك الثاني لمعرفة الاخرة
فهو الوحي والالهام للانبياء عليهم السلام والالهام للاولياء رضي الله عنهم ولا تظن ان معرفة النبي صلى الله عليه وسلم
لامر الاخرة ولامور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه كما ان معرفتك تقليد للنبي عليه السلام
حتى تكون معرفتك كمعرفته وانما يختلف المقلد فقط هيهات فان التقليد ليس بمعرفة بل هو اعتقاد
صحيح والانبياء عليهم السلام عارفون ومعنى معرفتهم انه كشف لهم حقيقة الاشياء كما هي عليه فشاهدوها
بالبصيرة الباطنة كما تشاهد انت المحسوسات بالبصيرة الظاهرة فيخبرون عن مشاهدتهم لا عن سماع وتقليد
وذلك ان يكشف لهم عن حقيقة الروح وانه من امر الله تعالى الامر الذي يقابل الخلق لان ذلك الامر كلام والروح ليس

البيان

بكلام ولیس المراد بالامر الشان حتی یکون المراد انه من خلق الله تعالی فقط لان ذلک عام فی جمیع المخلوقات

بل العالم عالمان عالم الامر وعالم الخلق ولله الامر والخلق فالاجسام ذوات الكمیه والمقادیر من عالم الخلق اذ

الخلق عبارة عن التقدیر فی وضع اللسان وكل موجود منزه عن الكمیة والمقدار فانه من عالم الامر وشرح ذلك

سر الروح ولا رخصة فی ذكره لاستضرار اكثر الخلق بسماعه كسر القدر الذی منع من افشائه فمن عرف سر الروح

فقد عرف نفسه واذا عرف نفسه عرف ربه جل وعز واذا عرف نفسه وربه عرف انه امر ربانی بطبعه وفطرته وانه

فی العالم الجسمانی غریب وان هبوطه الیه لم یكن بمقتضی طبعه فی ذاته بل بامر عارض غریب من ذاته وذلك

العارض الغریب ورد علی آدم علیه السلام وعبر عنه بالمعصیه وهی التی حطته عن الجنه التی هی الیق به بمقتضی

ذاته فانه فی جوار الرب تعالی وانه امر ربانی وحنینه الی جوار الرب تعالی له طبیعی ذاتی الا ان یصرفه عن

مقتضی طبعه عوارض العالم الغریب من ذاته فینسی عند ذلك نفسه وربه جل وعز ومهما فعل ذلك

فقد ظلم نفسه اذ قیل له ولا تكونوا كالذین نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون ای الخارجون

عن مقتضی طبعهم ومعطیه استحقاقهم یقال فسقت الرطبه عن كمامها اذا خرجت عن معدنها الفطری

وهذه اشارة الی اسرار یهتز لاستنشاق روایحها العارفون ویشمئز من سماع الفاظها القاصرون

فانها تضر بهم كما تضر روایح الورد بالجعل وتبهر اعینهم الضعیفة كما تبهر الشمس ابصار الخفافیش

وانفتاح هذا الباب من سر القلب الی عالم الملكوت یسمی معرفة وولایه ویسمی صاحبه ولیا

وعارفا وهی مبادی مقامات الانبیاء وآخر مقامات الاولیا اول مقامات الانبیا علیهم السلام ولنرجع الی الغرض

المقصود ان غرور الشیطان بان الآخره شك یدفع اما بیقین تقلیدی واما ببصیرة ومشاهدة من جهة الباطن

والمومنون بالسنتهم وبعقایدهم اذا ضیعوا اوامر الله تعالی وهجروا الاعمال الصالحه ولابسوا الشهوات

والمعاصی فهم مشاركون للكفار فی هذا الغرور لانهم آثروا الحیوة الدنیا علی الآخره نعم امرهم اخف لان اصل الایمان

یعصمهم عن عقاب الابد فیخرجون من النار ولو بعد حین ولكنهم ایضا من المغرورین فانهم

اعترفوا بان الآخره خیر من الدنیا ولكنهم مالوا الی الدنیا وآثروها ومجرد الایمان لا یكفی للفوز قال الله تعالی

وانی لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدی وقال تعالی ان رحمة الله قریب من المحسنین وقال النبی صلی الله علیه

وسلم الاحسان ان تعبد الله كانك تراه وقال تعالی والعصر ان الانسان لفی خسر الا الذین آمنوا الایه فوعد المغفرة

فی جمیع كتاب الله تعالی منوط بالایمان والعمل الصالح جمیعا لا بالایمان وحده فهؤلا ایضا مغرورون اعنی

المطمئنین الی الدنیا الفرحین بها المترفین بنعیمها المحبین لها الكارهین للموت خیفة فوات لذات الدنیا

دون الكارهین له خیفة لما بعده فهذا مثال الغرور بالدنیا من الكفار والمومنین جمیعا ولنذكر للغرور

بالله تعالی مثالین من غرور الكافرین والعاصین فاما غرور الكفار فمثاله قول بعضهم فی انفسهم وعلی

السنتهم ان كان لله من معاد فنحن احق به من غیرنا ونحن منه اوفر حظا وفیه اسعد حالا كما اخبر الله تعالی

عنه من قول الرجلین المتحاورین اذ قال وما اظن الساعة قایمة ولئن رددت الی ربی لاجدن

خیرا منها منقلبا وجملة امرهما كما نقل فی التفسیر ان الكافر بنی قصرا بالف دینار واشتری بستانا بالف دینار وتزوج

امراة علی الف دینار واشتری بستانا بالف دینار وفی ذلك كله یعظه المومن ویقول اشتریت

قصرا یخرب ویفنی الا اشتریت قصرا فی الجنه واشتریت بستانا یخرب ویفنی الا اشتریت بستانا فی الجنه

لا یفنی وخدما لا یفنون ولا یموتون وزوجة من الحور العین لا تموت وفی كل ذلك یرد علیه

الكافر ویقول ما هناك شیء وما قیل من ذلك فهی اكاذیب وان كان فلیكونن لی فی الاخره خیر من هذا وكذلك وصف

الله تعالی قول العاصی ابن وایل لاوتین مالا وولدا اذ انما الله تعالی ردا علیه اطلع الغیب ام اتخذ عند الرحمن عهدا كلا

وروی عن خباب بن الارت انه قال كان لی علی العاص بن وایل دین فجیته اتقاضاه فلم یقض فقلت انی اخذه فی

الآخره فقال اذا صرت الی الآخره فان لی هناك مالا وولدا فاقضیك منه فانزل الله تعالی افرایت الذی كفر بآیاتنا

وقال لاوتین مالا وولدا الایه وقال تعالی ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته لیقولن هذا لی وما اظن الساعه

قایمه ولئن رجعت الی ربی الایه وهذا كله من الغرور بالله تعالی وسببه قیاس من اقیسة ابلیس وذلك انهم

ینظرون مرة الی نعم الله تعالی علیهم فی الدنیا فیقیسون علیه نعمة الآخره وینظرون مرة الی تاخیر العذاب عنهم فیقیسون

علیه عذاب الآخره كما قال تعالی ویقولون لولا یعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم یصلونها فبئس المصیر ومرة ینظرون

الی المومنین وهم فقراء شعث غبر فیزدرون بهم ویستحقرون فیقولون اهولاء منّ الله علیهم من بیننا ویقولون لو

كان خیرا ما سبقونا الیه وترتیب القیاس الذی نظمه فی قلوبهم انهم یقولون قد احسن الله الینا بنعیم الدنیا وكل

محسن فهو محب وكل محب فانه یحسن فی المستقبل كما قال الشاعر لقد احسن الله فیما مضی كذلك یحسن فیما بقی

وانما یقیس المستقبل علی الماضی بواسطة الكرامة والحب اذ یقول لولا انی كریم عند الله تعالی ومحبوب لما

احسن الی والتلبیس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه علیه فی الدنیا احسان فقد اغتر

بالله اذ ظن انه كریم عنده بدلیل لا یدل علی الكرامة بل عند ذوی البصایر یدل علی الهوان ومثاله ان یكون عند

الرجل عبدان صغیران یبغض احدهما ویحب الاخر فالذی یحبه یمنعه من اللعب ویلزمه المكتب ویحبسه فیه

لیعلمه الادب ویمنعه من الفواكه وملاذ الاطعمه التی تضره ویسقیه الادویه التی تنفعه والذی یبغضه یهمله

لیعیش كیف یرید فیلعب ولا یدخل المكتب ویاكل كلما یشتهی فیظن هذا العبد المهمل انه عند سیده عزیز

محبوب كریم لانه مكنه من شهواته ولذاته وساعده علی جمیع اغراضه فلم یمنعه ولم یحجر علیه

وذلك محض الغرور وهكذا نعیم الدنیا وهو یحبه كما یحمی احدكم مریضه الطعام والشراب وهو یحبه هكذا ورد

فی الحدیث فكان ارباب البصایر اذا اقبلت علیهم الدنیا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوا ذلك امارة المقت

والاهمال واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحین والمغرورون اذا اقبلت علیهم الدنیا ظنوا انها كرامه

من الله تعالی واذا صرفت عنهم الدنیا حزنوا وظنوا انه هوان كما اخبر الله تعالی عنه اذ قال فاما الانسان اذا

ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمني واما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانني كلا فبين ان
ذلك غرور قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا باكرامي ولا هذا بهواني ولكن
الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وهذا الغرور علاجه
معرفة دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما بالبصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات
الى شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالى ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك ذلك بالالهام
في منازل العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلم المعاملة واما معرفته بطريق
التقليد والتصديق فهو ان يومن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله عليه السلام وقد قال ايحسبون انما نمدهم
به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون وقال تعالى سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وقال تعالى
فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وفي تفسير قوله تعالى سنستدرجهم
من حيث لا يعلمون انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا
اثما وقال تعالى ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يوخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى غير ذلك مما ورد
في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فمن امن تخلص من الغرور فان منشا هذا الغرور الجهل بالله
تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر به بامثال هذه الخيالات وينظر الى فرعون وقارون والى ملوك
الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم تدميرا وقد حذر الله تعالى مكره واستدراجه فقال تعالى ولا
يامن مكر الله الاية وقال تعالى ومكروا ومكر الله الاية وقال تعالى والله خير الماكرين وقال تعالى انهم يكيدون كيدا
واكيد كيدا الاية فكما لا يجوز للعبد المهمل ان يستدل باهمال السيد اياه وتمكينه من النعم على حب
السيد بل ينبغي ان يجوز ان يكون ذلك اكراما منه مع ان السيد يحذر مكر نفسه فبان يجب ذلك في حق الله
تعالى مع تحذيره استدراجه اولى فاذا امن مكر الله تعالى فهو مغتر ومنشا هذا الغرور انه استدل
بنعم الدنيا على انه كريم عند المنعم واحتمل ان يكون ذلك دليل الهوان ولكن ذلك الاحتمال لا يوافق
الهوى فالشيطان بواسطة الهوى يميل بالقلب الى ما يوافقه وهو التصديق بدلالته على الكرامة وهذا
هو حد الغرور المثال الثالث هو غرور العصاة من المومنين بالله تعالى بقولهم ان الله كريم وانا
نرجو عفوه واتكالهم على ذلك واهمالهم الاعمال وتحسينهم ذلك بتسميتهم اغترارهم رجاء وظنهم ان
الرجا مقام محمود في الدين وان نعمة الله تعالى واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد
في بحار رحمته وانا موحدون ومومنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستدرجا بوهم التمسك
بصلاح الاباء وعلو نسبهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم سيرة ابائهم في الخوف والتقوى والورع وظنهم
انهم اكرم على الله تعالى من ابائهم اذ اباؤهم مع غاية الورع والتقوى كانوا خائفين وهم مع الفجور امنون
وذلك نهاية الاغترار بالله عز وجل وقياس ابليس للعلوية ان من احب انسانا احب اولاده وان الله تبارك

وتعالى قد احب اباكم فيحبكم فلا تحتاجون الى الطاعة وينسى المغرور ان نوحا عليه السلام اراد ان يستصحب
ولده في السفينة فقال ان ابني من اهلي فقال تعالى انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام
استغفر لابيه فلم ينفعه وان نبينا صلى الله عليه وسلم استاذن في ان يزور قبر امه ويستغفر لها فاذن له في
الزيارة ولم يوذن له في الاستغفار فجلس عليه السلام يبكي على قبر امه لرقته لها بسبب القرابة فهذا ايضا
اغترار بالله تعالى وهذا لان الله تعالى يحب المطيع ويبغض العاصي لحبه للاب المطيع ولو كان الحب يسري من الاب
الى الولد لكان يسري البغض ايضا بل الحق ان لا تزر وازرة وزر اخرى ومن ظن انه ينجو بتقوى ابيه كمن ظن انه
يشبع باكل ابيه او يروى بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه ويصل الى الكعبة برؤيا مشي ابيه فالتقوى
فرض عين فلا يجزي والد عن ولده شيئا وعند جزاء التقوى يفر المرء من اخيه وامه وابيه الا على سبيل
الشفاعة لمن لم يشتد غضب الله عليه فياذن في الشفاعة له كما سبق في كتاب الكبر والعجب
فان قلت فاين الغلط في قول العصاة والفجار ان الله تعالى كريم وانما نرجو مغفرته ورحمته فما هذا الكلام صحيح
مقبول في القلوب فاعلم ان الشيطان لا يغوي الانسان الا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن ولولا
حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب ولكن النبي صلى الله عليه وسلم كشف ذلك فقال الكيس من دان نفسه
وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله وهذا هو التمني على الله غير الشيطان اسمه
فسماه رجاء حتى خدع به الجهال وقد شرح الله تعالى الرجا فقال ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل
الله اوليك يرجون رحمة الله يعني ان الرجا بهم يليق و[illegible] لانه ذكر ان ثواب الاخرة اجر وجزاء على
الاعمال فقال تعالى جزاء بما كانوا يعملون وقال تعالى انما توفون اجوركم يوم القيمة افترى ان من
استوجر على اصلاح اواني وشرط له اجرة عليها وكان المشارط كريما يفي بالوعد مهما وعد ولا يخلف
بل يزيد فجاء الاجير وكسر الاواني وافسد جميعها ثم جلس ينتظر الاجر ويزعم ان المستاجر كريم افتراه
العقلاء في انتظاره متمنيا مغرورا او راجيا وهذا للجهل بالفرق بين الرجا والغرة قيل للحسن قوم يقولون نرجوا
الله تعالى ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم يترجحون فيها من رجا شيا طلبه ومن خاف
شيا هرب منه وقال مسلم بن يسار لقد سجدت البارحة حتى سقطت ثنيتاي فقال له رجل انا نرجو الله
فقال مسلم هيهات هيهات من رجا شيا طلبه ومن خاف شيا هرب منه وكما ان الذي يرجو
في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح او نكح ولم يجامع او جامع ولم ينزل فهو معتوه وكذلك من رجا رحمة الله
ولم يومن او امن ولم يعمل صالحا او عمل ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه اذا نكح ووطئ وانزل بقي
مترددا في الولد يخاف ويرجو فضل الله تعالى في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الى ان يتم
فهو كيس فكذلك اذا امن وعمل الصالحات وترك السيات مترددا بين الخوف والرجا يخاف ان لا يقبل منه
وان لا يدوم عليه وان يختم له بالسوء ويرجو من فضل الله تعالى ان يثبته بالقول الثابت ويحفظ دينه

من صواعق سكرات الموت حتى يموت على التوحيد ويحرس قلبه عن الميل الى الشهوات بقية عمره حتى لا يميل الى
المعاصي فهو كثير ومن عدا هؤلاء فهم المغرورون بالله تعالى وسوف تعلمون حين ترون العذاب من اضل سبيلا
ولتعلمن نباه بعد حين وعند ذلك يقولون ربنا ابصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل اي علمنا انه كما لا يولد
لك الا بنكاح ووقاع ولا ينبت زرع الا بحراثة وبث بذر فكذلك لا يحصل في الآخرة ثواب واجر الا بعمل صالح
فارجعنا نعمل صالحا فقد علمنا الآن صدقك في قولك وان ليس للانسان الا ما سعى وان سعيه سوف يرى
كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها الم ياتكم نذير اما سمعتم سنة الله في عباده وانه توفى كل نفس ما كسبت
وان كل نفس بما كسبت رهينة فما الذي غركم بالله بعد ان سمعتم وعقلتم قالوا لو كنا نسمع او نعقل
ما كنا في اصحاب السعير الآية فان قلت فاين مظنة الرجا وموضعه المحمود فاعلم انه محمود في موضعين احدهما
في حق العاصي المنهمك اذا خطرت له التوبة فقال الشيطان وانى تقبل توبتك فيقنطه
من رحمة الله تعالى فيجب عند هذا ان يقمع القنوط بالرجا ويتذكر ان الله تعالى كريم يقبل التوبة عن
عباده وان التوبة طاعة تكفر الذنوب قال تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة
الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم وانيبوا الى ربكم فامرهم بالانابة وقال تعالى واني لغفار
لمن تاب فاذا توقع المغفرة على التوبة فهو راج وان توقع المغفرة مع الاصرار فهو مغرور كما ان من ضاق عليه
وقت الجمعة وهو في السوق فخطر له ان يسعى الى الجمعة فقال له الشيطان لا تدرك الجمعة فاقم على موضعك
فكذب الشيطان وقام يعدو وهو يرجو ان يدرك الجمعة فهو راج وان استمر على التجارة واخذ يرجو تاخير
الامام الصلوة لاجله الى وسط الوقت او لاجل غيره او لسبب من الاسباب التي لا يعرفها فهو
مغرور والثاني ان تفتر نفسه عن فضايل الاعمال ويقتصر على الفرايض فيرجي نفسه نعيم الله عز وجل وما
وعد به الصالحين حتى ينبعث من الرجا نشاط العبادة فيقبل على الفضايل ويتذكر قوله تعالى قد افلح
المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون الى قوله يرثون الفردوس هم فيها خالدون فالرجا الاول يقمع القنوط
المانع من التوبة والرجا الثاني يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر فكل توقع حث على توبة وعلى تشمير
في العبادة فهو رجا وكل توقع اوجب فتورا في العبادة وركونا الى البطالة فهو غرة كما اذا خطر له ان يترك
الذنوب ويشتغل بالعمل فيقول له الشيطان ما لك ولايذا نفسك وتعذيبها ولك رب كريم
غفور رحيم فيفتر به عن التوبة والعبادة فهي الغرة وعند هذا واجب على العبد ان يستعمل الخوف
فيخوف نفسه بغضب الله تعالى وعظيم عقابه ويقول انه مع انه غافر الذنب شديد العقاب وانه مع انه
كريم خلد الكفار في النار ابد الآباد مع انه لم يضره كفرهم بل سلط العذاب والمحن والامراض والعلل والفقر
والجوع على جملة من عباده في الدنيا وهو قادر على ازالتها فمن هذه سنته في عباده وقد خوفني عقابه فكيف
لا اخافه واغتر به فالخوف والرجا قايدان وسايقان يبعثان على العمل فهو تمن وغرور ورجا كافه

الخلق هو سبب فتورهم وسبب اقبالهم على الدنيا واعراضهم عن الله تعالى واهمالهم السعي للآخرة فذلك
غرور وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم وذكر ان الغرور سيغلب على آخر هذه الامة وقد كان ما وعد به صلى الله
عليه وسلم فقد كان الناس في الاعصار الاول يواظبون على العبادات ويؤتون ما اتوا
وقلوبهم وجلة ويخافون على انفسهم وهم طول الليل والنهار في طاعة الله تعالى ويبالغون في التقوى
والحذر من الشبهات والشهوات ويبكون على انفسهم في الخلوات واما الآن فترى الخلق آمنين مسرورين
مطمئنين غير خائفين مع اكبابهم على المعاصي وانهماكهم في الدنيا واعراضهم عن الله تعالى زاعمين انهم واثقون
بكرم الله تعالى وفضله وراجون لعفوه ومغفرته كانهم يزعمون انهم عرفوا من كرم الله تعالى وفضله ما لم يعرفه الانبيا
صلوات الله عليهم والصحابة والسلف الصالحون رضي الله عنهم فان كان هذا الامر يدرك بالتمني
والهوينا فعلى ماذا كان بكا اوليك وخوفهم وحزنهم وقد ذكرنا تحقيق هذه الامور في كتاب الرجا
والخوف وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه معقل بن يسار ياتي على الناس زمان يخلق فيه القرآن في
قلوب الرجال كما تخلق الثياب على الابدان يكون امرهم كله طمعا لا خوف معه ان احسن احدهم قال يتقبل مني وان
اسا قال يغفر لي فاخبر عليه السلام انهم يضعون الطمع موضع الخوف لجهلهم بتخويفات القرآن وما فيه وبمثله
اخبر تعالى عن النصارى انه قال فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى
الآية ومعناه انهم ورثوا الكتاب اي هم علماء وياخذون عرض هذا الادنى اي شهواتهم من الدنيا حلالا
كان او حراما وقد قال تعالى ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد والقرآن من اوله الى آخره تخويف وتحذير لا يتفكره
متفكر الا ويطول حزنه ويعظم خوفه ان كان مؤمنا بما فيه وترى الناس يهذونه هذا يخرجون الحروف من
مخارجها ويتناظرون على خفضها ونصبها ورفعها وكانهم يقرؤون شعرا من اشعار العرب لا يهمهم الالتفات
الى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور يزيد على هذا فهذه امثلة الغرور بالله وبيان الفرق بين
الرجا والغرور ويقرب منه غرور طوايف لهم طاعات ومعاص الا ان معاصيهم اكثر وهم يتوقعون المغفرة
ويظنون انه ترجح كفة حسناتهم مع ان ما في كفة السيئات اكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق
بدراهم معدودة من الحلال والحرام ويكون ما يتناول من اموال المسلمين فهو يتكل عليه ويظن ان اكل الف
درهم حرام يقاومه التصدق بعشرة من الحلال وما هو الا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي
الكفة الاخرى الفا واراد ان ترجح الكفة الثقيلة بالكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن ان
طاعاته اكثر من معاصيه لانه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه واذا عمل طاعة حفظها واعتد بها
كالذي يستغفر الله تعالى بلسانه ويسبح له في اليوم مائة مرة ثم يغتاب المسلمين ويمزق اعراضهم
ويتكلم بما لا يرضاه الله تعالى طول نهاره من غير حصر وعدد ويكون نظره الى عدد تسبيحاته وانه استغفر
الله تعالى مائة مرة ويغفل عن هذيانه طول نهاره الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مائة مرة والعمرة

وقد كتبها الكرام الكاتبون ووعد الله تعالى العقاب على كل كلمة وقال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب
عتيد فهو ابدا يتامل في فضايل التسبيحات والتهليلات ولا يلتفت الى ما ورد في عقوبة
المغتابين والكذابين والنمامين والمنافقين بذكر ما لا يضمرونه الى غير ذلك من افات اللسان وذلك محض
الغرور ولعمري لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه اجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على يلفظ
تسبيحه لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته وما نطق به في فتراته كان يعدها ويحسبها
ويوازنها بتسبيحاته حتى لا يفضل عليه اجرة نسخه فيا عجبا لمن يحاسب نفسه ويحتاط خوفا على
قيراط يفوته في الاجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا عن فوت الفردوس الاعلى ونعيمها ما هذه الا مصيبة عظيمة
لمن تفكر فيها فقد دفعنا الى امر ان شككنا فيه كنا من الكفرة الجاحدين وان صدقنا به كنا من الحمقا
المغرورين فما هذه اعمال من يصدق بما جاء في القران وانا نبرأ الى الله ان نكون من اهل الكفران فسبحان من صدنا
عن التنبيه والتيقن مع هذا البيان وما احد من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلوب يقين
ان يخشى ويتقى ولا يغتر به اتكالا على اباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى **بيان اصناف
المغترين واقسام فرق كل صنف** من الاصناف الصنف الاول اهل العلم والمغترون منهم فرق ففرقة
منهم احكمت العلوم الشرعية والعقلية وتعمقوا فيها واشتغلوا بها واهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن
المعاصي والزامها الطاعات واغتروا بعلمهم وظنوا انهم عند الله تعالى بمكان وانهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا
يعذب الله تعالى مثلهم بل يقبل في الخلق شفاعتهم ولا يطالبهم بذنوبهم وخطاياهم لكرامتهم على الله عز وجل فهم
مغرورون فانهم لو نظروا بعين البصيرة علموا ان العلم علمان علم معاملة وعلم مكاشفة وهو العلم بالله تعالى
وصفاته المسمى بالعادة علم المعرفة فاما العلم بالمعاملة كمعرفة الحلال والحرام ومعرفة اخلاق النفس المذمومة
والمحمودة وكيفية علاجها والفرار منها فهي علوم لا تراد الا للعمل ولولا الحاجة الى العمل لم يكن لهذه
العلوم قيمة وكل علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل فمثال هذا كمريض به علة لا يزيلها الا دوا مركب من
اخلاط كثيرة لا يعرفها الا حذاق الاطبا فسعى في طلب الطبيب بعد ان هاجر عن وطنه حتى عثر على طبيب حاذق
فعلمه الدوا وفصل له الاخلاط وانواعها ومقاديرها ومعادنها التي منها تجلب وعلمه كيفية دق كل
واحد منها وكيفية خلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة حسنة بخط حسن ورجع الى بيته
وهو يكررها ويقراها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها افترى ان ذلك يغني عنه من مرضه
شيا هيهات لو كتب منه الف نسخة وعلمه الف مريض حتى شفا جميعهم وكرره كل ليلة الف مرة لم يغنيه
ذلك من مرضه شيا الا ان يزن الذهب ويشتري الدوا ويخلطه كما تعلم ويشربه ويصبر على مرارته ويكون
شربه في وقته وبعد تقديم الاحتما وجميع شروطه فاذا فعل جميع ذلك فهو على خطر من شفاعته فكيف اذا
لم يشربه اصلا فمهما ظن ان ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر غروره وهكذا الفقيه الذي احكم علم الطاعات

فلم يعملها واحكم علم المعاصي ولم يجتنبها واحكم علم الاخلاق المذمومة وما زكى نفسه منها واحكم علم
الاخلاق المحمودة ولم يتصف بها فهو مغرور اذ قال تعالى قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من تعلم كيفية تزكيتها
وكتب علمها وعلمه الناس وعند هذا يقول له الشيطان لا يغرنك هذا المثال فان العلم بالدوا لا يزيل المرض وانما
مطلبك القرب الى الله تعالى وثوابه والعلم يجلب الثواب ويتلو عليه الاخبار الواردة في فضايل العلم فان كان
المسكين معتوها مغرورا وافق ذلك هواه فاطمان اليه واهمل العمل وان كان كيسا فيقول للشيطان اتذكرني
فضايل العلم وتنسيني ما ورد في العالم الفاجر الذي لا يعمل بعلمه كقوله تعالى فمثله كمثل الكلب ان تحمل وكقوله
تعالى مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها الاية فاي خزي اعظم من التمثيل بالكلب والحمار وقد قال صلى الله عليه
وسلم من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا وقال يلقى العالم في النار فتندلق
اقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحا وكقوله شر الناس العلما السو وقول ابي الدردا ويل للذي لا يعلم
ولو شا الله لعلمه وويل للذي يعلم ولا يعمل سبع مرات اي ان العلم حجة عليه اذ يقال له ماذا عملت فيما علمت
وكيف قضيت شكر الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم
ينفعه الله بعلمه فهذا وامثاله مما اوردناه في كتاب العلم في باب علامة علما الاخرة اكثر من ان يحصى الا انه لا يوافق
هوى العالم الفاجر وما ورد في فضل العلم يوافقه فيميل الشيطان قلبه الى ما يهواه وذلك عين الغرور فانه ان نظر بعين
البصيرة فمثاله ما ذكرناه وان نظر بعين الايمان فالذي اخبره بفضيلة العلم هو الذي اخبره بذم العلما السو
وان حالهم اشد عند الله تعالى من حال الجهال فبعد ذلك اعتقاده انه على خير مع تاكد حجة الله عليه غاية
الغرور واما الذي يدعي علم المكاشفة كالعلم بالله تعالى وصفاته واسمايه وهو مع ذلك يهمل العمل ويضيع
امر الله تعالى وحدوده فغروره اشد **ومثاله** من اراد خدمة ملك فعرف الملك وعرف اخلاقه واوصافه
ولونه وشكله وطوله وعرضه وعادته ومجلسه ولم يتعرف ما يحبه وما يكرهه وما يغضب عليه وما يرضى
به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به وعاطل عن جميع ما يحبه من زي
وهيئة وكلام وحركة وسكون فورد على الملك وهو يريد التقرب منه والاختصاص به متلطخا بجميع ما
يكرهه الملك عاطلا عن جميع ما يحبه متوسلا اليه بمعرفته له ولنسبه واسمه وبلده وشكله وصورته
وعادته في سياسة غلمانه ومعاملة رعيته فهذا مغرور جدا اذ لو ترك جميع ما عرفه واشتغل بمعرفته
فقط وبمعرفة ما يحبه ويكرهه لكان ذلك اقرب الى نيله المراد من قربه والاختصاص به بل تقصيره في
التقوى واتباعه للشهوات يدل على انه لم يتكشف له من معرفة الله تعالى الا الاسامي
دون المعاني اذ لو عرف الله تعالى حق معرفته لخشيه واتقاه فلا يتصور ان يعرف الاسد عاقل ثم لا يتقيه
ولا يخافه وكذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام خفني كما تخاف السبع الضاري نعم من يعرف
من الاسد لونه واسمه وشكله فقد لا يخافه وكانه ما عرف الاسد فمن عرف الله تعالى عرف من صفاته انه يهلك

العالمين ولا يبالي ويعلم انه مستحق في قدرة من لو اهلك مثله آلافا مولفة وابد عليهم العذاب ابد الاباد
لم يوثر ذلك فيه اثرا ولم تاخذه عليه رقة ولا اعتراه جزع ولهذا قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلما وفاتحة الزبور راس الحكمة خشية الله وقال ابن مسعود كفى بخشية الله علما وكفى
بالاغترار بالله جهلا واستفتى الحسن عن مسئلة فاجاب فقيل ان فقهانا لا يقولون ذلك فقال وهل رايت
فقيها قط الفقيه القايم ليله الصايم نهاره الزاهد في الدنيا وقال مرة الفقيه يداري ولا يماري ينشر حكمة الله
فان قبلت منه حمد الله وان ردت حمد الله فاذا الفقيه من فقه عن الله تعالى امره ونهيه وعلم من صفاته ما
احبه وما كرهه وهو العالم ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين فاذا لم يكن بهذه الصفة فهو من المغرورين وفرقة
اخرى احكموا العلم والعمل مواظبوا على الطاعات الظاهرة وتركوا المعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها
الصفات المذمومة عند الله تعالى من الكبر والحسد والريا وطلب الرياسة والعلا وارادة السو للاقران والشركا
وطلب الشهرة في البلاد والعباد وربما لم يعرف بعضهم ان ذلك مذموم فهو مكب عليها غير محترز منها ولا يلتفت
الى قوله صلى الله عليه وسلم ادنى الريا شرك والى قوله عليه السلام لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر والى
قوله عليه السلام الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب والى قوله عليه السلام حب المال والشرف ينبتان
النفاق كما ينبت الما البقل الى غيره لك من الاخبار التي اوردناها في جميع ربع المهلكات من الاخلاق
المذمومة فهولا زينوا ظواهرهم واهملوا بواطنهم ونسوا قوله صلى الله عليه وسلم ان الله لا ينظر الى صوركم ولا
الى اموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم فتعهدوا الاعمال ولم يتعهدوا القلوب والقلب هو الاصل اذ لا ينجو الا
من اتى الله بقلب سليم ومثال هولا كبير الحشيش ظاهرها جص وباطنها نتن وكقبور الموتى ظاهرها مزينة وباطنها
جيفة وكبيت مظلم باطنه وضع السراج على ظاهره حتى استنار ظاهره وكرجل قصد ضيافة الملك الى داره فجصص
باب داره وترك المزابل في صدر داره ولا يخفى ان ذلك غرور بل اقرب مثال اليه رجل زرع زرعا
فنبت ونبت معه حشيش فامر بتنقيه الزرع عن الحشيش ولم يقلعه من اصله فاخذ يجز راسه ويقطعه
فلا يزال يقوى اصله وينبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق الذميمة في القلب فمن لم يطهر القلب منها لم
تتم له الطاعات الظاهرة الا مع الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلا وشرب الدوا
فالطلا ليزيل ما على ظاهره والدوا ليقلع مادته من باطنه فيقنع بالطلا وترك الدوا ويبقى يتناول ما يزيد
في المادة فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دايم به ينفجر من المادة التي في الباطن وفرقة اخرى علموا هذه
الاخلاق الباطنة وعلموا انها مذمومة من جهة الشرع الا انهم لعجبهم بانفسهم يظنون انهم منفكون عنها
وانهم ارفع عند الله تعالى من ان يبتليهم بذلك انما يبتلى به العوام دون من بلغ مبلغهم في العلم واما هو فاعظم
عند الله تعالى من ان يبتليه ثم اذا ظهر عليه مخايل الكبر والرياسة وطلب العلو والشرف قال ما هذا
كبر وانما هذا طلب عز الدين واظهار شرف العلم ونصرة دين الله وارغام انف المخالفين من المبتدعين

فاني لو لبست الدون من الثياب وجلست في الدون من المجلس شمت اعدا الدين وفرحوا به وكان ذلي
ذلا على الاسلام ونسي المغرور ان عدوه الذي حذره مولاه الشيطان وانه يفرح بما يفعله ويسخر به وينسى
ان النبي صلى الله عليه وسلم بماذا نصر الدين وبماذا ارغم الكافرين ونسي ما روي من الصحابة رضي الله عنهم من
التواضع والتذلل والقناعة بالفقر والمسكنة حتى عوتب عمر رضي الله عنه في بذاذة زيه عند قدومه
الى الشام فقال انا قوم اعزنا الله تعالى بالاسلام فلا نطلب العز في غيره ثم هذا المغرور
يطلب عز الدين بالثياب الدقيقة من القصب والدبيقي والابريسم المحرم والخيول والمراكب
ويزعم انه يطلب به عز العلم وشرف الدين وكذلك مهما اطلق اللسان بالحسد في اقرانه او فيمن رد عليه
شيا من كلامه لم يظن بنفسه ان ذلك حسد ولكن قال انما هذا غضب للحق ورد على المبطل في عداوته
وظلمه ولم يظن بنفسه حتى يعتقد انه لو طعن في غيره من اهل العلم او منع غيره من رياسته وزوحم فيه
هل كان غضبه وعداوته مثل غضبه الان فيكون غضبه لنفسه وحسده لاقرانه من خبث باطنه وهكذا
يرائي باعماله وبعلومه واذا خطر له خاطر الريا قال هيهات انما غرضي من اظهار العلم والعمل اقتدا الخلق بي
ليهتدوا الى دين الله تعالى ويتخلصوا من عقاب الله تعالى ولا يتامل المغرور انه ليس يفرح باقتدا الناس بغيره
كما يفرح باقتدايهم به فلو كان غرضه صلاح الخلق لفرح بصلاحهم على يدي من كان كمن له عبيد مرضى يريد معالجتهم
لم يفرق بين ان يحصل شفاوهم على يده او على يد طبيب اخر وربما يذكر ذلك له ولا يخليه الشيطان ايضا
ويقول انما ذلك لانهم اذا اهتدوا بي كان الاجر لي والثواب فانما فرحي بثواب الله تعالى لا بقبول
الخلق هذا ما يظنه من نفسه والله مطلع من ضميره على انه لو اخبره نبي بان ثوابه في الخمول واخفا العلم اكثر من
ثوابه في الاظهار وحبس مع ذلك في سجن وقيد بالسلاسل لاحتال في هدم السجن وحل السلاسل حتى يرجع
الى موضعه الذي به يظهر رياسته من تدريس او وعظ او غيره ذلك وكذلك يدخل على السلطان ويتودد
اليه ويثني عليه ويتواضع له واذا خطر له ان التواضع للسلاطين الظلمة حرام قال له الشيطان هيهات
انما ذلك عند الطمع في اموالهم واما انت فغرضك ان تشفع للمسلمين وتدفع الضرر عنهم وتدفع شر اعدايك عنك
والله يعلم من باطنه انه لو ظهر لبعض اقرانه قبول عند ذلك السلطان فصار يشفع في كل مسلم
حتى دفع الضرر عن جميع المسلمين ثقل ذلك عليه ولو قدر ان يقبح حاله عند السلطان بالطعن فيه والكذب
عليه لفعل وكذلك قد ينتهي غرور بعضهم الى ان ياخذ من مالهم واذا خطر له انه حرام قال الشيطان هذا مال
لا مالك له وهو لمصالح المسلمين وانت امام المسلمين وعالمهم وبك قوام دين الله افلا يحل لك ان تاخذ قدر
حاجتك فيغتر بهذا التلبيس في ثلثه امور احدها في انه مال لا مالك له فانه يعرف انه ياخذ
الخراج من المسلمين واهل السواد والذين اخذ منهم احيا قيام واولادهم احيا وغايته الامر وقوع الخلط
في اموالهم ومن غصب ماية دينار من عشرة انفس وخلطها فلا خلاف في انها حرام ولا يقال هو مال لا مالك

له ويجب ان يقسم بين العشرة ويرد الى كل واحد عشره وان كان كل واحد قد اختلط بالاخر الثاني في قوله
انكر من مصالح المسلمين وبك قوام الدين ولعل الذين فسد دينهم واستحلوا اموال السلاطين ورغبوا في طلب
الدنيا والاقبال على الرياسة والاعراض عن الاخرة بسببها اكثر من الذين زهدوا في الدنيا ورفضوها واقبلوا
على الله تعالى فهو على التحقيق دجال الدين وقوام مذهب الشياطين لا امام الدين اذ الامام هو الذي يقتدى
به في الاعراض عن الله تعالى والاقبال على الدنيا فلعل موت هذا انفع للمسلمين من حياته وهو يزعم انه قوام
الدين ومثله كما قال عيسى عليه السلام للعالم السوء انه كصخرة وقعت في فم الوادي فلا
هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع واصناف غرور علماء هذه الاعصار المتاخرة خارج عن الحصر
وفيما ذكرناه تنبيه بالقليل على الكثير وفرقة اخرى احكموا العلوم وطهروا الجوارح وزينوها بالطاعة
واجتنبوا ظاهر المعاصي وتفقدوا اخلاق النفس وصفات القلب من الرياء والحسد والكبر والحقد وطلب
العلو وجاهدوا انفسهم بالتبري منها وقلعوا من القلوب منابتها الجلية القوية ولكنهم بعد مغرورون اذ
بقيت في زوايا القلب من خفايا مكايد الشيطان وخبايا خداع النفس ما دق وغمض مدركه فلم يفطنوا
لها واهملوها وانما مثاله من يريد تنقية الزرع من الحشيش فدار عليه وفتش عن كل حشيش فقلعه
الا انه لم يفتش عما لم يخرج راسه من تحت الارض وظن ان الكل قد ظهر وبرز وكان قد نبت من اصول
الحشيش شعب لطاف فانبسطت تحت التراب فاهملها وهو يظن انه قد طهرها فاذا هو بها في غفلته
وقد نبتت وقويت وافسدت اصول الزرع من حيث لا يدري وكذلك العالم قد يفعل جميع ذلك ويذهل عن
المراقبة للخفايا والتفقد للدقائق فتراه يسهر ليله ونهاره في جمع العلوم وترتيبها وتحسين الفاظها
وهو يرى ان باعثه الحرص على اظهار دين الله تعالى ونشر شريعته ولعل باعثه الخفي هو طلب الذكر وانتشار
الصيت في الاقطار وكثرة الرحلة اليه من الافاق وانطلاق الالسنة عليه بالثنا والمدح بالزهد والورع والعلم
والتقديم له في المهمات وايثاره في الاغراض والاجتماع حوله للاستفادة والتلذذ بحسن الاصغاء عند حسن
اللفظ والايراد والتمتع بتحريك الرؤوس على كلامه والبكاء عليه والتعجب منه والفرح بكثرة الاصحاب والمستفيدين
والسرور بالتخصيص بهذه الخاصية من بين سائر الاقران والاشكال الجمع بين العلم والورع وظاهر الزهد
والتمكن به من اطلاق اللسان بالطعن في الكافة المقبلين على الدنيا لا عن تفجع بمصيبة الدين ولكن عن ادلال
بالتميز واعتداد بالتخصيص ولعل هذا المسكين المغرور حياته في الباطن بما انتظم له من امر وامارة وعز
وانقياد وتوقير وحسن ثنا فلو تغيرت عليه القلوب واعتقدوا فيه خلاف الزهد بما يظهر من اعماله فعساه
يتشوش عليه قلبه ويختلط اوراده ووظائفه وعساه يحتاج الى ان يكذب في تغطية عيبه وعساه
يؤثر بالكرامة والمراعاة من اعتقد فيه الزهد والورع وان كان قد اعتقد فيه فوق قدره ويتنبو قلبه عن
من عرف حد فضله وورعه وان كان ذلك على وفق حاله وعساه يؤثر بعض اصحابه على بعض وهو يرى انه

يؤثره لتقدمه في الفضل والورع وانما ذلك لانه اطوع له واتبع لمراده واكثر ثنا عليه واشد اصغا اليه واحرص
على خدمته ولعلهم يستفيدون منه ويرغبون في العلم وهو يظن ان قبولهم له لاخلاصه وصدقه وقيامه بحق العلم
فيحمد الله تعالى على ما يسر على لسانه من منافع خلقه ويرى ان ذلك مكفر لذنوبه ولم يتفقد من نفسه تصحيح
النية فيه وعساه لو وعد بمثل ذلك الثواب في ايثار الخمول والعزلة واخفا العلم لم يرغب فيه لفقده في
العزلة والاخفا لذة القبول وعزة الرياسة ولعل مثل هذا هو المراد بقول الشيطان من زعم من بني ادم
انه بعلمه امتنع مني فبجهله وقع في حبائلي وعساه يصنف ويجتهد فيه ظانا انه يجمع علم الله تعالى
لينتفع به وانما يريد استطارة اسمه بحسن التصنيف فلو ادعى مدع تصنيفه ومحا عنه اسمه ونسبه
الى نفسه ثقل عليه ذلك مع علمه بان ثواب الاستفادة من التصنيف انما يرجع الى المصنف والله تعالى عالم
بانه المصنف لا من ادعاه ولعله في تصنيفه لا يخلو عن الثنا على نفسه اما صريحا بالدعاوى العريضة
الطويلة واما ضمنا بالطعن على غيره ليستبان من طعنه في غيره انه افضل ممن طعن فيه واعظم منه علما
ولقد كان في غنية عن الطعن فيه ولعله يحكي من الكلام المزيف ما يريد تزييفه فيعزوه الى قائله وما
يستحسنه لعله لا يعزوه اليه ليظن انه من كلامه فينقله بعينه كالسارق له او يغيره ادنى تغيير
كالذي يسرق قميصا فيتخذه قباء حتى لا يعرف انه مسروق ولعله يجتهد في تزيين الفاظه وتسجيعها
وتحسين نظمها كيف لا ينسب الى الركاكة ويرى ان غرضه ترويج الحكمة وتحسينها وترتيبها ليكون ازين
الى نفع الناس وعساه غافل عما روي ان بعض الحكما وضع ثلثمائة مصحف في الحكمة فاوحى الله تعالى الى
نبي زمانه قل له قد ملات الارض نفاقا واني لا اقبل من نفاقك شيئا ولعل جماعة من هذا الصنف من المغرورين
اذا اجتمعوا ظن كل واحد على نفسه السلامة عن عيوب القلب وخفاياه فلو افترقوا واتبع كل واحد منهم
فرقة من اصحابه نظر كل واحد الى كثرة من يتبعه وانه اكثر تبعا ام غيره فيفرح ان كان اتباعه اكثر وان علم
ان غيره احق بكثرة الاتباع منه ثم اذا تفرقوا واشتغلوا بالافادة تغايروا وتحاسدوا ولعل من يختلف
الى واحد منهم اذا انقطع عنه الى غيره ثقل على قلبه ووجد في نفسه نفرة منه فبعد ذلك لا يهتز باطنه
لاكرامه ولا يتشمر لقضا حوائجه كما كان يتشمر من قبل ولا يحرص على الثنا عليه كما اثنى مع علمه بانه
مشغول بالاستفادة ولعل التحيز منه الى فئة اخرى كان انفع له في دينه لافة من الافات
كانت تلحقه في هذه الفئة وسلامته عنها في تلك الفئة ومع ذلك فلا تزول النفرة عن قلبه ولعل واحدا منهم اذا
تحرك فيه مبادي الحسد لم يقدر على اظهاره فيتعلل بالطعن في دينه وفي ورعه ليحمل غضبه على ذلك
ويقول انما غضبت لدين الله تعالى لا لنفسي ومهما ذكرت عيوبه بين يديه ربما فرح به
وان اثني عليه ربما ساءه وكرهه وربما قطب وجهه اذا ذكرت عيوبه يظهر انه كاره لغيبة المسلمين
وسر قلبه راض به ومريد له والله تعالى مطلع عليه في ذلك وامثاله من خفايا العيوب لا يفطن لها الا

الا كياس ولا ينتبه منها الا الاقويا ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفا الا ان اقل الدرجات ان يعرف الانسان
عيوب نفسه ويسوه ذلك ويكرهه ويحرص على اصلاحه فاذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه ومن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه الممتن
على الله تعالى بعلمه وعمله الظان انه من خيار خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا
الذنوب مع الاهمال هذا غرور الذين حصلوا العلوم المهمة ولكن قصروا في العمل بالعلم ولنذكر
الان غرور الذين قنعوا من العلم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم به مغترون اما لاستغنايهم عن اصلاح ذلك العلم
واما لاقتصارهم عليه فمنهم فرقة اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات
الدنيوية الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب
وربما ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح ولم يحرسوا اللسان عن الغيبة
والبطن عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين وكذا ساير الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر والريا
والحسد وساير المهلكات فهولاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من حيث
العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدوا واشتغل
بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك يحتاج الى تعلم الدوا
واستعماله فاشتغل بدوا الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه بانه رجل لا يحيض ولا يستحيض
ولكنه يقول ربما يقع علة الاستحاضة لامراة وتسالني عنها وذلك غاية الغرور فكذلك
المتفقه المسكين قد يسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والريا والكبر وساير المهلكات الباطنة
وربما يختطفه الموت قبل التوبة والتلافي فيلقى الله تعالى وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل بعلم
السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات والحيض والنفاس ولا يحتاج
الى شي من ذلك قط في عمره لنفسه فاذا احتاج غيره كان في المفتين كثرة فيشتغل بذلك ويحرص عليه لما فيه من
الجاه والمال والرياسة وقد دهاه الشيطان وما يشعر اذ يظن المسكين المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه
وليس يدري ان الاشتغال بفرض الكفاية قبل الفراغ عن فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما
قال وكان قد قصد بالفقه وجه الله تعالى فانه وان قصد وجه الله تعالى فهو باشتغاله معرض
عن فرض عينه في جوارحه وقلبه فهذا غروره من حيث العمل فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن انه علم
الدين وترك علم كتاب الله وسنة رسوله عليه السلام وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة وحملة اسفار
لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله تعالى بادراك جلاله وعظمته وهو
العلم الذي يورث الخوف والخشية والهيبة والخشوع ويحمل على التقوى فتراه امنا مغترا بالله تعالى متكلا
على انه لا بد ان يرحمه الله فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام فقد ترك العلوم

١٩٨

التي هي اهم وهو غافل مغرور بما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر ان ذلك الفقه هو الفقه عن الله عز
وجل ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى اذ قال تعالى فلولا نفر
من كل فرقة منهم طايفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم والذي يحصل الانذار غير هذا
العلم حفظ المال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وتوقع القتل والجراحات والمال في طريق الله
تعالى آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات
المذمومة فهي الحجب بين العبد وبين الله تعالى واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا عن الله تعالى فمثاله
في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج على علم خرز الراوية والخف
فلا شك في انه لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه ليس من الحاج في شي وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم
ومن هولاء من اقتصر من علم الفقه على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم
ودفع الحق لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب والتفقد
لعيوب الاقران والتلقف لانواع التسبيبات المؤذية وهولاء هم سباع الانس طبعهم الايذا وهمهم السفه
ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران وكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب
وعلم سلوك الطريق الى الله عز وجل بمحو الصفات المذمومة وتبديلها بالمحمودة فانهم
يستحقرونه ويسمونه التزويق وكلام الوعاظ وانما التحقيق عندهم معرفة تفاصيل العربدة التي
تجري بين المتناظرين في الجدل وهولاء قد جمعوا ما جمعه الذين قبلهم من علم الفتاوى ولكن زادوا اذا
اشتغلوا بما ليس من فروض الكفايات ايضا بل جميع دقايق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف
واما ادلة الاحكام فيشتمل عليها علم المذهب وهي كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وفهم
معانيه واما حيل الجدل من الكسر والقلب وفساد الوضع والتركيب والتعدية انما وضع وابدع
للاظهار والافحام لاقامة سوق الجدل به فغرور هولاء اشد واقبح من غرور من قبلهم و فرقة اخرى اشتغلوا
بعلم الكلام والمجادلة في الاهوا والرد على المخالفين وتتبع مناقضاتهم واستكثروا من علم المقالات
المختلفة واشتغلوا بتعلم الطريق في مناظرة ذلك وافحامهم وافترقوا في ذلك فرقا كثيرة واعتقدوا
انه لا يكون لعبد عمل الا بايمان ولا يصح ايمان الا بان يتعلم جدلهم وما يسمونه ادلة عقايدهم وظنوا
انه لا احد اعرف بالله تعالى وبصفاته منهم وانه لا ايمان لمن لم يعتقد مذهبهم ولم يتعلم علمهم ودعت كل
فرقة منهم الى نفسها ثم هم فرقتان ضالة ومحقة فالضالة هي التي تدعو الى غير السنة والمحقة هي التي تدعو
الى السنة والغرور شامل لجميعهم اما الضالة فلغفلتها عن ضلالها وظنها بنفسها النجاة وهم فرق كثيرة
يكفر بعضها بعضا وانما اتيت من حيث انها لم تتهم رايها ولم تحكم اولا شروط الادلة ومنهاجها فرات الشبهة
دليلا والدليل شبهة واما الفرقة المحقة فانما اغترارها من حيث انها ظنت بالجدل انه اهم الامور

وافضل القربات في دين الله تعالى وزعمت انه لا يتم لاحد دينه ما لم يفحص ولم يبحث وان من صدق الله تعالى ورسوله
عليه السلام من غير بحث وتحرير دليل فليس بمؤمن او ليس بكامل ولا مقرب عند الله تعالى فلهذا الظن الفاسد
قطعت اعمارها في تعلم الجدل والبحث عن المقالات وهذيانات المبتدعة ومناقضاتهم واهملت انفسها وقلوبها حتى
عمي عليها ذنوبها وخطاياها الظاهرة والباطنة وهي تظن ان اشتغالها بالجدل اولى واقرب عند الله تعالى وافضل
ولكنها لالتذاذها بالغلبة والافحام ولذة الرياسة وعز الانتما الى الذب عن دين الله تعالى عميت بصيرتها
ولم تلتفت الى القرن الاول وان النبي صلى الله عليه وسلم شهد لهم بانهم خير الخلق وانهم قد ادركوا كثيرا من اهل البدع
والهوى فما جعلوا اعمارهم ودينهم غرضا للخصومات والمجادلات وما اشتغلوا بذلك عن تفقد قلوبهم وجوارحهم
واحوالهم بل لم يتكلموا فيه الا من حيث راوا حاجة وتوسموا مخايل قبول فذكروا بقدر الحاجة ما يدل الضال
على ضلالته واذا راوا مصرا على ضلالته هجروه واعرضوا عنه وابغضوه في الله تعالى ولم يلزموا الملاحاة معه
طول العمر بل قالوا ان الحق هو الدعوة الى السنة ومن السنة ترك الجدال في الدعوة الى السنة اذ روى ابو امامة عن
النبي عليه السلام انه قال ما ضل قوم قط الا اوتوا الجدل وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما على اصحابه وهم
يتجادلون ويختصمون فغضب عليهم حتى كانه فقئ في وجهه حب الرمان حمرة من الغضب فقال ابهذا بعثتم
ام بهذا امرتم ان تضربوا كتاب الله بعضه ببعض انظروا الى ما امرتم به فاعملوا وما نهيتم عنه
فانتهوا فقد حذرهم عن ذلك وكانوا اولى خلق الله تعالى بالجدل والحجاج ثم انهم راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقد بعث الى كافة اهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لالزام وافحام وتحقيق حجة ودفع سؤال
وايراد الزام فما جادلهم الا بتلاوة القران المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه لان ذلك يشوش القلوب ويستخرج
منه الاشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم وما كان يعجز عن مجادلتهم بالتقسيمات
ودقائق الاقيسة وان يعلم اصحابه دقائق كيفية الجدل والالزام ولكن الاكياس واهل الحزم لم يغتروا بهذا
وقالوا لو نجا اهل الارض وهلكنا لم ينفعنا نجاتهم ولو نجونا وهلكوا لم يضرنا هلاكهم وليس علينا في المجادلة
اكثر مما كان على الصحابة رضي الله عنهم مع اليهود والنصارى واهل الملل وما ضيعوا العمر بتحرير مجادلتهم
فما لنا نضيع العمر ولا نصرفه الى ما ينفعنا في يوم فقرنا وفاقتنا ولم نخوض فيما لا نامن على انفسنا الخطا في
تفاصيله ثم ان المبتدع ليس يترك بدعته بجدله بل يزيده التعصب والخصومة تشددا في بدعته واشتغالي
بمخاصمة نفسي ومجادلتها لترك الدنيا للاخرة اولى هذا لو كنت لم انه عن الجدل والخصومة فكيف وقد نهيت
عنه فكيف ادعو الى السنة بترك السنة فالاولى بي ان اتفقد نفسي وانظر من صفاتها ما يبغضه الله تعالى
وما يحبه لاتنزه عما يبغضه واتمسك بما يحبه و فرقة اخرى اشتغلوا بالوعظ واعلاهم رتبة من يتكلم
في اخلاق النفس وصفات القلب من الخوف والرجا والصبر والشكر والتوكل والزهد واليقين والاخلاص والصدق
ونظايره وهم مغرورون يظنون بانفسهم انهم اذا تكلموا بهذه الصفات ودعوا الخلق اليها فقد صاروا موصوفين

بهذه الصفات وهم منفكون عنها عند الله عز وجل الا عن قدر يسير لا ينفك عنه عوام المسلمين وغرور هولاء
اشد الغرور لانهم يعجبون بانفسهم غاية الاعجاب ويظنون انهم ما تكلموا من علم المحبة
الا وهم محبون وما قدروا على تحقيق دقايق الاخلاص الا وهم مخلصون وما وقفوا على عيوب النفس
الا وهم عنها منزهون ولولا انه مقرب عند الله تعالى لما عرفه معنى القرب والبعد وعلم السلوك الى الله
تعالى وكيفية قطع المنازل في طريق الله عز وجل فالمسكين بهذه الظنون يرى انه من الخائفين وهو امن
من الله تعالى ويرى انه من الراجين وهو من المغترين المضيعين ويرى انه من الراضين بقضا الله تعالى
وهو من الساخطين ويرى انه من المتوكلين على الله تعالى وهو من المتكلين على العز والجاه والمال والاسباب
ويرى انه من المخلصين وهو من المرائين بل يصف الاخلاص فيترك الاخلاص ويصف الريا ويذكره وهو يرائي
بذكره ليعتقد فيه انه لولا انه مخلص لما اهتدى الى دقايق الريا ويصف الزهد في الدنيا لشدة حرصه على
الدنيا وقوة رغبته فيها فهو يظهر الدعا الى الله تعالى وهو منه فار ويخوف بالله تعالى وهو منه امن ويذكر
الله تعالى وهو له ناس ويقرب الى الله تعالى وهو منه متباعد ويحث على الاخلاص وهو غير مخلص ويذم
الصفات المذمومة وهو بها متصف ويصرف الناس عن الخلق وهو على الخلق اشدهم حرصا
لو منع عن مجلسه الذي يدعو فيه الناس الى الله تعالى لضاقت عليه الارض بما رحبت ويزعم ان غرضه
اصلاح الخلق ولو ظهر من اقرانه من اقبل الخلق عليه وصلحوا على يديه لمات غما وحسدا ولو اثنى احد من المترددين
اليه على بعض اقرانه لكان ابغض خلق الله تعالى اليه فهولاء اعظم الناس غرة وابعدهم عن التنبه والرجوع الى السداد لان
المرغب في الاخلاق المحمودة والمنفر عنها هو العلم بغوائلها وفوائدها وهذا قد علم ذلك ولم ينفعه وشغله حب
دعوة الخلق عن العمل به فبعد ذلك بم ذا يعالج وكيف سبيل تخويفه وانما المخوف ما يتلوه على عباد الله تعالى
فيخافون وهو ليس يخاف نعم ان ظن بنفسه انه موصوف بهذه الصفات المحمودة يمكن ان يدل على طريق الامتحان
والتجربة وهو انه يدعي مثلا حب الله تعالى فما الذي تركه من محاب الدنيا لاجله ويدعي الخوف فما الذي امتنع منه
بالخوف ويدعي الزهد فما الذي تركه مع القدرة عليه لوجه الله تعالى ويدعي الانس بالله فمتى طاب له الخلوة ومتى
استوحش عن مشاهدة الخلق لا بل يرى قلبه يمتلي بالحلاوة اذا احدق به المريدون وتراه يستوحش اذا
خلا بالله فهل رايت محبا يستوحش من محبوبه ويستروح منه الى غيره فالاكياس يمتحنون انفسهم في هذه الصفات
ويطالبونها بالحقيقة ولا يقنعون منها بالتزويق بل بموثق من الله تعالى غليظ والمغرورون يحسنون بانفسهم
الظن واذا كشف الغطا عنهم في الاخرة يفتضحون بل يطرحون في النار فيدور بهم كما يدور الحمار بالرحا ورد به
الخبر لانهم يامرون بالخير ولا ياتونه وينهون عن الشر وياتونه وانما وقع الغرور لهولا من حيث انهم يصادفون
في قلوبهم شيا ضعيفا من اصول هذه المعاني وهو حب الله تعالى والخوف منه والرضا بفعله ثم قدروا مع ذلك
على وصف المنازل العالية من هذه المعاني فظنوا انهم ما قدروا على وصف ذلك وما رزقهم الله تعالى علمه وما انتفع

الناس بكلامهم فيها الا اتصافهم بها وذهب عنهم ان القبول للكلام والكلام للمعرفة وجريان اللسان والمعرفة
للتعلم فان كل ذلك غير الاتصاف بالصفة فلم يفارقوا احاد المسلمين في الاتصاف بصفة الحب والخوف من الله
على الوصف بل ربما زاد منه وقل خوفه وظهر الى الخلق ميله وضعف به في قلبه حب الله تعالى وانما مثاله مثال
مريض يصف المرض ويصف دواءه بفصاحته ويصف الصحة والشفاء وغيره من المرضى لا يقدر على وصف الصحة
والشفاء واسبابه ودرجاته واصنافه فهو لا يفارقهم في صفة المرض والاتصاف به وانما يفارقهم في الوصف
والعلم بالطب فظنه عند علمه بحقيقة الصحة انه صحيح غاية الجهل فكذلك العلم بالخوف والحب والتوكل
والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق
فهو مغرور فهذا حال الوعاظ الذين لا عيب في كلامهم بل منهاج وعظهم منهاج وعظ القرآن والاخبار ووعظ الحسن
البصري رحمه الله وامثاله **وفرقة** اخرى منهم عدلوا عن المنهاج الواجب في الوعظ وهم وعاظ اهل الزمان كافة
الا من عصمه الله تعالى على الندور في بعض اطراف البلاد ان كان ولسنا نعرفه فاشتغلوا بالطامات والشطح
وتلفيق كلمات خارجة عن قانون الشرع والعقل طلبا للاغراب وطائفة شغفوا بطيارات النكت وتسجيع
الالفاظ وتلفيقها فاكثر همهم في الاسجاع والاستشهاد باشعار الوصال والفراق وغرضهم ان يكثر في مجلسهم
الزعقات والتواجد ولو على اغراض فاسدة فهؤلاء شياطين الانس ضلوا واضلوا وضلوا عن
سواء السبيل فان الاولين ان لم يصلحوا انفسهم فقد اصلحوا غيرهم وصححوا كلامهم ووعظهم واما هؤلاء فانهم يصدون
عن سبيل الله تعالى ويجرون الخلق الى الغرور بالله تعالى بلفظ الرجاء فيزيدهم كلامهم جراءة على المعاصي ورغبة في
الدنيا لا سيما اذا كان الواعظ متزينا بالثياب والخيل والمركب فيشهد زيه من فرقه الى قدمه بشدة حرصه على الدنيا
فما يفسده هذا المغرور اكثر مما يصلح بل لا يصلح اصلا ويضل خلقا كثيرا ولا يخفى وجه كونه مغرورا **وفرقة** اخرى
منهم قنعوا بحفظ كلام الزهاد واحاديثهم في ذم الدنيا فهم يحفظون الكلمات على وجهها ويؤدونها من غير احاطة
بمعانيها فبعضهم يفعل ذلك على المنابر وبعضهم في المحاريب وبعضهم في الاسواق مع الجلساء وكل منهم يظن انه اذا
تميز بهذا القدر عن السوقة والجندية اذ حفظ كلام الزهاد واهل الدين دونهم فقد افلح ونال الغرض وصار
مغفورا له وامن من عقاب الله تعالى من غير ان يحفظ ظاهره وباطنه عن الآثام ولكنه يظن ان حفظه لكلام الزهاد
من اهل الدين يكفيه وغرور هؤلاء اظهر من غرور من قبلهم وفرقة اخرى استغرقوا اوقاتهم في علم الحديث اعني في
سماعه وجمع الروايات الكثيرة منها وطلب الاسانيد الغريبة العالية فهمة احدهم ان يدور في البلاد ويرى
الشيوخ ليقول انا اروي عن فلان وقد لقيت فلانا ومعي من الاسناد ما ليس مع غيري وغرورهم من وجوه
منها انهم كحملة الاسفار لا يصرفون العناية الى فهم معاني السنة فعلمهم قاصر وليس معهم الا النقل ويظنون
ان ذلك يكفيهم ومنها انهم اذا لم يفهموا معانيها لا يعملون بها وقد يفهمون بعضها ايضا ولا يعملون بها ومنها انهم
يتركون العلم الذي هو فرض عين وهو معرفة معالجة القلب ويشتغلون بتكثير الاسناد وطلب الاسانيد

العالية ولا حاجة بهم الى شيء من ذلك ومنها وهو الذي اكب عليه اهل الزمان وانهم ايضا لا يقومون بشروط
السماع فان السماع بمجرده وان لم يكن فائدة ولكنه مهم في نفسه للوصول الى اثبات الحديث اذ التفهيم
بعد الاثبات والعمل بعد التفهيم فالاول السماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر
وهؤلاء اقتصروا من الجملة على السماع ثم تركوا حقيقة السماع فترى الصبي يحضر مجلس الشيخ والحديث يقرا
والشيخ ينام والصبي يلعب ثم يكتب اسم الصبي في السماع فاذا كبر تصدى ليسمع منه والبالغ الذي يحضر ربما
يغفل ولا يسمع ولا يصغي ولا يضبط وربما يشتغل بحديث او نسخ والشيخ الذي يقرا عليه لو صحف وغير
ما يقرا عليه لم يشعر به ولم يعرفه وكل ذلك جهل وغرور اذ الاصل في الحديث ان تسمعه من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فتحفظه كما سمعته وترويه كما حفظته فتكون الرواية عن الحفظ والحفظ عن السماع فاذا
عجزت عن سماعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعته من الصحابة او التابعين صار سماعك عن الراوي
كسماع من سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ان تصغي وتحفظ وتروي كما حفظت وتحفظ كما سمعت
بحيث لا تغير منه حرفا ولو غيره غيرك واخطا علمت خطاه ولحفظك طريقان احدهما ان تحفظ بالقلب وتستديمه
بالتكرار كما تحفظ ما جرى على سمعك في مجاري الاحوال **والثاني** ان تكتب كما تسمع وتصحح المكتوب وتحفظه حتى
لا تصل اليه يد من يغيره ويكون حفظك للكتاب معك وفي خزانتك فانه لو امتدت اليه يد غيرك
ربما غيره واذا لم تحفظه لم تشعر بتغييره فيكون محفوظا بقلبك او بكتابك فيكون كتابك مذكرا لما سمعته
وتامن فيه من التغيير والتحريف فاذا لم تحفظ لا بالقلب ولا بالكتاب وجرى على سمعك صوت غفل وفارقت
المجلس ثم رايت نسخة لذلك وجوزت ان يكون ما فيه مغيرا او يفارق حرفا منه النسخة التي سمعتها لم
يجز لك ان تقول سمعت هذا الكتاب فانك لا تدري لعلك لم تسمع ما فيه بل شيئا يخالف ما فيه ولو في كلمة فاذا
لم يكن معك حفظ بقلبك ولا نسخة صحيحة استوثقت عليها لتقابل بها فمن اين تعلم انك سمعت ذلك وقد
قال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم وقول الشيوخ كلهم في هذا الزمان انا سمعنا ما في هذا الكتاب
اذا لم يوجد الشرط الذي ذكرناه كذب صريح واقل شروط السماع ان يجري الجميع على السمع نوع من الحفظ
بالتغيير ولو جاز ان يكتب سماع الصبي والغافل والنائم والذي ينسخ لجاز ان يكتب سماع الصبي في المهد
وسماع المجنون ثم اذا بلغ الصبي وافاق المجنون سمع عليه ولا خلاف في عدم جوازه ولو جاز ذلك لجاز ان
يكتب سماع الجنين في البطن فان كان لا يكتب سماع الصبي في المهد لانه لا يفهم ولا يحفظ فالصبي الذي يلعب
والغافل المشغول بالنسخ عن السماع ليس يفهم ولا يحفظ وان استجرا جاهل فقال
يكتب سماع الصبي في المهد فليكتب سماع الجنين في البطن فان فرق بينهما بان الجنين لا يسمع الصوت وهذا
يسمع فما ينفع هذا وهو انما ينقل الحديث دون الصوت فليقتصر اذا صار شيخا على ان يقول سمعت بعد
بلوغي ان فلانا حضر مجلسنا يروي فيه حديثا كان يقرع سمعي صوته ولا ادري ما هو ولا خلاف في ان الرواية

كذلك لا تصح وما زاد عليه فهو كذب صريح ولو جاز اثبات سماع التركي الذي لا يفهم العربية لانه سمع صوتا
غفلا لجاز اثبات سماع صبي في المهد وذلك غاية الجهل ومن اين يوخذ هذا وهل للسماع مستند الا قول
رسول الله صلى الله عليه وسلم نضر الله امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها وكيف يودي كما سمعها وهو
لا يدري ما سمعه فهذا افحش انواع الغرور وقد بلي به اهل الزمان ولو احتاط اهل الزمان لم يجدوا شيوخا
الا الذين سمعوا في الصبي على هذا الوجه مع الغفلة الا ان للمحدثين في ذلك جاها وقبولا فخاف المساكين ان يشترطوا
ذلك فيقل من يجتمع في حلقهم فينقص جاههم ويقل ايضا احاديثهم التي قد سمعوها بهذا الشرط بل ربما عدموا
ذلك فافتضحوا فاصطلحوا على انه ليس يشترط الا ان يقرع سمعه دمدمة وان كان لا يدري ما يجري وصحة السماع
لا يعرف من قول المحدثين لانه ليس من علمهم بل من علم اصول الفقه وما ذكرناه مقطوع به في قوانين اصول الفقه
فهذا غرور هولاء ولو سمعوا على الشرط لكانوا ايضا مغرورين في اقتصارهم على النقل وفي افناء عمرهم في جمع الروايات
والاسانيد واعراضهم عن مهمات الدين ومعرفة معاني الاخبار بل الذي يقصد من الحديث سلوك طريق الله تعالى
ربما يكفيه الحديث الواحد عمره كما روي عن بعض الشيوخ انه حضر مجلس السماع فكان اول حديث روي قوله
صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فقام وقال يكفيني هذا حتى افرغ منه ثم اسمع غيره فهكذا
يكون سماع الاكياس الذين يحذرون الغرور وفرقة اخرى اشتغلوا بعلم النحو واللغة والشعر وغريب اللغة
فاغتروا به وزعموا انه قد غفر لهم وانهم من علماء الامة اذ قوام الدين بالكتاب والسنة وقوام الكتاب
والسنة بعلم اللغة والنحو فافنى هولاء اعمارهم في دقائق النحو وفي صناعة الشعر وفي غريب اللغة ومثالهم
كمن يفني جميع العمر في تعلم الخط وتصحيح الحروف وتحسينها ويزعم ان العلوم لا يمكن حفظها الا بالكتبة فلا بد من
تعلمها وتصحيحها ولو عقل لعلم انه يكفيه ان يتعلم اصل الخط بحيث يمكن ان يقرا كيفما كان والباقي زيادة على
الكفاية وكذلك الاديب لو عقل لعرف ان لغة العرب كلغة الترك والمضيع عمره في لغة العرب كالمضيع في لغة
الترك والهند وانما فارقها لاجل ورود الشرع فيكفي من اللغة علم الغريبين في الاحاديث ومن النحو ما يتعلق
بالحديث والكتاب واما التعمق فيه الى درجات لا تتناهى ففضول مستغنى عنه لو اقتصر واعرض عن
معرفة المعاني الشرعية والعمل بها فهو ايضا مغرور بل مثاله مثال من ضيع العمر في تصحيح مخارج الحروف في
القران واقتصر عليه وهو غرور اذ المقصود من الحروف المعاني والحروف ظروف وادوات ومن احتاج الى ان يشرب
السكنجبين فهو من جهال المغرورين وكذلك غرور اهل النحو واللغة والادب والقراات والتدقيق في مخارج
الحروف مهما تعمقوا فيها او تجردوا لها او عرجوا عليها اكثر مما يحتاج له في تعلم العلوم التي هي فرض عين فاللب
الاقصى هو العمل والذي فوقه هو معرفة العمل وهو كالقشر للعمل وكاللب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو سماع
الالفاظ وحفظها بطريق الرواية وهو قشر بالاضافة الى المعرفة ولب بالاضافة الى ما فوقه وما فوقه هو العلم
باللغة والنحو وفوق ذلك وهي القشرة العليا العلم بمخارج الحروف والقانعون بهذه الدرجات كلهم مغترون الا
من اتخذ هذه

من اتخذ هذه الدرجات منازل فلم يعرج عليها الا بقدر حاجته فتجاوزها الى ما وراءها حتى وصل الى لباب العمل فطالب
بحقيقة العمل قلبه وجوارحه وزجى عمره في حمل النفس عليه وتصحيح العمل وتصفيته عن الشوائب والافات
فهذا هو المقصود المخدوم من جملة علوم الشرع وسائر العلوم خدم له ووسائل اليه وقشور له ومنازل
بالاضافة اليه وكل من لم يبلغ المقصد فقد خاب سواء كان في المنزل القريب او في المنزل البعيد وهذه العلوم
لما كانت متعلقة بعلوم الشرع اغتر بها اربابها فاما علم الطب والحساب والصناعات
وما يعلم انه ليس من علوم الشرع فلا يعتقد اصحابها انهم ينالون المغفرة بها من حيث انها علوم فكان
الغرور بها اقل من الغرور بعلوم الشرع لان العلوم الشرعية مشتركة في انها محمودة كما يشارك القشر اللب
في كونه محمودا ولكن المحمود منه لعينه هو المنتهى والباقي محمود للوصول به الى المقصود الاقصى فمن اتخذه
مقصودا وعرج عليه كان مغرورا به وفرقة اخرى عظم غرورهم في فن الفقه فظنوا ان حكم العبد بينه وبين
الله تعالى يتبع حكمه في مجلس القضاء فوضعوا الحيل في دفع الحقوق واساوا تاويل الالفاظ المبهمة
واغتروا بالظواهر واخطوا فيها وهذا من قبيل الخطا في الفتوى والغرور فيه والخطا في الفتاوى مما يكثر ولكن هذا
نوع عم الكافة الا الاكياس منهم فلنشر الى امثلة له فمن ذلك فتواهم بان المراة مهما ابرات الزوج عن الصداق
برئ الزوج بينه وبين الله وذلك خطا بل الزوج قد يسي الى الزوجة بحيث يضيق عليها الامور بسوء الخلق فتضطر
الى طلب الخلاص فتبرئ الزوج لتتخلص منه فهو ابراء لا عن طيبة نفس وقد قال تعالى فان طبن لكم
عن شيء منه نفسا وطيبة النفس غير طيبة القلب فالقلب قد يريد ما لا تطيب به النفس فان الانسان يريد الحجامة
بقلبه ولكن تكرهه نفسه فانما طيبة النفس ان تسمح نفسها بالابراء لا عن ضرورة تقابله حتى اذا رددت بين
ضررين اختارت اهونهما فهذه مصادرة على التحقيق باكراه الباطن نعم القاضي في الدنيا لا يطلع على القلوب والاغراض
فينظر الى الابراء الظاهر وانها لم تكره بسبب ظاهر والاكراه الباطن ليس يطلع الخلق عليه ولكن مهما تصدى
القاضي الاكبر في صعيد القيامة للقضاء لم يكن هذا محسوبا ولا مفيدا في تحصيل الابراء وكذلك لا يحل مال الانسان
ان يوخذ الا بطيبة نفس فمن طلب من انسان مالا على ملا من الناس فاستحيا من الناس ان لا يعطيه وكان يود ان
يكون سواله في خلوة حتى لا يعطيه ولكن خاف الم مذمة الناس وخاف الم تسليم المال وردد نفسه بينهما فاختار
اهون الالمين وهو الم تسليم المال فسلمه فلا فرق بين هذا وبين المصادرة اذ معنى المصادرة ايلام البدن بالسوط
حتى يصير ذلك اقوى من الم القلب ببذل المال فيختار اهون الالمين والسوال في مظنة الحياء والرياء ضرب للقلب
بالسوط ولا فرق بين ضرب الباطن وضرب الظاهر عند الله تعالى فان الباطن عند الله تعالى ظاهر وانما حاكم الدنيا
هو الذي يحكم بالملك على ظاهر قوله وهبت لانه لا يمكنه الوقوف على ما في القلب وكذلك من يعطي اتقاء لشر لسانه
او لشر سعايته فهو حرام عليه وكذلك كل ما يوخذ على هذا الوجه فهو حرام الا ترى الى ما جا في قصة داود عليه
السلام حيث قال بعد ان غفر له يا رب كيف لي بخصمي فامر بالاستحلال وكان ميتا فامره الله تعالى بندائه في

في محرابه ببيت المقدس فنادى يا أوريا فأجابه يا نبي الله اخرجتني من الجنة فماذا تريد قال قد اشار الجبل في امر
فهبه لي قال قد فعلت ذلك يا نبي الله فانصرف وقد ركن الى ذلك فقال جبريل عليه السلام
هل ذكرت له ما فعلت قال لا قال فارجع فبين له فرجع فناداه فقال لبيك يا نبي الله فقال انى
اذنبت اليك ذنبا قال الم اهبه لك قال او لا تسألني ما ذلك الذنب قال ما هو يا نبي الله قال كذا وكذا فذكر شان المراة
فانقطع الجواب فقال يا اوريا الا تجيبني قال يا نبي الله ما هكذا يفعل الانبيا حتى اقف معك بين يدي الله تعالى
فاستقبل داود عليه السلام البكا والصراخ من الراس حتى وعده الله تعالى ان يستوهبه منه في القيمة فهذا ينبيك
ان الهبة من غير طيبة قلب لا يفيد وان طيبة القلب لا تحصل الا بالمعرفة فكذلك طيبة القلب لا يكون الا بالابرا
والهبة وغيره لذلك الا اذا خلي الرجل واختياره حتى تنبعث الدواعي من ذات نفسه لا ان تضطر بواعثه الى
الحركة بالحيل والالزام ومن ذلك هبة الرجل مال الزكوة في آخر الحول من زوجته واستيهابه ماله لاسقاط
الزكوة فالفقيه يقول سقطت الزكوة فان اراد به مطالبة السلطان والساعي فقد سقط عنه فقد صدق
فان مطمح نظره ظاهر الملك وقد زال وان ظن انه يسلم في القيمة ويكون كمن لم يملك المال او كمن باع لحاجته
الى البيع لا على هذا القصد فما اعظم جهله بفقه الدين وبسر الزكوة فان سر الزكوة تطهير القلب عن رذيلة البخل
فان البخل مهلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وانما صار شحه مطاعا بما
فعله وقبله لم يكن مطاعا فقد تم هلاكه بما يظن ان فيه خلاصه فان الله تعالى مطلع على قلبه وحبه للمال وحرصه
عليه وانه بلغ من حرصه على المال ان يستنبط الحيل حتى يسد على نفسه طريق الخلاص من البخل ليبين الجهل
والغرور ومن ذلك اباحة الله تعالى المصالح للفقيه وغيره بقدر الحاجة والفقها المغرورون لا يميزون بين
الاماني والفضول والشهوات وبين الحاجات بل كل ما لا تتم رعونتهم الا به يرونه حاجة وهو محض الغرور بل
الدنيا خلقت لحاجة العباد اليها في العبادة وسلوك طريق الله تعالى فكل ما تناوله العبد للاستعانة على
الدين والعبادة فهو حاجة وما عداه فهو فضول او شهوة ولو ذهبنا نصف غرور الفقها في امثال هذا لملانا
منه مجلدات والغرض التنبيه على امثلة تعرف الاجناس دون الاستيعاب فان ذلك يطول **الصنف** الثاني
ارباب العبادات والعمل والمغرورون منهم فرق كثيرة فمنهم من غروره في الصلوة ومنهم في تلاوة القران ومنهم في الحج
ومنهم في الغزو ومنهم في الزهد وكذلك كل مشغول بمنهج من مناهج العمل فليس خاليا من غرور الا الاكياس
وقليل ما هم فمنهم فرقة اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل وربما تعمقوا في الفضايل حتى خرجوا
الى العدوان والسرف كالذي تغلب عليه الوسوسة في الوضو فيبالغ فيه ولا يرتضي الما المحكوم بطهارته
في فتوى الشرع ويقدر الاحتمالات البعيدة قريبة في النجاسة واذا آل الامر الى اكل الحلال قدر
الاحتمالات القريبة بعيدة وربما اكل الحرام المحض ولو انقلب هذا الاحتياط من الما الى الطعام لكان اشبه
بسيرة الصحابة اذ توضأ عمر رضي الله عنه بما في جرة نصرانية مع ظهور احتمال النجاسة وكان يدع ابوابا

من الحلال مخافة الوقوع في الحرام ثم من هؤلاء من يخرج الى الاسراف في صب الماء وذلك منهي عنه وقد يطول الامر حتى
يضيع الصلوة ويخرجها عن وقتها وان لم يخرجها ايضا عن وقتها فهو مغرور لما فاته من فضيلة اول الوقت
وان لم يفته فهو مغرور لاسرافه في الماء وان لم يسرف فهو مغرور لتضييعه العمر الذي هو اعز الاشيا
فيما له مندوحة عنه الا ان الشيطان يصد الخلق عن الله تعالى بطرق شتى ولا يقدر على صد العباد الا بما
يخيل اليهم انه عبادة فيبعدهم عن الله تعالى بمثل ذلك **وفرقة** غلبت عليها الوسوسة في نية الصلوة
فلا يدعها الشيطان حتى يعتقد نية صحيحة بل يشوش عليه حتى تفوته الجماعة ويخرج الصلوة عن
الوقت وان تم تكبيره فيكون في قلبه بعد تردد في صحة نيته وقد يوسوسون في التكبير حتى يغيرون
صيغة التكبير لشدة الاحتياط فيه يفعلون ذلك في اول الصلوة ثم يغفلون في جميع الصلوة ولا يحضرون
قلوبهم ويغترون بذلك ويظنون انهم اذا اتعبوا انفسهم في تصحيح النية في اول الصلوة وتميزوا عن العامة بهذا
الجهد والاحتياط فهم على خير عند ربهم تعالى **وفرقة** اخرى تغلب عليها الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وسائر الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديدات والفرق بين الضاد والظاء وتصحيح مخارج
الحروف في جميع صلوته لا يهمه غيره ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا عن معنى القران والاتعاظ به وصرف الفهم
الى اسراره وهذا من اقبح الغرور فانه لم يكلف الخلق في تلاوة القران من تحقيق مخارج الحروف الا ما جرت به
عادتهم في الكلام ومثال هؤلاء مثال من حمل رسالة الى مجلس سلطان وامر ان يؤديها على وجهها فاخذ
يؤدي الرسالة ويتأنق في مخارج الحروف ويتأنق في مخارج الحروف يكررها ويعيدها ويعود الى ذلك مرة
بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن مقصود الرسالة ومراعاة حرمة المجلس فما احراه بان تقام عليه السياسة
ويرد الى دار المجانين ويحكم عليه بفقد العقل **وفرقة** اخرى اغتروا بتلاوة القران فيهذونه هذا وربما
يختمونه في اليوم والليلة مرة ولسانهم يجري به وقلبهم يتردد في اودية الاماني اذ لا يتفكر في معاني القران
لينزجر بزواجره ويتعظ بمواعظه ويقف عند اوامره ونواهيه ويعتبر بمواضع الاعتبار منه الى غير ذلك
مما ذكرناه في كتاب تلاوة القران من مقاصد التلاوة فهو مغرور يظن ان المقصود الهمهمة به
مع الغفلة عنه ومثاله عبد كتب اليه مولاه كتابا واشار عليه فيه بالاوامر والنواهي فلم يصرف عنايته
الى فهمه والعمل به ولكن اقتصر على حفظه فهو مستمر على خلاف ما امره به مولاه الا انه يكرر الكتاب بنغمته
وصوته كل يوم مائة مرة فهو مستحق للعقوبة ومهما ظن ان ذلك هو المراد منه فهو مغرور نعم تلاوته انما
تراد لكي لا ينسى بل لحفظه وحفظه يراد لمعناه ومعناه يراد للعمل به وللانتفاع بمعانيه وقد يكون له
صوت طيب فهو يقراه ويتلذذ به ويغتر باستلذاذه ويظن ان ذلك لذة مناجاة الله تعالى وسماع كلامه وانما
هو لذته في صوته ولو ردد الحانه بشعر او كلام اخر لالتذ به ذلك الالتذاذ فهو مغرور اذ لم يتفقد قلبه
فيعرفه ان لذته بكلام الله تعالى من حيث نظمه ومعانيه او بصوته **وفرقة** اغتروا بالصوم وربما

صاموا الدهر وصاموا الايام الشريفة وهم فيها لا يحفظون السنتهم من الغيبة وخواطرهم من الريا وبطونهم
من الحرام عند الافطار ولسانهم من الهذيان بانواع الفضول طول النهار وهو مع ذلك يظن بنفسه الخير فيهمل
الفرض ويطلب النفل ثم لا يقوم بحقه وذلك غاية الغرور **وفرقة** اخرى رغبوا في الحج من غير خروج عن المظالم وقضا
الديون واسترضا الوالدين وطلب الزاد الحلال وقد يفعلون ذلك بعد سقوط حج الاسلام ويضيعون في الطريق
الصلوة والفرايض ويعجزون عن طهارة الثوب والبدن ويتعرضون لمكس الظلمة حتى يوخذ منهم ولا يحترزون
في الطريق من الرفث والخصام وربما جمع بعضهم الحرام فانفقه على الرفقا في الطريق وهو يطلب
به السمعة والريا فيعصي الله في كسب الحرام اولا وفي انفاقه بالريا ثانيا فلا هو اخذه من حله ولا هو وضعه
في حقه ثم يحضر البيت بقلب ملوث برذايل الاخلاق وذميم الصفات لم يقدم تطهيرها على حضوره ومع
ذلك يظن انه على خير من ربه وهو مغرور **وفرقة** اخرى اخذت في طريق الحسبة والامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ينكر على الناس ويامرهم بالمعروف وينسى نفسه واذا امرهم بالخير عنف وطلب الرياسة والعز واذا باشر
منكرا ورد عليه غضب وقال انا المحتسب فكيف ينكر علي وقد يجمع الناس الى المسجد ومن تاخر عنه
غلظ القول عليه فانما غرضه الريا والرياسة ولو قام بتعهد المسجد غيره لحرد عليه بل منهم من يوذن ويظن
انه يوذن لله تعالى ولو جا غيره واذن في وقت غيبته قامت عليه القيمة وقال لم اخذ حقي
وزوحمت على مرتبتي وكذلك قد يتقلد امامة مسجد ويظن انه على خير وانما غرضه انه امام المسجد فلو تقدم
غيره وان كان اورع منه واعلم ثقل عليه **وفرقة** اخرى زهدت في المال وقنعت من اللباس والطعام
بالدون ومن المسكن بالمساجد وظنت انها ادركت رتبة الزهاد وهو مع ذلك راغب في الرياسة والجاه
اما بالعلم او بالوعظ او بمجرد الزهد فقد ترك اهون الامرين وبا باعظم المهلكين فان الجاه اعظم من المال
ولو ترك الجاه واخذ المال كان الى السلامة اقرب فهذا مغرور اذ ظن انه من الزهاد في الدنيا وهو لم يفهم
معنى الدنيا ولم يدر ان منتهى لذتها الرياسة وان الراغب فيها لا بد ان يكون منافقا وحسودا ومتكبرا
ومرائيا ومتصفا بجميع خبائث الاخلاق نعم وقد ترك الرياسة ويوثر الخلوة والعزلة وهو مع ذلك
مغرور اذ يتطاول به على الاغنيا ويخشن معهم الكلام وينظر اليهم بعين الاستحقار ويرجو لنفسه
اكثر مما يرجو لهم ويعجب بعمله ويتصف بجملة خبائث القلوب وهو لا يدري وربما يعطى المال فلا ياخذه
خيفة من ان يقال بطل زهده ولو قيل له انه حلال فخذه في الظاهر ورده في الخفية لم تسمح به نفسه خوفا
من ذم الناس فهو راغب في حمد الناس وهو من الذ ابواب الدنيا ويرى نفسه انه من اهل الزهد في الدنيا
فهو مغرور ومع ذلك ربما لا يخلو عن توقير الاغنيا وتقديمهم على الفقرا والميل الى المريدين له والمثنين عليه
والنفرة عن المائلين الى غيره من الزهاد وكل ذلك خدعة وغرور من الشيطان وفي العباد من يشدد
على نفسه في اعمال الجوارح حتى يصلي في اليوم والليلة الف ركعة ويختم القرآن وهو في جميع ذلك لا يخطر

له مراعاة القلب وتفقده وتطهيره من الريا والكبر والعجب وساير المهلكات فلا يدري ان ذلك مهلك
وان علم فلا يظن بنفسه ذلك وان ظن بنفسه ذلك توهم انه مغفور له بعمله الظاهر وانه غير مواخذ باحوال
القلب وان توهم وظن ان العبادات الظاهرة يترجح بها كفة حسناته وهيهات فذرة
من ذي تقوى وخلق واحد من اخلاق الاكياس افضل من امثال الجبال عملا بالجوارح ثم لا يخلو هذا المغرور
مع سوء خلقه مع الناس وخشونته وتلوث باطنه عن الريا وحب الثنا فاذا قيل له انت من اوتاد
الارض واصفيا الله تعالى واوليايه فرح المغرور وصدق به وزاده ذلك غرورا وظن ان تزكية الناس له
دليل على كونه مرضيا عند الله تعالى ولا يدري ان ذلك لجهل الناس بخبايث باطنه **وفرقة** اخرى حرصت على
النوافل ولم يعظم اعتدادها بالفرايض نرى احدهم يفرح بصلوة الضحى وبصلوة الليل وامثال هذه النوافل ولا يجد
للفريضة لذة ولا يشتد حرصه على المبادرة بها في اول الوقت وينسى قوله عليه السلام
ما تقرب المتقربون الى بمثل ادا ما افترضت عليهم وترك الترتيب بين الخيرات من جملة الشرور بل قد يتعين
على الانسان فرضان احدهما يفوت والاخر لا يفوت او نفلان احدهما يضيق وقته والاخر يتسع فان لم
يحفظ الترتيب فيه كان مغرورا ونظاير ذلك اكثر من ان تحصى فان المعصية ظاهرة والطاعة ظاهرة وانما
الغامض تقديم بعض الطاعات على البعض كتقديم الفرايض كلها على النوافل وتقديم فرض الاعيان
على فرض الكفاية وتقديم فرض كفاية لا قايم بها على ما قام بها غيره وتقديم الاهم من فروض الاعيان
على ما دونه وتقديم ما يفوت على ما لا يفوت وهذا كما يجب ان يقدم حاجة الوالدة على حاجة الوالد
اذ سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل من ابر فقال امك قال ثم من قال امك قال ثم
من قال امك قال ثم من قال ادناك فادناك فينبغي ان يبدا في الصلة بالاقرب فان استويا فبالاتقى
والاورع وكذلك من لا يفي ماله بنفقة الوالدين والحج فربما يحج وهو مغرور بل ينبغي ان يقدم حقهما على الحج
وهذا من تقديم فرض اهم على فرض هو دونه وكذلك اذا كان على العبد ميعاد ودخل وقت الجمعة فالجمعة
تفوت بالاشتغال بالوفا بالوعد معصية وان كان هو طاعة في نفسه وكذلك قد يصيب ثوبه النجاسة
فيغلظ القول على ابويه واهله بسببه فالنجاسة محذورة وايذاوهما محذور والحذر من الايذا اهم
من الحذر من النجاسة وامثلة تقابل المحذورات والطاعات لا تنحصر ومن ترك الترتيب في جميع
ذلك فهو مغرور وهذا غرور في غاية الغموض لان المغرور فيه في طاعة الا انه لا يفطن لصيرورة
الطاعة معصية حيث ترك بها طاعة واجبة هي اهم منها ومن جملته الاشتغال بالمذهب والخلاف
من الفقه في حق من بقي عليه شغل في الطاعة والمعاصي الظاهرة والباطنة المتعلقة بالجوارح والمتعلقة
بالقلب لان مقصود الفقه معرفة ما يحتاج اليه غيره في حوائجهم فمعرفة ما يحتاج هو اليه في قلبه
اولى به الا انه يحب الرياسة والجاه ولذة المباهاة وقهر الاقران والتقدم عليهم يعمي عليه حتى يغتر به

مع نفسه ونظر انه مشغول **الصنف** الثالث المتصوفة وما اغلب الغرور عليهم والمغرورون منهم
فرق ففرقة هم متصوفة اهل الزمان الا من عصمه الله تعالى اغتروا بالزي والمنطق والهيئة فساعدوا
الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي الفاظهم وادابهم ومراسمهم واصطلاحاتهم وفي احوالهم الظاهرة
في السماع والرقص والصلوة والطهارة والجلوس على السجادات مع اطراق الراس وادخاله في الجيب كالمتفكر
في تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث الى غير ذلك من الشمايل والهيئات فلما تكلفوا هذه الامور
وتشبهوا بهم فيها ظنوا انهم ايضا صوفية ولم يتعبوا انفسهم في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب تشبهوا
وتطهير الباطن والظاهر من الاثام الخفية والجلية وكل ذلك من اوائل منازل التصوف ولو فرغوا
عن جميعها لما جاز لهم ان يعدوا انفسهم من الصوفية كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا انفسهم شيا
منها بل يتكالبون على الحرام والشبهات واموال السلاطين ويتنافسون في الرغيف والفلس والحبة
ويتحاسدون على النقير والقطمير ويمزق بعضهم اعراض بعض مهما خالفه في شي من غرضه وهولاء غرورهم
ظاهر ومثالهم مثال امراة عجوز سمعت ان الشجعان والابطال من المقاتلين تثبت اسماؤهم
في الديوان ويقطع كل واحد منهم قطرا من اقطار المملكة فتاقت نفسها ان يقطع مملكة فلبست درعا
ووضعت على راسها مغفرا وتعلمت من رجز الابطال ابياتا وتعودت ايراد تلك الابيات بنغماتهم حتى
تيسرت عليها وتعلمت كيفية تبخترهم في الميدان وكيفية تحريكهم الايدي وتلقفت جميع شمايلهم في
الزي والمنطق والحركات والسكنات ثم توجهت الى العسكر ليثبت اسمها في ديوان الشجعان فلما وصلت
الى العسكر انفذت الى ديوان العرض وامر ان تجرد عن المغفر والدرع وينظر ما تحته وتمتحن بالمبارزة
مع بعض الشجعان ليعرف قدر عنايتها في الشجاعة فلما جردت عن المغفر والدرع فاذا هي عجوز
ضعيفة زمنة لا تطيق حمل الدرع والمغفر فقيل اجيئت للاستهزاء بالملك وللاستخفاف باهل مملكته
والتلبيس عليه خذوها فالقوها قدام الفيل لسخفها فالقيت الى الفيل وهكذا يكون حال المدعين
للتصوف في القيمة اذا كشف عنهم الغطاء وعرضوا على القاضي الاكبر الذي لا ينظر الى الزي والمرقع بل الى
سر القلب **وفرقة** اخرى زادت على هولاء في الغرور اذ شق عليهم الاقتداء بهم في بذاذة الثياب والرضى
بالدون واردات ان تتظاهر بالتصوف ولم تجد بدا من التزي بزيهم فتركت الخز والابريسم وطلبت
المرقعات النفيسة والفوط الرفيعة والسجادات المصبوغة ولبست من الثياب ما هو ارفع قيمة
من الخز والابريسم وظن مع ذلك انه متصوف بمجرد لون الثياب وكونه مرقعا ونسي انهم انما لونوا
الثياب لئلا يطول عليهم غسلها كل ساعة لازالة الوسخ وانما لبسوا المرقع
اذ كانت ثيابهم مخرقة فكانوا يرقعونها ولا يلبسون الجديد فاما تقطيع الفوط الرفيعة قطعة
قطعة وخياطة المرقعات منها فمن اين يشبه ما اعتادوه فهولاء اظهر حماقة من كافة المغرورين

فانهم يتنعمون بنفيس الثياب ولذيذ الاطعمة ويطلبون رغد العيش وياكلون اموال السلاطين ولا
يجتنبون المعاصي الظاهرة فضلا من الباطنة وهم مع ذلك يظنون بانفسهم الخير وشر هولاء ربما يتعدى
الى الخلق اذ يهلك من يقتدي بهم ومن لا يقتدي بهم يفسد عقيدته في اهل التصوف كافة ويظن ان جميعهم كانوا
من جنسه فيطول اللسان على الصادقين منهم وكل ذلك من شوم المتشبهين وشرهم **وفرقة** اخرى ادعت
علم المعرفة ومشاهدة الحق ومجاوزة المقامات والاحوال والملازمة في عين الشهود والوصول
الى القرب ولا يعرف هذه الامور الا بالاسامي والالفاظ الا انه تلقف من الفاظ الطامات كلمات
فهو يرددها ويظن ان ذلك اعلى من علم الاولين والاخرين فهو ينظر الى الفقهاء والمفسرين والمحدثين واصناف
العلماء بعين الازراء فضلا عن العوام حتى ان الفلاح ليترك فلاحته والحايك يترك حياكته ويلازمهم
اياما معدودات ويتلقف منهم تلك الكلمات المزيفة فهو يرددها كانه يتكلم عن الوحي ويخبر
عن سر الاسرار ويستحقر بذلك جميع العباد والعلماء فيقول في العباد انهم اجرا متعبون ويقول في
العلماء انهم بالحديث عن الله محجوبون ويدعي لنفسه انه وصل الى الحق وانه من المقربين وهو عند الله
تعالى من الفجار المنافقين وعند ارباب القلوب من الحمقى الجاهلين لم يحكم قط علما ولم يهذب خلقا ولم يرتب
عملا ولم يراقب قلبا سوى اتباع الهوى وتلقف الهذيان وحفظه **وفرقة** منهم وقعت في الاباحة وطووا
بساط الاحكام ورفضوا الفصل بين الحلال والحرام فبعضهم يزعم ان الله مستغن عن عملي فلم اتعب نفسي وبعضهم
يقول قد كلف الناس تطهير القلب عن الشهوات وحب الدنيا وذلك محال فقد كلفوا ما لا يمكن وانما
يغتر به من لم يجرب واما نحن فقد جربنا وادركنا ان ذلك محال ولا يعلم الاحمق ان الناس لم يكلفوا
قلع الشهوة والغضب من اصلهما بل تاديبهما بحيث ينقادان لحكم العقل والشرع وبعضهم يقول الاعمال
بالجوارح لا وزن لها انما النظر الى القلوب وقلوبنا والهة بحب الله تعالى وواصلة الى معرفة الله تعالى
وانما نخوض في الدنيا بابداننا وقلوبنا عاكفة في حضرة الربوبية فنحن مع الشهوات بالظواهر لا بالقلوب
ويزعمون انهم قد ترقوا عن رتبة العوام واستغنوا عن تهذيب النفس بالاعمال البدنية وان الشهوات
لا تصدهم عن طريق الله تعالى لقوتهم ويرفعون درجة انفسهم عن درجة الانبياء عليهم السلام اذ كان
تصدهم عن طريق الله خطيئة واحدة حتى كانوا يبكون عليها وينوحون سنين متوالية واصناف غرور
اهل الاباحة من المتشبهين بالاباحة من المتشبهين بالصوفية لا يحصى وكل ذلك بناء على اغاليط
ووساوس خدعهم الشيطان بها لاشتغالهم بالمجاهدة قبل احكام العلم ومن غير اقتداء بشيخ متقن
في الدين والعلم صالح للاقتداء به واحصاء اصنافهم يطول **وفرقة** اخرى جاوزت حد هولاء واجتنبت
الاعمال وطلبت الحلال واشتغلت بتفقد القلب وصار يدعي المقامات من الزهد والتوكل والرضى
والحب من غير وقوف على حقيقة هذه المقامات وشروطها وعلاماتها وافاتها فمنهم من يدعي الوجد

والحب لله ويزعم انه واله بالله تعالى ولعله قد تخيل في الله تعالى خيالا انه هي بدعة كفر فيدعي حب الله
تعالى قبل معرفته ثم انه لا يخلوا عن مقارفة ما يكره الله تعالى وايثار هوى نفسه على امر الله تعالى
وعن ترك بعض الامور حيا من الخلق ولو خلا لما تركه حيا من الله تعالى وليس يدري ان كل ذلك يناقض
الحب وبعضهم ربما يميل الى القناعة والتوكل فيخوض البوادي من غير زاد لتصحيح دعوى التوكل
وليس يدري ان ذلك بدعة لم ينقل عن السلف والصحابه رضي الله عنهم وقد كانوا اعرف بالتوكل منه
فما فهموا ان التوكل المخاطرة بالروح وترك الزاد بل كانوا ياخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على
الزاد وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الاسباب واثق به وما من مقام من المقامات
المنجيات الا وفيها غرور وقد اغتر بها قوم وقد ذكرنا مداخل الافات في ربع المنجيات حتى طلبت
منه الحلال الخالص واهملت تفقد القلب والجوارح في غير هذه الخصلة الواحده ومنهم من اهمل الحلال في
مطعمه وملبسه ومكسبه واخذ يتعمق في غير ذلك وليس يدري المسكين ان الله تعالى لم يرض من عبده
بطلب الحلال فقط ولا يرضى بساير الاعمال دون طلب الحلال بل لا يرضيه الا تفقد جميع الطاعات والمعاصي
فمن ظن ان بعض الامور يكفيه وينجيه فهو مغرور وفرقه منهم ادعوا حسن الخلق والتواضع والسماحه
فتصدوا لخدمة الصوفيه فجمعوا قوما وتكلفوا بخدمتهم واتخذوا ذلك شبكة للرياسه وجمع
المال وانما غرضهم التكبر وهم يظهرون الخدمة والتواضع وغرضهم الارتفاع وهم يظهرون ان غرضهم الاستتباع
وهم يظهرون ان غرضهم الخدمه والتبعيه ثم انهم يجمعون من الحرام والشبهات وينفقون عليهم ليكثر
اتباعهم وينتشر بالخدمه اسمهم وبعضهم ياخذ اموال السلاطين وينفق عليهم وبعضهم ياخذها
لينفق في طريق الحج على الصوفيه ويزعم ان غرضه البر والارفاق وباعث بعضهم الريا والسمعه وايه ذلك
اهمالهم لجميع اوامر الله تعالى ظاهرا وباطنا ورضاهم باخذ الحرام والانفاق منه ومثال من ينفق الحرام في طريق الحج
لارادة الخير لمن يعمر مساجد الله تعالى فيطينها بالعذرة ويزعم ان قصده العمارة وفرقه اخرى منهم
اشتغلوا بالمجاهده وتهذيب الاخلاق وتطهير النفس من عيوبها وصاروا يتعمقون فيها فاتخذوا
البحث عن عيوب النفس ومعرفة خدعها النفس وباستنباط دقايق الكلام في افاتها فيقولون هذا في النفس
عيب والغفلة عن كونه عيبا عيب والالتفات الى كونه عيبا عيب ويشغفون فيه بكلمات مسلسله
تضيع الاوقات في تلفيقها ومن جعل طول عمره في التفتيش عن العيوب وتحرير علم علاجه كان كمن
اشتغل بالتفتيش عن عوايق الحج وافاته ولم يسلك طريق الحج فذلك لا يغنيه وفرقه اخرى جاوزوا
هذه الرتبة وابتدوا سلوك الطريق وانفتح لهم ابواب المعرفه فكلما تشمموا من مبادي المعرفه رايحه
تعجبوا منها وفرحوا بها واعجبهم غرايبها فتقيدت قلوبهم بالالتفات اليها والتفكر فيها وفي كيفية انفتاح
بابها عليهم وانسدادها على غيرهم وكل ذلك غرور لان عجايب طريق الله تعالى ليس لها نهاية فلو وقف

السالك مع كل محجوبه وتقيد بها قصر خطاه وحرم عنه الوصول الى المقصد وكان مثاله مثل من قصد ملكا فراى على باب
ميدانه روضه فيها ازهار وانوار ولم يكن قد راى قبل ذلك مثلها فوقف ينظر اليه حتى فاته الوقت الذي
يمكن فيه لقا الملك وفرقه اخرى جاوزوا هولا ولم يلتفتوا الى ما يفيض عليهم من الانوار
في الطريق والى ما تيسر لهم من العطايا الجزيلة ولم يعرجوا على الفرح بها والالتفات اليها جادين في السير
حتى قاربوا فوصلوا الى حد القربه الى الله تعالى فظنوا انهم وصلوا الى الله تعالى فوقفوا فغلطوا فان لله
سبعين حجابا من نور لا يصل السالك الى حجاب من تلك الحجب في الطريق الا ويظن انه قد وصل
واليه الاشاره بقول ابرهيم عليه السلام اذ قال الله تعالى اخبارا عنه فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي
وليس المعني به هذه الاجسام المضية فانه كان يراها في الصغر ويعلم انها ليست الهه وهي كثيره
وليست واحده والجهال يعلمون ان الكواكب ليس باله فمثل ابرهيم عليه السلام لا يغره الكوكب الذي لا يغر
السوادية ولكن المراد به نور من الانوار التي هي من حجب الله تعالى وهي على طريق السالك ولا يتصور الوصول
الى الله تعالى الا بالوصول الى هذه الحجب وهي حجب من النور بعضها اعظم من بعض واصغر النيران الكوكب
فاستعير له لفظه واعظمها رتبة القمر فلم يزل ابرهيم عليه السلام لما اري ملكوت السموات
حيث قال تعالى وكذلك نري ابرهيم ملكوت السموات يصل الى نور بعد نور ويتخايل اليه في
اول ما يلقاه انه قد وصل ثم كان يكشف له ان وراه امرا فيترقى اليه ويقول قد وصلت فيكشف له ما وراه حتى
وصل الى الحجاب الاقرب الذي لا وصول الا بعده قال هذا اكبر فلما ظهر له انه مع عظمته غير خال عن الهوي
في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال قال لا احب الافلين اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض حنيفا وسالك هذا الطريق قد يغتر في الوقوف على بعض هذه الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول
فاول الحجب وقد يغتر بالحجاب الاول واول الحجب بين الله تعالى وبين العبد هو نفسه فانه ايضا امر رباني
وهو نور من انوار الله تعالى اعني سر القلب الذي يتجلى فيه صورة الكل وعند ذلك يشرق نوره اشراقا
عظيما اذ يظهر فيه الوجود كله على ما هو عليه وهو في اول الامر محجوب بمشكاه كالساتر له فاذا تجلى
نوره وانكشف جمال القلب بعد اشراق نور الله تعالى عليه ربما التفت صاحب القلب الى القلب فيرى من جماله
الفايق ما يدهشه فربما يسبق لسانه في هذه الدهشة فيقول انا الحق فان لم يتضح له ما وراء ذلك اغتر
به ووقف عليه وهلك وكان قد اغتر بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهيه ولم يصل بعد الى القمر فضلا عن
الشمس فهو مغرور وهذا محل الالتباس اذ المتجلي يلتبس بالمتجلى فيه كما يلتبس لون ما يتراءى
في المراة فيظن انه لون المراة وكما يلتبس ما في الزجاج بالزجاج كما قيل
رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها وتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح وكانما قدح ولا خمر
وبهذه العين نظر النصارى الى المسيح عليه السلام فراوا اشراق نور الله تعالى قد تلالا فيه فغلطوا فيه

لكن يرى كوكبا في مرآة أو في ماء فيظن أن الكوكب في المرآة أو في الماء فيمد اليد إليه ليأخذه فهو مغرور
وأنواع الغرور في طريق السلوك إلى الله تعالى لا تحصى في مجلدات ولا تستقصى إلا بعد شرح جميع
علوم المكاشفة وذلك مما لا رخصة في ذكره ولعل القدر الذي ذكرناه أيضا كان الأولى تركه إذ السالك
لهذه الطريق لا يحتاج إلى أن يسمعه من غيره والذي لم يسلكه لا ينتفع بسماعه بل ربما يستضر به
إذ يورثه ذلك دهشة من حيث يسمع ما لا يفهم ولكن فيه فائدة وهو إخراجه من الغرور الذي
هو فيه إذ ربما يصدق بأن الأمر أعظم مما يظنه ومما يتخيله بذهنه المختصر وخياله القاصر وجدله
المزخرف ويصدق أيضا بما يحكى من المكاشفات التي أخبر عنها أولياء الله تعالى ومن عظم
غروره ربما صار مكذبا بما لا يسمعه الآن كما يكذب بما سمعه قبل. الصنف الرابع أرباب الأموال
والمغترون منهم فرق ففرقة منهم يحرصون على بناء المساجد والمدارس والرباطات والقناطر وما يظهر للناس
كافة ويكتبون أساميهم بالآجر عليها ليتخلد ذكرهم ويبقى بعد الموت أثرهم وهم يظنون أنهم قد استحقوا
المغفرة بذلك وقد اغتروا فيه من وجهين أحدهما أنهم يبنونها من أموال اكتسبوها من الظلم والنهب والرشا
والجهات المحظورة فهم قد تعرضوا لسخط الله تعالى في كسبها وتعرضوا لسخطه في إنفاقها وكان الواجب
عليهم الامتناع عن كسبها فإذا عصوا الله تعالى بكسبها كان الواجب عليهم التوبة والرجوع إلى الله تعالى
وردها إلى ملاكها إما بأعيانها أو برد بدلها عند العجز فإن عجزوا عن الملاك كان الواجب ردها إلى الورثة
فإن لم يبق للمالك وارث فالواجب صرفها إلى أهم المصالح وربما يكون الأهم التفرقة على المساكين
وهم لا يفعلون ذلك خيفة من أن لا يظهر ذلك للناس فيبنون الأبنية بالآجر وغرضهم من بنائها الرياء
وجلب الثناء وحرصهم على إبقائها لبقاء أسمائهم بها لا لبقاء الخير. والوجه الثاني أنهم يظنون بأنفسهم الإخلاص
وقصد الخير في الإنفاق على الأبنية ولو كلف واحد منهم أن ينفق دينارا ولا يكتب اسمه على الموضع الذي
أنفق عليه لشق عليه ولم تسمح به نفسه والله مطلع عليه كتب اسمه أو لم يكتبه فلولا أنه يريد به وجه
الناس لا وجه الله تعالى لما افتقر إلى ذلك. وفرقة أخرى ربما اكتسبت المال من الحلال وأنفقت على
المساجد وهي أيضا مغرورة من وجهين أحدهما الرياء وطلب الثناء فإنه ربما يكون في جواره أو في بلده
فقراء وصرف المال إليهم أهم من الصرف إلى المساجد وتزيينها وإنما يخف عليه الصرف إلى المساجد ليظهر
ذلك بين الناس والثاني أن يصرفه إلى زخرفة المساجد وتزيينها بالنقوش التي هي منهي عنها وشاغلة
قلوب المصلين ومختطفة أعينهم والمقصود من الصلاة الخشوع وحضور القلب وذلك
يفسد قلوب المصلين ويحبط ثوابهم بذلك ووبال ذلك كله يرجع إليه وهو مع ذلك يغتر به ويرى
أنه من الخيرات ويعتد ذلك وسيلة له إلى الله تعالى وهو بذلك قد تعرض لسخط الله تعالى وهو يظن
أنه مطيع لله تعالى وممتثل لأمره وقد شوش قلوب عباد الله تعالى بما زخرف من المسجد وربما شوقهم

به إلى زخارف الدنيا فيشتهون مثل ذلك في بيوتهم ويشتغلون بطلبه ووبال ذلك كله في رقبته إذ المسجد
للتواضع ولحضور القلب مع الله تعالى وقال مالك بن دينار دخل رجلان المسجد فوقف أحدهما على
الباب وقال مثلي لا يدخل بيت الله تعالى فكتبه الملكان عند الله تعالى صديقا فهكذا ينبغي أن يعظم
المسجد وهو أن يرى أن تلويث المسجد بنفسه جناية على المسجد لا أن يرى تلويث المسجد بالحرام أو بزخرف
الدنيا منة على الله تعالى وقال الحواريون للمسيح عليه السلام انظر إلى هذا المسجد ما أحسنه فقال أمتي أمتي
إني حقا أقول لكم لا يترك الله تعالى من هذا المسجد حجرا إلا أهلكه بذنوب أهله إن الله لا يعبأ بالذهب والفضة ولا بهذه
الحجارة التي تعجبكم شيئا وإن أحب الأشياء إلى الله القلوب الصالحة بها يعمر الله تعالى الأرض وبها يخرب إذا
كانت على غير ذلك وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا زخرفتم مساجدكم وحليتم
مصاحفكم فالدمار عليكم وقال الحسن إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يبني مسجد المدينة أتاه
جبريل عليه السلام فقال ابنه سبعة أذرع طولا في السماء لا تزخرفه ولا تنقشه فغرور هذا من حيث أنه
رأى المنكر معروفا واتكل عليه. وفرقة أخرى ينفقون الأموال في الصدقات وعلى الفقراء والمساكين ويطلبون
به المحافل الجامعة ومن الفقراء من عادته الشكر والإفشاء للمعروف ويكرهون التصدق في السر ويرون إخفاء
الفقير لما أخذ منهم جناية عليهم وكفرانا وربما يحرصون على إنفاق المال في الحج فيحجون مرة بعد أخرى وربما تركوا
جيرانهم جياعا ولذلك قال ابن مسعود في آخر الزمان يكثر الحاج بلا سبب يهون عليهم السفر ويبسط عليهم
الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوي بأحدهم بعيره بين القفار والرمال وجاره مأسور إلى جنبه
لا يواسيه وروى أبو نصر التمار أن رجلا جاء يودع بشر بن الحارث وقال قد عزمت على الحج فتأمرني بشيء فقال له كم
أعددت للنفقة فقال ألفي درهم قال بشر فأي شيء تبتغي بحجك نزهة أو اشتياقا إلى البيت أو
ابتغاء مرضاة الله تعالى قال ابتغاء مرضاة الله تعالى قال فإن أصبت رضا الله تعالى وأنت في منزلك وتنفق ألفي
درهم وتكون على يقين من مرضاة الله تعالى أتفعل ذلك قال نعم قال اذهب فأعطها عشرة أنفس مدين يقضي
دينه وفقير يرم شعثه ومعيل يغني عياله ومربي يتيم يفرحه وإن قوي قلبك أن تعطيها واحدا فافعل فإن
إدخالك السرور على قلب المسلم وإغاثة اللهفان وكشف الضر وإعانة الضعيف أفضل من مائة حجة بعد
حجة الإسلام قم فأخرجها كما أمرتك وإلا فقل لنا ما في قلبك فقال يا أبا نصر سفري أقوى في قلبي فتبسم بشر وأقبل
عليه وقال له المال إذا جمع من وسخ التجارات والشبهات اقتضت النفس أن تقضي به وطرا فأظهرت
أعمال الصالحات وقد آلى الله على نفسه أن لا يقبل إلا عمل المتقين. وفرقة أخرى من أرباب الأموال يحفظون
الأموال ويمسكونها بحكم البخل ثم يشتغلون بالعبادات البدنية التي لا يحتاج فيها إلى نفقة كصيام النهار
وقيام الليل وختم القرآن فهم مغرورون لأن البخل المهلك قد استولى على باطنه فهو يحتاج إلى قمعه بإخراج
المال فقد اشتغل بطلب فضائل هو مستغن عنها ومثاله من دخل في ثوبه حية وقد أشرف على الهلاك وهو

مشغول بطبخ السكنجبين ليسكن به الصفرا ومن قتلته الحية متى يحتاج الى السكنجبين ولذلك قيل لبشر ان فلانا كثير الصوم والصلوة فقال المسكين ترك حاله ودخل في حال غيره وانما حال هذا اطعام الطعام للجياع والانفاق على المساكين فهذا افضل له من تجويعه لنفسه ومن صلوته لنفسه مع جمع الدنيا ومنعه الفقرا **وفرقه** اخرى غلبهم البخل فلا تسمح نفوسهم الا باداء الزكوة فقط ثم انهم يخرجون من المال الخبيث الردى الذي يرغبون عنه ويطلبون من الفقرا من يخدمهم ويتردد في حوائجهم او من يحتاجون اليه في المستقبل للاستسخار في خدمة او من لهم فيه على الجملة غرض او يسلمون الى من يعينهم او واحد من الاكابر ممن يستظهر بحشمه لينال بذلك عنده منزلة فيقوم بحاجاته وكل ذلك مفسدات للنية ومحبطات للعمل وصاحبه مغرور ويظن انه مطيع لله تعالى وهو فاجر اذ طلب بعبادة الله تعالى عوضا من غيره فهذا وامثاله من غرور ارباب الاموال وهذا ايضا لا يحصى وانما ذكرنا هذا القدر للتنبيه على اجناس الغرور **وفرقه** اخرى من عوام الخلق وارباب الاموال والفقرا اغتروا بالحضور في مجالس الذكر واعتقدوا ان ذلك يغنيهم ويكفيهم واتخذوا ذلك عادة ويظنون ان لهم على مجرد سماع الوعظ دون العمل ودون الاتعاظ اجرا وهم مغرورون لان فضل مجلس الذكر لكونه مرغبا في الخير فان لم يهيج الرغبة فلا خير فيه والرغبة محمودة لانها تبعث على العمل فان ضعفت عن الحمل على العمل فلا خير فيها وما يراد لغيره فاذا قصر عن الادا الى ذلك الغير فلا قيمة له وربما يغتر بما يسمعه من الواعظ من فضل حضور المجلس وفضل البكا وربما تدخله رقة كرقة النسا فيبكي وربما يسمع كلاما مخوفا فلا يزيد على ان يصفق بيديه ويقول يا سلام سلم او نعوذ بالله او سبحان الله ويظن انه قد اتى بالخير كله وهو مغرور وانما مثاله المريض يحضر مجالس الاطبا فيسمع ما يجري او الجائع يحضر عند من يصف له الاطعمة اللذيذة الشهية ثم ينصرف وذلك لا يغني عنه من مرضه وجوعه شيا فكذلك سماع وصف الطاعات دون العمل بها لا يغني من الله تعالى شيا فكل وعظ لم يغير منك صفة تغييرا تغير افعالك حتى تقبل على الله تعالى وتعرض عن الدنيا اقبالا قويا او ضعيفا فذلك الوعظ زيادة حجة عليك فاذا رايته وسيلة لك كنت مغرورا فان قلت فما ذكرته من مداخل الغرور امر لا يتخلص عنه احد ولا يمكن الاحتراز عنه وهذا يوجب الياس اذ لا يقوى احد من البشر على الحذر من خفايا هذه الافات فاقول الانسان اذا فترت همته في شي اظهر الياس واستعظم الامر واستوعر الطريق فاذا صح منه الهوى اهتدى الى الحيل واستنبط بدقيق النظر خفايا الطرق في الوصول الى الغرض حتى ان الانسان اذا اراد ان يستنزل الطير من جو السما مع بعده منه فاستنزله واراد ان يستصعد الحوت من اعماق البحر فاستصعده واراد ان يستخرج الذهب والفضة من تحت الجبال فاستخرجهما واراد ان يقتنص الوحوش المطلقة في البراري والصحاري فاقتنصها واراد ان يستسخر السباع والفيلة وعظيم الحيوانات فاستسخره واراد ان ياخذ الافاعي والحيات ويعبث بها فاخذها واستخرج الترياق من اجوافها واراد ان يتخذ الديباج الملون المنقش من ورق التوت فاتخذه

واراد ان يعرف مقادير الكواكب وعرضها وطولها فاستخرج بدقيق الهندسة وهو مستقر على الارض وكل ذلك باستنباط الحيل واعداد الالات فسخر الفرس والكلب للصيد وسخر البازي لاقتناص الطيور وهيا الشبكة لاقتناص السمك الى غير ذلك من دقائق الادمي كل ذلك لان همه امر دنياه وذلك معين له على دنياه فلو همه امر اخرته فليس عليه الا شغل واحد وهو تقويم قلبه فيعجز عن تقويم قلبه وتخاذل وقال هذا المحال ومن الذي يقدر عليه وليس ذلك بمحال لو اصبح وهمه هذا الهم الواحد بل هو كما يقال

لو صح منك الهوى ارشدت للحيل

فهذا شي لم يعجز عنه السلف الصالحون ومن اتبعهم باحسان فلا يعجز عنه ايضا من صدقت ارادته وقويت همته بل لا يحتاج الى عشر تعب الخلق في استنباط حيل الدنيا ونظم اسبابها فان قلت فقد قربت الامر فيه بعد ان اكثرت بذكر مداخل الغرور فبم ينجو العبد من الغرور فاعلم انه ينجو منه بثلثة امور بالعقل والعلم والمعرفة فهذه ثلثة امور لا بد منها **اما** العقل فاعني به الفطرة الغريزية والنور الاصلي الذي به يدرك الانسان حقائق الاشيا فالفطنة والكيس فطرة والحمق والبلادة فطرة والبليد لا يقدر على التحفظ من الغرور فصفا العقل وذكا الفهم لا بد منه في اصل الفطرة وهذا ان لم يفطر فاكتسابه غير ممكن نعم اذا حصل اصله امكن تقويته بالممارسة فاساس السعادة كلها العقل والكياسة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبارك الذي قسم العقل بين عباده اشتاتا ان الرجلين ليستوي علمهما وبرهما وصومهما وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان في العقل كالذرة في جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين وعن ابي الدردا انه قيل يا رسول الله ارايت الرجل يصوم النهار ويقوم الليل ويحج ويعتمر ويتصدق ويغزو في سبيل الله ويعود المريض ويشهد الجنائز ويعين الضعيف لا نعلم منزلته عند الله تعالى يوم القيمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يجزى على قدر عقله وقال انس اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف عقله قالوا يا رسول الله نقول من عبادته وفضله ومن خلقه ويقول كيف عقله قال فان الاحمق يصيب بحمقه اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس على قدر عقولهم وقال ابو الدردا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اخبر عن رجل بشدة عبادة سال عن عقله فاذا قالوا حسن قال ارجوه وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ قال وذكر له شدة عبادة رجل فقال كيف عقله قالوا ليس بشي قال لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون فالذكا وصحة غريزة العقل نعمة من الله تعالى في اصل الفطرة فان فاتت بلادة وحماقة فلا تدارك لها **الثاني** المعرفة واعني به ان يعرف اربعة امور يعرف نفسه ويعرف ربه عز وجل ويعرف الدنيا ويعرف الاخرة فيعرف نفسه بالعبودية والذل وبكونه غريبا في هذا العالم واجنبيا من هذه الشهوات البهيمية وانما الموافق له طبعا هو معرفة الله تعالى والنظر الى وجهه فقط ولا يتصور ان هذا ما لم يعرف نفسه ولم يعرف ربه عز وجل واستعن على هذا بما ذكرناه من كتاب المحبة وفي كتاب شرح عجايب القلب والتفكر وكتاب الشكر اذ فيه اشارات الى وصف النفس والى وصف جلال الله تعالى

ويحصل به التنبيه على الجملة وكمال المعرفة وراءه فان هذا من علم المكاشفة ولم يطنب في هذا الكتاب الا في
علوم المعاملة واما معرفة الدنيا والآخرة فتستعين عليه بما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا وفي
كتاب ذكر الموت ليتبين له ان لا نسبة بين الدنيا والآخرة فاذا عرف نفسه وعرف ربه وعرف الدنيا والآخرة ثار من قلبه
بمعرفة الله تعالى حب الله وبمعرفة الآخرة شدة الرغبة فيها وبمعرفة الدنيا الرغبة عنها فيصير اهم اموره ما
يوصله الى الله تعالى وينفعه في الآخرة واذا غلبت هذه الارادة على قلبه صحت نيته في الامور كلها فان اكل
مثلا او اشتغل بقضاء الحاجة كان قصده منه الاستعانة على سلوك طريق الآخرة وصحت نيته واندفع
عنه كل غرور منشاه تجاذب الاغراض والنزوع الى الدنيا والجاه والمال فان ذلك هو المفسد
للنية وما دامت الدنيا احب اليه من الآخرة وهوى نفسه احب اليه من رضى الله تعالى فلا يمكنه الخلاص
من الغرور فاذا غلب حب الله تعالى على قلبه بمعرفته بالله تعالى وبنفسه الصادرة عن كمال عقله فيحتاج
الى المعنى الثالث وهو العلم اعني العلم بكيفية سلوك الطريق الى الله تعالى والعلم بما يقربه من
الله تعالى وما يبعده عنه والعلم بآفات الطريق وغوائله وجميع ذلك قد اودعناه كتب احياء علوم الدين فيعرف
من ربع العبادات اسرار المعايش وما هو مضطر اليه فياخذه باذن الشرع وما هو مستغن عنه فيعرض عنه
ومن ربع المهلكات يعلم جميع العقبات المانعة من طريق الله تعالى فان المانع من الله تعالى الصفات المذمومة
التي لا بد ان توضع خلفا عن المحمودة بعد محوها فاذا احاط بجميع ذلك امكنه الحذر عن الانواع التي اشرنا
اليها من الغرور واصل ذلك كله ان يغلب حب الله تعالى على القلب ويسقط حب الدنيا منه حتى تقوى به الارادة
وتصح به النية ولا يحصل ذلك الا بالمعرفة التي ذكرناها فان قلت فاذا فعل جميع ذلك فما الذي يخاف عليه
فاقول يخاف عليه ان يخدعه الشيطان ويدعوه الى نصح الخلق ونشر العلم ودعوة الناس
الى ما عرفه من دين الله تعالى فان المريد المخلص اذا فرغ عن تهذيب الاخلاق ومراقبة القلب حتى صفاه عن
جميع الكدورات واستوى على الصراط المستقيم وصغرت الدنيا في عينه فتركها وانقطع طمعه عن الخلق
فلم يلتفت اليهم ولم يبق له الا هم واحد وهو الله تعالى والتلذذ بذكره ومناجاته والشوق الى لقائه وقد
عجز الشيطان عن اغوائه اذ ياتيه من جهة الدنيا وشهوات النفس فلا يطيعه فياتيه من جهة الدين
ويدعوه الى الرحمة على الخلق والشفقة على دينهم بالنصح لهم والدعاء الى الله تعالى فينظر العبد برحمته الى العبيد
فيراهم حيارى في امرهم سكارى في دينهم صما عميا استولى عليهم المرض وهم لا يشعرون وفقدوا الطبيب
واشرفوا على العطب فتغلب على قلبه الرحمة لهم وقد كان عنده حقيقة المعرفة بما يهديهم ويبين ضلالهم
ويرشدهم الى سعادتهم وهو يقدر على ذكرها من غير تعب ولا مؤنة ولا لزوم غرامة فكان مثله مثل
رجل كان به داء عظيم لا يطاق المه وقد كان لذلك يسهر ليله ويقلق نهاره ولا ياكل ولا يشرب ولا يتحرك
ولا يتصرف لشدة ضربان الالم فوجد له دواء عفوا صفوا من غير ثمن ولا تعب ولا مرارة في تناوله فاستعمله

فبرئ وصح ونام بنومه بالليل بعد طول سهره وهدى بالنهار بعد شدة القلق وطاب عيشه بعد نهاية
الكدر واصاب لذة العافية بعد طول السقام ثم نظر الى عدد كثير من المسلمين واذا بهم تلك العلة بعينها وقد
طال سهرهم واشتد قلقهم وارتفع الى السماء انينهم فتذكر ان دواءهم هو الذي يعرفه ويقدر على شفائهم باسهل
ما يكون في اقرب زمان فاخذته الرحمة والرقة ولم يجد فسحة من نفسه في التراخي عن
الاشتغال بعلاجهم فكذلك العبد المخلص بعد ان اهتدى الى الطريق وشفي من امراض القلوب شاهد
الخلق وقد مرضت قلوبهم واعضل داؤهم وقرب هلاكهم وسهل عليه دواؤهم فانبعث من ذات
نفسه عزم جازم في الاشتغال بنصحهم وحرضه الشيطان على ذلك رجاء ان يجد مجالا للفتنة فلما اشتغل
به وجد الشيطان مجال الفتنة فدعاه الى الرياسة دعاء خفيا اخفى من دبيب النمل لا يشعر به المريد
فلم يزل ذلك الدبيب في قلبه حتى دعاه الى التصنع والتزين للخلق بتحسين الالفاظ والنغمات
والحركات والتصنع في الزي والهيئات فاقبل الناس اليه يعظمونه ويبجلونه ويوقرونه
توقيرا يزيد على توقير الملوك اذ راوه شافيا لدائهم بمحض الشفقة والرحمة من غير طمع فصار احب
اليهم من آبائهم وامهاتهم واقاربهم فآثروه بابدانهم واموالهم كالخدم والعبيد فخدموه وقدموه في المحافل
وحكموه على الملوك والسلاطين فعند ذلك انتشر الطمع وارتاحت النفس وذاقت لذة يا لها من لذة واصابت
من الدنيا شهوة يستحقر معها كل شهوة فكان قد ترك الدنيا فوقع في اعظم لذاتها وعند ذلك وجد
الشيطان فرصة وامتد الى قلبه يده فهو يستعمله في كل ما يحفظ عليه تلك اللذة وامارة انتشار
الطمع وركون النفس الى الشيطان انه لو اخطا فرد عليه بين يدي الخلق غضب فاذا انكر على نفسه
ما وجد من الغضب بادر الشيطان يخيل اليه ان ذلك غضب لله تعالى لانه اذا لم يحسن اعتقاد المريد
فيه انقطعوا عن طريق الله ووقعوا في الغرور فربما اخرجه ذلك الى الوقيعة فيمن رد عليه فوقع في
الغيبة المحظورة بعد تركه الحلال المتسع ووقع في الكبر الذي هو تمرد عن قبول الحق والشكر عليه
بعد ان كان يحذر عن طوارق الخطرات وكذلك اذا سبقه الضحك او فتر عن بعض الاوراد جزعت
النفس ان يطلع عليه فيسقط قبوله فاتبع ذلك بالاستغفار وتنفس الصعداء وربما زاد في
الاعمال والاوراد لاجلهم والشيطان يخيل اليه انك انما تفعل ذلك خدعة وغرورا بل هي خدع من
النفس خيفة فوت الرياسة ولذلك لا يخدع نفسه من اطلاع على مثل ذلك من اقرانه بل ربما يحب
ذلك ويستبشر به ولو ظهر من اقرانه من مال القلوب الى قبوله وزاد اثر كلامه في القبول على كلامه شق
ذلك عليه ولولا ان النفس قد استشرت واستلذت الرياسة لكان يغتنم ذلك اذ مثاله ان يرى
جماعة من اخوانه قد وقعوا في بير وتغطى راس البير بحجر كبير فعجزوا عن الرقي بسببه فرق
قلبه لاخوانه فجا ليرفع الحجر من راس البير وشق عليه فجا من اعانه على ذلك حتى تيسر عليه

أو كفاه ذلك وتحاسده فيغتم بذلك فرحه إذ غرضه خلاص إخوانه من النار فإن كان غرض الناصح
خلاص إخوانه المسلمين من النار فإذا ظهر من أعانه أو كفاه ذلك فلم يثقل عليه أرأيت لو اهتدوا
جميعهم لما كان ينبغي أن يثقل عليه إن كان غرضه هدايتهم فإذا اهتدوا بغيره فلم يثقل ومهما وجد ذلك
في نفسه دعاه الشيطان إلى جميع كبائر القلوب بعد الهدى وإلى الاعوجاج بعد الاستواء فإن قلت
فمتى يصح له أن يشتغل بنصح الناس فأقول إذا لم يكن له قصد سوى هدايتهم لله تعالى وكان يود لو وجد
من يعينه أو اهتدوا بأنفسهم وانقطع بالكلية طمعه عن ثنائهم وعن أموالهم فاستوى عنده حمدهم
وذمهم فلم يبال بذمهم إذ كان الله تعالى يحمده ولم يفرح بحمدهم إذ لم يقترن به حمد الله تعالى ونظر
إليهم كما ينظر إلى السادات وإلى البهائم أما إلى السادات فمن حيث لا يتكبر عليهم بل يرى
كلهم خيرا من نفسه لجهله بالخاتمة وأما إلى البهائم فمن حيث انقطاع طمعه عن طلب المنزلة في قلوبهم
فإنه لا يبالي كيف تراه البهائم ولا يتزين لها ولا يتصنع بل راعي الماشية غرضه رعاية الماشية ودفع
الذئب عنها دون نظر الماشية إليه فما لم ير سائر الناس كالماشية التي لا تلتفت إلى نظرهم ولا يبالي
بهم لا يسلم من الاشتغال بإصلاحهم نعم ربما يصلحهم ولكن يفسد نفسه بإصلاحهم فيكون
كالشمع الذي يضيء لغيره ويحترق في نفسه فإن قلت فلو ترك الوعاظ الوعظ إلا عند نيل هذه الدرجة
خلت الدنيا عن الوعظ وخربت القلوب فأقول قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حب الدنيا رأس كل
خطيئة ولولا حب الناس الدنيا لهلك العالم وبطلت المعايش وهلكت القلوب والأبدان جميعا إلا أنه
صلى الله عليه وسلم علم أن حب الدنيا مهلك وأن ذكره كونه مهلكا لا ينزع الحب من قلب الأكثرين إلا الأقلين
الذين لا تخرب الدنيا بتركهم فلم يترك النصح وذكر ما في حب الدنيا من الخطر ولم يترك ذكره خوفا من أن
يترك ثقة بالشهوات المهلكة التي سلطها الله تعالى على عباده ليسوقهم بها إلى جهنم تصديقا لقوله
تعالى لقد حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين فكذلك لا تزال ألسنة الوعاظ مطلقة
بحب الرياسة ولا يدعونها لقول من يقول إن الوعظ لحب الرياسة حرام كما لا يدع الخلق الشرب
والزنا والسرقة والربا والظلم وسائر المعاصي لقول الله تعالى ورسوله عليه السلام إن ذلك حرام فانظر
لنفسك وكن فارغ القلب عن حديث الناس فإن الله تعالى يصلح خلقا كثيرا بإفساد شخص واحد
وأشخاص ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض وإن الله يؤيد هذا الدين بأقوام
لا خلاق لهم فإنما يخشى أن يفسد طريق الاتعاظ فأما أن تخرس ألسنة الوعاظ وراءهم باعث الرياسة
وحب الدنيا فلا يكون ذلك أبدا فإن قلت فإن علم المريد هذه المكيدة من الشيطان فاشتغل بنفسه
وترك النصح أو نصح وراعى شرط الصدق والإخلاص فيه فما الذي يخاف عليه وما الذي بقي بين يديه من
الأخطار وحبائل الاغترار فاعلم أنه بقي عليه أعظمه وهو أن الشيطان يقول له قد أعجزتني وأفلت مني

بذكائك وكمال عقلك وقد قدر على حمله من الأولياء والكبراء وما قدرت عليك فما أصبرك وما أعظم عند الله
تعالى محلك إذ قواك على قهري ومكنك من التفطن لجميع مداخل الغرور فيصغي إليه ويصدقه
ويعجب بنفسه في فراره من الغرور كله فيكون إعجابه بنفسه غاية الغرور وهو المهلك الأكبر فالعجب أعظم من
كل ذنب ولذلك قال الشيطان يا ابن آدم إذا ظننت أنك بعلمك تخلصت مني فبجهلك قد
وقعت في حبائلي فإن قلت فلو لم يعجب بنفسه إذ علم أن ذلك من الله تعالى لا منه فإن مثله لا يقوى على
دفع الشيطان إلا بتوفيق الله تعالى ومعونته ومن عرف ضعف نفسه وعجزه عن أقل القليل فإذا
قدر على مثل هذا الأمر العظيم علم أنه لم يقو عليه بنفسه بل بالله تعالى فما الذي يخاف عليه بعد نفي العجب
فأقول يخاف عليه الغرور بفضل الله تعالى والثقة بكرمه والأمن من مكره حتى يظن أنه يبقى على هذه
الوتيرة في المستقبل ولا يخاف من الفترة والانقلاب فيكون حاله الاتكال على فضل
الله تعالى فقط دون أن يقارنه الخوف من مكره ومن أمن مكر الله فهو خاسر جدا بل طريقه أن يكون مشاهدا
لجملة ذلك من فضل الله تعالى ثم خائفا على نفسه أن يكون قد سلبه صفاء قلبه من حب
الدنيا وربما خلق والتفات إلى غرور وهو غافل عنه ويكون خائفا أن يسلب حاله في كل طرفة عين
غير آمن مكر الله تعالى ولا غافل عن خطر الخاتمة وهذا خطر لا محيص عنه وخوف لا نجاة منه إلا بعد
مجاوزة الصراط ولذلك لما تمثل الشيطان قال لبعض الأولياء في وقت النزاع وكان قد بقي له نفس فقال
أفلت مني يا فلان قال لا بعد ولذلك قيل الناس كلهم هلكى إلا العالمون والعالمون كلهم
هلكى إلا العاملون والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون والمخلصون على خطر عظيم فلذلك لا يفارق
الحذر والخوف قلوب أولياء الله تعالى أبدا فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فإن الأمور بخواتيمها والسلام
وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم ∴ كمل كتاب ذم الغرور من كتب
إحياء علوم الدين رضي الله عن مؤلفه
وعن جميع المسلمين وسلام على
المرسلين والحمد لله رب

